

الجزء الثاني

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني
التنزيل تأليف الامام العلامة قدوة الامة وعلم
الأممة ناصر الشريعة ومحبي السنة علاه
الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي
الصوفي المعروف بالخازن
تعمده الله برحمته
آمين

وقد حلني هامش هذا الكتاب بالتفسير المسمى بمدارك التنزيل وحقائق
التأويل تأليف الامام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود
النسفي عليه سبحانه الرحمة والرضوان

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العلمية

على نفقة

(أصحابها مصطفى الباني الحلبي وأخويه بكرى وعيسى)

(بمصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تفسير سورة الانعام﴾

﴿فصل في ذكر نزولها﴾ روى مجاهد عن ابن عباس أن سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة ليلا بمكة وحولها سبعون ألف ملك وروى أبو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غيرت آيات منها فانها من دنيا وهي قوله تعالى قل تعالوا آتوا آل محرم بكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شيء الى آخر الآيتين وذكروا ما نزل نحو هذا وزاد آيتين وهما قوله تعالى والذين آتينا هم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتينا هم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآية وروى عن ابن عباس أيضا وقتادة أنهم ما قالوا هي مكية الا آيتين نزلتا بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخرساجدا قال البغوي وروى عنه مرفوعا من قرأ سورة الانعام صلى عليه أو لثك السبعون ألف ملك ليله ونهاره وذكروه بغير سند والله سبحانه وتعالى أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿قوله عز وجل﴾ (المدللة الذي خلق السموات والارض) قال كعب الاحبار هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وفي رواية عنه ان آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وخلقهم بالحمد فقال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله نعلم لعباده كيف يحمدونه أي قولوا الحمد لله وقال أهل المعاني لفظه خير ومعناه الامر أي اجدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه أبلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل اجدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله أبلغ وقد تقدم معنى الحمد في تفسير سورة فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق السموات والارض أي اجدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما أعظم الخلق فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق وفيها أيضا العبر والمنافع (وجعل الظلمات والنور) الجعل هنا بمعنى الخلق أي وخلق الظلمات والنور قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل والنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر والنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل والنور العلم وقيل الجنة والنار قال قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار وروى عن عبد الله بن عمر وعن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم أتى عابهم من نوره فنأصابه ذلك النور اهتدى

﴿سورة الانعام مكية﴾
وهي مائة وخمس وستون
آية كوفي أربع وستون
بصري

(بسم الله الرحمن الرحيم)
(المدللة) تعليم اللفظ والمعنى
مع تعريض الاستغناء أي
المدله وان لم تحمده
(الذي خلق السموات
والارض) جمع السموات
لانها طباق بعضها فوق
بعض والارض وان كانت
سبعة عند الجمهور فليس
بعضها فوق بعض بل بعضها
موال لبعض جعل يتعدى
الى مفعول واحد اذا كان
بمعنى أحدث وأنشأ كقوله
(وجعل الظلمات والنور)
والى مفعولين ان كان معنى
صير كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد
الرحمن انا وافيهم رد قول
الثبوية بقدوم النور والظلمة
وأفرد النور لارادة الجنس
ولان ظلمة كل شيء تختلف
باختلاف ذلك الشيء يظهره
ظلمة الليل وظلمة البحر
وظلمة الموضع المظلم يخلف
كل واحد منها صاحبه والنور
ضرب واحد لا يختلف كما
تختلف الظلمات وقدم
الظلمات لقوله عليه السلام
خلق الله خلقه في ظلمة

ثم رشح عليهم من نوره فن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل (ثم الذين كفروا) بعد هذا البيان (بربهم يعدلون) يساوون به
الاولان تقول عدات هذا بذاتى ساو بته وبالباقي برهم صلة للعدل لالكفر أو ثم الذين (٣) كفروا برهم يعدلون عنه أى

يعرضون عنه فتكون الباء
صلة للكفر وصلة يعدلون
أى عنه محذوفة وعطف ثم
الذين كفروا على الحمد لله
على معنى أن الله حقيق
بالحمد على ما خلق لانه ما
خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا
به يعدلون فيكفرون
نعمة أو على خلق السموات
على معنى انه خلق ما خلق
مما لا يقدر عليه أحد سواه
ثم هم يعدلون به بما لا يقدر على
شيء منه ومعنى ثم استعجابا أن
يعدلوا به بعد وضوح آيات
قدرته (هو الذى خلقكم
من طين) من لا بداء
الغاية أى ابتداء خلق
أصلكم يعنى آدم منه (ثم
قضى أجلا) أى حكم أجل
الموت (وأجل مسمى
عنده) أجل القيامة
أو الاول ما بين أن يخلق الى
أن يموت والثانى ما بين
الموت والبعث وهو البرزخ
أو الاول النوم والثانى
الموت أو الثانى هو الاول
وتقديره وهو أجل مسمى
أى معلوم وأجل مسمى
مبتدأ والخبر عنده وقدم
المبتدأ وان كان نكرة
والخبر ظرفا وحقه التأخير
لانه تخصص بالصفة فقارب
المعرفة (ثم أنتم تمترون)

ومن أخطأه ضل ذكره البغوى بغير سند (ثم الذين كفروا برهم يعدلون) يعنى والذين كفروا بعد هذا
البيان برهم بشر كون وأصل العدل مساواة الشيء بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله ويجمعون له عدلا
من خلقه فيعبدون الخجارة مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء فى قوله
برهم يعنى عن أى عن برهم يعدلون وينحرفون من العدل عن الشيء وقيل دخول ثم فى قوله ثم الذين
كفروا برهم يعدلون دليل على معنى اظيف وهو انه تعالى دل به على انكاره على الكفار العدل به وعلى
تعجب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك أن تقول لرجل أكرمك وأحسنت اليك وأنت تنكرنى وتجدد
احسانى اليك فتقول ذلك منكرا عليه ومتهجبا من فعله قوله تعالى (هو الذى خلقكم من طين) يعنى انه
تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما أنكر المشركون البعث
وقالوا من يحيى العظام وهى رميم أعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم
بعد الموت قال السدى لما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم بعث جبريل الى الارض ليأنيه بقبضة منه فقاتل
الارض انى أعوذ بالله منك أن تقبض منى فرجع ولم يأخذ منها شيئا فقال يارب عاذت بك فبعث الله
ميكائيل فاستعادت فرجع فبعث الله لك الموت فعاذت منه فقال وأنا أعوذ بالله أن أخالف امره وأخذ من
وجه الارض غلط الحرا والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت ألوان بنى آدم ثم غجنها بالماء العذب والملح والمر
فلذلك اختلفت أخلاقهم ثم قال الله الملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم تر جها لاجرم أجعل
أرواح من أخلق من هذا الطين بيدك عن أبى موسى الأشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضه من جميع الارض فساء بنو آدم على قدر الارض منهم الاجر
والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب أخرجه أبو داود والترمذى وأما قوله
تعالى (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) فاختلف العلماء فى معنى ذلك فقال الحسن وقتادة والضحاك
لأجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والأجل الثانى من وقت الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى
نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل أحد أجلان أجل الى الموت وأجل من الموت الى البعث فان كان الرجل
برا تقياد وصولا للرحم ز يده من أجل البعث الى أجل العمر وان كان فاحرا قاطعا للرحم نقص من أجل العمر
وز يده فى أجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب وقال مجاهد وسعيد بن
جبير الأجل الاول أجل الدنيا والأجل الثانى أجل الآخرة وقيل الأجل هو الوقت المقدر فأجل كل انسان مقدر
معلوم عند الله لا يز بد ولا ينقص والأجل الثانى هو أجل القيامة وهو أبيض معلوم مقدر عند الله لا يعلمه الا الله
تعالى وقال ابن عباس فى رواية عطاء عنه ثم قضى أجلا يعنى النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه وأجل
مسمى عنده هو أجل الموت وقيل هما واحد ومعناه ثم قضى أجلا يعنى قدر مدة لاعماركم تنتهون اليها وهو
أجل مسمى عنده يعنى ان ذلك الأجل عنده لا يعلمه الا هو والمراد بقوله عنده يعنى فى اللوح المحفوظ الذى
لا يطاع عليه غيره (ثم أنتم تمترون) يعنى ثم أنتم تشكون فى البعث قوله عز وجل (وهو الله فى السموات
وفى الارض) يعنى وهو الله فى السموات والارض وقيل معناه وهو المعبود فى السموات وفى الارض وقال
شعيب بن جبر الطبرى معناه وهو الله فى السموات (يعلم سركم وجهركم) فى الارض وقال الزجاج فيه تقديم
وتأخير تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم فى السموات وفى الارض وقيل معناه وهو المنقرض بالتدبير فى
السموات وفى الارض لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما تخفيه الانسان فى ضميره فهو من أعمال القلوب

تشكون من المربة أو تجادلون من المراء ومعنى ثم استبعانا أن يتروافيه بعد ما ثبت أنه محيهم وميتهم وبعثهم (وهو الله) مبتدأ وخبر (فى السموات
وفى الارض) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذى فى السماء والذى فى الارض وهو المعروف بالالهية فيهما
أوهو الذى يقال له الله فيهما والاول تفرع على انه مشتق وغيره على انه غير مشتق (يعلم سركم وجهركم) خبر بعد خبر أو كلام مستداً أى وهو

يعلم سرهم وجهركم (ويعلم ماتكسبون) من الخير والشرو يثيب عليه ويعاقب ومن في (وماتأنيهم من آية) للاستغراق وفي (من آيات ربه - م)
للتبعض أي و: أظهر لهم دلائل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاعتبار (الا كانوا عنها معرضين) تاركين للنظر لا يلتفتون اليها قلة
خوفهم وتدرهم في العواقب (٤) (فقد كذبوا) مردود على كلام محمد بن وهب فإنه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد

كذبوا (بالحق لما جاءهم) وبالجهر ما يظهره الانسان فهو من أعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفي عليه خافية في السموات ولا في الارض
(ويعلم ماتكسبون) يعني من خيرا وشرقا في الآية سؤال وهو ان الكسب اما أن يكون من أعمال القلوب
وهو المسمى بالسراو من أعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالأفعال لا يخرج عن هذين النوعين يعني السر
والجهر فقوله ويعلم ماتكسبون يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فاعني ذلك وأجيب عنه بأنه
يجب حمل قوله ويعلم ماتكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه من الثواب والعقاب والحاصل
فيه انه محمول على المكتسب فهو كما يقال هذا المال كسب فلان أي مكتسبه ولا يجوز حمله على نفس الكسب
والا لزم عطف الشيء على نفسه ذكره الامام نضر الدين (وماتأنيهم) يعني لاهل مكة (من آية من آيات ربه م)
يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك وقيل
المراد بالآيات آيات القرآن (الا كانوا عنها معرضين) يعني الا كانوا لها تاركين وبها مكذبين (فقد كذبوا
بالحق) يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما أتى به من المعجزات (لما جاءهم) يعني لما
جاءهم الحق من عندهم كذبوا به (فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن) يعني فسوف يأتيهم أخبار
استهزأهم اذا عذبوا في الآخرة ﴿ قوله تعالى (الم يروا) الخطاب لكفار مكة يعني لم يروهؤلاء المكذبون
بآياتي (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الامم الماضية والقرون
الخالية والقرن الامة من الناس وأهل كل زمان قرن سمو بذلك لاقتراهم في الوجود في ذلك الزمان وقيل
سعى قرنا لانه زمان بزمان وأمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل
أربعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل مائة سنة وهو الاصح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد
الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهل الذين وجدوا فيه ومنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابي وتابعيهم وتابعي
التابعين (مكناهم في الارض ما لم يمكنكم) يعني أعطيناهم ما لم نعطيكم بأهل مكة وقيل أمددناهم في العمر
والبسطة في الاجسام والسعة في الارزاق مثل اعطاء قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وأرسلنا السماء عليهم
مدرارا) مفعال من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة اليه والمراد بالسماء المطر سمي بذلك
انزوله منها (وجعلنا الانهار تجري من تحتم) يعني وجعلناهم العيون تجري من تحتمهم والمراد منه كثرة البساتين
(فاهلكناهم بذنوبهم) يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم (وأنا أنامن بعدهم قرنا آخرين) يعني وخالقنا من
بعدهم هلاك أولئك أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار والموعظة بحال من مضى من الامم
السابقة والقرون الخالية فانهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق وكثرة الاتباع أهلكناهم لما كفروا
وظفوا وظلموا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا يوجب الاعتبار والانتباه من نوم
الغفلة ورقدة الجهالة ﴿ قوله عز وجل (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) الآية قال الكلبي ومقاتل
نزلت في النضر بن الحرث وعبد الله بن أمية ونوفل بن خويلد قالوا يا محمد ان نؤمن حتى تأتينا بكتاب من
عند الله ومعها ربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله فانزل الله تعالى هذه الآية ولو
نزلنا عليك كتابا في قرطاس يعني من عندي يعني مكتوب في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها
(فأمسوه بأيديهم) يعني فعاينوه ومسوه بأيديهم وانما ذكر اللبس ولم يذكر المعاينة لانه أبلغ في ايقاع العلم

تحتهم) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا في الخصب بين الانهار والثمار وسقيها الغيث المدرار (فاهلكناهم بذنوبهم) بالشيء
بذنوبهم) ولم يكن ذلك عنهم سببا (وأنا أنامن بعدهم قرنا آخرين) بدلائلهم (ولو نزلنا عليك كتابا) مكتوبا (في قرطاس) في
ورق (فأمسوه بأيديهم) هولاة كيد لا يقره ولو اسكرت أنصارنا ومن المحتج عليهم العمى

(لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) نعمتوا وعناد للحق بعد ظهوره (وقالوا لولا هلا (أنزل عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم (ملك) يكلمنا الله نبي فقال الله (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) لقضى أمر هلاكهم (ثم لا ينظرون) لا يهتمون بعد نزوله طرفه عين لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامر بين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو (٥) جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقرعون نارة لولا أنزل على محمد ملك

بأشئ من الرؤية لان المرئيات قبيد حلها التخيلات كالسحر ونحوه بخلاف المسموس (لقال الذين كفروا ان هذا الاسحر مبين) يعني لو أنزلنا عليهم كتابا كما سألو لما آمنوا به وقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشاق القمر وانه لا ينفذ معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم (وقالوا) يعني مشركي مكة (لولا) يعني هلا (أنزل عليه) يعني على محمد (ملك) يعني نراه عيانا (ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر) يعني افرغ الامر ولو لوجب العذاب وهذه حسنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا العذاب واستؤصلوا به (ثم لا ينظرون) يعني انهم لا يهتمون ولا يؤخرون طرفه عين بل يجعل لهم العذاب (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) يعني لو أنزلنا عليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك ان البشر لا يستطيعون أن ينظروا الى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر الى الملك ناظر لصعق عنده و يته ولذلك كانت الملائكة تأتي الانبياء في صورة الانس كما جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملك الى داود وعليه السلام في صورة رجلين وكذلك اتى الملائكة الى ابراهيم ولوط وعليهما السلام ولما رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خاق عليها صعق لذلك وغشى عليه قوله تعالى (وللبسنا عليهم ما يلبسون) يقال لبست الامر على القوم اذا أشبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست عليه الامر اذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية واخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملاك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية اننا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه بشر فاعتود المسئلة بحالها ان الارضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل الله مثل فعلهم في التلبس وانما كان تلبس الانهم يظنون أنه ملك وليس ملك أو يظنون انه بشر وليس هو بشر وانما كان فعلهم تلبس الانهم لبسوا على ضعفهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولورأوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق بضعتهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخيل في السؤال واللبس على الضعفاء قوله عز وجل (واقداستهزئ برسل من قبلك) يعني كما استهزؤا بك يا محمد وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم ونسابة له عما كان من تكذيب المشركين اياه واستهزأهم به اذ جعل له أسوة في ذلك بالانبياء الذين كانوا قبله (خاق) أي فنزل وقيل أحاط وقيل حل (بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزؤن) والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب عليهم من النعمة والعذاب جزاء استهزأهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين أن يفعلوا ببنبيهم كما فعل من كان قبلهم بانبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم (قل سير وافي الارض) أي قل يا محمد طو لاء المستهزئين سير وافي الارض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الاقدام (ثم انظروا) فعلى القول الاول يكون النظر نظرا فكرة وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا باعينكم الى آثار الامم الخالية والفر من الماضية السالفة وهو قوله تعالى (كيف كان عاقبة المكذبين) يعني كيف كان جزاء المكذبين وكيف أو رهم الكفر والتكذيب اهلك خذر كفار مكة عذاب الامم الخالية قوله عز وجل (قل لمن مافي السموات والارض قل لله) هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد طو لاء المكذبين العادلين برهم لمن ملك مافي السموات والارض فان أجابوك والافاخرهم

لانهم كانوا يقرعون نارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لا نرسلناه في صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم ما يلبسون) واخلطنا واشكنا عليهم من أمره اذا كان سبيله كسبيلك يا محمد فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك يقال لبست الامر على القوم وألبسته اذا أشبهته وأشكاته عليهم ثم سلى نبيه على ما أصابه من استهزاء قومه بقوله (واقداستهزئ برسل من قبلك خاق بالذين سخروا منهم ما كانوا يستهزؤن) فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزأهم ومنهم متعاق بسخروا كقوله فيسخرون

منهم والضمير للرسول والدال مكسورة عند أبي عمر ووعاصم لاتقاء الساكنين وضمها غيرهما اتباعا للصم التاء (قل سير وافي الارض) ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا ان النظر جعل مسببا عن السير في فانظروا فانه قيل سير والاجل النظر ولا تسير واسير الغافلين ومعنى سير وافي الارض ثم انظر والباحة السير في الارض للتجارة وغيره او ايجاب النظر في آثارها الكين وبنه على ذلك يتم لتباعد ما بين الواجب والمباح (قل لمن مافي السموات والارض) من استفهام وبما معنى الذي في موضع الرفع على الابتداء ولين خبره (قل لله)

تقرير لهم أي هونته لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدر وإن اضيئه وامنه شيئاً إلى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أصل كتب
أوجب ولكن لا يجوز الاجراء (٦) على ظاهره اذ لا يجب على الله شيء للعبد فالمراد به انه وعد ذلك وعدا

ان ذلك لله الذي يهركن كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لا للاصنام التي تعبدونها أنتم فانها أموات لا تملك
شيئاً ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً وانما أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في التأكيد وكذا في الحجية
والما بين الله تعالى كل قدرته ونصره في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته واحسانه اليهم فقال تعالى (كتب
على نفسه الرحمة) يعني انه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة وهذا الاستعطف منه للمؤمنين عنه الى الاقبال
عليه واخبار بانه رحيم بعباده وانه لا يعجز بالعبودية بل يقبل التوبة والابانة بمن تاب وأناب (ق) عن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو عنده فوق العرش ان رحمتي
تغاب غضبي وفي البخاري ان الله كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده
فوق العرش وفي رواية لهما ان الله لما خلق الخلق وعند مسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه كتبه على
نفسه فهو موضوع عنه. زاد البخاري على العرش ثم انفق ان رحمتي تغاب غضبي (ق) عن أبي هريرة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فامسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في
الارض جزءاً واحداً فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافر راعن ولدها خشية أن تصيبه زاد
البخاري في روايته ولو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة ليمأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي
عند الله من العذاب لم يأمن من العذاب ولمسلم ان لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس
والبهائم والهوام فيها تباطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعاً وتسعين
رحمة برحم بعباده يوم القيامة (م) عن سامان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق
يوم خلق السموات والارض مائة رحمة لكل رحمة طباق ما بين السماء والارض فجعل منها في الارض رحمة فيها
تعطف الولادة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة (ق)
عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبي فاذا امرأة من السبي تبغى اذا وجدت صديقاً في السبي
أخذته فالتفت به بطنها وأرضعته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل من هذه المرأة طارحة ولدها في
النار فلما اولاها الله وهي تقدر أن لا تطرحه فقال صلى الله عليه وسلم لله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله
تعالى (اجمعنكم) التام في قوله ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) يعني في يوم
القيامة وقيل معناه في قبوركم الى يوم القيامة (لاريب فيه) أي لا شك في انه أت (الذين خسروا أنفسهم)
يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم باتخاذهم الاصنام فعرضوا أنفسهم لاسخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن
خسر شيئاً وأصل الخسار الغبن يقال خسرت الرجل اذا غبت في بيعه (فهم لا يؤمنون) يعني لما سبق عليهم القضاء
بالخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الايمان ﴿ قوله تعالى (وله ما سكن في الليل والنهار) يعني وله
ما استقر وقبل ما سكن وما تحرك فاكتفى بذلك كراحدهما عن الآخر وقيل انما خص السكون بالذكري لان
النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طاعت عليه الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد
منه جميع ما حصل في الارض من الدواب والحوانات والطير وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر
والمعنى ان جميع الموجودات ملك لله تعالى لا غير (وهو السميع) لقوا لهم وأصواتهم (العليم) بسر أئهم
وأحوالهم ﴿ قوله عز وجل (قل غير الله اتخذوا لولا) قال مقاتل لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى دين آياته أنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد أغير الله اتخذوا لولا يعني رباً ومعبوداً وانصروا ومعينا
وهو استفهام ومعناه الانكار أي لا اتخذوا غير الله ولولا (فاطر السموات والارض) أي خالق السموات

مؤكدا وهو مجزء لا محالة
وذكر انفس للاختصاص
ووقع الوسائط أو عددهم
على اغفالهم النظر
واشراكهم به من لا يقدر على
خلق شيء بقوله (ليجمعنكم
الى يوم القيامة) ويجازيكم
على اشراككم (لاريب)
فيه) في اليوم أو في الجمع
(الذين خسروا أنفسهم)
نصب على الذم أي أريد
الذين خسروا أنفسهم
باختيارهم الكفر (فهم
لا يؤمنون) وقال الاخفش
الذين بدل منكم في
ليجمعنكم أي ليجمعنكم
هؤلاء المشركين الذين
خسروا أنفسهم والوجه
هو الاول لان سببويه قال
لا يجوز صررت في المسكين
ولا بك المسكين فتجعل
المسكين بدلا من الياء أو
الكاف لانها في غاية
الوضوح فلا يحتاجان الى
البديل والتفسير (وله)
عطف على لله (ما سكن في
الليل والنهار) من السكنى
حتى يتناول الساكن
والمتحرك أو من السكون
ومعناه ما سكن وتحرك فيهما
فاكتفى باحد الضدين عن
الأخر كقوله تقيكم الحسر
أي الحسر والبرد وذكر
السكون لانه أكثر من الحركة

وهو احتجاج على المشركين لانهم لم ينكروا ان خالق السكل ومدبره (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع ويعلم والارض
كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الموان (قل غير الله اتخذوا لولا) ناصر او معبود وهو مفعول ثان لاتخذوا ولاول غير وانما أدخل
همزة الاستفهام على مفعول لاتخذوا لانه لان الاسكار في اتخاذ غير الله ولولا لا في اتخاذ الولي فكان أحق بالتقديم (فاطر السموات والارض)

أحدهما أنافظرتها أي
ابتدأتها (وهو يطعم ولا
يطعم وهو يرزق ولا يرزق
أي المنافع كلها من عنده ولا
يجوز عليه الانتفاع) (قل
إني أمرت أن أكون أول
من أسلم) لان النبي سابق
أتمته في الاسلام كقوله
وبذلك أمرت وأنا أول
المسلمين (ولان تكون من
المشركين) وقيل لي
لان تكون من المشركين
ولو عطف على ما قبله لفظا
لقليل وأن لا يكون والمعنى
أمرت بالاسلام ونهيت
عن الشرك (قل إني أخاف
ان عصيت ربّي عذاب يوم
عظيم) أي إني أخاف
عذاب يوم عظيم وهو القيامة
ان عصيت ربّي فالشرط
معترض بين الفاعل
والمفعول به محذوف
الجواب (من يصرف عنه)
العذاب (يومئذ قدره)
الله الرحمة العظمى وهي
النجاة من يصرف حمزة
وعلى وأبو بكر أي من
يصرف الله عنه العذاب
(وذلك الفوز المبين)
الديجاة الظاهرة (وان
عسى الله بضر) من مرض
أو فقر أو غير ذلك من بلايا
(فلا كشفه الا هو) فلا
قادر على كشفه الا هو

والارض ومبدعها ومبتدئها (وهو يطعم ولا يطعم) يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه
بالغنى عن الخلق واحتياج الخلق اليه لان من كان من صفته أن يطعم الخلق لاحتياجهم اليه وهو لا يطعم
لاستغنائهم سبحانه وتعالى عن الاطعام فهو غنى عن الخلق ومن كان كذلك وجب أن يتخذر با وناصر
وليا ومعبودا (قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم) يعني من هذه الامة والاسلام بمعنى الاستسلام يعني
أمرت أن أستسلم لامر الله وأنقاد الى طاعته (ولان تكون من المشركين) يعني وقيل لي يا محمد لان تكون من
المشركين (قل إني أخاف ان عصيت ربّي عذاب يوم عظيم) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين دعوك الى
عبادة غيري ان ربّي أمرني أن أكون أول من أسلم ونهاني عن عبادة شيء سواه واني أخاف ان عصيت ربّي
فعبدت شيئا سواه عذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة (من يصرف عنه) يعني العذاب (يومئذ) يعني
يوم القيامة (فقد رحمة) يعني بان أنجاه من العذاب ومن أنجاه من العذاب فقد رحمه وأتاه الثواب لمحالته
واعاد كراحمته مع صرف العذاب لئلا يتوهم انه صرف العذاب فقط بل تحصل الرحمة مع صرف العذاب
عنه (وذلك الفوز المبين) يعني أن صرف العذاب وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين ﴿قوله تعالى
(وان يمسك الله بضر) يعني بشدة وبلية والضر اسم جامع لما ينال الانسان من ألم ومكره وغير ذلك مما
هو في معناه (فلا كشفه الا هو) يعني فلا يدفع ذلك الضر الا الله عز وجل (وان يمسك بخير) يعني
بعافية ونعمة والخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك (فهو على كل شيء
قدير) يعني من دفع الضر وجاب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا سوى
الله لانه هو القادر على أن يمسك بضره وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على ائصال الخير اليك وانه
لا يقدر على ذلك الا هو فاتخذه وليا وناصر او معيناً وهذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام
لكل أحد والمعنى وان يمسك الله بضر أيها الانسان فلا كشف لذلك الضر الا هو وان يمسك بخير أيها
الانسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وائصال الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسأل
الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله
لك وان اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليكم رفعت الاقلام وجفت الصحف
أخرجه الترمذي زاد فيه رزين تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وان استطعت ان تعمل لله
بالرضا في اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان الصبر على ما نكره خير كثير واعلم ان النصر مع الصبر والفرج
مع الكرب وان مع العسر يسرا وان يغلب العسر يسرا قال ابن الاثير وقد جاء نحو هذا أو مثله بطوله في
مسند أحمد بن حنبل ﴿قوله عز وجل (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو الغالب لعباده القاهر لهم وهم
مقهورون تحت قدرته والقاهر والقهار معناه الذي يدبر خلقه بما يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويشمل
ويغم ويهزن ويفقر ويميت ويدخل خلقه فلا يستطيع أحد من خلقه مردد بيره والخروج من تحت قهره
وتقديره وهذا معنى القاهر في صفة الله تعالى لانه القادر والقاهر الذي لا يجزئه شيء أرادته ومعنى فوق عباده
هنا أن قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل بما عليهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يتدر
أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير
الطبري معنى القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم وانما قال فوق عباده لانه تعالى وصف نفسه بقهره اياهم ومن
صفة كل قاهر شيئا أن يكون مستعليا عليه فغنى الكلام اذا والله الغالب لعباده المذلل لهم العالي عليهم
بتذليله اياهم فهو فوقهم بقهره اياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرده الله

(وان يمسك بخير) من غنى أو صحة (فهو على كل شيء قدير) فهو قادر على ادامته وازالته (وهو القاهر) مبتدأ وخبر أي الغالب المقدر

(فوق عماده) خبر بعد خبر أي عال عليهم بالقدره والقهر بلوغ المراد بمنع غيره عن بلوغه

تميزواى كلة يراد بها بعض
مانضاف اليه فاذا كانت
استفهاما كان جوابها
مسمى باسم ما ضيفت اليه
وقوله (قل الله) جواب
أى الله أ كبر شهادة فأنه
مبتدأ والخبر محذوف
فيكون دليلا على انه يجوز
الاطلاق اسم الشئ على الله
تعالى وهذا لان الشئ اسم
للموجود ولا يطلق على
المعدوم والله تعالى موجود
فيكون شيا ولذا نقول الله
تعالى شئ لا كالاشياء ثم
ابتدأ (شهيد بينى وبينكم)
أى هو شهيد بينى وبينكم
ويجوز أن يكون الجواب
الله شهيد بينى وبينكم لانه
الذا كان الله شهيدا بينه
وبينهم فأكبر شئى شهادة
شهيدله (وأوحى الى هذا
القرآن لانذركم به ومن
بلغ) أى ومن بلغه القرآن
الى قيام الساعة فى الحديث
من بلغه القرآن فكأنما
رأى محمد صلى الله عليه وسلم
ومن فى محل النصب باعطف
على كم والمراد به أهل مكة
والعائد اليه محذوف أى
ومن بلغه وفاعل بلغ ضمير
القرآن (أنتم تشهدون
أن مع الله آلهة أخرى)
استفهام اسكار وتكبيد
(قل لأشهد) بما تشهدون
وكرر (قل) توكيدا (أما

عز وجل (وهو الحكيم) يعنى فى أمره وتدبيره عباده (الخير) يعنى باعمالهم وما يصاحبهم ﴿ قوله عز وجل
(قل أى شئ أ كبر شهادة) قال السكبي أنى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلوا يا محمد أرى من يشهد
أنك رسول الله فأنالارى أ حدا صدقك ولقد سألتنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر
فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد هؤلاء المشركين الذين يكذبونك ويحسدون نبوتك من قومك أى شئ
أ كبر شهادة يعنى أعظم شهادة فان هم أجابوك والا (قل) أنت يا محمد (الله شهيد بينى وبينكم) قال مجاهد
أمر محمد صلى الله عليه وسلم ان يسأل قريشا أى شئ أ كبر شهادة ثم أمر أن يخبرهم فيقول الله شهيد بينى
وبينكم يعنى شهيدى بالحق وعليكم بالباطل الذى تقولونه والحاصل انهم طلبوا شاهد اصدق قول القول يشهد
له بالنبوة فيبين الله تعالى بهذه الآية أن أ كبر الاشياء شهادة هو الله تعالى ثم بين انه يشهد له بالنبوة وهو المراد
بقوله (وأوحى الى هذا القرآن لانذركم به) يعنى ان الله عز وجل يشهدلى بالنبوة لانه أوحى الى هذا القرآن
وهو معجزة لانكم أتم الفصحاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته وكان معجزا واذا كان معجزا
كان نزوله على شهادة من الله باني رسوله وهو المراد بقوله لانذركم به يعنى أوحى الى هذا القرآن لا خوفكم به
واحذركم مخالفة أمر الله عز وجل (ومن بلغ) يعنى وانذر من بلغه القرآن من يأتى بعدى الى يوم القيامة من
العرب والعجم وغيرهم من سائر الامم فكل من بلغ اليه القرآن وسمعه فالنبي صلى الله عليه وسلم وكه وقال انس بن مالك لما نزلت
ابن كعب القرظى من بلغه القرآن فأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكه وقال انس بن مالك لما نزلت
هذه الآية كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى ويصبر وكل جبار يدعوهم الى الله عز وجل (خ)
عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عنى ولو آية واحدة عن بنى اسرائيل
ولا حرج ومن كذب على متعمدا فلينبأ متعمدا من النار * شرح ما يتعلق بهذا الحديث فيه الامر بالبلاغ
ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الى من بعد من قرآن وسنة وقوله واحد ثلوا عن بنى اسرائيل ولا حرج الحرج
الضيق والأثم ومعنى الحديث انه مهما قتم عن بنى اسرائيل فانهم كانوا فى حال أ كثر مما قتم وأوسع وليس
هذا فيه اباحة الكذب والاختبار عن بنى اسرائيل لكن معناه الرخصة فى الحديث عنهم على بعض البلاغ وان
لم يتحقق ذلك بنقل لانه أمر قد تعذر بعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع أخرجه الترمذى
وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه حتى
يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال تسمعون ويسمع
منكم ويسمع من يسمع منكم أخرجه أبو داود وموقوفه وقوله تعالى (أنتم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى)
يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين يحدون نبوتك واتخذوا آلهة غيرى انكم أيها المشركون تشهدون أن
مع الله آلهة أخرى يعنى الاصنام التى كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لان الجمع ياحقه التأنيت كما قال تعالى والله
الاسماء الحسنى فبأب القرون الاولى ولم يقبل الاول والاولين (قل لأشهد) يعنى قل يا محمد هؤلاء
المشركين لأشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أ محمد ذلك وأنكره (قل انما هو اله واحد) يعنى
قل لهم انما الله اله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أ شهد (وانتى ترى مما تشركون) يعنى وأنا ترى
من كل شئ أعبدونه سوى الله وفى هذه الآية دليل على انبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه
لان كلمة انما تفيد الحصر والفظلة الواحد صريح فى التوحيد ونفى الشرك فثبت بذلك إيجاب التوحيد
وسلب كل شرك والتبرؤ من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لكل من أسلم أن يأتى
بالشهادتين ويرأى من كل دين خالف الاسلام القوله تعالى واننى رى مما تشركون ﴿ قوله عز وجل (الذين

هو اله واحد) ما كفا لان عن العمل وهو مبتدأ والخبره وواحد صفة أو بمعنى الذى فى محل النصب بان وهو مبتدأ آيتناهم
والخبره والجملة صبة الذى وواحد خبران وهذا الوجه أ وقع (وانتى ترى مما تشركون) به (الذين

(الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى والكتاب التوراة والانجيل (بعر فونه) أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته
 الثابت في الكتابين (كيعرفون أبناءهم) بجلاهم ونعوتهم وهذا استشهدا لاهل مكة بعرفة أهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال (الذين
 خسروا أنفسهم) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) (٩) به (ومن أظلم) استهتاهم يتضمن
 معنى النبي أي لأحد أظلم

لنفسه والظلم وضع الشيء في
 غير موضعه وأشغعه اتخاذ
 الخلق معبودا (من افتري)
 اختاقي (على الله كذبا)
 فيصغه بما لا يليق به
 (أو كذب بآياته) بالقرآن
 والمجيزات (أنه) ان الامر
 والشأن لا يفلح الظالمون
 جمعوا بين أمرين باطلين
 فكذبوا على الله مالا يحجة
 عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة
 حيث قالوا الملائكة بنات
 الله وسموا القرآن
 والمجيزات سحرا (ويوم
 نحشرهم) هو مفعول به
 والتقدير واذا كر يوم
 نحشرهم (جميعا) حال من
 ضمير المفعول (ثم نقول
 للذين أشركوا) مع الله غيره
 تويناها وبالياء فبهما يعقوب
 (أين شركاؤكم) آلهتكم
 التي جعلتموها شركاء الله
 (لذين كنتم تزعمون) أي
 تزعمونهم شركاء خذف
 المفعولان (ثم لم تكن)
 وبالياء جزوة على (فتنتهم)
 كفرهم (الأن قالوا والله
 ربنا ما كنا مشركين) يعني
 ثم لم تكن عاقبة كفرهم
 الذي لزموه أعمارهم وقاؤوا

آتيناهم الكتاب يعرفونه كيعرفون أبناءهم) المراد بالذين أتوا الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين
 كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اناسا ناعنك
 اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وأنكروا معرفته بين الله عز وجل ان شهادته له كافية
 على صحة نبوته وبين في هذه الآية انهم يعرفونه وأهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروى ان النبي صلى
 الله عليه وسلم لما قدم المدينة وأسلم عبد الله بن سلام قال لعمر بن الخطاب ان الله عز وجل أنزل على نبيه محمد
 صلى الله عليه وسلم بركة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كيعرفون أبناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد
 الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف اني ولأن أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابي
 فقال عمر وكيف ذلك قال أشهد أنه رسول الله حقاً ولا أدري ما يصنع النساء ﷺ وقوله تعالى (الذين خسروا
 أنفسهم) يعني أهل كوا أنفسهم وغبنوها أو بقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي
 الذين خسروا أنفسهم قولان أحدهما انه صفة للذين الاولي ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين
 يعرفون محمد صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار أهل الكتابين (فهم لا يؤمنون) يعني به
 والقول الثاني أنه كلام مبتدأ ولا تعاني له بالاول وهم كفار مكة الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
 وذكروا في معنى الخسار وجهين أحدهما انه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة
 محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني آدم منزلاً في الجنة ومنزلاً في النار فاذا كان
 يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة وجعل للكفار منازل المؤمنين التي في النار فذلك
 هو الخسران ﷺ قوله تعالى (ومن أظلم ممن افتري على الله كذبا) يعني ومن أشد عنادا وأخطأ فعلا وأعظم
 كفرا ممن اختاقي على الله كذبا فزعم ان له شر يكامن خلقه والهابيع يد من دونه كما قال المشركون من عبدة
 الاصنام وادعى ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى (أو كذب بآياته) يعني كذب بحجته واعلام أدلته
 التي أعطاهارسله كما كذبت اليهود بمجيزات الانبياء وقيل معناه أو كذب بآيات القرآن الذي أنزله على محمد
 صلى الله عليه وسلم (انه لا يفلح الظالمون) يعني انه لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله
 الباطل (ويوم نحشرهم جميعا) أي اذ كر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين
 أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) يعني انها تشفع لكم عند ربكم ﷺ قوله عز وجل (ثم لم تكن
 فتنتهم) يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة
 لآظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى اظيف وذلك ان الرجل يفتن
 بمحبوب ثم تصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا بذلك المحبوب فكذلك الكفار فتنوا
 بمحبة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤا منها يقول الله تبارك وتعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا
 ان تبرؤا منها ﷺ وهو قوله تعالى (الأن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة
 الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا انكم الشرك اعلمنا ننجو مع أهل التوحيد فيقولون والله
 ربنا ما كنا مشركين فيختم على أفواههم وتشهد عاينهم جوارحهم بالشرك والكفر ﷺ قال الله تعالى (انظر
 كيف كذبوا على أنفسهم) يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا

(٢ - (خازن) - ثاني) عليه الاحمود والتبرؤ منه والخلق على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم الآن
 قالوا فسمى فتنة لانه كذب و برفع الفتنة مكى وشامى وحقق فن قرأتك بالتمام ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر
 أي لم تكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أي لم يكن فتنتهم الا قولهم ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة
 جعل على للمقارن بنا جزوة على نداء أي يار بنا وغيره ما بالجر على النعت بن اسم الله (انظر) يا محمد (كيف كذبوا على أنفسهم)

بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد اذا جاع الله الخلاق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين قال بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلمنا نتجو مع أهل التوحيد فاذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله بنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم (١٠) فشهد عليهم جوارحهم (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) اهليته وشفاعته (ومنهم)

على أنفسهم يعني اعتقادهم بالباطل وتبرؤهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله (وضل عنهم) يعني زال عنهم وذهب (ما كانوا يفترون) يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم ﴿قوله تعالى (ومنهم من يستمع اليك) الآية قال السكبي اجتمع أبو سفيان صخر بن حرب وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية وأبي ابن اخاف والحرث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا أبا قتيبة ما يقول محمد قال ما أدري ما يقول الا أني أراه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية وأخبارها فقال أبو سفيان اني لأرى بعض ما يقول حقا فقال أبو جهل كلا لا تقر بشئ من هذا وفي رواية للموت أهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقراءتك يا محمد (وجعلنا على قلوبهم أكنة) يعني أغطيتهم جمع كنة (أن يفقهوه) يعني لا يفقهوه أو كراهية أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) يعني وجعلنا في آذانهم صمما وثقلا وفيه ندادليل على ان الله تعالى يقاب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايان فتقبله ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقرروا أنها دالة على صدقك (حتى اذا جاؤك بجادلونك) يعني انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن نما جاؤا يجادلوك ويخاصموك لا يؤمنوا بها (يقول الذين كفروا ان هذا) أي ما هذا القرآن (الا أساطير الاولين) يعني أحاديث الاولين من الامم الماضية وأخبارهم وأقاصيصهم وماسطرورايه وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطار وقيل واحدها سطر وأسطار جمع وأسطير جمع فعلى هذا القول قائل لم عابوا القرآن وجعلوه أساطير الاولين وقدم سطر الاولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله أجب عنه باهم انما نسبوا القرآن الى أساطير الاولين بمعنى أنه ليس بوحى من الله تعالى وانما هو أخبار مجردة كما تروى أخبار الاولين وقيل في معنى أساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشككة يقول قائلهم أخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكك الذي لا يعرف بجعات الترهات مثلما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشككة الغامضة التي لا أصل لها ﴿قوله عز وجل (وهم ينهون عنه) يعني ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (وينأون عنه) يعني ويتباعون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة كانوا يمنعون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى المشركين عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعه منهم وينأى هو بنفسه عن الايمان به بمعنى يبعد حتى روى أنه اجتمع اليه رؤس المشركين وقالوا له خذنا من أصبحنا وجهها ودفع اليها محمد اقبل ما أصفقتوني أدفع اليكم اني محمد التقتلوه وأرني لكم ابنيكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا بطالب الى الايمان فقال لولا تعبرني قريش لا قررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حبيت وقال في ذلك آياتنا

من يستمع اليك) حين تلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال والله ما أدري ما يقول محمد الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان اني لاراه حقا فقال أبو جهل كلا فزت (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطيتهم جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أن يفقهوه) كراهية أن يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) ثقلنا يسمع من السمع ووحده الوقر لانه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا في الاصلح على المعتزلة (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها) حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا) حتى هي التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضوع

الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون اذا جاؤك في موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين والله كفروا وتفسره والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات الى أنهم يجادلونك و بنا كرونك وفسر مجادلونك بانهم يقولون (ان هذا) ما القرآن (الا أساطير الاولين) فيجمعون كلام الله كاذب رواحد الاساطير اسطورة (وهم) أي المشركون (ينهون عنه) ينهون الناس عن القرآن وعن الرسول واتباعه والايان به (وينأون عنه) وبعدون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون

(وان يهلكون) بذلك (الأنفسهم وما يشعرون) أي لا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضررون رسول الله وقيل عنى به أبو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به والاول أشبهه (ولوترى) حذف جوابه أي ولوترى لشاهدت أمرا عظيما (اذوقوا على النار) أروها حتى يعاينوها وأوحسبـ واعلى الصراط فوق النار (فقالوا يا ليتنا نرد) الى الدنيا تمنوا الردى الى الدنيا ليؤمنوا وتمت عنهم ثم ابتدوا بقوله (ولا) (١١) نكذب بآيات ربنا ونكون من

المؤمنين) واعدن الايمان
كانهم قالوا ونحن لانكذب
ونؤمن ولا نكذب
ونكون حزمة وعلى
وحفص على جواب التمتي
بالواو وباضار أن ومعناه
ان رددنا لم نكذب ونمكن
من المؤمنين وافقه ما في
ونكون شامى (سل)
للاضراب عن الوفاء بما
تمنوا (بداهم) ظهر لهم
(ما كانوا يخفون) من
الناس (من قبل) في الدنيا
من قبائحهم وفضائحهم في
صحفهم وقيل هو في المنافقين
وانه يظهر نفاقهم الذى
كانوا يسرونه أو أهـ سل
الكتاب وانه يظهر لهم
ما كانوا يخفونه من صحة
نبوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم (ولوردوا) الى
الدنيا بعد وقوفهم على
النار (لعادوا لما همـوا
عنه) من الكفر (وانهم
لكاذبون) فيما وعدوا من
أنفسهم لا يوفون به
(وقالوا) عطف على لعادوا
أي ولوردوا لكفروا
ولقالوا (ان هي الاحياتنا

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامر ك ما عليك غضاضة * وابشر بذلك وقرمته عيونا
ودعوتى وعرفت انك ناصحى * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت ديننا قد علمت بانه * من خير أديان البرية ديننا
لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذلك ميينا

﴿وقوله تعالى (وان يهلكون الأنفسهم)﴾ يعنى لا يرجع وبال كفرهم وفعالهم الاعلبيهم (وما يشعرون)
يعنى بذلك قوله تعالى (ولوترى اذوقوا على النار) يعنى في النار فوضع على موضع في كقوله على ملك
سليمان أى في ملك سليمان وقيل معناه اذ عرضوا على النار وجواب لو محذوف والمعنى ولوترى الكفار الذين
ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرايت أمرا عجبيا وموقفا فظيما (فقالوا) يعنى الكفار
(يا ليتنا نرد) يعنى الى الدنيا (ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) تمنوا أن يردوا الى الدنيا مرة
أخرى حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله عليهم ذلك فقال تعالى (بل بداهم ما كانوا يخفون من
قبل) يعنى ليس الامر كما قالوا لوردوا الى الدنيا لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر
والمعاصى وقيل ظهر لهم ما كانوا يخفون من قولهم والله ربنا ما كنا مشركين أخفوا شركهم وكنتموه فآظهروه
الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم بما كنتموا وسترنا من شركهم وقيل ظهر لهم ما أخفوا من الكفر
فعلى هذا ان يكون الآية في المنافقين (ولوردوا العادوا المانها وعنه وانهم لكاذبون) يعنى في قولهم لوردوا الى
الدنيا لم نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين (وقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين) وهذا
خبر عن حال منكرى البعث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة
وأهوالها وما أعد الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعد الله من العقاب للكفار والعاصين
قالوا يعنى الكفار ان هي أى ما هي الاحياتنا الدنيا أى ليس لنا غير هذه الدنيا التى نحن فيها وما نحن بمبعوثين
يعنى بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء الكفار الذين وقفوا على النار
انهم لوردوا الى الدنيا لقالوا ان هي الاحياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿قوله عز وجل﴾ (ولوترى اذوقوا على
رهم) يعنى على حكم ربهم وقضائه ومسئلته وقال مقاتل عرضوا على ربهم (قال أليس هذا بالحق) أى يقول
الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد الموت الذى كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون
لا بعث ولا نشور حقا (قالوا بلى وربنا) يعنى انهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فاجابوا وقالوا بلى والله انه لحق
وقيل تقول لهم خزنة النار بامر الله أليس هذا بالحق يعنى البعث حقا فاجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن
عباس للقيامة موافق في موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما
كانوا ينكرونه في الدنيا (قال فدوقوا العذاب) أى يقول الله لهم ذلك أو الخزنة تقول لهم ذلك بامر الله
تعالى وانما خص لفظ الذوق لانهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الاحساس (بما

الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة اوعلى قوله وانهم لكاذبون أى وانهم اقوم كاذبون في كل شئ وهم الذين قالوا ان هي الاحياتنا
الدنيا وهي كناية عن الحياة وهو ضمير القصة (وما نحن بمبعوثين ولوترى اذوقوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد
الجاني بين يدي سيده ليعاتبه أو وقفا على جزاء ربهم (قال) جواب لسؤال مقدر كانه قيل ماذا قال لهم ربهم اذوقوا عليه فقيل قال (أليس
هذا) أى البعث (بالحق) بالكانن الموجود وهذا تعبيرهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ما هو يحق (قالوا
بلى وربنا) أقروا وكذوا الاقرار باليمين (قال) الله تعالى (فدوقوا العذاب بما

كنتم تكفرون) بكفركم (قد خسرو الذين كذبوا بقاء الله) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وهو مجرى على ظاهره لان منكر البعث منكر
للرؤية (حتى) غاية الكذبوا (١٢) لا لخسر لان خسرتهم لا غاية له (اذا جاءتهم الساعة) أي القيامة لان مدة تأخرها مع

تأبد ما بعد ما كساعة
واحدة (بغتة) بغاة
واتصاها على الحال يعني
باغتة وعلى المصدر كانه قيل
بغتتهم الساعة بغتة وهي
ورود الشيء على صاحبه
من غير علمه بوقته (قالوا
يا حسرتنا) نداء تفجيع
معناه يا حسرة احضرى
فهذا أو انك (على ما فرطنا)
قصرنا (فيها) في الحياة
الدينا أو في الساعة أي
قصرنا في شأنها وفي
الايان بها (وهم
يحملون أوزارهم) أي أنهم
(على ظهورهم) خص
الظهر لان اليهود حمل
الاثقال على الظهر كما
عهد السكب بالأيدي
وهو مجاز عن اللزوم على
وجه لا يفارقهم وقيل ان
الكافر اذا خرج من قبره
استقبله أفصح شيء صورة
وأخبر بحافيقول أنا
عملك السبي فطالما ركبتني
في الدنيا وأنا أراك اليوم
(الأساء ما يزرون) بشس
شيأ يحملونه وأفاد الأ
تعظيم ما يذ كر بعده (وما
الحياة الدنيا الالعب وهو)
جواب لقولهم ان هي
الاحياتنا الدنيا والعب
ترك ما ينفع بالانفع والمهو

كنتم تكفرون) يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجودكم البعث بعد الموت قوله تعالى (قد خسرو الذين
كذبوا بقاء الله) يعني خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير الى الله تعالى وبالبعث بعد الموت وهذا
الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار العيم المقيم وحصول العذاب الالم في دركات الجحيم (حتى اذا
جاءتهم الساعة بغتة) يعني جاءتهم الساعة القيامة فجأة وسميت القيامة ساعة لانها تفجأ الناس بغتة في ساعة
لا يعلمها أحد الا الله تبارك وتعالى وقيل سميت ساعة لسرعة الحساب فيها لان حساب الخلائق يوم القيامة
يكون في ساعة أو أقل من ذلك (قالوا) يعني منكرو البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر
والاعتقاد (يا حسرتنا) يعني يندامتنا والحسرة التلهف على الشيء الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة
والمراد تنبيه المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة (على ما فرطنا) يعني قصرنا (فيها) يعني في الدنيا لانها
موضع التقرب في الاعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الاعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار الدنيا وقال
محمد بن جرير الطبري الهاء والالف في قوله فيها أنه والى الصفة ولكن اكتبني بدلالة قوله قد خسرو الذين
كذبوا بقاء الله عليهم من ذكرها ذلك كان معلوما أن الخسران لا يكون الا في صفقة بيع قد جرى ومعنى
الآية قد وكس الذين كذبوا بقاء الله ببيعهم الايمان الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذي
يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فاذا جاءتهم الساعة بغتة ورأوا
ما لحقهم من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده عن أبي
سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم في الجنة فيقولون
يا حسرتنا وقوله تعالى (وهم يحملون أوزارهم) يعني أنفاسهم (على ظهورهم) والاوزار الخطايا والذنوب
وأصل الوزر النقل والحمل يقال وزرته اذا حملته وانما قيل للذنوب أوزار لانها تثقل ظهر من يحملها قال
قتادة والسدي ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبه ربحا فيقول هل تعرفني
فيقول لا فيقول أما عمك الصالح فاركني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا يعني ربكنا وأما الكافر فيستقبله أفصح شيء صورة وأثمنه ربحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا
عمك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فانا اليوم أركبك فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم
وقال عمر بن هاني يحشر مع كل كافر عمله في صورة رجل قبيح كلما رأى هول صورته وقبحه زاده خوفا
فيقول له بشس الجليس أنت فيقول أنا عمك طالما ركبتني فلا ركبتك اليوم حتى أخربك على رؤس الخلائق
فيركبه ويتخطى به الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله تعالى وهم يحملون أوزارهم على
ظهورهم وقال الزجاج الثقل كما يذ كر في الوزن فقد يذ كر في الحال والصفة يقال ثقل على كلام فلان بمعنى
كرهته فالعني أنهم يقاسون من ألم عقاب ذنوبهم مقاساة تثقل ذلك عليهم فعلى هذا القول يكون قوله وهم
يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل في معنى الآية ان أوزارهم
لانزاليهم كما تقول شخصه نصب عيني أي ذكره ملازم لي (الأساء ما يزرون) يعني بشس الشيء شيأ يحملونه
وقال ابن عباس بشس الحمل حملوا قوله عز وجل (وما الحياة الدنيا الا لهب وهلو) أي باطل وغرور لا بقاء لها
وهذا فيه رد على منكرو البعث في قولهم ان هي الاحياتنا الدنيا وانما نحن بمجموعين فقال الله رد اعليهم
ومكذب لهم وما الحياة الدنيا الالعب وهو هل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر قولان أحدهما
أن المراد بها حياة الكافر لان المؤمن لا يزداد حياته في الدنيا الا خيرا لانه يحصل في ايام حياته من الاعمال
الصالحة والطاعة ما يكون سببا لحصول السعادة في الآخرة وأما الكافر فان كل حياته في الدنيا وبالعب قال

(والدار) مبتدأ (الآخرة) صفتها والدار الآخرة بلاضافة شامى أى ولد دار الساعة الآخرة لان الشيء لا يضاف الى صفة وخبر المبتدأ على القراءتين (خير للذين يتقون) وفيه دليل على ان ماسوى أعمال المتقين لعب وهو (أفلا) (١٣) يعقلون) بالتاء مدنى وحذف وما قال

أبو جهل ما نكذبك يا محمد
وانك عندنا لمصدق وانما
نكذب ما جئنا به نزل (قد
نعلم انه) الهاء ضمير الشأن
(ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك)
لا ينسبونك الى الكذب
وبالتخفيف نافع وعلى من
أكذبه اذا وجد كاذبا
(ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون) من اقامة
الظاهر مقام المضمروفية
دلالة على انهم ظلموا في
جحدهم والباء يتعلق
بجحدون أو بالظالمين
كقوله فظلموا بها والمعنى
ان تكذيبك أمر راجع
لى الله لانك رسوله المصدق
بالمجرات فهم لا يكذبونك
فى الحقيقة وانما يكذبون
الله لان تكذيب الرسل
تكذيب المرسل (واقدم
كذبت رسل من قبلك)
تسمية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو دليل على
ان قوله فانهم لا يكذبونك
ليس بنفى لتكذيبه وانما
هو من قولك لغلامك اذا
أهان بعض الناس انهم لم
يهينوك وانما أهانونى
(فصبروا) الصبر حبس
النفس على المكروه (علم
ما كذبوا وأوذوا) على

ابن عباس يريد حياة أهل الشرك والنفق والقول الثانى ان هذا عام فى حياة المؤمن والكافر لان الانسان
ياتى بالعب واللاهوت ثم عند انقضائه تحصل له الحسرة والندامة لان الذى كان فيه من العب واللاهوت وسرع الزوال
لابقائه فبان بهذا التقدير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا
بالعب واللاهوت لمرعة زوالها وقصر عمرها كالشيء الذى يعب به وقيل معناه ان أمر الدنيا والعمل لها لعب
وهو فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة وان كان وقوعه فى الدنيا وقيل معناه وما أهل الحياة
الدنيا الا أهل لعب وهو لانه لا يجدى شيئا ولا يشتغلهم عما أمر به ونسبوا الى اللعب والاهو وقوله تعالى
(والدار الآخرة) يعنى الجنة واللام فيه لام القسم تقديره والله دار الآخرة (خير) يعنى من الدنيا وأفضل
لان الدنيا سرعة الزوال والانتقطاع (للذين يتقون) يعنى الشرك وقيل يتقون اللعب واللاهوت (أفلا
يعقلون) ان الآخرة خير من الدنيا فيعملون لها ﴿قوله تعالى﴾ (قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون) يعنى قد
نعلم يا محمد انه ليحزنك الذى يقوله المشركون لك قال السدى التقي الاخفش بن شريق وأبو جهل بن هشام
فقال الاخفش لابي جهل يا أباحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فانه ليس هنا أحد يسمع كلامك
غيرى فقال أبو جهل والله ان محمد الصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنوقصى بالهوا والسقاية
والحجاجة والندوة والنبوة فماذا يكون لسانه فريش فانزل الله هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال أبو جهل
لنبي صلى الله عليه وسلم ما تممكم ولا نكذبك وان كان كذب الذى جئت به فانزل الله هذه الآية عن على بن
أبي طالب أن أباحه قال لنبي صلى الله عليه وسلم ان لا نكذبك وان كان نكذب بما جئت به فانزل الله فيهم
فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون أخرجه الترمذى من طريقين وقال فى أحدهما
وهذا أصح فى هذه الآية تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية عمه ابوجهل به قومه لانهم كانوا يعقدون
صدقه وانه ليس بكذاب وانما جاهد على تكذيبه فى الظاهر الحسد والظلم (فانهم لا يكذبونك) يعنى أنهم
لا يكذبونك فى السر لانهم قد عرفوا أنك صادق (ولكن الظالمين) يعنى الكافرين (بايات الله
يجحدون) يعنى فى العلانية وذلك أنهم سجدوا القرآن بعد معرفة صدق الذى أنزل عليه لعنادهم وكفرهم
كما قال تعالى فى حق غيرهم وسجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر الآية يدل على أنهم لم
يكذبوا محمد صلى الله عليه وسلم وانما سجدوا وآيات الله وهى القرآن الدال على صدقه فعلى هذا يكون المعنى
فانهم لا يكذبونك لانهم قد عرفوا صدقك وانما سجدوا وصحة نبوتك ورسالتك ﴿قوله عز وجل﴾ (ولقد
كذبت رسل من قبلك) يعنى ولقد كذبت الامم الخالية رسالهم كما كذبك قومك (فصبروا على ما كذبوا
وأوذوا) يعنى أن الرسل عليهم السلام صبروا على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على أذاهم فاصبر أنت يا محمد
على تكذيب قومك وأذاهم لك كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم
وازالة حزنه على تكذيب قومه له وأذاهم اياه (حتى أتاهم نصرنا) يعنى باهلاك من كذبهم (ولاميدل
لكلمات الله) يعنى ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين وانصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال الله تعالى كتب الله لاغابن أناورسلى ولا
خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى (ولقد جاءك من نبا المرسلين) يعنى ولقد أنزلت عليك فى القرآن من أخبار
المرسلين ما فيه تسليمة لك وتسكين لقلبك وقال الاخفش من هنا صلة كما نقول أصابنا من مطر وقال غيره
بل هى للتبعض لان الواصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبياء وأخبارهم كما قال تعالى

تكذيبهم وايدأهم (حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله) لما وعدهم من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون اما
لننصر رسلنا (ولقد جاءك من نبا المرسلين) بعض انبيائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابة المشركين وأجاز الاخفش أن تكون من زائدة
افعال نألم سلن وسده به لا يحزننا ناسها فى الواح كان نكاه عا الله صل الله عليه وسلم ككفر قومه واعراضهم ويحجج الآيات

اليسلوا وافرزل (وان كان كبر عليك) عظم وشق (اعراضهم) عن الاسلام (فان استطعت أن تبتغي نفقا) منفذا تنفذ فيه الى ماتحت الارض حتى
تطلع لهم آية يؤمنون بها (في الارض) صفة لنفقا (أو سما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل وهو جواب فان استطعت وان
استطعت وجوابها جواب وان كان (١٤) كبر والمعنى انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وانه لو استطاع أن

يأتيهم بآية من تحت
الارض أو من فوق السماء
لا تاتي بها جاء ايمانهم (ولو
شاء الله لجمعهم على الهدى)
لجهلهم بحيث يختارون
الهدى ولكن لما علم انهم
يختارون الكفر لم يسأل ان
يجمعهم على ذلك كذا قاله
الشيخ أبو منصور رحمه الله
(فلا تكون من
الجاهلين) من الذين
يجهلون ذلك ثم أخبر ان
حرصه على هدايتهم لا ينفع
اعدم سمعهم كما توفى بقوله
(انما يستجيب الذين
يسمعون) أي انما يجيب
دعاءك الذين يسمعون
دعاءك بقاوبهم (والموتى)
مبتدأ أي الكفار (ببعضهم
الله ثم اليه يرجعون)
حينئذ يسمعون وأما قبل
ذلك فلا (وقالوا لولا نزل
عليه) هلا نزل عليه (آية
من ربه) كما تقترح من
جعل الصفا ذهابا وتوسيع
أرض مكة وتفجير الانهار
خلاطها (قل ان الله قادر
على أن ينزل آية) كما اقترحوا
(ولكن أكثرهم
لا يعلمون) ان الله قادر
على أن ينزل تلك الآية
أو لا يعلمون ما علمهم في

منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نتصص عليك ﴿ قوله تعالى (وان كان كبر عليك اعراضهم) ذكر ابن
الجوزي في سبب نزول هذه الآية ان الحرث بن عامر أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم في نفر من قريش
وقال اننا بآية كما كانت الانبياء تأتي قومها بالآيات فان فعلت آنا بك ففزت هذه الآية رواه أبو صالح عن
ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هؤلاء المشركين عنك وعن تصديقك والايمان
بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحصر على ايمان قومه أشد الحرص وكان اذا سأله آية أحب
ان يرهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل (فان استطعت أن تبتغي) يعني تطلب وتتخذ (نفقا
في الارض) يعني سربا في الارض والنفق سرب في الارض تخلص منه الى مكان آخر (أو سما في السماء)
يعني أو تتخذ مصعدا الى السماء والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة (فتأتيهم بآية) يعني بالآية التي سألوها
عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان تذهب في
الارض أو تصعد الى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل وانما حسن حذف جواب الشرط لانه
معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتأذى
بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به وبدل عليه قوله تعالى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أخبر الله
عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم انما تركوا الايمان وأعرضوا عنه وأقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى
ونافذ قضائه فيهم وانه لو شاء لجمعهم على الهدى (فلا تكون من الجاهلين) يعني بان لو شاء الله لجمعهم على
الهدى وأنه يؤمن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشهد تحمرك على تكذيبهم اياك ولا تجزع من
اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحال وغلاظ له الخطاب تبعيد له
عن هذه الحالة ﴿ قوله عز وجل (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني المؤمنين الذين فتح الله أسمع قلوبهم
فهم يسمعون الحق ويستجيبون له وينبغون وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله
(والموتى) يعني الكفار الذين لا يسمعون ولا يستجيبون (ببعضهم الله) يعني يوم القيامة (ثم اليه يرجعون)
فيجزهم باعمالهم (وقالوا) يعني رؤساء كفار قريش (لولا) يعني هلا (نزل عليه آية من ربه) يعني الملك
ابشهاد محمد بالنبوة وقيل الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبياء (قل) يعني قل لهم يا محمد (ان الله قادر
على أن ينزل آية) يعني أنه تعالى قادر على إيجاد ما يطلبوه وانزال ما اقترحوه من الآيات والمعجزات البهات
(ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ماذا علمهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها وقيل معناه انهم
لا يعلمون أن الله قادر على انزل الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها ﴿ قوله تعالى (وامن
دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) قال العلماء جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن
هاتين الحالتين اما أن يدب على الارض أو يطير في الهواء حتى أخلقوا حيوان الماء بالطيران الحيتان تسبح
في الماء كما أن الطير يسبح في الهواء وانما خلق ما في الارض بالذكور دون ما في السماء وان كان ما في
السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه
للتوكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الأمم أمثالكم قال مجاهد أي أصناف مصنفة تعرف باسماتهم
يريد أن كل جنس من الحيوان أمة فالطير أمة والدواب أمة والسباع أمة تعرف باسماتها مثل بني آدم
يعرفون باسماتهم كما يقال الانس والناس وبدل على ان كل جنس من الدواب أمة ما روى عن عبد الله بن

الآية من البلاء لو أنزل (وامن دابة) هي اسم لآبدب وتقع على الذكر والمؤنث (في الارض) في
موضع جرف صفة لدابة (ولا طائر يطير بجناحيه) قيد الطيران بالجناحين انفي المجاز لان غير المائر قد يقال فيه طار اذا أسرع (الأمم أمثالكم)
في الخلق والموت والبعث والاحتياج الى مدبر يدبر أمرها

مغفل

(ما فرطنا) ما تركنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم ثبت ما وجب أن يثبت أو الكتاب القرآن وقوله من شيء أي من شيء يحتاجون اليه فهو مشتمل على ما تعبدنا به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القراء ثم يقول كوني ترابا وانما قال الأ أمم مع أفراد الدابة والطيور اعني الاستغراق فيها وما لاذ كرم من خلّاقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي (١٥) على عظّمته قال (والذين

كذبوا بآياتنا صم) لا يسمعون كلام المنبه (وبكم) لا ينطقون بالحق خابطون (في الظلمات) أي ظلمة الجهل والخيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكير فيه صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك وفي الظلمات خبر آخر ثم قال ايذانا بأنه فعال لما يريد (من يشأ الله يضلله) أي من يشأ الله ضلاله يضلله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) وفيه دلالة خلق الافعال وارادة المعاصي ونفي الاصلح (قل رأيتكم) وتبليين الهمة مدني وبتركه على ومعناه هل علمتم ان الامر كما يقال لكم فاخبروني بما عندكم الضمير الثاني لا محل له من الاعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره رأيتكم (ان انا كرم عذاب الله) أي كرم عذاب الله أو أتم الساعة (من تدعون) ثم بكنتم بقوله (أغبر الله تدعون) أي أنتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو

مغفل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الكلاب أمة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهم أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالآية والحديث ان الدواب والطيور أمة أمثالنا وهذه المماثلة لم تحصل من كل الوجوه فيما يظهر لنا فواجهه هذه المماثلة قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان هذه الحيوانات تعرف الله وتوحده ونسبحه وأصلى له كما أنكم تعرفون الله وتوحده وتوسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة لله كما أنكم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض وبألف بعضها بعضا كما ان جنس الانس يألف بعضهم بعضا ويقيل انها يفهم بعضها عن بعض وبألف بعضها بعضها كالمهالك ومعرفة الذكور والانثى وقيل أمثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت للحساب حتى يقتص للجماء من القراء وهو قوله تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء) يعني في اللوح المحفوظ لانه يشمل جميع أحوال الخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن مشتمل على جميع الاحوال (ثم إلى ربهم يحشرون) يعني الدواب والطيور قال ابن عباس حشرها موتها وقال أبو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فمأخذ للجماء من القراء ثم يقول كوني ترابا (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤذن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد لا شاة للجماء من الشاة القراء ﴿ قوله عز وجل (والذين كذبوا بآياتنا) يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وأدلته على توحيديه (صم) يعني عن سماع الحق (وبكم) يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذبهم كمن لا يسمع ولا يتكلم ولهذا شبه الكفار بالموتى لان الميت لا يسمع ولا يتكلم (في الظلمات) يعني في ظلمات الكفر حائر بن متردين فيها لا يمتدون سبيلا (من يشأ الله يضلله) يعني عن الايمان (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) يعني ومن يشأ يجعله الله على دين الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى في أحب هدايته وفقهه بفضلها واحسانه للايمان به ومن أحب ضلالته تركه على كفره وهذا عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار لا يستل عماء يفعل وهم يستلون ﴿ قوله تعالى (قل رأيتكم) يعني قل يا محمد هؤلاء الكفار الذين تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام أخبروني تقول العرب رأيتك بمعنى أخبرنا بحالك وأصله رأيتكم والكاف فيه للتأكيّد (ان انا كرم عذاب الله) يعني قبل الموت مثل ما نزل بالامم الماضية الكافرة من الغرق والحسف والمسح والصواعق ونحو ذلك من العذاب (أو أتمكم الساعة) يعني القيامة (أغبر الله تدعون) يعني في كشف العذاب عنكم (ان كنتم صادقين) يعني في دعواكم ومعنى الآية ان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل لهم أترجعون الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء (بل اياه تدعون) يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء) يعني فيكشف الضر الذي من أجله دعوتهم واما قيد الاجابة بالمسئلة رعاية للصحة وان كانت الامور كلها بعيشة الله تعالى (ونسون ما تشركون) يعني وتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها فلا تدعونها العلمكم انها لا تنفع ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة من قد نسبها وهذا معنى

عادتكم اذا اصابكم ضرأ تدعون الله دونها (ان كنتم صادقين) في ان الاصنام آلهة فادعواها لتخلصكم (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) أي ما تدعون اليه كشفه (ان شاء) ان أراد أن يتفضل عليكم (ونسون ما تشركون) وتركون آلهتكم أولاند كرون آلهتكم في ذلك الوقت لان أذهانكم مغمومة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغبر الله تدعون كانه قيل رأيتكم أغبر الله تدعون ان انا كرم عذاب الله

(واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك) رسلاً فالعقول محذوف فكذبوهم (فاخذناهم بالأساء والضراء) بالبؤس والضر والاول القحط والجوع والثاني المرض ونقصان (١٦) النفس والاموال (اعلمهم بتضرعون) يتذللون ويتخشعون لهم

ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد (فلولا اذا جاءهم بأسنا تضرعوا) أي هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفي التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا اذا جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الاعناداً (واكن قست قلوبهم) فلم ينزجوا بما ابتلوا به وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون (وصاروا مجبين باعمالهم التي زينها الشيطان لهم) فلما نسوا ما ذكروا به (من البأساء والضراء أي تركوا الاتعاظ به ولم يزرهم) فتحننا عليهم أبواب كل شيء (من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شامى حتى اذا فرحوا بما آتوا) من الخير والنعمة (أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) أيسون متحسرون وأصله لاطراق حزن لما أصابه أوندما على ما فاته واذا للمفاجأة (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي اهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (والحمد لله رب العالمين) ايدان بوجود الحمد لله عند هلاك الظالمه وان

قول الحسن لانه قال وتعرضون عنها اعراض المسمى لها ﴿ قوله تعالى (واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك) في الآية محذوف والتقدير واقداً أرسلنا إلى أمم من قبلك يا محمد رسلاً فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الخذف لكونه معلوماً عند السامع (فاخذناهم بالأساء) يعني بالفقر الشديد وأصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع (والضراء) يعني الامراض والادجاع والزمانة (اعلمهم بتضرعون) يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع والتذلل والانقياد وترك التمرد وأصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الآية ان الله تعالى أعلم بنبيه صلى الله عليه وسلم انه قد أرسل من قبله رسلاً إلى أقوام باغوا في القوة إلى ان أخذوا بالأساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا فغضب الله للنبي صلى الله عليه وسلم (فلولا) يعني فهلا (اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا (واكن قست قلوبهم) يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل أقاموا على كفرهم وتكذبهم برسولهم (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على معاصي الله عز وجل ﴿ قوله عز وجل (فلما نسوا ما ذكروا به) أي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا العمل بما أمرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرض عنه كأنه قد صيره بمنزلة ما قد نسي (فتحننا عليهم أبواب كل شيء) يعني بدلنا ما كان البأساء الرخاء والسعة في الرزق والعيش ومكان الضراء الصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم وفيه قبحنا عليهم أبواب كل شيء من الخير كان مغلقاً عنهم (حتى اذا فرحوا بما آتوا) يعني فرحوا بما آتوا من السعة والرخاء والصحة في الابدان والمعيشة وظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاماً من الله تعالى فانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم وهذا فرح بطرف كما فرح قارون بما آتوا من الدنيا (أخذناهم بغتة) يعني جاءهم عذابنا فجأة من حيث لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما أخذوا في حال الرخاء والسلامة ليكون أشد لحسرتهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة فاخذناهم في آمن ما كانوا أو أعجب ما كانت الدنيا اليهم (فاذا هم مبلسون) أي آيسون من كل خير وقال انقراء المبلس اليأس المنقطع رجاءه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجة ولا يكون له جواب قد أبلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال أبو عبيدة المبلس النادم الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روى عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري ﴿ وقوله تعالى (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) أي آخرهم الذي يدبرهم يقال دبر فلان القوم اذا كان آخرهم والمعنى انهم استؤصلوا بالعذاب فلم تبق منهم باقية (والحمد لله رب العالمين) قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستأصل شافنهم ومعنى هذا ان قطع دابرهم نعمة أنعم الله بها على الرسل الذين أرسلوا اليهم فكذبوهم فقد كره الحمد تعلياً للرسل وان آمن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهم اذا هلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسوله وأهل طاعته باظهار حججهم على من خالفهم وإهلاك اعدائهم واستنصاهم بالعذاب ﴿ قوله تعالى (قل أرأيتم) أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين (ان اخذنا الله سمعكم) يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعوا شيئاً (وأبصاركم) يعني وأخذنا أبصاركم التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا

(وختم على قلوبكم) فسلب العقول والتميز (من غير الله ياتيكم به) بما أخذ وختم عليه من رفع بالابتداء وله خبره وغير صفة لاله وكذا ياتيكم والجملة في موضع مفعولى رأيتهم وجواب الشرط محذوف (انظر كيف انصرف) لهم (الآيات) نكسر رها (ثم هم صدقون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدق الاعراض عن الشيء (قل) (١٧) أرايتكم ان آنا كم عذاب الله بقرته

بان لم تظهر أماراته (أو جهره) بان ظهرت أماراته وعن الحسن ليلاً أو نهاراً (هل يهلك الا القوم الظالمون) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم برهم (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) بالحنان والذمير المؤمنين والكفار وان نرسلهم ليقرح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والادلة الساطعة (فن آمن وأصلح) أى دوام على إيمانه (فلاخوف عابهم ولا هم يحزنون) فلاخوف يعقوب (والذين كذبوا بآياتنا يسهم العذاب) جعل العذاب ماسماً كما هي يفعلهم ما يريد من الآلام (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (ولأعلم الغيب) النصب عطفاً على محمل عندي خزائن الله لانه من

شياً أصلاً (وختم على قلوبكم) بعنى حتى لا تفقهوا شيئاً أصلاً ولا تعرفوا شيئاً مما تعرفون من أمور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها أشرف أعضاء الانساء فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد أمره وبطلت مصالحة في الدين والدنيا ومضة صود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان القادر على ايجاد هذه الاعضاء وأخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها وهو قوله تعالى (من غير الله ياتيكم به) يعنى ياتيكم بما أخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذى ذكره اولاً ويندرج تحته غيره (انظر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره أى انظر يا محمد (كيف انصرف الآيات) يعنى كيف بين لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة (ثم هم يصدقون) يعنى يعرضون عنها مكذبين لها (قل أرايتكم ان آنا كم عذاب الله بقرته) يعنى جفاة (أو جهرة) يعنى ما ينة نزوله عند نزوله وقال ابن عباس ليلاً أو نهاراً (هل يهلك الا القوم الظالمون) يعنى المشركين لانهم ظلموا أنفسهم بالشرك ﴿ قوله عز وجل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) يعنى لمن آمن بالثواب (ومنذرين) يعنى لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس فى ارسالهم أن يأتوا الناس بما يقرحون عليهم من الآيات انما أرسلوا بالبشارة والندارة (فن آمن وأصلح) يعنى آمن بهم وأصاح العمل لله (فلاخوف عليهم) يعنى حين يخاف أهل النار (ولا هم يحزنون) أى اذا حزن غيرهم (والذين كذبوا بآياتنا يسهم العذاب) يعنى يصيبهم العذاب (بما كانوا يفسقون) يعنى بسبب ما كانوا يكفرون ويخرجون عن الطاعة ﴿ قوله تعالى (قل لا أقول لكم) (قل لا أقول لكم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى قل يا محمد هؤلاء المشركين لا أقول لكم (عندى خزائن الله) نزلت حين اقترحوا عليه الآيات فامر الله تعالى أن يقول لهم انما بعثت بشيرا وذنيراً ولا أقول لكم عندي خزائن الله جمع خزانة وهى اسم للمكان الذى يخزن فيه الشيء وتخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي والمعنى ليس عندي خزائن رزق الله عطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من الله فاطلب منه أن يوسع علينا عيشنا ويغنى فقرا نا فاجبر أن ذلك بيدي الله لا بيدي (ولأعلم الغيب) يعنى فاخبركم بما مضى وما سيقع فى المستقبل وذلك انهم قالوا له أخبرنا بمصالحنا ومضارنا فى المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فاخبركم بما تريدون (ولأقول لكم انى ملك) وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشى فى الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بقوله ولا أقول لكم انى ملك لان الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست أقول شيئاً من ذلك ولا أدعيه فتنكرون قولى وتجددون أمرى وانما نبي عن نفسه الشريفة هذه الاشياء تواضع الله تعالى واعترافه بالعبودية وان لا يقترحوا عليه الآيات العظام (ان أتبع الامايوحى الى) يعنى ما أخبركم الامايوحى من الله أنزله على ومعنى الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلمهم انه لا يملك خزائن الله التى منها يرزق ويعطى وانه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وما سيكون وانه ليس بملك حتى يطاع على ما لا يطلع عليه البشر انما يتبع ما يوحى اليه من ربه عز وجل فما أخبر عنه من غيب يوحى الله اليه وظاهر الآية يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يجتهد فى شئ من الاحكام بل جميع أوامره ونواهيه انما كانت بوحي من الله اليه (قل هل يستوى الاعمى والبصير) يعنى المؤمن والكافر

(٣ - خازن - ثانياً) جملة المقول كانه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (ولأقول لكم انى ملك) أى لا ادعى ما يستبعد فى العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وانما ادعى ما كان الكثير من البشر وهو النبوة (ان أتبع الامايوحى الى) أى ما أخبركم الاما أنزل الله على (قل هل يستوى الاعمى والبصير) مثل الضال والهادى أو ان أتبع ايوحي اليه ومن لم يتبع أهدى به المستقيمة المحال هو الالهة

والضال والمهتدى والعالم والجاهل (أفلاتفكرون) يعنى أنهم لا يستويان ﴿ قوله عز وجل (وأنذره) ﴾ يعنى وخوف بالقرآن والانداز اعلام مع تخويف (الذين يخافون أن يحشروا الى المر بهم) قال ابن عباس يريد المؤمنين لانهم يخافون يوم القيامة وما فيه من شدة الاهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكفان وانما خص الذين يخافون الحشر بالذ كر دون غيرهم وان كان انذاره صلى الله عليه وسلم لجميع الخلائق لان الحجية عليهم أو كد من غيرهم لاعترا فهم بصحة العاد والحشر وقيل المراد بهم الكفار لانهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا الى المر بهم وقيل المراد بالانذار جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكرك له لانه ليس أحد الا وهو يخاف الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وانذاره لجميع الخلق (ليس لهم من دونه) يعنى من دون الله (ولى) أى قريب ينفعهم (ولاشفيع) يعنى شفيع لهم ثم ان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى المر بهم أن المراد بهم الكفار فلا اشكال فيه لقوله تعالى مال الظالمين من حيم ولا شفيع يطاع وان فسرنا الذين يخافون أن يحشروا الى المر بهم أن المراد بهم المؤمنين ففيه اشكال لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعتة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض والجواب عن هذا الاشكال أن الشفاعتة لا تكون الا باذن الله لقوله عز وجل من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعتة باذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع يعنى حتى ياذن الله لهم فى الشفاعتة فاذا أذن فيها كان للمؤمنين ولى وشفيع (اعلمهم يتقون) يعنى ما نهيتهم عنه ﴿ قوله تعالى (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه) قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزارى وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب و بلال وعمار وخباب بن نفير من ضعفاء المؤمنين فاماروا وهم حوله حقر وهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جاست فى صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لهارمحة ليس عليهم غيرهما لجالسا نك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أباطار المؤمنين قالوا فاننا نحب أن نجعل انما نك مجلسا نعرف به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحى أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فاذا نحن جشناك فاقمهم عننا فاذا نحن فرغنا فاقدمهم ان شئت قال نعم قالوا فا كتب لنا عليك بذلك كتابا قال فأتى بالصحيفة ودعا عليا ليكتب قال ونحن فعود فى ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده ثم دعا نائبا عنه وهو يقول سلام عليكم كتب بكم على نفسه الرحمة فكنا نقتد معه فاذا أراد أن يقوم قام وتركنا فنزل الله تبارك وتعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنومنه حتى كانت ركبتا خمس ركبتة فاذا بلغ الساعة التى يريد أن يقوم فيها اقتنا وتركنا حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع قوم من أمتى معكم الحيا ومعكم الممات وروى عن سعد بن أبى وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنتم أنا وابن مسعود ورجل من هذيل و بلال ورجلان لست أسميهما فوقع فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فانزل الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال الكلبى قالوا ليعنى أشرف قرينش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لأفعل قالوا فاجعلوا المجلس واحدا وأقبل علينا واول ظهر كاليهم فانزل الله هذه الآية وقال مجاهد قالت قرينش لولا بلال وابن أم عبد يعنى

أن اتباع ما يوحى الى تمام لا بدلى منه (وأنذره) بما يوحى (الذين يخافون أن يحشروا الى المر بهم) هم المسلمون المقرون بالعمل لانهم مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى اليه أو أهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث (ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع) فى موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (اعلمهم يتقون) يدخلون فى زمرة أهل التقوى ولما أمر النبي عليه السلام بانذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) وأتى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته و يواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس بالغداة شامى وروسمهم بالاخلاص فى عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) فالوجه يعبر به عن ذات الشئ وحقيقته نزلت فى الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين

لو طردت هؤلاء السقاط لجالسا نك فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتبنا فدعا لعاداهم الله عنه لكتب فقام الفقراء وحلوه انا حة فنزلت فمعناه الصلاة والسلامة فمأذ الفقراء فمأذهم

ابن مسعود ولبايعناك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن مسعود مرملأ من قر يش بالنبي صلى الله عليه وسلم وعندة صهيب وعمارو بلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ر ضيت بهؤلاء بدلان من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا نحن نكون تبعاً هؤلاء اطردهم فلعلك ان طردتهم ان تتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحارث بن نوفل في أشرف نبي عبد مناف من أهل الكفر الى أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه مواليه وحلفاء نافعهم عبيدنا وعسفاؤنا كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا اياه وتصديقه فاتي أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كاموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ماذا يصيرون فانزل الله عز وجل هذه الآية وأندره الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم الى قوله أليس الله باعلم بالشاكرين فناء عمر فاعتذر من مقالته قلت بين هذه الروايات والرواية الاولى التي عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو ان اسلام سلمان كان بالمدينة وكان اسلام المؤلفه قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روى عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك وبعضه حديث سعد بن أبي وقاص المخرج في صحيح مسلم من أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اطرد هؤلاء يعني ضعفاء المسلمين والله أعلم وأما معنى الآية فقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخاطب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ولا تطرد هؤلاء الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعني يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر وروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تشبيها على شرفهما ولا نهم وما ظبون عليهم ماع بقية الصلوات ولان الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذي كرفع بالدعاء عن الصلاة لهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد ابن المسيب فلم اسلم الامام ابتر الناس القاص فقال سعيد بن المسيب ما أسرع الناس الى هذا المجلس فقال مجاهد يتاولون قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي قال أوفي هذا انما هو في الصلاة التي انصرفنا عنها الآن وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من أشرف الناس نؤم لك واذا صلينا فآخر هؤلاء الذين معك فليصلوا واخفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء والذي كرفع والمعنى أنهم كانوا يذكرون ربهم ويدعون طر في النهار يريدون وجهه يعني يطلبون بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم له وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى (ماعليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ) يعني لا تكف أمرهم ولا يكفون أمرك وقيل ماعليك حساب رزقهم فتعلمهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزق لجميع الخلق هو الله تعالى فلا تطردهم عنك (فتطردهم فتكون من الظالمين) يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم جواب النفي وهو قوله ماعليك من حسابهم من شئ وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل اشراف عانبه الله على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدر في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما كان هذا لهم لمصلحة وهو التاطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب أولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى أن ادباه هؤلاء الفقراء أولى من اطم بطردهم فقرهم منه وادباهم وأما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين فان الظلم في اللغة وضع الشئ في غير موضعه فيكون المعنى ان أولئك الفقراء الضعفاء يستحقون التعظيم والتقريب فلا تطردهم

(ماعليك من حسابهم من شئ) كقوله ان حسابهم الاعلى ربي (وما من حسابك عليهم من شئ) وذلك أنهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم (فتطردهم) جواب النفي وهو ماعليك من حسابهم (فتكون من الظالمين) جواب النهي وهو ولا تطرد ويجوز أن يكون عطف على فتطردهم على وجه النسب لان كونه ظالم المسبب عن طردهم

(وكذلك فتننا بعضهم ببعض) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتلينا الاغنياء بالفقراء (ليقولوا) أي الاغنياء (أهلؤا من الله عليهم من بيننا) أي أنعم الله عليهم بالايمان ونحن المقدمون (٢٠) والرؤساء وهم الفقراء انكار الان يكون أمثالهم على الحق وعموننا

عليهم من ينسب بالخير ونحوه لو كان خيرا ماسبقونا اليه (أليس الله باعلم بالشاكرين) بن يشكر نعمته (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) أما أن يكون أمران يبداهم بالسلام اكرامهم وتطييب القلوبهم وكذا قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة ما يقول لهم ليشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدم مؤكدا (انه الضمير للشأن) من عمل منكم سوأ) ذنبا (بجهالة) في موضع الحال أي عمله وهو جاهل بما يتعاق به من المضرة أو جعل جاهلا لا يشاره المعصية على الطاعة (ثم تاب من بعده) من بعد سوء أو العمل (وأصلح) وأخلص توبته (فانه غفور رحيم) أنه فانه شامئ وعاصم الاول بدل الرحمة والثاني خبر مبتدأ محذوف أي فشأنه أنه غفور رحيم أنه فانه مدني الاول بدل الرحمة والثاني مبتدأ انه فانه غيرهم

عنتك فتضع الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله أعلم قوله عز وجل (وكذلك فتننا بعضهم ببعض) يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والغني بالشريف بالوضع والوضع بالشريف فكل أحد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم وأما فتنة الفقراء بالاغنياء فلما يرون من سعة رزقهم وخصب عيشهم فكان ذلك فتنة لهم (ليقولوا) يعني الاغنياء والشرفاء والرؤساء (أهلؤا من الله عليهم من بيننا) يعني من على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار على الله تعالى فاجابهم بقوله (أليس الله باعلم بالشاكرين) يعني انه تعالى أعلم بخلقه وحوالهم وأعلم بالشاكرين من الكافرين قوله تعالى (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) قال عكرمة نزلت في النبي الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذار آهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن أبي عبيدة ومصعب بن عمير وحزرة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن أبي الارقم وأبي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان الآية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقاتله التي تقدمت في رواية عكرمة وقال ما أردت الا الخير نزلت واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم (كتب ربكم) يعني فرض ربكم وقضى ربكم (على نفسه الرحمة) وهذا يفيد الوجوب وسبب هذا انه تعالى يتصرف في عباده كيف شاء وأراد فوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (أنه من عمل منكم سوأ بجهالة) قال مجاهد كل من عمل ذنبا أو خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه وان علم ان عاقبة ذلك السوء والفعل القبيح مذمومة لانه اثر اللذة العاجلة على الخير الكثير الآجل ومن اثر القليل على الكثير فهو جاهل وقيل انه لم يفعل الجهل نسب الى الجهل وان لم يكن جاهلا (ثم تاب من بعده) يعني من بعد ارتكابه ذلك السوء ورجع عنه (وأصلح) يعني أصلح العمل في المستقبل وقيل أخلص توبته وندم على فعله (فانه غفور) يعني لمن تاب من ذنوبه (رحيم) بعباده قال خالد بن دينار كنا اذا دخلنا على أبي العباس قال واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الآية عن أبي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم ليستر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا اذا جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فقام علينا فقام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم ثم قال ما كنتم تصنعون فلنا يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكاننا نسمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل من أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا ورزت وجوههم قال فأرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف منهم أحد اغبري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة عام أخرجه أبو داود وقوله عز وجل (وكذلك نفضل الآيات) يعني وكما فضلنا لك يا محمد في هذه السورة لانه على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نيزون بينك لك أدلة حججنا وبراهيننا على نقر بكل حق ينكره أهل الباطل (ولتسبين) قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وليظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك (سبيل المجرمين) يعني طريق هؤلاء المجرمين وقرئ بالباء على الغيبة

ومعناه

على الاستئناس كان الرحمة استعسرت فتبيل انه من عمل منكم (وكذلك نفضل الآيات

ولتسبين) وبالياء جزو على وأبو بكر (سبيل المجرمين) بالنصب مدني غيره بالرفع فرغ السبيل مع التاء والياء لانها تذكروا وتوث ونصب

السبيل مع التاء على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بقال اسئبان الامر وتبين واستبينته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين تفصل آيات القرآن وتلخصها في صفة أحوال الجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجي اسلامه والمستوضح سبيلهم فتعامل كلامهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قل اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) أي صرفت (٢١) وزجرت بأدلة العقل والسمع

عن عبادة ما تعبدون من دون الله (قل لا أتبع أهواءكم) أي لا أجرى في طريقكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال (قد ضللت اذا) أي ان اتبع أهواءكم فاما ضال (وما أنامن المهتدين) وما أنامن المهتدين في شيء يعني انكم كذلك ولما نفي أن يكون الهوى متبعا به على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) أي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة (وكذبتم به) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهو القرآن وكذبتم به البينة وذكر الضمير على تاويل البرهان أو البيان أو القرآن ثم عقبه بمادل على أنهم أحقاء بان يعاقبوا بالعذاب فقال (ما عندي ما تستجلبون به) يعني العذاب الذي استجلبوه في قلوبهم فامطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا لله) في تأخير

ومعناه ويظهر ويتضح سبيل الجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار ﴿ قوله تعالى (قل) أي قل يا محمد طوؤا المشركين: (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله) يعني نهيت أن أعبد الاصنام التي تعبدونها أتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجادات أخس من أن تعبد وتدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله تعالى (قل لا أتبع أهواءكم) يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء (قد ضللت اذا) يعني اذ عبدتها (وما أنامن المهتدين) يعني لو عبدتها (قل) يعني قل يا محمد طوؤا المشركين (اني على بينة من ربي) قال ابن عباس يعني على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بينة وبصيرة في عبادة ربي (وكذبتم به) يعني وكذبتم البيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمعجزات الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وفساد الشرك (ما عندي ما تستجلبون به) يعني العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا يستجلبون به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد اتنبا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما عندي ما تستجلبون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله تعالى ولا يقدر أحد على تقديمه ولا ماخيره وقيل كانوا يستجلبون بالآيات التي طلبوها واقترحوها فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند أحد من خلقه وقيل كانوا يستجلبون بقيام الساعة ومنه قوله تعالى يستجلب بها الذين لا يؤمنون بها (ان الحكم الا لله) يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق الا لله ايس معه حكم فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بازال العذاب اذا شاء (يقص الحق) قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق لان كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقص بالصاد المهملة من القضاء يعني انه تعالى يقضي القضاء الحق (وهو خير الفاصلين) يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين الحق والباطل لانه لا يقع في حكمه وقضاءه جور ولا حيف على أحد من خلقه (قل لو أن عندي ما تستجلبون به) يعني من انزال العذاب والاستجبال المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت الجملة مذمومة والاسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد طوؤا المشركين المستجلبين انزال العذاب لو أن عندي ما تستجلبون به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذؤاناة لا يبجل بالعقوبة وقوله تعالى (لقضى الامر بيني وبينكم) يعني لا تفصل ما بيني وبينكم ولأننا كم ما تستجلبون به من العذاب (والله أعلم بالظالمين) يعني انه أعلم بما يستحقون من العذاب والوقت الذي يستحقونه فيه وقيل علم أنه سيؤمن بعض من كان يستجلب بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين وياحوالهم ﴿ قوله عز وجل (وعنده مفاتيح الغيب) المفاتيح التي يفتح بها الغلق وجمع مفاتيح ويقال فيه مفتاح بكسر الميم وجمع مفاتيح والمفتاح يفتح الميم الخزانة وكل خزنة كانت لصنف من الاشياء فهي مفتاح وجمع مفاتيح فقوله وعنده مفاتيح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى التفسير الاول فقد جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة لان المفاتيح هي التي يتوصل بها الى ما في الخزانة المستوتق منها بالاغلاق فمن علم كيف يفتح بها يتوصل الى ما فيها فهو عالم وكذلك ههنا لان الله تعالى لما كان عالما بجميع المعلومات ما غاب منها ولم يغيب عن هذه المعنى هذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون المعنى وعنده

عذابكم (يقص الحق) حجازي وعاصم أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقي بقص الحق في كل ما يقضى من التأخير والتجمل فالحق أي القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وهو خير الفاصلين) أي القاضين بالقضاء الحق اذا الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لاتقاء الساكنين (قل لو أن عندي) أي في قدرتي وامكاني (ما تستجلبون به) من العذاب (لقضى الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي (والله أعلم بالظالمين) فهو ينزل عليكم العذاب في وقت يعلم أنه أردع (وعنده مفاتيح الغيب

لا يعلمها الا هو) المفاتيح جمع مفتاح وهو المفتاح وهي خزائن العذاب والرزق واما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والاحوال جعل للغيب مفاتيح على طريق الاستعارة (٢٢) لان المفاتيح يتوصل بها الى ما في الخزائن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال ومن علم مفاتيحها

وكيفية فتحها توصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى الغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتيح اقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما في المخازن قيل عنده مفاتيح الغيب وعندك مفاتيح الغيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه (ويعلم ما في البر) من النبات والدواب (والبحر) من الحيوان والجواهر وغيرها (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) ما لا يتنى ومن للاستعراق أي يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (ولاحبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس) عطف على ورقة ودخل في حكمها وقوله (الافى كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الافى كتاب مبين واحد وهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي يقبض أنفسكم عن التصرف بالتعام في المنام (ويعلم ما جر حتم بالنهار) كسبتم فيه من الآثام (ثم يعثكم فيه) ثم يوقظكم في النهار أو التقدير ثم يعثكم في النهار ويعلم ما جر حتم فيه

خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلفت أقوال المفسرين في قوله وعنده مفاتيح الغيب (لا يعلمها الا هو) فقيل مفاتيح الغيب خمس وهي ما روى عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها الا الله تعالى لا يعلم أحد ما يكون في الارحام الا الله ولا يعلم نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يدري أحد متى يحيى المظر وفي رواية أخرى لا يعلم أحد ما تنغيض الارحام الا الله ولا يعلم ما في غد الا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد الا الله ولا تدرى نفس بأى أرض تموت الا الله ولا يعلم متى الساعة الا الله أخرجه البخاري وقال الضحاك ومقاتل مفاتيح الغيب خزائن الارض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن يكون اذ يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء الا مفاتيح الغيب وقال ابن عباس انها خزائن غيب السموات والارض من الاقدار والارزاق (ويعلم ما في البر والبحر) قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والامصار لا يحدث فيها شيء الا وهو يعلمه وقال جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروفان لان جميع الارض اما بر واما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعات وغرائب مبتدعات ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه (وماتسقط من ورقة الا يعلمها) يريد ساقطة وثابتة والمعنى انه يعلم عددها مسقط من الورق وما تبقى على الشجر من ذلك ويعلم كم انقلبت ظهر البطن الى أن تسقط على الارض (ولاحبة في ظلمات الارض) قيل هو الحب المعروف بكونه في بطن الارض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الارضين (ولارطب ولا يابس) قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحى واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لان جميع الاشياء امارطبة واما يابسة فان قلت ان جميع هذه الاشياء داخله تحت قوله وعنده مفاتيح الغيب فلم أفرد هذه الاشياء بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعنده مفاتيح الغيب على سبيل الاجمال ذكر من بعد ذلك الاجال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الاشياء المحسوسة ايدل بها على غيرها فقدم ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيها من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات مما يجزى الوصف عن ادراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو اقل من ذلك وهو مشاهد الكل أحد لان الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم عددها وكيفية خلقها الا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أصغر من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد ذلك مثلا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الاشياء وانه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه وتعالى فصارت هذه الامثال منبهة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحان العليم الخبير ﷻ قوله تعالى (الافى كتاب مبين) فيه قولان أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله الذي لا يغير ولا يبدل والثاني أن المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لان الله كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والارض وفائدة احصاء الاشياء كلها في هذا الكتاب لتقف الملائكة على انفاذ علمه ونبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفوته شيء مما يصنعون لانه من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فهو الى اثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع ﷻ قوله تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل) يعني يقبض أرواحكم اذا نتمت بالليل (ويعلم ما جر حتم) ما كسبتم (بالنهار) ثم يعثكم فيه (أي يوقظكم فيه أي في النهار ليقضى أجل مسمى) يعني أجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام (ثم اليه مرجعكم) في الآخرة (ثم ينبئكم) أي يخبركم (بما كنتم

فقدم الكسب لانه أهم وليس فيه أنه لا يعلم ما جر حتم بالليل ولأنه لا يتوفاكم بالنهار فدل أن تخصيص الشيء بالذكري لا يدل تعملون على نفي ما عداه (ليقضى أجل مسمى) لوفى الآجال على الاستكمال (ثم اليه مرجعكم) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثم ينبئكم بما كنتم

يعملون) في ليلاكم ونهاركم قال بعض أهل الكلام ان لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد اليها اذا ذهب النوم فاما الروح التي تحياها النفس فانها لا تقبض الا عند انقضاء الاجل والمراد (٢٣) بالارواح المعاني والقوى التي تقوم بالحواس ويكون بها

تعملون) قوله تعالى (وهو القاهر فوق عباده) يعني وهو العالی عليهم بقدرته لان كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعني أقدر منه وأغلبه هذا ما ذهب أهل التأويل في معنى لفظه فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا إطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغضبه المذلل له والله تعالى هو القاهر لخلقه وقهر كل شيء بضده فقهر الحياة بالموت والايحاديث بالاعدام والغنى بالفقر والنور بالظلمة (وقوله تعالى (ويرسل عليكم حفظة) يعني أن من جملة قهره اعباده ارسال الحفظة عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير ذلك من الاقوال والافعال قيل ان مع كل انسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر عليه لعله يتوب منها فان لم يتوب منها لم يكتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالانسان أنه اذا علم أن له حافظا من الملائكة موكلًا به يحفظ عليه أقواله وأفعاله في صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤس الاشهاد كان ذلك زاجرًا له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظون أجسادهم قال قتادة حفظة يحفظون على ابن آدم رزقًا وجاهًا وعمله (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا) يعني أعوان ملك الموت الموكلين بقبض أرواح البشر فان قلت قال الله تعالى في آية الله يتوفى الانفس حين موتها وقال في آية اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات أن المتوفى في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه وملك الموت أعوان من الملائكة يامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فاذا وصلت الى الخلق تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيمه وقال مجاهد جعلت الارض الملك الموت مثل الطشت يتناول من حيث شاء وجعلت له عوان ينزعون الانفس ثم يقبضها منهم وقال أيضا من أهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له (وقوله (وهم لا يفرطون) يعني الرسل لا يقصرون فيما أمروا به ولا يضيعونه (وقوله عز وجل (ثم ردوا الى الله مولاهم الحق) يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت أيدي موال بالباطل والله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق (ألا له الحكم) يعني لاحكام الاله (وهو أسرع الخاسبين) يعني أنه تعالى أسرع من حساب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد في حساب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض (وقوله تعالى (قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر) يعني يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من ذا الذي ينجيكم من ظلمات البر اذا ضللتهم فيه وتنجيتهم وأظلمت عليكم الطرق ومن ذا الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبت فيه فأخطأتم الطريق وأظلمت عليكم السبل فلم تهدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل الجمل على الحقيقة أولى فظلمات البرهي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء الى الطريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك أيضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالتقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة

الذي لا يحكم الا بالحق وهم اصفتان لله (ألا له الحكم) يومئذ لا يحكم فيه غيره (وهو أسرع الخاسبين) لا يشغله حساب عن حساب محاسب جميع الخلق في مقدار حبل شاة وقيل الرادى من رباك خبير من البقاء مع من أذاك (قل من ينجيكم) ينجيكم عباس (من ظلمات البر والبحر)

ضمير المفعول في: ينجيكم
(تضرعا) معلنين الضرعة
وهو مصدر في موضع الحال
وكذا (وخفية) أي مسرين
في أنفسهم خفية حيث كان
أبو بكر وهما القتان (بن
أتجانا) عاصم وبالامالة
حزرة وعلى الباقون انجيتنا
والعنى يقولون لئن خلاصنا
(من هذه) الظلمات
(لتكونن من الشاكرين)
لله تعالى (قل الله ينجيكم)
بالتشديد كوفي (منها)
من الظلمات (ومن كل
كرب) وغمٍ وحرٍ (ثم أتم
تشركون) ولا تشكرون
(قل هو القادر) هو الذي
عرفتموه قادرا أو هو
الكامل القدرة فالادم
يحتمل العهد والجنس (على
أن يبعث عليكم عذابا
من فوقكم) كما أمطر على
قوم لوط وعلى أصحاب
الفيل الحجارة (أو من تحت
أرجلكم) كما غرق
فرعون وخسف بقارون
أو من قبل سلاطينكم
وسفلكم أو هو جالس
الطر والنبات أو يلبسكم
شيعا أو يخلطكم فرقا
مختلفين على أهواء شتى
كل فرقة منكم مشايعة
لامام ومعنى خاطهم أن
ينشب القتال بينهم
فيختلطوا ويشتبكوا في

الشدائد وهو المراد من قوله (تدعون تضرعا وخفية) يعني فاذا اشتد بكم الامر تخاصون له الدعاء تضرعا
منكم اليه واستكناهة جهر او خفية يعني سرا حلالا (لئن أنجيتنا من هذه) يعني قاتلين في حال الدعاء
والتضرع لئن أنجيتنا من هذه الظلمات وخلصنا من الهلاك (لتكونن من الشاكرين) يعني لك على هذه
النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقوقها المن أنعم بها (قل الله ينجيكم منها) يعني من الظلمات
والشدائد التي أنتم فيها (ومن كل كرب) يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب أيضا والكرب هو الغم
الشديد الذي يأخذ بالنفس (ثم أتم تشركون) يريد أنهم يقررون بان الذي أنجاهم من هذه الشدائد
هو الله تعالى ثم اتهم بعد ذلك الاقرار بشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ﴿ قوله عز وجل (قل هو
القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) أي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على أن يبعث عليكم
عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط (أو من تحت
أرجلكم) يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني
أمة السوء والسلاطين الظلمة أو من تحت أرجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل
كباركم أو من تحت أرجلكم يعني السفلة (أو يلبسكم شيعا) الشيع جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم
شيعة وأشباع وأصله من التشيع وبعني الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم
الانسان قال الزجاج في قوله أو يلبسكم شيعا يعني يخلط أمركم خلط اضطراب لاخلط اتفاق فيجعلكم فرقا
مختلفين يقاتل بعضهم بعضا وهو معنى قوله (ويذيق بعضهم بأس بعض) قال ابن عباس قوله أو يلبسكم شيعا
يعني الاهواء المختلفة ويذيق بعضهم بأس بعض يعني أنه يقتل بعضهم بيد بعض وقال مجاهد يعني أهواء متفرقة
وهوما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهواء
وسفك بعضهم دماء بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عنى بهذه الآية فقال قوم عنى بها المسلمون من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الآية قال أبو العالية في قوله قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من
فوقكم الآية قال هن أربع وكاهن عذاب جاءت اثنتان بهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين
سنة فالسواشيعا واذيق بعضهم بأس بعض وبقيت اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن أبي
ابن كعب نحوه هن أربع خلال وكاهن واقع قبل يوم القيامة مضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بخمس وعشرين سنة بالسواشيعا واذيق بعضهم بأس بعض وثنتان واقعتان لا محالة الخسف والرجم وقال
مجاهد في قوله من فوقكم أو من تحت أرجلكم لامة محمد فاعفاهم منه أو يلبسكم شيعا ما كان بينهم من الفتن
والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضهم بأس بعض يعني ما كان فيهم من القتل بعد وفاة رسول الله صلى الله
عليه وسلم (خ) عن جابر قال لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك أو يلبسكم شيعا ويذيق
بعضكم بأس بعض قال هذا أهون أو هذا أيسر (م) عن سعد بن أبي وقاص أنه أقبل مع النبي صلى الله عليه
وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا به طويلا
ثم انصرف الينا فقال سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة
فأعطانيها وسألت ربي أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألت ربي أن لا يجعل بأسهم بينهم فتعنيها عن خباب
ابن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطما لها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها
قال أجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سألت الله فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته أن لا يهلك أمتي
بسنة فأعطانيها وسألته أن لا يسلط عليهم عدو من غيرهم فأعطانيها وسألته ان لا يذيق بعضهم بأس بعض

جبريل أن فناء أمتي بالسيف (انظر كيف نصرف الآيات) بالوعود والوعيد (اعلمهم بفقهمون وكذب به) بالقرآن أو بالعذاب (قومك) قريش (وهو الحق) أي الصدق أو لابدأن ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل (٢٥) إلى أمرهم إنما أنا منذر (لكل

نبأ) لكل شئ ينأ به
يعنى انباءهم بانهم
يغذبون وايعادهم به
(مستقر) وقت استقرار
وحصول لابد منه (وسوف
تعلمون) تهديد (واذا
رأيت الذين يخوضون في
آياتنا) أي القرآن يعني
يخوضون في الاستهزاء بها
والظعن فيها وكانت قريش
في أديتهم يفعلون ذلك
(فاعرض عنهم) ولا
تجالسهم وقم عنهم (حتى
يخوضوا في حديث غيره)
غير القرآن مما يحل حينئذ
يجوز أن تجالسهم (واما
ينسبنيك الشيطان) ما
نهيت عنه يسينك شامى
نسى وأنسى واحد (فلا
تقع بعد الذكرى) بعد
أن تذكر (مع القوم
الظالمين وما على الذين
يتقون من حسابهم) من
حساب هؤلاء الذين
يخوضون في القرآن
تكذبا واستهزاء (من
شئ) أي وما يلزم المتقين
الذين يجالسونهم شئ مما
يحاسبون عليه من ذنوبهم
(ولكن) عليهم أن
يذكروهم (ذكرى) اذا
سمعواهم يخوضون بالقيام
عنهم واطهار الكراهة لهم

فمنعهم أخرجه الترمذى وقوله تعالى (انظر كيف نصرف الآيات) أي انظر يا محمد كيف نبين دلائلنا وحججنا
لهؤلاء المكذبين (اعلمهم بفقهمون) يعني يفهمون ويعتبرون فيمنزجوا ويرجعوا عما هم عليه من الكفر
والتكذيب وقوله تعالى (وكذب به قومك) يعني بالقرآن (وهو الحق) يعني في كونه كتابا منزلا من عند
الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعني انه نازل بهم ان أقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل
الضمير يرجع الى تصرف الآيات وهو الحق لانهم كذبوا كونها من عند الله (قل لست عليكم بوكيل) أي
قل يا محمد هؤلاء المكذبين لست عليكم بحافظ حتى أجاز بكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما
أنا منذر والله المجازي لستم على أعمالكم وقيل معناه اني انما أدعوكم الى الله والى الايمان به ولم أومر
بحر بكم فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف وقيل في معنى الآية قل لست عليكم بوكيل يعني
حفيظا انما أطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضمائر والاسرار فعلى هذا تكون الآية محكمة
(لكل نبأ مستقر) أي لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة ومنتهى ينهى اليه اما في الدنيا واما في الآخرة
وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تأخير فكان ما وعدهم به من العذاب في
الدنيا وقع يوم بدر (وسوف تعلمون) يعني صحة هذا الخبر اما في الدنيا واما في الآخرة ﴿قوله تعالى﴾ (واذا
رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الخطاب في واذ رأيت للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى واذ رأيت يا محمد هؤلاء
المشركين الذين يخوضون في آياتنا يعني القرآن الذي أنزلناه اليك والخوض في اللغة هو الشروع في الماء
والعبور فيه ويستعار للاخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن أكثر
ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائفين
وقيل الخطاب في واذ رأيت لكل فرد من الناس والمعنى واذ رأيت أيها الانسان الذين يخوضون في آياتنا
وذلك أن المشركين كانوا اذا جالسوا المؤمنين وقعو في الاستهزاء بالقرآن وبن أنزله وبن أنزل عليه
فنهاهم الله أن يقعوا معهم في وقت الاستهزاء بقوله (فاعرض عنهم) يعني فاتركهم ولا تجالسهم (حتى
يخوضوا في حديث غيره) يعني حتى يكون خوضهم في غير القرآن والاستهزاء به (واما ينسبنيك الشيطان)
يعنى ففعدت معهم (فلا تقع بعد الذكرى) يعنى اذا ذكرت فقم عنهم ولا تقع (مع القوم الظالمين) يعنى
المشركين ﴿قوله تعالى﴾ (وما على الذين يتقون من حسابهم من شئ) قال ابن عباس لما نزلت هذه
الآية واذ رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف تقع في المسجد الحرام ونظوف
بالبيت وهم يخوضون أبدأ وفي رواية قال المسلمون اننا نحاف الاثم حين نتركهم ولا تنهاهم فانزل الله هذه الآية
وما على الذين يتقون يعنى يتقون الشرك والاستهزاء من حسابهم من حساب المشركين من شئ
يعنى ليس عليهم شئ من حسابهم ولا آثمهم (ولكن ذكرى) يعنى ولكن ذكروهم ذكرى وقيل معناه
ولكن عليكم أن تذكروهم (اعلمهم يتقون) يعنى لعل تلك الذكرى تمنعهم من الخوض والاستهزاء
﴿فصل﴾ قال سعيد بن المسيب وابن جرير ومقاتل هذه الآية منسوخة بالآية التي في سورة النساء وهى
قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فادعوا الى الله والى الرسول
محكمة لا نسخ فيها لا ما خبروا الخبر ولا يدخله النسخ لانها انما دعت على ان كل انسان انما يختص بحساب
نفسه لا بحساب غيره وقيل انما أباح لهم التعمود معهم بشرط التذكير والموعظة فلان تكون منسوخة ﴿قوله﴾
عز وجل (وذرا الذين اتخذوا دينهم اعباءا ولها) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وذرا يا محمد هؤلاء

(٤ - خازن - ثانياً)

وموعظتهم ومحل ذكرى نصب أى ولكن يذكروهم ذكرى أى تذكروهم أو رفع
والتقدير ولكن عليهم ذكرى فذكروهم وأخبار محذوف (اعلمهم يتقون) اعلمهم بجهنم الخوض حياء وكراهة لساءتهم (وذرا الذين
اتخذوا دينهم) الذى كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام (اعباؤها) سخر وا به واستهزوا ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكديهم

واستهزأهم واللهم ما يشغل الانسان من هوى أو طرب (وغرتهم الحياة الدنيا وذ كرهه) وعظ القرآن (أن تبسل نفس بما كسبت) مخافة أن تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الالبسال المنع (ليس لها من دون الله ولي) ينصرها بالقوة (ولاشفيع) يدفع عنها بالمسئلة ولا وقف على كسبت في الصحيح لان قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذ كرهه بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وان تعدل كل عدل) (٢٦) نصب على الصدر وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي

يعدل المفدى بمثله وفاعل ٧
 (لا يؤخذ منها) لاضمير
 العدل لان العدل هنا مصدر
 فلا يستند اليه الاخذ وأما
 في قوله ولا يؤخذ منها عدل
 فبمعنى المفدى به فصح
 استناده اليه (أو لئلك)
 اشارة الى المتخذين دينهم
 اعبا و هو وهو مبتدأ
 والخبر (الذين أسلوا بما
 كسبوا) وقوله لهم شراب
 من حميم) أى ماء سخين
 حار خبر ثان لاوائك
 والتقدير أو لئلك المبسولون
 ثابت لهم شراب من حميم
 أو مسأنف (وعذاب اليم
 بما كانوا يكفرون)
 بكفرهم (قل لا بى بكر يقل
 لابنه عبد الرحمن وكان
 يدعو أباه الى عبادة
 الاوثان (أندعوا) أعبد
 من دون الله الضار النافع
 (ملا ينفعنا) مالا يقدر
 على نفعنا ان دعوانه
 (ولا يضرنا) ان تركناه
 (ونزد) وأنزاد (على
 أعقابنا) راجعين الى
 الشرك (بعد اذ هدانا
 الله) للإسلام وأتقنا من

المشركين الذين اتخذوا دينهم الذى أمروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام اعبا و هو اذ ذلك حيث سخر وابه
 واستهزأ به وقيل أهم اتخذوا عبادة الاصنام اعبا و هو اذ قيل ان الكفار كانوا اذا أسمعوا القرآن لعبوا
 و هو اعند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاخذ كل قوم دينهم بمعنى عيدهم اعبا و هو اذ لعبون
 و يلهون فيه الا الساميين فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبير او فعل الخير فيه مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم
 الجمعة (وغرتهم الحياة الدنيا) يعنى انهم اتخذوا دينهم اعبا و هو الا لاجل انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب
 حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم اعبا و هو معنى الآية وذرا يا محمد الذين اتخذوا دينهم
 اعبا و هو اذ تركهم ولا تبال بتكديهم واستهزأهم وهذا يقتضى الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض
 بآية السيف وهو قول قتادة والسدى وقيل انه خرج مخرج التهديد فهو كقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا
 وهذا قول مجاهد فعلى هذا ان يكون الآية محكمة وقيل المراد بالاعراض عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم
 لترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله (وذ كرهه) يعنى وذ كره بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين (أن
 تبسل نفس بما كسبت) أى لئلا تبسل نفس وأصل البسل فى اللغة التحريم وضم الشئ ومنعه وهذا عليك
 بسل أى حرام ممنوع فعنى تبسل نفس بما كسبت وترتهن وتحبس فى جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت
 من الآثام وقال ابن عباس تبسل تهلك وقال قتادة تحبس يعنى فى جهنم وقال الضحاك تحرق بالنار وقال ابن
 زيد تؤخذ يعنى بما كسبت وقيل تفضح والمعنى وذ كرههم بالقرآن ومواعظه وعرفهم الشرائع الحكي لا تهلك
 نفس وترتهن فى جهنم بسبب الجنايات التى ا كسبت فى الدنيا وتحرم الثواب فى الآخرة (ليس لها) يعنى
 لئلك النفس التى هلكت (من دون الله ولي) أى لتقرىب يلى أمرها (ولاشفيع) يعنى يشفع لها فى الآخرة
 (وان تعدل كل عدل) يعنى وان تفتد بكل فداء و العدل الفداء (لا يؤخذ منها) يعنى ذلك العدل وتلك الفدية
 (أو لئلك الذين) اشارة الى الذين اتخذوا دينهم اعبا و هو او غرتهم الحياة الدنيا (أسلوا بما كسبوا) يعنى
 أسلموا الى الهلاك بسبب ما كسبوا (لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون) ذلك لهم بسبب
 كفرهم (وقوله تعالى) (قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا) يعنى قى يا محمد هؤلاء المشركين الذين
 دعوا الى دين آبائكم أندعوا يعنى أنعبد من دون الله يعنى الاصنام التى لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك
 عبادتها (ونزد على أعقابنا) يعنى ونزد الى الشرك (بعد اذ هدانا الله) يعنى الى دين الاسلام والتوحيد
 (كالذى استهوته الشياطين فى الارض) يعنى كالذى ذهبت به الشياطين فالقمة فى هوية من الارض
 وأصله من الهوى وهو النزول من أعلى الى أسفل (حيران) يقال حار فلان فى الامر اذا ترد فيه فلم يهتد الى
 الصواب ولا يخرج منه (له أصحاب يدعون الى الهدى) يعنى لهذا المتحير الذى استهوته الشياطين أصحاب
 على الطريق المستقيم (أثنا) يعنى يقولون له انا وهما مثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التى
 لا تضر ولا تنفع ولن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذى يضر وينفع يقول مثلها ما كمثل رجل فى رفقة ضل به
 الغول والشيطان عن الطريق المستقيم فجعل أصحابه ورفقته يدعونهم يقولون لهم الى الطريق المستقيم

عبادة لاصنام (كالذى استهوته الشياطين) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف
 وجعل
 فى محل نصب على الخ ل من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أنكس مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الارض
 اذا ذهب فيها كان معناه طابت هويته (فى الارض) فى المهمة (حيران) حال من مفعول استهوته أى تأثرها لاعتن الجادة لا يدري كيف يصنع
 (له) لهذا المستوى (أصحاب) رفقة (يدعون الى الهدى) الى أن يهدوه الطريق سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
 (أثنا) وقد اعتسف المهمة ناعا للجن لا يحيبهم ولا يأنهم وهما بنى دلى ما يقال ان الجن تهوى الانسان والغيلان تستولى عليه فشببه به

الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال (وأمرنا) محله النصب بالعطف على محل ان هدى الله هو الهدى على أنهم ما قولان كأنه قيل قل هذا القول وقيل أمرنا (لنسلم رب العالمين وان أقيموا الصلاة) والتقدير وأمرنا لان نسلم ولان أقيموا أى للاسلام ولاقامة الصلاة (واقوه وهو الذى اليه تحشرون) وهو الذى يوم القيامة (وهو الذى خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة أو محققا (ويوم يقول كن فيكون) على الخبر دون الجواب (قوله الحق) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدماعليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قـ وولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين والمعنى له خلق السموات والارض بالحق والحكمة وحين يقول اشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ قوله الحق والحكمة أى لا يكون شئ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب (وله الملك) مبتدأ وخبر (يوم ينفخ) ظرف لقوله وله الملك (في الصور) هو القرن بلغة اليمن أو جمع صورة (عالم الغيب) هو عالم الغيب

وجعل الغيلان يدعونهم فبقى حيران لا يدري أين يذهب فان أجب الغيلان ضل وهلك وان أجب أصحابه اهتدى وسلم (قل ان هدى الله هو الهدى) يعنى ان طريق الله الذى أوضحه لعباده ودينه الذى شرعه لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كأنه يقول لا تفعل ذلك فان هدى الله هو الهدى لاهدى غيره (وأمرنا بالنسلم) أى وأمرنا أن نسلم ونخاص العبادة (رب العالمين) لانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره (وان أقيموا الصلاة واقوه) يعنى وأمرنا باقامة الصلاة والتقوى لان فيه ما يقرب اليه (وهو الذى اليه تحشرون) يعنى فى يوم القيامة فيجزىكم بما عملتم (وهو الذى خالق السموات والارض بالحق) يعنى اظهار الحق فى هذا ان تكون الباء بمعنى اللام لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وقيل خلقها بكامل قدرته وشمول عامه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقها بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على أن كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق (ويوم يقول كن فيكون) وقيل انه راجع الى خالق السموات والارض والمعنى اذ كرم يوم قال للسموات والارض كن فيكون وقيل يرجع الى القيامة وبدل عليه سرعة البعث والحساب كأنه قال ويوم يقول لا خلق موتوا فقوموتون وقوموا للحساب فيقومون أحياء (قوله الحق) يعنى أن قول الله تبارك وتعالى للشئ اذا أراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة (وله الملك يوم ينفخ في الصور) انما أخبر عن ملكه يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا فى كل وقت فى الدنيا والآخرة لانه لا منازع له يومئذ يدعى الملك وانه المنفرد بانك يومئذ وان من كان يدعى الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا فى الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا بان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا أن الذى كانوا يدعونهم من الملك فى الدنيا باطل وغرور واختلاف العلماء فى الصور المذكور فى الآية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة أهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق وبدل على صحة هذا القول ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما الصور فقال قرن ينفخ فيها أخرجه أبو داود الترمذى عن أبي سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أتم وقد اتقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ فكان ذلك نقل على أصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلناور بما قال توكلنا على الله أخرجه الترمذى وقال أبو عبيدة الصور جمع صورة والنفخ فيها احيائها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول أصح لما تقدم فى الحديث لقوله تعالى فى آية أخرى ثم نفخ فيه أخرى ولا جمع أهل السنة أن المراد بالصور هو القرن الذى ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة الصعق ونفخة البعث للحساب وقوله تعالى (عالم الغيب والشهادة) يعنى انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شئ (وهو الحكيم) يعنى فى جميع أفعاله وندب خلقه (الخبير) يعنى بكل ما يفعله من خير أو شر (قوله تعالى) (واد قال ابراهيم لآيه آزر) اختلف العلماء فى لفظ آزر فقال محمد بن سحوق والكابى والضحاك آزر اسم أبى ابراهيم وهو تارح ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لآبى ابراهيم اسمان آزر وتارح مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل أن يكون اسمه الاصلى آزر وتارح لقبه وبالعكس والله سماه آزر وان كان عند النسابين والمؤرخين اسمه تارح ليعرف بذلك وكان آزر أبى ابراهيم من كوثى وهى قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي آزر سب وعيب ومعناه فى كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهذا على مذهب من يجوز أن فى القرآن ألفاظا قليلة فارسية وقيل هو الخطي فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب كفره وزيفه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبدوا وسموا بهذا الاسم لان من عبد صنما أو أحببه جعل اسم ذلك المعبود

(والشهادة) أى السر والعلاية (وهو الحكيم) فى الافناء والاحياء (الخبير) بالحساب والخزء (واد قال ابراهيم لآيه آزر) هو اسم آبه وألقبه لانه

أو المحبوب اسماله فهو كقوله يوم ندعو كل أناس بأمامهم وقيل معناه واذ قال إبراهيم لا يبيد يا عبد آزر خذف
المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو الاول ان آزر اسم لابي إبراهيم لان الله تعالى سماه به ومانقل
عن النسائين والمؤرخين ان اسمه تاريخ فقيه نظر لانهم انما نقلوه عن أصحاب الاخبار وأهل السير من
أهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد أخرج البخاري في افراذه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة الحديث فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل أباه تاريخ فثبت بهذا ان اسمه الاصل آزر لان تاريخ والله أعلم ﷺ وقوله
تعالى (أتخذنا أصناما آلهة) معناه اذ كركل قومك بما محمد قول إبراهيم لا يبيد آزر أتخذنا أصناما آلهة تعبدها
من دون الله الذي خلقك ورزقك والاصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد
أو ذهب أو فضة على صورة الانسان وهو الوثن أيضا (انى أراك وقومك في ضلال مبين) يعنى بقول إبراهيم
لا يبيد آزر انى أراك وقومك الذين يعبدون الاصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال يعنى عن طريق الحق
مبين يعنى بين من أبصر ذلك فانه لا يشك ان هذه الاصنام لا تنفع ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركى
العرب باحوال إبراهيم ومحاجته لا يبيد وقومه لانهم كانوا يعظمون إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويعترفون
بفضله فلا جرم ذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في معرض الاحتجاج على المشركين
ﷺ قوله عز وجل (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والارض) معناه وكما أرى ابراهيم البصيرة
في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الاصنام نرى ملكوت السموات والارض
فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نرى ابراهيم لانه تعالى كان أراه بعين
البصيرة ان أباه وقومه على غير الحق خالفهم فجاء الله بان أراه به ذلك ملكوت السموات والارض
فخسفت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالرهوت والرغبوت والرحوت
من الرهبة والرغبة والرحمة وقال ابن عباس يعنى خالق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير
يعنى آيات السموات والارض وذلك انه أقيم على صخرة وكشف له عن السموات حتى رأى العرش والكرسى
وما فى السموات من العجائب وحتى رأى مكانه فى الجنة فذلك قوله وآتينا أجره فى الدنيا يعنى أرى بناء مكانه
فى الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر الى أسفل الارضين ورأى ما فىهن من العجائب قال البغوى
وروى عن سلمان ورفعه بعضهم عن على قال لما رأى ابراهيم ملكوت السموات والارض أبصر رجلا
على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له تبارك
وتعالى يا إبراهيم أنت رجل محاب الدعوة فلان دعوتى على عبادى قائما أنا من عبدى على ثلاث خلال
أما أن يتوب الى فاتوب عليه وأما أن أخرج منه نسمة تعبدنى وأما أن يبعث الى فان شئت عفوت وان
شئت عاقبت وفى روايه وان تولى فان جهنم من ورائه قال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر
والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار واختلف فى هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو
بعين البصيرة على قولين أحدهما انها كانت بعين البصر الظاهر فشق لابراهيم السموات حتى رأى العرش
وشق له الارض حتى رأى ما فى بطنها والقول الثانى ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لان ملكوت
السموات والارض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف الا بالعقل فبان بهذا ان هذه الرؤية كانت بعين البصيرة
الآن يقال المراد ملكوت السموات والارض نفس السموات والارض وقوله تعالى (وليكون من الموقنين)
عطف على المعنى ومعناه وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ليستدل به وليكون من
الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لان الانسان فى أول الحال لا يتفكك
عن شبهة وشك فاذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين والطمأنينة فى القلب وزالت

خلاف بين النسائين ان
اسم آبيه تاريخ وهو عطف
بيان لا يبيد وزنه فاعل (أتخذنا
أصناما آلهة) استفهام
نوبيخ أى أتخذنا آلهة
وهى لا تستحق الالهية (انى
أراك وقومك فى ضلال
مبين وكذلك) أى وكما
أرى بناء فبيح الشرك (نرى
ابراهيم ملكوت السموات
والارض) أى نرى بصيرته
اطائف خالق السموات
والارض ونرى حكاية حال
ماضية والملكوت أبغ من
الملك لان الوار والتناء
تزدان للبالغة قال مجاهد
فرجت له السموات السبع
فنظر الى ما فىهن حتى انتهى
نظره الى العرش وفرجت
له الارضون السبع حتى
نظر الى ما فىهن (وليكون
من الموقنين) فعملنا ذلك
أولئستدل وليكون من
الموقنين عيانا كما يقن بيانا

الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلاله الامر سره وعلايته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلاق فلما جعل يامن أصحاب الذنوب قال الله تعالى انك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فعنى الآية على هذا القول وكذلك ارضه ملكوت السموات والارض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا ﴿ قوله تعالى ﴾ (فلما جن عليه الليل) يقال جن الليل واُجن اذا ظلم وغطى كل شيء واُجنه الليل وجن عليه اذا ستره بسواده (رأى كوكبا قال هذاري)

﴿ ذكر القصة في ذلك ﴾

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار والسيرة ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود اول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا قد طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففرغ من ذلك فرعاشد يدا فدعا السحرة والكهان وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك وهلاك أهل دينك على يديه فامر بذبج كل غلام يولد في تلك السنة ناحيته وأمر بزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة رجلا يحفظهم فاذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا الاجامعون في الحيض فاذا ظهرت من الحيض حالوا بينها قالوا فرجع آزر فوجد امراة فظهرت من الحيض فواقها فحملت بابراهيم وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقرية خبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي فرج نمرود بالرجال الى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فسكت بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأمن عليها أحد من قومه الا آزر فبعث اليه فاحضره عنده وقال له ان لي اليك حاجة أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها الا لتقتي بك فاقسمت عليك أن لا تدن من أهلك فقال آزر أنا شح على ديني من ذلك فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك ثم قال لودخلت على أعلى فنظرت اليهم فلما دخل على أم ابراهيم ونظر اليها لم يتمالك حتى واقها فحملت من ساعتها بابراهيم قال ابن عباس لما حملت أم ابراهيم قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي أخذ برناك به قد حملت به أمه الليلة فامر نمرود بذبج الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها قالوا فوضعت في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلقاء ثم رجعت فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد في موضع كذا فانطلق اليه أبوه فاخذه من ذلك المكان وحفر له سرايا في النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضه وقال محمد بن اسحق لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه لتنظر ما فعل فتجد حيا وهو يمص ابهامه قال أبو روق قالت أم ابراهيم لانظرن الى اصابه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع تمرا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعلت فقالت ولدت غلاما مات فعصدها وسكت عنها وكان ابراهيم يشب في اليوم كالثور وفي الشهر كالسنة فلم يمكث في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال اخر جيني فاخرجه عشاء فنظر وتفكر في خالق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسد قاني لربي الذي مالى اله غيره ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذاري ثم أتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فلما أفل قال لأحب الآفاين فلما رأى القمر بازغا قال هذاري وأتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب ثم طاعت الشمس قال هكذا الى آخره ثم رجعت به الى أبيه آزر وقد استقامت وجهته

(فلما جن عليه الليل) أى أظلم وهو عطف على قال ابراهيم لابي وقوله وكذلك ترى ابراهيم جلة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رأى كوكبا) أى الزهرة أو المشتري وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيئا منها ليس باله لقيام دليل الحدوث فيها ولان لها محداثا حدثها ومدبراد برطلوعها وأقوالها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذي كانوا يعبدونه (قال هذاري) أى قال لهم هذاري في زعمكم والمراد أهدا استهزاء بهم وانكارا عليهم والعرب تكثف عن حرف الاستهزاء بنعمة الصوت والصحيح ان هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لذهبه لانه ادعى الى الحق وأنجى من الشغب ثم بكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة

وعرف ربه وهو برى من دين قومه الا انه لم ينادهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته انه ابنه وأخبرته بما صنعت به ففسر بذلك وفرح فرحاً شديداً وقيل انه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قالوا أقام سائب ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت أما قال فن ربي بك قالت أبوك قال فن ربي أمي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت رأيت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال فأتاه أبوه آزر فقال ابراهيم بأبائه من ربي قال أمك قال فن ربي أمي قال أنا قال فن ربي بك قال فن ربي ود فلما طمأنه وطمأنه وقال اسكت فلما اجن عليه الليل دنا من باب السرب فنظر في خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذاربي ويقال انه قال لابويه أخرجاني فاخرجاه من السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل ولغتم فسأل أباه ما هذه قال ابل وخيل وغتم فقال ابراهيم ما هذه بدم من أن يكون لها اله وهو ربه او خالقها ثم نظر فاذا المشتمري قد طمأنه ويقال انها الزهرة وكانت تلك الليلة من آخر الشهر فتأخر طلوع القمر فرأى الكوكب قبيل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن عليه الليل يعني ستره بظلامه رأى كوكبا قال هذاربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت هذا القول هل كان قبل البلوغ أو بعده على قولين أحدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفولته وذلك قبل قيام الحج عليه فلم يكن لهذا القول لدى صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب عليه حكم لان الاحكام انما تنبت بعد البلوغ وقيل ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله بالعقل الكامل والقطرة السليمة تفكر في نفسه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو اله الخالق ثم نظر في حال تفكره فرأى الكوكب وقبلاً زهر فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال طفولته وقبل استحكام النظر في معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل أصحاب هذا القول على صحته بقوله نبي لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحج وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الاوقات الا وهو بالله عارف وله موجد وله من كل منقصة منزله ومن كل معبود سواه برىء وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والارض أفبرؤية الكوكب يقول معتقدا هذاربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه أعلى وأشرف من ذلك صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جهوه المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول كان بعد بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ثم اختلف أصحاب هذا القول في تأويل الآية ومعناها فذكر وفيها وجوها الوجه الاول أن ابراهيم عليه السلام أراد أن يستدرج قومه بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها سافرا هم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما أقل الكوكب والقمر والشمس أراهم النقص الداخل على النجوم بسبب الغيبوبة والافول لبثت خطأ ما كانوا يعتقدون فيهم من الالوهية ومثل هذا كمثل الخواري الذي ورد على قوم كانوا يعبدون صنفاً ظهر تعظيمه فآكروموا لذلك حتى صاروا يصدرون عن رأيه في كثير من أمورهم الى أن دهمهم عدواً قبل لهم به فشاؤروا وفي أمر هذا العدو فقال الرأي عندي أن ندعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يبعن شيئاً فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الخواري وأمرهم أن يدعوا الله عز وجل ويسألوه أن يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مختاصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا جميعاً الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديراً له هذاربي الذي تزعمون واسقاط

(فلما أفل) غاب (قال لأحب الآفلين) أي لأحب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال لان ذلك من صفات الاجسام (فلما رأى القمر بازغا) مبتدأ في الطلوع (قال هذاربي فلما أفل قال ان لم يهدني ربي لا كون (٣١) من القوم الضالين) به قومه

حرف الاستفهام كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى أفان مت فهم الخالدون يعني أفهم الخالدون والمعنى
أ يكون هذاربي باودلائل النقص فيه ظاهرة الوجه الثالث ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على وجه
الاحتجاج على قومه يقول هذاربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق
انك أنت العزيز الكريم يعني عند نفسك و بزعمك وكما أخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى انظر الى
الهلك الذي ظلت عليه عاكفا يريد الهلك بزعمك الوجه الرابع ان في هذه الآية اضمارة تقديره
يقولون هذاربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذيرفع ابراهيم القواعد من
البيت واسمعه لير بنا تقبل بنا أي يقولون ر بنا تقبل منا الوجه الخامس ان الله تعالى قال في حقه وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما اجن عليه الليل والفاء تقتضي
التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراد الله ملكوت السموات والارض و بعد الايقان ومن
كان معه بهذه المنزلة العالية الثمر يفتة لا يلقى بحاله ان بعد الكواكب ويتخذها ربا فاما الجواب عن قوله
لئن لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين فان الانبياء عليهم السلام لم يزوا يسألون الله التثبيت ومنه
قوله واجنبنني وني ان بعد الاصنام و ما قوله تعالى (فلما أفل) يعني غاب والافول غيبة النيرات (قال) يعني
ابراهيم (لأحب الآفلين) يعني لأحب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهرة ﴿ قوله تعالى
(فلما رأى القمر بازغا) يعني طالعا منتشرا ضوءا (قال هذاربي) معناه ما تقدم من الكلام في الكوكب
(فلما أفل) يعني غاب (قال ان لم يهدني ربي لا كون من القوم الضالين) يعني ان لم يثبتني ربي على الهدى
وليس المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزوا على الهداية من اول الفطرة وفي الآية دليل على أن
الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية لله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة) يعني طاعة (قال هذا
ربي) يعني هذا الطالع أو انه أشار الى الضياء والنور لانه رأى الشمس أضوا من الكوكب والقمر وقيل
انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيت الشمس غير حقيقي فلها أتى بلفظ التذكير (هذا كبر) يعني من
الكوكب والقمر (فلما أفلت) يعني فلما غابت الشمس (قال يا قوم اني برى عما تشركون) يعني انه لما
أثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل القطعي ان هذه النجوم ليست بألهة ولا تصلح للربوبية تبرأ منها وأظهر
لقومه انه برى عما يشركون ولما أظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم أظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال
(اني وجهت وجهي) يعني اني صرفت وجه عبادتي وقصرت توحيدى (لله الذى فطر السموات والارض)
يعنى الذى خلقهما وابتدعهما (حنيفا) يعنى ما نال عن عبادة كل شئ سوى الله تعالى وأصل الحنفا الميل
وهو ميل عن طريق الضلال الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذى يستقبل الكعبة في صلته (وما
أنا من المشركين) تبرأ من الشرك الذى كان عليه قومه ﴿ قوله عز وجل (وحاجه قومه) يعنى وخاصه قومه
وذلك لما أظهر ابراهيم عليه السلام عيب آلهتهم التى كانوا يعبدونها وأظهر التوحيد لله عز وجل خاصه
قومه وجادلوه في ذلك فقال أنا حاجونى في الله يعنى أنا تجدوننى في توحيدى لله وقد هدانى وقد تبين لى طريق
الهداية الى توحيدى ومعرفة الله وقال البغوى لما رجع ابراهيم الى أبيه وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع
الذبايح وضمه آزالى نفسه جعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادى
من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها أحد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصب فيه رؤسها وقال انى
استهزاء بقومه وبما هم فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه وأهل قريته حاجه قومه يعنى خاصه
وجادله قومه في دينه (قال) يعنى ابراهيم (أنا حاجونى في الله وقد هدانى) يعنى الى توحيدى ومعرفة الله (ولا

على ان من اتخذ القمر الها فهو ضال وانما احتج عليهم بالافول دون البروز وكلاهما انتقال من حال الى حال لان الاحتجاج به أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فلما رأى الشمس بازغة قال هذاربي) وانما ذكره لانه أراد الطالع اولانه جعل المبتدأ مثل الخير لانها شئ واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التانيت ولهذا قالوا في صفات الله تعالى على اعلام ولم يقولوا علامة وان كان الثانى أبلغ تفاديا من علامة التانيت (هذا كبر) من باب استعمال النصفة أيضا مع خصومه (فلما أفلت قال يا قوم اني برى عما تشركون) من الاجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحاجه الله تعالى والاول أظهر لقوله يا قوم اني برى عما تشركون (اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض) أى للذى دات هذه المحدثات على انه مشتها (حنيفا) حال أى ما نال عن الاديان كلها الا الاسلام (وما أنا من المشركين) بالله

شيا من خلقه (وحاجه قومه) في توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قال أنا حاجونى في الله) في توحيدى مدنى وابن ذكوان (وقد هدانى) الى التوحيد وبالبياء فى الوصل أبو عمرو وولما خوفوه أن معبودتهم تصيبه بسوء قال (ولا

أخاف ما تشركون به الآن يشاء ربى شيئاً) أى لا أخاف معبوداتكم في وقت قتلها لا تنفرد على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربى أن يصيبني منها بضر فهو قادر (٣٢) على أن يجعل فيها شاء نفعاً وفيها شاء ضرراً الا صنم (وسمع ربى كل شئ علماً)

أخاف ما تشركون به) وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فاما تخاف أن تمسك بنجل أو جنون اعبيك اياها فاجابهم بقوله ولا أخاف ما تشركون به فانها جادات لا تنضر ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن بقدر على النفع والضرر وهو قوله (الآن يشاء ربى شيئاً) يعنى لكن ان يشأ ربى شيئاً كان ما يشاء لانه قادر على النفع والضرر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حاله وأيام عمره ما يكرهه فلما أصابه مكرهه نسبوه الى الاصنام فنفي هذه الشبهة بقوله الآن يشاء ربى شيئاً وهذا استثناء منقطع وليس هو من الاول في شئ والمعنى وانما تشركون ان شاء ربى شيئاً كان (وسمع ربى كل شئ علماً) يعنى احاط علمه بكل شئ فلا يخرج شئ عن علمه (أفلا تتذكرون) يعنى أفلا تعتبرون أن هذه الاصنام جادات لا تنضر ولا تنفع وان الذافع الضار هو الذى خاق السموات والارض ومن فيهما (وكيف أخاف ما تشركتم) يعنى وكيف أخاف الاصنام التى تشركتم بها لانها جادات لا تبصر ولا تسمع ولا تنضر ولا تنفع (ولا تخافون أن تشركتم بالله) يعنى وأتم لتخافون وقد أشركتم بالله وهو من أعظم الذنوب (ما لم ينزل به عليكم سلطاناً) يعنى ما ليس لكم فيه حجة وبرهان (فاى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون) يعنى يقول من أولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحداً والمشرِك (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) وهذا فصل قضاة الله بين ابراهيم وبين قومه يعنى ان الذين يستحقون الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقيل هو من تمام كلام ابراهيم في المحاجة لقومه والمعنى ان الذين يحصل لهم الامن يوم القيامة هم الذين آمنوا يعنى آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئاً ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخاطوا ايمانهم بشرك (ق) عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا يا نبالا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك انما هو الشرك ألم تسمعون اقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وى رواية ايس هو كما تظنون انما هو الشرك كما قال لقمان لابنه وذكروه وقيل فى معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم يعنى ولم يخلطوا ايمانهم بشئ من معانى الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه أو يترك ما أمر الله به فعلى هذا القول تكون الآية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معانى الظلم دون غيره والصحيح أن الظلم المذكور فى هذه الآية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفى الآية دليل على أن من مات لا يشرك بالله شيئاً كانت عاقبته الامن من النار قوله (أو لئلا تشركوا بالله) يعنى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم (لم الامن) يوم القيامة من عذاب النار (وهم مهتدون) يعنى الى سبيل الرشاد وقوله تعالى (ولئلا تشركوا بالله شيئاً) يعنى ماجرى بين ابراهيم وبين قومه واستدل على حدوث الكوكب والقمر والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم اننا نخاف عليك من آلهتنا لسببك اياها قال أفلا تخافون انتم منها اذ سويت بين الصغير والكبير فى العبادة أن يفض الكبير عليكم وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال أى الفريقين أحق بالامن من يعبد الهوا واحداً مخلصه الدين والعبادة أم من يعبد ارباباً كثيرة فقالوا من يعبد الهوا واحداً فاقضوا على أنفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم (ترفع درجات من نشاء) يعنى بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رجعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى محاجة قومه وقيل ترفع درجات من نشاء فى الدنيا بالنسوة والعلم والحكمة وفى الآخرة بالثواب على الاعمال الصالحة (ان ربك حكيم عليم) يعنى أنه تعالى حكيم فى جميع أفعاله عليم بجميع أحوال خلقه لا يفعل شيئاً الا بحكمة وعلم ﴿ قوله عز وجل (ووهبنا له اسحق ويعقوب) لما أظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغاب خصمه بالحجيج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التى فهمه الله تعالى اياها وهداه اليها بعد ان هداه الله

فلا يصيب عبداً شئ من ضرراً ورفع الابعله (أفلا تتذكرون) فتميزوا بين القادر والعاجز (وكيف أخاف ما تشركتم) معبوداتكم وهى مأثومة الخوف (ولا تخافون أن تشركتم بالله) ما لم ينزل به (بشراكم) عليكم سلطاناً) حجة اذا الاشراك لا يصح أن يكون عليه حجة والمعنى وما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على أنفسكم الامن في موضع الخوف (فاى الفريقين) أى فريقى الموحدين والمشركين (أحق بالامن) من العذاب (ان كنتم تعلمون) ولم يقل فاينا احترازاً من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) يشرك عن الصديق رضى الله عنه (أولئك هم الامن وهم مهتدون) ثم كلام ابراهيم عليه السلام (ولئلا تشركوا بالله شيئاً) إشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى وهم مهتدون (آياتها) ابراهيم على قومه) وهو

نعمه

خبر بعد خبر (ترفع درجات من نشاء) فى العلم والحكمة والتنوين كوفى وفيه نقض قول المعتزلة فى الاصح (ان ربك حكيم) بالرفع (عليهم) بالاهل (ووهبنا له) لابراهيم (اسحق ويعقوب)

نعمه عليه واحسانه اليه بان رفع درجته في علمين وأبقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له
 يعني لبراهيم اسحق يعني اباصلح ويعقوب يعني ابن اسحق وهو ولد الولد (كلا هدينا) يعني هدينا جميعهم
 الى سبيل الرشاد ووقفناهم الى طريق الحق والصواب (ونوحا هدينا من قبل) يعني من قبل ابراهيم ارسدنا
 نوحا ووقفنا له للحق والصواب ومننا عليه بالهداية (ومن ذريته) اختافوا في هذا الضمير الى من يرجع
 فقيل يرجع الى ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم (داود وسليمان) وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور
 المفسرين لان الضمير يرجع الى اقرب مذكور ورولان الله ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخی
 ابراهيم ولم يكن من ذريته فثبت بهذا ان هاهنا الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائزان لان
 ذكرهما جميعا قد جرى وداود هو ابن يشا وكان ممن آتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود (وأيوب)
 هو ايوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم (ويوسف) هو ابن يعقوب بن
 اسحق بن ابراهيم (وموسى) هو ابن عمران بن بصير بن قاهث بن لادى بن يعقوب (وهرون) هو أخو
 موسى وكان أكبر منه بسنة (وكذلك نجزي المحسنين) يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيد صبره على أذى
 قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم (وزكريا) هو ابن آذن بن بركا (ويحيى) هو ابن زكريا
 (وعيسى) هو ابن مريم بنت عمران (والياس) قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل
 وقال محمد بن اسحق هو الياس بن سنان بن قعاص بن العيزار بن هرون بن عمران وهذا هو الصحيح لان
 أصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا ابن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس
 ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الآية الى نوح وجهه من ذريته (كل من الصالحين) يعني أن كل من
 ذكرنا وسمينا من الصالحين (واسماعيل) هو ابن ابراهيم وانما أخذ كره الى هنا لانه ذكر اسحق وذکر
 أولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب أخذ كراسماعيل الى هنا (واليسع) هو ابن أخطوب بن
 العجوز (ويونس) هو ابن متى (ولوطا) هو ابن اخی ابراهيم (وكلا فضلنا على العالمين) يعني على عالمي
 زمانهم ويستدل بهذه الآية من يقول ان الانبياء أفضل من الملائكة لان العالم اسم لكل موجود سوى الله
 تعالى فيدخل فيه الملك فيقتضى أن الانبياء أفضل من الملائكة واعلم أن الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا
 من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لاجب الزمان ولا بحسب الفضل لان الواو لا تقتضى الترتيب ولكن
 هنا طائفة وأجبت هذا الترتيب وهي أن الله تعالى خص كل طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من
 الكرامة والفضل فذكر اولانوحا و ابراهيم واسحق ويعقوب لانهم أصول الانبياء واليهم يرجع انسابهم
 جميعا ثم من المراتب المعبرة بعد النبوة الملك والقدرة والسلطان وقد اعطى الله داود وسليمان من ذلك حظا
 وافرا ومن المراتب الصبر عند نزول البلاء والمحن والشدة وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف
 على هاتين المراتبتين من جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة الى أن اعطاه الله
 ملك مصر مع النبوة ثم من المراتب المعبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد
 خص الله تعالى موسى وهرون من ذلك بالحظ الوافر ثم من المراتب المعبرة الزهد في الدنيا والاعراض عنها
 وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم من الصالحين
 ثم ذكر الله من بعد هؤلاء الانبياء من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسمعيل واليسع ويونس ووطا فاذا اعتبرنا
 هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من أحسن شيء يذكر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه
 ﴿ قوله تعالى (ومن آياتهم) يعني ومن آيات الذين سميناهم ومن هنا التبعيض لان من آيات بعضهم من لم يكن
 مسلما (وذرياتهم) يعني ومن ذرياتهم أي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم
 من هو كافر كابن نوح (واخوانهم) يعني ومن احوالهم والمعنى ان الله تعالى وفي من آياتهم كورين ومن
 واخواتهم

واجتبتناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك) أى ما دان به هؤلاء المذكورون (هدى الله) دين الله (يهدى به من يشاء من عباده) فيه نقض قول المعتزلة لانهم

(٣٤)

اخوانهم وذر يانهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى (واجتبتناهم) يعنى اخترناهم واصطفيناهم (وهديناهم) يعنى وأرشدناهم (الى صراط مستقيم) أى الى دين الحق (ذلك هدى الله) قال ابن عباس ذلك دين الله الذى كان عليه هؤلاء الانبياء وقيل المراد يهدى الله معرفة الله وتزنيه عن الشركاء والاضداد والانداد (يهدى به من يشاء من عباده) يعنى يوفق من يشاء من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد والشركاء (ولو أشركوا) يعنى هؤلاء الذين سميانهم (الخط) يعنى لبطل وذهب (عنهم) ما كانوا يعملون) من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيئاً ﴿ قوله عز وجل (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) يعنى أولئك الذين سميانهم من الانبياء أعطيناهم الكتاب التى أنزلناها عليهم وآتيناهم العلم وانهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة على النبوة وان كانت النبوة هى الاصل لان منصب النبوة أشرف المراتب والمناصب فذكر الكتاب والحكمة على لانها مبدلان على النبوة (فان يكفر بها هؤلاء) يعنى فان يحد بدلائل التوحيد والنبوة كفار قريش (فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) قال ابن عباس هم الانصار وأهل المدينة وقيل هم المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج قال والدليل عليه قوله أو تلك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال رجاء العطاردى هم الملائكة وية بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بنى آدم وقيل هم الفرس قال ابن زبدي كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكاً أو نبياً أو من الصحابة أو التابعين وفى الآية دليل على أن الله تعالى ينصر نبيه صلى الله عليه وسلم ويقوى دينه ويجعله عالياً على الاديان كلها وقد جعل ذلك فهو اخبار عن الغيب ﴿ قوله تعالى (أولئك الذين هدى الله) يعنى النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم الخصوصون بالهداية (فبهداهم اقتده) اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعنى فبشرائعهم وسننهم اعلم وأصل الاقتداء فى اللغة طلب موافقة الثانى للاول فى فعله وقيل أمره أن يقتدى بهم فى أمر الدين الذى أمرهم أن يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتزيمه عن جميع النقاىص التى لانلىق بجلاله فى الاسماء والصفات والافعال وقيل أمره الله أن يقتدى بهم فى جميع الاخلاق الحميدة والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على أذى السفهاء والعفو عنهم وقيل أمره أن يقتدى بشرائعهم الاما خصه دليل آخر فعلى هذا القول يكون فى الآية دلائل على أن شرع من قبلنا شرع لنا

﴿ فصل ﴾ احتج العلماء بهذه الآية على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه أن جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على أذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم و بذل ومجاهدة فى الله عز وجل وكان اسحق ويعقوب من أصحاب الصبر على البلاء والمحن وكان داود عليه السلام وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة قال الله فيهم اعلموا آل داود شكرا وكان أيوب صاحب صبر على البلاء قال الله فيه انا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب وكان يوسف قد جمع بين الخالتين يعنى الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس من أصحاب الزهد فى الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب نضرة وخبات ثم ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقتدى بهم وجمع له جميع الخصال الحمودة المتفرقة فيهم فثبت بهذا البيان أنه صلى الله عليه وسلم كان أفضل الانبياء لما اجتمع فيه من هذه الخصال التى كانت متفرقة فى جميعهم والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً) يعنى قل يا محمد

وتقدمهم وبارفع لهم من الدرجات العلى (الخط) عنهم ما كانوا يعملون) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ايحبطن عملك (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (والحكم) والحكمة أو فهم الكتاب (والنبوة) وهى أعلى مراتب البشر (فان يكفر بها) بالكتاب والحكم والنبوة أو آيات القرآن (هؤلاء) أى أهل مكة (فقد وكلنا بها قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبي عليه السلام أو كل من آمن به أو ألجم ومعنى توكيله هم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهد به ويحافظ عليه والباء فى (ليسوا بها) صلة كافرين وفى (بكافرين) لتأكيد النفي (أولئك الذين هدى الله) أى الانبياء الذين مر ذكرهم (فبهداهم اقتده) فاختص هدايتهم بالاقتداء ولا تقدم الابهم وهذا معنى تقديم المفعول والمداد

لا

بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة

والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الوصل واستحسن اشارة الوقف لثبات الهاء فى المصحف ويحدفها جزرة وعلى فى الوصل ويختلسها شامى (قل لا أسألكم عليه) على الوحى أو على تبليغ الرسالة والدعاء الى التوحيد (أجر) جزء لا وفيه دلائل على أن أخذ الاجر على تعلم القرآن

لا يطلب على تبليغ الرسالة جعلاً قيل ما أمره الله تعالى بالافتداء بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم طلب
الاجر على ائصال الدين وابلغ الشريرة لاجرم اقتدى بهم فقال لأسألكم عليه أجزاً (ان هو) يعني ما هو يعني
القرآن (الا ذكرى للعالمين) يعني أن القرآن موعظة وذكري لجميع العالم من الجن والانس وفيه دليل على أنه
صلى الله عليه وسلم كان مبعوثاً الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمّت جميع الخلائق ﴿قوله عز
وجل (وما قدر والله حق قدره) قال ابن عباس معناه ما عظموا الله حق عظمتة وعنه أن معناه ما آمنوا أن
الله على كل شيء قدير وقال أبو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال
قدر الشيء اذا حزره وسيره وأراد أن يعلم مقداره يقال قدره يقدره بالضم قدرته يقال لمن عرف شيئاً هو
يقدر قدره واذ لم يعرفه بصفاته يقال فيه انه لا يقدر قدره فقوله وما قدر والله حق قدره يصح فيه جميع الوجوه
المدكورة في معناه (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) يعني الذين قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ما قدروا
الله حق قدره ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلماء
فيمن نزلت هذه الآية على قولين أحدهما أنها نزلت في كفار قريش وعلى هذا قول من يقول ان جميع هذه
السورة مكية وهو قول السدي ويروى ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من أول السورة الى هذا
الموضع هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولاً بذلك غير مفصول
عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء خبراً عن غيرهم وأورد في الخبر الرازي على هذا القول
اشكالا وهو أن كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبياء فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وايضاً فبعد
هذه الآية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود وأجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود
وقد سمعوا منهم أن موسى جاءهم بالتوراة وبالمجيزات الباهرات وانما أنكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأجاب عن كون سياق الآية لا يليق
بالجبال اليهوديان كفار قريش واليهود لما كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يبعد
ان بعض الآية يكون خطاباً لكفار قريش وبه ضابطها خطاباً لليهود واقول الثاني في سبب نزول هذه الآية
وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه الآية نزلت بالمدينة واسما من
الآيات المدنية التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الاست آيات منها قوله وما قدروا
الله حق قدره فاما نزلت بالمدينة ثم اختلف القائلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الآية فيه فقال سعيد
ابن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين وكان حبراً
سميناً فغضب وقال والله ما أنزل الله على بشر من شيء فقال أصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال والله
ما أنزل الله على بشر من شيء فانزل الله وما قدر والله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدي للناس الآية قال البغوي وفي القصة أن مالك بن الصيف لما سمعت
اليهود منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا أليس الله أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء
فقال مالك بن الصيف أغضبتني محمد فقلت ذلك فقالوا له وأنت اذا غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه
عن الحبرية وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت هذه الآية في فنحاص بن غاز وراء اليهودي
وهو القائل هذه المقالة وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد أنزل الله عليك كتاباً قال نعم فقالوا والله ما أنزل
الله من السماء كتاباً فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل
الكتاب الذي جاء به موسى الآية وقال محمد بن كعب القرظي جاء ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو محتب فقواوا بالقسام ألا تأتينا بكتاب من السماء كما جاء به موسى ألواها بحملها من عند الله فانزل

ورواية الحديث لا يجوز
(ان هو الا ذكرى للعالمين)
ما القرآن الاعطية للجن
والانس (وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله
على بشر من شيء) أى ما
عرفوه حق معرفته في
الرحمة على عباده حين
أنكروا بعثة الرسل
والوحى اليهم وذلك من
أعظم رحمتهم وما أرسلناك
الارحة للعالمين روى أن
جماعة من اليهود منهم
مالك بن الصيف كانوا
يحادلون النبي عليه السلام
فقال النبي عليه السلام له
أليس في التوراة أن الله
يبغض الحبر السمين قال نعم
قال فأت الحبر السمين
فغضب وقال ما أنزل الله
على بشر من شيء وحق
قدره منصوب نصب المصدر

قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا) مما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات ففرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والاختفاء بالياء في الثلاثة مكي وأبو عمرو (وعلمتم) يا أهل الكتاب بالكتاب (مالم تعلموا) من أمور دينكم وديناكم (قل الله) جواب أي أنزله الله فافهم لا يقدر أن يناكروك (ثم ذرهم في خوضهم) في باطلهم الذي يخوضون فيه (يلعبون) حال من ذرهم أو من خوضهم (وهذا كتاب أنزلناه) على نبينا عليه السلام (مبارك) كثير المنافع والفوائد (مصدق الذي بين يديه) من الكتب (ولتنذر) وبالياء أبو بكر أي الكتاب وهو معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانداد (أم القرى) مكة وسميت أم القرى لأنها سررة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنًا ولأن الناس يؤمنونها (ومن حولها) أهل الشرق والغرب

الله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء الآية التي في سورة النساء فلما حدثهم بأعمالهم الخبيثة جئنا رجل منهم وقال ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئا فأنازل الله وما قدره الله حق قدره إذا قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وأورد الرازي على هذا القول اشكالاً أيضاً وهو أنه قال إن اليهود مقررون بأنزال التوراة على موسى فكيف يقولون ما أنزل الله على بشر من شيء مع اعترافهم بأنزال التوراة ولم يجب عن هذا الاشكال بشيء وأجيب عنه إن سراديبه ودانكار انزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقط ولهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى فقال تعالى (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) أي قل يا محمد هؤلاء اليهود الذين أنكروا انزال القرآن عليك بقولهم ما أنزل الله على بشر من شيء من أنزل التوراة على موسى وفي هذا الاقرار توبيخ لليهود بسوء جهلهم وافدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر (نورا وهدي للناس) يعني التوراة ضياء من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل أن تبذل وتغير (يجعلونه قراطيس) يكتبونه في قراطيس مقطعة (يبدونها) يعني القراطيس المكتوبة (ويخفون كثيراً) يعني ويخفون كثيراً كما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التوراة وما أخفوه أيضاً آية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة (وعلمتم مالم تعلموا) أنتم ولا آباؤكم) أكثر المفسرين على أن هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم من قبل قال الحسن جعل لهم علم ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعه ولم ينتفعوا به وقال مجاهد هذا خطاب للساميين يذكركمهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) هذا راجع الى قوله قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فإن أجاوبك يا محمد والافقل أنت الله الذي أنزله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) يعني دعهم يا محمد فياهم فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزئون ويستخرون وقيل معناه يا محمد انك اذا أقت الحجة عليهم وبلغت في الاعتذار والانداد هذا المبالغ العظيم حينئذ لم يبق عليك من أمرهم شيء فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للشركيين وقال بعضهم هذا منسوخ بآية السيف وفيه بعد لانه من كور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني وهذا القرآن كتاب أنزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية وأصل البركة النماء والزيادة وثبوت الخير (مصدق الذي بين يديه) يعني من الكتب المنزلة من السماء على الانبياء يعني انه موافق لما في التوراة والانجيل وسائر الكتب لانها اشتملت جميعها على التوحيد والتز به لله من كل عيب وتقيسة وتدل على البشارة والندارة فثبت بذلك كون القرآن مصدقاً لجميع الكتب المنزلة (ولتنذر) قرى بآباءه يعني ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب (أم القرى) يعني مكة وفيه حذف تقديره ولتنذر أهل أم القرى وسميت مكة أم القرى لان الارض دحيت من تحتها قاله ابن عباس وقيل لانها أقدم القرى وأعظمها بركة وقيل لانها قبلة أهل الارض (ومن حولها) يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالبعث بعد الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان الذي يؤمن بالآخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك فانه يرغب في تحصيل الثواب ودرء العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة ان دين محمد أشرف الاديان وشريعته أعظم الشرائع (وهم على صلاتهم يحافظون) يعني يداومون عليها في أوقاتها والمعنى ان الايمان بالآخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعباقبة ويحافظونها (يؤمنون به) بهذا الكتاب فاصل الدين خوف (محمل العاقبة) خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وهم على صلاتهم يحافظون) خصت الصلاة بالذكر لانها عماد الدين فمن حافظها

يحمل على المحافظة على الصلاة وفائدة تخصيص الصلاة بالد كرون سائر العبادات التذنيه على أنها أشرف العبادات بعد الايمان بالله تعالى فإذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات ﴿قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني ومن أعظم خطأ وأجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل (أوقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء) قال قتادة نزات هذه الآية في مسيئة الكذاب ابن عامر وقيل مسيئة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات وكهانة وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله أوحى اليه وكان قد أرسل الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولين فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عليه وسلم انما نزل الله صلى الله عليه وسلم أن تشهد ان لا اله الا الله صلى الله عليه وسلم لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما أنا نائم إذ أتيت خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبيرا على وأهمني فأوحى الى أن أنفخهما فنفختهما فطارا فأتتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام كان في يدي سوارين فأتتهما كذابين يخرجان من بعدي يقال لاحدهما مسيئة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعا وقوله فأوحى الى ان أنفخهما يروى بالخاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفخت الدابة برجلها إذا دفعت ورحت ويروى بالخاء المعجمة من النفخ بريدانه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيئة الكذاب فانه ادعى النبوة باليمامة من اليمن وتبعه قومه من بني حنيفة وكان صاحب نيرجات فاعترق قومه بذلك وقتل مسيئة الكذاب في زمن خلافة أبي بكر الصديق قتله وحشى قاتل حزة بن عبد المطلب وكان وحشى يقول قتلت خير الناس يعني حزة وقتلت شر الناس يعني مسيئة وأما الاسود العنسي بالنون فهو عبهلة بن كعب وكان يقال له ذوالخار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يموت وذلك قبل موته بيومين وأخبر أصحابه بقتله وقتله فيروز الدلمي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسي فمن قال ان هذه الآية يعني قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وقال أوحى الى ولم يوح اليه شيء أنزات في مسيئة الكذاب والاسود العنسي يقول ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة وهو قول بعض علماء التفسير تقدم ذكره في أول السورة ومن قال ان هذه الآية مكية وقال انها نزلت في شأنهم ما يقول انها أخبر عن عيب قد ظهر ذلك فيما بعد والله أعلم ﴿قوله تعالى (ومن قال مثل ما أنزل الله) اليك قال السدي نزلت في عبد الله بن أبي سرح القرشي وكان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سميا بصيرا كتب عليهما حينما وإذا أملى عليه عليهما حكما كتب غفورا رحيا فاما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين أملاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا نزلت فشك عبد الله بن أبي سرح وقال لمن كان محمد صادقا فاقه أوحى الى مثل ما أوحى اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالشركين ثم رجع عبد الله بعد ذلك الى الاسلام فأسلم قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سأ نزل مثل ما نزل الله في المسهزين وهو جواب اقوالهم لولم يوح اليه شيء هذا قال العلماء وقد دخل في حكم هذه الآية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب من عموم الحكم (ولوتري اذا الظالمون في غمرات الموت) يعني ولوتري يا محمد حال هؤلاء الظالمين اذا نزل بهم الموت رأيت أمرا عظيما وغمراته شدائده وسكراته وغمره كل شيء معظمه وأصلها شيء الذي يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع الشدائد والمكاره (والملايكه باسطوا أيديهم) يعني بالعباد يضر بون وجوههم وأديارهم وقيل باسطوا أيديهم قبض أرواحهم (أخرجوا أنفسكم) يعني يقولون لهم أخرجوا أنفسكم فان قلت

يحافظ على اخواتها اظاها
 (ومن أظلم ممن افترى على
 الله كذبا) هو مالك بن
 الصيف (أوقال أوحى الى
 ولم يوح اليه شيء) هو
 مسيئة الكذاب ومن قال
 في موضع جر عطف على
 من افترى أى ومن قال
 (سأنزل مثل ما أنزل الله)
 أى سأقول وأملى هو عبد
 الله بن سعد ابن أبي سرح
 كاتب الوحي وقد أملى النبي
 عليه السلام عليه واقدم
 خلقنا الانسان الى خلقنا
 آخر جري على اسنائه تبارك
 الله أحسن الخالقين فقال
 عليه السلام اكتبها
 فكذلك نزلت فشك وقال
 ان كان محمد صادقا فقد
 أوحى الى كذا أوحى اليه وان
 كان كاذبا فقد قلت كما قال
 فارتد ولحق بمكة أو النضر
 ابن الحارث كان يقول
 والطاحنات طحننا
 فالعاجنات مجنا فالخابرات
 خبزنا كانه يعارض
 (ولوتري) جواه محذوف
 أى رأيت أمرا عظيما (اذ
 الظالمون) يريد الذين ذكرهم
 من اليهود والمنبئة
 فكانون اللام لا يهدر ويجوز
 أن تكون للجنس
 فيدخل فيه هؤلاء لاشتراكه
 في غمرات الموت) شدائده
 وسكراته (والملايكه
 باسطوا أيديهم أخرجوا
 أنفسكم) أى يبسطون

وامهال (اليوم تجزون عذاب الهون) أرادوا وقت الامانة وما يعذبون به من شدة النزاع والهون الهوان الشديد واطافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العرافة في الهوان والتمسك فيه (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أو وصف لمصدر محذوف أي قولا غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (ولقد جئتمونا للحساب والجزاء (فرادي) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كسير وأسارى (كما خلقناكم) في محل النصب صفة مصدر جئتمونا أي مجيئنا مثل ما خلقناكم (أول مرة) على الهيات التي ولدتهم عليها في الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ملكناكم (وراء ظهوركم) ولم تحتملوا منه نقيرا (وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) في استعبادكم (لقد تقطع بينكم) وصلكم عن الزجاج والبين الوصل والهجر قال فوائده لولا البين لم يكن الهوى * ولولا الهوى ما حن للبين آف بينكم مدني وعلى وحفص أي وقع التقطع بينكم (وصل عنكم) وضاع وبطل (ما كنتم تزعمون) انها شفعاءكم عند الله (ان الله فائق الحب والنوى)

انه لا قدرة لاحد على اخراج روحه من بدنه فيها فائدة هذا الكلام قلت معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لان المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم خلاصوا أنفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لانهم لا يقدرون على خلاص أنفسهم من العذاب في ذلك الوقت (اليوم تجزون عذاب الهون) يعني الهوان (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بسبب ما كنتم تقولون على الله غير الحق (وكنتم عن آياته تستكبرون) يعني وبسبب ما كنتم تعظمون عن الايمان بالقرآن ولا تصدقونه قوله تعالى (واتدججتمونا فرادى) يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم وهذا خبر من الله عز وجل عن حال الكافر بين يوم القيامة وكيف يحشرون اليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم وفي قوله لا كافر بين ولقد جئتمونا فرادى تقر بع وتوبىخ لهم لانهم صرفوا همهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد والجاه وأفنوا أعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا في يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا (كما خلقناكم أول مرة) يعني جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني قلنا كما ولدتهم أمهاتهم في أول مرة في الدنيا الا شيئا عليهم ولا معهم (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعداء علينا انا كنا فاعلينا (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقالت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال الامر أشد من أن يهيمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة انها قرأت قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأنا ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقالت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال شغل بعضهم عن بعض وقوله تعالى (وتركتم ما خولناكم ورأى ظهوركم) يعني وتركتم الذي أعطيناكم وملكناكم من الاموال والاولاد والخدم والخول وكل ما أعطى الله العبد خوله فيه من المال والعبيد ورأى ظهوركم يعني في الدنيا (وما ترى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) يعني ان المشركين زعموا أنهم ائمة عبيد وهذه الاصنام لانها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لانها شركاء الله تعالى الله عن ذلك فاذا كان يوم القيامة ووج الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى (لقد تقطع بينكم) قرىء بنصب النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل أو يكون معناه لقد تقطع الامر بينكم وقرىء بينكم برفع النون ومعناه لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد يكون وصلا ويكون هجرا (ووصل عنكم ما كنتم تزعمون) يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا وقوله عز وجل (ان الله فائق الحب والنوى) لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته تنبيهاً على أن المقصود الاعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى بجميع صفاته وأفعاله وانه مبدع الاشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها وتعريفاً منه خطأ ما كانوا عليه من الاشرار الذي كانوا عليه والمعنى ان الذي يستحق العبادة دون غيره هو الله الذي فاق الحب عن النبات والنواة عن النخلة وفي معنى فائق قولان أحدهما انه بمعنى خاق ومعنى الآية على هذا القول ان الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية انه وفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدى ذهبوا بالنى مذهب فاطمروا ونكر الطبرى هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فائق الله الشيء بمعنى خاق ونقل الأزهرى عن الزجاج جوزة فقال وقيل الفائق الخلق واذا تأملت الخلق تبين لك أن أكثره عن انفلاق ومعنى هذا الكلام ان جميع الاشياء ذات قبل الوجود في العدم فلما أوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم الى الوجود فكأنه فاقها وأظهرها والقول الثانى وهو قول الاكثرين ان

الفاق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين أحدهما وهو مروى عن ابن عباس قال فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدى وابن زيد قال الزجاج يشق الحببة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقاً أخضر والقول الثاني وهو قول مجاهد انه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذى ليس له نوى كالخنطة والشعير والارز وما أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهى ما كان على ضد الحب كالرطب والحوخ والمشمس وما أشبه ذلك ومعنى قوله فالحق الحب والنوى أنه اذا وقعت الحببة أو النواة فى الارض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحببة ورقاً أخضر ثم يخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب ويظهر من النواة شجرة صاعدة فى الهواء وعروقها ضاربة فى الارض فسبحان من أوجد جميع الاشياء بقدرته وابداعه وخلقها ﷻ وقوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) قال ابن عباس فى رواية يخرج من النطفة بشرحها ويخرج النطفة الميتة من الحى وهذا قول السكبي ومقاتل قال السكبي يخرج النطفة الميتة من النطفة الميتة ويخرج الفرخة من البيضة ويخرج النطفة الميتة والبيضة الميتة من الحى وقال ابن عباس فى رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن فجعل الايمان بمنزلة الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصى والعاصى من الطائع وقال السدى يخرج النبات من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبرى لانه قال عقب قوله ان الله فالحق الحب والنوى فان قلت كيف قال ويخرج الميت من الحى بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحى من الميت وما السبب فى عطف الاسم على الفعل قلت قوله ويخرج الميت من الحى عطف على قوله فالحق الحب والنوى وقوله يخرج الحى من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالحق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى اليابس واخراج النبات والشجر منه من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى من النبات فى حكم الحيوان وقوله (ذالكم الله) يعنى ذالكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الاشياء المحيى الميت لها (بأنى تؤفكون) يعنى فأنى تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذى هو خالق الاشياء كلها وفيه دليل أيضاً على صحة البعث بعد الموت لان القادر على اخراج البدن من النطفة قادر على اخراجه من التراب للحساب ﷻ قوله تعالى (فاق الاصبح) أى شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده والاصباح مصدر سمي به الصبح وقال الزجاج الاصبح والصبح واحده وهما أول النهار فان قلت ظاهر الآية يدل على انه تعالى فى الصبح والظلمة هى التى تنفلق بالصبح فى معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوهاً الاول أن يكون المراد فالحق ظلمة الصباح وذلك لان الصبح صبحان فالصبح الاول هو البياض المستطيل الصاعد فى الافق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب لانه يبدو فى الافق الشرقى ثم يضمحل ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثانى وهو الضوء المستطير فى جميع الافق الشرقى ويسمى الفجر الصادق لانه ليس بعده ظلمة والحاصل من هذا أن يكون المعنى فالحق ظلمة الصبح الاول بنور الصبح الثانى الوجه الثانى انه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصباح فكذلك يشق نور الصبح بضيء النهار فيكون معنى قوله فالحق الاصبح أى فالحق الصباح بنور النهار الوجه الثالث ان يراد فالحق ظلمة الاصبح وهى الغدس فى آخر الليل الذى يلى الصبح لوجه رابع أن يكون المعنى فالحق الاصبح الذى هو عمود الفجر اذا انصدع الفجر وانفلق وسمى الفجر فلحقاً بمعنى مفلق الوجه الخامس الفلق بمعنى الخلق يعنى خالق الاصبح وعلى هذا القول يزول الاشكال والصبح هو الضوء الذى يبدو أول النهار والمعنى انه تعالى مبدى ضوء الصبح وخالقه ومنوره ﷻ وقوله تعالى (وجاعل الليل سكناً) السكن ما سكنت اليه واسترحت به بر يدان الناس يسكنون فى الليل سكناً لانه تعالى جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس ان كل ذى روح يسكن فيه لان الانسان قد أتعب نفسه فى النهار فاحتاج الى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة

اللذين فى النواة والخنطة
(يخرج الحى من الميت)
النبات الغض النامى من
الحب اليابس (ويخرج
الميت من الحى) الحب
اليابس من النبات النامى
أو الانسان من النطفة
والنطفة من الانسان أو
المؤمن من الكافر والكافر
من المؤمن فأحتج الله عليهم
بما يشاهدونه من خلقه
لانهم أنكروا البعث
فاعلمهم أنه الذى خلق هذه
الاشياء فهو يقدر على بعثهم
وانما قال ويخرج الميت بلفظ
اسم الفاعل لانه معطوف
على فالحق الحب لاعلى الفعل
ويخرج الحى من الميت
موقعه موقع الجملة الميتة
لقوله فالحق الحب والنوى
لان فالحق الحب والنوى
بالتبات والشجر النامى
من جنس اخراج الحى
من الميت لان النامى فى
حكم الحيوان دليله
قوله ويحيى الارض بعد
موتها (ذالكم الله) ذالكم
المحيى والمميت هو الله الذى
تحتل له الربوبية لا الاصنام
(فأنى تؤفكون) فكيف
تصرفون عنه وعن توليه
الى غيره بعد وضوح الامر
بما ذكرنا (فاق الاصبح)
هو مصدر سمي به الصبح
أى شاق عمود الصبح عن
سواد الليل أو خالق نور النهار

(وجاعل الليل) وجعل الليل كوفى لان اسم الفاعل الذى قبله يعنى الماضى فالحق فالحق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سكناً)

مكونا فيه من قوله تسكنوا فيه أي يسكن فيه الخلق عن كد المعيشة إلى نوم الغفلة أو عن وحشة الخلق إلى الانس بالحق (والشمس والقمر) اتصبا بإظهار فعل يدل (٤٠) عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر (حسابا) أي جعلهما على حساب

وذلك هو الليل (والشمس والقمر حسابا) يعني انه تعالى قدر حركة الشمس والقمر في الفلك بحسبان معين قال ابن عباس يجرى ان إلى أجل جعل لهما يعني عدد الايام والشهور والسنين وقال الكبي منازلهما بحسبان لا يجاوزانه حتى ينتهيا إلى أقصى منازلهما (ذلك) إشارة إلى ما تقدم ذكره في هذه الآية من الاشياء التي خافها بقدرته وكان علمه وهو المراد بقوله (تقدير العزيز العليم) فالعز بزيادة الهمزة إشارة إلى كمال قدرته والعلم إشارة إلى كمال علمه قوله عز وجل (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) جعل هنا بمعنى خالق يعني والله الذي خالق لكم هذه النجوم أدلة لتهتدوا بها إذا ضللتكم الطرق وتحررت في فمائن الله على عباده بان جعل لهم النجوم لتهتدوا بها في المسالك والطرق في البر والبحر إلى حيث يريدون ويستدلون بالنجوم أيضا على القبلة فيستدلون على ما يريدون في النهار بحركة الشمس وفي الليل بحركة الكواكب ومن منافعها أيضا أنه تعالى خلقها زينة للسموات والارض والسموات كقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين (قد فصلنا الآيات) يعني قدينا الآيات الدالة على توحيدنا وكل قدرتنا (قوم يعلمون) ان ذلك مما يستدل به على وجود الصانع الختار وكل علمه وقدرته قوله تعالى (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) يعني والله الذي ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام فهو أبو البشر كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى أيضا لان ابتداء خلقه من مريم وهي من بنات آدم فثبت ان جميع الخلق من آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) قرى فستقر بكسر القاف وفتحها يقال قر في مكانه واستقر فن كسر القاف قال المستقر بمعنى انقار والمعنى منكم مستقر يعني في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر نفس المقر فيكون المعنى لكم مقر وأما المستودع فهو مثل أودع فيجوز أن يكون اسما للانسان الذي استودع ذلك المكان ويجوز أن يكون المكان نفسه فن قرأ مستقر بفتح القاف جعل المستودع مكانا والمعنى فلنكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى منكم مستقر ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع ان المستقر أقرب إلى الثبات من المستودع لان المستقر من الفرار والمستودع معرض لان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروى عن ابن عباس أنه قال المستقر في أرحام الامهات والمستودع في أصلاب الآباء ثم قرأ ونقر في الارحام ما نشاء ويؤيد هذا القول أن النطفة لا تبقى في صلب الاب زمانا طويلا والجنين يبقى في بطن الام زمانا طويلا ولما كان المكث في بطن الام أكثر من صلب الاب جعل المستقر على الرحم والمستودع على الصلب وروى عنه أنه قال بالعكس يعني أن المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه هذا القول أن النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب جعل المستقر على الصلب والمستودع على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم إلى أن يولد والمستودع في القبر إلى أن يبعث وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا وقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع إلى حين والمستودع عند الله في الآخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وكان يقول يا ابن آدم أنت مستودع في أهالك إلى أن تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر أما في الجنة أو النار لان المقام بينهما يقتضي الخلود والتأيد (قد فصلنا الآيات) قدينا الدلائل الدالة على التوحيد بابراهيم الواضحة والحجج القاطعة (لقوم يفقهون) يعني قوم يفقهون عن الله آياته ودلائله الدالة على توحيد الله لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل (وهو الذي أنزل من السماء ماء) يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الارض (فاخرجنا به)

لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بانهم مصدر حسب كأن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذلك) إشارة إلى جعلهما حسابا أي ذلك التيسير بالحساب المعهولم (تقدير العزيز العليم) الذي فهمهما وسخرهما (العلم) بتدبيرهما وتدويرهما (وهو الذي جعل لكم النجوم) خلقها (لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر) أي في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما للابتنها لهما أو شبهه مشبهات الطرق بالظلمات (قد فصلنا آيات لقوم يعلمون) قدينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) هي آدم عليه السلام (فستقر ومستودع) فستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرهما كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعني فلنكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الارض ومستودع تحتها أو فنكم مستقر ومنكم مستودع

(قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) وانما قيل يعلمون ثم يفقهون هنا لان الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لان انشاء الانس من نفس واحدة وتصر يفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أدق (وهو الذي أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فاخرجنا به)

(نبات كل شيء) ثبت كل صنف من أصناف النامي أي السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفة (فاخر جنا منه) من النبات (خضرا) أي شياً غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل الذي تراكب حبه (ومن النخل من (٤١) طاعه قنوان) هور مع بالابتداء

ومن النخل خبزه ومن طلعه ابدن منه كانه قيل وحاصلة من طالع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دانية) من الجنتي لانجناها بنقل جملها واقصر ساقها وفيه اكتفاء أي وغير دانية اطوطاه كقوله سراويل تقيكم الحجر (وجنات) بالنصب عطفاً على نبات كل شيء أي وأخر جناه جنات (من أعناب) أي مع النخل وكذا (والزيتون والرمان) وجنات بالرفع الاعشى أي وتم جنات من أعناب أي مع النخل (مشتها وغير مشتها) يقال اشبه الشبان وتشابهوا ستوا وتساوا والافتعال والتعاغل شتركان كثير وتقديره والزيتون مشتها وغير مشتها والرمان كذلك يعني بعضه مشتها وبعضه غير مشتها في القدر واللون والذم (انظروا الى ثمره اذا أثمر) اذا أخرج ثمره كيف يخرج ضعيفاً لا يتفح به (وبعد) وتفسر به

يعني بالماء الذي أنزلناه من السماء (نبات كل شيء) يعني كل شيء ينبت وينمو من جميع أصناف النبات وقيل معناه أخر جنا بالماء الذي أنزلناه من السماء غذاء كل شيء من الانعام والبهائم والطيرو والحش وأرزاق بني آدم وأفواتهم مما يتغذون به فينبتون عليه وينمون (فاخر جنا منه خضرا) يريد أخضر مثل عور وأعور والأخضر هو جميع الزروع والبقول الرطبة (نخرج منه حبا متراكبا) يعني نخرج من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضية ولان حاجة الناس اليه أكثر لانه القوت المألوف (ومن النخل من طلعه قنوان دانية) يعني من ثمرها يقال أطاعت النخلة اذا أخرجت طلعيها او طلعا كقراها قبل أن ينشق عن الاغريض والاغريض يسمى طلعا أيضا وهو ما يكون في قلب التلع والطلع أول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكميزان يكون فيه العذق فاذا شق عنه كيزانه سمي عذقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية أي قرية التناول ينالها القائم والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف تقديره ومن النخل ما قنواه دانية قرية ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفي بذكر القرية عن البعيدة لشدة الاهتمام بها ولانها أسهل تناولاً من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة (وجنات من أعناب) يعني وأخر جنا من ذلك بسنتين من أعناب (والزيتون والرمان) يعني وأخر جنا شجر الزيتون وشجر الرمان (مشتها) قال قتادة مشتها ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان (وغير مشتها) يعني ومنها غير مشتها في الورد والظم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الآيات أربعة أنواع من الشجر بعد ذكر الزرع وانما قدم الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرتها تجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانها من أشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وسائر وجوه الاستعمال ثم ذكر عقبه الرمان لما فيه من المنافع أيضا لانه فاكهة ودواء ثم قال تعالى (انظروا الى ثمرها اذا أثمر وينعه) يعني ونضجه وادراكه والمعنى أنظر وانظر استدلال واعتبروا كيف أخرج الله تعالى هذه الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة اليابسة وهو قوله (ان في ذلكم آيات لقوم يؤمنون) يعني يصدقون ان الذي أخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على أن يحيي الموتى ويعيهم وانما احتج الله عليهم بتحصير ما خلق ونعمه من حال الى حال وهو ما يعلمونه وقطعا ويشاهدونه من احياء الارض بعد موتها واخراج سائر أنواع النبات والثمار منها وان لا يقدر على ذلك أحد الا الله تعالى اي بين أنه تعالى كذلك قادر على أن يحييهم بعد موتهم ويعيهم يوم القيامة فاحتج عليهم بهذه الاشياء لانهم كانوا ينكرون البعث وقوله تعالى (وجعلوا لله شركاء الجن) قال الحسن معناه أطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال معناه انهم أطاعوا الجن فيما سوات لهم من شركهم فجعلواهم شركاء لله وقال السكابي نزات في الزنادقة أتبعوا الشرك لانين في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السائب ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام نخر الدين الرازي وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلتصقون

(٦ - (خازن) - ثاني) أي انظر والى حال نضجه كيف يعود شيئا جاءه ما لمانع نظر اعتبار استدلال على قدرة قدره ونقله من حال الى حال (ان في ذلكم آيات لقوم يؤمنون) ثم وكذا ما بعد حزة وعلى جمع ثماره فوجع الجمع يقال ثمره وثمره وثمر (وجعلوا لله شركاء الجن) ان جعلت لله شركاء مفعول جعلوا كان الجن بدلا من شركاء والا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على

الاول وفائدة التقديم استهظام أن يتخذ الله شريك من كان ملكاً وجنياً وغير ذلك والمعنى أنهم أطاعوا الجن فبما سوت لهم من شركهم يجعلوهم شركاء لله (وخاصهم) أي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكاً خالقاً له والجملة حال أي وخلق الجاهلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وخرقوا له) (٤٢)

بالزندق لان الكتاب الذي زعم زردشت أنه نزل من السماء سماه بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق فادجمع قبل زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما يكون في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني النور وجميع ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالأكثر من منهم على أن ابليس محدث ولهم في كيفية حدونه أقوال عجيبة والافلون منهم قالوا انه قديم وعلى كلا القولين فقد اتفقوا على أنه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خبر فن الله وما كان من شرفن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول انما أثبتوا الله شريكاً واحداً وادوا هو ابليس فكيف حكى الله أنهم جعلوا له شركاء قلت ان ابليس له أعوان من جنسه وخر به وهم شياطين الجن يعملون أعماله فصح ما حكاها الله عنهم من أنهم جعلوا له شركاء الجن ومعنى الآية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فن قال ان الآية في كفار العرب قال انهم لما أطاعوا الجن فيما أمرهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال انها في المجوس قال انهم أثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك لانهم مستورون عن الاعين وقوله (وخلقهم) في معنى الكتابة قولان أحدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خالق الجن فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق واتقول الثاني أن الكتابة تعود الى الجاهلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا الله الذي خلقهم شركاء لخالقون شيئاً وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكاً لله وكل ما في الوجود محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الوجود فامتنع أن يكون لله شريك في ملكه (وخرقوا له بنين وبنات بغير علم) أي اختلفوا وكذبوا بآياتي اختلقوا وخرقوا علي فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان الله ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعاً فيما ادعوه وقوله بغير علم كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول لان الولد جزء من الاب والله سبحانه وتعالى لا يتجزأ فثبت بهذا فساد قول من يدعي ان لله ولداً ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى (سبحانه وتعالى عما يصفون) فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عن كل ما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني هو المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد أو يكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه به من الكذب ﴿ قوله عز وجل (بديع السموات والارض) الابداع عبارة عن تكوير الشيء على غير مثال سابق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق (أني يكون له ولد) يعني من أين يكون له ولد (ولم تكن له صاحبة) لان الولد لا يكون الامن صاحبة أنثى ولا يذبحني أن تكون لله صاحبة لانه ليس كمثل نبي (وخلق كل شيء) يعني أن صاحبة والولد في جملة من خلق لانه خالق كل شيء وليس كمثل شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب الولد والصاحبة اليه فقد جعل له مثل والله تعالى منزّه عن المثلية وهذه الآية حجة قاطعة على فساد قول النصارى (وهو بكل شيء عليم) يعني أنه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء ﴿ قوله تعالى (ذلكم الله ربكم) يعني ذلكم الله الذي من صفته انه خلق السموات والارض وأبدعها على غير مثال سبق وانه بكل شيء عليم هو ربكم الذي يستحق العبادة لانه تدعون من دونه من الاصنام لانها جادات لا تخاق ولا تنضر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع (لا اله الا هو خالق كل شيء

خرق النوب اداشقه أي اشتقوا له (بنين) كقول أهل الكتابين في المسيح وعزير (و بنات) كقول بعض العرب في الملائكة وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بغير علم) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولا يكن رمياً بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أي جاهلين بما قالوا (سبحانه وتعالى عما يصفون) من الشريك والولد (بديع السموات والارض) يقال بدع الشيء فهو بديع وهو من اضافة الصفة المتسببة الى فاعلها يعني بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أي مبدعها وهو خبير مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (في يكون له ولد) أو هو فاعل تعالى (ولم تكن له صاحبة) أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون الامن صاحبة ولا صاحبة له ولان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسماً حتى يكون له ولد (وخلق

كل شيء وهو بكل شيء عليم) أي ما من شيء الا هو خالقها وعالمها ومن كان كذلك كان (فاعبدوه) لخصايص كل شيء والولد انما يطالبه المحتاج (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة وهي (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء) وقوله

فاعبدوه) يعني انه هو الذي يستحق العبادة فاعبدوه وأطيعوه (وهو على كل شيء وكيل) يعنى أنه هو تعالى على كل شيء خالق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه ﴿ قوله نزوجل (لاندرکه الابصار وهو يدرك الابصار) قال جمهور المفسرين . معنى الادراك الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته فالابصار ترى الباري جل جلاله ولا تحيط به كمان القلوب ترفه ولا تحيط به قال سعيد بن المسيب في نفسه . بقوله لاندرکه لا بصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلتأبصار المخلوقين عن الاحاطة به

﴿فصل﴾ تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه أحد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله أخبر ان الابصار لا تدرکه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قوله أدركته ببصرى ورأيته ببصرى فثبت بذلك ان قوله لاندرکه الابصار بمعنى لاتراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب أهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا بالصحة منذهبهم بظاهر أدلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الأمة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الآية دلائل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعى رحمه الله سبحانه قوما بالمصيبة وهى الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهى الايمان وقال مالك لو لم يرو المؤمنين ربهم يوم القيامة لم يعبر الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وفسر واهذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة وأما دلائل السنة فاروى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عما ناك كآتون هذا القمر لاتضامون فى رؤيته فان استطعتم ان لاتغابوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمده ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب أخرجه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناسا قالوا يا رسول الله قال هل تضارون فى شمس لتبسن دونها سبحانه قالوا لا يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم تزونه كذلك أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذى وليس عنده فى أوله ان ناسا سألوا لولا فى آخره ليس دونها سبحانه عن أنس بن مالك قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى يرى به محليها يوم القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك من خلقه قال يا بارز بن أبليس كلكم يرى القمر ليلة البدر محليها قلت بلى قال فآية عظم انما هو خلق من خلق الله يعنى القمر فآية جل وأعظم أخرجه أبو داود وأما الدلائل العقلية فقد احتج أهل السنة أيضا بهذه الآية على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره أنه تعالى تمدح بقوله لاندرکه الابصار فالولم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المدح لا يصح التمدح به فثبت ان قوله لاندرکه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على أنه تعالى جائز لرؤية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان فى نفسه بحيث تمتع رؤيته حينئذ لا يلزم من عدم رؤيته بمدح وتعظيم أما اذا كان فى نفسه جائز لرؤية ثم انه قدر على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز لرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم سأل الرؤية بقوله أرنى انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية اذ لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علمنى الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر ملكه فسوف ترائى واستقرار الجبل جائز والمعانى على الجائز جائز والجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الآية فى نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنهه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الرؤية بغير ادراك كما قال تعالى فى قصة موسى قال اصحاب موسى انما دركون قال كلا

تعبدا من دونه من بعض خلقه (وهو على كل شيء وكيل) أى هو مع تلك الصفات مآلك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال (لاندرکه الابصار) لا تحيط به ٣ أو أبصار من سبق ذكرهم ونسبت المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لان المنفى هو الادراك لا الرؤية والادراك هو الوقوف على جوانب الدرئى وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الادراك من الرؤية منزلة الاحاطة من العلم ونفى الاحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفي العلم به فكذلك هذا على أن مورد الآية وهو التمدح بوجوب ثبوت الرؤية اذا نفي ادراك ما تم تحييل رؤيته لانه ح فيه لان كل ما يرى لا يدرك وانما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية اذا تناهوا مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع تقيصة التناهي والحدود على الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولوا معنا النظر فيها لا غنموا النقصى عن عهدها ومن بنى الرؤية يلزمه نفي انه معلوم ووجود ٣ لعل هناك سقطا وأصله (وهو يدرك الابصار) أى كل الابصار وألح فليحذر

والا فكما يعلم موجودا
 كيفية وجهته بخلاف
 كل موجود لم يحزن
 يرى بلا كيفية وجهته
 بخلاف كل مرئي وهذا لان
 الرؤية تحقق الشيء بالبحر
 كما هو وفار كان المرئي في
 الجهة يرى فيها وان كان
 لا في الجهة يرى لا فيها
 (وهو اللطيف) أي العالم
 بدقائق الامور ومشكلاتها
 (الخبير) العليم بطواهر
 الاشياء وخفياتها وهو من
 قبيل اللغز والنسر (قد
 جاءكم صائر من ربكم)
 البصيرة نور القاب الذي به
 يستبصر القاب كما ان
 البصر نور العين الذي به
 تبصر أي جاءكم من الوحي
 والتبصير ما هو للقلوب
 كالصائر (فن أبصر)
 الحق وآمن (فلفسه)
 أبصر واياها نفع (ومن
 عمي) عنه وضل (فعلها)
 فعلى نفسه عمي واياها
 ضل بالعمي (وما ناعليكم
 بحفيظ) أحفظ أعمالكم
 وأجازكم عليها عما أما
 منذر والله هو الحفيظ
 عليكم الكافي في
 (وكذلك نصرف آيات)
 في موضع نصب صفة المصدر
 المحذوف أي نصرف الآيات
 تصرفا مثل ما تلونا ليلك
 (وليتولوا) جوابه محذوف
 أي وليقولوا (درست)

وكان قوم فرعون قد رأوا قوة موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم في موسى الادراك مع
 انبات الرؤية بقوله كلا والله تعالى يجوز ان يرى في الآخرة من غير ادراك ولا احاطة لان الادراك هو
 الاحاطة بالمرئي وهو ما كان محسودا وله جهات والله تعالى منزه عن الحدود والجهة لانه القديم الذي لانهاية
 لوجوده تعالى هذا انه تعالى يرى ولا يدرك وقال قوم ان الآية مخصوصة بالذي قال ابن عباس في معنى الآية
 لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على
 هذا التخصيص قوله وجود يومئذ ناصر الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناصرمة مقيد بيوم القيامة وتولى هذا
 يمكن الجمع بين الآيتين وقال السدي البصر بصران بصرة ما ينبت وبصر علم فبني قوله لا تدركه الابصار
 لا يدركه علم العلماء ونزاهه ولا يحيطون به علموا وهذا وجه حسن أيضا والله أعلم وقوله تعالى وهو يدرك
 الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع البصيرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقةها
 ومطلع على ماهيتها فهو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها (وهو اللطيف الخبير) قال ابن عباس
 اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرقيق بعباده وقيل هو الموصل الشيء ليك برفق وابن
 وقيل هو الذي ينسى عباده ذنوبهم لئلا ينجحوا وأصل اللطيف دقة النظر في الاشياء وقال أبو سليمان الخطابي
 اللطيف هو الذين بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل اليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال
 الأزهرى اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرقيق بعباده وقيل هو اللطيف حيث لم يأمر عباده بفوق
 طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم وقيل هو اللطيف بعباده حيث ينسى عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم
 برودا وحسانه عند المعصية وقيل هو الذي لطف عن ان تدركه الابصار وهو يدركها ﴿ قوله تعالى (قد جاءكم
 بصائر من ربكم) البصائر جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن
 الذي فيه البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وقيل ان الآيات والبراهين
 ليست في أنفسها بصائر لأنها بقومها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت هذه الآيات
 والحجج والبراهين أسبابا للحصول البصائر سميت بصائر (فن أبصر) يعني فن عرف الآيات واهتدى بها الى
 الحق (فلفسه) يعني فلفسه أبصر ولها عمل لأنه يعود نفع ذلك عليه (ومن عمي) يعني ومن جهل ولم يعرف
 الآيات ولم يستدل بها الى الطريق (فما بها) يعني فعلى نفسه عمي ولها ضرر وكان وبال ذلك العمى عليه لان
 الله تعالى غنى عن خلقه (وما ناعليكم بحفيظ) يعني وما أنا عليكم برفيق أحصى عليكم أعمالكم وأفعالكم
 إنما أنا رسول من ربكم اليكم أبلغكم ما أرسات به اليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أعمالكم
 وأحوالكم وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريد الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ
 الحفيظ الوكيل وهذا كان قبل الامر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآيات
 السيف وعلى القول الاول ليست منسوخة والله أعلم ﴿ قوله تزوج (وكذلك نصرف الآيات) يعني
 وكذلك نبين الآيات ونفصلها في كل وجه كما صرفناها وبنيناها من قبل (وليتولوا درست) يعني وكذلك
 نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا درست وقيل معناه لئلا يقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه
 عاقبة أمرهم أن يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه دراسة اذا كثر قراءته
 وذلك ما حفظ قال ابن عباس وليقولوا يعني أهل مكة حين قرأ عليهم القرآن درست يعني تعلمت من يسار وخير
 وكانا عبد بن من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله وقال القراء معناه تعلمت من اليهود وقرئ
 درست بالالف يعني قرأت أهل الكتاب من المدارس التي هي بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل
 الكتاب وقرؤا عليكم وقرئ درست بفتح الال والراء والسين وسكون التاء ومعناه ان هذه الاخبار التي

نصرفها ومعنى درست قرأت ككتاب أهل الكتاب درست مكي وأبو عمر وأبو دارست أهل الكتاب درست شامى أى قدمت هذه الآية
ومضت كما قالوا أساطير الاوثان (ولنبيته) أى القرآن وان لم يجزله ذكر كونه معلوماً أو (٤٥) الآيات لانها فى معنى القرآن قيل

اللام الثانية حقيقة والاولى
لام العاقبة والضرورة أى
لتصير عاقبة أمرهم الى أن
يقولوا درست وهو كقوله
فانقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا
وهم لم يلقطوه للعداوة
وانما النطقه ليصير لهم
قرة عين وان صارت
عاقبة أمرهم الى العداوة
فكذلك الآيات صرفت
للتبيين ولم تصرف ليقولوا
درست ولكن حصل هذا
القول بتصرف الآيات
كاحصل التبيين فشبّه به
وقيل ليقولوا كما قيل لنبيته
وعندنا ليس كذلك لما
عرف (لتقوم يعلمون)
الحق من الباطل (اتبع
ما أوحى اليك من ربك)
ولا تتبع أهواءهم (لاله
الاهو) اعتراضاً كذبه
ايجاب اتباع الوحي لا محل
له من الاعراب أو حال من
ربك مؤكدة (وأعرض
عن المشركين) فى الحال الى
ان يراد الامر بالقتال (ولو
شاء الله) أى ايمانهم
فالمفعول محذوف (ما
أشركوا) بين اسم
لا يشركون على خلاف
مشيئة الله ولو علم منهم

تتلوها عيناً فدينه فدرست وانحوت من قولهم درس الاثر اذا محى وذهب أثره (ولنبيته تقوم يعلمون) يعنى
لقرآن وقيل معناه نصر الف الآيات تقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد
وقيل معنى الآية وكذلك نصر الف الآيات ليس فيها قوم ويشقى بها آخرون فمن أعرض عنها وقال للنبي صلى
الله عليه وسلم درست وأدرست فهو شقى ومن تبين له الحق وفهمه منها هو وعمل بها فهو سعيد وقال أبو اسحق
ان السبب الذى أداهم الى أن قالوا درست هو تلاوة آيات عليهم وهذه اللام تسميها أهل اللغة لام الصيرورة
يعنى صار عاقبة أمرهم أن قالوا درست فصار ذلك سبباً لشقاوتهم وفى هذا دليل على أن الله تعالى جعل
تصرف الآيات سبباً للضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم ﴿ وقوله تعالى (اتبع ما أوحى اليك من
ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى اتبع يا محمد ما أمر بك به فى رحيه الذى أوحاه اليك وهو
القرآن فاعمل به وبلغه الى عبادى ولا تلتفت الى قول من يقول درست أو درست وفى قوله اتبع ما أوحى
اليك من ربك تعزية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الحزن الذى حصل له بسبب قولهم درست ونبيه
بقوله تعالى (لا اله الا هو) انه سبحانه وتعالى واحد فرد صمد لا شريك له واذا كان كذلك فانه تجب طاعته
ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيف الزانعين وقوله تعالى (وأعرض عن المشركين) قيل
لمراد منه فى الحال لا الدوام واذا كان كذلك لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاديرهم فعلى هذا يكون الامر
بالاعراض منسوخاً بآية القتال ﴿ قوله عز وجل (ولو شاء الله ما أشركوا) قال الزجاج معناه لو شاء الله
لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح فى أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافاً لمتزلة فى قولهم لم يرد من أحد
الكفر والشرك فالآية رد عليهم (وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين
رقيباً ولا حافظاً تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس فى رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظاً فمنعهم
منا ومعناه أنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وانما بعثت مباحة افلا تهم بشركهم فان ذلك بمشيئة
الله تعالى (وما أنت عليهم بوكيل) يعنى وما أنت عليهم بقيم تقوم يرازقهم وما أنت عليهم بمسيطر فعلى
التفصيل لا تزال تكون الآية منسوخة بآية السيف وعلى قول ابن عباس لانكون منسوخة ﴿ قوله
عز وجل (ولانسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم) الآية قال ابن عباس لما
نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا وانهم جحون
ربك فنهاهم الله أن يسبوا أو تأنهم فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أو تأن
الكفار فيردون ذلك عليهم فنهاهم الله عن ذلك انما يسبوا الله لانهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال
السدى لما حضرت أبا طالب الوفاذ قالت قرىش انطأوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره أن ينهى
عنا ابن أخيه فاما استجى أن يقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه بمنع فامامات قتلوه فانطلق أبو سفيان
وأبو جهل والضربن الحرث وأميه وأبى ابن خلف وعقبة بن أبى معيط وعمرو بن العاص والاسود
ابن أبى البختري الى أبى طالب فقالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وان محمد قد أدانا وذى آلهتنا فنحب
أن ندعوه فتنهاه عن ذلك آلهتنا ولدعه واهله فدعا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال له أبوطالب ان هؤلاء
قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم وماير بدون قالوا نريد أن ندعوا وآلهتنا وندعك
واهلك فقال له أبوطالب قد أنصفتك قومك فاقبل منهم فقال ابى صلى الله عليه وسلم رأيتم ان أعطيتكم هذا

اختيار الايمان لهداهم اليه وان كان علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فاشركوا بمشيئته (وما جعلناك عليهم حفيظاً) مراعى الاعمالهم
ماخوذاً باجرامهم (وما أنت عليهم بوكيل) بما ساء وكان المسامون يسبون آلهتهم فنهوا للتلا يكون سبباً لله بقوله (ولانسبوا) آلهة
(الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) منصوب على جواب النهى (عدوا) ظلما وعدواناً (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به

حسنا فان الله فضل من يشاء وهو هدى من يشاء وهو وحجته لنا في الاصح (ثم الى ربهم مرجعهم) مصبرهم (فيدينهم بما كانوا يعملون) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عابسه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد صدقهم موقع الخال أي جامعين في الايمان باوكيد لاية من (لن جاءتهم آية من مقبراتهم) ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيتكم بها (وما يشعركم) وما يدرككم (انها) أن الآية المقترحة (اذا جاءت لا يؤمنون) بها معنى أنا أعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويؤمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدرككم انهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون انها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على ان الكلام تم قبله أى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعاقبه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من

فهل انتم معطى كلمة ان نكلتم بها انكم العرب ودانت لكم الحجر. وادت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لتعطيتكم او عشرة أمناط لفاهى قال قولوا لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخى فقال يا عم ما أنا بالذى أقول غيرها ولو أتوني بالشمس فوضعوها في بدى ما فات غيرها ارادة أن يؤيسهم فقالوا انك كن عن شتمك آلهتنا وان شتمناك أول شتمنا من من يامر بك فانزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعبون ولا تسبوا أيها المؤمنون الاصنام التي يعبدونها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعبون فيسبوا الله ظلما بغير علم لانهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل القتال أن يعنوا الاصنام التي كانت يعبدونها المشركون وقال ابن الانبارى هذه الآية منذ وخطأ نزلها الله عز وجل والى صلى الله عليه وسلم بمكة فلما أقوا باصحابه نسخ هذه الآية ونظرها بقوله أقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل انما نهوا عن سب الاصنام وان كان في سبها طاعة وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفساد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب رسوله وذلك من أعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الاصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا آلهتهم فيسبوا ربكم فامسك المسلمون عن سب آلهتهم فظاهر الآية وان كان نهيا عن سب الاصنام فحقيقته النهي عن سب الله تعالى لانه سب لذلك **﴿** وقوله تعالى (كذلك زينالكل أمة عملهم) يعني كاز ينالها لاء المشركين عبادة الاصنام وطاعة الشيطان بالحرمين والخذلان كذلك زينالكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرة والمهتزة حيث قالوا لا يحسن من الله خالق الكفر ونزيبينه **﴿** وقوله تعالى (ثم الى ربهم مرجعهم) معنى المؤمن والكافر والطائع والعاصي (فينبئهم بما كانوا يعملون) يعني في الدنيا ويجزيهم على ذلك **﴿** قوله عز وجل (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قال محمد بن كعب القرظى والسكبي قالت قر يش يا محمد انك تخبرنا ان موسى كانت له عصا يضرب بها الحجر فتتفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخرج برنا أن عيسى كان يحيى الموتى فانابآية حتى تصدق ونؤمن بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أى شئ نخبون قالوا نخجل لنا الصفا ذهابا وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحمق ماتقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ماتقولون تصدقونى قالوا نعم والله لن فعلت لنتبعك أجمعين وسأل المسامون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل أن يحول الصفا ذهابا فجاءه جبريل فقال ما شئت ان شئت أصبح ذهابا ولكن ان لم تصدقك لنعذبهم وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعنى وحلفوا بالله جهد أيمانهم يعنى أو كد ما قدر واعليه من الايمان وأشهدها قال السكبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه (لن جاءتهم آية) يعنى كجاءت من قبلهم من الامم (ليؤمنن بها) يعنى ليصدقن بها (قل) يعنى قل يا محمد (انما الآيات عند الله) يعنى أن الله تعالى قادر على انزالها (وما يشعركم) يعنى وما يدرككم ثم اختلف العلماء في الخطابين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله (انها اذا جاءت لا يؤمنون) فقرا ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم انها بكسر الالف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدرككم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال مناه وما يشعركم أيها المشركون انها يعنى الآيات اذا جاءت آمنتم ومن جعل الخطاب للمؤمنين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون انها اذا جاءت آمنوا لان المؤمنيين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله ان يرهم ما أقرحوا حتى يؤمنوا فخطبهم الله بقوله وما يشعركم ثم ابتداء فقال تعالى انها اذا جاءت لا يؤمنون وهذا في

قوم مخصوصين حكم الله عز وجل عليهم باهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح
الانف وجعلوا الخطاب في ذلك للمؤمنين لان المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال
الآيات حتى يؤمن المشركون بها اذ ارأوها لان المشركين كانوا حلفوا أنهم اذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا
واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم انزال الآيات لذلك فقال
الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون ان الآيات اذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون فعلى هذا اختلفوا في
لفظة لان قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها
وفيه حذف والمعنى وما يشعركم أنها اذا جاءت يؤمنون ولا يؤمنون وقيل ان معنى لعل في قوله انها اذا جاءت
وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب لعلها اذا جاءت وهذا ما انف في كلام العرب تقول العرب انت السوق أنك
تشتري لنا شياً بمعنى لعلك ومنه قول عدى بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي * الى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

يعنى لعل منيتي قوله تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) قال ابن عباس يعنى ونحول بينهم وبين الايمان
فلو جئناهم بالآيات التي سألوها لما آمنوا بها والتقايب هو تحويل الشئ وتحريكه عن وجهه الى وجه آخر
لان الله تعالى اذا صرف القلوب والابصار عن الايمان بقيت على الكفر (كالم يؤمنوا به أول مرة)
يعنى كالم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات التي جاءها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير
ذلك من المعجزات الباهرات وقيل أول مرة يعنى الآيات التي جاءها موسى وغيره من الانبياء وقال ابن عباس
المرّة الأولى دار الدنيا يعنى لوردوا من الآخرة الى الدنيا نقاب أفئدتهم وأبصارهم عن الايمان فلا يؤمنون
كالم يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على ان الله تعالى يهدى من يشاء ويضل من يشاء وان
القلوب والابصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شاء منها ويرى ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فعنى قوله نقلب أفئدتهم نزعها عن الايمان ونقلب أبصارهم عن رؤية
الحق ومعرفة الصواب وان جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كالم يؤمنوا بالآية ورسوله وبما جاء من
عند الله فعلى هذا تكون الكفاية في به عائدة على الايمان باقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل سؤالهم الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) يعنى ونترك هؤلاء
المشركين الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه بترددون لاهتدون الى
الحق قوله عز وجل (ولو أننا لنزلنا اليهم الملائكة) قال ابن جرير نزات في المستهزئين وذلك أنهم اتوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعت لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحمق
ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك انك رسول الله أو اتقنا بالله والملائكة قبيل افترت هذه الآية
جوابا لهم والمعنى ولو أننا لنزلنا اليهم الملائكة حتى يشهدوا لك بالرسالة (وكلمهم الموتى) يعنى كما سألو (وحشرنا
عليهم كل شئ قبلا) يعنى وجعنا عليهم كل شئ قبلا قبيل القبيل الكفيل بصحة ما تقول ما آمنوا هو قوله
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله) يعنى الآن يشاء الله الايمان منهم وفيه دليل على أن جميع الاشياء بمشيئة
الله تعالى حتى الايمان والكفر وموضع المعجزة ان الاشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فاذا أنطق الله
الكل حتى يشهدوا بصحة ما يقول كان ذلك في غاية لا يحجاز وقيل من قبيل من القابلة والمواجهة والمعنى وحشرنا
عليهم كل شئ مواجهة ومعانبة ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء الله أخبر الله ان الايمان بمشيئة الله لا كما ظنوا أنهم
متى شاءوا آمنوا متى شاءوا لم يؤمنوا وقال ابن عباس ما كانوا يؤمنوا هم أهل الشقاء الآن يشاء الله هم
أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الايمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لان الله عم
بقوله ما كانوا يؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله انهم آمنوا ان جاءتهم آية يؤمنون

(ونقلب أفئدتهم) عن
قبول الحق (وأبصارهم)
عن رؤية الحق
عند نزول الآية التي
اقترحوها فلا يؤمنون بها
قيل هو عطف على
لا يؤمنون داخل في حكم
وما يشعركم أي ما يشعركم
انهم لا يؤمنون وما يشعركم
بانقلب أفئدتهم وأبصارهم
يفتقرون ولا يبصرون الحق
(كالم يؤمنوا به أول مرة)
كما كانوا عند نزول آياتنا
أولا لا يؤمنون بها (ونذرهم
في طغيانهم يعمهون) قيل
وما يشعركم أننا نذرهم في
طغيانهم يعمهون يتحبرون
(ولو أننا لنزلنا اليهم الملائكة)
كما قالوا لولا أنزل علينا
الملائكة (وكلمهم الموتى)
كما قالوا فاتوا بآياتنا
(وحشرنا عليهم) جمعنا
(كل شئ قبلا) كفاء
بصحة ما بشرنا به وأنذرنا
قبيل وهو الكفيل قبلا
مدنى وشامى أى عيانا
وكلاهما نصب على الحال
(ما كانوا يؤمنوا الآن يشاء
الله) ايانهم فيؤمنوا هذا
جواب لقول المؤمنين
لعلهم يؤمنون بنزول الآية

بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين شاء لهم الإيمان ﴿وقوله تعالى﴾ (واكن أكثرهم جهلون) يعني
 يجهلون ان ذلك كذلك ويحسبون ان الإيمان بهم متى شاءوا آمنوا متى شاءوا ككفر واو ليس الامر كذلك
 بل الإيمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب
 أهل السنة ان الاشياء كلها بمشيئة الله تعالى وورد على القدرة والمهزلة في قولهم ان الله أراد الإيمان من جميع
 الكفار ﴿وقوله تعالى﴾ (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة
 عملهم أي كما جعلنا ذلك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا وقيل معناه كما جعلنا ان قبلك من الانبياء أعداء كذلك
 جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له بقول الله تبارك وتعالى كما ابتليناك بهؤلاء
 القوم فكذلك جعلنا لكل نبي عدوا لئلا يظلم نوابه على ما يكابدهم من أذى أعدائه وعدو واحد يراد به
 الجمع يعني جعلنا لكل نبي أعداء (شياطين الانس والجن) اختلف العلماء في معنى شياطين الانس والجن
 على قواين أحدهما ان المراد شياطين من الانس وشياطين من الجن والشيطان كل عات متهم من الجن
 والانس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس أشد تروا من
 شياطين الجن لان شيطان الجن اذا عجز عن اغواء المؤمن الصالح وأعباه ذلك استعان على اغوائه بشيطان
 الانس ليقته ويدل على صحة هذا القول ما روى عن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
 تعودت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانسان من شيطان قال نعم هم شر من شياطين
 الجن ذكره البغوي بغير سند وأسنده الطبري وقال مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان
 الجن وذلك أني اذا تعودت بالله ذهب شيطان الجن وشيطان الانس يجئني فيجرني الى المعاصي اقول
 الثاني ان الجمع من ولد ابليس وأضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يعفونهم وهذا قول عكرمة
 والضحاك والسكبي والسدي ورأيت عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين
 الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده قسمين فبعث فر يقامنهم الى الجن وفر يقامنهم الى الانس
 فالفر يقان شياطين الجن والانس معنى انهم يعفونهم ويضلونهم وكلا الفر يقان أعداء النبي صلى الله عليه
 وسلم ولأولياته من المؤمنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال بدل على محته ان لفظ الآية يقتضي
 اضافة الشياطين الى الانس والجن والاضافة تقتضي المغايرة فعلى هذا يكون في الشياطين نوع مغاير للانسان
 والجن وهم أولاد ابليس ﴿وقوله تعالى﴾ (يوسخ بعضهم الى بعض) يعني باقى ويسر بعضهم الى بعض
 ويناسج بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها الى من يريد اغواؤه فعلى القول الاول ان شياطين الانس
 والجن يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به المؤمنين والصالحين وعلى القول الثاني ان أولاد ابليس يلقي
 بعضهم بعضا في كل حين فيقول شيطان الانس لشيطان الجن صاحبي بكذا وكذا فاضل أنت صاحبك
 بمنه ويقول شيطان الجن لشيطان الانس كذلك فذلك وحى بعضهم الى بعض ﴿وقوله﴾ (زخرف القول)
 يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ورشي بالكذب وكل شئ حسن موه فهو
 زخرف (غرورا) يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين
 يزنون الاعمال الفبيحة لئلا يذم ويفرونهم بها غرورا (ولو شاء ربك ما فعلوه) يعني ما فعلوا الوسوسة لئلا
 يلقيها الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس
 والجن ولكن الله تمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة (فذرهم وما
 يفترون) يعني خلفهم يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من وراءهم ﴿وقوله تعالى﴾
 (ولتصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال ابن عباس ولتميل اليه وأصل الصغوف في اللغة الميل يقال
 أصغى الى كذا مال اليه ويقال صغوت أصغور وصغيت أصغى اغتات قال ابن انباري اللام في والتصني متعلقة

ان هؤلاء يؤمنون اذا
 جاءتهم الآية المقترحة
 (وكذلك جعلنا لكل نبي
 عدوا) وكما جعلنا لك أعداء
 من المشركين جعلنا لمن
 تقدمك من الانبياء أعداء
 لما فيه من الابتلاء الذي هو
 سبب ظهور الثبات والصبر
 وكثرة الثواب والاجر
 وانتصب (شياطين الانس
 والجن) على البدل من
 عدوا وعلى انه المفعول
 الاول وعدوا مفعول ثان
 (يوسخ بعضهم الى بعض)
 يوسخ شياطين الجن
 الى شياطين الانس وكذلك
 بعض الجن الى بعض
 وبعض الانس الى بعض
 وعن مالك بن دينار ان
 شيطان الانس أشد على
 من شيطان الجن لاني اذا
 تعودت بالله ذهب شيطان
 الجن عنى وشيطان الانس
 يجئني فيجرني الى المعاصي
 عيانا وقال عليه السلام
 قرناء السوء شر من
 شياطين الجن (زخرف
 القول) ما زينوه من القول
 والوسوسة والاغراء على
 المعاصي (غرورا) خدع
 وأخذوا على غرة وهو مفعول
 له (ولو شاء ربك ما فعلوه)
 أي الإيحاء يعني ولو شاء الله
 لمنع الشياطين من الوسوسة
 ولكنه امتحن بما يعلم انه
 اجزل في الثواب (فذرهم
 وما يفترون) عليك وعلى الله فان الله يخزيهم وينصرك ويخزيهم (ولتصني اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) بفعل

(وليقتروا ما هم مقترفون) من الآثام (أفغبر الله أبتغى حكماً) أي قل يا محمد أفغبر الله أطاب ما كما يحكم بيني وبينكم ويفصل الحق منامن المبط (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب) المهجز (مفصلاً) حال من الكتاب أي مبيناً فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته بقوله (والذين آتيناهم الكتاب) أي عبد الله بن سلام وأصحابه (يعلمون أنه منزل) شامح وحفص (من ربك بالحق) (فلا تكون من الممتريين) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكون من الممتريين في أن أهـل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يربك بحجود أكثرهم وكفرهم به (ومت كات ربك) أي ماتكم به كات ربك بحجازي وشامح وأبو عمرو رأيت كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعده وأوعده (صدقا) في وعده ووعيده (وعدلاً) في أمره ونهيه واتصـبـا على التمييز وأعلى الحال (لا مبدل لكلماته)

بفعل مضموم معناه وفعلناهم ذلك لكي تصغي الى الباطل أفغـة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام متعلقة بيوحى تقديره يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك وتصغي اليه أفغـة الذين لا يؤمنون بالآخرة والضمير في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله ونحوه وترضى به وهو قوله (وايرضوه) يعني يرضون ذلك القول المزخرف الباطل (وليقتروا ما هم مقترفون) يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل (أفغبر الله أبتغى حكماً) أي قل يا محمد طوّأ المشركين أفغبر الله أطاب حكماً فاضـبـا يقضى بيني وبينكم وذلك أنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكماً فامر الله تعالى أن يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحكم واحد عند أهل اللغة غير أن بعض أهل المعاني قال الحكم كمن من الحاكم لان الحاكم من شأنه أن يحكم والحكم أهل أن يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فانه تعالى حكم لا يحكم الا بالحق فلما أنزل الله على محمد القرآن فقد حكمه بالنبوة وهو قوله تعالى (وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلاً) يعني مبيناً فيه أمره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم (والذين آتيناهم الكتاب) يعني علماء اليهود والنصارى (يعلمون انه منزل من ربك بالحق) يعني يشهدون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم باللائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظر أنهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فأثروا به وصدقوه (فلا تكون من الممتريين) يعني فلا تكون يا محمد من الشاكين ان علماء أهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله وقيل معناه فلا تكون في شك بما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التبيين لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا أن المراد به غيره والمعنى فلا تكون أيها الانسان السامع لهذا القرآن في شك انه منزل من عند الله لمافية من الاجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى ﴿قوله تعالى (ومت كات ربك) وقرئ كات ربك على الجمع فن قرأ على التوحيد قال الكامة قدير ادبها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شيء واحد في اعجاز الظم وكونه حقاً وصدقا ومجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال في سياق الآية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول انبعاثا للثنائي (صدقا وعدلاً) يعني صدقا فيما وعدو عدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما أخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعمما هو كائن الى قيام الساعة وفيما أخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام (لا مبدل لكلماته) يعني لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه ولا خلف لواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كات ربك والتمام في كلام الله لا يقبل التغير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير والتبديل باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشق من شقي في الازل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه وأجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فن ختم له بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاة كان شقيا في الازل والله أعلم ﴿وقوله تعالى (وهو السميع) يعني لما يقوله العباد (العايم) يعني باحوالهم قوله عز وجل (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) قال المنسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في كل المستغ ذلك أنهم قالوا الامين كيف تأكلون ما قتلتم ولانا كلون ما قتلتم فكيف قال الله تعالى لنبيه

(ان يتبعون الا الظن) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرون) يكذبون في أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أي هو يعلم الكفار والمؤمنين (٥٠)

محمد صلى الله عليه وسلم وان تطلع أكثر من في الأرض في كل الميتة وكان الكفار يومئذ أكثر أهل الأرض يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعمهم في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعمهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم أخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى (ان يتبعون الا الظن) يعني ان هؤلاء الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بواقطين انهم على حق لانهم اتبعوا أهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصرواعلى اتباع الظن والجهل (وان هم لا يخرون) يعني يكذبون وأصل الخرس الخزر والتخمين ومنه خرس النخلة اذا خرس ركيمة ثم راعى الظن من غير يقين ويسمى الكذب خرسا لما بدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرس لان قائله لم يقله عن علم ويقين (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) يقول الله انبياءه محمد صلى الله عليه وسلم بما يجد ان ربك هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي الناس يضل عن سبيله (وهو أعلم بالمهتدين) يعني وهو أعلم أيضا بمن كان على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه فأخبر تعالى انه أعلم بالفر يقين الضال والمهتدى وانه يجازى كلا بما يستحق قوله تعالى (فكلوا مما ذكرا اسم الله عليه) هذا جواب لقول المشركين حيث قالوا للمسلمين أنأ تكون مما قتلتم ولأنأ تكون مما قتلتم بكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا أنتم مما ذكرا اسم الله عليه من الذبائح (ان كنتم بآياته مؤمنين) وقيل كانوا يجرمون أصنافا من النعم ويحلون الميتة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرّم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطأ للمشرّكين وعلى القول الاول تكون الآية خطأ بالمسلمين وهو الاصح لقوله في آخر الآية ان كنتم بآياته مؤمنين (ومالكم أنأ تكلوا مما ذكرا اسم الله عليه) يعني وأي شيء لكم في أن لا تأكلوا مما يمنعكم من أن تأكلوا مما ذكرا اسم الله عليه وهذا كيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) يعني وقد بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وأورد الامام نضر الدين الرازي ههنا الشك لا فقال في سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة وقوله وقد فصل يجب أن يكون ذلك المنفصل متقدما على هذا المحل والمدني متأخر عن المسي فيمتنع كونه متقدما ثم قال بل الاول أن يقال قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل الا أن هذا القدر من المتأخر لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه ولما ذكره المفسرون وجه وهو ان الله لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لاني النزول حسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده وقوله تعالى (الا ما اضطررتم اليه) يعني الا ان تدعوك الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار (وان كثير البضلون بأهوائهم بغير علم) يعني وان كثير من الذين يجادلونكم في كل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم أنأ تكون مما تذبحون ولأنأ تكون ما يذبحه الله وانما قالوا هذه المقالة جهلا منهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل يتبعون أهوائهم أيضا وانفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فن دونه من المشركين لانه أول من بحر البجائر وسبب السوائب وأباح الميتة وغير دين ابراهيم عليه السلام (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) يعني ان ربك يا محمد هو أعلم بمن تعدى حدوده فأحل ما حرم الله

من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجلة نصب بي علم المقدر لا بـ علم لان أفعال لا يعمل في الاسم الظاهر النصب ويعمل الجر وقيل تقديره أعلم بمن يضل بدليل ظهور البناء بعده في المهتدين (فكلوا مما ذكرا اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) هو مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويجرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فماقتل الله الحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايان فكلوا مما ذكرا اسم الله عليه خاصة أي على غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه (ومالكم أنأ تكلوا) ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أي وأي عرض لكم في أن لا تأكلوا (مما ذكرا اسم الله عليه وقد فصل لكم) بين لكم (ما حرم عليكم) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة فصل وحرم كوفي عبر حذف وفتح ما مدني وحفظ وضمه ما غيرهم (الا ما اضطررتم اليه)

مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة أي شدة المجاعة الى أكله (وان كثير البضلون) ليضلون كوفي (بأهوائهم بغير علم) أي يضلون فيحرمون ويحلون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) بالمتجاوزين

وحرم ما حل الله فهو يجازيهم على سوء صديعتهم ﴿قوله عز وجل﴾ (وذروا ظاهر الأثم وباطنه) يعني وذروا
 أي الناس ما يوجب الأثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانياتها قليلا وكثيرها قال الربيع بن أنس
 نهى الله عن ظاهر الأثم وباطنه ان يعمل به سرا وعلانية وقال سعيد بن جبير في هذه الآية الظاهر منه قوله
 ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء الا ما قد سلف ونكاح المحارم من الامهات والبنات والاخوات والباطن
 الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوائث وهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها
 الرجل صديقة فيأنياسها وقال الضحاك كان أهل الجاهلية يستسررون بالزنا ويرون ان ذلك حلال ما كان
 سرا فحرم الله السر منه والعلانية وقال ابن زيد بظاهر الأثم التجرعن الثياب والتعري في الطواف والباطن
 الزنا وقال الكبي ظاهرا الأثم طواف الرجال بالبيت نهارا وعرافة وباطنه طواف النساء بالليل عرافة وكان أهل
 الجاهلية يفعلون ذلك الى ان جاء الاسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل ان هذا النهي عام في جميع المحرمات
 التي نهى الله عنها وهو الاصح لان تخصيص العام بصورة معينة من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول
 يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررت من الذنوب كلها قال ابن الانباري وذروا الأثم من جميع
 جهاته وقيل المراد بظاهر الأثم الاقدام على الذنوب من غير مبالاة وباطنه ترك الذنوب لخوف الله عز وجل
 لا خوف الناس وقيل المراد بظاهر الأثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب فيدخل في ذلك الحسد
 والكبر والمجب واردة السوء للمسلمين ونحو ذلك ﴿وقوله تعالى﴾ (ان الذين يكسبون الأثم) يعني ان الذين
 يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم من المعاصي وغيرها (سيحزون) يعني في الآخرة (بما
 كانوا يفترون) يعني بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب وانه
 مخصوص بمن لم يتب لان المسلمين أجمعوا على انه اذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل
 السنة في ذلك فقالوا المذنب اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه بفضلهم وكرمه
 ﴿قوله تعالى﴾ (ولانأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) قال ابن عباس الآية في تحريم الميتات وما في معناها
 من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الاصنام انتهى

﴿فصل﴾ اختلاف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكركر اسم الله عليها فذهب قوم الى تحريمها سواء تركها
 عامدا أو ناسيا وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله الامام غفر الدين الرازي عن مالك ونقل عن عطاء انه قال
 كل ما لم يذكركر اسم الله عليه من طعام أو شراب فهو حرام احتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري
 وأبو حنيفة ان ترك التسمية عامدا لا يحل وان تركها ناسيا تحل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية
 عامدا أو ناسيا ونقله البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد وابتين فيما اذترك التسمية
 عامدا وان تركها ناسيا تحل فن أباح كل الذبيحة التي لم يذكركر اسم الله عليها قال المراد من الآية الميتات
 وما ذبح على اسم الاصنام بدليل أنه قال تعالى في سياق الآية (وانه لفسق) وأجمع العلماء على أن أكل
 ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق واحتجوا أيضا في اباحها بما روى البخاري في صحيحه عن عائشة
 رضی الله تعالى عنها قالت قلت يا رسول الله ان هنا أقواما حسد يشاهدهم بشرك يأتوننا بلحمان فما ندرى
 يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أتم اسم الله وكلاؤا قالوا لو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان
 الشك في وجودها مانعا من أكلها كالكسب في أصل الذبح وقول الشافعي في أول الآية وان كان عامدا بحسب
 الصيغة الآن آخرها لما حصلت فيه هذه القيود الثلاثة وهي قوله وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى
 أوليائهم ليجادلوكم وان أظعتموهم انكم لمشركون علمنا ان المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق
 ذكركر اسم غير الله في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيها أوحى الى محرما على طعامه يطعمه الى قوله
 أو فسقا أهل غير الله به فسارها انفسق الذي أهل غير الله به مفسرا لقوله وانه لفسق واذا كان كذلك كان

من الحق الى الباطل
 (وذروا ظاهر الأثم وباطنه)
 علانيته وسره أو الزنا في
 الحوائث والصديقة في
 السر والشرك الجلي والخفي
 (ان الذين يكسبون الأثم
 سيحزون) يوم القيامة
 (بما كانوا يفترون)
 يكسبون في الدنيا (ولا
 تاكلوا مما لم يذكر اسم
 الله عليه) عند الذبح (وانه
 وان أكله) (الفسق)

وان الشياطين ليوحون (ليوسوسون) (الى اولياتهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم لانا كلون مماقتله الله وتا كلون مما تذبجون بايديكم والآية تحرم متروك التسمية (٥٢) وخصت حالة التسمية بان الحديث أو يجعل النامى ذا كرا تقديرا (وان

أطعمتموهم) في استحلال ما حرم الله (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله في دية فقد أشرك به ومن حق المتدين أن لا يأكل مما لم يذ كرام الله عليه لما في الآية من التشديد العظيم ومن أول الآية بالميتة وما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل غير الله به وقال ان الواو في وانه افسق للحال لان عطف الجلة الاسمى على الفعلية لا يحسن فيكون التقدير ولاتا كلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل غير الله به فصار التقدير ولانا كلوا منه حال كونه مهلا غير الله به فيكون ماسوا حلالا بالعمومات المحلثة منها قوله قل لا أجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أو من كان ميتا فاحييناه) أى كافر افهديناه لان الايمان حياة القلوب ميتا مدنى (وجعلناه نور ايمشى به في الناس) مستضيا به والمراد به اليقين (كمن مثله) أى صفته (في الظلمات) أى خابط فيها (ليس بخارج منها) لا يفارقها ولا يتخاص منها وهو حال قيل الراد

قوله ولانا كلوا مما لم يذ كرام الله عليه وانه افسق مخصوصا بما أهل غير الله به والله أعلم وقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى اولياتهم ليجادلوكم) يعنى ان الشياطين يوسوسون الى اولياتهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتها فاقال الله قتلها فالوا فترع من ماقتات أنت وأصحابك حلال وماقتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة كتبت فارس وهم الجوس الى مشركى قريش أن خاصموا محمدا زقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبحه الله فهو حرام فانزل الله وان الشياطين يعنى مردة الانس وهم الجوس ليوحون الى اولياتهم يعنى مشركى قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون المراد بالوحى المكاتبة في خفية (وان أطعمتموهم) يعنى فى كل لميتة وما حرم الله عليكم (انكم لمشركون) يعنى انكم اذا مثلتم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن كل من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم شيئا مما أحل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه أثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك فهو مشرك قوله عز وجل (أو من كان ميتا فاحييناه) يعنى أو من كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحى صاحب بصير يهتدى به الى رشده ولما كان الايمان يهتدى الى القو زال ظم والحياة الابدية شمه بالحياة (وجعلناه نور ايمشى به في الناس) يعنى وجعلناه نور ايسر تضى به في الناس ويهتدى به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام لانه يخلص من ظلمات الكفر لقوله ونخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن لانه بينة من الله مع المؤمن بما يعمله (كمن مثله في الظلمات) يعنى كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة وظلمة عمى البصيرة (ليس بخارج منها) يعنى من تلك الظلمات وهذا مثل ضرب به الله تعالى لحال المؤمن والكافر فبين أن المؤمن المهتدى بمنزلة من كان ميتا فاحياه وأعطاه نور ايمشى به في مصالحة وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متخيرا على الدوام ثم اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين أو هما اعلمان في كل مؤمن وكافر وقد كروا في ذلك قولين أحدهما ان الآية في رجائين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال ابن عباس في قوله وجعلناه نور ايمشى به في الناس يريد حزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم كمن مثله في الظلمات يريد بذلك أباجهل بن هشام وذلك ان أباجهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حزة بما فعل أبوجهل وكان حزة قد رجع من صيد وبيده قوس وحزة لم يؤمن بعد فأقبل حزة غضبان حتى علا أباجهل وجعل يضربه بالقوس وجعل أبوجهل يتضرع الى حزة ويقول يا أباعلى أمتارى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخاف آباءنا فقال حزة ومن أسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله أشهد ان لا اله الا الله وأشهد ان محمدا رسول الله فأسلم حزة يومئذ فانزل الله هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وأبى جهل وقال عكرمة والكلبى نزلت في عمار بن ياسر وأبى جهل وقال مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبى جهل وذلك أن أباجهل قال زاحنا بنوع عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا نحن وهم كفرسى رهان قالوا من انبى بوحى اليه والله لا تؤمن حتى يأتينا وحى كياتيه فبزلت هذه الآية والقول الثانى وهو قول الحسن في آخرين ان هذه الآية عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل أحد وقوله تعالى (كذلك رين للكافرين ما كانوا يعملون) قال أهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه

قوله بهما حزة وأبوجهل والاصح ان الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أصله الله فبين ان مثل المهتدى مثل الميت الذى احيى وجعل مستضيا بمشى في الناس بنور الحكمة والايمان ومثل الكافر مثل من هو في الظلمات التى لا يتخلص منها (كذلك) أى كما زين للمؤمن ايمانه (زين للكافرين) بتزيين الله تعالى كقوله زيناهم أعمالهم (ما كانوا يعملون)

ففيها) ليتجبر واعلى الناس فيها ويعملوا بالمعاصى واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العقاب وخص الاكابر وهم الرؤساء لان ما فيهم من الرياسة والعداوة لهم الى الممكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لغوا فى الارض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعده النصر بقوله (وما يكبرون الا بانفسهم) لان مكرهم يحق بهم (وما يشعرون) انه يحق بهم اكابر مفعول اول والثانى فى كل قرية ومجرمها بدل من اكابر الاول مجرمها والثانى اكابر والتقدير مجرمها اكابر ولما قال ابو جبريل زاحنا بنو عبدمنان فى الشرف حتى اداصرنا كفرسى رهان قالوا منابى يوحى اليه والله لارضى به الان يا نبي كما ياتيه نزل (واذا جاءتهم) أى الاكابر (آية) مجهزة أو آية من القرآن تأمرهم بالامان (قالوا ان تؤمن حتى تؤتى مثل ما أوتى رسل الله) أى تعطى من الآيات مثل ما أعطى الانبياء فاعلم الله تعالى انه أعلم عن يصلح للنبوة فقال تعالى

قوله زبنا لهم أعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعى وحصوله لا يكون الا بخاق الله تعالى فدل ذلك على ان المزمين هو الله تعالى وقالت المعتزلة ان المزمين هو الشيطان ويردته ما تقدم ﴿وقوله تعالى (وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرمها)﴾ يعنى وكما جعلنا فى مكة اكابر وعظماة جعلنا فى كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل فى الآية تقديم وتأخير تقديره وكذلك جعلنا فى كل قرية مجرمها اكابروا جعل المجرمين اكابر لانهم أقدر على الممكر والغدر وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل فى كل قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابره (للممكر وافيهما) قال أبو عبيدة الممكر الخديعة والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والخبث والامان الكاذبة وترويج الباطل قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب وقال مجاهد جلس على كل طريق مكة أربعين نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقولوا هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم (وما يكبرون الا بانفسهم) يعنى ما يحق هذا الممكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم (وما يشعرون) يعنى ان وبال ذلك الممكر يعود عليهم ويضربهم بقوله عز وجل (واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) يعنى النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقاً لكانت اولى بهامنا لك لاني اكبر منك سنواً كثيراً منكم مالا فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى ابي جهل وذلك انه قال زاحنا بنو عبدمنان فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منابى يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نقتبعه ابداً الا ان يأتينا وحى كما ياتيه فانزل الله هذه الآية واذا جاءتهم آية يعنى حجة بيينة ودلالة وانصحه على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعنى الوليد بن المغيرة واباجهـل ابن هشام وأكل واحد من رؤساء الكفر وبدل عليه الآية التى قبلها وهى قوله وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرمها الممكر وافيهما كان من مكر كنفار قريش ان قالوا لن نؤمن لك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسداً منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفى قولهم ان نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله قولان أحدهما وهو المشهور ان القوم أرادوا ان تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين لانا بعين القول الثانى وهو قول الحسن ومنقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعنى لن نصدقك حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله يعنى حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل بصدقك فانك رسول الله فعلى هذا القول لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا ان يخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وانهم رسول من الله تعالى وعلى القول الاول اطلبوا ان يكونوا انبياء بدلى على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) يعنى انه تعالى يعلم من يستحق الرسالة ويشرفه او يعلم من لا يستحقها ومن ايسر بأهلها وأتم اسم لها بابل وان النبوة لا تحصل لمن يطأها خصوصاً لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال أهل المعانى الابلاغ فى تصديق الرسل ان لا يكونوا قبل البعثة مطاعين فى قومهم لان الظعن كان يتوجه عليهم فيقال انما كالوار رؤساء مطاعين فاتبعتهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى أعلم عن يستحق الرسالة لعله ليتيم أى طالب دون أى جهل والوادعيرهم من اكابر قريش ورؤسائها ﴿وقوله تعالى (سيعيب الذين أجزوا صغار)﴾ أى ذلة وهوان وقيل الصغار هو الذل الذى نصغر الى المرء نفسه فيه (عند الله) يعنى هذا من عند الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار فى الآخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله بحكمهم فى الدنيا (وعذاب شديد) يعنى فى الآخرة (عالم الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحقق رسالته غيرهما حيث يفعل به والاعمال محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجزوا صغار) من اكبرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) فى القيامة (وعذاب شديد) فى الدارين من القتل والامر وعذاب

الله أعلم حيث يجعل رسالته) مكى وحقق رسالته غيرهما حيث يفعل به والاعمال محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سيصيب الذين أجزوا صغار) من اكبرها (صغار) ذل وهوان (عند الله) فى القيامة (وعذاب شديد) فى الدارين من القتل والامر وعذاب

كانوا يكفرون) يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقون
 ﴿قوله تعالى (فن يرد الله ان يهديه بشرح صدره للاسلام) أي الايمان يقال شرح الله صدره فانشرح أي
 وسعه لقبول الايمان والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره
 راجح وربحه ظاهر مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشرح الصدر وقيل
 الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان أمره اذا أوسع وأظهره وشرح المسئلة اذا كانت مشككة فوضعها
 وبينها فقد ثبت أن للشرح معنيين أحدهما الفتح ومنه يقال شرح الكافر بالكفر صدره أي فتح قلبه وقوله
 ومنه قوله تعالى واكن من شرح بالكفر صدره وقوله أفن شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه وسعه لقبوله
 والثاني ان للشرح نور يقذفه الله في قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره ومعنى
 الآية فن يرد الله أن يهديه للايمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده يوفقه له ويشرح صدره لقبوله وهو قوته
 عليه ويسهله له بفضل له وكرمه واطقه به واحسانه اليه فعند ذلك يستدير للاسلام في قلبه فيضيء به ويتسع له
 صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شرح صدره فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن
 فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك مارة قال نعم الاية الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد
 للموت قبل نزول الموت وأسند الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت
 عليه هذه الآية فن يرد الله أن يهديه بشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح
 قالوا فهل لذلك من آية يعرف بها قال الاية الى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل
 اقاء الموت ﴿وقوله تعالى (ومن يرد) أي الله (أن يضله يجعل صدره ضيقا حيا) يعني يجعل صدره ضيقا
 حتى لا يدخله الايمان وقال السكبي ابس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس اذا سمع ذكر الله اشماز قلبه واذا
 سمع ذكر الاصلم ارتاح الى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية وعنده اعرابي من كناية فقال له ما الحرجة
 فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك
 قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير وأصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهي الاشجار الملتف
 بعضها على بعض حتى لا يصل اليها شيء وقرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هذا أحد من بني بكر قال رجل
 نعم قال ما الحرجة فيكم قال لو ادعى الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب
 الكافر قال أهل المعاني لما كان القلب محملا لا لعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد هدايته
 بالانفراح والانفساح ونوره فقبل ما ودعه من الايمان بالله ورسوله ووصف قلب من يريد ضلالتة بالضيق
 الذي هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على ان الله تعالى صير قلب الكافر بحيث لا يبي علمه ولا
 استدل الا على توحيد الله تعالى والايمان به وفي الآية دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله واراادته حتى
 ايمان المؤمن وكفر الكافر ﴿وقوله تعالى (كأنما يصعد في السماء) يعني أن الكافر اذا دعى الى الاسلام كأنه
 قد كلف أن يصعد الى السماء ولا يقدر على ذلك وقيل يجوز أن يكون المعنى كأن قلب الكافر يصعد الى السماء
 نبوا عن الاسلام وتكبروا وقيل ضاق عليه المنذهب فلم يجد الا أن يصعد الى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل
 هو من المشقة وصعوبة الامر فيكون المعنى ان الكافر اذا دعى الى الاسلام فانه يتكاف مشقة وصعوبة في
 ذلك كمن يتكاف الصعود الى السماء وليس يقدر على ذلك (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون)
 الكاف في ذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الاول معناه أن جعله الرجس عليهم كجعله صـ دورهم ضيقة
 حرجة والمعنى كما جعلنا صـ دورهم ضيقة حرجة كذلك يجعل الله الرجس عليهم الوجه الثاني قال الزجاج
 أي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان أي فيسلطه الله عليهم
 وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس ان الرجس العذاب وقال الزجاج الرجس في

النار (بما كانوا يكفرون) في الدنيا (فن يرد الله أن يهديه بشرح صدره
 يهديه بشرح صدره للاسلام) يوسف بن نور
 قلبه قال عليه السلام اذا
 دخل النور في القلب
 انشرح وانفتح قيل وما
 علامة ذلك قال الابابة الى
 دار الخلود والتجاني عن
 دار الغرور والاستعداد
 للموت قبل نزول الموت
 (ومن يرد) أي الله (أن
 يضله يجعل صدره ضيقا)
 ضيقا مكي (حرجا) صفة
 لضيقا مدني وأبو بكر
 بالغيا في الضيق حرجا
 غيرهما وصفا بالمصدر
 (كأنما يصعد في السماء)
 كأنه كلف أن يصعد الى
 السماء اذا دعى الى الاسلام
 من ضيق صدره عنه اذا
 ضاقت عليه الارض
 فطلب صعدا في السماء أو
 كعازب الرأي طائر القلب
 في الهواء يصعد مكي
 يصعد أبو بكر وأصله
 يتصاعد الباقون يصعد
 وأصله يتصعد (كذلك
 يجعل الله الرجس) العذاب
 في الآخرة واللجنة في
 الدنيا (على الذين
 لا يؤمنون) والاية حجة
 لتساعلي المعتزلة في ارادة

وجعله ضيقا لمن أراد
ضلاله (مستقيا) عادلا
مطرذا أو هو حال مؤكدة
(قد فصلنا الآيات لقوم
يذكرون) يتعظون
(لهم) أى لقوم يذكرون
(دار السلام) دار الله يعنى
الجنة أضافها الى نفسه
تعظيها لها وأدار السلامة
من كل آفة وكبر وأدار السلام
التحية سميت دار السلام
اقوله تحيتهم فيها سلام الا
قيل سلاما سلاما (عند
رهم) فى ضمانه (وهو
وايهم) محبهم أو ناصرهم
على أعدائهم (بما كانوا
يعملون) بأعمالهم أو
متوليهم بجزاء ما كانوا
يعملون أو هو ولينا فى
لدينا بتوفيق الاعمال
وفى العقابى بتحقيق
الآمال (ويوم نحشرهم
جميعا) وبالياء حفص أى
واذ ذكر يوم نحشرهم أو
ويوم نحشرهم قلنا
(يامعشر الجن قد استكثرتم
من الانس) أضلتم منهم
كثيرا وجعلتموهم
أنباعكم كما نقول استكثر
الامير من الجنود (وقال
أولياؤهم من الانس)
الذين أطاعوهم واستمعوا
الى وسوساتهم (ربنا
استمع بعضنا لبعض) أى
انتفع الانس بالشياطين
حيث دلوهم على الشهوات

الدنيا اللعنة وفى الآخرة العذاب قوله ز وجل (وهذا صراط ريك مستقيا) يعنى وهذا الذى بيننا لك
يا محمد فى هذه السورة وغيرهما من سور القرآن هو صراط ريك يعنى دينه الذى شرعه لعباده ورضيه لنفسه
وجعله مستقيا لا اعوجاج فيه قال ابن عباس فى قوله وهذا صراط ريك مستقيا يعنى الاسلام وقال ابن
مسعود يعنى القرآن لانه يؤدى من تبعه وعمل به الى طريق الاستقامة والساد (قد فصلنا الآيات) يعنى
قد فصلنا آيات القرآن بالوعود والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام والامر والنهى وغير ذلك من
أحكام القرآن (لقوم يذكرون) يعنى لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها من المواعظ والعبر قال عطاء يعنى
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (لهم دار السلام عند رهم) يعنى الجنة فى قول جميع
المفسرين قال الحسن والسدى السلام هو الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام فى أسماء الله تعالى ذوالسلام
وهو جمع سلامة لانه تعالى ذوالسلامة من جميع الآفات والمقاص فعلى هذا القول أضيفت الدار الى
السلام الذى هو اسم الله تعالى اضافة تشريف وتعظيم كما قيل للكعبة بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله فى قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واحتج لصحة هذا بان فى اضافة الدار الى الله تعالى نهاية تشريفها
وتعظيمها فكان ذكر الاضافة مبالغة فى تعظيم أمرها وقيل ان السلام صفة للدار لانها دار السلامة الدائمة التى
لا تنتقطع فعلى هذا يكون السلام معنى السلامة كانه قال لهم دار السلامة التى لا يلقون فيها شيئا يكرهونه وقيل
سميت بذلك لان جميع حالاتهم تامة ونه بالسلامة كما قال تعالى فى وصفها ادخلوها بسلام آمنين والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها سلام وقال من ربه رحيم لايسمعون فيها
لغو الا سلاما وقوله عند رهم يعنى ان الجنة معدة مهيأة لهم عند رهم حتى يوصلهم اليها (وهو وايهم بما كانوا
يعملون) يعنى انه تعالى يتولى أمرهم وايصال المنافع اليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناها أنه يتولاهم فى
الدنيا بالتوفيق والهداية وفى الآخرة بالجزاء والجنة وقيل الولي هو الناصر والقريب يعنى انه تعالى ينصرهم
فى الدنيا ويقر بهم فى الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التى كانوا يتقربون بها اليه فى الدنيا ﴿ قوله تعالى
(ويوم نحشرهم جميعا) أى اذ ذكر با محمد يوم نحشر المعادين بالله الاضنام مع أوليائهم من الشياطين يعنى
بمشر المشركين والشياطين جميعا يوم القيامة (يامعشر الجن) فيه حذف تقديره يقول لهم يامعشر الجن
والمعشر الجماعه والمراد من الجن الشياطين (قد استكثرتم من الانس) يعنى من اضلالهم واغوائهم وقال
ابن عباس معناها أضلتم كثيرا من الانس وهذا التفسير لانه من تأويل آخر لان الجن لا يقدرن على
اضلال الانس واغوائهم بانفسهم لانه لا يقدر على الاجبار اذ الله لانه هو المتصرف فى خلقه بما شاء
فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء الى الاضلال مع مصادفة القول من الانس (وقال أولياؤهم
من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يعنى استمتع الجن بالانس والانس بالجن فاما استمتاع الانس بالجن
فقال الكلبي كان الرجل فى الجاهلية اذا سافر فنزل بأرض فقراء وخاف على نفسه من الجن قال أعود بسيد
هذا الوادى من شرفه قوم فبييت فى جوارهم وأما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا سيدنا الانس
مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون بذلك شرفا فى قومهم وعظما فى انفسهم وقيل استمتاع الانس بالجن هو
ما كانوا يلقون اليهم من الارجيف والسحر والكهانة وترتيبهم الامور التى كانوا يهونها وتسهيل سبلها
عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي وقيل استمتاع
الانس بالجن فيما كانوا يدلونهم على أنواع الشهوات وأصناف الطيبات ويسهلونها عليهم واستمتاع الجن
بالانس هي طاعة الانس للجن فيما يامرهم به وينقادون لحكمهم فصاروا كالرؤساء للانس والانس
كالانباغ وقيل ان قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض هو من كلام الانس خاصة لان استمتاع الجن بالانس
وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر أما استمتاع الانس بعضهم ببعض فهو ظاهر فوجب حمل الكلام عليه

وعلى أسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى اغوائهم

وتابع الهوى والتكذيب
 بالبعث وتحسر على حالهم
 (قال النار منواكم) منزلكم
 (خالدين فيها) حال والعامر
 معنى الاضافة كقوله تعالى
 أن دابر هؤلاء مقطوع
 مصعبين فصعبين حال من
 هؤلاء والعامل في الحال
 معنى الاضافة اذ معنا الممازجة
 والمضامة والمثوى ليس
 بعامل لان المكان لا يعمل
 في شئ (الامشاء الله) أى
 يخلدون في عذاب النار
 الابد كله الامشاء الله الا
 الاوقات التي ينقلون فيها
 من عذاب السعير الى
 عذاب الزمهرير (ان
 ربك حكيم) فيما يفعل
 باوليائه وأعدائه (عليم)
 باعمالهم فيجزى كالأعلى
 وفق عمله (وكذلك
 نولى بعض الظالمين بعضا)
 تتبع بعضهم بعضا في النار
 أو نسلط بعضهم على بعض
 أو نجعل بعضهم أولياء بعض
 (بما كانوا يكسبون) بسبب ما
 كسبوا من الكفر والمعاصي
 ثم يقال لهم يوم القيامة
 على جهة التوبيخ (يا معشر
 الجن والانس ألم أتاكم
 رسول منكم) عن الضحاك
 بعث الى الجن رسلا منهم كما
 بعث الى الانس رسلا منهم
 لانه به آتس وعليه ظاه
 النص وقال آخرون الرسل

(و بلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يعنى ان ذلك الاستمتاع كان الى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب و بقيت
 الحسرة والندامة قال الحسن والسدى الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة (قال)
 يعنى قال الله لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والانس (النار منواكم) يعنى ان النار مقامكم
 ومقركم فيها ومصيركم اليها (خالدين فيها) يعنى مقيد بين في نار جهنم أبدا (الامشاء الله) اختلفوا في معنى هذا
 الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها الا قدر مدة بعثهم ووقوفهم للحساب الى حين دخولهم الى النار فان هذا
 الوقت ليسوا بخالدين فيه في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات نقلهم من عذاب الى عذاب آخر
 وذلك انهم يستغيثون من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون منه فينقلون الى النار فكانت مدة نقلهم
 هي المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم
 سبق فيهم علم الله أنهم يسلّمون و يصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قالوا فاعلى هذا
 التأويل تكون مافى قوله الامشاء الله بمعنى من يعنى الامن شاء الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان
 يتأول هذا الاستثناء بان الله عز وجل جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه الآية
 انه لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ان لا ينزلهم جنة ولا نار قال الزجاج والقول الاول أولى لان معنى
 الاستثناء انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشهم جميعا هو يوم القيامة ثم قال خالدين فيها من يدعيثون
 الامشاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدة محاسبتهم (ان ربك حكيم) يعنى في تدبير خلقه
 ونصر يفة اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله وقيل حكيم فيما يفعل من ثواب الطائع وعقاب
 العاصي وفي سائر وجوه المجازاة (عليم) يعنى بعواقب أمور خلقه وما هم اليه صائرون كما قال انما حكمت
 لهؤلاء الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك ﴿قوله عز وجل﴾ (وكذلك نولى بعض الظالمين
 بعضا) الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضى شيئا تقدم ذكره فالقتدير كما أنزات العذاب بالجن والانس
 الذين استمتع بعضهم بعضا كذلك نولى بعض الظالمين بعضا أى نسلط بعضهم على بعض فناخذ من الظالم
 بالظلم كما جاء في الاثر من أعان ظالما ساطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم أولياء بعض فأنخذ من الظالم
 حيث كان وأين كان والكافر نولى الكافر حيث كان وأين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم
 بعضا في النار من المولاة وقيل معناه نولى ظامة الانس ظامة الجن وظلمة الجن ظامة الانس يعنى نكل بعضهم
 الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم خيرا نولى عليهم خيرا هم و اذا
 أراد بقوم شرا نولى عليهم شرا هم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين ساط الله عز وجل عليهم ظالما
 مثلهم فن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم فليترك الظلم ﴿قوله تعالى﴾ (بما كانوا يكسبون) يعنى يسلط
 عليهم من يظلمهم بسبب أعماله الخبيثة التي اكتسبوها ﴿قوله تعالى﴾ (يا معشر الجن والانس) المعشركل
 جماعة أمرهم واحدا وجمع معاشر (ألم ياتكم رسل منكم) اختلف العلماء في معنى هذه الآية وهل كان
 من الجن رسل أم لا فذهب أكثر العلماء الى انه لم يكن من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس وأجابوا
 عن قوله رسل منكم بمعنى من أحدكم وهم الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
 وانما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذلك لان ذكرهما قد جمع في قوله مرج البحرين
 وهو جائز في كل ما اتفق في أصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما بما ينصرف الى أحسد
 الفريقين وهم الانس وهذا قول اقرء والزجاج ومذهب جمهور أهل العلم قال الواحدى وعليه دل كلام
 ابن عباس لانه قال ير يدأ نبياء من جنسهم ولم يكن من جنس الجن أنبياء وذهب قوم الى أنه أرسل الى الجن
 رسلا منهم كما أرسل الى الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل وظاهر الآية يدل

على ذلك لانه قال تعالى ألم ياتكم رسل منكم يخاطب الفريقين جميعا وأجيب عن ذلك بان الله تعالى قال
بامعشر الجن والانس ألم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضى كون الرسل بعضهم من أبعاض هذا المجموع وإذا
كان الرسل من الانس كان الرسل بعضهم من أبعاض هذا المجموع وكان هذا القول أولى من حل لفظ الآية
على ظاهرها فثبت بذلك كون الرسل من الانس لامن الجن ويحتمل أيضاً أن يقال ان كافة الرسل كانوا من
الانس لكن الله تعالى ياتي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعو كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم
من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال تعالى واذصرقنا اليك نفر من الجن يستمعون
القرآن الى فلما قضى ولو الى قومهم منذرين فكان أولئك نفر من الجن رسل رسول لله صلى الله عليه وسلم
الى قومهم وهذا مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس والنذر من الجن ونحو ذلك قال ابن جرير وأبو عبيدة
وقيل كانت الرسل يبعثون الى الجن من الجن ولكن بواسطة رسل الانس والله اعلم براده وأسرار كتابه
﴿وقوله تعالى﴾ (يقصون عليكم آياتي) يعني يخبرونكم بما أوحى اليهم من آياتي الدالة على توحيدى وتصديق
رسلى (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يعني ويحذرونكم ويخوفونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم
القيامة وذلك ان الله تعالى يقول يوم القيامة لكفار الجن والانس على سبيل التفرقة والتوبيخ ما أخبر في
كتابه وهو قوله تعالى بامعشر الجن والانس الآية فيجيبون بما أخبر عنهم في قوله تعالى (قالوا) يعني كفار
الجن والانس (شهدنا على أنفسنا) اعترفوا بان الرسل قد أتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وأنذروهم لقاء
يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يؤمنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك والكفر قال الله
تعالى (وغرهم الحياة الدنيا) يعني إنما كان ذلك بسبب انهم غرهم الحياة الدنيا ومالوا اليها (وشهدوا على
أنفسهم انهم كانوا كافرين) في الدنيا فان قلت كيف أقروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية وسجدوا
الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فإذا
رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير والفضل والكرامة أنكروا الشرك اعد ذلك الانكار ينعمهم وقالوا
والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ يختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله
تعالى وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على أنفسهم قلت شهادتهم الاولى
اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا على أنفسهم
ذم لهم وتخطئة لأبيهم ووصف انلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرهم الحياة الدنيا ولذاتها كانت عاقبة
أمرهم أن اضطروا الى الشهادة على أنفسهم بالكفر والمقصود من شرح حالهم تحذير السامعين ورجوعهم
عن الكفر والمعاصي ﴿قوله عز وجل﴾ (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم
سوء العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك الذي فصصنا عليك من أمر الرسل وأمر عذاب من كذبهم (أن لم يكن
ربك) يعني لانه لم يكن ربك (مهلك القرى بظلم) قال السكبي معناه لم يكن لهم الهلكة بظلمهم من قبل
أن تأتيهم الرسل فتنهاهم فان رجعوا والأناهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفراء يجوز أن
يكون المعنى لم يكن لهم الهلكة بظلم منه (وأهلها غافلون) أى وهم غافلون فعلى قول الجمهور يكون الظلم فعلا
للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفراء أنه لو أهلكتهم قبل بعثة الرسل لكان ظالموا الله
عز وجل بتعالى عن الظلم والقول الاول أصح لانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه
في شئ من أفعاله غير أنه أخبرانه لا يعذب قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظلماً منه ﴿قوله تعالى﴾ (ولكل
درجات مما عملوا) يعني ولكل عامل بطاعة الله أو بمعصيته درجات يعنى منازل يبلغها بعمله ان كان خيراً أخيراً
وان كان شراً فمروا بما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وهذا التمايزون
في الثواب والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا فمنهم من هو أعظم ثواباً ومنهم من هو أشد عقاباً وهو قول جمهور

(يقصون عليكم آياتي)
يقرؤون كتبى (ويدرونكم
لقاء يومكم هذا) يعنى
يوم القيامة (قالوا) ههنا
على أنفسنا) بوجوب
الحجة علينا وتبليغ الرسل
اليها (وغرهم الحياة الدنيا
وشهدوا على أنفسهم أنهم
كانوا كافرين) بالرسل
(ذلك) اشارة الى ما تقدم
من بعثة الرسل اليهم وهو
خبر مبتدأ محذوف أى
الامر ذلك (ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم
وأهلها غافلون) لتعليل أى
الامر ما قصصنا عليك
لاتقاء كون ربك مهلك
القرى بظلم على أن
أن مصدريه ويجوز أن
تكون مخففة من التثنية
والغنى لان الشأن والحديث
لم يكن ربك مهلك القرى
بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه
أو ظالموا على أنه لو أهلكتهم
وهم غافلون لم ينهوا رسول
وكتابا كان ظالموا وهو
متعال عنه (ولكل) من
المكافئين (درجات) منازل
(مما عملوا) من جزاء أعمالهم
وبه استدل أبو يوسف
ومحمد بن جريرهما الله على أن
للجن الثواب بالطاعة لانه
ذكر عقيب ذكر الثقلين

(ومار بك بغافل عما يعملون) بساء عنه وابتداء شامى (وربك الغنى) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) عابهم بالتكليف ليعرضه للذوابع الدائمة (ان يشأ يذهبكم) أيها الظالمة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (ان ما) ما بمعنى الذى (نوعدون) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لآت) خبر ان أى لكائن (وما أنتم بمعجزين) بغائبتين ردا لقولهم من مات فقد فات المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكّن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قل) يا قوم اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم انى أنتم عليها ويقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه (انى عامر) على كائناتى انى انا

المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا محتص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يلىق الا بهم وقوله تعالى (ومار بك بغافل عما يعملون) مختص باهل الكفر والمعاصى ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول أصح لان علمه تعالى شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطائع والمعاصى وانه عالم باعمالهم على التفصيل التام فيجزى كل عامل على قدر عمله وما يلىق به من ثواب أو عقاب ﴿ قوله عز وجل (وربك الغنى) بمعنى عن خلقه وذلك أنه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة أو معصية درجة على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والمعاصيين بالعقاب ليس لانه محتاج الى طاعة المطيع أو منقص بمعصية المعاصى بل هو الغنى على الاطلاق وان جميع الخلق فقراء اليه (ذو الرحمة) قال ابن عباس باولائه وأهل طاعته وقال الكلبى بخلق ذواته وازرعهم فمن رحته تأخير العذاب عن الذين اهلهم بتوبون ويرجعون (ان يشأ يذهبكم) يعنى يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم (ويستخلف) يعنى وينشئ ويخلق (من بعدكم) يعنى من بعد اهلها (ما يشاء) يعنى خلقا غيركم أمثل وأطوع منكم (كأنشأكم من ذرية قوم آخرين) اختلفت عبارات المفسرين فى هذه اللفظة فقال البغوى يعنى آباءهم الماضين قرنا بعد قرن ونحوه قال الواحدى وصاحب الكشاف يعنى من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام غفر الدين الرازى فى قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعنى من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الاعلى طريق البديل من فائت وأما قوله ما يشاء فالمراد منه خلق ثالث أوارع واختافوا فيه فقال بعضهم خلقا آخر من أمثال الجن والانس قال القاضى وهو الوجه الاقرب لان القوم يعملون بالعادة انه تعالى قادر على انشاء أمثال هذا الخلق فتنى كمال خلق ثالث ورابع يكون أقوى فى دلالة لقدرة فكانه تعالى نبيه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون لرحمته العظيمة التى هى الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهُؤلاء الاقوام الحاضرين أبقاهم وأمهلهم ولو شاء لاماتهم وأفناهم وأبدل منهم سواهم ثم بين الله تعالى قوة قدرته على ذلك فقال كأنشأكم من ذرية قوم آخرين لان المرء اذا نكح امرأة علم انه تعالى خلق الانسان من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب أن يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم خلقا آخر مخالفا لها هذا آخر كلامه وقال الطبرى فى قوله كأنشأكم من ذرية قوم آخرين يقول كأنشأكم وابتدعكم من بعد خلقي آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينارك ثوبى يعنى مكان الدينار ثوبى لان الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كأنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشؤا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا أنهم أنشؤا مكان قوم آخرين قد أهلكوا قبلهم ﴿ قوله تعالى (ان ما نوعدون) به من محىء الساعة والبعث بعد الموت والجنس للحساب يوم القيامة (لآت) يعنى انه كائن قريب (وما أنتم بمعجزين) يعنى بغائبتين حينما كنتم بذكركم الموت (قل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد (يا قوم) أى قل لقومك من كفار قريش (اعملوا على مكانتكم) وقرىء مكانتكم على الجمع والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكّن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل أن يكون معناه اعملوا على تمكّنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل أن يكون معناه اعملوا على حالتكم التى أنتم عليها كما يقال للرجل اذا أمر أن يثبت على حاله مكانتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم (انى عامل) يعنى انى عامل على مكاتى التى أنا عليها وما أمرنى به ربى والمعنى انتموا على ما أنتم عليه من الكفر والعداوة فانى ثابته على الاسلام والمصابرة فان قلت ظاهر الآية يدل

عليها أي اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم وهو امر تهديد ووعيد دليله قوله (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) أي فسوف تعلمون أي نأتكون له

العاقبة المحموده وهذا طريق لطيف في الانذار (انه لا يفلح الظالمون) أي الكافرون مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون حزة وعلى وموضع من رفع اذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم أو نصب اذا كان بمعنى الذي (وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) أي وللانعام نصيبا كتنبي بدلالة قوله تعالى (فقالوا هـذ الله نزعهم وهذا اشركائنا) بزعمهم على وكذا ما بعده أي زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله) أي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) من انفاقهم عليها والاجراء على سد تهاوى انهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لا لهم فاذا زاروا جعلوا لله زارا كما ما يراجعوا جعلوا لله للاصنام واذا زكوا جعلوا لله للاصنام تركوه لها وقالوا ان الله غنى وانما ذلك لهم آلهتهم واينارهم لها وفي قوله

على امر السكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر وذلك لا يجوز قلت معنى هذا الامر الوعيد والتهديد والبالغه في الزجر عما هم عليه من الكفر فكانه قال أقيموا على ما أنتم عليه من الكفر ان رضيتم لانفسكم بالعذاب الدائم فهو كقوله تعالى اعلموا ما شئتم فيه تفويض أمر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق لهم في عمل ما أرادوه من الكفر والمعاصي ﴿وقوله تعالى (فسوف تعلمون) يعني لمن تكون العاقبة المحموده لنا أو لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم أيضا كان على الحق في عمله نحن أم أنتم (من تكون له عاقبة الدار) يعني فسوف تعلمون غدا في القيامة لمن تكون عاقبة الدار وهي الجنة (انه لا يفلح الظالمون) قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر في وأشرك ثم في هذه الآية قولان أحدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول ان المراد بقوله اعلموا على مكاتم الوعيد والتهديد والقول الثاني انها منسوخة بآية السيف وهذا على قول من يقول ان المراد بها ترك القتال ﴿قوله تعالى (وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا) الآية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار البعث وغير ذلك عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم وأحكامهم الفاسدة تذبذبها على ضعف عقولهم وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله ما ذرأ يعني مما خاق من الحرث يعني الزرع والتمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزأ فالمفسرون كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حرثهم وثمارهم وأنعامهم وسائر مواهبهم نصيبا وللانعام نصيبا فما جعلوا لله من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوا للاصنام أنفقوه عليها وعلى خدمتها فان سقط شيء مما جعلوا لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما جعلوا لله لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك شيء مما جعلوا لله لم يبالوا به واذا انتقص شيء مما جعلوا لله للاوثان جبروه مما جعلوا لله فلذلك قوله وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وفيه اختصار تقديره وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا (فقالوا هذ الله نزعهم) يعني قولهم الذي هو بغير حقيقة لان معنى زعم حكاية قول يكون مظلنة الكذب ولذلك لا يجيء الا في موضع ذم لقائله وانما نسبوا الى الكذب في قولهم هذ الله بزعمهم وان كانت الاشياء كلها لله لا ضافتهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم (وهذا اشركائنا) يعني الاصنام وانما سموها الاصنام شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من مواهبهم ينفقونه عليها (فما كان لشركائهم) يعني ما جعلوا لله من الحرث والانعام (فلا يصل الى الله) يعني فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان (وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) والمعنى انهم كانوا يقررون ما جعلوا لله للاصنام مما جعلوا لله ولا يقررون ما جعلوا لله مما جعلوا لله للاصنام وقال قتادة كانوا اذا أصابتهم سنة نسي حط وشدة استعانوا بما جعلوا لله وأكلوا منه ووفروا بما جعلوا لشركائهم ولم يأكلوا منه شيئا وقال الحسن والسدى كانوا اذا هلك ما جعلوا لشركائهم أخذوا به مما جعلوا لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوا لشركائهم فلذلك ذمهم الله تعالى فقال (ساء ما يحكمون) يعني بسئ ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب الله تعالى في الرعاية والحفظ وهذا سفة منهم وقيل ان الاشياء كلها لله عز وجل وهو خلقها فلما جعلوا للاصنام جزءا من المال وهي لا تملك ولا تتحاق ولا تنصرف ولا تنفع نسبوها الى الاساءة في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من هذه الاحكام الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحسنها عقل ﴿قوله عز وجل (وكذلك) عطف على قوله وجعلوا لله ما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا ذلك

قوله مما ذرأ اشارة الى ان الله كان أولى بان يجعل له لزا كى لانه هو الذي ذرأ ثم ذم صديعهم بقوله (ساء ما يحكمون) في ايتار آلهتهم على الله وعلمه على ما لم يشرع لهم وموضع ما فعلوا ساء الحكم حكمه أو نص أي ساء حكم حكمتهم (وكذلك

زين لكثير من المشركين) أي كاز بن لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قتل) مفعول زين (أولادهم شركاؤهم) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركاؤهم بالجر شامى على إضافة القتل إلى الشركاء أي الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركاؤهم أولادهم (ليردوهم) أي هلكوا وهم بالانغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخطوا عليهم ويشوبوه ودينهم كانوا (٦٠) عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه إلى الشرك (ولو شاء الله ما فعلوه) وفيه

دليل على ان الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (قدرهم وما يفترون) وما يفترونه من الافك أو الافتراء هم لان ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وقالوا هذه أنعام وحرث للادنان (حجر) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به المذكور والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وكانوا اذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لأنهم قالوا (لا تطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعنون خدام الادنان والرجال دون النساء والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وأنعام حرمت ظهورها) هي البحائر والسوائب والحوامى (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) حالة الذبح وانما يذكرون عليها الأسماء الاصنام (افتراء عليه) هو مفعوله أو حال أي قسموا أنعامهم قسم حج وقسم لا يركب وقسم لا يذكروا

جهل منهم كذلك زين لكثير منهم قتل أولادهم تركاؤهم والمعنى أن جعلهم لله نصيبا من أموالهم وأشركاؤهم نصيبا في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لآلهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصب وكذلك اقدامهم على قتل أولادهم في نهاية الجهالة أيضا فكانه قال ومثل ذلك الذي فعلوه في القسم جهلا وخطأ وضلالا كذلك (زين) يعني حسن (الكثير من المشركين قتل أولادهم) يعني به وأد البنات أحياء مخافة الفقر والعيلة (شركاؤهم) يعني شياطينهم أمرؤهم أن يقتلوا أولادهم خشية الفقد وسميت الشياطين شركاء لانهم أطاعوهم فيما أمرؤهم به من معصية الله وقتل الاولاد فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم وأضيف الشركاء إلى المشركين لانهم أطاعوهم واتخذوهم أبابا وقال السكبي شركاؤهم سدنة آلهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يبنون ويحسبون للكفار قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم فيحلف ابن ولده كذا وكذا غلاما لينعز آخرهم كاحلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركاء هم السدنة وخدام الاصنام سمو شركاء لانهم أشركوهم في الطاعة (ليردوهم) يعني هلكوا وهم بذلك الفاعل الذي أمرؤهم به والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس يردوهم في النار (وليلبسوا عليهم دينهم) يعني وليخطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشرك في دينهم وكانوا على دين اسمعيل عليه السلام فرجوا عنه بتليس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين الحق الذي كان عليه اسمعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعا لهم هذه الاوضاع الفاسدة وزينوا لهم (ولو شاء الله ما فعلوه) يعني ولو شاء الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد أخبر الله عز وجل أن جميع الاشياء بمشيئته واداته اذ لو لم يشأ ما فعلوا ذلك (قدرهم) يعني فانزكهم يا محمد (وما يفترون) يعني وما يخترقون من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد ﴿قوله تعالى﴾ (وقالوا) يعني المشركين (هذه أنعام وحرث حجر) أي حرام وأصله المنع لانه منع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التصديق والحبس لانهم كانوا يجسسون أشياء من أنعامهم وحرثهم لأنهم قال مجاهد يعني بالانعام البحرية والسائبة والوصيلة والحاوى (لا تطعمها الا من نشاء بزعمهم) يعني يا كاهن اخدام الاصنام والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) يعني الحوامى وهي الانعام التي حوا ظهورها عن الركوب فيكونوا الا يركبونها (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها) يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون عليها الأسماء الاصنام وقيل معناه لا يحججون عليها ولا يركبونها الفعل الخير لانه لما جرت العادة بذكرك الله على فعل كل خير ذم هؤلاء على ترك فعل الخير (افتراء عليه) يعني أنهم كانوا يفعلون هذه الافعال ويزعمون ان الله أمرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل (سيجز بهم بما كانوا يفترون) فيه وعيد وتهديد لهم على افتراءهم على الله الكذب ﴿قوله عز وجل﴾ (وقالوا ما نرى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) يعني نساءنا قال ابن عباس وقتادة والشعبي أراد أجنة البحائر والسوائب فاولد منها حيا فهو خاص للرجال دون النساء وما ولد منها ميتا كاه الرجال والنساء جميعا وهو قوله تعالى (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء)

اسم الله عليهم او نسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه (سيجز بهم بما كانوا يفترون) وعيد (وقالوا ما نرى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) كانوا يولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خاص للذكور لا ياكل منه الاماث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاماث وأنث خاصة وهو خبر ما للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكروا محرم حلا على اللفظ والثناء للمبالغة كذابة (وان يكن ميتة) أي وان يكن ما في بطونها ميتة وان تكن ميتة أبو بكر أي وان تكن الاجنة ميتة وان تكن ميتة شامى على كان التامة بكن ميتة مكى لتقديم الفعل ونذ كبر الضمير في (فهم فيه شركاء)

ودخلت

جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحرير (انه حكيم) في جزائهم (علم) باعتقادهم (قد خسر الذين قتلوا أولادهم) كانوا يثدون بناتهم مخافة السبي والفقر قتلوا مكي وشامي (سفها بغير علم) لخرة أحلامهم وجهلهم بان الله هورازق أولادهم لاهم (وحر موامرزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (افتراء على الله) مفعول له (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) الى الصواب (وهو الذي أنشأ خلق جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات مرفوعات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرض يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (والنخل والزرع مختلفا) في اللون والطعم والحجم والرائحة وهو حال مقدرة لان النخل وقت خروجه لأكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أ كاه) أ كاه حجازي وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لانه معطوف عليه أ ذلك واحد (والزيتون والرمان

ودخلت الهاء في خالصه لتأكيده والمبالغة كقولهم رجل علة ونسابة وقال الفراء دخلت الهاء لتأنيث الانعام لان مافي بطونها مثلها فانث بتأنيثها وقال الكسائي خالص وخاصة واحدمثل وعظ وموعظة وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مؤنث جاز تأنيثه على المعنى ونذكيره على اللفظ كما في هذه الآية فانه أنت خالصة على المعنى وذ كرو محررم على اللفظ (سيعجز بهم وصفهم) يعني سيكافئهم بسبب وصفهم على الله الكذب (انه حكيم علم) فيه وعيد ونهيد يعني انه تعالى حكيم فيما يفعله عليهم بقدر استحقاقهم قوله تعالى (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر وكان الرجل يقاضي الرجل على أن يسعي جارية ويئد أخرى فاذا كانت الجارية التي تؤادغدا الرجل أوراخ من عند امرأته وقال لها أنت علي كظهر أحمى ان رجعت اليك ولم تنديها فتخذطها في الارض خد أو ترسل الى نساءها فيجتهدن عن عندها ثم يئدوا نها يئد حتى اذا ابصرته راجعادستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة وبعثوا كلبه ماسبب الخسران المذكور في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم ان الولد نعمة عظيمة نعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة هذه النعمة عنه وباطلها فقد استوجب الدم وخسر في الدنيا والآخرة اما خسارته في الدنيا فقد سعى في نقص عدده وازالته ما نعم الله به عليه واما خسارته في الآخرة فقد استحق بذلك العذاب العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب حصول هذه السفاهة هو قوة العلم بل عدمه لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا سمو جاهلية وقوله تعالى (وحر موامرزقهم الله) يعني البحائر والسوائب والحامى وبعض الحروث وبعض مافي بطون الانعام وهذا أيضا من أعظم الجهالة (افتراء على الله) يعني أنهم فعلوا هذه الافعال المذمومة وزعموا أن الله أمرهم بذلك وهذا افتراء على الله وكذب وهذا أيضا من أعظم الجهالة لان الجراء على الله والكذب عليه من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا قال تعالى (قد ضلوا) يعني في فعلهم عن طريق الحق والرشاد (وما كانوا مهتدين) يعني الى طريق الحق والصواب في فعلهم (خ) عن ابن عباس قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وقوله عز وجل (وهو الذي أنشأ جنات معروشات) يعني وبالله الذي ابتدع وخلق جنات يعني بساتين معروشات (وغير معروشات) يعني مسموكات مرفوعات وغير مرفوعات وأصل العرش في اللغة شيء مشقف يجعل عليه الكرم ووجه عروش يقال عرشت الكرم أعرضه عروشا وعروشا عرشته تعريشا اذا جعلته كهيئة السقف واعتريش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات وغير معروشات فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر ما يعريش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وسائر الشجر وقال الضحاك كلاهما في الكرم خاصة لان منه ما يعريش ومنه ما لم يعريش بل يبق على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات ما عرسه الناس في البساتين واهتموا به فعرضوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما نبته الله في البراري والجبال من كرم أو شجر (والنخل والزرع) يعني وأنشأ النخل والزرع وهو جميع الحبوب التي تقطت وتذخر (مختلفا كاه) يعني به اختلاف الطعم في الثمار كالحمض والحامض والجيد والردى ونحو ذلك (والزيتون والرمان متشابه) يعني في المنظر (وغير متشابه) يعني في الطعم كالماتين لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلفة في الجنس والطعم (كلوا من ثمره اذا أثمر) لما ذكر ما أنعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على أنواع من الثمار ذكرها المقصود الاصل وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اذا أثمر وهذا أمر بالاحقة وتمسك بهذا المعنى فقال الامر قد يرد

متشابه) في اللون (وغير متشابه) في الطعم (كلوا من ثمره) من ثمر كل واحد وقائدة (اذا أثمر) أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت

الى غير الوحوب لان هذه الصيغة مفيدة لدفع الحرج وقال بعضهم المقصود اباحة الاكل قبل اخراج الحق لانه تعالى لما اوجب الزكاة في الحبوب والثمار كان يحتمل أن يحرم على المالك أن يأكل منها شيئاً قبل اخراج الواجب فيها المكان شركة الفقراء والمساكين معه فباح الله أن يأكل قبل اخراجه لان رعاية حق النفس متقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كما وان ثمره اذا ثمر بصيغة الامر ليعلم أن المقصود من خلق هذه الاشياء التي أنعم الله بها على عباده هو الاكل (وأتواحقه يوم حصاده) يعني يوم حصاده وقطعه واختلفوا في هذا الحق المأمور باخراجه فقال ابن عباس وأنس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب ومحمد بن الحنفية وقتادة قال قتادة في قوله وأتواحقه يوم حصاده أي من الصدقة المفروضة ذكرنا أن نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء والعين السائحة أو سقاها النيل والندي أو كان بعلا العشر كاملاً وان سقى بنضح أو سانية فنصف العشر وهذا فيما يكال من الثمرة أو الزرع وبلغ خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد وجب فيها حق الزكاة وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى وأتواحقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية فكيف يمكن حل قوله وأتواحقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في تفسيره عن ابن عباس وقتادة أن هذه الآية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الآية محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الآية مكية تكون منسوخة بآية الزكاة لانه قد روى عن ابن عباس أنه قال نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن وقيل في قوله تعالى وأتواحقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعمهم من حضر وترك ما سقط من الزرع والتمر وهذا قول علي بن الحسن وعطاء ومجاهد وحاد قال ابراهيم هو الضغث وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يجيئون بالندق عند الصرام فيأكل منه من مر وقال يزيد بن الاصم كان أهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالندق فيعاقونه في جانب المسجد فيبني المسكين فيضربه بعصاه فاسقط منه أكله فعلى هذا القول هل هذا الامر أمر وجوب أو استحباب وندب فيه قولان أحدهما أنه أمر وجوب فيكون منسوخاً بآية الزكاة بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل على غيرها قال لا الآن تطلع والقول الثاني أنه أمر ندب واستحباب فتكون الآية محكمة وقال سعيد بن جبيرة كان هذا حقاً يوم باخراجه في ابتداء الاسلام ثم صار منسوخاً بإيجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت آية الزكاة كل صدقة في القرآن واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول وصححه فان قلت فعلى القول الاول كيف تؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل وانما يجب الاخراج بعد التصفية والحفاف قلت معناه قدر وأداء اخراج الواجب منه يوم الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والحفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده وهو الصرام والزرع محمول عليه لأنه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه وأتواحقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله في يد مالكه وقوله تعالى (ولانسرفوا) الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في الانفاق أشهر وقيل السرف تجاوز ما حدلك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال سفيان ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلاً قال ابن عباس في رواية عنه محمد بن ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمةا في يوم واحد ولم يترك لاهله شيئاً فانزل الله هذه الآية ولانسرفوا قال السدي معناه لانسرفوا أو السكم وتعدوا فقراء قال الزجاج فعلى هذا الوأعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيئاً فقد أسرف لانه قد صح في الحديث ابدأ بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لانعموا الصدقة فتأويل الآية على هذا القول لا تجاوزوا

اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك (وأتواحقه) عشره وهو حجة أبي حنيفة رحمه الله في تعميم العشر (يوم حصاده) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهم الغتان (ولانسرفوا) باعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا الى

(انه لا يحب المسرفين) اعتراض (ومن الانعام حمولة وفرشا) عطف على جنات أى وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال، وما يفرش للذبح أو الحولة البكار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والجماجيل والغنم لانها دائية من الارض مثل الفرش المفروش عليها (كأوامر زفكم الله) أى ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كفى الجاهلية (ولا) (٦٣) تتبعوا خطوات الشيطان) طريقة

في التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) فأنهموه على دينكم (ثمانية أزواج) بدل من حولة وفرشا (من الضأن اثنين ومن المعز اثنين) زوجين اثنين يريد الذكور والانثى والواحد اذا كان وسده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خاق الزوجين الذكور والانثى وبدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر ونجر وفتح عين المعز مكي وشامى وأبو عمر ووهما لغنان والهزمة في (قل) الذكورين حرم أم الاثنيين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين (للانثيين) للانكار والمراد بالذكورين الذكور من الضأن والانثيين من المعز والانثى من المعز والمعنى انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضائها ومعزها

الحد في البخل والامسك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذا القولان يشتركان في أن المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا أن الاولى في البذل والاعطاء والثاني في الامسك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول أيضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من شرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حله وقال الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق الله تعالى ولو كان أبو قبيس ذهابا فانفقته في طاعة الله لم تكن مسرفا ولو أنفقته درهما أو مدافى معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهى أن يأخذ من رب المال فوق الذي أئتم الله ماله يقول الله عز وجل للسلطين لا تسرفوا أى لا تأخذوا بغير حق فكانت الآية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى (انه لا يحب المسرفين) فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شئ لان من لا يحب الله فهو من أهل النار وقوله تعالى (ومن الانعام) يعنى وأنشأ من الانعام (حولة) وهي كل ما يحتمل عليهما من الابل (وفرشا) يعنى صغار الابل التي لا تحتمل قال ابن عباس الحولة هي البكار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في رواية أخرى عنه ذكرها الطبري أما الحولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شئ يحمل عليه وأما الفرش فالغنم وقال الربيع بن أنس الحولة الابل والبقر والفرش المعز والضأن فالحولة كل ما يحتمل عليهما من الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشالانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض اصغره (كأوامر زفكم الله) يعنى كأوامر أحله الله لكم من هذه الانعام والحرث (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) يعنى لا تسلكوا طريقه وأثاره في تحريم الحرث والانعام كإفعله أهل الجاهلية (انه) يعنى الشيطان (لكم عدو مبين) يعنى انه مبين العداوة لكم ثم بين الحولة والفرش فقال عز وجل (ثمانية أزواج) يعنى وأنشأ من الانعام ثمانية أزواج يعنى ثمانية أصناف والزواج في اللغة الفرد اذا كان معه آخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنيين فيقال للذكور زوج وللانثى زوج (من الضأن اثنين) يعنى الذكور والانثى والضأن ذوات الصوف من الغنم والواحد ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن (ومن المعز اثنين) يعنى الذكور والانثى والمعز ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى (قل الذكورين حرم أم الاثنيين) استفهام انكار أى قل يا محمد هؤلاء الجهلة الذكورين من الضأن والمعز حرم عليكم أم الاثنيين منهما فان كان حرم الذكورين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الاثنيين منهما فكل انثاهما حرام (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) يعنى أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين من الضأن والمعز فانها لا تشمل الاعلى ذكروا أنثى (نبشوني) أى أخبروني وفسر والى ما حرمتم (يعلم ان كنتم صادقين) يعنى أن الله حرم ذلك عليكم (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين) وهذه أربعة أزواج آخر بقية الثمانية (قل الذكورين حرم أم الاثنيين أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) وتفسير هذه الآية نحو ما تقدم وفي هاتين الآيتين تفرع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتعريمهم ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه أنعام وحرت حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وحرموا البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكانوا يحرمون بعضها على الرجال والنساء وبعضها على النساء دون الرجال كما أخبر الله عنهم في كتابه فلما جاء الاسلام وثبت الاحكام جادلوا النبي

شياً من نوعي ذكورها وانثاهما ولا يمكن الامات وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة وانثاهما طورا وأولادها كيفما كانت ذكورا وانثا أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم وانتصب الذكورين محرم وكذا أم الاثنيين أى أم حرم الاثنيين وكذا ما في أم ما اشتملت (نبشوني يعلم) أخبروني باسم معلوم جهة الله بدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) في أن الله حرمه (ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكورين) منهما (حرم أم الاثنيين) منهما (أم ما اشتملت عليه أرحام الاثنيين) أم

ما فعل أناتها (أم كنتم شهداء) أم منقطعة أى بل كنتم شهداء (أذواكم الله بهذا) يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله (٦٤) وهم يقولون الله حرم هذا الذى حرمه تمهك بهم فى قوله أم كنتم شهداء على

معنى أعرقم التوصية به مشاهد بن لانكم لا تؤمنون بالرسول (فن أظلم من افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم مالم يحرم (ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى الذين فى علمه أنهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غيراً جنسي من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الانعام لمانفعتهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيداً للتجليل والاعتراضات فى الكلام لاتساق الاللتوكيد (قل لأجد فيما أوحى الى) أى فى ذلك الوقت أوفى وحى القرآن لان وحى السنة قد حرم غيره وأمن الانعام لان الآية فى رد البحيرة وأخواتها وأما الموقودة والمتردية والنطيحة فى الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم انما ثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى لانفس (محرم) حيوانا حرم أكله (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الأأن يكون

صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمى فقال يا محمد بلغنا أنك تحرم أشياء مما كان آباءنا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم أصاف من النعم على غير أهل وانما خلق الله هذه الأزواج الثمانية للاكل والاتفاع بها فمن أين جاء هذا التحريم من قبل الذكر أم من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتخبر ولم يتكلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لمالك مالك لا تتكلم فقال بل أنت تكلم وأسمع منك قال المفكرون فلوقال جاء التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة يجب أن يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب أن يحرم جميع الاناث وان كان باشمال الرحم عليه فينبغى أن يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الاعلى ذكر وانثى وأما تخصيص التحريم بالولد الخامس والسابع أو ببعض دون البعض فنأين ذلك التحريم فاتحج الله على بطلان دعواهم بهاتين الآيتين واعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن كل ما قالوه من ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم يحرم شيئاً من ذلك وانهم اتبعوا فى ذلك أهواءهم وخالفوا أمر ربهم وذکر الامام خذ الدين فى معنى الآية وجهين آخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان هذا الكلام ماورد على سبيل الاستدلال على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعنى أنكم لا تقرون بنبوته نبي ولا تعترفون بشرىة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثانى أنكم حكمتكم بالبحيرة والسائبه والوصيلة والحامى مخصوصا بالابل فالله تعالى بين أن النعم عبارة عن هذه الانواع الاربع وهى الضأن والمعز والبقر والابل فلم يحكموا بهذه الاحكام فى هذه الانواع الثلاثة وهى الضأن والمعز والبقر فكيف خصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة ﴿ قوله تعالى (أم كنتم شهداء اذواكم الله بهذا) يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لؤلؤا لجهلة من المشركين الذين يزعمون أن الله حرم عليهم ما حرموا على أنفسهم من الانعام والحرف هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوته أحد من الانبياء فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجج وبين أنه لاستندهم فى ذلك قال تعالى (فن أظلم من افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم) يعنى فن أشد ظاهما وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم مالم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بذلك ويصددهم عن سبيل الله جهلامنه اذ ليس هو على بصيرة وعلم فى ذلك الذى ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله أمرنا بهذا قيل أراد به عمرو بن لحي لانه أول من بحر البحائر وسبب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام وبدخل فى هذا الوعيد كل من كان على طريقته وأبتدع شيأ لم يأمر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من أدخل فى دين الله ما ليس فيه فهو داخل فى هذا الوعيد (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) يعنى ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله وأضاف اليه مالم يشرعه لعباده ﴿ قوله عز وجل (قل لأجد فيما أوحى الى محرم على طاعم يطعمه) اعلم أنه لما بين الله تعالى فساد طريقة أهل الجاهلية وما كانوا عليه من التجليل والتحريم وبين أن التحريم والتجليل لا يكون الا بوحي سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أى قل يا محمد لؤلؤا المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم من المطعومات اتبعه بالبليان الصحيح فى ذلك وبين أن التحريم والتجليل لا يكون الا بوحي سماوى وشرع نبوى فقال تعالى قل أى قل يا محمد لؤلؤا المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند أنفسهم لا تجد فيما أوحى الى وقيل انهم قالوا لولا المحرم اذ انزل قل لأجد فيما أوحى الى محرم ما يعنى شيأ محرم على طاعم يطعمه يعنى على آكل يأكله (الأأن يكون ميتة أو دما مسفوحا) يعنى سائلا مصبوبا (والحلم خنزير فانه رجس) أى نجس (أو فسقا أهل غير الله به) يعنى ما ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى فى هذه الآية أن

ميتة) الا أن يكون الشئ المحرم ميتة أن تكون مكى وشامى وجزرة ميتة شامى (أو دما مسفوحا) مصبوبا حائلا التحريم فلا يحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال (أولحم خنزير فانه رجس) نجس (أو فسقا) عطف على المنصوب قبله وقوله فانه رجس اعتراض بين العطف والماء طوف عليه (أهل غير الله به) منصوب المحل صفة لفسقا أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى با فسق

التحريم والتحليل لا يكون الا بسوحي منه وان المحرمات محصورة في الاربعه الاشياء المذكورة في هذه الآية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا مبالغة في أن التحريم لا يخرج عن هذه الاربعه وذلك أنه ثبت أنه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالسوحي وثبت أن الله تعالى نص في هذه الآية على هذه الاربعه الاشياء ولهذا اختلف العلماء في حكم هذه الآية فذهب بعضهم الى ظاهرها وانها لا تجرم شيئاً من سائر الطعومات والحيوان الا ما ذكر في هذه الآية بروى ذلك عن ابن عباس وعائشة وسعيد بن جبير وهو ظاهر مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الآية محكمة لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ واحتجوا بان هذه الآية وان كانت مكية لكن بعضها آية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله وكلما اتمت فصار هذه الآية المدنية مطابقة للآية المسكية في الحكم وذهب جمهور العلماء الى أن هذا التحريم لا يختص بهذه الاشياء المنصوص عليها في هذه الآية فان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الآية وقد حرمت السنة أشياء فوجب القول بما منها تحريم الجوارح الاهلية وكل ذى ناب من السباع ومخلب من الطير عن المتقدم بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عنى وهو متكئ على أريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه وما وجدنا فيه حراماً حرمانه وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب ولا يروى داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا بالحل لكم الجوارح الاهلية ولا كل ذى ناب من السباع ولا لقطعة معاهد الا أن يستغنى عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فان لم يقروه فله أن يعفيهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتبركون أشياء تقدر ارفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم وأنزل كتابه وأحل حلاله وحرم حرامه فأحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو معفو ولا يقل لأجد فيما أوحى الى محرماً على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة الآية أخرجه أبو داود (م) عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير (م) عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كل لحوم الجوارح الاهلية (ق) عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الجوارح الاهلية وأذن في الخيل وروى رواية أكلنا من خير الخيل وحر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجوارح الاهلية عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الهر وأكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال وأباح كل ذلك وقد تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعى أن كل ما لم يرد فيه نص بتحريم أو تحليل فما كان أمر الشارع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وهي الحية والعقرب والفأرة والحدأة والكلاب العقور وروى عن سعد بن أبي وقاص أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الوزغ أخرجه البخارى ومسلم وسماه فويسقا وعن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب الخلة والنحلة والهدأة والصراد أخرجه أبو داود فهذا كله حرام لا يحل أكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فمما يستطيه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله أحل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا تقر بما يحل ويحرم من الطعومات وأما الجواب عن هذه الآية الكريمة فمن وجوه أحدها ان يكون المعنى لأجد محرماً مما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البعائر والسوابغ وغيرها الا ما أوحى الى في هذه الآية الوجه الثانى أن يكون المراد وقت نزول هذه الآية لم يكن محرماً غير ما ذكر وانص عليه في هذه الآية ثم

لتوغله في باب الفسق (فن لمواساته ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذنه (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) أي ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الأيل والنعام (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) أي حرمنا عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شئ منه ولم يحرم من البقر والغنم الا الشحوم وهي الثروب وشحوم الكلي (الاماجات ظهورهما) الا ما شتمل على الظهور والجنوب من السجفة (أو الحوايا) أو ما شتمل على الامعاء واحدها حوايا أو حوية (أو ما اختلط بعظم) وهو الآية أو المخ (ذلك) مفعول ثان لقوله (جزيناهم) والتقدير جزيناهم ذلك (ببغيتهم) (وانا لصادقون) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم التحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحايل الحرام حيث قال وعفا عنكم فالان باشرهون (فان كذبوك) فيما أوحيت اليك من هذا (فقل ربكم ذورجة واسعة بها أهل الكذابين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمة (عن القوم الجرمين) اذا جاء فلا تغربسعة رحمة عن خوف

حرم بعد نزولها أشياء أخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل آخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الآية محرم على اسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله أعلم (بقي في الآية أحكام) في قوله تعالى أو دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة أو عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما سوى ذلك كالسكب والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث بابا حتهما وكذا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سائل قال عمران بن حدير سألت أبا مجلز عما يختلط باللحم من الدم وعن القدر يرى فيها حرة الدم فقال لا بأس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا بأس بالدم في عرق أو مخ الا المسفوح وقال عكرمة مولا هذه الآية لتتبع المسامون الدم من العروق ما تتبع اليهود وقوله تعالى (فن اضطر غير باغ ولا عاد) لما بين الله المحرمات في هذه الآية أباح أكلها عند الاضطرار من غير بني ولا عدوان في قوله (فان ربك غفور رحيم) دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار في قوله تعالى (وعلى الذين هادوا) يعني اليهود (حرمنا كل ذي ظفر) قال ابن عباس هو البعير والنعام ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من المهائم والطيور مثل البعير والنعام والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) يعني شحم الجوف وهي الثروب وشحم الكليتين (الاماجات ظهورهما) يعني الامعاء بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فانه غير محرم عليهم وقال السدي وأبوصالح الآية مما حلت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم لان البقر ليس لها الية (أو الحوايا) وهي المباعر في قول ابن عباس وجهور المفسرين واحدها حوايا وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين وهي الدوائر التي تكون في بطن الشاة والمعنى أن الشحم الملتصق بالمباعر والمصارين غير محرم على اليهود (أو ما اختلط بعظم) يعني من شحم الالية لانه اختلط بالعصص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس والعين فكل هذا حلال على اليهود فاصل هذا أن الذي حرم عليهم شحم الثروب وشحم الكلية وما عد ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام الفتح بمكة ان الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله رأيت شحوم الميتة فانها يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قال ان الله اليهودان الله لما حرم عليهم شحومها جلوه ثم باعوه فاكلوا ثم قال صلى الله عليه وسلم اذ ابوه يقال أجلت الشحم وجلته اذا ذبته وجلته أكثر وأصحح وقوله تعالى (ذلك جزيناهم) أي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة لهم (ببغيتهم) يعني بسبب بغيتهم وظلمهم وهو قتل الانبياء وأخذلر باواستحلهم أموال الناس بالباطل (وانا لصادقون) يعني في الاخبار عن بغيتهم وفي الاخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم (فان كذبوك) يعني فان كذبك اليهود يا محمد فيما أخبرناك ان احرمنا عليهم وأحللنا لهم مما بيناه في هذه الآية المتقدمة (فقل ربكم ذورجة واسعة) يعني بتأخير العقوبة عنكم فان رحمة تسع السبيء والحسن فلا يجمل بالعقوبة على من كفر به أو عصاه (ولا يرد بأسه) يعني ولا يرد عذابه ونقمة اذا جاء وقتها (عن القوم الجرمين) يعني الذين كذبوا الانبياء وهم الكفار واليهود وقوله عز وجل (سيعقوبن الذين أشركوا) لما لزمهم الحجة ونيقوا باطلان ما كانوا اعياهم من الشرك بالله ونحوهم ما لم يحرمه الله أخبر الله تعالى عنهم بما سبقولونه فقال تعالى سيعقوبن الذين أشركوا يعني مشركي قريش والعرب (لوشاء الله ما أشركنا ولا آبائنا) يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قلوبهم لوشاء الله ما أشركنا حجة على اقامتهم على الكفر والشرك وقالوا ان الله قادر على أن يحول بيننا وبين ما نحن عليه حتى لا نعلمه فلو انه رضى ما نحن عليه وأراد مننا وأمرنا به لحال بيننا وبين ذلك (ولا حرمنا من شئ) يعني ما حرمه من البحار والسواحب وغير ذلك فقال الله

عز وجل ردوا ونكذبوا لهم (كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني من كفار الامم الخالية الذين كانوا قبل
 قومك كذبوا انبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء (حتى ذاقوا بأسنا) يعني عذابنا
 فصل استدلال القدرة والمعزلة بهذه الآية فقلوا ان القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله
 ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وايضا فان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح من ذهب
 الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك لم نشرك ولنعناعن هذا الكفر وحيث لم يعنعاعنه ثبت انه
 مر يده واذا اراده منا امتنع تركه منا واجيب عن هذا بان الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار انهم قالوا لو شاء
 الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك كذب الذين من قبلهم وهذا التأكيد ليس هو في قولهم لو شاء الله
 ما أشركنا بل ذلك القول حق وصدق ولكن الكذب في قولهم ان الله أمرنا به ورضى ما نحن عليه كما أخبر عنهم
 في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فردد الله تعالى عليهم بقوله قل
 ان الله لا يأمر بالفحشاء والذليل ان التأكيد في قولهم ان الله أمرنا به هذا ورضيه من الا في قولهم لو شاء الله
 ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عن كذبهم في قولهم لو شاء الله
 ما أشركنا فقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم الى الكذب لالي التأكيد وقال
 الحسن بن الفضل لوقالوا هذه المقالة تعظيما لله وجلاله ومعرفة بحقه وما يقولون لما عابهم بذلك وانكروا
 قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلان غير معرفة بالله وما يقولون وقيل في معنى الآية انهم كانوا يقولون
 الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء الله ما أشركنا الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لهم في
 ترك الايمان والرد عليهم في ذلك ان أمر الله بعزل عن مشيتته وارادته فان الله تعالى مر يد لجميع الكائنات
 غير أمر بجميع ما يريد فعلى العبد ان يتبع أمره وليس له ان يتعلق بمشيتته فان مشيتته لا تكون عذرا
 لاحد عليه في فعله فهو تعالى يشاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل الى العبد
 ويأمره بالايمان وورد الامر على خلاف الارادة غير ممنوع فالخصل انه تعالى حكى عن الكفار انهم يحسبون
 بمشيتته الله تعالى في شركهم وكفرهم فاخبر الله تعالى ان هذا التمسك فاسد باطل فانه لا يلزم من ثبوت المشيئة
 لله تعالى في كل الامور دفع دعوه الانبياء عليهم السلام والله أعلم ﴿ وقوله تعالى (قل هل عندكم من علم)
 أى قل يا محمد هؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولو كنتم ترضون ما نحن عليه من الشرك هل عندكم
 يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم (فتخرجوه لنا) يعني فتظهروا
 ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض ذلك واستحالة في العقول (ان تتبعون
 الا الظن) يعني فيما أتمت عليه من الشرك وتحريم ما يحرمه الله عليكم وتحسبون انكم على حق وانما هو
 باطل (وان أتمم الاخرصون) يعني وما أتمت في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل ﴿ وقوله
 تعالى (قل فقل للجهالة البالغة) يعني قل يا محمد هؤلاء المشركين حين عجزوا عن اظهار علم الله وحجة لهم فقل
 الحجية البالغة يعني التامة على خلقه بانزال الكتاب وارسال الرسل قال الربيع بن أنس لا حجة لاحد عصى الله
 أو أشرك به على الله ولكن لله الحجية البالغة على عباده (فلو شاء هداكم اجمعين) يعني فلو شاء الله لوفقكم
 اجمعين للهداية ولكنهم لم يشاء ذلك وفيه دليل على انه تعالى لم يشاء ايمان الكافر ولو شاء هداه لا يستل عما
 يفعل وهم يستلون (قل هل شهداءكم الذين يشهدون) يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهم كلمة دعوة الى
 الشيء يستوى فيه الواحد والاثان والجمع والذك والانثى وفيها لغة اخرى يقال للواحد هلم وللانثى
 هلمما وللجمع هلموا وللانثى هلمى واللغة الاولى أفصح (ان الله حرم هذا) وهذا تنبيه من الله باستدعاء
 الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على انفسهم وقالوا ان الله مرنا به ليعلم ان لا شاهد لهم على
 هذا اجمعين) أى فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قل هل شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقر بوجه ويستوى في هذه
 الكلمة الواحد والجمع والذك والمؤنث عند الجازين وبنو عجم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون ان الله حرم هذا) أى زعموه محرما

منهم) ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ان من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى اذ لو تتبع الدليل لم يكن لا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم يريدون ان يعدلوا) يسوون الاصنام (قل) للذين حرموا الحرف والالعام (تعالوا) هومن الخاص الذي صار عامافاصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ما حرم ربكم) الذي حرمه ربكم (عليكم) مامن صلة حرم (ن لا نشر كوابه شيئا) أن مفسرة افعال التلاوة ولا نهى وبالوالدين احسانا) واحسانا وبالوالدين احسانا ولما كان ايجاب الاحسان نحر بما اترك الاحسان ذكر في المحرمات وكذا حكم ما بعده من الاوامر (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية اطلاق (نحن نرزقكم واياهم) لان رزق العبيد على مولاهم (ولا تقر بوا الفواحش ما ظهر منها) ما بينك وبين الخلق (وما

ذلك وانما اختلفوا من عند انفسهم (فان شهدوا فلا تشهد معهم) وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين في شهادتهم ولا تشهد أنت يا محمد معهم لانهم في شهادتهم كاذبون (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) يعني ان وقع منهم شهادة فالتماهي باتباع الهوى فلا تتبع أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع ما أوحى اليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (والذين لا يؤمنون بالآخرة) أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة (وهم يريدون ان يعدلوا) يعني يشركون ﴿ قوله عز وجل (قل تعالوا انزل ما حرم ربكم عليكم) لما بين الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا ان الله امرهم بتحرير ما حرموه على انفسهم فكانهم سألووا وقالوا أي شيء حرم الله فامر الله عز وجل نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم تعالوا تعال من الخاص الذي صار عامافاصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وقيل أصله ان تدعو الانسان الى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع المنزلة فكانه دعاه الى ما فبدر فرفة وشرف ثم كثر في الاستعمال والمعنى تعالوا وهلموا ايها القوم انزل عليكم يعني أقر ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا بقيننا لاشك فيه ولا ظمنا ولا كذبا كما تزعمون اتم بل هو وحي أوحاه الله الى (ان لا نشر كوابه شيئا) فان قلت ترك الاشرار واجب فمأعنى قوله ان لا نشر كوابه شيئا لانه كالتفصيل لما أجبه في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجود الوجه الاول ان يكون موضع ان رفع معناه هو ان لا نشر كوابه شيئا الوجه الثاني ان يكون محل النصب واختلاف في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان تشركوا وتكون لاصلة وقيل ان حرف لا على أصلها ويكون المعنى أنل عليكم حرم عليكم أي لا تشركوا ويكون المعنى أوصيكم أن لا تشركوا لان قوله وبالوالدين احسانا محمول على أوصيكم بالوالدين احسانا الوجه الثالث ان يكون الكلام قد تم عند قوله حرم ربكم ثم قال عليكم أن لا تشركوا على الاغراء أو بمعنى فرص عليكم أن لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشرار الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل لله شريكا من خلقه أو يطيع مخلوقا في معصية الخالق أو ير يدعبادته رياء وسمعة ومنه قوله ولا يشرك بعبادته به أحدا ﴿ قوله عز وجل (وبالوالدين احسانا) أي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما نبي بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان أعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه هو الذي أخرجه من العدم الى الوجود وخلقته وأوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمته الوالدين لانهم ما السبب في وجود الانسان ولما لهم عليه من حق التربيّة والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره (ولا تقتلوا اولادكم من اطلاق) يعني من خوف الفقر والاملاق الاقتار والمرا بالقتل وأد البنات وهن أحياء فكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم (نحن نرزقكم واياهم) يعني لا تشدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وترتيبه والانكال في أمر الرزق على الله عز وجل (ولا تقر بوا الفواحش) يعني الزنا (ما ظهر منها وما بطن) يعني علانيته وسره وكان أهل الجاهلية يستجبون الزنا في العلانية ولا يرون به بأسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى حمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل لفظ على العموم أولى من تخصيصه بنوع من الفواحش وأيضا فان السبب اذا كان خاصا لا يمنع من حمل اللفظ على العموم وفي قوله ما ظهر منها وما بطن دقيقة وهي ان الانسان اذا احتز عن المعاصي في الظاهر ولم يحتز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما أمر به ونهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق ما بينك وبين الله، ظهر بدل من الفواحش ٢ قوله في الهامش مامن صلة حرم هكذا بالاصل الذي

(ولانقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) كالعصاص والقتل على الرذة والرجم (ذلكم وصاكم به) أي المذكور مفصلاً أمركم بكم بحفظه
(لعلكم تعقلون) لتعقلوا عظمها عند الله (ولا تقر بومال اليتيم الابالتي هي أحسن) (٦٩) الاباخصلة التي هي أحسن وهي

حفظه وتممه (حتى يبلغ أشده) أشده مبلغ حمله فادفعوه اليه وواحده شدك فليس وأفلس (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط) بالسوية والعدل (لانكف نفسا الاوسعها) الامايسعها ولا تهجز عنه وانما اتبع الامر بإيفاء السكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لازيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فامر بيبـ بلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (واذا قتم فاعدلوا) فاصدقوا (ولو كان ذا قربي) ولو كان المقول له وأعليه في شهادة أو غيرهما من أهل قرابة القائل كقوله ولوعلى أنفسكم أو الوالدين والأقرب بين (وبعهد الله) يوم الميثاق أو في الامر والنهي والوعد والوعيد والنذر واللين (أوفوا ذلكم) أي ما أمر (وصاكم به لعلكم تذكرون) بالتخفيف حيث كان حجة وعلى وحفظ على حذف احدي التاءين غيرهم بالتشديد أصله تذكرون فادغم التاء الثانية في الذال أي أمركم به لتعظوا (وأن هذا صراطي) ولان هذا صراطي فهو علة للاتباع

العقاب ومن ترك المعصية ظاهراً وباطناً لاجل خوف الله وتعظيم الامر به استوجب رضوان الله وثوابه (ولانقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق) حرم الله تعالى قتل النفس الابالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقر بوا الفواحش وانما أفرقت النفس بالذكر تعظيماً لامر القتل وانه من أعظم الفواحش والكبائر وقيل انما أفرده بالذكر لانه تعالى أراد أن يستثنى منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الابالفراد فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الابالحق وهي التي أبيع قتلها من ردة أو قصاص أو زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا اله الا الله وأنى رسول الله الاباحدي ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ﴿ وقوله تعالى (ذلكم) يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات (وصاكم به) يعني أمركم به وأرجعه عليكم (لعلكم تعقلون) يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها ﴿ قوله تعالى (ولا تقر بومال اليتيم الابالتي هي أحسن) يعني ولا تقر بومال اليتيم الابا فيه صلاحه وتمييزه وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسمى له فيه ولا يخدم من ربحه شيئاً هذا اذا كان القيم بالمبال غنياً غير محتاج فلو كان الوصي فقيراً فله أن يأكل بالعرف (حتى يبلغ أشده) يعني احفظوا مال اليتيم الى أن يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد فهو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهي في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حين تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال أبو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال السكبي الاشد هو ما بين ثمان عشرة سنة الى ثلاثين سنة وقيل الى أربعين سنة وقيل الى ستين سنة وقال الضحاك الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الآية أعماهي نهاية الاشد لا ابتداءه والمراد بالاشد في هذه الآية هو ابتداء بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في تفسير هذه الآية ﴿ وقوله تعالى (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط) يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان (لانكف نفسا الاوسعها) يعني طاقها وما يسعها في ايفاء السكيل والميزان وانما لم يكف المعطى أن يعطى أكثر مما وجب عليه ولم يكف صاحب الحق الرضا بقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل أمر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه (واذا قتم فاعدلوا) يعني في الحكم والشهادة (ولو كان ذا قربي) يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو أعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه كل قول حتى الامر بالعرف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان وأداء الامانة وغير ذلك من جميع الاقوال التي يعتمد فيها العدل والصدق (وبعهد الله أوفوا) يعني باعهد الى عبادته ووصاهم به وأوجبه عليهم أو ما أوجبه الانسان على نفسه كندرو ونحوه فيجب الوفاء به (ذلكم) يعني الذي ذكر في هذه الآيات (وصاكم به) يعني بالعمل به (لعلكم تذكرون) يعني لعلكم تتعظون وتذكرون فتأخذون ما أمرتكم به ﴿ قوله عز وجل (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) يعني وان هذا الذي وصيتكم به وأمرتكم به في هاتين الآيتين هو صراطي يعني طريق ودين الذي ارتضيته لعبادي مستقيماً يعني قوياً لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الآيتين المتقدمتين ما وصى به مفصلاً لاجله في هذه الآية لاجل الاقتضى دخول جميع ما تقدم ذكره فيه وبداخل فيه أيضاً جميع احكام الشرع وكل ما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم من دين الاسلام وهو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين

بتقدير اللام وان بالتخفيف شامياً وأصله وان على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وان على الابتداء جزء وعلى (مستقيماً) حال (فاتبعوه)

ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم عن سبيله) فتفرقكم أيادي سبعاء عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطامستوياتهم قال هذا سبيل الرشده وصرط الله فاتبعوه (٧٠) ثم خط على كل جانب ستة خطوط مائة ثم قال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان

يدعوا اليه فاجتنبوها ولا هذه الآية ثم بصير كل واحد من الاثني عشر طريقا سبيل طرق فيكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخن شئ من جميع الكتب وعن كعب ان هذه الآيات لاول شئ في التوراة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) لتكفروا على رجاء اصابة التقوى ذكر اول ان تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لانهم اذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أي انعطوا فانقوا المحارم (ثم آتينا موسى الكتاب تماما) أي ثم أخبركم انا آتينا وهو عطف على ثم قل أي قل آتينا وهم مع الجلالة تأتي بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (على الذي احسن) على من كان محسنا صالحا يريد جنس الحسين دليله قراءة عبد الله على الذين احسنوا أو اراد به موسى عليه السلام أي تمتة للمكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ في كل ما أمر به (وتفصيلا

وأمرهم باتباع جلته وتفصيله) يعني الطرق المختلفة والاهواء المضلة والبدع الرديئة وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام (فتفرق بكم عن سبيله) يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطرقة الذي ارضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه وقرأوا ان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الآتية (ذاكم وصاكم به) يعني باتباع دينه وصرطه الذي لا اعوجاج فيه (لعلكم تتقون) يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الآيات محكمات في جميع الكتب لم ينسخن شئ وعن ابن مسعود قال من سره أن ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم الآيات الى قوله لعلكم تتقون أخرجه الترمذي قال حديث حسن غريب قوله تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة فان قلت آتينا موسى الكتاب كان قبل نزول القرآن وحرف ثم للتعقيب فمأني ذلك قلت دخلت ثم لتأخير الخبر لالتأخير النزول والمعنى قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله تعالى لعلكم تتقون ثم أخذ بكم انا آتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدبر الكلام ذاكم وصاكم به يابني آدم قديما وحديثا ثم بعد ذلك آتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا أنل ما حرم بكم عليكم ثم قال بعد ذلك يا محمد انا آتينا موسى الكتاب فخذف لفظه قل لدلالة الكلام عليها ﴿ وقوله تعالى (تماما على الذي احسن) اختلف أهل التفسير فيه فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من أي تماما على من احسن من قومه لانه كان منهم محسن ومسمى وعلى قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما على كل من احسن أي أتمنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمؤمنون أي أتمنا فضله عليهم بالكتاب وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما أي على ما أحسن وتقديره وآتينا موسى الكتاب تماما للنعمة عليه لاجتهاد الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة وأداء الامر وقيل الاحسان بمعنى العلم وتقديره آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما على احسانى الى موسى (وتفصيلا لكل شئ) يعني وفيه بيان لكل شئ يحتاج اليه من شرائع الدين وأحكامه (وهدى) يعني وفيه هدى من الضلالة (ورحمة) يعني انزاله عليهم رحمة مني عليهم (لعلهم يلقاها بهم يؤمنون) قال ابن عباس لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب ﴿ قوله عز وجل (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) يعني القرآن لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ (فاتبعوه) يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام (واتقوا) يعني مخالفتها (لعلكم ترجون) يعني ليكن الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترجوا على جزاء التقوى (أن تقولوا) يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية أن تقولوا يعني أنزلنا اليك الكتاب كراهية أن

لكل شئ) وبينا تمتصلا لكل ما يحتاجون اليه في دينهم (وهدى رحمة عليهم) أي بني اسرائيل تقولوا (بلقاءهم يؤمنون) يصدقون أي بالبعث والحساب وبالرؤية (وهذا أي القرآن) كتاب أنزلناه مبارك) كثير الخير (فاتبعوه واتقوا) مخالفتها (لعلكم ترجون) اترجوا (أن تقولوا) كراهية أن تقولوا أو لئلا نقولوا

(انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) أي أهل التوراة وأهل الانجيل وهذا دليل على ان المجوس ليسوا باهل كتاب (وان كان عن دراستهم) عن تلاوة كتبهم (لغافلين) لاعلم لتأبشئ من ذلك ان محففة من الثقيلة واللام (٧١) فارقة بينهما وبين النافية والاول

وانه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن والخطاب لاهل مكة والمراد اثبات الحجية عليهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم كيلا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزل على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما (أو تقولوا) كراهة ان تقولوا (لو أنزل علينا الكتاب لكان أهدي منهم) لحدثة أذهاننا وثقابة أفعالنا وغزارة حفظنا لا يام العرب (فقد جاءكم بينة من ربكم) أي ان صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم مافيه البيان الساطع والبرهان القاطع فخذف الشرط وهو من أحسن الخدوف (وهدي ورجة فن أظلم ممن كذب بآيات الله) بعدما عرف صحتها وصدقها (وصدق عنها) أي أعرض (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) وهو النهايه في النكايه (بما كانوا يصدفون) باعراضهم (هل ينظرون) أي أقننا حجج الوحداية وثبوت

تقولوا (انما أنزل الكتاب) وقيل يجوز أن تكون أن متعلقة بما قبلها فيكون المعنى واتقوا أن تقولوا وهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة أن تقولوا انما أنزل الكتاب والكتاب اسم جنس لان المراد به التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) يعني اليهود والنصارى (وان كان) أي وقد كان وقيل وان كان (عن دراستهم) يعني قراءتهم (لغافلين) يعني لاعلم لنا بما فيها لانها ليست بلغتنا والمراد بهذه الآية اثبات الحجية على اهل مكة وقطع عندهم بانزال القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وأنزلنا القرآن بلغتهم لثلاثا يقولوا يوم القيامة ان التوراة والانجيل أنزل على طائفتين من قبلنا بلسانهم وعلمهم فلم نعرف ما فيه ما قطع الله عندهم بانزال القرآن عليهم بلغتهم (أو تقولوا لو أنزل علينا الكتاب لكان أهدي منهم) وذلك ان جماعة من الكفار قالوا لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى لكان خير منهم وأهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم ^ع قال الله عز وجل (فقد جاءكم بينة من ربكم) يعني هذا القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها (وهدي) يعني من الضلالة (ورجة) يعني وهو رجعة ونعمة أنعم الله بها عليكم (فن أظلم) أي لأحد أظلم وأكفر (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) يعني وأعرض عنها (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) يعني أسوأ العذاب وأشدّه (بما كانوا يصدفون) أي ذلك العذاب جزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بآيات الله ^ع قوله تعالى (هل ينظرون) يعني هل ينتظروا هؤلاء بعد تكذيبهم الرسل وانكارهم القرآن وصدفهم عن آيات الله وهو استهتافهم بمعناه النفي وتقدير الآية أنهم لا يؤمنون بك الا اذا جاءتهم احدي هذه الامور الثلاث فاذا جاءتهم احداها آمنوا وذلك حين لا ينفعهم ايمانهم (الآن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض ارواحهم وقيل أن تأتيهم بالعذاب (أو يأتي ربك) يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الآية في سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الآن يأتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجيء والذهاب على الله محال فيجب امرها بالانكشاف (أو يأتي بعض آيات ربك) قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها وبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا الايمان لم تكن آمنت من قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض أخرجه مسلم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أو يأتي بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله تعالى يوم خلق السموات والارض مفتوحا لتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عياها وفي رواية فاذا طاعت ورآها الناس آمنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا الايمان لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا (م) عن حذيفة بن أسد الغفاري قال اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن ننذا كرفقال انذ كرون فلما الساعة فقال انها ان تقوم حتى تروا قبلاها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث خسوف خسوف بالشرق وخسوف بالغرب وخسوف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تطرد الناس الى

الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون من الضلالة فيا يتطرون في ترك الايمان بعدها (الآن تأتيهم الملائكة) أي ملائكة الموت لقبض ارواحهم يأتيهم حزة وعلى (أو يأتي ربك) أي أمر ربك وهو العذاب والقيامة وهذا ان الاتيان من مشابهة وايسان أمر منصوص عليه محكم فيرد اليه (أو يأتي بعض آيات ربك) أي اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك

مخبرهم (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادر وبالاعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخو بصة أحدكم وأمر العامة (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس نحيي وأيهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الآية قال تصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعير بين القرنين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما تدرن أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخرساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتقي من حيث جئت فتصيح طالعة من مطلعها ثم تجرى حتى تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخرساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتقي فارجعي من حيث جئت فتصيح طالعة من مطلعها لا تنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي فتخرساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطعمي من مغربك فتصيح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرن أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا وبسنده عن أبي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على جارف فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حثة تنطق حتى تخرلرها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فاذا أراد أن يطعمها من مغربها حبسها فتقول يارب ان مسيري بعيد فيقول لها اطعمي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل وروى بسنده عن ابن عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل أن يأتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوى العمل فقال الناس هل لذلك من آية يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلك الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون لهم ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقص ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدي أمر عظيم فاذا أصبحوا فاطال عليهم رأيت أعينهم طلوع الشمس فيبيناهم بنظر ونها اذا طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قال ابن عباس لانه لا ينفع مشركا إيمانه عند الآيات وينفع أهل الإيمان عند الآيات ان كانوا اكتبسوا خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملائكة والمنجمين زعموا ان ذلك لا يكون فيربهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما مطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم وقيل بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة وأجوج وما أجوج وطلوع الشمس من مغربها يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معرفة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدي ثلاث الدابة أو طلوع الشمس من مغربها أو أجوج وما أجوج وروى عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت التوبة وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال وروى عن أبي هريرة في قوله تعالى أو يأتي بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض ورواه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض وأصح الأقوال في ذلك ما نظهرت عليه الاحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طلوع الشمس من مغربها وقوله تعالى (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) يعني لا ينفع من كان مشركا

(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها) لانه ليس بإيمان اختياري بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لم تكن آمنت من قبل) صفة نفسا

(أو كسبت في إيمانها خبيراً) أي إخلاصاً كما لا يقل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقل إخلاص المنافق أيضاً وتوبته وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولأنه من لم يتب قبل (قل انتظروا) إحدى الآيات الثلاث (أما منتظرون) بكم أحداها (ان الذين فرقوا دينهم) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلف اليهود والنصارى وفي الحديث افرقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي الناجية وافرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وافرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الواحدة وهي السواد الاعظم وفي رواية وهي ما أتا عليه وأصحابي وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض فرقوا دينهم حزة وعلى أي تركوا (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع اماما

إيمانه ولا تقبل توبة فاسق عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم الى الإيمان والتوبة (أو كسبت في إيمانها خبيراً) يعني أو علمت قبل ظهور هذه الآية خيراً من عمل صالح وتصديق قال الضحاك من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه قبل الله منه العمل الصالح بعد نزول الآية كما قيل منه قبل ذلك فإيمان آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا يقبل منه لأنها حاله اضطرار كما لو أرسل الله عبداً على أمة فآمنوا وصدقوا فأنهم لا ينفعهم إيمانهم ذلك لما بينتهم الا هو الال والشدايد التي اضطرتهم الى الإيمان والتوبة وقوله (فر انتظروا) يعني ما وعدتم به من مجيء الآية ففيه وعيد وتهديد (ان منتظرون) يعني ما وعدكم بكم من العذاب يوم القيامة أو قبله في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا انما ينتظره من ناخر في الوجود من المشركين والمكذابين لمحمد صلى الله عليه وسلم الى ذلك الوقت والمراد بهذا ان المشركين انما يهلون قدر مدة الدنيا فاذا ماتوا وأظهرت الآيات لم يفهمهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبداً وقيل ان قوله قل انتظروا ان منتظرون المراد به الكف عن قتال الكفار فتكفر الآية منسوخة بآية القتال وعلى القول الاول تكون الآية محكمة قوله عز وجل (ان الذين فرقوا) وقرئ فرقوا (دينهم وكانوا شيعا) يعني أحراباً متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم انهم لم يجتمعوا عليه وكانوا مختلفين فيه فنقرأ فرقوا دينهم يعني جعلوا دينهم وهو دين إبراهيم الحنيفية السهلة أديماً مختلفاً كاليهودية والصراية وعبادة الاصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة ومن فرقوا دينهم قال معناه باينوه ورواوه من المغارقة للشيء وقيل ان معنى القراءتين يرجع الى شيء واحد في الحقيقة وهو ان من فرق دينه فاقرب ببعض وأنكر بعضاً فقد فرق دينه في الحقيقة ثم اختلفوا في المعنى بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لان بعضهم عبدوا الاصنام وقالوا هذه شفعة أو ما عند الله وبعضهم عبدوا الملائكة وقالوا انهم بنات الله وبعضهم عبدوا الكواكب فكان هذا تفرق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك هم اليهود والنصارى لانهم تفرقوا فكانوا فرقاً مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية هم أهل الضلالة من هذه الأمة وروى ذلك مرفوعاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وابسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري فيلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على ان تكون كلمة المسلمين واحدة وان لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع الضلالة وروى عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والاهواء من هذه الأمة ذكره البغوي وغيره عن ابن عباس بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة بليغة درفت منها العميون ووجات منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فما نعهد اليها فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تأمر عليكم عبد حبشي فانه من يعيش منكم بعدى وسيرى اختلافاً كثيراً عليكم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثائكم الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الان من قبلكم من أهل الكتاب افرقوا على اثنين وسبعين فرقة وان هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين نبتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة زادي رواية وانه سيخرج في أمتي أقوام تنجاري بهم الاهواء كما تجاري الكلاب بصاحبه لا يبي منه عرق ولا مفصل الا دخله أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل تفرقت على اثنين وسبعين ملة وستفرق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلها في النار الا ملة واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال من كان على ما أتا عليه وأصحابي أخرجه الترمذي قال خطابي في هذا الحديث دلالة على ان هذه الفرق غير ناجية من

الملة والدين اذ جعلهم من أمتهم وقوله تجارى بهم الا هو كآية تجارى الكلب بصاحبه التجارى تفاعل من
الجرن وهو الوقوع في الاهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبها بجرى الفرس والكلب قال ابن مسعود ان
أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشرا الامور محرمانها شور واه جار
عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا ^١ وقوله تعالى (لست منهم في شيء) يعني في قتال الكفار فعلى هذا تكون
الآية منسوخة ما تبة لقتله وهذا على قول من يقول ان المراد من الآية اليهود والنصارى والكفار ومن قال
المراد من الآية أهل الاهواء والبدع من هذه الامة قال معناه لست منهم في شيء أى أنت منهم برىء وهم منك
برآء تقول العرب ان فعلت كذا فاست منك واست منى أى كل واحد منا برىء من صاحبه (انما أمرهم الى
الله) بمعنى في الجزاء والمكافأة ثم يثبتهم بما كانوا يفعلون) يعني اذا وردوا القيامة ^٢ قوله تعالى (من جاء
بالحسنة فله عشر أمثالها) يعني عشر حسنات أمثالها (ومن جاء بالسئة فلا يجزى الا مثاها) يعني مثلها في
مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسئة على قواين أحدهما ان الحسنة قول لا اله الا الله والسئة هي
الشرك بالله وأورد على هذا القول ان كلمة لتوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأوجب
عنه بان جزاء الحسنة قدر معلوم عند الله فهو يحازى على قدر ايمان المؤمن بما شاء من الجزاء وانما قال عشر
أمثالها للترغيب في الايمان لا للتحديد وكذلك جزاء السئة بمثلها من جنسها والقول الثاني أن اللفظ عام في
كل حسنة يعملها العبد وسئته وهذا أولى لان جعل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بال عشرة
ليس للتحديد لان الله يضاعف لمن يشاء في حسناته لى سبعمائة و يعطى من يشاء بغير حساب واعطاء الثواب
لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا من ذهب أهل السنة وجزاء السئة بمثلها عدل منه سبحانه وتعالى وهو
قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزداد على عذاب العاصي (ق) عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن أحدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها
الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها حتى يلقى الله تعالى (م) عن أنى زررى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأز يدومن جاء
بالسيئة جزاء سيئة مثاها أو أغفر ومن تقرب منى شبرا تقرب بمنه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا تقرب بمنه
بأعاسن أنانى بمشى أئبته هرولة ومن اتى بقرب الارض خطيئة بعد ان لا يشرك فى شيا لقيته بمثلها مغفرة
(ق) عن أنى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى واذا أراد
عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكثبوها بمثلها وان تركها من أجدلى
فاكتبوها له حسنة واذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكثبوها له حسنة فان عملها فاكثبوها له بعشر
أمثالها الى سبعمائة لفظ البخارى وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك
وتعالى اذا تحدث عبدى بان يعمل حسنة فانا أكتبها له حسنة تام يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له عشر أمثالها
واذا تحدث عبدى بان يعمل سيئة فانا أغفرها له مالم يعملها فاذا عملها فانا أكتبها له بمثلها فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت الملائكة رب ذلك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فان عملها
فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكثبوها له حسنة فانما تركها من جرأى زاد الترمذى من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها ^٣ قوله عز وجل (قل) يعني قل يا محمد طهوا للمشركين من قومك (اننى هدانى ربى الى صراط
مستقيم) يعني قل لهم انى أرشدنى ربى الى الطريق القويم وهو دين الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده
المؤمنين (دينا قبا) يعني هدانى صراطا مستقيما دينا قبا وقيل يحتمل أن يكون محمولا على المعنى تقديره
وعرفنى دينا قبا يعنى دينا مستقيما لا اعوجاج فيه ولا زيغ وقيل قبا بابتا مقبولا بالامور معاشى ومعادى
وقبا هو من قام وهو بلغ من التام (ما اراهم) والملة بالكسر الدين والشريعة يعنى هدانى وعرفنى دين

لها) لست منهم في شيء) أى
من السؤل عنهم وعن
تفرقهم أو من عقابهم
(انما أمرهم الى الله ثم
ينبئهم بما كانوا يفعلون)
فيجاز بهم على ذلك (من
جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها) تقديره عشر
حسنات أمثالها الا أنه
أقيم صفة الجنس المميز
مقام الموصوف (ومن جاء
بالسيئة فلا يجزى الا مثاها
وهم لا يظلمون) بنقص
الثواب وزيادة العقاب
(قرانى هدانى ربى)
ربى أبو عمر ومدنى (الى
صراط مستقيم دينا) نصب
على البديل من محل الى
صراط مستقيم لان معناه
هدانى صراطا بدليل قوله
ويهدىكم صراطا مستقيما
(قبا) فيعمل من قام كسيد
من ساد وهو بلغ من التام
قبا كوفى وشامى وهو مصدر
بمعنى القيام وصف به (ملة
ابراهيم) عطف بيان

(حنيفا) حاله من ابراهيم (وما كان من المشركين) بالله ياعظم فر يش (قل ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي والناسك العابد وأذبحي
أوحجي (ومحياي ومماتي) وما أتيت في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح (٧٥) (تقرب العالمين) خاصة لوجهه

محياي ومماتي بسكون
الياء الاوّل وفتح الثاني
مدني وبعكسه غيره
(لاشريك له) في شئ
مسن ذلك (وبذلك)
لاخلاص (أمّرت وأنا أول
المسلمين) لان اسلام كل
نبي متقدم على اسلام أمته
(قل أغير الله أبني ربا)
جواب عن دعائهم له الى
عبادة آلهتهم والهمزة
للاينكار أي منكرا أن اطلب
ربا غيره وتقديم المفعول
للاشعار بأنه أهم (وهو
رب كل شئ) وكل من دونه
مر بوب ليس في الوجود
من له الربوبية غيره (ولا
تكسب كل نفس الاعمالها)
جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم
(ولا تزوروا زورا آخرى)
أي لا تؤخذ نفس آئمة
بذنب نفس أخرى (ثم الى
ربكم مرجعكم فينبئكم بما
كنتم فيه تختلفون) من
الاديان التي فرقتموها
(وهو الذي جعلكم خلائف
الارض) لان محمد صلى
الله عليه وسلم خاتم النبيين
فأمته قد خالفت سائر الامم
أولان بعضهم يخلف بعضا
أوهم خلفاء الله في أرضه
يملكونها ويتصرفون
فيها (ورفع بعضكم فوق

ابراهيم وشريته (حنيفا) الاصل في الحنيف الميل وهو ميل عن الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمى كل
من اختلف أو حج حنيفا تقيها على أنه على دين ابراهيم عليه السلام (وما كان من المشركين) يعني ابراهيم
صلى الله عليه وسلم وفيه رد على كفار قريش لانهم يزعمون أنهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم
يكن من المشركين وعن يعقوب الاضنام (قل ان صلاتي) أي قل يا محمد ان صلاتي (ونسكي) قال مجاهد وسعيد
ابن جبير والضحاك والسدي أراد بالنسك في هذا الموضوع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة
والناسك العابد وقيل المناسك أعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح
وعبادة ونقل الواحدى عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسكية وقيل للتعبد بالنسك
لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفها كالسبيكة الخاصة من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل
على ان جميع العبادات يؤدونها العبد على الاخلاص لله ويؤكد هذا قوله تقرب الله تقرب العالمين لاشريك له وفيه
دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى الا على وجه التمام والسكال لان ما كان لله لا يفتى أن يكون الا كاملا
تامام احلاص العبادة له فما كان بهذه الصفة من العبادات كان مقبولا (ومحياي ومماتي) أي حياتي
وموتي بخاق الله وقضائه وقدره أي هو محيي ويميتني وقيل معناها ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت
على الايمان لله وقيل معناها ان طاعتى في حياتي لله وجزائى بعد مماتي من الله وحاصل هذا الكلام ان الله
أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته وحياته وموته كلها واقعة بخاق الله
وقضائه وقدره والمراد بقوله (تقرب العالمين لاشريك له) يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر
أفعاله لا يشاركه فيها أحد من خلقه (وبذلك أمّرت) يعني قل يا محمد وهذا التوحيد أمّرت (وأنا أول
المسلمين) قال قتادة يعني من هذه الامة وقيل معناها وأنا أول المستسلمين لقضائه وقدره ﴿قوله عز وجل﴾ (قل
أغير الله أبني ربا) أي قل يا محمد هؤلاء الكفار من قومك أغير الله سيدا وأهلا (وهو رب كل شئ)
يعنى وهو سد كل شئ ومالكة لا يشاركه فيه أحد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى
ديننا قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلى أحل عنكم أوزاركم فقال الله عز وجل ردا
عليه (ولا تكسب كل نفس الاعمالها) يعني ان ثم لجاني عليه لا على غيره (ولا تزوروا زورا آخرى) يعني
لا تؤخذ نفس آئمة بآثم أخرى ولا تؤخذ أحد بذنب آخر (ثم الى ربكم
مرجعكم) يعني يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدين من الاديان والملل ﴿قوله تعالى﴾
(وهو الذي جعلكم خلائف الارض) يعني والله الذي جعلكم بأئمة محمد خلائف في الارض فان الله أهلك
من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخفونهم فيها وتعمرونها
بعدهم وذلك لان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو آخرهم وأمته آخر الامم (ورفع بعضكم فوق بعض
درجات) يعني انه تعالى خالف بين أحوال عبادته فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل
والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغنى والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل والقوى
والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل الجزأ والجهل أو البخل فان الله سبحانه وتعالى
منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان ﴿وهو قوله تعالى﴾ (ليبلوكم فيما آتاكم) يعني
يعاملكم معاملة المتبلى والمختبر وهو أعلم باحوال عبادته والمعنى يبتلى الغنى بغناه والفقير بفقره والشريف
بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر وغيرهم من جميع اصناف خلقه ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب
والعقاب لان العبد امان أن يكون مقصرا فيما كلفه واما ان يكون موفيا ما أمر به فان كان مقصرا كان

بعض) في الشرف والرزق وغير ذلك (درجات) مفعول ثان أو انقيد الى درجات أو هي واقعة موقع المصدر كانه قيل رفته بعد
رفعة (ليبلوكم فيما آتاكم) فما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كلف تشكروا تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك

بالمعكوك (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمه (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ماهوات قرب
وما امر الساعة الا كلح البصر وهو اقرب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلاث آيات من اول الانعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين
ألف ملك يحفظونه وكتب له (٧٦) مثل أعمالهم الى يوم القيامة ﴿سورة الاعراف مكية وهي ماة ان وخمس آيات بصرى

نصيبه التخويف والترغيب ﴿وهو قوله تعالى (ان ربك سريع العقاب) يعنى لاعدائه باهلا بهم في الدنيا
وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ماهوات فهو قريب وان كان العبد موفيا لحقوق الله تعالى فيما امره به
او مراه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم ﴿وهو قوله تعالى (وانه لغفور) يعنى لذنوب
وايائه وأهل طاعته (رحيم) يعنى بجميع خلقه وانه أعلم مراده وأسرار كتابه
﴿تفسير سورة الاعراف﴾

نزلت بمكة روى ذلك عن ابن عباس وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروى
عن ابن عباس أيضا ما مكية الا خمس آيات أولها واسألهم عن القرية التي كانت وبه قال قتادة وقال مقاتل
ثمان آيات في سورة الاعراف مدينية ولها واسألهم عن القرية التي قالوا واذ أخذ ربك من بنى آدم وهي
ماننان وست آيات وثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة وأربعة عشر ألف حرف وعشرة أحرف
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل (المص) قال ابن عباس معناه أنا الله أفضل وعنه أنا الله أعلم وأفضل وعنه ان المص قسم
اقسم الله به وهو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة المص اسم من أسماء القرآن وقال الحسن هو اسم
للسورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى المصور وقال أبو العالية الاف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح
اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصور وقيل هي حروف مقطعة استأثر الله
تعالى بعلمها وهي سر في كتابه العزيز وقيل هي حروف اسمه الاعظم وقيل هي حروف تحتوى معاني دل
التي بها خلقه على مراده وقد تقدم بسط الكلام على معنى الحروف المقطعة أوائل السور في أول سورة
البقرة ﴿وقوله تعالى (كتاب أنزل اليك) يعنى هذا كتاب أنزل الله اليك يا محمد وهو القرآن (فلا يمكن في
صدرك حرج منه) يعنى ولا يظق صدرك بالابلاغ وتادية ما أرسلت به الى الناس (لتنذر به) يعنى أنزلت
اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره (وذكري للمؤمنين) يعنى واتذكري وتفظ به المؤمنين
وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم تقديره كتاب أنزل الله اليك لتنذره وذكري للمؤمنين فلا يمكن في
صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشك لا يكون الا من ضيق الصدر وقلة الانساء
توجيه ما حصل له ﴿قوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى قل يا محمد لقومك اتبعوا أيها الناس
ما أنزل اليكم من ربكم عنى من القرآن الذى فيه الهدى والنور والبيان قال الحسن يا ابن آدم أمرت بانبياء
كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما أنزل آية الا يجب أن تعلم قيم أنزلت وما معناها ونحو هذا
قال الزجاج أى اتبعوا القرآن وما أنزل به النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما أنزل الله تعالى وما أمركم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى الآية ان الله تعالى لما أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله
تنذر به كان معنى الكلام أنذر لقومك وقيل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما تم عليه من الكفر
والشرك وقيل معناه تنذر به وتذكري به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقيل هو خطاب
للكفار أى اتبعوا أيها المشركون ما أنزل اليكم من ربكم واتركوا ما تم عليه من الكفر والشرك وبدل عليه
قوله تعالى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يعنى ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك أولياء فتتبعوهم
من عند الله شجعه اليقين

وست كوفي ومدنى ﴿
﴿بسم الله الرحمن الرحيم
﴿قال الزجاج المختار
في تفسيره ما قال ابن عباس
رضي الله عنهما أنا الله أعلم
وأفضل (كتاب) خبر
مبتدا محذوف أى هو كتاب
(أنزل اليك) صفته والمراد
بالكتاب السور (فلا يمكن
في صدرك حرج) شك فيه
وسمى الشك حرجا لان
الشك ضيق الصدر حرجه
كما ان المتيقن منشرح
الصدر منفسحه أى لا شك
في انه منزل من الله أو حرج
منه بتبليغه لانه كان يخاف
قومه ونكديهم له
واعراضهم عنه وأداهم فكأن
يضيق صدره من الاذى
ولا ينشط له فامنه الله ونهاه
عن المبالاة بهم والنهي
متوجه الى الحرج وفيه من
المباغة ما فيه والفاء للعطف
أى هذا الكتاب أنزلته
اليك فلا يمكن بعد انزاله
حرج في صدرك واللام
في (لتنذر به) متعلق بازل
أى أنزل اليك لانذارك به
أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم
أنذرهم وكذا اذا يقن انه
من عند الله شجعه اليقين

على الانذار به لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وذكري للمؤمنين) والمعنى
في محل النصب باضار فعلها أى لتذره وتذكريه فالتذكير اسم بمعنى التذكير والرفع بالعطف على كتاب أى هو كتاب
وذكري للمؤمنين أو بانه خبر مبتدا محذوف والجواب بالعطف على محلى لتنذر أى للانذار وللتذكير (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أى
القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (أولياء) أى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيصمواكم على عبادة

الاولان والاهواء والبدع (فليامانذ كرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليل انصب بند كرون أي تذ كرون تذ كرا
قليل وما يزيد لتوكيد القلة تذ كرون شامى (وكم) مبتدأ (من قرية) تبيين والخبر (أهلكناها) أي أردناها لكها كقوله اذ انتم الى
الصلاة (جاءها) (بأسنا) عذابنا (بيانا) مصدر وقع موقع الحال بمعنى (VII) باتين يقال مات بيانا حسنا (أوهم

قائلون) حال معطوفة على
بيانا كأنه فيسب فيهم
بأسنا باتين أوقائين وإنما
قيل هم قائلون بلا واولا
يقال جاءنى زيد هو فارس
بغير واولانه لماعطف على
حال قبلها حذفت الواو
استثقالا لاجتماع حرفي
عطف لان والو الحال هي واو
العطف استعيرت للوصل
وخص هذان الوقتان
لانهم اوقت الغفلة فيكون
نزول العذاب فيها أشد
وأفزع وقوم لوط عليه
السلام أهلكوا بالليل
وقت السحر وقوم شعيب
عليه السلام وقت القيلولة
وقيل بيانا ليلاي ليلاهم
نائمون أو نهارا وهم قائلون
(فما كان دعواهم)
دعاهم ونضرههم
(اذ جاءهم بأسنا) لما جاءهم
أوائل العذاب (الآن قالوا
انا كنا ظالمين) اعترفوا
بالظلم على أنفسهم والشرك
حين لم ينفعهم ذلك
ودعواهم اسم كان وأن
قالوا الخبر ويجوز لعكس
(فلنسلن الذين أرسل
اليهم) أرسل مسندا الى
اليهم أي فلنسلن المرسل
اليهم وهم الامم عما أجابوا

والعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الانس والجن فيأمرهم بعبادة الاصنام واتباع البدع والاهواء الفاسدة
(فليامانذ كرون) يعنى ماتتظون الاقايلا قوله تعالى (وكم من قرية أهلكناها) لما أمر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم بالانذار والابلاغ وأمر أمته باتباع ما أنزله اليهم حذرهم نقمته وبأسه ان لم يتبعوا
مأمر ربه فذكر في هذه الآية ما ترك المتابعة والاعراض عن أمره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية
أهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من أهل قرية لان المقصود بالهلاك أهل القرية لا القرية وقيل ليس
فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها (جاءها بأسنا) يعنى عذابنا فان قلت مجيء البأس وهو
العذاب انما يكون قبيل الاهلاك فكيف قال أهلكناها جاءها بأسنا انما عذبتهم وكم من قرية حكمتنا
بأهلكها جاءها بأسنا وقال الفراء اهلاك والبأس قد يقعان معا كما يقال أعطينى فأحسنت الى فلم يكن
الاحسان قبل الاطء ولا بعده وانما وقع معا وقال غيره لافرق بين قولك أعطيتنى فأحسنت الى أو أحسنت
الى فأعطيتنى فيكون أحدهما من الآخر (بيانا) يعنى جاء عذابنا ليليا قيل أن يصبحوا (أوهم
قائلون) من اقبيلولة وهي نوم نصف النهار واستراحة نصف النهار وان لم يكن معنا نوم والمعنى جاءها بأسنا
غفلة وهم غير متوقعين له ليلاهم نائمون أو نهارا وهم قائلون وقت الظهيرة وكل ذلك وقت الغفلة ومقصود
الآية انه جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم أمانة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد
وتخويف للكفار كأنه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة واحدة (فما
كان دعواهم) يعنى فما كان دعاء أهل القرية لى جاءها بأسنا والدعوى تكون بمعنى الادعاء بمعنى
الدعاء قال سيديويه تقول العرب اللهم أشركنا فى صالح دعوى المؤمنين ومنه قوله تعالى دعواهم فيها سبحانه
المهي (اذ جاءهم بأسنا) يعنى عذابنا (الآن قالوا انا كنا ظالمين) يعنى ائهم لم قدر واعلى رد العذاب عنهم
وكان حاصل أمرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف (فلنسلن الذين أرسل اليهم) يعنى
نسلن الامم الذين أرسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءكم به الرسل (ولنسلن) يعنى ولنسلن
الرسل الذين أرسلناهم الى الامم هل بلغتم رسالاتنا وادبتم الى الامم ما أمرتم بتأديته اليهم أم قصرتم فى ذلك
قال ابن عباس رضى الله عنهما معنى هذه الآية يسأل الله تعالى الناس عما أجابوا به المرسلين ويسأل
المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتم كتاب بما كانوا يعملون وقال السدى يسأل
الامم عما عملوا فيما جاءت به الرسل ويسأل الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به فان قلت قد أخبر عنهم فى الآية الاولى
بأهم اعترفوا على أنفسهم بالظلم فى قوله انا كنا ظالمين فافان هذا السؤال مع اعترافهم على أنفسهم بذلك
قلت لما اعترفوا بأهم كانوا ظالمين مقصرون سئلوا بعد ذلك عن سبب هذا الظلم والتقصير والمقصود من هذا
التقرير والتوبيخ للكفار فان قلت فما الفائدة فى سؤال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى
من أرسلوا اليهم من الامم * قلت اذا كان يوم القيامة أنكر الكفار تبليغ الرسالة من الرسل فقالوا ما جاءنا
من نبي ولا نذير فكان مسألة الرسل على وجه الاستشهاد بهم على من أرسلوا اليهم من الامم أنهم قد بلغوا
رسالات ربهم الى من أرسلوا اليهم من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقرير والتوبيخ للكفار أيضا لانهم
أنكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزبهم وهوواهم وعذابهم وقوله تعالى (فلنقصن عليهم بعلم) يعنى
فلنخبرن الرسل ومن أرسلوا اليهم بعلم ويقين بما عملوا فى الدنيا (وما كنا غائبين) يعنى عنهم وعن أفعالهم

به رسالهم (ولنسلن المرسلين) عما أجيبوا به (فلنقصن عليهم) الى الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالين بأحوالهم الظاهرة
والباطية وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقرير والتعسير اذا قالوا هو بالنتهم
وشهد عليهم أنبياءهم

وعن الرسل فيما بلغوا وعن لامم فيما أجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى فانسئان الذين أرسل اليهم
وانسئان المرسلين وبين قوله فلنقص عليهم بهلم وما كنا غائبين وادا كان عالما فائدة هذا السؤال قات
فائدة سؤال الامم والرسل مع عامه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التقرير والتوبيخ للكفار لانهم
اذا أقرروا على أنفسهم كان أبلغ في المقصود فاما سؤال الاسترشاد والاستثبات فهو منفي عن الله عز وجل لانه
عالم بجميع الاشياء قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو العالم بالكلية والجزئيات وعلمه بظاهر
الاشياء كعلمه بباطنها ﷻ قوله تعالى (والوزن يومئذ الحق) يعني والوزن يوم سؤال الامم والرسل وهو يوم
القيامة العدل وقال مجاهد المراد بالوزن هنا القضاء ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى أن
المراد بالوزن وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل ينصب ميزان له لسان وكفتان كل كفة قدر ما بين
المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه الصلوة والسلام سأل ربه أن يره به الميزان
فأراه اياه فقال الهى من يقدر ان يملأ كفتيه حسنات فقال يا داود اذ ارضيت عن عبدى ملائمتها ثمرة وقال
حديثه جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم ورد من بعضهم على بعض
وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من حسنة فان لم يكن له حسنة أخذ من سيئات
المظلوم فيرد على سيئات الظالم فيرجع الرجل وعليه مثل الجبل فان قلت أليس الله عز وجل يعلم مقادير
أعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت فيه حكم منها اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها
امتحان الخلق بالايمان بذلك في الدنيا واقامة الحجية عليهم في العقبى ومنها تعريف العباد ما لهم من خير وشر
وحسنة وسيئة ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره أنه تعالى أثبت أعمال العباد في اللوح المحفوظ
ثم في صحائف الحافظة الموككين بنبي آدم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف العلماء في
كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحائف الاعمال المكتوبة فيها الحسنات والسيئات ويبدل على ذلك حديث
البطاقة وهو ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
سيخلص رجلا من أمتى على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد
البصر ثم يقول له أتذكر من هذا شيئا أظلمت كفتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول ألك عندى فيقول
لا يارب فيقول الله تبارك وتعالى بلى ان لك عندى ما أحسنه فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد
أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول احضر وزنك فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقال فانه لا ظلم عليك اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات
وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذى وأحمد بن حنبل وقال ابن عباس يؤتى بالاعمال
الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان
الاعمال تتصور صوراً وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله تعالى في تلك الصور ثقلاً وخفة ونقل البغوى
عن بعضهم انها توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة أخرجاه في
الصحيحين وهذا الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن
عند الله جناح بعوضة مقداره وحرمة لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحائف الاعمال توزن
أو نفس الاعمال تتجسد وتوزن والله أعلم بحقيقة ذلك ﷻ وقوله تعالى (فن ثقلت موازينه) جمع ميزان
وأورد على هذا انه ميزان واحد فوجه الجمع وأجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقيل انه
ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان ولا يتم الوزن
الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موازين يعنى من رجحت أعماله بالحسنة الموزونة التي لها وزن وقدر (فأولئك

(والوزن) أى وزن الاعمال
والتميز بين راجحها
وخفيها وهو مبتدأ وخبره
(يومئذ) أى يوم يسأل الله
الامم ورسامهم لخدفت الجلة
وعروض عنها التنسوين
(الحق) أى العدل صفته ثم
قيل توزن صحف الاعمال
بميزان له لسان وكفتان
اظهار للنصفة وقطع للمندرة
وقيل هو عبارة عن القضاء
السوى والحكم العادل
والله أعلم بكيفيته (فن
ثقلت موازينه) جمع
ميزان أو موزون أى فن
رجحت أعماله الموزونة
التي لها وزن وقدر وهي
الحسنات أو ما توزن به
حسناتهم (فأولئك

في ميزانهم خير فتخف موازينهم (فانك الذن خسروا أنفسهم عما كانوا باياتنا يظلمون) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها في غير موضعها أي بجودها وترك الانقياد لها (واقدمكنناكم في الارض) جعلنا لكم فيها مكنا وقرارا أومكنناكم فيها أو قدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهي على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع الماء والشارب والثاني ما يتحصل من المكاسب والارباح في أنواع التجارات والصناعات وكلا القسمين في الحقيقة إنما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معاش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنع منها والشكر له علمها ثم بين تعالى انه مع هذا الافعال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى (قليل ماتشكرون) يعني على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دلائل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذم كرم الله في شكره عليها فلا يتخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واطهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر آدم ثم صورناكم في أرحام النساء صوراً مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصورهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته قلت يحتتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أيها المخاطبون ثم أخبرناكم انا قائلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفسيد ترتيب خبر على خبر ولا تفسيد ترتيب الخبر به على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد وقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القواين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أولا به بالبشر فكان في خاقه خاق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصور يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكما بخلقهم ثم صورناكم يعني آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعني بعدا كمال خلقه وقد تقدم في صورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل النجاة والتعظيم لآدم لاحقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان السجود له هو الله تعالى واما كان آدم كالقيلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعني الملائكة (الابليس) يعني فسجد الملائكة لآدم الابليس (لم يكن من الساجدين) يعني له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورا بالسجود لآدم مع الملائكة فاما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلان استثناه منهم قوله تعالى (قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك) يعني قال الله

هم المفلحون) يعني هم الناجون غدا والقاترون ثواب الله وجزائه (ومن خفت موازينه) يعني موازين أعماله وهم الكفار بدليل قوله تعالى (فانك الذين خسروا أنفسهم) يعني غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله تعالى وكرامته (عما كانوا باياتنا يظلمون) يعني سبب ذلك الخسران انهم كانوا يحجج الله وأدلة توحيدهم يجحدون ولا يعرفون بهاروى عن أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثلث موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا ونقله عابهم وحق ايزان بوضع فيه الحق غدا أن يكون ثقيلاً وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق ايزان بوضع فيه الباطل غدا أن يكون خفيفاً قوله عز وجل (واقدمكنناكم في الارض) يعني ولقدمكنناكم أيها الناس في الارض والمراد من الممكنين التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكنا وقرارا أو قدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معاش) جمع معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون بها أيام حياتكم وهي على قسمين أحدهما ما أنعم الله تعالى به على عباده من الزرع والثمار وأنواع الماء والشارب والثاني ما يتحصل من المكاسب والارباح في أنواع التجارات والصناعات وكلا القسمين في الحقيقة إنما يحصل بفضل الله وانعامه واقداره وتمكينه لعباده من ذلك فثبت بذلك ان جميع معاش العالم انعام من الله تعالى على عباده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنع منها والشكر له علمها ثم بين تعالى انه مع هذا الافعال على عباده وانعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى (قليل ماتشكرون) يعني على ما صنعت اليكم وأنعمت به عليكم وفيه دلائل على انهم قد يشكرون لان الانسان قد يذم كرم الله في شكره عليها فلا يتخلو في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة واطهارها وبضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها قوله تعالى (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر آدم ثم صورناكم في أرحام النساء صوراً مخلوقة فان قلت على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي ان الامر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بهذا الخطاب وتصورهم لان كلمة ثم للتراخي ومعلوم ان الامر ليس كذلك بل كان السجود لآدم عليه الصلاة والسلام قبل خلق ذريته قلت يحتتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أيها المخاطبون ثم أخبرناكم انا قائلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفسيد ترتيب خبر على خبر ولا تفسيد ترتيب الخبر به على الخبر وقيل في معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد وقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره وعلى هذين القواين انما ذكر آدم بلفظ الجمع على التعظيم أولا به بالبشر فكان في خاقه خاق من خرج من صلبه وقيل ان الخلق والتصور يرجع الى آدم عليه الصلاة والسلام وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكما بخلقهم ثم صورناكم يعني آدم صورة من طين (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يعني بعدا كمال خلقه وقد تقدم في صورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وانه كان على سبيل النجاة والتعظيم لآدم لاحقيقة السجود وقيل بل كان حقيقة السجود وان السجود له هو الله تعالى واما كان آدم كالقيلة للساجدين وقيل بل كان السجود له وكان ذلك بامر الله تعالى وهل كان هذا الامر بالسجود لجميع الملائكة أو لبعضهم فيه خلاف تقدم ذكره في سورة البقرة وقوله تعالى (فسجدوا) يعني الملائكة (الابليس) يعني فسجد الملائكة لآدم الابليس (لم يكن من الساجدين) يعني له وظاهر الآية يدل على ان ابليس كان من الملائكة لان الله تعالى استثناه منهم وكان الحسن يقول ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه خلق من نار والملائكة من نور وانما استثناه من الملائكة لانه كان مأمورا بالسجود لآدم مع الملائكة فاما لم يسجد أخبر الله تعالى عنه انه لم يكن من الساجدين لآدم فلان استثناه منهم قوله تعالى (قال ما منعك أن تسجد إذ أمرتك) يعني قال الله

على ان الامر لوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع عاصه بالتو بيجر لاظهار معانده وكفره وكبره وافتخاره باصله

أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لزيادته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه الى التوبة والاستغفار وفي النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه الى الاستكبار والتراب عدة للمعالم والنار عدة المهالك والنار مظنة الحياة والافناء والتراب مثنه الامانة والانماء والطين يطغى النار ويتلفها والنار لا تلتفه وهذه فضائل غفل عنها ابليس حتى زل بفساد من المقاييس وقول نافي القياس أول من قاس ابليس قياس على ان القياس عند مثبتة مردود عند وجود النص وقياس ابليس عناد للامر المنصوص فكان الجواب لما منعك أن يقول معنى كذا وإنما قال أناخير منه لانه لما استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وقلة فضله عليه فلم منها الجواب كانه قال معنى من السجود فضلي عليه وزيادة عليه وهي انكار الامر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لثله اذ سجد الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قال فاهبط منها) من الجنة ومن السماء

عز وجل لا بليس أي شيء منعك من السجود لآدم اذا مرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لافي قوله أن لا تسجد صلة زائدة وانما دخالت التوكيد والتقدير ما منعك أن تسجد فهو وكقوله لا أقسم أي أقسم وقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أي يرجعون وقوله لا يعلم أهل الكتاب أي يعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين وقيل ان كلمة لاها على أصحها مفيدة وليست بزائدة لانه لا يجوز أن يقال ان كلمة من كتاب الله زائدة ولا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدى عن أحمد بن يحيى ان لافي هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد الا ان معنى قوله ما منعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد فحمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك أن يقال ان في الكلام محذوف تقديره ما منعك من السجود فاحوجك أن لا تسجد فترك ذلك كذا حوجك استغناء عنه بمعرفة السامعين به ونقل الامام غير الدين الرازى عن القاضي قال ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه قال مادعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة الله تعالى عظمة يتعجب منها ويسئل عن الداعي اليها فارقت لمأله عن المنع له من السجود وهو أعلم به قلت انما سأله للتوبيخ والتقريع له ولاظهار معاندته وكفره وافتخاره باصله وحده لآدم عليه الصلاة والسلام ولذلك لم يثبت الله عليه (قال) يعني قال ابليس بحميد الله تعالى عما سأله عنه (أناخير منه) فان قلت قوله أناخير منه ليس بجواب عما سأله عنه في قوله تعالى ما منعك أن لا تسجد فلم يجب بما منعك من السجود فانه كان ينبغي له أن يقول معنى كذا وكذا او كنهه قال أناخير منه قلت استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيه دليل على موضع الجواب وهو قوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والناخير من الطين وأنور وإنما قال أناخير منه لما رأى أنه أشد منه قوة وأفضل منه أصلا وذلك افضل الجنس الذى خلق منه وهو النار على الطين الذى خلق منه آدم عليه الصلاة والسلام فجعل عدو الله ابليس وجه الحق وأخطا طريق الصواب لان من المعلوم ان من جوهر النار الخفة والطين والارتفاع والاضطراب وهذا الذى جعل الخبيث ابليس مع الشقاء لدى سبق له من الله تعالى فى الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه الصلاة والسلام والاستخفاف بامر ربه فأورد ذلك العتاب والهلاك ومن المعلوم أن فى جوهر الطين الرزانة والاناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه الصلاة والسلام مع السعادة السابقة التى سبقته له من الله تعالى فى الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومستلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولون أول من قاس ابليس فاخطأ وقال ابن سيرين أيضا ما عمدت الشمس والقمر الا بالقياس وأصل هذا القياس الذى قاسه ابليس اعنه الله تعالى لما رأى ان النار أفضل من الطين وأقوى فقال أناخير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدرك أن الفضل لمن جعله الله فاضلا وان الافضالية والخبرية لا تحصل بسبب فضيلة الاصل والجوهر وأيضا الفضلية انما تحصل بسبب الطاعة وقبول الامر فالأمر من الحبشى خير من الكافر القرشى فانه تعالى خص صفيه آدم عليه الصلاة والسلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو انه خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتناب والتوبة والهداية الى غير ذلك مما خص الله تعالى به آدم عليه الصلاة والسلام للاعناية التى سبقته له فى القدم وأورث ابليس كبره العنة والطرده للشقاوة التى سبقته له فى القدم (قال فاهبط منها) يعني قال الله تعالى لا بليس اعنه الله اهبط من الجنة وقيل من السماء الى الارض والهبوط الانزال والانحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف (فما يكون لك أن تتكبر فيها) يعني فليس لك أن تتكبر فى الجنة من أمرى وضاعى لانه لا ينبغي أن يسكن فى الجنة أو فى السماء متكبرا مخالفا لامر الله عز وجل فاما غير الجنة والسماء فقد يسكنها المستكبر عن طاعة الله تعالى وهم الكفار الساكنون فى الارض (فاخرج انك

من الصاغرين) من أهل الصغار والهلوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل إنسان ويلعنك كل إنسان لتكبرك وبه علم ان الصغار لازم للاستكبار (قال أنظرني اليوم يبعثون) أمهلني الى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة (قال انك من المنظرين) الى النفخة الأولى وانما أجيب الى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب القلوب الاحباب أي هذا يرى من بسئتي فكيف عن يحني وانما جسرته على السؤال مع وجود لزال منه في الحال عامه بحلم ذي الجلال (قال فيما أغويتني) أضللتني (٨١)

والباء تعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فبسب اغوائك أقدم أو تكون الباء للقسم أي فاقسم باغوائك (لا قعدن لهم صراطك المستقيم) لا اعتراض لهم على طريق الاسلام مترصدا للرد متعرضا لصد كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة واتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أي على الظهر وعن طاوس انه كان في المسجد الحرام جأهر جل جلاله فقال له طارس تقوم أو تقام فقام الرجل فقبل له أقول هذا الرجل فقيه فقال ابلس أفضه منه قال رب بما أغويتني وهو يقول أنا أغوي نفسي (ثم لايتنهم من بين أيديهم) أشككهم في الآخرة (ومن خلفهم) أرغبهم في الدنيا (وعن أيمنهم) من قبل الحسنات (وعن شمائلهم) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعني ثم لايتنهم من الجهات الأربع التي يأتي منها

من الصاغرين) يعني انك من الأدلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال لزجاج استكبر عدو الله ابلس فابتلاه الله تعالى بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الأرض فآخذه الله تعالى منها الى جزائر البحر الاخصر وعمره عليه فلا يدخل الأرض الا خائفًا كهنته السارق مثل شيخ تأميه اطمارر تفرع فيها حتى يخرج منها (قال) يعني قال ابلس عند ذلك (انظرني) يعني أخرى وأمهلتني فلا تمنني (الي يوم يبعثون) يعني من قبورهم وهي النفخة الآخرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث ابلس اعنه الله لانه سأل ربه لامهال وقد علم انه لا سبيل لاحد من خلق الله تعالى الى البقاء في الدنيا واكنه كره أن يكون ذات القالموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب الى ما سأل بل (قال) الله تعالى له (انك من المنظرين) يعني من المؤخرين المهانين وقد بين الله تعالى مدة النظر والمهانة في سورة الحجر فقال تعالى انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حين يموت الخلق كلهم فان قلت فما وجد قوله انك من المنظرين وابلس أحد ينظر سواد قات معناه ان الذين تقوم عليهم الساعة منظرين الى ذلك الوقت باآجالهم فهو منهم. (قال) يعني ابلس (فبما أغويتني) يعني فبأي شيء أضللتني فعلى هذا تكون الاستفهامية وتم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتدأ فقال (لا قعدن لهم صراطك المستقيم) وقيل هي باء القسم تقديره فباغوائك اياي وقيل معناه فبما أوقعت في قلبي الذي كان سبب هبوطي الى الأرض من السماء وأضللتني عن الهدى لا قعدن لهم صراطك المستقيم يعني لا جلسن على طريقك القويم وهو طريق الاسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يساكونه الى الجنة وذلك بان أوسوس اليهم وأزبن لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم هنا طريق مكة يعني بمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الاقول أولى لانه يعم الجميع ومعنى الآية لاردن بنى آدم عن عبادتك وطاعتك ولا غويتهم ولا ضللتهم كما ضللتني عن سبيرة من أبي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم باطرفة قعد له في طريق الاسلام فقال تسلم وتذردن آباءك وآباء آباءك فعصاه وأسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال تهاجر وتذرد أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد فهو وجه النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكبح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال فن فعل ذلك كان حقا على الله أن يدخله الجنة وان غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصة دابته كان حقا على الله أن يدخله الجنة أخرجه النسائي وقوله تعالى اخبار عن ابلس (ثم لايتنهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم) قال ابن عباس من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن أيمنهم يشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصي وانما جعل الآخرة من بين أيديهم في هذا القول لانهم منقلبون البهاوصارون البها فعلى هذا الاعتبار فالذي خلفهم لانهم يخلفون بها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين أيديهم من قبل دنياهم يعني أز ينهاني قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فأقول لا بعث ولا نشور ولا لجنة ولا نار وعن أيمنهم من قبل حناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين أيديهم في هذا القول لان الانسان يسعى فيها ويشاهد فيها ما هو حاضرة

(١١ - خازن - ثاني) العدو في الاغاب وعن شقيق ما من صباح الا قعد على الشيطان على أربعة مراد من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ وانى لغفار ان تاب وآمن وعمل صالحا ومن خافي فيتعوفني الضيعة على مخاني فاقرأ وما من دابة في الأرض الا الى الله رزقا وعن عني فيأتيني من قبل الشتاء فاقرأ والوجه للتمتعين وعن شمالي فيأتيني من قبل الشهور فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرجوع والسجدة وقال في الاولين من لا بداء الغاية وفي الاخيرين عن لان عن تدل على الانحراف

بين يديه والآخرة غائبة عنه فهي خلفه وقال الحكيم عتبة بن ربيعة بين أيديهم يعني من قبل الدنيا فاز بها لهم
ومن خلفهم من قبل الآخرة فأنبطهم عنها وعن أيديهم يعني من قبل الحق فأصدتهم عنه وعن شمائلهم
من قبل الباطل فاز به لهم وقال قتادة أنها من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا يموت ولا الجنة ولا نار ومن خلفهم
من أمر الدنيا فاز بها لهم ودعاهم البهاون عن أيديهم من قبل حسناتهم فبطنهم عنها وعن شمائلهم زين لهم
السبب والمعاصي ودعاهم إليها تاركاً لابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك فلم يستطع أن يحول
بينك وبين رحمة الله تعالى وقال مجاهد يأتهم من بين أيديهم وعن أيديهم حيث يبصرون ومن خلفهم وعن
شمائلهم حيث لا يبصرون ومعنى هذا من حيث يخطئون ويعلمون أنهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون
أنهم يخطئون ولا يعلمون أنهم يخطئون وقيل من بين أيديهم يعني فيما بقي من أعمالهم فلا يقدرمون فيه
طاعة ومن خلفهم يعني ماضى من أعمالهم فلا يتوبون عما أسلفوا فيه من معصية وعن أيديهم يعني من
قبل الغنى فلا يشفقون ولا يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه من محظور رآه وقال
شقيق البلخي ما من صباح الا ويا تبنى الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني
وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فافرأني اغفر لمن تاب وآمن وعمل صالحا
ثم اهتدى وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادى في الفقر فأقرأهم ما من دابة في الارض الا على الله
رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من الثناء فأقرأه والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل
الشهوات فأقرأه وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع إنما يريد بها التأكيد
والمبالغة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم وأنه لا يقصر في ذلك ومعنى الآية على هذا القول ثم لا ينهم من
جميع الوجوه الممكنة لجميع الاعتبارات وقوله (ولا تجأ أكثرهم شاكرين) يعني ولا تجأ يارب أكثرهم
آدم شاكرين لك على نعمك التي أنعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجأ أكثرهم موحدين فان
قلت كيف علم الحبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجأ أكثرهم شاكرين قلت قاله ظناً فاصاب ومنه قوله تعالى
واقصد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان غاز ما على المبالغة في تزوين الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل
بنى آدم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه رآه مكتوباً في اللوح المحفوظ فتمال هذه المقالة على سبيل
اليقين والقطع والله أعلم مراده ﴿ قوله عز وجل ﴾ (قال اخرج منها) أى قال الله تعالى لابليس حين طرده
عن بابه وأبعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه أخرج منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي أن يسكن
فيها العصاة (مدوئماً) يعني معيباً والذم أشد العيب (مدحوراً) يعني مطروداً مبعوداً وقال ابن عباس
صغيراً محموتاً وقال قتادة لعيناً مقيتاً وقال الكلبي ما هو ما مقصيا من الجنة ومن كل خير (من تبعك منهم) يعني
من بنى آدم (لأملأن جهنم منكم أجمعين) اللام لام القسم أقسم الله تعالى ان من تبع ابليس من بنى آدم
وأطاعه منهم ان يملأ جهنم منه ومن كفر من بنى آدم وابليس وذريته ومن تبعه منهم ﴿ قوله تعالى ﴾ (ويا آدم
اسكن أنت وزوجك الجنة) أى قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وذلك بعد ان أهبط
منها ابليس وأخرجه وطرده من الجنة (فكلام من حيث شئتما) يعني فكلام من غمار الجنة من أى مكان
شئتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلاماً بالفاء فالفرق قلت قال الامام غفر الدين
الرازى ان الواو تفيد الجمع والمطلق والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالفهوم من الفاء نوع داخل تحت
الفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وهذا ذكر النوع (ولا تقربا
هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) تقدم في سورة البقرة الكلام على نفسه ير هذه الآية مستوفى
﴿ قوله تعالى ﴾ (فوسوس لهم الشيطان) يعني فوسوس اليهم ما الوسوسة حديث يلقى به الشيطان في قلب
الانسان يقال وسوس وسوس اذا تكلم كلاماً مخفياً تكرراً وأصله من صوت الحلي ومعنى وسوس لهم افعّل الوسوسة

(ولا تجرد أكثرهم شاكرين) مؤمنين قاله ظناً فاصاب لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه أو سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى ايهم (قال اخرج منها) من الجنة أو من السماء (مدوئماً) معيباً من ذمّه اذا ذمه ولذام والذم العيب (مدحوراً) مطروداً مبعوداً من رحمة الله واللام في (ان) تبعك منهم) موطئة للقسم وجوابه (لأملأن جهنم) وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أجمعين ويا آدم) وقلنا يا آدم به اخرج ابليس من الجنة (اسكن أنت وزوجك الجنة) اتخذها مسكناً (فكلام من حيث شئتما) ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا) فتصيرا (من الظالمين فوسوس لهم الشيطان) وسوس اذا تكلم كلاماً مخفياً يكرره وهو غير متدبر ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي يلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله وسوس اليه ألقاها اليه

(ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءهما) ليكشف لهما ما استتر عنهما من عوراتهما ما فيه دليل على أن كشف العورة من عظام الأمور وأنه لم يزل مستقبحا للطباع والعقول فان قلت مالوا أو المضمومة في و وري لم تقاب (٨٣) همزة كفاي أو يصل أصغر واصل

وأصله ووصل قلبت
الواو همزة كراهة لاجتماع
واو ين قات لان الثانية مدة
كالف وارى فكالم يجب
همزها في واعد لم يجب في
وورى وهذا لان الواو ين
اذا تحركتا ظهر فيهما من
الثقل ما لا يكون فيهما
اذا كانت الثانية ساكنة
وهذا مدرك بالضرورة
فالتمزوا البدل في موضع
الثقل لافي غيره وقرأ
عبدالله أوري بالقلب
(وقال منها كما ربك
عن هذه الشجرة الآن
تكونا ملكين) الا كراهة
ان تكونا ملكين تعلمان
الخبر والشر وتستغنيان
عن الغداء وقرئ
ملكين لقوله وملك
لا يبلى (أوتكونا من
الخالدين) من الذين
لا يموتون وبيدون في
الجنة ساكنين (وقاسمهما)
وأقسم لهما (الى لكمان
الناصحين) وأخرج قسم
ابليس على زنة المفاعلة
لانه لما كان منه القسم
ومنهما التصديق فكأنها
من اثنين (فدلاهما)
فزلهما الى الاكل من
الشجرة (بقرور) بما
غرهما به من القسم

والقها اليهما فان قات كيف ووس اليهما وادم وحواء في الجنة وابليلس فداخرج منها قات ذكر الامام
خالد بن الرازي في الجواب عن هذا السؤال عن الحسن أنه قال كان يوسوس في الارض الى السماء
الى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له وقال أبو مسلم لم الاصبها في بل كان آدم وابليلس في الجنة لان
هذه الجنة كانت بعض جنات الارض والذي يقوله بعض الناس من أن ابليس دخل في جوف الحية
فدخلت به الحية الى الجنة فقصه مشهوره ركيكة وقال آخرون ان آدم وحواء بما قرأ من باب الجنة وكان
ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرأ أحد من الأخر فخلصت الوسوسة هناك * فان قات ان
آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله * قلت بحتمل أن يقال
ان ابليس اتى آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها جاء نيل الخلد ومنها قوله
وقاسمهما الى لكمان الناصحين فلاجل هذه المواظبة والمدامومة على هذا التمويه أثر كلام ابليس في آدم
حتى أكل من الشجرة (ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءهما) يعني ايظهر لهما ما غطي وستر من
عوراتهما وقوله ما ورى ما خوذ من الموارد وهي الستر يقال وارتبه بمعنى سترته والسواة فرج الرجل
والمرأة سمى بذلك لان ظهوره يسوء الانسان وفي الآية دلائل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات
وللام في قوله ليبدى لهما الام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وانما كان
حما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما ان بدت عوراتهما (وقال) يعني وقال ابليس لآدم وحواء
(منها كما ربك كما عن هذه الشجرة) يعني عن الاكل من هذه الشجرة (الا أن تكونا ملكين أو تكونا من
الخالدين) يعني انما كما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا
من الباقين الذين لا يموتون وانما أطمع ابليس آدم بهذه الآية لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من
العرش فاستشرف لذلك آدم وأحب أن يعيش مع الملائكة اطول اعمارهم أو يكون مع الخالدين الذين
لا يموتون أبدا فان قات ظاهر الآية يدل على ان الملك أفضل من الانبياء لان آدم عليه الصلاة والسلام طلب
أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضاهم عليه * قات ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لان آدم عليه
الصلاة والسلام لما طالب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة
قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقدير أن تكون هذه
الواقعة في زمان النبوة بعد ان شرف بها آدم انما يطلب أن يكون من الملائكة اطول اعمارهم لانهم أفضل
منه حتى يتحقق بهم في الفضل لانه طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم أو من الخالدين الذين
لا يموتون أبدا وقوله تعالى (وقاسمهما) أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد (الى
لكمان الناصحين) قال قتادة حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خاقت
قبلكما وأنا أعلم منكما فاني أعاني أرسد كما قال بعض العلماء من خادعنا بالله خدعنا له (فدلاهما بقرور)
يعني خدعهما بقرور يقال مازال فلان بدلى فلانا بقرور يعني مازال يخدعهم ويكاهم بزخرف من القول
الباطل قال الأزهري وأصله ان الرجل العطشان يتدلى في البئر يأخذ الماء فلا يجد فهاماء فوضعت التولية
موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة
الطاعة الى حالة المعصية لان التدلى لا يكون الا من علواي أسفل ومعنى الآية ان ابليس اعنه الله تعالى غر آدم
بالحين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام يظن ان أحد الايمان بالله كاذبا وابليلس أول من حلف
بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن آدم انه صادق فاغتر به (فلماذا قال الشجرة) يعني طعما من ثمرة الشجرة

بالله وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله نخدعنا له (فلماذا قال الشجرة) وجسد اطعمها آخذين في الاكل
منها وهي السنبلة أو الكرم

(بدت لهم اسوا منهما)

ظهرت لهم اسوارتهم ما
 انما فت اللبس عنهما وكانا
 لا يريانها من انفسهما ولا
 احدهما من الآخر وقيل
 كان لباسهما من جنس
 الانعام أي كالظفر بيضا
 في غاية اللطف واللين فبقى
 عند الاطراف تذكيرا
 للنعم وتجيديدا للنعم
 (وظفقا) وجعلا يقال
 طفق يفعل كذا أي جعل
 (يخصفان عليهما من ورق
 الجنة) يجعلان على عورتها
 من ورق التين والموزورقة
 فوق ورقة ليستتر بها كما
 يخصف النعل (وناداهما
 ربهما لم انها عن نكاح
 الشجرة) هذا عتاب من
 الله وتوبيخه على الخطا وروى
 أنه قال لآدم عليه السلام
 ألم يكن لك فيما منحتك من
 شجر الجنة مندوحة عن
 هذه الشجرة فقال بلى
 ولكن ما منعت ان احدا
 يحلف بك كاذبا قال فيعزني
 لاهبطنك الى الارض ثم
 لاتنال العيش الا بكديمين
 وعرق جبين فاهبط وعلم
 صنعة الحديد وأمر بالحرق
 فحرق وسقى وحصد وداس
 وذرى وعجن وطحن وخبز
 (وأقل الكمان الشيطان
 لكما عدو مبين قالار بنا
 طلعنا أنفسنا وان لم نقفر
 لنا وترجنا لكون من
 الخاسرين) فيه دليل لنا

وفيه دليل على اهم اننا ولا اليسير من ذلك قصد الى معرفة طعمه لان الذوق يدل على الاكل اليسير (بدت
 لهم اسوا منهما) يعني ظهرت لهم اسوارتهم ما قال ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ازدردا أخذتهما
 العقوبة والعقوبة أن ظهرت وبدت لهم اسواتهما وفت عنهما لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما
 ما وروى عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يرى هذا عورة هذه
 ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهم اسواتهما وقال قتادة كان لباس آدم في الجنة ظفرا كاله
 فلما وقع في الذنب قشط عنه وبدت سواؤه (وظفقا) يعني وأقبلوا وجعلا (يخصفان عليهما من ورق الجنة)
 يعني انهما ما بدت لهم اسواتهما جعلتا ليرقان ويزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتى صار
 كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلوا ورقه على ورقه ليرقان عليهما ما في الآية دليل على ان كشف العورة
 من ابن آدم قبيح الأثرى انهما ابادرا الى ستر العورة المتقرر في عقابهما من قبيح كشفها روى أنى بن كعب
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان آدم صلى الله عليه وسلم رجلا طويلا كأنه نخلة - حوق كثير شعر
 الرأس فلما وقع في الخطيئة بدت له سواؤه وكان لا يراها في الجنة فانطلق فلما فرغت له شجرة من شجر الجنة
 فبسته بشعره فقال لها أرساني قالت استبرسنتك فناداه ربها آدم أمني تفر قال لا يارب ولكن استحييتك
 ذكره البغوي وغيره وأسنده الطبري من طريقين موقوفين فوعا ﴿قوله تعالى﴾ (وناداهما ربهما ألم
 انها عن نكاح الشجرة) يعني ان الله تعالى نادى آدم وحواء وخطبهما فقال ألم انها عن نكاح عن كل ثمرة هذه
 الشجرة (وأقل الكمان الشيطان لكما عدو مبين) يعني ألم ان الشيطان قد بان عدوانه لكما بترك
 السجود وحدا وبغيا قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التي
 نهيتك عنها قال حواء أمرتني قال فاني أعقبته ان لا تحملى الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند
 ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلى بناتك وقال محمد بن قيس ناداه ربها آدم لم أكلت منها وقد نهيتك قال
 أطعمتني حواء فقال لحواء لم أطعمتني قالت أمرتني الحية فقال للحية لم أمرتني قالت أمرني ابليس قال الله
 تعالى أما أنت يا حواء وكما أدببت الشجرة تدم بين كل شهر وأما أنت يا حية فاقطع رجلك على وجهك
 وسيدخ رأسك من اعينك وأما أنت يا ابليس فاعون مطرود مدحور يعني عن الرحمة وقيل ناداه ربها آدم
 أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روعي أما أسجدت لك ملائكتي أما أسكنتك جنتي في جوارى ﴿قوله﴾
 عز وجل (قالار بنا ظلمنا أنفسنا) وهذا خبر من الله عز وجل عن آدم عليه الصلاة والسلام وحواء عليهما السلام
 واعترافهما على أنفسهما بالذنب والندم على ذلك والمعنى قالار بنا اننا فعلنا بانفسنا من الاساءة اليها بخالفة
 أمرنا وطاعة عدونا وعدوك ما لم يكن لنا ان نطيعه فيه من أكل الشجرة التي نهيتنا عن أكلها (وان لم نقفر لنا)
 يعني وأنت ياربنا ان لم تستر عاينا ذنبا (وترجنا) يعني وتفضل علينا برحمتك (لنكون من الخاسرين)
 يعني من المهالكين قال قتادة قال آدم يارب أريت ان نبت اليك واستغفرتك قال اذا دخلك الجنة وأما ابليس
 فلم يسأله التوبة وسأله أن ينظر فاعطى كل واحد منهما ما سأل وقال الضحاك في قوله بنا طلعنا أنفسنا قال
 هي الكمامات التي تلقاها آدم عليه الصلاة والسلام من ربه عز وجل

﴿فصل﴾ وقد استدل من يرى صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية وأجيب

عنه بان درجة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما جعلهم على الخوف
 منه والاشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذه به غيرهم وانهم بما عوتبوا بمور صدرت منهم على سبيل التأويل
 والسهو فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علوم منصبهم وسميات بالفلسفة الى كمال
 طاعتهم لا إله الا الله كذبوا غيرهم ومعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم
 وعمارة بواطنهم بالوحى السماوى والذكر القدسى وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوبا

ابليس هبط من قبل
ويحتمل انه هبط الى السماء
ثم هبطوا جميعا الى الارض
(بعضكم لبعض عدو)
في موضع الحال أى
متعادين يعاديهما ابليس
ويعاديانه (ولكم في الارض
مستقر) استقرار أو موضع
استقرار (ومتاع)
واتتفاع بعيش (الى حين)
الى انقضاء آجالكم وعن
ثابت البناني لما هبط آدم
عليه السلام وحضرته
الوفاة وأحاطت به الملائكة
فجعات حواء تدور حولهم
فقال لها خلى ملائكتي بي
فانما أصابني ما أصابني
فيك فلما توفي غسـلته
الملائكة بماء وسدر وترا
وحنطته وكفنته في وتر من
التياب وحفر واله قبراً
ودفنوه بسرندب بارض
الهند وقالوا لبنيه هذه
سنتكم بعده (قال فيها
تحيون) في الارض (وفيها
تموتون ومنها نخرجون)
للموت والعباق نخرجون
حزة وعلى (باني آدم قد
أنزلنا عليكم لباساً) جعل
ما في الارض منزل من السماء
لان أصله من الماء وهو
منها (يوارى سواكم)
يستعوارتكم (وريشا)
لباس الزينة استعير من
ريش الطير لانه لباسه وزينه

وهي حسنات بالنسبة لى غيرهم كما قيل حسنات الابراسيات اتقرر بين معنى انهم يرونها بالنسبة الى
أحوالهم كالسيات وهي حسنات انهم وقد تقدم في سورة البقرة ان كل آدم من الشجرة هل كان قبل
النمو أو بعدها والخلاف فيه فاغنى عن الاعادة والله أعلم ﴿ قوله تعالى (قال اهبطوا) قال الامام نضر الدين
الرازى رحمه الله ان الذي تقدم ذكره هو آدم وحواء وابليس فقوله اهبطوا يجب أن يتناول هؤلاء الثلاثة
وقال الطبرى قال الله تعالى لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا يعنى من السماء الى الارض قال السدى
رحم الله قوله تعالى اهبطوا يعنى الى الارض آدم وحواء وابليس والحية (بعضكم لبعض عدو) يعنى ان
العداوة ثابتة بين آدم وابليس والحية وذرية كل واحد من آدم وابليس (ولكم في الارض مستقر) يعنى
موضع قرار يستقرون فيه وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم افي قوله تعالى ولكم في الارض مستقر يعنى
القبور (ومتاع الى حين) يعنى ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا والى انقضاء آجالكم ومعنى
الآية ان الله عز وجل أخبر آدم وحواء وابليس والحية انه اذا اهبطهم الى الارض فان بعضهم لبعض عدو
وان لهم في الارض موضع قرار يستقرون فيه الى انقضاء آجالهم ثم يستقرون في قبورهم الى انقطاع الدنيا
قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى ومتاع الى حين يعنى الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا
(قال فيها يحيون) يعنى قال الله عز وجل لآدم وذرية ابليس وأولاده فيها يحيون يعنى في الارض
يعيشون أيام حياتكم (وفيها تموتون) يعنى وفي الارض تكون وفانتم وموضع قبوركم (ومنها نخرجون)
يعنى ومن الارض نخرجكم بكم ويحشركم للحساب يوم القيامة ﴿ قوله عز وجل (باني آدم قد أنزلنا عليكم
لباساً يوارى سواكم) اعلم ان الله عز وجل لما أمر آدم وحواء بالهبوط الى الارض وجعلها مستقراً لهم
أنزل عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما نزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه
في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه يسترا عورة وستره شرط في صحة الصلاة وأمانة عفته في الدنيا فانه
يمنع الحر والبرد فامتن الله على عباده بان أنزل عليهم لباساً يوارى سواكم فقال تعالى باني آدم قد أنزلنا عليكم
لباساً يوارى سواكم يعنى لباساً تسترون به عوراتكم فان قلت ما معنى قوله قد أنزلنا عليكم لباساً قلت
ذكر العلماء فيه وجوهاً أحدها أنه بمعنى خالق أى خلقنا لكم لباساً أو بمعنى رزقناكم لباساً الوجه الثاني
الثاني ان الله تعالى أنزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكانه أنزله عليهم الوجه الثالث ان
جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى وأنزلنا الحديد (وريشا) الريش للظائر
معروف وهو لباسه وزينه كالتياب للانسان فاستعير للانسان لانه لباسه وزينه والمعنى وأنزلنا عليكم
لباساً بين لباساً يوارى سواكم ولباساً لى يتنكم لان التزيين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوا حوزينه
وقال ولكم فيها جمال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معنى الريش
المدكور في الآية فقال ابن عباس رضى الله عنهما وريشاً يعنى مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدى
لان المال مما يتزين به ويقال تزين الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الى الزينة
أيضا وقيل ان الريش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس أو يفرش والريش أيضا
المتاع والاموال عندهم وريشاً استعملوه في الثياب والسكسة دون سائر المال يقال انه حسن الريش أى
لحسن الثياب وقيل الريش والريش يستعمل أيضا في الخصب ورفاهية العيش (ولباس التقوى) اختلف
العلماء في معناه فمنهم من جعله على نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من جعله على الجازا ما من جعله على نفس
الملبوس فاختلفوا أيضا في معناه فقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول وانما أعاده اخبار أن
ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما أعاده لاجل ان يخبر عنه بأنه خير لان العرب في الجاهلية كانوا
يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك
أى أنزلنا عليكم لباساً بين لباساً يوارى سواكم ولباساً لى يتنكم (ولباس التقوى) ولباس الورع الذي بقى العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهي

(ذلك خبر) كانه قيل ولباس التقوى هو - غير لان أمهات الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر أو ذلك صفة ليست او خبر خبر المبتدأ كانه قول ولباس التقوى المشار اليه خبر أول لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى أي ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خبر وقيل ولباس أهل التقوى من (٨٦) الصوف والخشن ولباس التقوى مدني وشامي وعلى عطف على لباساى وأزلنا

خير وقال زيد بن علي رحمه الله تعالى لباس التقوى آلات الحرب التي تنفي بها في الحرب كالدر وع والغفر ونحو ذلك وقيل لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها أهل الزهد والورع وقيل هو ستر العورة في الصلاة وأما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلاف في معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن رضي الله عنه هو الحياء لانه يحث على التقوى وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السمات الحسن وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به مما خاف الله من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى (ذلك خير) يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجلال والزينة وأنشدوا في المعنى اذا أنت لم تلبس ثيابا من التقى * عربيت وان وارى القميص قيص

وقوله تعالى (ذلك من آيات الله) يعني انزال اللباس عليكم يا بني آدم من آيات الله الدالة على معرفته وتوحيده (اعلمهم بذكرهم) يعني اعلمهم بذكر نعمته عليهم فيسبحون بها ﴿ قوله تعالى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة) قيل هذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة والمعنى لا يخذلكنم بغروره ولا يضلكنم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة آدم هـ او شدة عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد آدم فقال تعالى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة يعني آدم وحواء عليهما الصلاة والسلام والمعنى ان من قدر على اخراج أبو يكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فيأمن بقدره على فتنتهكم بطريق الاولى فحذر الله عز وجل بني آدم وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان وغروره وزينه القبايح وتحسينه الافعال الرديئة في قلوب بني آدم فهذه فتنته التي نهى الله تعالى عباده عنها وحذرهم منها ﴿ وقوله تعالى (ينزع عنهما لباسهما) انما أضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاستند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما ما بقيت الاظفار تذكروا زينة ومنافع وقال وهب بن منبه رحمه الله تعالى كان لباس آدم وحواء نورا وقال مجاهد كان لباسهما النبي وفي رواية عنه التقوى وقيل ان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول أقرب لان اطلاق اللباس ينصرف اليه ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس (ابريهما وسواتهما) يعني ابرى آدم عورة حواء وترى حواء عورة آدم وكان قبل ذلك لا يرى بعضهم سواة بعض (انه براكم هو وقبيله) يعني ان ابليس براكم يا بني آدم هو وقبيله انما أعاد الكناية في قوله هو اي حسن العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جبل من جن أو انس قبيل ومعنى براكم هو وقبيله أي من هو من نسله وحكى أبو عبيد عن أبي يزد القليل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى والجمع قبل لقبيلة بنو أب واحد وقال الطبري قبيلة يعني صنفه وجيله الذي هو منهم وهو واحد يجمع على قبل وهم الجن وقال مجاهد الجن والشياطين وقال ابن يزد بقبيله نسله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو ولده ﴿ وقوله (من حيث لا ترونهم) يعني أنتم يا بني آدم قال العلماء رحمة الله ان الله تعالى خلق في عيون الجن ادرا كبرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس

عليكم لباس التقوى (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورجته على عباده يعني انزال اللباس (اعلمهم بذكرهم) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الاشياء واردة على سبيل الاستطراد وعقب ذكر بدو السوات وخصف الورق عليها اظهارا للامنة فيما خاف من اللباس ولما في العري من الفضيحة واشارة بان التستر من التقوى (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة) لا يخذلكنم ولا يضلكنم ولا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبو يكم من الجنة (يا بني آدم لا يفتننكم ولا يضلكنم) بان لا تداخلوا الجنة كما فتن أبو يكم بان أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال أي أخرجهما ما زعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما والهي في اظهار للشيطان وفي المعنى ابني آدم أي لا تتبعوا الشيطان فيفتنكنم (ابريهما وسواتهما) عوراتهما (انه) الضمير للشأن والحديث (براكم هو) تعاليل الهوى وتحذير من وقتته بانه بمنزلة العدو المدبج بكيدهم من حيث لا تشعرون (وقبيله)

وذريته أو وجوده من الشياطين وهو عطف على الضمير في براكم ماؤ كدهم ولم يعطف عليه لان معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وانما يعطف على ما هو معمول الفعل (من حيث لا ترونهم) قال ذوالنون ان كان هو يراك من حيث لا تراه فاستغن عن براه من حيث لا يراه وهو الله الكر بم الستار الرحيم الغفار لابرون

(انا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لا يؤمنون)

فيه دلالة خافية الافعال (واذا

فعلوا فاحشة) ما يبالغ في

قبحة من الذنوب وهو

طوافهم بالبيت عراة

وشركهم (قالوا وجدنا

عليها آباءنا والله أمرنا بها)

أى اذ فعلوا اعتذروا بان

آباءهم كانوا يفعلونها

فاقتدوا بهم وبان الله

أمرهم بان يفعلوها حيث

أمرنا عليها اذ لو ذكره هنا نقلنا

عنها وهو ما باطل لان

أحدهما تقليد للجهال

والثاني افتراء على ذى

الجلال (قل ان الله لا يأمر

بالفحشاء) اذ المأمور به

لا بد أن يكون حسنا وان

كان فيه على مراتب على

ما عرف في أصول الفقه

(أتقولون على الله مالا

تعلمون) استفهام انكار

وتوبيخ (قل أمر ربى

بالتقسط) بالعدل وبما هو

أحسن عند كل عاقل

فكيف يأمر بالفحشاء

(وأقيموا وجوهكم عند

كل مسجد) وقيل أقيموا

وجوهكم أى اقصوا

عبادته مستقيمين اليها غير

عادين الي غيرها فى كل

وقت سجود أوفى كل

مكان سجود (وادعوه)

واعبدوه (مخلصين له

الدين) أى الطاعة متبتغين

بوجهه خاصا (كبدأكم

تعودون) كما أنشأكم

لا يرون الجن رقة أجسام الجن وطافتها والوجه فى رؤية الجن للانسان كثافة أجسام الانسان والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا ولو جعل فى ابصارنا هذه القوة لرأيناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وجعلت صدور بى آدم مساكن لهم الامن عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس فهم يرون بنى آدم وبنو آدم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا ربة نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيعنا فنى وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى ان عدوا يراك ولا تراهم لشدة المؤنة الامن عصمه الله تعالى (انا جعلنا الشياطين اولياء) يعنى أعيانهم وقرناء (للذين لا يؤمنون) قال الزجاج يعنى سلطانهم عليهم يزدون فى غيرهم ﴿ قوله عز وجل (واذ فعلوا فاحشة) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهدى طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء وقال عطاءهى الشرك والفاحشة اسم لكل فعل فيبوح فيه فدخل فيه جميع المعاصى والكبائر فيمكن جعلها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون أنها طاعات وهى فى نفسها فواحش ذمهم الله تعالى عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما أخبر الله عنهم وهو ﴿ قوله تعالى (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) فذكروا لانفسهم عذرين أحدهما محض التقليد وهو قلوبهم وجدنا على هذا الفعل آباءنا وهذا التقايد باطل لانه أصل له والعذر الثانى قوله لهم والله أمرنا بها وهذا العذر أيضا باطل وقد أجاب الله تعالى عنه بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) والمعنى ان هذه الافعال التى كان أهل الجاهلية يفعلونها هى فى نفسها قبيحة منكورة فكيف يأمر الله تعالى بها والله لا يأمر بالفحشاء بل يأمر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى ردا عليهم (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعنى أنكم ما سمعتم كلام الله تعالى ابتداء من غير واسطة ولا أخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى وبين عباده فى تبليغ أوامره ونواهيه وأحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبياء فكيف تقولون على الله مالا تعلمون ﴿ قوله تعالى (قل أمر ربى بالتقسط) أى قل يا محمد طهوا الذين يقولون على الله مالا يعلمون أمر ربى بالتقسط يعنى بالعدل وهذا قول مجاهد والسدى وقال ابن عباس رضى الله عنهما ابلا اله الا الله فالامر بالتقسط فى هذه الآية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وانه واحد لا شريك له (وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) فان قلت قل أمر ربى بالتقسط خبر وقوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد أمر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فامعناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل أمر ربى بالتقسط وقال وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد حذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الآية فى قول مجاهد والسدى وجهوا وجوهكم حينما كنتم فى الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وأتم عند المسجد فصلاوا فيه ولا تقوان أحدكم أصلى فى مسجدى أو فى مسجد قومى وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خاصا (وادعوه مخلصين له الدين) أى واعبدوه مخلصين للعبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا غيره (كبدأكم تعودون) قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل بدأ خلق بنى آدم مؤمنا وكافرا كما قال تعالى هو الذى خلقكم فىكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كبدأ خلقهم مؤمنا وكافرا وحجة هذا القول قوله فى سياق الآية فر يقا هدى وفر يقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك ما روى عن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه أخرجه مسلم زاد البغوى فى روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل باعمال أهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل أهل السعادة ثم صار الى الشقاوة ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال أهل

الشقاوة كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل أهل الشقاوة ثم صاروا الى السعادة و يصحح هذا القول ماروي
 عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعمل الزمن الطويل
 بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار وان الرجل يعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم
 له عمله بعمل أهل الجنة أخرجه مسلم وقال الحسن ومجاهد في معني الآية كابدواكم خالفكم في الدنيا ولم
 تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون أحياء يوم القيامة وشهدا صحة هذا القول ماروي عن
 ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس انكم
 تحشرون الى الله عز وجل حفاة عراة غرلا كبادا تأول خاني نعيده وعد اعليتنا انا كفاعا عين أخرجه البخاري
 ومسلم وقوله تعالى (فر يقا هدى) يعني هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووقفهم اطاعة وعبادته
 (وفر يقا حق عليهم الضلالة) يعني وخذل فر يقا حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التي سبقت لهم في
 الازل بانهم أشقىا وفيه دليل على ان الهدى والضلالة من الله عز وجل وماروي عن عبد الله بن عمرو بن
 العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خاني خاقه في ظلمة فالتقى عليهم من نوره
 فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل أخرجه الترمذي وقوله تعالى (انهم اتخذوا الشياطين
 أولياء من دون الله) يعني ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصراء وأتوا اطاعوهم
 فيما أمرهم وهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي هو الله تعالى اتخذوا
 الشياطين أولياء من دون الله لان الشياطين لا يتقرون على اضلال أحد وقوله (ويحبون انهم
 مهتدون) يعني أنهم مع ضلالتهم يظنون ويحبون أنهم على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي
 يظن انه في دينه على الحق والجحاد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل (يا بني آدم خذوا زينتكم عند
 كل مسجد) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من
 يعبرني تطوفا فاجعله على فرجه او هوى تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما يبد منه فإلأحله

فتزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله
 عنهما قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل و ذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه
 فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان حتى من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا
 أو معتمرا يقول لا ينبغي لي ان أطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعبرني مئزرا فان قدر عليه والاطاف
 عريانا فانزل الله تعالى فيه ما سمعوا خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف
 بالبيت عراة الا الحس وهم قريش وأخلافهم فمن جاء من غير الحس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحسى ويرى
 أنه لا يحمل له أن يلبس ثيابه فان لم يجد من يعبره من الحس فانه ياتي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب
 نفسه ألقاها اذا قضى طوافه وحرمها أي جعلها محرما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا زينتكم عند كل
 مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي ستر العورة قال مجاهد ما يورى عورتكم ولو عباة وقال الكلبي
 الزينة ما يورى العورة عند كل مسجد كطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم أمر وظاهره الوجوب وفيه
 دليل على ان ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال وقوله تعالى (وكواوا شر بوا) قال
 الكلبي كانت بنوعا من لا يابأ كاون في أيام حجهم الاقونا ولا يابأ كاون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسامون
 نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله عز وجل وكواوا شر بوا يعني الدسم واللحم (ولا تشر بوا)
 يعني تبخر بمالم يحرمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت
 والس ما شئت ما أخطأك خص لثان سرف ومخباة وقال علي بن الحس بن واقد قد جمع الله الطب كاه

ابتداء يعيدكم احتج عليهم
 في انكارهم الاعادة بتداء
 الخلق والمعنى انه يعيدكم
 فيبازيكم على أعمالكم
 فاخسوا له العبادة (فر يقا
 هدى) وهم المسلمون
 (وفر يقا) أي أضل فر يقا
 (حق عليهم الضلالة) وهم
 الكافرون (انهم) ان
 الفريق الذين حق عليهم
 الضلالة (اتخذوا الشياطين
 أولياء من دون الله) أي أنصارا
 (ويحبون انهم مهتدون)
 والآية حجة لنا على أهل
 الاعمال في الهداية
 والاضلال (يا بني آدم خذوا
 زينتكم) لباس زينتكم
 (عند كل مسجد) كلما
 صليتم وقيل الزينة المشط
 والطيب والسنة ان يأخذ
 الرجل أحسن هيائه
 للصلاة لان الصلاة مناجاة
 الرب فيستحب لها التزين
 والتعطر كما يجب التستر
 والتطهر (وكواوا) من
 اللحم والدسم (واشر بوا)
 ولا تشر بوا) بالشرع في
 احرام أوفى مجاوزة الشبع

(انه لايجب المسرفين) وعن ابن عباس رضی الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأناك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد مطيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب سبي والعلم عامان علم الايدان وعلم الايدان فقال له علي قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله وكواواشربوا (٨٩) ولا تسرفوا فقال النصراني ولم يرد

عن رسواكم شئ في الطب فقال قد جمع رسوانا الطب في ألفاظ يسيرة وهي قوله عليه السلام المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماء عودته فقال النصراني ماترك كتابكم ولا تديكم الخاليينوس طبائهم استفتهم انكارا على محرم الحلال بقوله (قل من حرم زينة الله) من الثياب وكل ما يتعبد به (التي أخرج اعباده) أى أصلها يعنى القطن من الارض والقز من الدود (والطيبات من الرزق) والمستلذات من الماء كل والمشارب وقيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها وابنيها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لان المشركين شر كأؤهم فيها (خاصة يوم القيامة) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا وغيرهم ايمنه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصلالة والكفار تبع لهم خاصة بالرفع نافع فهي مبتدأ خبره للذين آمنوا وفي الحياة الدنيا طرف للخبر وأصلها

في نصف آية فقال وكواواشربوا ولا تسرفوا في الآية دليل على ان جميع المطاعم والمشروبات حلال الا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لان الاصل في جميع الاشياء الاباحة الا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل (انه لايجب المسرفين) يعنى ان الله تعالى لايجب من أسرف في الماء كقول والمشروب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذ لم يحبه علم انه تعالى ليس هو راض عنه فدات الآية على الوعيد الشديد في الاسراف ﴿ قوله تعالى (قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده) يعنى قل يا محمد طهوا لواء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم اعيكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تنزبنوها وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الامام نضر الدين الرازى انه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلى ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخلوا في هذا العموم ولكن النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير على الرجال دون النساء (والطيبات من الرزق) يعنى ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم ثم ذكرها في معنى الطيبات في هذه الآية أقوالا أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حبهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج اعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس رضی الله تعالى عنه ما وقتادة ان المراد بذلك ما كان أهل الجاهلية يحرمونه من البحائر والسوايق قال ابن عباس رضی الله عنهما ان أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله تعالى من الرزق وغيرها وهو قول الله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا وأنزل الله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث ان الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطاعم الا ما نهى عنه وورد نص بتحريمه (قل هي للذين آمنوا) يعنى قل يا محمد ان الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا (في الحياة الدنيا) غير خاصة لهم لانه يشركهم فيها المشركون (خاصة) لهم (يوم القيامة) يعنى لا يشركهم فيها أحد لانه لا حظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خاصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدبر وتنغيص فأعلمهم انها خاصة لهم في الآخرة من ذلك كله (كذلك تفصل الآيات اقوم يعلمون) يعنى كذلك نيين الحلال مما أحلت والحرام مما حرمت اقوم علموا اني أنا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالى وحرموا حرامى ﴿ قوله عز وجل (قل انما حرم ربي الفواحش) جمع فاحشة وهي ما قبح وخش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد طهوا لواء المشركين الذين ينجردون من الثياب ويطوفون بالبيت عراة يحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم ان الله لم يحرم ما تحرمونه انتم بل أحله الله لعباده وطيبه لهم وانما حرم ربي الفواحش من الافعال والاقوال (ما ظهر منها وما بطن) يعنى علانيته وسره (ق) عن عبد الله بن مسعود رضی الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأحد أئمة من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل العبارة نوران القلب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يخص به الانسان ومنه غيرة أحد الزوجين

(١٢) - (خازن) - (ثاني) خبرتان أو خبر مبتدأ محذوف أى هي خاصة وغيره نصها على الحلال من الضمير الذي في الظرف الذي هو الخبر أى هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا في حال خلوصها يوم القيامة (كذلك تفصل الآيات) غير الحلال من حرام (لقوم يعلمون) أنه لا شريك له (قل انما حرم ربي الفواحش) ربي حرة الفواحش ما نفا حش قبحه أى تزايد (ما ظهر منها وما بطن)

على الآخر لا اختصاص كل واحد منهما بما صاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وأما الفيرة في وصف الله تعالى فهو ممنوع من ذلك وتحريمه له وبدل على ذلك قوله ومن غيرته حرم الفواحش مظهر منها وما بطن وقد يحتمل أن تكون غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب والله أعلم وقوله تعالى (والأثم) يعني وحرم الأثم واختلّفوا في الفرق بين الفاحشة والأثم فقيل الفواحش الكبائر لانه قد تفاحش فبجها وتزايد الأثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل إنما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب في الذنوب والأثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول قريب من الأول واعترض على هذين القولين بأن الأثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل إن الفاحشة اسم للكبيرة والأثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيراً أو صغيراً والفائدة فيه أن يقال لما حرم الله الكبيرة بقوله قل إنما حرم ربي الفواحش أردفه بتحريم مطلق الذنب لتلايته وهم متوهم أن التحريم مقتصور على الكبائر فقط وقيل إن الفاحشة وإن كانت بحسب اللغة اسم الكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصاً بالزنا لانه إذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذلك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الأثم فقد قيل إنه اسم من أسماء الجمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهرى قد تسمى الجمر إنما واستدل عليه بقول الشاعر

شربت الأثم حتى ضل عقلي * كذا الأثم بذهب بالعقول

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندى أن تسمية الجمر بالأثم صحيح لأن شر بها الأثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللغظين وأنكر أبو بكر بن الأنباري تسمية الجمر بالأثم قال إن العرب ما سمتهم أمّا قبط في جاهلية ولا في الإسلام ولكن قد يكون الجمر داخل تحت الأثم لقوله قل فيهما أثم كبير ﴿وقوله تعالى (والبنّي) أي وحرم البنّي (بغير الحق) والبنّي هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كما ومعنى البنّي بغير الحق هو أن يطلب ماليس له بحق فاذا طلب ماله بحق خرج من أن يكون بغياً (وأن تشركوا) أي وحرم أن تشركوا (بالله ما ينزل به سلطاناً) هذا فيه نهىكم بالمشركين والكفار لانه لا يجوز أن ينزل بحجة وبرهان بان يشرك به غيره لان الأقرار بشئ ليس على ثبوته بحجة ولا برهان فمتنع فله امتنع حصول الحجّة والبيّنة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلاً على الإطلاق * فإن قلت البنّي والشرك داخلان تحت الفاحشة والأثم لان الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الأثم وكذا البنّي أيضاً من الفواحش والأثم * قال إنما أفردهما بالذكرة للتنبيه على عظم فبجعهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البنّي والشرك فكأنه بين جلته ثم تفصيله ﴿وقوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) تقدم تفسيره ﴿وقوله تعالى (ولكل أمة أجل) الأجل الوقت الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الأجل المذكور في الآية قولان أحدهما أنه أجل العذاب والمعنى أن لكل أمة كذب رسلاً وقتها معينا وأجلها سمي أمهلهم الله إلى ذلك الوقت (فإذا جاء أجلهم) يعني فإذا حل وقت عذابهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني فلا يؤخرون ولا يؤجلون قدر ساعة ولا أقل من ساعة وإنما ذكرت الساعة لانها أقل أسماء الأوقات في العرف وهذا حين سألوا نزول العذاب فآخبرهم الله تعالى أن لهم وقتاً إذا جاء ذلك الوقت وهو وقت أهلهم واستنصاهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني أن المراد بهذا الأجل هو أجل الحياة والعمر فإذا انقضى ذلك الأجل وحضر الموت فلا يؤخرون ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول يلزم أن يكون لكل واحد أجل لا يقع فيه تقديم ولا تأخير وإنما قال تعالى لكل أمة انقضاء أعمار أهل كل عصر فكأنهم كانوا حدى في مقدار العمر وعلى هذا القول أيضاً يكون المقتول ميتاً باجله خلافاً لمن يقول القاتل قطع عليه أهله ﴿وقوله عز وجل (يا بني آدم اياي أتيتكم رسل منكم) هي إن الشرطية ضمت اليها ماؤ كدة لعنى

سرّها وعلايتها (والأثم) أي شرب الخمر أو كل ذنب (والبنّي) والظلم والكبر (بغير الحق) متعلق بالبنّي ومحل (وأن تشركوا) بالله ما ينزل به سلطاناً) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكي وبصرى وفيه نهىكم اذ لا يجوز أن ينزل برهاناً على أن يشرك به غيره (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وأن تقولوا عليه ونفرتوا الكذب من التحريم وغيره (ولكل أمة أجل) وقت معين ياتهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما ينزل بالآثم (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قيد بساعة لانها أقل ما يستعمل في الأهال (يا بني آدم اياي أتيتكم رسل منكم) هي إن الشرطية ضمت اليها ماؤ كدة لعنى الشرط لان ما للشرط ولذا لرمت فعلها الثنون الثقيلة أو الخفيفة (رسل منكم)

يفصون عليكم آياتي) يقرؤن عليكم كتي وهو
 في موضع رفع صفة لرسول
 وجواب الشرط (فن
 اتقى) الشرك (وأصلح)
 العمل منكم (فلاخوف
 عليهم ولا هم يحزنون)
 أصلاً فلاخوف يعقوب
 (والذين كذبوا) منكم
 (بآياتنا واستكبروا عنها)
 تعظموا عن الإيمان بها
 (أولئك أصحاب النار هم فيها
 خالدون فن أظلم) فن
 أشنع ظمناً (عن افترى
 على الله كذباً وكذب
 بآياته) من تقول على الله
 ما لم يقله أو كذب ما قاله
 (أولئك ينالهم نصيبهم من
 الكتاب) ما كتب لهم
 من الأرزاق والأعمار
 (حتى إذا جاءتهم رسلنا)
 ملك الموت وأعوانه وحتى
 غاية إنيلهم نصيبهم واستيقظهم
 له وهي حتى التي يتبدأ
 بعدها الكلام والكلام
 هنا الجملة الشرطية وهي إذا
 جاءتهم رسلنا (يتوفونهم)
 يقبضون أرواحهم وهو
 حال من الرسل أي متوفهم
 وما في (قالوا أيما كنتم
 ندعون) في خط المصحف
 موصولة بيان وحققاً أن
 تكذب مفسولة لأنها
 موصولة والمعنى أين الآلهة
 الذين تعبدون (من دون
 الله) لينبوا عنكم

وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعده من الشرط والجزاء وهو قوله فن اتقى وأصلح يعني منكم واما قال
 رسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى
 كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله ياتي آدم لاهل مكة
 ومن يلحقهم وقيل أراد جميع الرسل وعلى هذا فالخطاب في قوله ياتي آدم عام في كل بني آدم واما قال منكم
 يعني من جنسكم ومثلكم من بني آدم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان أقطع اعذرهم وأثبت للحجة
 عليهم لانهم يعرفونه ويعرفون أحواله فاذا أنامهم بما لا يليق بقدرته أو بقدره أمثاله علم أن ذلك الذي أتى
 به معجزته وله حجة على من خالفه (يقصون عليكم آياتي) يعني يقرؤن عليكم كتابي وأدلة أحكامي وشرائعي التي
 شرعت لعبادي (فن اتقى) يعني فن اتقى الشرك ومخالفة رسلي (وأصلح) يعني العمل الذي أمرته به رسلي
 فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه (فلاخوف عليهم) يعني حين يخاف غيرهم يوم القيامة من
 العذاب (ولا هم يحزنون) يعني على ما فاتهم من دنياهم التي تركوها (والذين كذبوا بآياتنا) يعني ومن
 سجدوا آياتنا وكذبوا بآياتنا (واستكبروا عنها) يعني واستكبروا عن الإيمان بها وما جاءت به رسلنا (أولئك
 أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني لا يخرجون منها أبداً قوله تعالى (فن أظلم من افترى على الله كذباً)
 يعني فن أعظم ظلماً من يقول على الله ما لم يقله أو يجعل له شريكاً من خلقه وهو منزعه عن الشريك والولد
 (أو كذب بآياته) يعني أو كذب بالقرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم (أولئك
 ينالهم نصيبهم من الكتاب) يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا في ذلك
 النصيب على قولين أحدهما أن المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال الحسن
 والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في رواية
 عنه كتب لمن يفتري على الله كذباً من وجهه أسود وقال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم ناراً تظلي
 وفي قوله اذا اغلغل في أعناقهم فهذه الاشياء هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم والقول
 الثاني أن المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس رضي
 الله عنهما في رواية أخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبيرة وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قالوا هو
 السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية أخرى عنه من عمل خيراً
 جوزى به ومن عمل شراً جوزى به وقال قتادة جزء أعمالهم التي عملوها وقيل معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما
 وعدوا في الكتاب من خير أو شر قاله مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس رضي الله عنهم أيضاً وقال
 الربيع بن أنس ينالهم ما كتب لهم في الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره
 وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والأرزاق والاعمار فاذا فرغ هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
 وصحح الطبري هذا القول الآخر وقال لان الله تعالى أتبع ذلك بقوله حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان
 ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا فاذا فرغ توفونهم رسل ربهم قال الامام غفر الدين رحمه الله تعالى وانما
 حصل الاختلاف لان لفظ النصيب محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حله على العم والرزق أولى لانه
 تعالى بين أنهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بما منع أن ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر
 تفضل من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى (حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) يعني
 حتى إذا جاءت هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب رسلنا يعني ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم عند
 استكمال أعمارهم وأرزاقهم لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى (قالوا) يعني قال الرسل وهم الملائكة لا لكفار
 (أيما كنتم تدعون من دون الله) وهذا سؤال توبيخ وتقرير وتبكيك لسؤال استعمال والمعنى أين الذين
 كنتم تعبدونهم من دون الله ادعواهم ايدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الآخرة والمعنى حتى

(قلاواضواعنا) نأوا اعناه لاراهم (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر (قال ادخلوا) أي (٩٢) يقول الله تعالى يوم القيامة هؤلاء الكفار ادخلوا (في أعم) في موضع الحال أي

إذا جاءهم رسولنا يعني ملائكة العذاب يتوفونهم يعني يستوفون عددهم عند حشرهم إلى النار قالوا أيما كنتم تدعون يعني شركاء وأولياء تعبدونهم من دون الله فادعوهم ليدفعوا عنكم ما جاءكم من أمر الله (قالوا) يعني الكفار مجيبين للرسل (ضلوا عننا) يعني بطلا وذهبوا عننا وتركونا عند حاجتنا إليهم فلم ينفعونا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) يقول الله تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب أنهم كانوا جاحدين وحادية الله واعترفوا على أنفسهم بذلك ﴿وقوله عز وجل﴾ (قال ادخلوا في أعم قد دخلت من قبلكم من الجن والانس) يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في أعم يعني في جلة أعم قد دخلت يعني قدمت وسلفت وإنما قال قد دخلت ولم يقل قد دخلوا لأنه أطلق الضمير على الجماعة يعني في جلة جماعة قد دخلت من قبلكم من الجن والانس (في النار) أي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم ومأواكم وإنما عني بالأمم الجماعات والأحزاب وأهل الملل الكافرة من الجن والانس (كلما دخلت أمة) يعني كلما دخلت جماعة النار (اعنت أختها) يعني كلما دخلت أمة النار اعنت أختها من أهل ملتها في الدين لافي النسب قال السدي كلما دخلت أهل ملة النار اعنوا أصحابهم على ذلك الدين فيأمن المشركون المشركين واليهود واليهود والنصارى والنصارى والصابئون والصابئين والمجوس والمجوس تلعن الآخرة الأولى (حتى إذا ادركوا) يعني نذاركوا وتلاحقوا (فيها جميعا) يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وأدرك بعضهم بعضا واستقروا في النار (قالت أخراهم لأولاهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني قال آخر كل أمة لا ولها وقال السدي قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لا ولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال آخرهم دخولا النار وهم الاتباع لا ولهم دخولا وهم القادة لأن القادة يدخلون النار أولا (ر بنا هؤلاء أضلونا) يعني تقول الاتباع ر بنا هؤلاء القادة والرؤساء أضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل إنما قال المتأخرون ذلك لأنهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من أسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقتهم فيها كانوا عليه من الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه قاوار بنا هؤلاء أضلونا لانا اتبعنا سبيلهم (قالتهم عذابا ضعفا من النار) أي أضعف عليهم العذاب قال أبو عبيدة الأضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال الأزهرى والذي قاله أبو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم وأما كتاب الله فهو عربي مبين فيرد تفسيره إلى موضوع كلام العرب الأضعف في كلامهم ما زاد وليس بمقصود على مثلين وجاتر في كلام العرب هذا ضعفه أي مثله وثلاثة أمثاله لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة وأولى الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله فأقل الضعف محصور وهو المثل وأكثره غير محصور وقال الزجاج في تفسير هذه الآية قالتهم عذابا ضعفا أي مضاعفا لأن الضعف في كلام العرب على ضربين * أحدهما المثل والآخر أن يكون في معنى تضعيف الشيء أي زيادته (قال) يعني قال الله تعالى (لكل ضعف) يعني لا ولاكم ضعف ولا خراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللتبوع ضعف لأنهم قد دخلوا في الكفر جميعا (ولكن لا تعلمون) يعني ما أعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه ولكن لا يعلم كل فريق ما أعد الله تعالى من العذاب للفريق الآخر (وقالت أولاهم) يعني في الكفر وهم القادة (لا خراهم) يعني الاتباع (فما كان لكم علينا من فضل) يعني قد ضلنا كما ضلنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الآية وقالت كل أمة سلفت في الدنيا لا خراها الذين جاؤا من بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنامن عقوبة الله بسبب كفرنا به مصيبتنا يا هؤلاء جاءكم بذلك الرسل والنذر فما رجعتن عن ضلالتكم وكفرتم (قدوقوا العذاب)

كاذبين في جلة أعم. صاحبين لهم (قد دخلت) مضت (من قبلكم من الجن والانس) من كفار الجن والانس (في النار) متعاقبا بدخلوا (كلما دخلت أمة) النار (اعنت أختها) شريكها في الدين أي التي ضلت بالافتداء بها (حتى إذا ادركوا) فيها) أصله تداركوا أي تلاحقوا واجتمعوا في النار فأبدلت التاء والواو سكنت للادغام ثم أدخلت همزة الوصل (جميعا) حال (قالت أخراهم) منزلة وهي الاتباع والسفلة (لا ولاهم) منزلة وهي القادة والرؤس ومعنى لا ولاهم لاجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم (ربنا) ياربنا (هؤلاء أضلونا) فآتهم عذابا ضعفا (مضاعفا) من النار قال لكل ضعف) للقادة بالغواية والاعواء وللأتباع بالكفر والافتداء (ولكن لا تعلمون) ما لكل فريق منكم من العذاب لا يعلمون أبو بكر أي لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق (وقالت أولاهم لا خراهم) فما كان لكم علينا من فضل (عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة

لكل ضعف أي قد ثبت أن لا فضل لكم ليدوا وأنما مسأرون في استحقاق الضعف (قدوقوا) وهذا العذاب

بما كنتم تكسبون) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولا وقف على فضل أو من قول الله لهم جميعاً أو الوقف على فضل (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء) أى لهم أبواب السماء لا يؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة اذهى فى السماء أو لا يصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين الى السماء وبالتناء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معه حزة وعلى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل فى سم الخياط) حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة أى لا يدخلون الجنة أبداً لانه علقه بما لا يكون والخياط والخيط ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الغلط الذى وصفنا (نجزى المجرمين) أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لهم من جهنم مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية جمع غاشية (وكذلك نجزى الظالمين) أنفسهم بالكفر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف أنفسنا الاوسعها) طافتها والتكليف الزام مافيه كافة

وهذا يحتمل أن يكون من قول القادة للتابع والامة الاولى للاخرى التى بعدها ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى يعنى يقول الله للجميع فدو القادة العذاب (بما كنتم تكسبون) يعنى بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة ﴿ قوله عز وجل (ان الذين كذبوا بآياتنا) يعنى كذبوا بدلائل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسالنا (واستكبروا عنها) أى وتكبروا عن الايمان بها والتصديق لها أو تفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل بمقتضاها تكبراً (لا تفتح لهم أبواب السماء) يعنى لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم ولا يصعد لهم الى الله عز وجل فى وقت حياتهم قول ولا عمل لان أرواحهم وأقوالهم وأعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد الى الله تعالى الكرم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس رضى الله عنهم لا تفتح أبواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضاً قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جرير لا تفتح أبواب السماء لاعمالهم ولا لارواحهم وروى الطبرى بسند عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء فل يصعدون بها فلا يرون على ملائكة الا قالوا ما هذه الروح الخبيثة قال فيقولون فلان باقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهبوا بها الى السماء فيسقطون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل فى سم الخياط وقيل فى معنى الآية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم تفتح لهم أبواب السماء فلا يبرئ عليهم من البركة والخير والرحمة شئى ﴿ وقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجبل فى سم الخياط) اللؤلؤ الدخول والجبل معروف وهو الذكرك من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفراء الخياط والخيط ما يخاط به والمراد به الابرة فى هذه الآية وانما خص الجبل بالذكرك من بين سائر الحيوانات لانه أكبر من سائر الحيوانات جسمها عند العرب قال الشاعر * جسم الجبال وأحلام العاصفير * وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل جسم الجبل من أعظم الاجسام وثقب الابرة من أضيق المنافذ فكان ولوج الجبل مع عظم جسمه فى ثقب الابرة الضيق محالاً فكذلك دخول الكفار الجنة محال وما وصف الله دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالاً ثبت أن الموقوف على المحال محال فوجب بهذا الاعتبار ان دخول الكفار الجنة مأبوس منه قطعاً وقال بعض أهل المعاني لما عاق الله تعالى دخولهم الجنة بولج الجبل فى سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيماً لدخولهم الجنة على التأييد وذلك لان العرب اذا علق ما يجوز كونه بما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا آتيك حتى يشيب الغراب ويبيض القمار ومنه قول الشاعر اذا شاب الغراب أتيت أهلى * وصار القمار كالابن الحبيب

﴿ قوله تعالى (وكذلك نجزى المجرمين) أى ومثل الذى وصفنا نجزى المجرمين يعنى الكافرين لانه تقدم من صفتهم أنهم كذبوا بآيات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على أنهم الكفار ولما بين الله عز وجل أن الكفار لا يدخلون الجنة أبداً بين أنهم من أهل النار ووصف ما أعد لهم فيها فقال تعالى (لهم من جهنم مهاد) يعنى لهم من نار جهنم فراش وأصل المهاد المتهاد الذى يقعد عليه ويضطجع عليه كالفرش والبساط (ومن فوقهم غواش) جمع غاشية وهى الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الآية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال محمد بن كعب القرظى والضحاك والسدى المهاد الفراش والغواشى اللحف (وكذلك نجزى الظالمين) يعنى وكذلك نكافى ونجازى المشركين الذين وضعوا العبادة فى غير موضعها ﴿ قوله عز وجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف أنفسنا الاوسعها) لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما أعد لهم فى الآخرة أتبعه بذكر وعد المؤمنين وما أعد لهم فى الآخرة فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات يعنى والذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله اليه وتنزله عليه

من شرائع دينه وعملا بما أمرهم به وأطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهى الله عنهم عنه لانكاف نفسا الاوسعها يعني لانكاف نفسا الاوسعها من الاعمال وما يسهل عليها ويدخل في طوقها وقد رتوا وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تجز عنه وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهد وقال أكثر أصحاب المعاني ان قوله تعالى لانكاف نفسا الاوسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر والتقدير والذين آمنوا وعملوا الصالحات (وأنتك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) لانكاف نفسا الاوسعها وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر علمهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاعتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه نبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحملها يتوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من أصحاب المعاني هو من تمام الخبر موضعه رفعه والعائد محذوف كأنه قال لانكاف نفسا منهم الاوسعها الخذف العائد لعلم به قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل) يعني وقلعنا وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من غش وحسد وحقده وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الآية أن لنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شيء خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط الوسواس ودفعها عن ان ترد على القلب روى عن علي رضي الله عنه قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروى عنه أيضا انه قال اني لارجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم الجنة (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المؤمنون من النار في حبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لا أحد منهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وقال السدي في هذه الآية ان أهل الجنة اذا سبقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقيها عينان فشر بوا من احدها ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى جرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعروا وان يشعروا بعدها أبدا وقيل ان درجات أهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض أهل الجنة أعلى من بعض وأخر الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم وأزاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالية وأورد على هذا القول كيف يعقل أن الانسان يرى الدرجات العالية والنعيم العظيم وهو محبوس عنهما الا يصل اليها ولا يميل بطبعه اليها ولا يغم بسبب حرمانه منها وان كان في لذة ونعيم وأجيب عن هذا بان الله تعالى قد وعد بازالة الحقد والحسد من قلوب أهل الجنة حتى تكمل لهم اللذة والسرور حتى ان أحدهم لا يرى نفسه الا في كمال وزيادة في النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد أحد أبدا ويهداهم نعيمه ولذته وكل سروره وبهجته وقوله تعالى (تجربى من تحتهم الانهار) لما أخبر الله تعالى بما أنعم به على أهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات والخيرات والمسرات (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) يعني ان المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وأرشدنا للعمل الذي هدانا به وفضل علينا به رحمة منه واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك (وما كالتهدى لولا ان هدانا الله) يعني وما كالتهدى لذلك العمل الذي هدانا به لولا أنه أرشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الآية دليل على ان المهتدى من هداه الله ومن لم يهد الله فليس بهتد (انما جاء رسول ربنا بالحق) يعني ان أهل النعيم اذا دخلوا هاورا واما أعد الله لهم فيها من النعيم قالوا القدي جاءت رسول ربنا بالحق يعني انهم رأوا ما وعدهم به الرسل عيانا (ونودوا أن نلكم

أى مشقة (أولئك) مبتدأ والخبر (أصحاب الجنة) والجملة خبر لذين ولانكاف نفسا الاوسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر (هم فيها خالدون) ونزعنا ما في صدورهم من غل) حقد كان بينهم في الدنيا فلم يبق بينهم الا التوادد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجوان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجربى من تحتهم الانهار) حال من هم في صدورهم والعمل فيها معنى الاضافة (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) لما هو وسيلة الى هذا الفوز العظيم وهو الايمان (وما كنا بغير او شامى على أنها جملة، ووضحة للاولى (لتهتدى لولا ان هدانا الله) اللام لتوكيد النفي أى وما كان يصح ان نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان اطفائنا ونبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك مروراً بما نالوا وواظهار لما اعتقدوا (ونودوا أن نلكم

الجنة) ان مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجنة بعدها خبرها تقديره ونودوا بان تلسم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كانه قيل وقيل لهم تلسم الجنة (أورثموها) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ماني تلك من معنى الإشارة (بما كنتم تعملون) مماها ميرانا لهما لا تستحق بالعمل بل هي محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت (٩٥) ليس بعوض عن شيء بل هو صلة

خالصة وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله ان المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحا عليه السلام وأهل الجنة والنار وابليس لانه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال نوح عليه السلام ولا ينفعم كنتم نضحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان الله يريد أن يغوكم وقال أهل الجنة وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقال أهل النار لو هدانا الله لهدينناكم وقال ابليس فيما أعوتني (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا) أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك أن اعنته الله على الظالمين (ما وعدنا ربنا) من الثواب (حقا) حال (فهل) وجدتم ما وعد ربكم من العذاب (حقا) وتقديره وعدكم ربكم بخذفكم لدلالة وعدنا ربنا عليه وإنما قالوا لهم ذلك شمانته بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قالوا نعم) وبكسر العين حيث كان على (فأذن مؤذنا بينهم) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة

الجنة) يعني ونادى مناديا أهل الجنة ان هذه الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادى فقيل هو الله عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عز وجل وقيل هذا النداء يكون في الجنة (م) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد ان لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وان لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وان لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل ونودوا أن تلسم الجنة أورثموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى (أورثموها بما كنتم تعملون) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة زادي رواية فذلك قوله تعالى أورثموها بما كنتم تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله أموات غير أحياء وسمى المؤمن حيا بقوله لينذر من كان حيا وفي الشرح ان الأحياء يرثون الأموات فقال أورثموها يعني ان المؤمن سحي وهو يرث الكافر منزله من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان أسرهم يؤل الى الجنة كما ان الميراث يؤل الى الوارث وقيل أورثموها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت لهم جزاء وثوابا على الاعمال ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يدخل الجنة أحد بعمله وانما يدخلها برحمة الله فان دخول الجنة برحمة الله وانقسام المنازل والدرجات بالاعمال وقيل ان العمل الصالح ان يناله المؤمن وان يبلغه الابرحمة الله تعالى وتوفيقه واذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله تعالى وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله أعلم ﴿قوله تعالى﴾ (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار) يعني ونادى أهل الجنة أهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار تقول أهل الجنة يا أهل النار (ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) يعني ما وعدنا في الدنيا على أن نترسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا (فهل) وجدتم ما وعد ربكم حقا) يعني من العذاب على الكفر (قالوا نعم) يعني قال أهل النار محبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا فان قلت هذا النداء من كل أهل الجنة لكل أهل النار ومن البعض للبعض فأت ظاهر قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار يفيد العموم والجمع اذا قابل الجمع بوزع الفرد على الفرد فكيف فر بقى من أهل الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا فان قلت اذا كانت الجنة في السماء والنار في الارض فكيف يمكن ان يباغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على أن يقوى الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب ﴿قوله تعالى﴾ (فأذن مؤذنا بينهم) يعني نادى منادوا على ان أصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى منادوا سماع الفريقين وهذا المنادى من الملائكة وقيل انه امر ايفيل صاحب الصور ذكره الواحدي (ان اعنته الله على الظالمين) يعني يقول المؤذن ان اعنته الله على الظالمين ثم فسر الظالمين من هم فقال تعالى (الذين يصدون عن سبيل الله) يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام (ويبعونها عوجا) يعني ويحاولون ان يغيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون ماله بظلمه الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتكلموا بغيره فاطمأنته الله فاخذوا الطريق وضلوا عن السبيل (وهم بالآخرة كافرون) يعني وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكم روى قوله عز وجل (ويبينهم ما حجاب) يعني بين

والنار (ان اعنته الله على الظالمين) أن اعنته مكي وشامى وحزرة وعلى (الذين يصدون) يصدون (عن سبيل الله) دينه (ويبعونها عوجا) مفعول ثان ليبتغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وهم بالآخرة) النار الآخرة (كافرون ويبينهم) وبين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور في قوله فاضرب بينهم سور

الجنة والنار وقيل بين أهل الجنة وأهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب قال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب هو السور وهو الاعراف وقوله (وعلى الاعراف رجال) الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من الجسد سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار أعرف وأبين مما انخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان أصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف الشئ المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف جبل بين الجنة والنار يحبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين أخبر الله عنهم انهم على الاعراف وما السبب الذي من أجله صاروا هنالك فروى عن حذيفة انه سئل عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فتمصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتخالفت بهم حسناتهم عن النار فوقوا هنالك على السور حتى يقضى الله تعالى فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانهم ادرجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من أهل الجنة ولا من أهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضلهم ورحمته لانه ليس في الآخرة دار الا الجنة أو النار وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسنة أ كثر بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئة أ كثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخفف ويثقل بمئة آل حبة من خردل ومن استوت حسنة وسيئة كان من أصحاب الاعراف فوقوا على الاعراف فاذا نظروا إلى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا نظروا إلى أهل النار قالوا ربنا انجعلنا مع القوم الظالمين فهنالك يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه اذا عمل العبد حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب له الا واحدة ثم قال هلك من غلب آحاده عشراته وقال ابن عباس رضى الله عنهما الاعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الاعراف هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم بذلك المسكان حتى اذا أراد الله تعالى أن يعاقبهم اطلق بهم إلى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قصب الذهب مكال بالثؤثر أو ترابه المسك فالتقوا فيه حتى تصلح ألوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن تبارك وتعالى فقال تمناوا ما شئتم فتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا فيدخلون الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد أصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو من غير اذن آبائهم ورواه الطبري بسنده إلى يحيى بن غيل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصابة لآبائهم فقتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة زادا في رواية فهم آخر من يدخل الجنة وذكر ابن الجوزي أنهم قوم رضى آبؤهم دون أمهاتهم وأمهم دون آبائهم ورواه عن ابراهيم وذكر عن أبي صالح مولى التوأمة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم أنهم أولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وفيه بعد لان آخر أصحاب الاعراف إلى الجنة وهؤلاء الذين ماتوا في الفترة الله أعلم بحالهم وهو يتولى أمرهم وقيل انهم أولاد المشركين الذين ماتوا أطفالا وهذا القول يرجع معناه إلى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه فهذه الأقوال تدل على أن أصحاب الاعراف دون أهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله تعالى وقال مجاهد أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكون انهم على الاعراف على سبيل النزهة أو ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم أنبياء حكاه ابن الانباري وانما جلسهم الله على ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر أهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين على أهل الجنة والنار ومطاعين على أحوالهم ومقادير نواب أهل الجنة وعقاب أهل النار وقال أبو مجلز وأصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسماهم يعني

(وعلى الاعراف) على
أعراف الحجاب وهو السور
المضروب بين الجنة والنار
وهي أعاليه جمع عرف
استعبر من عرف الفرس
وعرف الديك (رجال)
من أفاضل المسلمين أو
من آخرهم دخولا في الجنة
لاستواء حسناتهم
وسيئاتهم أو من لم يرض
عنه أحد أبويه أو أطفال
المشركين

(يعرفون كلا) من زمرة السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه وتضارنها وسما الكافرين بسواد الوجوه
وزرقة العيون (ونادوا) أى أصحاب الاعراف (أصحاب الجنة أن سلام عليكم) (٩٧) انه سلام أو أى سلام وهو

تهنئة منهم لاهل الجنة
(لم يدخلوها) أى أصحاب
الاعراف ولا محل له لانه
استئناف كأن سائلا سأل
عن أصحاب الاعراف
فقبل لم يدخلوها (وهم
يطمعون) فى دخولها وله
محل وهو صفة لرجال (وإذا
صرفت أبصارهم) أبصار
أصحاب الاعراف وفيه ان
صارفا يصرف أبصارهم
لينظروا فيستعينوا
(تلقاء) ظرف أى ناحية
(أصحاب النار) ورأوا
ماهم فيه من العذاب
(قالوا بنا لتجعلنا مع القوم
الظالمين) فاستعاذوا
بالله وفرعوا الى رحمة
أن لا يجعلهم معهم (ونادى
أصحاب الاعراف رجالا)
من رؤس الكفرة
(يعرفونهم بسيماهم) قالوا
ما أغنى عنكم جمعكم المال
أو كثرتكم واجتماعكم وما
أفية (وما كنتم تستكبرون)
واستكباركم على الحق
وعلى الناس ثم يقولون لهم
(اهؤلاء) مبتدأ (الذين)
خبر مبتدأ مضمرة تقديره
هؤلاء هم الذين (أقسمتم)
حلقة فى الدنيا والمشار اليهم
فقراء المؤمنين كصهيب
وسلمان ونحوهما (لا يناظم
الله برحمة) جواب أقسمتم
وهو داخل فى صلة الذين

يعرفون أهل الجنة وأهل النار فليل لاني مجازان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وأنت تدول انهم
ملائكة فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث وضعف الطبرى قول أبى مجاز قال لان لفظ الرجال فى لسان
العرب لا يطلق الاعلى الذكور من نى آدم دون انانهم ودون سائر الخلق وحاصل هذه الاقوال ان أصحاب
الاعراف أفضل من أهل الجنة لانهم أعلى منهم منزلة وأفضل وقيل انما أجلسهم الله فى ذلك المكان العالى
لميزوا بين أهل الجنة وبين أهل النار والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿وقوله عز وجل﴾ (يعرفون كلا
بسيماهم) يعنى أن أصحاب الاعراف يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليهم
ويعرفون أهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم وزرقة عيونهم والسيما العلامة الدالة على شئ وأصله
من السمة قال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الاعراف اذ رأوا أصحاب الجنة عرفوهم بياض الوجوه
وذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه فان قلنا ان أصحاب الاعراف من استوت حسنتهم وسيئاتهم
وهم دون أهل الجنة فى الدرجة كان وقوفهم على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا رأوا
أهل الجنة عرفوهم بياض وجوههم نادوهم أن سلام عليكم وهو قوله تعالى (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام
عليكم) يعنى نادى أصحاب الاعراف أصحاب الجنة أن سلام عليكم سلمت من الآفات وحصل لكم الامن
والسلامة واذا رأوا أهل النار عرفوهم بسواد وجوههم قالوا بنا لتجعلنا مع القوم الظالمين وان قلنا ان
أصحاب الاعراف هم الاشراف والفاضل من أهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف ليطلعوا على أهل الجنة
وأهل النار ثم لينقلهم الله عز وجل الى لدرجات العلية فى الجنة ﴿وقوله تعالى﴾ (لم يدخلوها وهم يطمعون)
يعنى فى دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريد بهاهم ﴿وقوله تعالى﴾
(واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) يعنى واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار
يعنى وجاههم وحيا لهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وماهم فيه من العذاب (قالوا بنا لتجعلنا مع
القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان أصحاب الاعراف
اذا نظروا لاهل النار وعرفوهم قالوا بنا لتجعلنا مع القوم الظالمين والمعنى ان أصحاب الاعراف اذا نظروا
الى أهل النار وما فيه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسألوه أن لا يجعلهم معهم من ﴿وقوله تعالى﴾ (ونادى
أصحاب الاعراف رجالا) يعنى ونادى أصحاب الاعراف رجالا كانوا عظاماء فى الدنيا وهم من أهل النار
(يعرفونهم بسيماهم) يعنى بسيما أهل النار (قالوا) يعنى أصحاب الاعراف لهؤلاء الذين عرفوهم فى النار
(ما أغنى عنكم جمعكم) يعنى ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد فى الدنيا (وما كنتم تستكبرون) يعنى
وما أغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيا قال السكبي بنادوهم وهم على السور يا وليد بن المغيرة يا أباجهل بن
هشام يا فلان يا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء من كانوا يستزؤون بهم مثل
سلمان وصهيب وخباب وبلال وأشباهم فيقول أصحاب الاعراف لا أولئك الكفار (اهؤلاء) لفظ
استفهام يعنى هؤلاء الضعفاء (الذين أقسمتم) بالله (لا يناظم الله برحمة) يعنى انكم حلقتهم انهم لا يدخلون
الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لأصحاب الاعراف (ادخلوا الجنة) بفضل ورحمتى (لاخوف عليكم
ولأنتم تحزنون) وقيل ان أصحاب الاعراف اذا قالوا لأصحاب النار ما أخبر الله عنهم قال لهم أهل النار ان
أولئك دخلوا الجنة وأنتم لم تدخلوها فيعبرونهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا يناظم الله برحمة
تقول الملائكة لاهل النار اهؤلاء يعنى أصحاب الاعراف الذين أقسمتم لا يناظم الله برحمة ثم تقول الملائكة
لأصحاب الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لاخوف عليكم ولأنتم تحزنون ﴿وقوله عز وجل﴾ (ونادى

(١٣ - خازن - ثابى) تقديره أقسمتم عليهم بان لا يناظم الله برحمة أى لا يدخلهم الجنة بحتقروهم فقروهم فية لأصحاب
الاعراف (ادخلوا الجنة) وذلك بعد ان نظروا الى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ما قالوا (لاخوف عليكم ولأنتم تحزنون) ونادى

رزقكم الله) من غيره من
 الاشرية ليدخله في حكم
 الافاضة أو أريد وأتقوا
 علينا ما رزقكم الله من
 الطعام والفاكهة كقولك
 * علفنا بتدوماء باردا *
 أي وسقيتها وانما سألو
 ذلك مع بأسهم عن الاجابة
 لان التعجير ينطق بما يفيد
 وبما لا يفيد (قالوا ان الله
 حرمهما على الكافرين)
 هو نحرهم منع كفي وحرمانا
 عايه المراضع وتقف هنا
 ان رفعت أو أصبت ما بعده
 ذما وان جرته وصفا
 للكافرين فيلا (الذين
 اتخذوا دينهم هوا
 ولعبا) فخرموا وأحباوا
 ما شاؤا أو دينهم عيدهم
 (وغرتهم الحياة الدنيا)
 اغتروا بطول البقاء (فاليوم
 ننسأهم) نتركهم في
 العذاب (كأنسوا لقاء
 يومهم هذا وما كانوا
 باياتنا يجحدون) أي
 كنسبناهم وجمودهم (ولقد
 جئناهم بكتاب فصلناه)
 ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه
 وقصصه (على علم) عالين
 بكيفية تفصيل أحكامه (هدى
 ورجته) حال من منصوب
 فصلناه كما ان على علم حال
 من صرفوعه (لقوم
 يؤمنون هل ينظرون)
 ينظرون (الاتأويله) الا

أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أومأ رزقكم الله قالوا) قال ابن عباس رضي الله عنهما
 لما صار أصحاب الاعراف الى الجنة طمع أهل النار في النرج فقالوا لا يزالون انهم الجنة فاذن
 له حتى تراهم ونكلمهم فيأذن لهم فينظرون الى قريباتهم في الجنة ويأمرهم فيه من التعميم فيعرفونهم وينظر
 أهل الجنة الى قريباتهم من أهل النار فلم يعرفوهم اسواد وجوههم فينادون أي أصحاب النار أصحاب الجنة
 باسمائهم فينادي الرجل أباه وأخاه فيقول قد احترقت فض على من الماء فيقال لهم أجيئوهم فيقولون ان الله
 حرمهما على الكافرين ومعنى الآية ان أهل النار يستغيثون بأهل الجنة اذا استقر وافيهما وذلك عند نزول
 البلاء بأهل النار وما يقون من شدة العافس والجوع وعقوبة لهم من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر
 والمعاصي يقول أهل النار لاهل الجنة يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء أومأ
 رزقكم الله يعني وأطعمونا ما رزقكم الله وسعوا علينا من طعام الجنة فيجيبهم أهل الجنة بقولهم (ان الله
 حرمهما على الكافرين) وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذات الاكل
 والشرب عندهم الله في الآخرة بشدة الجوع والعطش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل
 والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما على الكافرين يعني طعام الجنة وشربها ثم وصف الكافرين فقال تعالى
 (الذين اتخذوا دينهم هوا ولعبا) يعني أنهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم وهو اعنه وأصل الله وما يشغل
 الانسان عما يعنيه وبهمه يقال طوت بكذا وطيت عن كذا أي اشتغلت عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما
 هم المستهزون وذلك انهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخر وايمان دعاهم اليه وهزوا به استهزاء بالله عز وجل
 وقيل هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحائر والسوانب والمكاهم والتصديفة حول البيت وسائر الخصال
 الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه هوا ولعبا لا يذكرون الله فيه
 (وغرتهم الحياة الدنيا) يعني وخذعهم عاجل ما هم فيه من حسب العيش ولذته وشغلهم ما هم فيه من ذلك
 عن الايمان بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أنهم المنيعة وهم على ذلك والغرة غفلة في اليقظة
 وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات فاذا حصل له ذلك صار
 محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غر في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى
 بهذه الصفات الذميمة قال (فاليوم) يعني يوم القيامة (ننسأهم كأنسوا لقاء يومهم هذا) يعني فاليوم نتركهم
 في العذاب المهين جيا عا عا شا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال
 ابن عباس رضي الله عنهما نسأهم من الخبر ولم ينسأهم من الشر وقيل معناه لعاملهم معاملة من نسي فتركهم في
 النار كما تركوا العمل وأعرضوا عن الايمان اعراض النامى سعى الله تعالى جزاء نسيانهم بالنسيان على
 المجاز لان الله تعالى لا ينسى شيئا فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله
 تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وزلتهم بل يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل (وما كانوا باياتنا
 يجحدون) يعني وتركهم في النار كما كانوا يبدلون وحدايتنا يكذبون قوله تعالى (ولقد جئناهم بكتاب)
 يعني ولقد جئناهم هؤلاء الكفار بالقرآن الذي أنزلناه عليك يا محمد (فصلناه على علم) أي بيناه على علم مناب
 فصله ونبينه (هدى ورجة لقوم يؤمنون) أي جعلنا القرآن هاديا ودارجة لقوم يؤمنون (هل ينظرون)
 يعني هل ينظرون هؤلاء الكفار الذين كذبوا باياتنا وسجدوا ولم يؤمنوا بها (الاتأويله) يعني هل ينظرون
 ويتوقعون الاما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار واتأويل ما يؤول اليه الشيء
 (يوم يأتي تأويله) يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما تؤول اليه أمورهم (بقول الذين نسوه من قبل) يعني
 بقول الذين تركوا العمل بالقرآن ولم يؤمنوا به يوم القيامة عند معابنة العذاب (قد جاءت رسلنا بالحق)

اقروا عاقبة أمره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعد (يوم يأتي تأويله) يقول الذين نسوه من قبل) تركوه وأعرضوا عنه (قد جاءت رسلنا بالحق) أي تبين وصحة أنهم جاؤا بالحق فاقروا حين لا ينفعهم

أقروا على أنفسهم واعتزفوا واحد بين لا يشفعهم ذلك الاعتراف والافرار والمعنى ان الكفار أقروا بان الذي
 جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والخشروا المشرو والبعث يوم القيامة والنواب والعقاب حق وصدق
 وانما أقروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك حين لا يشفعهم ولمارأوا أنفسهم في العذاب قالوا (فهل
 لنا من شفعا فشفعوا لنا ونزد فنعلم غير الذي كنا عمل) يعني أنه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن
 فيه من العذاب الآن يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقبل شفاعة فينا فيخلصنا من هذا العذاب أو نرذل الى الدنيا
 فنعمل غير الذي كنا عمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والايابة (قد خسرنا
 أنفسنا) يعني ان لدى طلبه ولا يحصل لهم فتبين خسراتهم واهلاكهم أنفسهم لانهم كانوا في الدنيا أول
 مرة فلم يعملوا بطاعة الله لورودوا الى الدنيا العباد والى ما كانوا عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله
 تعالى فيهم (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا
 من ان الاصنام تشفع لهم فلما أفضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا أنهم كانوا في دعواهم كاذبين
 ﴿قوله عز وجل (ان ربكم الله) يعني ان سيدكم ومالككم ومصليح أموركم وموصل الخير اليكم والذي
 يدفع عنكم المكروه هو الله (الذي خلق السموات والارض) أصل الخلق في اللغة التقدير ويستعمل في
 ابداع الشيء من غير أصل سبق ولا ابتداء تقدم فقوله خالق السموات والارض يعني أبداعهما وأنشأ خلقهما
 على غير مثل سبق وقد رآحوالهما (في ستة أيام) فان فات اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار
 هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة أيام ولم يكن شمس ولا سماء قلت معناه في مقدار ستة
 أيام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشي يعني على مقدار البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها
 ولا نهار واختلاف العلماء في اليوم الذي ابتداء الله عز وجل بخلق الاشياء فيه قيل في يوم السبت وهو قول
 محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افراده من حديث أبي هريرة رضى الله عنه
 قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خالق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد
 وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق الدواب يوم الخميس
 وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل
 وهذا الحديث وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد أنكره بعض العلماء ما فيه من المخالفة لآية الكرسي
 لان الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة أيام وقال في آية أخرى ولقد خلقنا السموات والارض
 وما بينهما في ستة أيام فدل بهذين النصين على ان جميع الخلق تم وكل في ستة أيام والذي في الحديث ان
 بعض الخلق وقع في سبعة أيام وذلك مجموع أيام الاسبوع فلهذا السبب أنكره من أنكره من العلماء وقد
 ذكر الازهرى في كتابه تهذيب اللغة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن ابي عمير السبب القطع وسمى يوم
 السبت لان الله تعالى ابتداء الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خالق السموات والارض وقيل ان ابتداء الخلق
 كان يوم الاحد وهو قول عبد الله بن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال
 طبري خالق الله السموات والارض في ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس
 والجمعة وروى سنده عن مجاهد قال بدأ خلق العرش والماء والهواء وخالقت الارض من الماء وبدأ الخلق
 يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة وتمت هودت اليهود في يوم السبت
 و يوم من الستة الايام كالف سنة مما تعدون وبعض هذا القول ما حكاه صاحب المحكم ابن سيدة قال وسمى
 سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خالق قال أصحاب
 الاخبار والسيرواتواريح ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلاد حو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين
 ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهم الثلاثاء والاربعاء ثم دحا الارض وبسطها

(هل لنا من شفعا فشفعوا
 لنا) جواب الاستفهام
 (أوزد) جملة معطوفة على
 جملة قبلها اذا خلة معها في حكم
 الاستفهام كأنه قيل فهل لنا
 من شفعا وهل نرذرفعه
 وقوعه موقفا يصلح للاسم
 كقولك ابتداء هل يضرب
 زيدا وعطف على تقدير هل
 يشفع لنا شفعا وهل نرذرفعه
 (فنعلم) جواب الاستفهام
 أيضا (غير الذي كنا عمل
 قد خسرنا أنفسنا) وضل
 عنهم ما كانوا يفترون
 ما كانوا يبدونه من الاصنام
 (ان ربكم الله الذي خلق
 السموات والارض في ستة
 أيام) أراد السموات
 والارض وما بينهما وقد
 فصلها في حم السجدة أي
 من الاحد الى الجمعة لا اعتبار
 الملائكة شيئا فشيئا والاعلام
 بالتأني في الامور ولان لكل
 عمل يوما ولان انشاء شيء
 بعد شيء أدل على عالم مدبر
 مر يد بصره على اختياره
 ويحجر به على مشيئته

وطحاها وأخرج ماءها ومرعاها وخلق دوابها وحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء خلقها وجمع ما فيها يوم الاثنين والثلاثاء ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعاء والخميس وخلق آدم يوم الجمعة وأسكنه الجنة هو وزوجته حواء ثم أهبطهما الى الارض في آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل أول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيه ما كان وما سيكون وما خفي وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من درة بيضاء ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقر ثم مد الارض وبسطها من التربة التي خلقها أولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق آدم آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة أيام كل يوم مقداره ألف سنة وهذا قول جمهور العلماء وقيل في ستة أيام من أيام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر على أن يخلق جميع الخلق في لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما أمرنا الا واحدة كما صح بالبصر فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة أيام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا أنه تعالى جعل لكل شئ حدا محددا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك تعليم عباده التثبت والتأني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لحظة واحدة في ستة أيام تعلمها خلقه التثبت والتأني في الامور كما في الحديث الثاني من الله والهجلة من الشيطان وقيل ان الشئ اذا أحدث دفعة واحدة فلعله أن يخطر ببال بعضهم أن ذلك الشئ انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا أحدث شئ بعد شئ على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى أراد أن يوقع في كل يوم أمرا من أمره حتى تستعظمه الملائكة وغيرهم من شاهده وقيل ان التمجيل في الخلق أبلغ في القدرة وأقوى في الدلالة والتثبت أبلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما أظهر قدرته في خلق الاشياء بكن فيكون ﴿﴾ وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فأظل وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز يقال فلان نزل عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البئر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما ذهب اليه أهوام العامة فانه لو كان كذلك لكان حامله تعالى الله عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب وأما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كما هو قال أما الاستواء فالتقدمون من أصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كمنحومندهم في أمثال ذلك وروى بسنده عن عبد الله بن وهب أنه قال كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه قال فاطرق مالك وأخذته الرخصة ثم رفع رأسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وأنت رجل سوء صاحب بدعة أخرجه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استواؤه فاطرق مالك برأسه حتى علت الرخصة ثم قال الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك الامبتدعافمر به أن يخرج وروى البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه فتنسیره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والآثار عن الساف في مثل هذا كثيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه واليه ذهب أحمد بن حنبل والحسن بن الفضل البجلي ومن المتأخرين أبو سليمان الخطابي قال

(ثم استوى) استوى
(على العرش) أضاف
الاستيلاء الى العرش وان
كان سبحانه وتعالى
مستوليا على جميع المخلوقات
لان العرش أعظمها
وأعلاها وتفسير العرش
بالسرير والاستواء
بالاستقرار كما قوله المشبهة
باطل لانه تعالى كان قبل
العرش ولا مكان وهو الآن
كما كان لان التغيير من
صفات الاكوان والمنقول
عن الصادق والحسن وأبي
حنيفة ومالك رضي الله
عنهم ان الاستواء معلوم
والتكليف فيه مجهول
والايمان به واجب والمجود
له كفر والسؤال عنه بدعة

البعوى أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الإيمان به ويكفل العلم به إلى الله عز وجل وذكر حديث مالك بن أنس مع الرجل الذي سأله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفيان الثوري والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التي جاءت في الصفات المتشابهة أقرؤها كما جاءت بلا كيف وقال الإمام نضر الدين الرازي رحمه الله بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية أنه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراسخين من مذهبنا الأول القطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة ولا تخوض في تأويل الآية على التفصيل بل نقوض علمها إلى الله تعالى وهو الذي قررنا في تفسير قوله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني اننا نخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان الأول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل نيل العرش كناية عن نقض الملك يقال نيل عرشه أي انتقض ملكه وإذا استقام له ملكه واطرد أمره ونفذ حكمه قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تديره العالم على الوجه الذي ألفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم تبيينها على عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قال ويدل على صحة هذا قوله في سورة يونس ثم استوى على العرش يدبر الأمر فقله يدبر الأمر جري مجرى التفسير لقوله ثم استوى على العرش وأورد على هذا القول أن الله تعالى لم يكن مستويًا على الملك قبل خالق السموات والأرض والله تعالى منزّه عن ذلك وأجيب عنه بأن الله تعالى كان قبل خلق السموات والأرض مالِكها لكن لا يصح أن يقال شبع زيد الأبعد أكله الطعام فإذا أفسر العرش بالملك صح أن يقال إنه تعالى إنما استوى على ملكه بعد خالق السموات والأرض والقول الثاني أن يكون استوى بمعنى استولى وهذا المذهب المعتزلة وجاعلة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهوراق

وعلى هذا القول إنما خص العرش بالأخبار عنه بالاستيلاء عليه لأنه أعظم المخلوقات ورد هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وإنما يقال استولى فلان على كذا إذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالِكًا للأشياء كلها ومولياً عليها فأى تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقر البيهقي عن أبي الحسن الأشعري أن الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استواء كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرهما من أفعاله ثم لم يكيف الاستواء إلا أنه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش ثم التراخي والتراخي إنما يكون في الأفعال وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه أياها ولا حركة وحكي الاستاذ أبو بكر بن فورك عن بعض أصحابنا أنه قال استوى بمعنى علو من العلو قال ولا يريد بذلك علواً بالمسافة والتعيز والكون في المكان متمكناً فيه ولو كان يريد معنى نفي التعيز عنه وأنه ليس مما يحويه طبق أو يحيط به فطرو وصف الله تعالى بذلك بطريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي رحمه الله تعالى وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه بالاستواء قال وقد أشار أبو الحسن الأشعري إلى هذه الطريقة فقال قال بعض أصحابنا أنه صفة ذات قال وجوابي هو الأول وهو أن الله تعالى مستو على عرشه وأنه فوق الأشياء بآثارها من غير أن يتعلل ولا يحلها ولا يمسها ولا يشبهها وليست الينونة باهزلة تعالى الله ربنا عن الحول والمماثلة علواً كبيراً وقد قال بعض أصحابنا إن الاستواء صفة لله تعالى تنفي الاعوجاج عنه وروى أن ابن الأعرابي جاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ما معنى قوله

تعلى الرحمن على العرش استوى قال له مستوعلى عرشه كما أخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى أى
 استولى فقال له ابن الاعرابى ما يدريك أن العرب لا تقول استولى فلان على الشيء حتى يكون له فيه مضاد
 فأيها غاب قيل لمن غاب قد استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما أخبر لا كما تظنه البشر والله
 أعلم وقوله تعالى (يعشى الليل النهار) يعنى أنه تعالى يأتي بالليل على النهار فيعطيه ويلبسه حتى يذهب
 بنوره وفيه حذف تقديره ويعشى النهار بالليل وانما لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه (بطلبه حينئذ)
 يعنى سر يعاود ذلك أنه اذا كان يعقب أحدهما الآخر ويخلفه فكانه يطلبه حتى الامام نجر الدين الرازى عن
 القفال انه قال ان الله تعالى لما أخبر عباده باستوائه على العرش أخبر عن استمرار أمور الخلق على وفق
 مشيئته وأراه ذلك فيما يشاهدونه منها ينضم العيان الى الخبر وتزول الشهمة من كل الجهات قال الامام
 واعلم أنه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل والنهار انما يحصل
 بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة أشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان فى أشد عرويه بمقدار رفع رجله
 ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة آلاف ميل وهى ألف فرسخ فلهاذا قال تعالى يطلبه حينئذ السرعة
 حركته (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره) معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق هذه الاشياء
 جارية فى مجاريها بامرهم وقال المفسرون يعنى بتسخيرهن تذييلهن لما يراد منها من طلوع وغروب وسير
 ورجوع اذ ليس هى قادرات بانفسهن وانما هن يتصرفن فى متصرفتهن على ارادة المبرهن الحكيم فى
 تديبرهن وتصرفهن على ما أراد منهن والمراد بالامر فى قوله بامرهم نفاذ ارادته لان الغرض من هذه الآية
 تبين عظمة قدرته ومنهم من جعل الامر على الامر الذى هو الكلام وقال انه تعالى أمر هذه الاحرام بالسير
 الدائم والحركة المستمرة لى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم
 أفردهما بالذكركم عطف عليهم ما ذكر النجوم قلت نعم أفردهما بالذكركم لبيان شرفهما على سائر الكواكب
 لما فيهما من الاشراق والنور وسيرهما فى المنازل لتعرف الاوقات فهو كقولهم من كان عدو الله وملائكته
 ورسوله وجبريل وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما
 وفضلهما على غيرهما من الملائكة ﴿وقوله تعالى (ألا له الخلق والامر)﴾ يعنى له الخلق لانه خلقهم وله
 أن يامر فيهم بما أراد وله أن يحكم فيهم بما شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذى هو تقبض النهى واستخراج
 سفیان بن عيينة من هذا المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بخلق فقل لان الله تعالى فرق بين الخلق والامر
 فن جمع بينهما فقد نفر يعنى من جعل الامر لى هو كلامه تعالى من جملة ما خلقه فقد كفر لان الخلق
 لا يقوم بخلق مثله وقيل له معناه ان جميع ما فى العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري
 بقضائه وقدره فهو مجربها ومنشئها فلا يبقى بعد هذا الاحتمال والامر هنا الارادة لان الغرض من
 الآية تعظيم القدرة وفى الآية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه رد على من يقول ان الشمس
 والقمر والكواكب ثابتات فى هذا العالم فاخبر الله انه هو الخالق المبرهن هذا العالم لا الشمس والقمر
 والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيرهم والامر والنهى الذى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
 لا اعتراض لاحد من خلقه عليه (تبارك الله) يعنى تعجد وتعظيم وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من
 البركة ومعنى البركة لكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى وتعظيم الله (رب العالمين) يعنى انه هو الذى
 يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى لما افتتح هذه الآية بقوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
 وذكرا شيئا من تعظيم خلقه وان له الخلق والامر والنهى والقدرة عليهم ختم الاية بالثناء عليه لانه هو
 المستحق للمدح المطلق والثناء والتعظيم وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما معناه جاء بكل بركة وقيل تبارك
 معناه تقدس والتقديس الظاهرة وقيل معناه بانه يتبرك فى كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت

(يعشى الليل النهار) يعنى
 حزة وعلى وأبو بكر رأى
 يلحق الليل بالنهار والنهار
 بالليل (بطلبه حينئذ) حال
 من الليل أى سر يعا
 والطالب هو الليل كأنه
 ل سرعة. ضيه يطالب النهار
 (والشمس والقمر
 والنجوم) أى وخلق
 الشمس والقمر والنجوم
 (مسخرات) حال أى
 مذلات والشمس والقمر
 والنجوم مسخرات شامى
 والشمس مبتدأ والبقية
 معطوف على ما والخبير
 مسخرات (بأمره) هو
 أمر تكوين ولما ذكر انه
 خلقهن مسخرات بأمره
 قال (ألا له الخلق والامر) أى
 هو الذى خلق الاشياء
 وله الامر (تبارك الله)
 كتر خبره أو دام بره من
 البركة الثناء أو من
 البروك الثبات ومنه البركة
 (رب العالمين)

ودام كالميزل ولا يزال وأصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك لأنه لم يرد به التوقيف قوله عز وجل (ادعوا ربكم) قيل معناه اعبدوا ربكم لأن معنى الدعاء طلب الخبر من الله تعالى وهذه صفة العبادة ولأنه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفاً وطعماً والمطوف يجب أن يكون مغايراً للمطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصحيح لأن الدعاء هو السؤال والطلب وهو نوع من أنواع العبادة لأن الداعي لا يقدم على الدعاء إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف أن ربه تبارك وتعالى يسمع الدعاء ويعلم حاجته وهو قادر على إيصالها إلى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدر والكمال وهو المراد من قوله تعالى (انضرعوا) يعني ادعوا ربكم تذلاً واستكانة وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع يقال ضرع فلان فلان إذا ذل له وخشع وقال الزجاج نضرع أي تملقوا حقيقة أن ندعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى (وخفية) يعني سرا في أنفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعاء أن يكون خفياً هذه الآية قال الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً وقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمعون لهم صوت إن كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أنه تعالى يقول ادعوا ربكم نضرعاً وخفية وإن الله تعالى ذكر عبداً صالحاً رضى فيه فقال تعالى إذ نادى ربه نداء خفياً (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته قال أبو موسى رضى الله عنه وأنا خلفه أقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على أنفسكم يعني ارفعوا بها وأقصر واعن الصياح في الدعاء ﴿ وقوله تعالى (انه لا يجب المعتدين) يعني في الدعاء وقال أبو مجلزهم الذين يسألون منازل الانبياء عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم اني أسألك القصر الابيض عن يمين الجنة إذا دخلتها قال أي نبي سئل الله الجنة وتعود به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الظهور والدعاء أخرجه أبو داود وقال ابن جريج الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء وقيل الاعتداء مجاوزة الحد في كل شيء فكل من خالف أمر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه لا يجب المعتدين وفتح بعض أرباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم نضرعاً وخفية هل الأفضل اظهار العبادات أم لا فذهب بعضهم إلى ان اخفاء الطاعات والعبادات أفضل من اظهارها هذه الآية ولا يكونها أبعد عن الرياء وذهب بعضهم إلى ان اظهارها أفضل لا يقتدى به الغير فيعمل مثل عمله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفاً على نفسه من الرياء فالأولى اخفاء العبادات صوتاً بالعمله عن البطلان وان كان قد بلغ في الصفاء وقوة اليقين إلى التمكين بحيث صار مبادئاً شائبة الرياء كان الأولى في حقه الاظهار لتحصل فائدة الاقدياء به وذهب بعضهم إلى ان اظهار العبادات المفروضات أفضل من اخفائها فالصلاة المكتوبة في المسجد أفضل من صلته في بيتة في يتيم وصلاة النفل في البيت أفضل من صلته في المسجد وكذلك اظهار الزكاة أفضل من اخفائها واخفاء صدقة تطوع أفضل من اظهارها ويقاس على هذا سائر العبادات ﴿ قوله تعالى (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني ولا تفسدوا وأبها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء إلى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها بيعة الرسل وبيان الشرائع والدعاء إلى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي وقال ابن عطية لا تفسدوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرت بسبب معاصيكم فعلى هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالشر والخصب وقيل معنى الآية ولا تفسدوا في الارض شيئاً

ادعوا ربكم نضرعاً وخفية) نصب على الحال أي ذوى نضرع وخفية واتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل أي تذلاً وتلقاً قال عليه السلام انكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً قريباً انه معكم أينما كنتم عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفاً (نه لا يجب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرفعين أصواتهم بالدعاء ونه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قر انه لا يجب المعتدين (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) أي بالمعصية بعد الطاعة أو بالشرك بعد التوحيد أو

بعد ان أصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس بالقتل أو إفسادها بقطع بعض الاعضاء و إفساد
الاموال بالنصب والسرقه وأخذ من الغير بوجوه الخيل و إفساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهواء
المضلة و إفساد الانساب بالاقدام على الزنا و إفساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المتعبرة في
الديناهي هذه الخمسة فنع الله من ادخال الفساد في ما هيتهما ﷻ وقوله تعالى (وادعوه خوفا وطمعاً)
أصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يؤمن من المضار وقيل هو توقع مكره يحصل فيما بعد والطمع توقع
محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفاً منه ومن عقابه وطمعاً فيما عنده من جزيل ثوابه وقال ابن جرير معناه
خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفاً من الرباء في الذكر والدعاء وطمعاً في الاجابة فان قلت
قال في أول الآيه ادعوا ربكم تضرعاً وخفية وقال هنا وادعوه وهذا هو عطف الشيء على نفسه فما فائدة ذلك
قلت الفائدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم أي ليكن الدعاء مقرر ونايات تضرع والاختبات وقوله وادعوه
خوفاً وطمعاً ان فائدة الدعاء أحد هذين الامرين فكانت الآيه الاولى في بيان شرط صحه الدعاء والآيه
الثانية في بيان فائدة الدعاء وقيل معناه كونوا جامعين في أنفسكم بين الخوف والرجاء في أعمالكم كلها
ولا تظمعوا انكم وفيتم حق الله في العباده والدعاء وان اجتهدتم فيها ما (ان رحمت الله) أصل الرحمة رقة
تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة المجرده عن الاحسان وتارة في الاحسان المجرده عن
الرقة واذا وصف بها البارئ جل وعز فليس يراد بها الا الاحسان المجرده دون الرقة فرحة الله عز وجل عبارة
عن الافضل والانعام على عباده واصل الخير اليهم وقيل هي ارادة ايصال الخير والنعمه الى عباده فعلى القول
الاول تكون الرحمة من صفات الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات (قريب من المحسنين)
قال سعيد بن جبير الرحمة ههنا الثواب فرجع اللفظ الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس
بمحققي وما كان كذلك جاز فيه التذكير والتأنيث عند أهل اللغة وكون الرحمة قرينة من المحسنين لان
الانسان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا وقبال على الآخرة واذا كان كذلك كان الموت أقرب
اليه من الحياة وليس بينه وبين رحمة الله التي هي الثواب في الآخرة لا الموت وهو قريب من الانسان قوله
عز وجل (وهو الذي يرسل الرياح) هذا عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض وهو الذي يرسل الرياح (بشرا) قرئ نشرا بانون أراد جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب
التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع ناشر يقال أنشر الله الريح بمعنى أحيها وقال الفراء النشر الريح الطيبة
اللينة التي تنشئ السحاب وقال ابن الانباري النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي
فيحتمل أنها كانت بانقطاعها كالمطوية فانتشرت بمعنى أرسلت وقرئ بشرا بالياء جمع بشيرة وهي التي
تبشر بالمطر والريح هو الهواء المتحرك بمعة ويسرته والرياح أربعة الصبا وهي الشرقية والدمبور وهي
الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن ابن عمر رضي الله
عنهما ان الرياح ثمان أربع منها عذاب وهي المقاصف والعاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة
وهي النائمات والمبشرات والمرسلات والذاريات (بين يدي رحمة) يعني أمام المطر الذي هو رحمة وانما
سماه رحمة لانه سبب حياة الارض الميتة قال أبو بكر بن الانباري رحمة الله تعالى اليه ان تستعصمها من العرب
في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون في الفتن بين يدي لساعة يردون قبل أن تقوم الساعة تشبها
وتغيبا لهما اذا كانت يدا الانسان تتقدمانه كذلك الرياح تتقدم المطر وتؤذن به * عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال أخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بانكم في الريح فلم
يرجعوا اليه شيئا وبلغني الذي سألت عمر عنه من أمر الريح فاستجشنت راحتي حتى أدركت عمر وكنت في
مؤخر الناس فقلت يا أمير المؤمنين أخبرتك أنك سألت عن الريح فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

بالظلم بعد العدل (وادعوه
خوفا وطمعاً) حالان أي
خائفين من الرد طامعين
في الاجابة أو من النيران
وفي الجنان أو من الفراق
وفي التلاق أو من غيب
العاقبة وفي ظاهر الهداية
أو من العدل وفي الفضل
(ان رحمت الله قريب من
المحسنين) ذكر قريب على
تاويل الرحمة بالرحم
أو الترحم أو لانه صفة
موصوف محذوف أي شيء
قريب أو على تشبيهه
بفعل الذي هو بمعنى
مفعول أولان تانيث الرحمة
غير حقيقي وللاضافة الى
المدكر (وهو الذي يرسل
الرياح) الريح مكى وحزمة
وعلى (نشرا) حزمة وعلى
مصدر نشر واتصابه اما
لان أرسل ونشرا تاربان
فكانه قيل نشرها نشرا
واما على الحال أي منشورات
بشرا عاصم تخفيف بشرا
جمع بشير لان الرياح
تبشر بالمطر نشرا شامى
تخفيف نشر كرمل ورسل
وهو قرأة الباقي جمع
نشور أي ناشرة للمطر (بين
يدي رحمة) أي نعمته
وهو الغيث الذي هو من

يقول الربيع من روح الله تعالى تاني بالرحمة وتأتي بالعذاب فاذا رأيتقوها فلا تسبوها واسألوا الله من خيرها واستعينوا بالله من شرها رواه الشافعي رضي الله عنه بطوله وآخر جهه أبو داود في المسند عنه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الربيع عن عبادة ثلاثة أيام لانتن أكثر أهل الأرض وقوله تعالى (حتى اذا أفلتت سحابة نقالا) يقال أفل فلان الشيء اذا حمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من برفع شيأ براه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ماء ولم يكن فيه ماء سمي سحابة لان سحابه في الهواء والمعنى حتى اذا حلت هذه الرياح سحابة نقالا بما فيه من الماء قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين وهم اطراف السماء والأرض حيث يلتقيان فتخرج منه من ثم ثم تنشره فتبسطه في السماء كيف يشاء ثم تفتح له أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحركا شديدا فتثير السحاب ثم يضم بعضها الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث يشاء الله عز وجل وهو قوله تعالى (سقناه ابلد ميث) يعني الى بلد فتكون اللام بمعنى الى وقيل معناه لاجل حياة ابلد ميث وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكروا ان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جائزا نظرا الى اللفظ قال الازهرى رحمه الله تعالى قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر أو غير عامر خال أو مسكون والطائفة منها بلدة والجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة * للجن بالليل في حافاتها زجل

ومعنى الآية اننا سقنا السحاب الى بلد ميث محتاج لانزال الماء لم ينزل فيه غيث ولم تنبت فيه خضرة (فاقر لنا به الماء) اختلفوا في الضمير في قوله تعالى به الى ما اذا يعود فتزال الزجاج رحمه الله وابن الانبارى جائز ان يكون المعنى فانزانا ابلد ميث الماء وجائز ان يكون المعنى وانزانا بالسحاب الماء لان السحاب آلة انزال الماء (فاقر جنا به) يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاجراء الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخر جنا بذلك الميث (من كل الثمرات) يعني وأخر جنا بذلك البلد بعد موته وجده من أصناف الثمار والزروع) كذلك تخرج الموتي) يعني كما أحيينا ابلد ميث كذلك تخرج الموتي أحياء من قبورهم بعد فناهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتي بواسطة انزال المطر أيضا قال أبو هريرة بن عباس رضي الله عنهما ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى أمطر الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان أو بعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء وفي رواية أو بعين يوم ما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت أجسادهم ففخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا أراد الله تعالى أن يخرج الموتي أمطر السماء حتى تنشق الأرض ثم يرسل الأرواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الله الموتي بالمطر كما حيائه الأرض به وقيل انما وقع التشبيه باصل الأحياء والمعنى انه تعالى كما أحيى ابلد ميث بعد خرابه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتي ويخرجهم من قبورهم أحياء بعد ان كانوا أمواتا وما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على أن يحييهم ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم (اعلمكم تذكرون) الخطاب المتكبري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مشمرة في أيام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الأزهار والأوراق والثمار ثم ان الله تعالى أحيى امرأ أخرى فالتقادر على

أجل النعم (حتى اذا أفلتت) حلت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطبق يرى ما يرفعه قليلا (سحابة نقالا) بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حلت على المعنى كالنقل لانت كما لو حلت الوصف على اللفظ لقيت ثقيل (ابلد ميث) لاجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميث مدني وحزة وعلى وحفص (فاقر لنا به الماء) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فاقر جنا به) من كل الثمرات كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو واخراج الثمرات (تخرج الموتي اعلمكم تذكرون) فيؤديكم التذكري الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما إعادة الشيء بعد انشائه

أحيائها بعد موتها قادر على إحياء الاجساد بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبيه والتمثيل
لكي تعتبر واوتتدكروا وتعلموا وان من فعل ذلك كان هو الذي يعيد ويحيي ﴿ قوله تعالى (والبلد الطيب)
يعني والارض الطيبة التربة السهلة السمحة (يخرج نباته باذن ربه) يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن
الله عز وجل (والذي خبت لا يخرج) يعني والبلد الذي خبت ارضه فهي سبخة لا يخرج يعني لا يخرج
نباته (الانكدا) يعني عسرا بشقة وكلفة قال الشاعر في المعنى يذم انسانا

لا تنجز الوعدان وعدت وان * أعطيت أعطيت نأفها نكدنا

يعني بالنافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك ان أعطيت أعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون
هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن والكافر فشبّه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبّه نزل القرآن على قلب
المؤمن بنزل المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن
اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحسنة وشبّه الكافر
بالارض الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع
به ولا يصدق ولا يزيد الاعتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها
في الآخرة قال ابن عباس رضي الله عنهما هذا مثل ضرب به الله تعالى للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما
ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبادة السبخة المالحلة التي خرجت منها البركة قال الكافر
خيبت وعمله خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضرب به الله تعالى لآدم وذريته كلهم منهم خبيث وطيب وبدل على
صحة هذا التأويل ما روى عن أبي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مثل ما بعني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة
قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس
فمشروا منها ماء وسقوا وزرعوا واواصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك
مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعني الله تعالى به فعمل وعلم ومن لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى
الله تعالى الذي ارسلت به خرافه في الصحيحين ﴿ وقوله تعالى (كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)
يعني كما ضرب بنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد والايان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم
يشكرون الله تعالى على انعامه عليهم بالهداية وحيث جنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر
لانهم هم الذين انتفعوا باسماع القرآن ﴿ قوله عز وجل (لقد ارسلنا نوحا الى قومه) اعلم ان الله تبارك
وتعالى لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وغرائب خلقه وصنفته الدالة على توحيد ورؤيته
وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام وما جرى
لهم مع أممهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه فقط عن قبول الحق بل قد
أعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة أولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى
الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة الى العذاب العظيم فمن كذب بمحمد صلى الله عليه وسلم من قومه كانت
عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لانه كان آميالا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه فلما أتى بمثل هذه القصص
والأخبار عن القرون الماضية والأمم الخالية لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما أتى به من عند الله
عز وجل وانه أوحى اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله
تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح
ابن المك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه الصلاة والسلام ومعنى ارسلنا بعثنا وهو أول نبي بعثه الله

(والبلد الطيب) الارض
الطيبة التربة (يخرج نباته
باذن ربه) بتدبيره وهو موضع
الحال كأنه قيل يخرج
نباته حسنا وافيا لانه واقع
في مقابلة نكدنا (والذي
خبت) صفة للبلد أي
والبلد الخبيث (لا يخرج)
أي نباته خذف للاكتفاء
(الانكدا) هو الذي لا خير
فيه وهذا مثل لمن ينجح
فيه الوعد وهو المؤمن
ولن لا يؤثر فيه شيء من
ذلك وهو الكافر وهذا
التمثيل واقع على أثر مثل
ذلك المطر وانزاله بالبلد
الميت واخراج الثمرات
به على طريق الاستطراد
(كذلك) مثل ذلك
التصرف (نصرف الآيات)
نردها ونكررها (لقوم
يشكرون) نعمته الله وهم
المؤمنون ليتفكروا فيها
ويعتبروا بها (لقد ارسلنا)
جواب قسم محذوف أي
والله لقد ارسلنا (نوحا الى
قومه) ارسل وهو ابن
خسين سنة وكان نجارا
وهو نوح بن ملك بن
متوشلخ بن اخنوخ وهو
اسم ادريس عليه السلام

(فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيرة) غيره على فالرفع على الخجل كأنه قيل مالكم اله غير ذلك فلا تعبدوا. غيره والجر على اللفظ (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قال الملائة) أي الأشراف والسادة (من قومه انا انزلك في ضلال مبين) أي بين في ذهاب عن طريق الصواب والرؤية رؤية القلب (قال) (١٠٧) يا قوم ايس في ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا لان الضلالة

أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفي الضلالة فقال (ولكني رسول من رب العالمين) لان كونه رسولا من الله مبلة لرسالاته في معنى كونه على الصراط المستقيم فكان في الغاية القصوى من الهدى (أبلغكم رسالات ربي) ما أوحى الى في الأوقات المتطاوله وأفي المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواظب والبشار والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وأفصح لكم) وأقصد صلاحكم باخلاص يقال نصحت ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على المحاض النصيحة وحقيقة الصح ارادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أو النهاية في صدق العنابة (وأعلم من الله مالا تعلمون) أي من صفاته يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه

تعالى بعد ادر يس وكان نوح عليه الصلاة والسلام نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فالرسالة تكون متضمنة للبعث أيضا ويكون البعث كالتابع لانه أصل قال ابن عباس رضي الله عنهما بعثه الله وهو ابن أربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما سمى نوحا لكثرة ما نوح على نفسه واختلافه وفي سبب نوحه فقيل له عونه على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكب مجذوم فقال له احسبا يا قبيح فأوحى الله تعالى اليه اعيتني أم عبت الكعب (فقال) يعني نوحا قومه (يا قوم اعبدوا الله مالكم من الغيرة) يعني اعبدوا الله تعالى فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب أن يعبد (اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) يعني ان لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله تعالى واتباع أمره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم هو اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه أو يوم القيامة انما قال أخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم أي عاجلهم أم يتأخر عنهم العذاب الى يوم القيامة (قال الملائة) وهم الجماعة الاشراف (من قومه انا انزلك) يعني يا نوح (في ضلال مبين) يعني في خطأ وزوال عن الحق بين (قال) يعني نوحا (يا قوم ايس في ضلالة) يعني ما بين ما يظنون من الضلال (ولكني رسول من رب العالمين) يعني هو أرسلي اليكم لانذركم وأخوفكم ان لم تؤمنوا به وهو قوله (أبلغكم رسالات ربي) يعني بتحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به (وأفصح لكم) يقال نصحت ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه وقيل النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجهه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه والمعنى انه قال أبلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وأرشدكم الى الوجه الاصل والاصوب لكم وأدعوك الى ما دعاني اليه وأحب لكم ما أحب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة وبين النصيحة هو ان تبليغ الرسالة ان يعرفهم جميع أو امر الله تعالى ونواهيه وجميع أنواع التكاليف التي أوجبه الله تعالى عليهم. وأما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عقابه ان عصوه (وأعلم من الله مالا تعلمون) يعني وأعلم انكم ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويعذبكم في الآخرة عذابا عظيما وقيل أعلم ان مغفرة الله تعالى لمن تاب وعقوبته لمن أصر على الكفر وقيل لعل الله تعالى أطلعهم على سر من أسرارهم فقال وأعلم من الله مالا تعلمون (أو عجبتم) الالف ألف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام إنكار معناه أ كذبتهم وعجبتم (أن جاءكم ذكركم من ربكم) يعني وحيامن ربكم (علي ر جل منكم) تعرفونه وتعرفون نسبة وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكركم الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نوح عليه الصلاة والسلام سماه ذكرا كما سمى القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكركم المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام فعلى هذا تكون على بمعنى مع أي مع ر جل منكم قال الفراء على هنا بمعنى مع (لينذركم) يعني جاءكم لاجل أن ينذركم (ولتتقوا) أي ولاجل أن تتقوا (ولعلكم ترجون) لان المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا يذنبني والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة (فكذبوه)

وان بأسه لا يرد عن القوم الجرمين (أو عجبتم) الهزلة لانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أ كذبتهم وعجبتم (أن جاءكم) من ان جاءكم (ذكركم) موعظة (من ربكم على ر جل منكم) على لسان ر جل منكم أي من جسمكم وذلك لانهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ماسه عناب هذا في آياتنا الاواين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزال ملائكة (لينذركم) لينذركم عاقبة الكفر (واتتقوا) ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترجون) ولترجو بالتقوى ان وجدت منكم (فكذبوه)

فنسبوه الى الكذب (فانجنيناه والذين معه) وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافت وستة من آمن به (في الفلك) يتعلق بعه كانه قيل والذين صحبوه في الفلك (واغرفنا الذين كذبوا باياتنا منهم كانوا قوماعمين) عن الحق يقال أعمى في البصر وعم في البصيرة (والى عاد) وأرسلنا (١٠٨) الى عاد وهو عطف على نوح (أخاهم) واحدا منهم من قولك يأخا العرب للواحد

منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجية عليهم ألزم (هودا) عطف بيان لاخاهم وهـ وهو هود بن صالح بن ارغش بن سام بن نوح (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون) وانما لم يقل فقال كفي قصة نوح عليه السلام لانه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملائكة) كفروا من قومه) وانما وصف الملائكة بالذين كفروا دون الملائكة قوم نوح لان في أشرف قوم هود من آمن به منهم مرد بن سعد فارىدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشرف قوم نوح عليه السلام مؤمنا (ان التارك في سفاهة) في خفة حلم وسخافة عقل حيث نهج دين قومك الى دين آخر وجعات السفاهة ظرفا مجازا يعنى انه متمكن فيها غير منفك عنها (وانا لظنك من الكاذبين) في ادعائك الرسالة (قال يا قوم ليس بي

يعنى فكذبوا نوحا (فانجنيناه) يعنى من الطوفان والعرق (والذين معه) يعنى من آمن من قومه معه (في الفلك) يعنى في السفينة (واغرفنا الذين كذبوا باياتنا منهم كانوا قوماعمين) قال ابن عباس رضى الله عنهما عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموما عن الحق والايمن يقال رجل عم في البصيرة وأعمى في البصر وأنشدوا قول زهير

وأعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما في غد عم

قال مقاتل عموما عن نزول العذاب بهم وهو العرق ﴿ قوله تعالى (والى عاد أخاهم هودا) أى وأرسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهى عاد الاولى أخاهم هودا يعنى أخاهم فى النسب لافى الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال ابن اسحق هو هود بن صالح بن ارغش بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه الصلاة والسلام لم يكن أخاهم فى الدين ثم اختلفوا فى سبب الاخوة من أين حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة فيتوجه قوله أخاهم لانه واحد منهم وقيل انه لم يكن من القبيلة ثم ذكرنا فى تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بنى آدم ومن جنسهم لامن الملائكة وبكى هذا القدر فى تسمية الاخوة والمعنى اننا أرسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون الفهم والانسان بكلامه أتم وأكمل ولم نبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك أو الجن والنسأى أنه أخاهم يعنى صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم وكانت منازل عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذى عند عمان وحضرموت (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) أى اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه الها آخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله فى قصة نوح فقال وهنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب وأما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح فى المبالغة فى الدعاء فأخبر الله تعالى عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره (أفلا تتقون) يعنى أفلا تتخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من العرق حسن قوله هنا أفلا تتقون يعنى أفلا تتخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قبل واقعة قوم نوح شئ حسن تخوفهم من العذاب فقال هناك انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (قال الملائكة الذين كفروا من قومه ان التارك فى سفاهة) يعنى ان التارك يهودى حتى وجهاله وضلاله عن الحق والصواب أخبر الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا له ان التارك فى ضلال مبین وأخبر عن قوم هود انهم قالوا له ان التارك فى سفاهة والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق فى عمل السفينة قاله قومه عند ذلك ان التارك فى ضلال مبین حيث تتعب فى اصلاح سفينة فى أرض ليس فيها من الماء شئ وأما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قوة العقل قابله بمثله فقالوا ان التارك فى سفاهة (وانا لظنك من الكاذبين) يعنى فى ادعائك انك رسول من عند الله (قال) يعنى قال هود لهؤلاء الملائكة الذين نسبوه الى السفه (يا قوم ليس بي سفاهة) يعنى ليس الامر كما تدعون ان بي سفاهة (ولكننى رسول من رب العالمين) يعنى اليكم (أبلغكم رسالات ربي) يعنى أودى اليكم ما أرسلنى به من أوامره ونواهيه وشراعه وتكاليفه (وأنا لظنكم باصح) يعنى فيما أمركم به من عبادة الله عز وجل وترك عبادة ما سواه

سفاهة ولكننى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لظنكم باصح) فيما أودعكم اليه (أمين)

(أمين) على ما أقول لكم وانما قال هنا وأنا لظنكم باصح أمين لقولهم وأنا لظنك من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من ينسبهم الى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاعضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصوصهم أضل الناس وأسفهم أدب حسن وخلق عظيم واخبار الله تعالى ذلك لتعلم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكذا تنسبون عنهم

و يسبلون أذيالهم على ما يكون منهم (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا ذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أي خلقتهم في الأرض أوفى مساكنهم واذفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم (وزادكم في الخلق بسطة) طولاً وامتداداً فكان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراعاً بسطة حجازي وعاصم وعلى (فاذكروا آلاء الله) في استخلافكم وبسطة أجرامكم ومساواها من عطاياها وواحد الآلاء إلى نحواني والآباء (العلمكم فملحون) ومعنى (١٠٩) المحي في (قالوا أجبنا) أن

يكون هو ود عليه السلام مكان معنزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معهم جبالاً نشأوا عليه (فانتابنا بعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) ان العذاب نازل بنا (قال قد وقع أي قد نزل عليكم) جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان (من ربكم رجس) عذاب (وغضب) سخط (أنتجاد لوني) في أسماء سميتموها) في أشياء ما هي الأسماء ليس تحتمل اسميات لانكم تسمون الأصنام آلهة وهي خالية عن معنى الألوهية (أتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) حجة (فانتظروا) نزول العذاب

(أمين) يعني على تبايع الرسالة وأداء النصح والامين الثقة على ما اتقن عليه حتى الله عن نوح عليه الصلاة والسلام انه قال وأصبح لكم وحكي عن هود عليه الصلاة والسلام انه قال وأنا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجديد النصح ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا ونهاراً كما أخبر الله عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهاراً فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وأصبح لكم وأما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتئذ فلهذا قال وأنا لكم ناصح أمين والمدح للنفس بآداب المدح غير لائق بالعقلاء وإنما قيل هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك وقصوده الردها عنهم في قولهم وبالذنبك من السكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله ففيه تقرر للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع الضرورة الى مدحها (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) يعني أعجبتم أن أنزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم بأمر ربكم ويخوفكم عقابه (واذكروا ذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ هلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الأرض (وزادكم في الخلق بسطة) يعني طولاً وقوة قال السكبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراعاً وقامة القصير ستين ذراعاً وقيل سبعين ذراعاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمانين ذراعاً وقال مقاتل اثني عشر ذراعاً وقال وهب كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة (فاذكروا آلاء الله) يعني نعم الله وفيه اضمحار تقديره فاذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملاً يليق بذلك الانعام وهو أن تؤمنوا به وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الاصنام (العلمكم فملحون) يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة (قالوا) يعني قال قوم هود مجيبين له (أجبنا) يهود (لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) يعني من الاصنام (فانتابنا بعدنا) يعني من العذاب (ان كنت من الصادقين) يعني في قولك انك رسول الله (قال) يعني قال هود مجيباً لهم (قد وقع) يعني نزل ووجب (عليكم من ربكم رجس و غضب) أي عذاب وسخط (أنتجاد لوني) يعني أنتخا صموني (في أسماء سميتموها) تم وآباؤكم) يعني وضعت لها أسماء من عند أنفسكم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار عليهم لانهم سمووا الاصنام بالآلهة وذلك معدوم فيها (ما نزل الله بها من سلطان) يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية وإنما سميتموها أنتم من عند أنفسكم بغير دليل (فانتظروا) يعني العذاب (اني معكم من المنتظرين) يعني نزول العذاب بكم (فانجيئناهم) يعني فأنجيئنا هوداً عند نزول العذاب بقومه (والذين معه برحمة منا) يعني وأنجيئنا أتباعه الذين آمنوا به وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) يعني وأهلكنا الذين كذبوا هوداً من قومه وأراد بالآيات معجزات هود عليه الصلاة والسلام الدالة على صدقه وهذاهلاك استئصال فهاكوا جميعاً ولم يبق منهم واحد (وما كانوا مؤمنين) يعني لانهم لم يكونوا صدقين بالله ولا برسوله هود عليه الصلاة والسلام

﴿ ذكروا قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق وأصحاب السير وال اخبار ﴾

(اني معكم من المنتظرين) ذلك (فانجيئناهم والذين معه) أي من آمن به (رحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) الدابر الاصل أو الكائن خلف الشيء وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وما كانوا مؤمنين) فائدة في الايمان عنهم مع اثبات التكذيب بآيات الله الاشعار بان اهلاك خص المكذبين وقصتهم ان عاداً قد بسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هوداً فكذبوه فامسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا اذا نزل بهم بلاء طابوا الى الله الفرج منه عند

والاحقاف الرمل وبما بين عمان وحضر موت من أرض اليمن وكانوا قد فسقوا في الارض كلها وقهروا وأهالها
 بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صداء
 وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله عز وجل فيهم هو دا عليه الصلاة والسلام وهو من أوسطهم
 نسباً وأفضاهم موضعاً فرمهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الهة غيره وان يكفوا عن ظلم الناس ولم يامرهم
 بغير ذلك فيما ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد من اقوة واتبعه منهم ناس فآمنوا به وهم يسير يكتمون
 ايمانهم وكان ممن صدقه وآمن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتنأ ايمانه فلما اعتوا على الله
 وكذبوا انبيهم وأكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ربيع آية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون فلما
 فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء
 وجهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مؤمنهم ومشر كهم وكان يجمع بمكة ناس
 كثير مختلف أديانهم وكل معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان البيت معروفاً مكانه من
 الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق وانما سمو العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوز بن سام بن نوح
 وكان سيد العماليق يومئذ رجلاً يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية كهدة بنت الخبيري وهو رجل
 من عاد وكانت عاد أحوال معاوية سيد العماليق فلما حطت عاد وقل عنهم المطر قالوا جهزوا منكم وفد الى
 مكة ليستسقوا الحكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قبيلاً بن عزرو نعيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صدين بن عاد
 الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسالماً اي كنتم اسلاماً وجاهمة بن الخبيري خال معاوية بن بكر سيد
 العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه جماعة من قومه فباغ عدد وفد عاد سبعين
 رجلاً فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً عن الحرم فانزلهم وأكرمهم وكانوا
 أحواله وأصهاره فاقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قيتان لمعاوية بن بكر فلما رأى
 معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم يتغوثون لهم من البلاء الذي أصابهم شق ذلك عليه
 وقال هلك أحوالي وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضئيف نازلون على الله ما أدري كيف أصنع فاني
 أستحي ان أمرهم بالخروج لما بعثوا اليه فيظنوا أنه ضيق مني بمكانهم عندي وقد هلك من وراءهم من
 قومهم جهداً وعطشا قال وشكى ذلك من أمرهم الى قيتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا تغنيهم به ولا يدرون من
 قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية

بيته الحرام فاوفدوا اليه
 قيل بع عزرو نعيم بن هزال
 ومرثد بن سعد وكان يكتنأ
 ايمانه بهود عليه السلام
 وأهل مكة اذ ذاك العماليق
 أو لاد عمليق بن لاوز بن
 سام بن نوح وسيدهم
 معاوية بن بكر فنزلوا عليه
 بظاهرة مكة فقال لهم مرثد
 لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود
 خلفوا ومرثداً وخرجوا
 فقال قيل اللهم اسق عاداً ما
 كنت تسقيهم فانشأ الله
 سحابت ثلاثاً بيضاء وجرأ
 وسوداء ثم ناداه مناد من
 السماء يا قبيلاً اختر لنفسك
 واقومك فاختر السوداء
 على ظن انها أكثر
 ماء فخرجت على عاد من
 واد لهم فاستبشروا وقالوا
 هذا عارض مطر ناخفاهم
 من هارج عقيم فاهلكتهم
 ونجا هود والمؤمنون معه
 فاتوا مكة فعبدوا الله فيها
 حتى ماتوا

الأياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غمماً * فيسقى أرض عادان عاداً
 قد اسوالا يبينون الكلام * من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير والغالما
 وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم أيامى * وان الوحش تاتبهم جهارا
 ولا تخشى اهادى سها * وأتم ههنا فيما اشبهتيم * نهاركم وليلكم تماماً
 فبجح وفدكم من وفد قوم * ولالتقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية هذا الشعر وغنثهم به الجرادتان وعرف القوم ما غنث به قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم
 قومكم ليتغوثوا بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم فقال
 مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان اطعمت بئكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر
 اسلامه عند ذلك وقال في ذلك

عصت عاد رسولهم فامسوا * عطاشا ماتبلهم السماء
 لهم صنم يقال له صمود * يقابله صداء والهباء
 فبصرنا الرسول سبيل رشد * فابصرنا الهدى وجلى العماء

وان الله هود هو الهى * على الله التوكل والرجاء
 زادنى رواية لقد حكم الاله وليس جورا * وحكم الله ان غلب الهواء
 على عاد وعاد شرف--وم * فقد هلكوا وليس لهم بقاء
 وانى لن أفارق دين هود * طوال الدهر أويأتى الفناء

فقال جلهمة بن الخيرى مجيبا لمرئى بن سعد حين فرغ من مقاتته وعرف انه اتبع دين هود وآمن به
 ألا يا سعد انك من قبيل * ذوى كرم وأمك من نمود
 فانا لانطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلمين لما تريد
 أنأمرنا لنترك دين وفد * ورمسل والصداء مع الصمود
 ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى وتبع دين هود

لا يخفى ما فى قافية البيت
 الثانى

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرئى فلا يقدرنا فانه قد تبع دين هود وترك ديننا
 ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها العاد فلما اولوا الى مكة خرج مرئى بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى
 أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى اليهم قام يدعوا الله بها وفد عاد يدعونه فقال
 مرئى اللهم أعطني سوئلى وحدى ولا تدخلنى فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عنز رأس وفد عاد يدعوا فقال
 اللهم أعط فيلما سألك وقال الوفد معه واجعل سوئنا مع سوئله وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان
 سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعواتهم قام لقمان فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطني سوئلى وسأل
 طول العمر فعمر عمر سبعة أشهر وقال قيل بن عنز حين دعا بالهنسان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا
 فانشأ الله تعالى سبحانه ثلاثا بيضاء وجرأ وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لك ومك ولنفسك من
 هذه السحائب فقال قيل قد اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحائب ماء فناده مناد اخترت رمادا
 رمدد الا يبقى من آل عاد أحدا وساق الله تعالى السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النعمة الى
 عاد حتى خرجت عابهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض مطر نايقول الله
 عز وجل بل هو ما استجبتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ أى كل شئ مرت به باعمر بها وكان أول من
 أبصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها من العذاب صاحت ثم
 صعقت فلما ان أفافت قالوا لها ما ذارت قالت رأيت الريح فيها كسهب النار أمانها رجا ليقودونها
 فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فلم ندع من آل عاد أحدا الا أهلكته واعتزل هود ومن
 معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصبه ومن معه من الريح الامانين عليه الجلود وتلذبه الانفس وانها فى قوتها
 لتمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية
 ابن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذا قبل اليمرجل على ناقة فى ليلة مقمرة وذلك مساء نائمة من مصاب عاد
 فاخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا واصحابه فقال فارقتهم بساحل البحر وكانهم شكوا فبما حدثهم به
 فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدى بعث الله عز وجل على عاد الريح العقيم فلما دانت
 منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تبادروا الى البيوت فدخلوها
 وأغلقوا الابواب فجاءت الريح فقالت أبوابهم ودخات عليهم فاهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فلما
 أهلكتهم أرسل الله عليهم طيرا أسود فقلعهم الى البحر فالتقاهم فيه وقيل ان الله تعالى أمر الريح فامات
 عليهم الرمال فكانوا تحت اسبع ليال وثمانية أيام يسمع لهم أنين تحت الرمل ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم
 الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم فى البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فامهاتت على الخزنة فغلبتهم فلم
 يعلموا كم كان مكياها وفى الحديث انما خرجت على مثل خرق الخاتم وقيل ان مرئى بن سعد ولقمان بن

بتأويل القسيلة وقيل سميت نود لثباتها من التمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحمر بين الحجاز والشام (أخاهم صالح قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غير قد جاءكم بينة من ربكم) اية ظاهرة شهادة على صحة نبوتى فكانه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله) وهذه اضافة تخصيص وتعظيم لانها بتكويته تعالى بلا صلب ولا رحم (لكم آية) حال من الناقة والعامل معنى الاشارة فى هذه كانه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية وهي نود لانهم عابوها (فذرروها تآكل فى أرض الله) أى الارض أرض الله والناقصة ناقصة الله فذرروها تآكل فى أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها اكراما لآية الله (فياخذكم) جواب الهى (عذاب اليم) واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم) ونزلكم المياة المنزل (فى الارض) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (تتخذون من سهولها قصورا) عرفا للصف (وتنحتون الجبال بيوتا) لانشاء بيوتها حال

عاد وقيل ابن عزحين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم ما كنتم فاختاروا وانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرشد الالهام اعطاني برأى صدق فاعطى ذلك وقال لقمان اللهم اعطنى عمرا فاقبل له اخترف اختار عمر سبعة أشهر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من البيضة وكان يأخذ الذكركر فلو انه فير به حتى يموت فاذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى أتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه ليد فلما مات لبدمات لقمان معه وأما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقتل له انه اهلاك فقال لا أبالى لاحاجة لى فى البقاء بعد قومي فاصابه الذى أصاب عاد اهلك ومن معه من الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فانت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلقتهم جميعا فاهلك الله عاد الرتحل هود ومن معه من المؤمنين من أرضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشجر من أرض اليمن فنزل هناك ثم أدركه الموت فدفن بارض حضر موت يروى عن علي بن أبى طالب كرم الله وجهه ان قبره هود عليه الصلاة والسلام بحضر موت فى كتيب أحرى وقال عبد الرحمن بن شبابة بين الركن والمقام وزمزم قبر نعمة وتدعين نبيا وان قبره هود وصالح وشعيب واسماعيل عليهم الصلاة والسلام فى تلك البتعة ويروى ان كل نبي من الانبياء اذا هلك قومه جاء هو والصالحون من قومه معه الى مكة يعبدون الله تعالى حتى يموتوا بها ^{فقط} قوله عز وجل (والى نود أخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا الى نود وهو نود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن نود الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وما حوله ومعنى الكلام والى بنى نود أخاهم صالحا لان نود قسيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت نود لثباتها والماء القليل وقيل سموا نود باسم أبيهم الذى ينسبون اليه أخاهم صالحا يعنى فى النسب لافى الدين وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن نود (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من الله غير) يعنى قال لهم صالح حين أرسله الله تعالى اليهم يا قوم وحدوا الله تعالى ولا تشركوا به شيئا فإلكم من الله يستحق أن يعبد سواه (فدعاءكم بينة من ربكم) يعنى جاءكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما أقول وأدعوا اليه من عبادة الله تعالى وأن لا تشركوا به شيئا وعلى تصديقى بانى رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) يعنى علامة على صدق قول العلماء رحمة الله تعالى ووجه كون هذه الناقصة آية على صدق صالح ومجزة له خارقة للعادة أنها خرجت من صخرة فى الجبل وكونها الامن ذكروا لمن أنتى وكال خلقها من غير رجل ولا ندر يرح لانها خلقت فى ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم وليلة قبيلة نود شرب يوم وهذا من المعجزات أيضا لان ناقته تشرب ما تشرب به قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها فى يوم شربها فدر ما يكفيم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء وهذا أيضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء فى يوم شرب الناقه وتشرب الحيوانات الماء فى غير يوم الناقه وهذا أيضا معجزة وانما أضافها الى الله تعالى فى قوله هذه ناقة الله على سبيل التفضيل والتشريف كما يقال بيت الله وقيل لان الله تعالى خلقها بغير واسطة ذكروا نتي وقيل لانه لم يملكها أحد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح (فذرروها تآكل فى أرض الله) يعنى فذرروا الناقه تآكل العشب من أرض الله فان الارض لله والناقه ايضا لله وليس لكم فى أرض الله شئ لانه هو الذى أنبت العشب فيها (ولا تمسوها بسوء) يعنى ولا تطردوها ولا تضربوها (واذا كروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) يعنى ان الله اهلك عاد وجعلكم خلفونهم فى الارض ونعم ونها (وبوأكم) يعنى وأسكنكم وأنزلكم (فى الارض) تتخذون من سهولها قصورا) يعنى تبنيون القصور من سهولة الارض لان القصور انما تبني من اللبن والآجر المتخذ من الطين السهل اللين (وتنحتون الجبال بيوتا) يعنى وتشقون بيوتها من الجبال وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبل فى الشتاء وهذا يدل على أنهم كانوا متنعين مترفعين (فاذكروا آلاء الله) أى فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروها عليها

ولانتعوا في الارض مفسدين) روى ان عاد الماء اهلكت عثرت ثمود بلادها وحلفوها في الارض وعمر واوعمار اطوا لافتحوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا في سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوماعر باوصالح من أوسطهم نسا فادعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فانذرهم فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشره فضلى ودعاه به فتمخضت فمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كمشاؤفا من به جندع ورهط من قومه (قال الملا الذين استكبروا من قومه) وقال شامى (للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (١١٣) (من آمن منهم) بدل من الذين

استضعفوا بإعادة الحار وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان في تقدير عادة العامل والضمير في منهم راجع الى قومه وهو بدل على أن استضعفهم كان مقصورا على المؤمنين أو الى الذين استضعفوا وهو بدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قاله على سبيل السخرية (قالوا انما أرسلناهم بالهلم لانهم سألوه عن العلم بارساله فجعلوا رساله أمر معلوما مسلما كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به لاشبهة فيه وانما الكلام في وجوب الايمان به فتخبركم انا به مؤمنون (قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرين) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فقروا الناقة) أسند

(ولانتعوا في الارض مفسدين) قال قتادة معناه ولانتسروا في الارض مفسدين فيها والعتوا أشد الفساد وقيل أراد به تفرق الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع أنواع الفساد (قال الملا الذين استكبروا من قومه) يعنى قال الاشراف للذين تعظموا عن الايمان بصالح (للذين استضعفوا) يعنى المساكين (من آمن منهم) يعنى قال الاشراف المتعظمون في أنفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفاء من قومه (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) يعنى أن الله أرسله اليك (قالوا انما أرسلناهم بمؤمنون) يعنى قال الضعفاء انما أرسلناهم بالحق ومصداقون (قال الذين استكبروا) يعنى عن أمر الله والايمان به ورسوله صالح (انما بالذي آمنتم به كافرين) أى جاحدون منكرون (فقروا الناقة) يعنى فقعت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل الذر عقر الان ناجر البعير بعقره ثم ينحره (دعوا عن أمر ربهم) أى تكبروا عن أمر ربهم وعصوا وعتوا الغلوفى الباطل والتكبر عن الحق والمعنى أنهم عصوا الله وتركوا أمره في الناقة وكذبوا بنبيهم صالح عليه الصلاة والسلام (وقالوا يا صالح انتنابا تعدنا) يعنى من العذاب (ان كنت من المرسلين) يعنى ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله تعالى ينصر رساله على أعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما أخبرهم به من العذاب فجعل الله لهم ذلك فقال تعالى (فاخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدى هى الصبحة فيعتدل أنهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم والصبحه من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى (فاصبحوا في دارهم جاثمين) يعنى فاصبحوا في أرضهم وبلدهم جاثمين ولذلك وحده الدار كما يقال دار الحرب أى بلد الحرب ودار بنى فلان يعنى موضعهم وجمعهم وجمع فى آية أخرى فقال فى ديارهم لانه أراد مال الكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعنى باركين على الركب والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطئبا بالارض فى حال نومه وسكونه بالليل والمعنى أنهم أصبحوا جاثمين على وجوههم موتى لا يتحركون (فتولى عنهم) يعنى فاعرض عنهم صالح وفى وقت هذا التولى قولان أحدهم أنه تولى عنهم بعد ان اتوا هلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم والثناء للتعقيب فدل على أنه جعل هذا التولى بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثانى أنه تولى عنهم وهم أحياء قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه أنه خاطبهم (وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالتى وأصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) وهذا الخطاب لا يلىق الا بالأحياء فعلى هذا القول يحتل أن يكون فى الآية تقديم وتأخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالتى وأصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين وأجاب أصحاب القول الاول عن هذا أنه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريرا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين ألقوا فى القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث فى الصحيح

(١٥ - خازن - ثاقى) العقر الى جميعهم وان كان العاقر قد اربن سائل لانه كان برضاهم وكان قد اربن قذرا حرا زرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام يا على أشقى الاوابين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قال ذلك (دعوا عن أمر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على اسان صالح عليه السلام من قوله قد روهاتنا كل فى أرض الله أو شان ربهم وهو دينه (وقالوا يا صالح انتنابا تعدنا) من العذاب (ان كنت من المرسلين) فى المراسلين فاخذتهم الرجفة) الصبحة التى زلزلت لها الارض واضطر بها (فاصبحوا فى دارهم) أى مساكنهم (جاثمين) ميتين قعونا قال الناس جنم فعود لاحرك بهم فى بلادهم لايم كلامون (فتولى عنهم) لماعقروا الناقة (وقال يا قوم) عند فراقهاهم (لقد أبلغتكم رسالتى وأصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) الأمرين بالهدى لاستجلاء الهوى والصبحة

وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أقواما قد جيفوا فقال ما أتتم باسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون
وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فيترجى عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها
خذ كرقصة نمود على ما ذكره محمد بن اسحق وروى بن منبه وغيرهما من أصحاب السيرة والخبار
قالوا جميعا ان عاد الماهلكت وانقضت أمرها عمرت نمود بعد ها واستخلفه في الارض فدخلوا فيها واكثروا
وعمر واحتى ان أحدهم ليبنى المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما رآوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا
وكانوا في سعة من العيش والرشاء فعدوا وفسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله تعالى اليهم صالحا
نبيا وكانوا قوماعر با وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله تعالى اليهم وهو غلام فلم يزل
يدعوهم الى الله تعالى والى عبادته حتى شتموا وكبروا فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما أخط عليهم صالح
بالدعاء والتبليغ وأكثرتهم التحذير والتخويف سألوه أن يرهبهم آية تكون مصداقا على ما يقول فقال
صالح أي آية تريدون فقالوا اخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه أصنامهم وذلك في يوم معلوم
من السنة وقالوا تدعوا هلك وتدعوا آلهتنا فان استجب لك انبعاثك وان استجب لنا انبعاثنا فقال لهم
صالح نعم فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا أو ثأنتهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح في
شيء مما يدعوا به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد نمود ياصالح أخرج انان من هذه الصخرة
لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكائبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ماشا كانت
البخت من الابل فان فعات أمنا بك وصدفناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي
قالوا نعم قال فصلى صالح عليه الصلاة والسلام ركعتين ودعا به عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض
التنوج بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوها ووصفوا غير أنه لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون اليها ثم نجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو وورثها معه من
قومه وأراد بقية أشراف نمود أن يؤمنوا به وصدقوه فنعهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب وكانا صاحبي
أو ثأنتهم وورباب بن ضمير وكان كاهنهم وكانوا من أشراف نمود فلما خرجت الناقة من الصخرة قال لهم صالح
هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكنت الناقة ومعا سقبتها في أرض نمود ترحى الشجر وتشرب الماء
وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت رأسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فترفع رأسها حتى
تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع رأسها فتعجج لهم فيجابون ماشاؤا منها من ابن فيشربون
ويدخرون حتى يملؤا أو انبهم كاهنهم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر أن تصدر من حيث
وردت حتى اذا كان من العد كان يوم نمود فيشربون ماشاء الله من الماء ويدخرون ماشاؤا ليوم
الناقة فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بطهر الوادي فتهرب منها
مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهدب الى بطن الوادي فتسكون في حره وجده واذ كان الشتاء
فتشت والناقة في بطن الوادي فتهدب المواشي الى ظهره فتسكون في البرد والجذب فاضرب ذلك بمواشيهم
للامر الذي يريده الله بهم والبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعموا عن أمرهم وحملهم ذلك
على عقر الناقة فاجتمعوا على عقرها وكانت امرأتان من نمود يقال لاحداهما عنبيرة بنت غانم بن مخلد
وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل
وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها صدقة بنت المختار وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة وكانت من أشد
الناس عداوة لصالح عليه الصلاة والسلام وكانتا تحبان عقر الناقة لما أضرت بمواشيها فتمحلتا في عقر الناقة
فدعت صدقة رجلا من نمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فاعل فأبى عليها فدعت
ابن عم لها يقال له مصدع بن مهزج بن الحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس

منيحة تدرأ الفضيحة
ولكنها وخيمة تورث
السخيمة روى ان عقرهم
الناقة كان يوم الاربعاء
فقال صالح تعيشون بعده
ثلاثة أيام تصفرو وجوهكم
أول يوم وتحمر في الثاني
وتسود في الثالث ويصيبكم
العذاب في الرابع وكان
كذلك روى أنه خرج في
مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فلما علم أنهم
هلكوا رجع بمن معه
فسكنوا ديارهم

وجهاوا أكثرهم ما لافاجها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا أجزأ زرق قصيرا
ويزعمون انه كان ابن زانية ولم يكن اسالف ولا كنه ولد علي فراشه فقالت عنيزة لقدار أرى نثاقى شئت
أعطيتك على أن تعقر الناقة وكان قدار عز يزانية عافى قومه (ق) عن عبد الله بن زمعة رضى الله تعالى عنه
أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ
انبعث أشقاها انبعت لها رجل عز يزاع لم يمنع في رهطه مثل أبنى زمعة قوله انبعث أى قام بسرعة والعارم
الخبث الشرير والعرامة الشدة والقوة والشراسة والمبيع الممتنع ممن أراده قال أصحاب الاخبار فانطلق
قدار بن سالف ومصدع بن مهزج فاستنفرأ غواة ثم ودفأ تبعهم سبعة نفر فـ كانوا تسعة رهط فانطلق قدار
ومصدع وأصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طرفتها وكمن
لها مصدع في أصل صخرة أخرى ففرت على مصدع فرماها بسهم فانتظمت في عضلة ساقها فخرجت أم غنم عنيزة
وأمرت ابنتها فاسفرت عن وجهها وكانت من أحسن الناس وجها ليراها قدار ثم حثته على عقرها وأغرته به
فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقها فخرت ورغت رعاة واحدة فقتلها من الجبل ثم طعن
قدار في لبتها فخنجرها فخرج أهل البلاد فاقسموا لجها فلما رأى سبقها ذلك انطلق هار باحتى أنى جبل منيعا
يقال له صور وقيل قارة وأنى صالح عليه الصلاة والسلام فقيل له أدرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج
أهل البلدة يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يابى الله أنما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظر واهل
تدركون فصـيـلها فان أدركتموه فمضى أن يرفع عنكم العذاب فخر جوا في طلبه فرأه على الجبل فذهبوا
ليأخذوه فارحى الله تعالى الى الجبل ان تطاول فتطاول حتى ما ناله الطير وجاء صالح عليه الصلاة والسلام
فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا لاثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغبة أجل
يوم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب وقال ابن اسحق تبع السبق أربعة نفر من التسعة الذين
عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهزج وأخوه ذؤاب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذب به فانزله وألقوا
لحمه مع لحم أمه وقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام اتهمكم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم
يهزؤون به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد أول والاثنين أهون
والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العرية والسبت شبار وكانوا عقروا الناقة يوم
الاربعاء فقال لهم صالح عليه الصلاة والسلام حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم
تصبحون يوم العروبة ووجوهكم حمرة ثم تصبحون يوم شبار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم أول
فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا واقتنلوا صاحبنا فان كان صادقا فاعلمناه قبلنا وان كان
كاذبا كنا قد أحقناه بناقته فانوه ليل ليقتاوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطلوا على أصحابهم
أتوا منزل صالح عليه الصلاة والسلام فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به
فقامت عشرينه دونه وقالوا لا تقتلوه أبدأ فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا
ر بكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فاتم وراء ما نرى بدون فانصر فواعنه تلك الليلة فاصبها يوم الخميس
ووجوههم مصفرة كما غلطت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنشاهم فاقنوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا
قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتاوه فهرب منهم ولحق يحيى من بطون ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم
واسمه نفيل ويكنى بابى هذب وهو مشرك ففتح صالحا فمقدروا عليه وكانوا عمدا والى أصحاب صالح ليدلوهم
عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يابى الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم عليك
قال نعم فدلوهم عليه فانوا بأهدب فكاهوه في أمر صالح فقال هو عندى وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه
وتركوه وشغلهم منازلهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما أمسوا صاحوا

باجمعهم الاقلام مضى يوم من الاجل فلما أصـبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محجرة كما تخضبت بالدم
 فصاحوا وضجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما أمسوا صاحوا باجمعهم الاقلام مضى يومان من الاجل
 وحضركم العذاب فلما أصـبحوا في اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كالمطابت بالقار فصاحوا جميعا الا
 قد حضركم العذاب فلما كانت ليلة الاحد خرج صالح عليه الصلاة والسلام ومن أسلم معهم بين أظهرهم
 الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما أصـبحوا في اليوم الرابع تكففوا وتحفظوا واتقوا بانفسهم الى الارض
 يقبلون ابصارهم الى السماء مرة الى الارض مرة لا يدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضجى من
 يوم الاحد أتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فنقطعت
 قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الاجارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سالف وكانت كافرة شديدة العداوة
 اصلح عليه الصلاة والسلام فاطق الله تعالى رجلها بعد ما عاينت العذاب و أصاب مؤذخ فخرجت مسرعة
 حتى أتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي بقو ثم استقت ماء فسقيت فلما شربت ماتت
 في الحال و ذكر السدي في عقر الناقة فقال أوحى الله عز وجل الى صالح عليه الصلاة والسلام ان قومك
 سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام يعقرها
 فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتله قال فولدتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد
 فذبحوهم ثم ولد للعاشر ولد فاني أن يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولده أحر أزرق
 فذبت نباتا سر يعاف كان اذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب
 التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أبنائهم فتعاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لئلا يذبحه وأهله وقالوا نخرج
 فنرى الناس اننا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده
 أتينا فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحماننا بقول الله اشهدنا مهلك أهله وانا
 اصادقون فيصدقوننا فيظنون اننا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت
 في مسجده خارج القرية فاذا أصبح أتاهم فيعظهم ويذكرهم فاذا أمسى خرج الى مسجده فيتعبد فيه
 قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط عليهم فقتلوا فانطلق رجال من كان قد اطعم على أمرهم
 لينظر واما فعل أولئك النفر فرأوهم وهم مرضخ فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضى صالح بقتل اولادهم
 حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة وقال ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد
 عقر الناقة وقال السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه بقدر فكان يشب سر يعا فلما كبر جلس مع
 أناس يشربون الخمر فارادوا ماء ليزجوا به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد
 شربه الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نضع نحن بلابن هذه الناقة ولو كنا خذنا هذا الماء الذي تشر به الناقة
 فنسقيه لانا ما نوزر وعنا كان خيرا لنا وقال ابن العاشر هل لكم ان أعقرها لكم قالوا نعم فعقرها (ق) عن
 ابن عمر رضى الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
 أنفسهم ان يصيبكم ما أصابهم الا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع المسير حتى جاوز الوادي وفي رواية
 لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله وطماعنه ان الناس نزوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
 الحجر أرض مؤدقاسة وامن آبارها وعجوبة العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهر بقواما
 استقوه ويعلفوا الابل العجين وأمرهم ان يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة وللبخارى ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من آبارها ولا يستقوا منها فاقوا قد عجننا
 منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يطرحو ذلك العجين ويهر بقواما ذلك الماء وفي بعض
 الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوهم الآيات

(ولو طأذقال لقومه) أي واذ كر لوطوا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) أتبعون السيئة المتهادية في القبيح (ماسبقتكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعديدية ومنه قوله عليه السلام سبقتكم بها عكاشة (من أحد) من زائدة (١١٧) لتأكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق (من العالمين) من للتبعض

فبعث الله الناقة فكانت تدر من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشر بماءهم يوم وردوها وأراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فهاهنا لك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها الرجال واحد يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فحرم الله تعالى من عذاب الله فلبسوا حرج أصابه ما أصاب قومه ودفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم وابتدروا بسياقهم وحفر واعنه واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت فلما دخلوها مات صالح فسمي حضرموت ثم بنوا أربعة آلاف مدينة وسموها حضرواء وقال قوم من أهل العلم توفي صالح عليه الصلاة والسلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وأقام في قومه عشرين سنة ^١ قوله تعالى (ولو طأ) يعني وأرسلنا لوطا وقيل معناه واذ كر يا محمد لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ وهو ابن أخي إبراهيم وإبراهيم عمه (اذ قال لقومه) يعني أهل سدوم واليهم كان قد أرسل وذلك ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام إلى الشام فنزل إبراهيم عليه الصلاة والسلام أرض فلسطين ونزل لوط الأردن أرسله الله تعالى إلى أهل سدوم يدعوهم إلى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى (أتأتون الفاحشة) يعني أتبعون الفعلة الخسيسة التي هي غاية في القبيح وكانت فاحشتهم آتيان الذكران في أدبارهم (ماسبقتكم بها من أحد من العالمين) من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعض والمعنى ماسبقتكم أيها القوم بهذه الفعلة الفاحشة أحد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقرير على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط (أنتم لتأتون الرجال) يعني في أدبارهم (شهوة من دون النساء) يعني ان أدبار الرجال أشهى عندكم من فروج النساء (بل أنتم) يعني أيها القوم (قوم مسرفون) أي مجاوزون الحلال إلى الحرام وانما مذمهم وغيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تبارك وتعالى خلق الانسان ورب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا للشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن إلى غيرهن من الرجال فكأنما فقد أمره وجاوز واعتدى لانه وضع الشيء في غير محله وموضعه الذي خلق له لان أدبار الرجال ليست محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار والسيرة انه كانت قري قوم لوط محسبة ذات زروع وغنم لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فأذوهم وضيقوا عليهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم اذ فعلتمهم كذا وكذا انجوتم منهم فابوا فلما ألح الناس عليهم فصدوهم فاصابوا غلما ناسا ناصبا حافخبا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال الكلبى ان أول من عمل به عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم أخصبت فقصدها أهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب أمره فدعا إلى نفسه فكان أول من نكح في دبره فامر الله تعالى السماء ان تحصبهم والأرض أن تحسف بهم ^٢ قوله عز وجل (وما كان جواب قومه) يعني وما كان جواب قوم لوط لوط اذوبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث (الأن قالوا) يعني قال بعضهم لبعض (أخر جوههم من قريبتكم) يعني اخر جوا لوطا واتباعه وأهل دينه من بلادكم (انهم أناس يتطهرون) يعني انهم أناس يتزهون عن فعلكم وعن أدبار الرجال لانها موضع النجاسة ومن تركها فقد تطهر وقيل ان البعد عن المعاصي والآثام يسحق طهارة فمن تباعد عنهم طهارة تطهر فلهم هذا قال انهم أناس يتطهرون أي من فعل المعاصي والآثام (فانجيناها وأهلها)

الشر وانكسهم جازا بشئ آخر لا يتعلق بكلامه ووضيعة من الأمر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريبتهم (انهم أناس يتطهرون) يدعون الطهارة ويدعون فعانا الخبيث عن ابن عباس رضى الله عنهما عابوهم بما يمدح به (فانجيناها وأهلها) ومن يختص به من دونه من المؤمنين

(الامرأته كانت من الغابرين) من الباقيين في العذاب والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى
انها التفتت فاصابها حجر فانت (وأمرنا عليهم مطرا) وأرسلنا عليهم نواعمن المطر عجيبا قالوا مطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف
بالمقيمين منهم وأمرت بحجارة (١١٨) على مسافرهم وقال أبو عبيدة أمر في العذاب ومطر في الرحمة) فانظر كيف كان

يعني فانحينا لوطا ومن آمن به واتبعه على دينه وقيل المراد باهله المتصلون به بسبب النسب أو المراد باهله
ابتناه (الامرأته) يعني زوجته (كانت من الغابرين) يعني كانت من الباقيين في العذاب لانها كانت
كافرة وقيل معناها كانت من الباقيين المعمرين قدامي عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط
وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين
(وأمرنا عليهم مطرا) يعني حجارة من سجيل قد عجت بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وأمطرت
وقال أبو عبيدة يقال في العذاب أمطرت وفي الرحمة مطرت (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) يعني انظر
يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف أهل كما هم قال مجاهد نزل
جبريل عليه السلام فادخل جناحيه تحت مئذنتهم قوم لوط فاقتلها ورفعها الى السماء ثم قالها فجعل أعلاها
أسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله فانظر كيف كان عاقبة المجرمين وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
لكن المراد به غيره من أمته ليعتبر واما جري على أولئك فينجزو بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة
والفواحش الخبيثة قوله عز وجل (والى مدين أخاهم شعيبا) يعني وأرسلنا الى مدين أكثر المفسرين على
ان مدين اسم رجل وهو مدين بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وأرسلنا الى ولد
مدين ومدين اسم للقبيلة كما يقال بنو تميم وبنو عدى وبنو أسد وقيل مدين اسم للسان الذي كانوا عليه وقيل
هو اسم للمدينة وعلى هذين القولين يكون المعنى وأرسلنا الى أهل مدين والصحيح هو الاول لقوله أخاهم
شعيبا يعني في النسب لافي الدين وشعيب هو ابن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام قاله عطاء
وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وأم ميكيل بنت لوط
عليه السلام وقيل هو شعيب بن يثرون بن نوب بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب أعمى وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن امر اجتهه قومه وكان قومه أهل كفر ونحس في المكيل والميزان (قال) يعني
شعيب (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءكم من ربكم) يعني قد جاءكم بحجة وبرهان من ربكم
بحقيقة ما أقول وصدق ما ادعى من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء
به من عند الله غير ان تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن وليست كل آيات الانبياء مذكورة في
القرآن وقيل أراد بالبينة محي شعيب بالرسالة اليهم وقيل أراد بالبينة الموعظة وهي قوله (فاوفوا الكيل
والميزان) يعني فأتوا الكيل والميزان وأعطوا الناس حقوقهم وهو قوله (ولا تبغسوا الناس أشياءهم) يعني
لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنصوهم اياها فطففوا الكيل والوزن يقال بنحس فلان في الكيل والوزن
اذا نقصه وطففه (ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها) يعني بعد ان أصلحها الله تعالى ببعثة الرسل واقامة
العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم (ذلكم) يعني الذي ذكرت لكم وأمرتكم به من الايمان بالله
ووفاء الكيل والميزان وترك الظلم والنحس (خير لكم) يعني مما أتم عليه من الكفر وظلم الناس (ان كنتم
مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بما أقول (ولا تتعدوا بكل صراط توعدون) يعني ان شعيبا قال لقومه
الكفار ولا تتعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهتدون ونهم على ذلك
وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله ورسوله شعيب وهو قوله تعالى
(وتصدون عن سبيل الله من آمن به) يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وتقولون ان شعيبا كذاب

عاقبة المجرمين) الكافرين
(والى مدين) أرسلنا الى
مدين وهو اسم قبيلة
(أخاهم شعيبا) يقال له
خطيب الانبياء لحسن
مراجعتهم قومه وكانوا أهل
بنحس للمكاييل والموازين
(قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره قد
جاءكم بينة من ربكم)
أى معجزة وان لم تذكر في
القرآن (فاوفوا الكيل
والميزان) أي قوما والمراد
فاوفوا الكيل ووزن
الميزان أو يكون الميزان
كالمداد بمعنى المصدر (ولا
تبغسوا الناس أشياءهم)
ولا تنقصوا حقوقهم
بتطفيف الكيل ونقصان
الوزن وكانوا يبغسون
الناس كل شئ في مبيعتهم
ونحس يتعدى الى
مفعولين وهما الناس
وأشياءهم تقول بنحست
زيد احقه أى نقصته اياه
(ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها) بعد الاصلاح
فيها أى لا تفسدوا فيها بعد
ما أصلح فيها الصالحون من
الانبياء والاولياء وضافته
كإضافة بل مكر الليل
والنهار أى بل مكركم في

الليل والنهار (ذلكم) سارة الى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البغس والافساد في الارض وتخوفونه
(خير لكم) في الانسانية وحسن الاحدوث (ان كنتم مؤمنين) مصدقين لي في قولي (ولا تتعدوا بكل صراط) بكل طريق (توعدون)
من آمن بشعيب بالعذاب (وتصدون عن سبيل الله) عن العبادة (من آمن به) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين

(وتبغونها) وتطلبون لسبيل الله (عوجا) أي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال أي لا تعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (واذ كر واذا كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف أي واذا كر واعلى جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم) الله وفر عددكم (١١٩) وقيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نساها بالبركة والخفاء فكثروا (واظنوا كيف كان عاقبة المفسدين) آخر امر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وان تان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من الشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للقر يبين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرين على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيهم بالخيب من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملائكة الذين استكبروا من قوم شعيب) ان شرف قومهم الذين تكبروا عن الإيمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخر جنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعني أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلادنا أو اترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فاعني قوله أولتعودن في ملتنا وأوجب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الإيمان به على ملأه وأئك الكفار غاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه تصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فكما قال الشاعر

(١١٩)

وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من أتى عليهم ان شعيبا الذي تريدونه كذاب فلا يفتنكم عن دينكم (وتبغونها عوجا) يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدوها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والضللال ولا تستقيمون على طريق الهدى والرشاد (واذ كر واذا كنتم قليلا فكثركم) يعني ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة أوجه كثر عددكم وكثركم بالغمي بعد الفقر وكثركم بالقوة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا وضعفاء فهم بمنزلة القليل والمعنى انه كثركم بعد القلة وأعزكم بعد الدلة فاشكروا نعمة الله تعالى عليكم وآمنوا به (واظنوا كيف كان عاقبة المفسدين) يعني وانظروا وانظروا اعتبار ما نزل من كتابكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسوله من العذاب والهلاك وأقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف أرسل الله تعالى عليهم حجارة من السماء عاصوه وكذبوا رسوله (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا) يعني وان اختلفتم في رسالتى فصرتم فرقتين فرقة آمنتم بي وصدقتم برسالتى وفرقة كذبت وجحدت رسالتى (فاصبروا) فيه وعيد وتهديد (حتى يحكم الله بيننا) يعني حتى يقضى الله ويفصل بيننا فيز المؤمن المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين ويعذبهم (وهو خير الحاكمين) يعني انه كما عادل منزله عن الجور والميل والحيث في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص كما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فالله هو خير الحاكمين (قال الملائكة الذين استكبروا من قومهم) يعني قال الجماعة من أشرف قومه الذين تكبروا عن الإيمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخر جنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعني أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلادنا أو اترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فاعني قوله أولتعودن في ملتنا وأوجب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الإيمان به على ملأه وأئك الكفار غاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه تصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فكما قال الشاعر

فان تان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) أي بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من الشركين الى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للقر يبين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرين على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيهم بالخيب من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الجور (قال الملائكة الذين استكبروا من قوم شعيب) ان شرف قومهم الذين تكبروا عن الإيمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب (لنخر جنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) يعني أن قوم شعيب أجابوه بان قالوا لا بد من أحد أمرين اما اخراجك ومن تبعك على دينك من بلادنا أو اترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فاعني قوله أولتعودن في ملتنا وأوجب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الإيمان به على ملأه وأئك الكفار غاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل معناه تصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول قد عاد على من فلان مكروه بمعنى قد لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه فكما قال الشاعر

فان تكن الأيام أحسن مدة * الى فقد عادت لمن ذنوب

أراد فقد صارت لمن ذنوب ولم يرد ان ذنوبها كانت لمن قبل الاحسان وقوله تعالى (قال أولو كنا كارهين) أي لا نعود في ملتكم وان كرهتمونا وأجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل (قد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) يعني ان شعيبا أجاب قومهم اذ دعوه ومن آمن به الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا على الله كذبا ونخر صناعه عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فاسادا تم عليه من الملة والدين وقد أفتدنا الله وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا أيضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا عليه الصلاة والسلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه مثل ما أجيب عن الاشكال الاول وهو ان تقول ان الله

والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا) أي لا يكون احد الأمرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر (قال شعيب) أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أي والله لقد افترينا على الله كذبا بان عدنا في ملتكم (بعد اذ نجانا الله منها) خلاصنا الله فان قلت كيف قال شعيب ان عدنا في ملتكم والكفر على الانبياء عليهم السلام محال قلت أراعدو وقومه الا انه انظم نفسه

في جلتهم وان كان بريثا
 من ذلك اجراء لكلامه
 على حكم التغليب (وما
 يكون لنا) وما ينبغي لنا
 وما يصح (ان نعود فيها
 الا ان يشاء الله بنا) الا
 ان يكون سبق في مشيئته
 ان نعود فيها اذ الكائنات
 كلها بمشيئة الله تعالى خيرا
 وشرها (وسمع ربنا كل شئ
 علما) تميز اى هو عالم بكل
 شئ فهو يعلم احوال عباده
 كيف تتحول وقلوبهم
 كيف تنقلب (على الله
 توكلنا) في ان ثبتنا على
 الايمان ويوفقنا لزيادة
 الايقان (ربنا افتح بيننا
 وبين قومنا بالحق) اى
 احكم والفتاحة الحكومة
 والقضاء بالحق بفتح الامر
 المغايق فلذا سمي فتحا
 ويسمى اهل عمان القاضى
 فتاحا (وانت خير الفاتحين)
 كتوله وهو خير الحاكمين
 (وقال الملأ الذين كفروا
 من قومه ان اتبعتم شعيبا
 انكم اذا لخاسرون) مغبونون
 الفسوات فوائد البخس
 والتطيف باتباعه لانه
 فيها كم عنهما ويا مكرم
 على الايفاء والتسوية
 وجواب القسم الذى
 وطأه اللام في ان اتبعتم
 وجواب الشرط انكم اذا
 لخاسرون فهو ساد مسد
 الجوابين (فاخذتهم
 الرجفة) الزلزلة (فاصبحوا
 في دارهم جائعين) مبتين

نجى قومه الذين آمنوا به من تلك الملة الباطلة لأن شعيبا انظم نفسه في جلتهم وان كان بريثا كما كانوا عليه
 من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وقيل معنى نجينا الله منها علمنا ففتح ملتكم وفسادها فكأنه
 خلاصنا منها وقوله تعالى اخبار اعنه (وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله بنا) يعنى وما يكون لنا ان
 نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذى نحن عليه الا ان يشاء الله بنا يعنى الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله
 ان نعود فيها فحيث مضى قضاء الله وقدره فينا ونفسنا سابق مشيئته علينا وقال الواحدى معنى العود هنا
 الابتداء والذى عليه اهل العلم والسنة في هذه الآية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا نرجع الى ملتكم بعد ان
 وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلا كنا فامه ورناراجعة الى الله غير خارجة عن
 قبضته يسعد من يشاء باطاعة ويشقى من يشاء بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام لمشيئة الله ولم تزل
 الانبياء والا كابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام واجنبني وبنى
 ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقاب القلوب ثبت قاي على دينك قال
 الزجاج رحمه الله تعالى المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم الله ومشيئته ان نعود فيها
 وتصديق ذلك قوله (وسمع ربنا كل شئ علما) يعنى انه تعالى يعلم ما يكون قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى
 كان عالما في الازل بجميع الاشياء فالسعيد من سعد في علم الله تعالى والشقى من شقى في علم الله تعالى (على الله
 توكلنا) اى على الله نعتمد واليه نستند في امورنا كلها فانه الكافي ان توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على
 غيره فكأنه ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) لما ايس شعيب من
 ايمان قومه دعاهم الى الدعاء فقال ربنا افتح اى افض وافضل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعنى بالعدل الذى
 لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف (وانت خير الفاتحين) يعنى خير الحاكمين قال الفراء ان اهل عمان يسمون
 القاضى الفتح والفتاح وقال غيره من اهل اللغة هي لغة مرادوا نشد لبعضهم في ذلك

الأبلغ نبى عصم رسولا * فالى عن فتى حكم غنى ٧

أراد انه غنى عن حاكمهم وقاضيه وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما كت أدري ما معنى قوله ربنا افتح بيننا
 وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال افتحك يعنى افضيك وهذا قول
 قتادة والسدى وابن جرير وجهور المفسرين ان الفتح هو القاضى والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق
 الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجرأ ان يكون معناه ربنا أظهر امرنا حتى يفتح بيننا وبين
 قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عند ابدال على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين
 وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتميز (وقال الملأ الذين كفروا من قومه ان اتبعتم شعيبا) يعنى
 وقال جماعة من اشراف قوم شعيب من كفروا به لاخرين منهم ان اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم
 وملتكم وما اتم عليه (انكم اذا لخاسرون) يعنى انكم انتم في فعلكم (فاخذتهم الرجفة) يعنى الزلزلة
 الشديدة (فاصبحوا في دارهم جائعين) قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فأرسل عليهم حر
 شديدا من جهنم فاخذت بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها أشد حر
 من الظاهر فخرجوا بالبرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلمت وهي الظلة فوجدوا
 لها بردا ونسيان فدى بعضهم بعضا حتى اذا اجتمعوا تحت السحابة رجا لهم ونساؤهم وصبيانهم ألهم الله
 عليهم نار اور جفت بهم الارض من تحتمم فاحترقوا كاحترق الجراد في المقل و صار وراما او روى ان الله
 تعالى حبس عنهم الرج سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتى هلكوا بها وقال قتادة بعث الله شعيبا الى اصحاب
 الايكة والى اهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم الرجفة صاح بهم جبريل
 عليه السلام صيحة هلكوا جميعا قال أبو عبد الله المجلى كان أبو جاد وهو زوحطى ولكن وسعفص وفرشت

(الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) لم يقيموا فيها غنى بالمكان أقام (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كانوا هم الخاسرين) لأن قالوا لهم انكم اذا الخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه (١٢١) قيل الذين كذبوا شعيبا هم

المخصوصون بان أهل كوا
كان لم يقيموا في دراهم لان
الذين اتبعوا شعيبا قد
أنجاهم الله الذين كذبوا
شعيبا هم المخصوصون
بالخسران العظيم دون
أتباعه فهم الراجحون وفي
التكرار مبالغة واستعظام
لأن كذبهم وما جرى عليهم
(فتولى عنهم) بعد ان نزل
بهم العذاب (وقال يا قوم
لقد أبلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم فكيف آسى)
أخزن (على قوم كافرين)
اشتد حزنه على قومه ثم أنكر
على نفسه فقال كيف يشتد
حزني على قوم ليسوا بأهل
للحزن عليهم لكفرهم
واستحقاقهم ما نزل بهم أو
أراد لقد أعذرت لكم في
الابلاغ والتحذير مما حل
بكم فلم تصدقوني فكيف
آسى عليكم (وما أرسلنا في
قرية من نبي) يقال لكل
مدينة قرية وفيه حذف
أى فكذبوه (الأخذنا
أهلها بالبأساء) بالبؤس
والفقر (والضراء) الضر
والمرض لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم أو هما
نقصان النفس والمال
(لهنهم يضرعون)
ليتضرعوا ويتذللوا

ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلن فلما هلك قالت ابنته شعرا أتبكيه وترثيه به
كلن هم ركني * هلكه وسط المحلة
سيد القوم أمناه * هلك نار تحت ظله * جعلت نار اعليهم * دارهم كالمضحلة
وقوله تعالى (الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا فيها ولم ينزلوها يوما من الدهر
يقال غنيت بالمكان أى أقت به والمغانى المنازل التى بها أهلها واحد ما غنى قال الشاعر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * فى ظل ملك ثابت الاوناد

أراد أقاموا فيها وقيل فى معنى الآية كان لم يعيشوا فهم امتنعين مستغنين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو
من الغنى الذى هو ضد الفقر (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) يعنى خسروا أنفسهم مهلاكهم
(فتولى عنهم) يعنى فاعرض عنهم شعيب شاخصا من بين أظهرهم حين أناهم العذاب (وقال يا قوم لقد
أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) يعنى انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب بقومه واختافوا هل كان
ذلك القول قبل نزول العذاب أو بعده على قولين سبقا فى قصة صالح عليه الصلاة والسلام وقوله (فكيف
آسى) يعنى أخزن (على قوم كافرين) والاسى أشد الحزن وإنما اشتد حزنه على قومه لانهم كانوا كثيرين
وكان يتوقع منهم الاجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب عزى نفسه فقال كيف أخزن على قوم
كافرين لانهم هم الذين أهل كوا أنفسهم باصرارهم على الكفر وقيل فى معنى الآية ان شعيبا قال لقد
أعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحى فكيف أخزن عليكم يعنى انكم
لستم مستحقين لان يحزن عليكم فعلى القول الاول انه حصل لشعيب حزن على قومه وعلى القول الثانى لم يحزن
عليهم والله أعلم وقوله تعالى (وما أرسلنا فى قرية من نبي) فيه اضمحار وحذف تقديره فكذبوه (الأخذنا
أهلها بالبأساء والضراء) قال ابن مسعود بالبأساء الفقر والضراء المرض وهو معنى قول الزجاج فانه قال
البأساء كل ما ناله من الشدة فى أموالهم والضراء كل ما ناله من الامراض وقيل بالبأساء الشدة وضيق
العيش والضراء الضر وسوء الحال (لهنهم يضرعون) يعنى انما فعلنا بهم ذلك لئلا يتضرعوا ويتوبوا
والتضرع الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف نبيه صلى الله
عليه وسلم أحوال الانبياء مع أممهم المكذبة وقصص عليه من أخبارهم وعرفه سنته فى الامم الذين خلوا من قبله
وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه فى هذه الآية انه قد أرسل رسالا الى أمم آخر فكذبوا رسالهم
فاخذهم بالبأساء والضراء كما فعل بمن كذب رسله وفيه تحذير لكفار قريش وغيرهم من الكفار
ليتجزوا وعماسهم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالى انه لا يجزى تدييره فى أهل القرى على نمط واحد
وسنة واحدة انما يديرهم بما يكون الى الايمان أقرب وهو قوله تعالى (ثم بدلنا ما كان السبيته الحسنة) لان
ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعى الانقياد للطاعة والاشتغال بالشكر قال أهل
اللغة السبيته كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه الطبع والعقل فالسبيته والحسنة هما الشدة
والرخاء والمعنى انه تعالى بدل مكان البأساء والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة فى الابدان فاخبر الله
تعالى فى هذه الآية انه ياخذ أهل المعاصى والكفر نارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله
(حتى عفوا) يعنى انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت أموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر و طال قال مجاهد حتى
كثرت أموالهم وأولادهم (وقالوا) يعنى من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخاء والسعة (قدمس آباءنا

(١٦ - (خازن) - نانى)

ويحطوا أردية الكبر (ثم بدلنا ما كان السبيته الحسنة) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه
من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة (حتى عفوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات اذا كثر ومنه قوله عليه
السلام واعفوا للحي (وقالوا قدمس آباءنا

الضراء والسراء) أي فالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بتوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فاخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) ينزل العذاب واللام في (ولو أن أهل القرى) إشارة إلى أهل القرى التي دل عليها وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (وانقوا) الشرك مكان ارتكابه (افتحنا عليهم) لفتحنا شامى (بركات من السماء والارض) أراد المطر والنبات أو لآتيهناهم بالخير من كل وجه (واكن كذبوا) الانبياء (فاخذناهم بما كانوا يكسبون) (١٢٢) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أفان أهل القرى)

يريد الكفار منهم (أن يأتهم بأسنا) عذابنا (بيانا) ليلا أي وقت يات يقال بات بيانا (وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتهم بأسنا نحي) نهار أو الضحى في الاصل ضوء الشمس اذا أشرفت والقاء والواو في أفان وأمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الانكار والمعطوف عليه فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان أهل القرى الى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة بعد ذلك أمن أهل القرى ان يأتهم بأسنا بيانا وأمنوا أن يأتهم بأسنا ضحى أو أمن شامى وحجازى عل العطف باو والمعنى انكار الامن من أحد هذين الوجهين من اتيان العذاب ليلا أو ضحى فان قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف لعطف وهو بنا في الاستفهام قلت التنافي في المفرد لاني عطف جملة على جملة لانه على استئناف جملة

الضراء والسراء) يعني أنهم قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولا يأتنا ولم يكن ماسنا من الشدة والضراء عقوبة لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما أنتم عليه كما كان آباؤكم من قبل فانهم لم يتكروا دينهم لما أصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى (فاخذناهم بغتة) يعني أخذناهم فجأة آمن ما كانوا ليكون ذلك أعظم لحسرتهم (وهم لا يشعرون) يعني ينزل العذاب بهم والمراد بذلك هذه القصة اعتبار من سمعها ليتزجر عما هو عليه من الذنوب ﴿قوله عز وجل (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا) لما بين الله تعالى في هذه الآية الاولى ان الذين عصوا وتمردوا أخذهم بعذابه بين في هذه الآية انهم لو آمنوا يعني بالله وبرسوله وأطاعوه فيما أمرهم به واتقوا يعني منهي الله تعالى عنه وحرمة عليهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله تعالى واحسانه على عباده وأصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي أصل البركة المواظبة على الشيء أي تابعنا عليهم بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجذب (ولكن كذبوا) يعني فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل (فاخذناهم) يعني بانواع العذاب (بما كانوا يكسبون) يعني أخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة ﴿قوله تعالى (أفان أهل القرى) هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقيل هو عام في كل أهل القرى الذين كفروا وكذبوا (ان يأتهم بأسنا) يعني عذابنا (بيانا) يعني ايلا (وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتهم بأسنا نحي) يعني نهارا لان الضحى صدر النهار (وهم يلعبون) يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما يراهم والمقصود من الآية ان الله خوفهم بنزل العذاب وهم في غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذي يغلب على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب ويحتمل أن يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب أيضا لانه يضر ولا ينفع (أفانوا مكر الله) يعني استدرجه اياهم بما أنعم عليهم من الدنيا وقيل المراد أن يأتهم عذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمي هذا العذاب مكر الانزال وله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) يعني انه لا يامن أن يكون ما أعطاهم من النعمة مع كفرهم استدرجا الامن خسروا في آخره وهلك مع الهالكين (أولم يهد) يعني أولم يبين (للذين يرتون الارض من بعد) هلاك (أهلها) الذين كانوا من قبلهم فورتوها عنهم وخلفوهم فيها (أن لو نشاء أصدناهم بذنوبهم) يعني لو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم (ونطبع)

بعد جملة (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي لهم (أفانوا) تكرر لقوله أفان أهل القرى (مكر الله) أخذه العبد اي

من حيث لا يشعرون وعن الشبل قدس الله روحه العزيز مكردهم تركه اياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لا يها ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنتاه ان أبالك يخاف البيات أراد قوله أن يأتهم بأسنا بيانا (فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون) الا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا الى السار (أولم يهد) يبين (للذين يرتون الارض من بعد أهلها) أن لو نشاء مرفوع بانه فاعل يهد وان مخففة من الثقيلة أي أولم يهد للذين يخفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم هذا الشأن وهو ان لو نشاء أصدناهم بذنوبهم كما أصدنا من قبلهم فاهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وانما عدى فعل الهداية باللام لانه يعني التبيين (ونطبع)

مستأنف أي ونحن نختم (على قلوبهم فهم لا يسمعون) الوعظ (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيعي في انه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبر أو المعنى تلك القرى المذكورة من (١٢٣) قوم نوح الى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها وها

أبناء غيرهم نقصها عليك (ولقد جاءتهم رسالهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا يؤمنوا) عند محبي الرسل بالبينات (بما كذبوا من قبل) بما كذبوا من آيات الله من قبل محبي الرسل أو فمأ كانوا يؤمنوا الى آخر أعمارهم بما كذبوا به أو لاحقين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن محبي الرسل اليهم الى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفي (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد (يطبع الله على قلوب الكافرين) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وما وجدنا لا كثيرهم من عهد) الضمير للناس على الإطلاق يعني ان أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه في الإيمان والآية اعتراض أو للام المذكورين فانهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضرر ومخافة لئن أنجبتنا لنؤمنن ثم أجهم نكثوا (وان) الشأن والحديث (وجدنا أكثرهم لفاستقين) لخارجين عن الطاعة والوجود بمعنى العلم بدليل

أي ونحن (على قلوبهم فهم لا يسمعون) يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الإيمان وطبيع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفا على الماضي واقطفه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم (تلك القرى) يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب (نقص عليك من أنبائها) يعني نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسالهم الذين أرسلوا اليهم لتعلم يا محمد اننا لننصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم وبمخالفتهم رسالهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم (واتقد جاءتهم) يعني لاهل تلك القرى (رسالهم بالبينات) يعني جاءتهم رسالهم بالمعجزات والبراهين الدالة على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا) بما كذبوا من قبل (اختلف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه ما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم رسالهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذنا منهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فاقروا باللسان وأضروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال السدي آمنوا كره يوم أخذنا الميثاق وقال مجاهد فمأ كانوا الوأحييناهم بعد أهلاكهم ومعاً يتنهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم وقيل معناه فمأ كانوا يؤمنوا عند محبي الرسل بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين أخرجهم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال أنس بن كعب كان سبق لهم في علمه يوم أقرأه بالميثاق انهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربه وان لا يتأولوا علم ما أخفى الله تعالى عنهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسالهم بالبينات فمأ كانوا يؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب آدم عليه الصلاة والسلام قال الطبري وأولى الاقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن أنس وذلك ان من سبق في علم الله انه لا يؤمن به فلا يؤمن أبدا وقد كان سبق في علم الله ان هلك من الامم الذين قص خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون أبدا فأخبر عنهم انهم لم يكونوا يؤمنوا بما هم مكذبون به في سابق علمه قبل محبي الرسل عند مجيئهم اليهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) يعني كما يطبع الله على قلوب كفار الامم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب الله عليهم انهم لا يؤمنون من قومك (وما وجدنا لا كثيرهم من عهد) يعني وما وجدنا لا كثيرا لالام الخالية والقرن الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه اليهم وأوصيناهم به يوم أخذنا الميثاق قال ابن عباس انما أهلك الله أهل القرى لانهم لم يكونوا يحفظوا مواصاهم به (وان وجدنا أكثرهم لفاستقين) أي وما وجدنا أكثرهم لفاستقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ثم بعثنا من بعدهم) يعني ثم بعثنا بعد الانبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام (موسى باياتنا) يعني بجحنتنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام (الى فرعون وملئه) قيل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل اليه موسى عليه الصلاة والسلام الوليد بن مسمع بن الريان وكان ملك القبط والملا أشرف قومه وانما خصوا بالذكر لانه اذا آمن الأشرف آمن الاتباع (فظلموا بها) يعني فجحدوا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وكانت هذه

دخول أن المحففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك الا في المبتدأ والخبر والافعال الداخلة عليهما (ثم بعثنا من بعدهم) الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسالهم أو للام (موسى باياتنا) بالمعجزات الواضحات (الى فرعون وملئه فظلموا بها) فكفروا باياتنا أجرى الظلم محري

الكفر لانهما من واحد ان الشرك اعظم عظيم أو فظلهوا الناس بسببها حين آذوا من آمن أولانه اذا وجب الايمان بها فكفر وابدل
 الايمان كان كفرهم بها ظاهرا حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) حيث صاروا مفرقين
 (وقال موسى يافرعون) يقال ملوك مصر الفراعنة كما يقال ملوك فارس الاكاسرة وكأنه قال ياملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن
 مصعب بن الريان (ان رسول من رب العالمين) اليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق) أي أنا حقيق
 على قول الحق أي واجب على (١٢٤) قول الحق أن أكون قائله والقائم به حقيق على نافع أي واجب على ترك القول على

الله الا الحق أي الصدق
 وعلى هذه القراءة تتفق
 على العالمين وعلى الاول
 يجوز الوصول على جعل
 حقيق وصف الرسول وعلى
 بمعنى الباء كقراءة أبي أي
 اني رسول خليق بان لا أقول
 أو يعلق على بمعنى الفعل
 في الرسول اي اني رسول
 حقيق جدير بالرسالة
 أرسلت على أن لا أقول على
 الله الا الحق (قد جئتكم
 بيينة من ربكم) بما بين رسالتي
 (فارسل معي بني اسرائيل)
 نخلهم يذهبوا معي راجعين
 الى الارض المقدسة التي هي
 وطنهم وذلك ان يوسف
 عليه السلام لما توفي غلب
 فرعون على نسل الاسباط
 واستعبدهم فانقذهم
 الله بموسى عليه السلام
 وكان بين اليوم الذي
 دخل يوسف عليه السلام
 مصر واليوم الذي دخله
 موسى أربع مائة عام معي
 حفص (قال ان كنت
 جئت بأية) من عندهم
 أرسلك (فات بها ان كنت

الآيات معجزات ظاهرة فاهرة فكفروا بها ووضعوا الكفر موضع الايمان (فانظر كيف كان عاقبة
 المفسدين) أي انظر يا محمد بعين العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهلكناهم (وقال موسى يافرعون
 اني رسول من رب العالمين) يعني ان موسى عليه الصلاة والسلام لما دخل على فرعون دعاه الى الله تعالى والى
 الايمان به وقال له اني رسول أي مرسل اليك والى قومك من رب العالمين يعني ان الله الذي خلق السموات
 والأرض وخلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي أرسلني اليك (حقيق) أي واجب (على أن لا أقول
 على الله الا الحق) يعني أني رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وانه لا اله
 غيره (قد جئتكم بيينة من ربكم) يعني يبرهان على صدق فيما ادعى من الرسالة والمراد بيئته معجزته وهي
 العصا واليد البيضاء ثم ان موسى عليه الصلاة والسلام لما فرغ من تبليغ رسالته رتب على ذلك الحكم فقال
 موسى (فارسل معي بني اسرائيل) يعني خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بني اسرائيل
 واستعملهم في الاعمال الشاقة مثل ضرب اللبن ونقل التراب ونحو ذلك من الاعمال الشاقة (قال ان كنت
 جئت بأية فات بها ان كنت من الصادقين) يعني ان فرعون قال موسى عليه الصلاة والسلام بعد تبليغ
 الرسالة ان كنت جئت من عندهم أرسلك بيينة تدل على صدق فاتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك
 ويثبت صدقك فيما قلت (فالتى عصاه فاذا هي ثعبان مبين) أي بين والثعبان الذي كرم من الحيات وصفه هنا
 بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى بأنه جان والجان الحية الصغيرة والجمع
 بين هذين الوصفين أنها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الجان
 قال ابن عباس والسدي ان موسى لما أتى العاصا رت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فها بين لحبيها
 ثمانون ذراعا وارتفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحبيها الاسفل في الارض ولحبيها
 الأعلى على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره غار بأو أحدث وقيل انه
 أحدث في ذلك اليوم أربع مائة مرة وقيل انها أخذت قبة فرعون بين أنيها وحملت على الناس فانهزموا
 وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح
 ياموسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا كما
 كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عماعماته السحرة من التمويه والتليس
 وبذلك تتميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخبيطهم الوجه الثاني انهم
 شاهدوا العاصا قد انقلب حية ولم يشبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين أي بين الوجه الثالث ان ذلك
 الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التي أبانت صدق قول موسى عليه
 الصلاة والسلام في أنه رسول من رب العالمين ﴿وقوله تعالى﴾ (ونزع يده) النزاع في اللغة عبارة عن اخراج
 الشيء عن مكانه والمعنى انه أخرجه من جيبه أو من تحت جناحه (فاذا هي بيضاء للناظرين) قال ابن

من الصادقين) فاتني بها التصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فالتى موسى) عليه السلام (عصاه) من يده
 (فاذا هي) اذا هذه للمفاجأة وهي من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثعبان) حية عظيمة (مبين) ظاهر أمره وروى انه كان ذكر فاغراه
 بين لحبيها ثمانون ذراعا واضع لحبيها الاسفل في الارض والا على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك
 وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون الفا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح
 ياموسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا ومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فعادت في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه الاول انه تميز وتبين ذلك عماعماته السحرة من التمويه والتليس
 وبذلك تتميز معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن تمويه السحرة وتخبيطهم الوجه الثاني انهم شاهدوا العاصا قد انقلب حية ولم يشبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين أي بين الوجه الثالث ان ذلك
 الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه الصلاة والسلام كان من أعظم الآيات التي أبانت صدق قول موسى عليه الصلاة والسلام في أنه رسول من رب العالمين ﴿وقوله تعالى﴾ (ونزع يده) النزاع في اللغة عبارة عن اخراج
 الشيء عن مكانه والمعنى انه أخرجه من جيبه أو من تحت جناحه (فاذا هي بيضاء للناظرين) قال ابن عباس (فاذا هي بيضاء للناظرين) كان بيضا عجيبا خارا ماء العادة

يجمع الناس للنظر اليه
 روى أنه أرى فرعون يده
 وقال ما هذه فقال يدك ثم
 أدخلها في جيبه ونزعها
 فاذا هي بيضاء غلب شعاعها
 شعاع الشمس وكان موسى
 عليه السلام آدم شديد الادمه
 (قال الملا من قوم فرعون
 ان هذا الساحر عليم) عالم
 بالسحر ما هو فيه قد خيل
 الى الناس العصاحية
 والآدم أبيض وهذا
 الكلام قد عزي الى
 فرعون في سورة الشعراء
 وانه قاله للملا وهنأ عزي
 اليهم فيحتمل انه قد قاله
 هو وقالوا هم فحكي قوله
 ثمة وقولهم هنا وقاله ابتداء
 فتلقته منه الملا فقالوه
 لاعتقاهم (يريد أن
 يخرجكم من أرضكم) يعني
 مصر (فاذا نامرون)
 تشيرون من أمرته فامرني
 بكذا اذا شاورته فاشار
 عليك برأى وهو من كلام
 فرعون قاله للملا قالوا له
 ان هذا الساحر عليم يريد
 أن يخرجكم (قالوا أرجه)
 يسكون الهاء عاصم وحزة
 أي أخر واحبس أي أخر
 أمره ولا تجعل أو كانه هم
 بقتله فقالوا أخرقتله
 واحبس ولا تقتله ليتبين
 سحره عند الخلق (وأخاه)
 هرون

عباس وغيره أخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل ان موسى عليه الصلاة
 والسلام أدخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل أخرج يده من تحت ابطنه فاذا هي بيضاء لها شعاع غلب
 نور الشمس وكان موسى عليه الصلاة والسلام آدم اللون ثم ردها الى جيبه فاخر جها فاذا هي كما كانت ولما
 كان اليبياص المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في آية أخرى بيضاء من غير سوء يعني من
 غير برص والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان يباضها يباضا عجيبا خارا جاعن
 العادة يتعجب منه

(فصل في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسل) اعلم ان الله تبارك وتعالى كان قادرا على خلق
 المعرفة والايان في قلوب عباده ابتداء من غير واسطة ولكن أرسل اليهم رسالات يعرفهم معالم دينه وجميع
 تكليفاته وذلك الرسول واسطة بين الله عز وجل وبين عباده يبايعهم كلامه ويعرفهم أحكامه وجائز أن تكون
 تلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجائز أن تكون الواسطة من جنس البشر كالانبياء مع أممهم
 ولما مع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جاءت الرسل عليهم الصلاة والسلام بمعجزات
 ذات على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما أتوا به لان المعجزة مع التحدي من النبي قائمة مقام قول الله
 عز وجل صدق عبدى فاطيعوه واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة بمعجزة
 لان الخلق معجزوا عن الاتيان بمثلهما وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر ولكن معجزا عنه
 فمعجزهم عنه دل على انه من فعل الله ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم كتمنى الموت في قوله فتمنوا
 الموت ان كنتم صادقين فلما صر فواع تمنيه مع قدرتهم عليه علم انه من عند الله ودل على صدق النبي صلى
 الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة البشر كاحياء الموتى وقلب العصاحية واخراج ناقة من
 صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونسب الماء من بين الأصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر
 عن مثلها فاذا أتى النبي بشئ من تلك المعجزات الخارقة للعادة علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو
 الذي أظهر ذلك المعجز على بدنيه ليكون حجة على صدقه فيما يخبر به عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل
 العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر على خلق الاشياء وابداعها من غير أصل سبق لها واخر اجها من
 العدم الى الوجود وانه قادر على قلب الاعيان وخوارق العادات والله تعالى أعلم ﴿قوله عز وجل﴾ (قال الملا من
 قوم فرعون ان هذا) يعني موسى (الساحر عليم) يعني انه لا يأخذ باعين الناس حتى يخيل لهم ان العصا صارت
 حية ويرى الشئ بخلاف ما هو عليه كما أراه يده بيضاء وهو آدم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو
 الغالب في ذلك الزمان فلما أتى بما يعجز عنه غيره قالوا ان هذا ساحر عليم فان قلت قد أخبر الله تعالى في هذه
 السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعراء وقال فرعون للملا حوله ان هذا الساحر
 عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يتمنع أن يدون قاله فرعون أو لائمهم قالوه بعده فاخبر الله تعالى عنهم هنا
 وأخبر عن فرعون في سورة الشعراء وقيل يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصة
 سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هذا عن الملا وأخبر هناك عن فرعون ﴿قوله﴾ (يريد
 أن يخرجكم من أرضكم) يعني يريد موسى أن يخرجكم أي القبط من أرض مصر (فاذا نامرون) يعني فأي
 شئ تشيرون أن نفعل به وقيل ان قوله فاذا نامرون من قول الملا لان كلام فرعون تم عند قوله يريد أن
 يخرجكم من أرضكم فقال الملا مجيبين لفرعون فاذا نامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة
 الملوك في التعظيم والتفخيم والمعنى فانزروا أن تفعل به والقول الاول أصح لسبب الآية التي بعدها وهو
 قوله تعالى (قالوا أرجه وأخاه) يعني أخر أمرها ولا تجعل فيه فتصير عجانك عليك لالك والارجاء التأخير في
 اللغة وقيل معنى أرجه أحسسه وأخاه وهذا القول ضعيف لان الارجاء في اللغة هو التأخير لا الحس ولان

فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد أن رأى من أمر العصا ما رأى (وأرسل في المدائن) جمع مدينة واشتقاقها من مدن بالسكان أي أقام به يعني مدائن صعيد مصر (حاشرين) يعني رجالا يحشرون اليك السحرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى أنهم قالوا لفرعون أرسل إلى هذه المدائن رجالا من أعوانك وهم الشرط يحشرون اليك من فيهما من السحرة وكان رؤساء السحرة باقضى مدائن الصعيد فان غابهم موسى صدقناه واتبعناه وان غلبوه علمنا أنه ساحر فذلك قوله (يأتوك) يعني الشرط (بكل ساحر) وقرئ سحار والفرق بين الساحر والسحار أن الساحر هو المبتدى في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتادون وقت والسحار الذي بدوم سحره ويعمل في كل وقت (عليم) يعني ماهر بصناعة السحر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وابن اسحق والسدي ان فرعون لما رأى من سلطان الله وقدرته في العصا قال انالنا نقاتل موسى الابن هو أشد منه سحر افا تخذ غلمانا من بني اسرائيل وبعث بهم الى مدينة يقال لها الغوصاء يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كبيرا واعد فرعون موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجأؤا معهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحر الا أتى به واختلفوا في عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم من القبط وهما رئيسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم رجلا من مجوسيين من أهل ينوى وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة عشر ألفا وقال عكرمة كانوا سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا وقال السدي كانوا ابضعا وثمانين ألفا يقال رئيس القوم شمعون وقيل يوحنا عليه السلام قوله عز وجل (وجاء السحرة فرعون) يعني لما اجتمعوا و جاؤا الى فرعون (قالوا ان لنا اجرا) يعني جعلنا وعطاء نكسر منابه (ان كنا نحن الغالبين) يعني لموسى قال الامام غفر الدين الرازي ولقائل أن يقول كان حق الكلام أن يقول وجاء السحرة فرعون فقالوا بالفاء وجوابه هو على تقدير سائل سأله ما قالوا اذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا ان كنا نحن الغالبين يعني لموسى (قال نعم) يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطاء (وانكم لمن المقر بين) يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لأقتصر معكم على الاجر بل أزيدكم عليه وتلك الزيادة اني أجعلكم من المقر بين عندي قال الكلبي تكونون أول من يدخل على وآخر من يخرج من عندي (قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما أن تلقى) يعني عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) يعني عصينا وحبالناني هذه الآية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة راعوا مع موسى عليه الصلاة والسلام حسن الأدب حيث قدموه على أنفسهم في الاقاء لاجرم ان الله عز وجل عوضهم حيث نادى بومع نبيه موسى صلى الله عليه وسلم أن من عليهم بالايمان والهداية لماراعوا الادب أولا وأظهر وامابدل على رغبتهم في ذلك (قال) يعني قال لهم موسى (ألقوا) يعني أتم قدمهم على نفسه في الاقاء فان قلت كيف جاز لموسى أن يأمر باللقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر غير جائز قلت ذكر العلماء رحيم الله تعالى فيه أجوبة أحدها ان معناه ان كنتم محققين في فعلكم فآله واوالفلاتقوا الجواب الثاني انما أمرهم باللقاء لتظهر مجزته لانهم اذا لم يلقوا احبالم وعصيم لم تظهر مجزته موسى في عصاء الجواب الثالث ان موسى علم انهم لا بد أن يلقوا تلك الحبال والعصى وانما وقع التخيير في التقديم والتأخير فاذن لهم في التقديم لتظهر مجزته أيضا بغلبهم لانه لو أتى أولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى أمرهم باللقاء ولا (فلما ألقوا) يعني حبالم وعصيم (سحروا أعين الناس) يعني صرفوا أعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوا من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين مجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام التي هي فعل الله وذلك لان السحر

حاشرين) جامعين (يأتوك بكل ساحر عليم) سحار حزة وعلى أي يأتوك بكل ساحر عليم مثله في المهارة أو بخير منه (وجاء السحرة فرعون) يريد فارسل اليهم فحضروا (قالوا ان لنا اجرا) على الخبر واثبت الاجر ٧ العظيم حجازي وحفص ولم يقل فقالوا لانه على تقدير سؤال سائل ما قالوا اذ جاؤا فاجيب بقوله قالوا ان لنا اجرا لجمع الاعلى الغلبة والتنكير للتعظيم كانهم قالوا لا بد لنا من أجر عظيم (ان كنا نحن الغالبين قال نعم) ان لكم اجرا (وانكم لمن المقر بين) عندي فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا وسبعين ألفا أو بضعة وثلاثين ألفا (قالوا ياموسى اما أن تلقى) عصاك (واما أن نكون نحن الملقين) لما معنا وفيه دلالة على ان رغبتهم في أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قال) لهم موسى عليه السلام (ألقوا) تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل المناظرون قبل ان يتحاوروا في الجدال وقد سوغ لهم موسى ما رغبوا

ملأت الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا ارهبتهم بالحيلة (وجاؤا بسحر عظيم) في باب السحراؤ في عين من رآه (وأوحينا الى موسى أن أتق عصاك فاذاهي تلقف) بتلع تلقف حفص (ما يأفكون) ماموصولة أو مصدرية يعني ما يأفكونه أي يقابونه عن الحق الى الباطل ويوزونه وأفكهم تسمية للأفوك بالأفك روى أنها ما تلقفت ملء انوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة أو فرقتها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل ونبت (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر (فقلبوها نالك) أي فرعون وجنوده والسحرة (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء موبتئين (وألقى السحرة ساجدين) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خروهم أولم يتالكوا مآراؤا فكانهم أتقوا فكانوا أول النهار كفار اسحرة وفي آخره شهداء بررة (قالوا آمنابرب العالمين رب موسى وهرون) هو بدل مما قبله

قلب الاعين وصر فها عن ادراك ذلك الشئ والمجززة قلب نفس الشئ عن حقيقته كقلب عصا موسى عليه الصلاة والسلام حية نسي (واسترهبوهم) يعني أرهبوهم وأفزعوهم بما فعلوه من السحر وهذا قوله تعالى (وجاؤا) يعني السحرة (بسحر عظيم) وذلك انهم أتقوا حبلا غلاظا وخشباطوا الافاذاهي حيات كما مثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الجبال بالزئبق وجعلوا داخل تلك العصي زئبقا أيضا وأتقوها على الارض فلما أثر حر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس أنها حيات ويقال ان الارض كانت سهما ميلا في ميل فصارت كلها حيات وأفاعي ففزع الناس من ذلك وأرجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه الصلاة والسلام لاجل سحرهم لانه عليه الصلاة والسلام كان على يقين وثقة من الله تعالى أنهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان كل ما أتوا به على وجه المعارضة لمجزته فهو من باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة والسلام لاجل فزع الناس واضطرابهم مما رأوا من أمر تلك الحيات خاف موسى عليه الصلاة والسلام أن يتفرقوا قبل ظهور رمجزته ويحجته فلذلك أوجس في نفسه خيفة موسى ﷺ قوله تعالى (وأوحينا الى موسى أن أتق عصاك) يعني فألقها (فاذاهي تلقف) يعني بتلع (ما يأفكون) يعني ما يكذب فيه السحرة لان أصل الأفك قلب الشئ عن غيره وجهه ومنه قيل للكذاب أفك لانه يقب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل قال المفسرون أوحى الله عز وجل الى موسى عليه الصلاة والسلام أن لا تخف وأتق عصاك فلقها فصارت حية عظيمة حتى سدت الأفق قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب الحية من وراء البحر ثم فتحت فاهاء ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني بتلع كل شئ أتوا به من السحر فكانت بتلع حبالهم وعصيمهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا ذلك فجمع ففزعوا ووقع الزحام بينهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا ثم أخذها موسى عليه الصلاة والسلام فصارت في يده عصا كما كانت أول مرة فلما رأى السحرة ذلك عرفوا انه من أمر السماء وليس بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا آمنابرب العالمين وذلك قوله تعالى (فوقع الحق) يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى (وبطل ما كانوا يعملون) يعني من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما نفذت وتلاشت في عصا موسى علموا ان ذلك من أمر الله وقدرته (فقلبوها نالك) يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجوعه (وانقلبوا صاغرين) يعني ورجعوا ذليلين مقهورين (وألقى السحرة ساجدين) يعني ان السحرة لما علموا انهم اعظم قدرة الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابله وعلموا انه ليس بسحر خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل ألهمهم معرفته والايان به (قالوا آمنابرب العالمين) فقال فرعون اياي تعنون فقالوا بل (رب موسى وهرون) قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغابه سحر واثن غلبتني لأؤمن بك وقيل ان الحبال والعصى التي كانت مع السحرة كانت حل ثلثة اثة بعير فلما ابتاعها عصا موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا أمر خارج عن حد السحر وما هو الا من أمر السماء فأمنوا به وصدقوه فان قلت كان يجب أن يأتيوا بالايان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا وسجدا لله تعالى شكريا على هدايتهم اليه وعلى ما ألهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم أظهره وابتعد ذلك ايمانهم وقيل لما رأوا عظيم قدرة الله تعالى وسلطانه في أمر العصا وانها ليس بقدر على ذلك أحد من البشر وزالت كل شبهة كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لاشانه لما رأوا من عظيم قدرته ثم انهم أظهره والايان باللسان قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما رأوا السحرة ما رأته عرفت أن ذلك من أمر السماء وليس بسحر

(قال فرعون آمنتم به) على الخبر حفص وهذا توبيخ منهم وهم زين كوفي غير حفص فالاولى همزة الاستفهام ومعناه الانكار الاستبعاد (قبل أن آذن لكم) قبل أن آذن لكم (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرج جوامنها أهلها) ان صنعكم هذا حيلة احتلتموها وأتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا (١٢٨) الى الصحراء اغرض لكم وهو ان تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بني

اسرائيل (فسوف تعلمون) وعيد أجهل ثم فصله بقوله (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لا صلبنكم أجمعين) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قالوا) انالى ربنا منقلبون) فلا نبالى بالموت لا نقبلنا الى لقاء ربنا ورحمته وأنا جميعا بهنون أنفسهم وفرعون تنقأ الى الله فيحكم بيننا (وماتنقم منا الآن آمننا بايات ربنا لما جاءتنا) وما تعيب منا الا الايمان بايات الله أرادوا وما تعيب منا الا ما هو أصل المناقب والمفاخر وهو الايمان ومنه قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي اصعب صبادر يعا والمعنى هب لنا صبرا وادعها وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افرانغا (ونوفنا مسلمين) نابتين على الاسلام (وقال الملائمة قوم فرعون أنذروا موسى وقومه افسدوا في الارض) أرض مصر بالاستعلاء

نخر واسجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ﴿قوله عز وجل﴾ (قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم) يعني قال فرعون للسحرة آمنتم بموسى وصدقتموه قبل أن أمركم به وآذن لكم فيه (ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة) يعني ان هذا الصنع الذي صنعتوه أنتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضوع وذلك ان فرعون رأى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطأ عليه وعلى أهل مصر وهو قوله (تخرجوا منها أهلها) وتستولوا عليها أتم (فسوف تعلمون) فيه وعيد وتهديد يعني فسوف تعلمون ما فعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) وهو ان تقطع احدى اليدين وحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع (ثم لا صلبنكم أجمعين) يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضي الله عنهما أول من صلب وأول من قطع الايدي والارجل فرعون (قالوا) يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل (انالى ربنا منقلبون) يعني انا الى ربنا راجعون واليه صأرون في الآخرة (وماتنقم منا) ومانكره منا وما نطقن علينا وقال عطاء معناه وما لنا عندك من ذنب تعد بنا عليه (الآن آمننا بايات ربنا لما جاءتنا) ثم فرغوا الى الله تعالى وسأوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أي اصعب علينا صبرا كما لا تانا ولهذا أتى بلفظ التنكير يعني صبرا وأي صبر عظيم (ونوفنا مسلمين) يعني واقبضنا على دين الاسلام وهو دين خليلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله عنهما ما كانوا في أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء قال السكبي ان فرعون قطع أيديهم وأرجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم لم لقوله تعالى لا يصلون اليك باياتنا أتمنا ومن اتبعك الغالبون ﴿قوله تعالى﴾ (وقال الملائمة قوم فرعون أنذروا موسى) يعني وقال جماعة من أشرف قوم فرعون لفرعون أنذع موسى (وقومه) من بني اسرائيل (ليفسدوا في الارض) يعني أرض مصر وأراد بالافساد فيها أنهم يأمرهم بمخالفة فرعون وهو قوله (ويذكر وأهلك) يعني ونذره ليذكر ويذرك وأهلك فلا يعبدك ولا يعبدوها قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت لفرعون بقرة كان يعبدوها وكان اذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها ولذلك أخرج لهم السامري سجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناما وكان يأمرهم بعبادتها وقال لهم أنار بكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله أنار بكم الاعلى والاولى أن يقال ان فرعون كان دهر يامر بعبادتها وكان يقول مدبر هذا العالم السفلى هي الكواكب فالتخذ أصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها يأمر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الأرض فلهاذا قال أنار بكم الاعلى وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس والسعي والضحاك ويذكر وأهلك بكسر الالف ومعناه ويذكر وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد وقيل أراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

تروحنا من اللعاب قصرا * وأجملنا الالهة أن نؤبا

أراد بالالهة الشمس (قال) يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له أنذروا موسى وقومه (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم) يعني نتركهن أحياء وذلك ان قوم فرعون المأرأه فرعون على قتل موسى وقومه أو جس موسى انزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون أن يفعل بموسى عليه الصلاة والسلام شيئا ما أرادوا به لقوة موسى عليه السلام بما معه من المعجزة فعد الى قومه فقال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وقال ابن

فيها وتغير دين أهلها لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة ألف نفر (ويذكر وأهلك) عطف على ايفسدوا قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تنقأ اليه كما يعبد عبدة الاصنام الا صننام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنار بكم الاعلى (قل) فرعون مجيبا للملائمة (سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم

عباس

وانافوقهم قاهررون) سنقتل غجازى اى سنعيد عليهم قتل الابناء ايعاموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايد بنا كما كانوا ولثلايتوهم العامة انه هو المولود الذى تحدث المنجمون بذهاب ملكتنا على يده فينبطهم ذلك عن طاعتنا وبدعوهم الى اتباعه (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل ابناءهم تسليتهم ووعدا بالصر عليهم (ان الارض) اللام للعهد اى ارض مصر واولاجنس فيتناول ارض مصر ثم اول اوليا (لله يورثها من يشاء من عباده) فيه تمنية اياهم ارض مصر (والعاقبة للمتقين) اشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط (١٢٩) واخليت هذه الجملة عن الواو لانها جملة مستأنفة بخلاف قوله

وقال انلا لاهما معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملا من قوم فرعون (قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا من بعد ما جئتنا) يعنيون قتل ابناءهم قبل مولدهم - موسى الى ان استنبي واعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاه من فرعون واستبطاه لوعده النصر (قال عيسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض) تصرح بعمارض اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى ارض مصر ينظر كيف تعملون) فيرى السكان منكم من العمل حسنة وقيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائده رغيف او رغيفان وطلب المصور

عباس رضى الله عنهما كان قد ترك القتل فى بنى اسرائيل بعد ما ولد موسى فلما اجاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل فاعادوا القتل على بنى اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فحين نسي فى تقاييل عدد قومه بالقتل لثقل شوكرته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك بقوله (وانافوقهم قاهررون) يعنى بالغلبة والقدرة عليهم ولما نزل بنى اسرائيل منازل شكوا الى موسى ما نزل بهم (قال موسى لقومه) يعنى لما شكوا اليه (استعينوا بالله واصبروا) يعنى استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نزل بكم من المكاره فى انفسكم واثباتكم (ان الارض لله) يعنى ارض مصر وان كانت الارض كماله الله تعالى (يورثها من يشاء من عباده) وهذا اطماع من موسى عليه الصلاة والسلام لبنى اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله تعالى (والعاقبة للمتقين) يعنى ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعنى ان عاقبة المتقين الصابرين الجنة (قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا من بعد ما جئتنا) قال ابن عباس رضى الله عنهما لما امنت السحرة تبع موسى ستمائة الف من بنى اسرائيل والمعنى ان بنى اسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون ووعدهم به من القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعنى بالرسالة وذلك ان بنى اسرائيل كانوا مستضعفين فى يد فرعون وقومه وكان يستعملهم فى الاعمال الشاقة الى نصف النهار فلما اجاء موسى بالرسالة وجرى ما جرى شدد فرعون فى استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من قبل ان تاتينا من بعد ما جئتنا يعنى بالرسالة وظاهر هذا الكلام بوجه ان بنى اسرائيل كرهوا محي موسى بالرسالة وذلك كفر والجواب عن هذا الابهام ان موسى عليه الصلاة والسلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فطنوا ان ذلك يكون على الفور فاماروا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا من بعد ما جئتنا فىكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه (قال) موسى مجيبا لهم (عسى ربكم ان يهلك عدوكم) يعنى فرعون وقومه (ويستخلفكم فى الارض) يعنى ويجعلكم تخلفوهم فى ارضهم بعد اهلاكهم (فينظر كيف تعملون) يعنى فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى وقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما يعملونه وانما يجازيهم على ما يقع منهم قوله عز وجل (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) يعنى بالقط والحجب تقول العرب مستنون عجايف * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ومعنى الآية ولقد اخذنا آل فرعون بالحجب والقط والجوع سنة بعد سنة (ونقص من الثمرات) يعنى واتلاف الغلات بالافات قال قتادة اما السنون فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار (لعلهم يذكرون) يعنى لعلهم يتعلمون فيرجعوا اعمالهم فيه من الكفر والمعاصى وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيها عند الله عز وجل من الخير ثم بين الله تعالى

(١٧ - (خارن) - ثاني) زيادة له وروى في وجود فقر اعمرو وهذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخاف فذكر له ذلك وقال قديق فينظر كيف تعملون (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين) سنى القحط رهن سبع سنين والسنة من الاسماء الغالبة كالذابة والنجم (ونقص من الثمرات) قبل السنون لاهل البوادي ونقص الثمرات للامصار (لعلهم يذكرون) ليعتظوا فينبهوا على ان ذلك لا صرارهم على الكفر ولان الناس فى حال الشدة اضرع خدودا اوراق افئدة وقد لى عاش فرعون ار بعمانتة سنة لم يركر وهانى ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه فى تلك المدة وجع او جوع او حى لم ادعى الربوبية

(فأذا جاءهم الحسنة) الصحة والخصب (قالوا لنا هذه) أي هذه التي نستحقها (وان تصبهم سيئة) جدب ومرض (يطبروا) أصله يتطبروا فادغمت التاء في الطاء لانها من

(١٣٠)

لطف اللسان وأصول الثنايا (بموسى ومن معه) تشاء مواهبهم وقالوا هذه بشؤمهم

ولولا مكانهم لما صابتنا وانما دخل اذا في الحسنة وعرفت الحسنة وان في السيئة وكررت السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالكاثر الكثيره وأما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شي منها (ألا فاطاثرهم) سبب خيرهم وشرهم (عند الله) في حكمه ومشيبته والله هو الذي يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك (وقالوا مهمما تاتنا به من آية اتسخرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أصل مهمما ما فما الاولى للجزاء ضمت اليها ما المزبدة المؤكدة للجزاء في قولك معنى ما تخرج أخرج أي نأتك ونوا فاما نذهب بك الان الان انما قلبت هاء استقالاتا لتكرر المتجانسين وهو المذهب السيد البصرى وهو في موضع نصب بتاتنا أي أيما شئ ومن آية تبيين لهما والضمير في به وبه راجع الى مهمما الان الاول ذكر على اللفظ والثاني أنت على المعنى لهما في معنى الآية وانما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فارسنا

انهم عند نزول العذاب وتلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا تمردا وكفرا فقال تعالى (فأذا جاءتهم الحسنة) يعني القيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات (قالوا لنا هذه) أي نحن مستحقون لها ونحن أهلها على العادة التي جرت انما في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه (وان تصبهم سيئة) يعني القحط والجذب والمرض والبلاء ورأوا ما يكرهون في أنفسهم (يطبروا) يعني يتشاءموا وأصله يتطير او والتطير التشاؤم في قول جميع المفسرين (بموسى ومن معه) يعني انهم قالوا ما أصابنا البلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر كان ملك فرعون أر بعامة سنة وعاش سنائة وعشرين سنة لم يرمكروها قط ولو كان حصل له في تلك المدة جوع يوم أوحى ليلة أو وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط (ألا فاطاثرهم عند الله) يعني ان نصيبهم من الخصب والجذب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس رضى الله عنهما طائرهم ما قضى لهم وقدر عليهم من عند الله وفي رواية عنه شؤمهم عند الله تعالى ومعناه انه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار (واكن أكثرهم لا يعلمون) يعني ان ما أصابهم من الله تعالى وانما قال أكثرهم لا يعلمون لان أكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضاء والقدر قوله تعالى (وقالوا) يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام (مهما تاتنا به من آية) يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو قولهم (لتسخرنا بها) يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين (فما نحن لك بمؤمنين) يعني بمصدقين وكان موسى عليه الصلاة والسلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله عز وجل دعاءه فقال تعالى (فارسنا اعابهم الطوفان) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا أي هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتنادى في الشرف تابع الله عز وجل عليهم الآيات فاخذهم اولابالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يارب ان عبدك فرعون علا في الارض وبني وعتاوان قومه قد نقضوا العهد رب نخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نعمة ولقومي عظة ولن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فarsل الله عليهم المطر من السماء وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشبكة فامتلاّت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شئ وركب الماء على أرضهم فلم يقدروا على التحرك ولم يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وقال مجاهد وعطاء الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة أهل اليمن وقال أبو قتابة الطوفان الجدرى وهم اول من عذبوا به ثم بقى في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم وفي رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما ان الطوفان أمر من الله عز وجل طاف بهم فعند ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك نبي اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام به فرفع عنهم الطوفان وأنت الله لهم تلك السنة شيئا لم ينبتة قبل ذلك من الكلا والزرع والتمر وأخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا فلم يؤمنوا وأقاموا شهر في عافية فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر وأكل الابواب وسقوف البيوت والخشب والياب والامعة وأكل المسامير الحديد في الابواب وغيرها وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع وامتلاّت دور القبط منه ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شئ فمجوا وضجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك انك كشفت عنا هذا الرجز لنؤمن لك وأعطوه عهدا لله وميثاقا بذلك

فدعا

عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم

وذلك انهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمس ولا قمر ولا يراون ولا يقدرون ان يخرجوا من داره وقيل دخل الماء في بيوت القبط

فدعا موسى ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت وفي الخبر
مكتوب على صدر كل جراده جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام خرج الى القضاء فاشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا
ما هو كافينا فما نحن بتاركى ديننا فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وعادوا الى أعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرًا
في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واخلطوا فيه فروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة والسدى والكبي القمل الذى وهو
صفار الجراد الذى لأجنحة له وقال أبو عبيدة هو الجنان وهو ضرب من الجراد وقال عطاء الخراساني هو
القمل نفسه وكان الحسن يقرأ بفتح القاف وسكون الميم قال أصحاب الاخبار أمر الله عز وجل موسى عليه
الصلاة والسلام ان يمشى الى كتيب رمل أعقر بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فشئى الى ذلك
الكتيب فصر به بعضاه فانها لم عليهم القمل فتبع ما بقي من حرثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس
الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وجلده فيعضه فاذا أكل أحدهم طعاما امتلأ قلا قال سعيد بن
المسبب القمل السوس الذى يخرج من الجيوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة أجرة الى الرحي فلا يرد
منها ثلاثة أفقره فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذت أشعارهم وأبشارهم وحواجبهم وأشعار
عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى ان اتوب فادع النار بك
يكشف عنا هذا البلاء فدعا موسى ربه فرفع الله عنهم القمل بعدما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى
السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى أخبث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا ما كنا نأقظ أحق ان
نستيقن انه يساحرنا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا موسى عليهم بعدما قاموا شهرًا في عافية فإرسل الله عليهم
الضفادع فامتلت منها بيوتهم وافنتهم وأطعمتهم وأنبتهم فلا يكشف أحدها ولا طعاما الا وجد فيه
الضفادع وكان الرجل منهم يجلس فى الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا أراد ان يتكلم يشب الضفدع فيدخل
فى فيه وكانت تشب فى قدورهم فتفسد طعامهم عليهم وتطفئ نيرانهم وكان أحدهم اذا مضطجع ركبته
الضفادع حتى تكون عليه ركما فلا يستطيع أن يتقلب الى شقه الآخر واذا أراد أن يأكل سبغ الضفدع
الى فيه ولا يجن أحدهم عجبًا الامتلاء ضفادع ولا يفتح قدر الامتلاء ضفادع فلحقوا من ذلك بلاء شديدًا
وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله عز وجل على آل
فرعون سمعت وأطاعت وجعلت تغدق بانفسها فى القدر وهو تغلى على النار وفى التنانير وهو تغور
انها لله عز وجل يحسن طاعتها برد الماء فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى عليه الصلاة والسلام ما يلحقونه
من الضفادع وقالوا هذه المرة تتوب ولا تعود فاخذ موسى عليه السلام عليهم العهد والمواثيق ثم دعا الله
عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما أقامت عليهم سبعين السبت الى السبت فاقاموا شهرًا في عافية ثم تقضوا
العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه الصلاة والسلام فأرسل الله عز وجل عليهم الدم فقال النيل
عليهم دما عيبا وصارت مياههم كهامد ما وكل ما يستقون من الآبار والأنهار يحدونه دما عيبا فشكوا
ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال سحركم فقالوا من أين يسحرنا ونحن لا نجد فى أوعيتنا
شيئا من الماء الا دما عيبا فكان فرعون يجمع بين القبطى والاسرائيلى على اناه واحد فيكون ما يلى
الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما ويرغان الجرة فيها الماء فيخرج للقبطى دما ولا اسرائيلى ماء حتى ان
المرأة من آل فرعون تاتى الى المرأة من بنى اسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقنى من مائك فتصب
لها فى قربتها فيصير فى الاناء دما حتى كانت تقول اجعليه فى فيك ثم يحبه فى فى فتفعل ذلك فيصير دما ثم ان
فرعون اعتراه العطش حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماء زهدا ما فكتوا على ذلك

حتى قاموا فى الماء الى
تراقيهم فن جلس غرق
ولم يدخل بيوت بنى
اسرائيل من الماء قطرة أو
هو الجدرى أو الطاعون

(والجراد) فاكلت زرعهم وتمارده، وسفوف بيوتهم، وثيابهم ولم يدخل يموت بنى اسرائيل منها شيء (والقمل) وهي الدبى وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والبراغيث أو (١٣٢) كبارا قردان (والضفادع) وكانت تقع في طعامهم وشرابهم حتى

اذا نكتم الرجل تقع في فيه (والدم) أى الرعاف وقيل مياهم انقلب دما حتى ان القبطى والاسرائيلى اذا اجتمعوا على اناء فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما وقيل سال عليهم النيل دما (آيات) حال من الاشياء المذكورة (مفصلات) مبيدات ظاهرات لا يشك على عاقل أهم من آيات الله أو مفقات بين كل آيتين شهر (فاستكبروا) عن الايمان بموسى (وكانوا قومًا مجرمين ولم يقع عليهم العذاب الا خبروهو الدم والعذاب المذكور واحد بعد واحد (قالوا يا موسى ادع لنار بك بما عهد عندك) ما صدرية أى بهمه عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن وانزلنا معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل من الزمان (هم بالغوه) لاحالة فعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذا هم يتكثرون) جواب لى

سبعة أيام لا يشربون الا الدم وقال زيد بن اسلم بن الدم الذى ساط الله عز وجل عليهم كان الرعاف فاتوا موسى عليه الصلاة والسلام وشكوا اليه ما يلحقون وقالوا ادع لنا ربك بكشف عنا هذا الدم فخصن نؤمن بك وترسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى عليه الصلاة والسلام به فكشف عنهم ذلك فلم يؤمنوا وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان (والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات) يعنى يتبع بعضها بعضا وتفصل لها ان كل عذاب كان يقوم عليهم أسبوعا أو بين كل عذابين مدة شهر (فاستكبروا) يعنى عن الايمان فلم يؤمنوا (وكانوا قومًا مجرمين) يعنى آل فرعون ﴿قوله تعالى﴾ (ولما وقع عليهم الرجز) يعنى ولما نزل بهم العذاب الذى ذكره فى الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التى تقدمت فزال بهم الطاعون حتى مات منهم. فى يوم واحد سبعون ألفا فامسوا وهم لا يتدافعون (ف) عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل أو على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه ﴿وقوله تعالى﴾ (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) يعنى بما أوصاك وقيل بما نبأك وقيل بما عهد عندك من اجابة دعوتك (لئن كشفت عنا الرجز) يعنى العذاب الذى وقع بنا (لنؤمنن لك وانزلنا معك بنى اسرائيل) يعنى لصدقنا بما جئت به ولانخلين بنى اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا (فلما كشفنا عنهم الرجز) يعنى بدعوة موسى عليه الصلاة والسلام (الى اجل هم بالغوه) يعنى الى الوقت الذى اُجل لهم وهو وقت اهلاكهم بالفرق فى اليم (اذا هم يتكثرون) يعنى اذا هم ينقضون العهد الذى التزموه فلم يفوا به واعلم أن ما ذكره الله تعالى فى هذه الآيات هى معجزات فى الحقيقة دالة على صدق موسى عليه الصلاة والسلام ووجه ذلك أن العذاب كان مختصا بالفرعون دون بنى اسرائيل فاخصاه بالقبطى دون الاسرائيلى معجز وكون بنى اسرائيل فى أمان منه وعافية وقوم فرعون فى شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز أيضا فان اعتراض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فالفائدة فى نواياهم واظهار الكثير منها فالجواب على مذهب أهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عمدا يفعل وأما على قول المعتزلة فى رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالى تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده ﴿قوله عز وجل﴾ (فانتقمنا منهم) يعنى كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب (فاغرقناهم فى اليم) والمعنى أنه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الاجل الذى اُجل لهم انتقم منهم بان أهلكهم بالفرق فذلك قوله فاغرقناهم فى اليم يعنى فى البحر واليم الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الأزهرى اليم معروف لفظه سر يانية عربتها العرب ويتبع اسم اليم على البحر المالح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاود فيه فى اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب (بانهم كذبوا بآياتنا) يعنى أهل كتمانهم وأغرقناهم بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا (وكانوا عنها) يعنى عن آياتنا (غافلين) يعنى معرضين وقيل كانوا عن حلول النعمة بهم غافلين ولما كان الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها كالفقلة عنها سموها غافلين تجوز الان الغفلة ليست من فعل الانسان ﴿قوله عز وجل﴾ (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعنى ومكنا القوم الذين كانوا يتهرون ويغابون على أنفسهم وهو أن فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم فاجوا السكت ولم يؤخروا (فانتقمنا منهم) هو ضد الانعام كما ان العقاب هو ضد الثواب (فاغرقناهم فى قتلوا اليم) هو البحر الذى لا يدرك قعره وهو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المتفيعين به يقصدونه (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغرافهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكريهم فيها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو

فقتلوا اليم) هو البحر الذى لا يدرك قعره وهو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المتفيعين به يقصدونه (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أى كان اغرافهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكريهم فيها (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو

اسرائيل كان يستضفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض مصر والشام (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة لارزاق وكثرة الانهار والاشجار (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) هو قوله عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض أو يزيد أن نعم على الذين استضعفوا في الارض (١٣٣) الى ما كانوا يحذرون والحسنى

تأنيث الاحسن صفة
لللمكة وعلى صلة تمت أى
مضت علمهم واستقرت من
قولك تم على الامر اذا مضى
عليه (بما صبروا) بسبب
صبرهم وحسبك به حائنا
على الصبر ودالاعلى ان
من قابل البلاء بالجزع وكله
الله اليه ومن قابله بالصبر
ضمن الله له الفرج (ودمرنا)
أهلكنا (ما كان يصنع
فرعون وقومه) من
العمارات و بناء القصور
(وما كانوا يعرشون)
من الجنات أو ما كانوا
يرفعون من الابنية المشيدة
في السماء كصرح هامان
وغيره و يضم الرءاشامى
وأبو بكر وهما آخر قصة
فرعون والقبط وتكذيبهم
بآيات الله ثم أتبعه
قصة بنى اسرائيل وما
أحدثوه بعد انقاذهم من
فرعون ومعاباتهم الآيات
العظام ومجاد زهم البحر
من عبادة البقر وغير ذلك
ليتسلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمראה من
بنى اسرائيل بالمدينة (وجاوزنا
بنى اسرائيل البحر)
ر دى أنهم عبر بهم موسى

فقتلوا بناؤهم واستخدموهم فصيروهم مستضعفين تحت أيديهم (مشارك الارض ومغارها) يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشاركها ومغارها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارك الارض ومغارها لارض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الارض وهو اختيار الزجاج قال لان داود وسليمان صلوات الله وسلامه عليهما كانا من بنى اسرائيل وقدم لهما لارض وقوله عز وجل (التي باركنا فيها) يدل على أنها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزرع والخصب والسعة (ومت كلمتر بك الحسنى على بنى اسرائيل) يعني وتمت كلمة الله وهي وعدهم بالنصر على عدوهم وانتمكين في لارض من بعدهم وقيل كلمة الله هي قوله يزيد أن نعم على الذين استضعفوا في الارض والآية والحسنى صفة لكلمة وهي تأنيث الاحسن ونحوها انجاز ما وعدهم به من تمكنه في الارض واهلاك عدوهم (بما صبروا) يعني انما حصل لهم ذلك الثمام وهو ما انعم الله تعالى به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم على دينه وأذى فرعون لهم (ودمرنا) يعني وأهلكنا والدمار اهلاك باستئصال (ما كان يصنع فرعون وقومه) في أرض مصر من العمارات والبنيان (وما كانوا يعرشون) يعني يسقمون من ذلك البنيان وقال مجاهد ما كانوا يبنيون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والاعناب وقوله عز وجل (وحاوزنا بنى اسرائيل البحر) هي وقطعنا بنى اسرائيل البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغرقهم فيه يقال جاز الوادى وجاوزه اذا قطعه وخلفه وراه ظهره وقال الكلبى عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلاك فرعون وقومه فصامه شكر الله تعالى (فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم) معنى فر بنوا اسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أى يعجبون ويواظبون على أصنام لهم يعنى تماثيل لهم كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جرير كانت تلك الاصنام تماثيل بقر وذلك أول شأن الجبل وقال قتادة كان أولئك اتقوم من لحم وكانوا زوالا بالرفة يعنى بالرفة ساحل البحر وقيل كان أولئك الاقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه الصلاة والسلام بقتالهم (قالوا) يعنى قال بنو اسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال (يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة) يعنى كما لهم أصنام يعبدونها ويعظمونها فاجعل لنا أنت الها نعبده ونعظمه قال البغوى رحمه الله ولم يكن ذلك شكاً بنى اسرائيل فى وحدانية الله تعالى وانما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهالهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بنى اسرائيل وذلك أنهم توهّموا أنه يجوز عبادة غير الله تعالى بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكما قدرته وهى الآيات التى تواتت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله تعالى فى البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله تعالى فغلبهم جهالهم على أن قالوا انبيهم موسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فرّد عليهم موسى عليه الصلاة والسلام بقوله (قال انكم قوم تجهلون) يعنى تجهلون عظمة الله تعالى وانه لا يسبب تحقق أن يعبد سواه لانه هو الذى أنجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم فى البحر وأنجاكم منه عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين مر بشجرة لانسركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان

يوم عاشوراء بعد ما هلك الله فرعون وقومه فصاموا مشكرا لله (فاتوا على قوم) فرادى عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلى (قالوا يا موسى اجعل لنا الها) صانعا تكف عليه (كالمهم آلهة) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعد ما قال اليهودى اهلى رضى الله عنه اختلقتم بعد نبيكم قبل أن يحف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف أهداكم (قال انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أنر ما رأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده

(ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر) مهلك من التبار (ماهم فيه) أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي وفي ايقاع هؤلاء اسمالان وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وان لا يعبدوهم البتة (وباطل ما كانوا يعملون) أي ما عملوا من عبادة الاصنام (۱۳۴) باطل. ضمحل (قال غير الله أفيكم اها) أي غير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا

(وهو فضلكم على العالمين) حال أي على عالمي زمانكم (واذ أنجبناكم من آل فرعون) أنجناكم شامي (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام الساعة اذ طلبها وهو استئناف لا محل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم) يقتلون نافع (وفي دالكم) أي في الانجاء وفي العذاب (بلاء) نعمة أو محنة (من ربكم عظيم وواعدا موسى ثلاثين ليلة) لاعطاء التوراة (وأتمناها بعشر) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان أهلك الله عدوهم أناهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهي شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوفا فيه فسوكت فوحى الله اليه أمعت أن خلوفا فم الصائم طيب عدي من ربح المسك فأمر أن يز بدعليها عشرة

الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا الهة كما لهم آلهة والذي نفسى بيده اتركين من من كان قبلكم أخرجهم الترمذي وقوله تعالى (ان هؤلاء متبر ماهم فيه) أي مهلك والتبر الاهلاك (وباطل ما كانوا يعملون) البطلان عبارة عن عدم الشيء اما بعد ذاته أو بعد ما فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر الا انه عمل غير الله تعالى فكان باطلا لا نفع فيه (قال غير الله أفيكم اها) لما قال بنو اسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام اجعل لنا الهة كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التجب والانكار عليهم غير الله أفيكم اها يعني أطلب لكم وأبني لكم الهة (وهو فضلكم على العالمين) والمعنى أن الاله ليس هوشيا يطلب ويلتمس ويتخير بل الاله هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق أن يعبد ويطلب لاعبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الآيات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم أفضل منهم قوله عز وجل (واذ أنجبناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) هذه الآية تقدمت في سورة البقرة والقائدة في ذكرها في هذا الموضوع أنه تعالى هو الذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الهة كما لهم آلهة قوله عز وجل (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) يعني وواعدنا موسى عليه الصلاة والسلام لثلاثين ليلة وهي ذو القعدة (وأتمناها بعشر) يعني عشر ذي الحجة الذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال المفسرون ان موسى عليه الصلاة والسلام وعد بني اسرائيل اذا أهلك الله تعالى عدوهم فرعون أن يأتهم بكتاب من عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون سأل موسى ربه عز وجل أن ينزل عليه الكتاب الذي وعده به بنو اسرائيل فأمره أن يصوم ثلاثين يوما فصامها فأمعت أنكر خلوفا فيه فسوكت يعود خنوب وقيل بل أكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كذا نسم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة وقال له أما علمت أن خلوفا فم الصائم أطيب عدي من ربح المسك فكانت فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام وقيل ان الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام ان يصوم ثلاثين يوما يعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كله وأعطاه الاواح في العشر التي زادها فلما قال وأتمناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما أجله في سورة البقرة وهو قوله تعالى واذا واعدنا موسى أربعين ليلة فذكره هناك على الاجمال وذكره هنا على التفصيل وقوله تعالى (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) يعني فتم الوقت الذي قدره الله لصوم موسى عليه الصلاة والسلام وعبادته أربعين ليلة لان الميقات هو الوقت الذي قدر أن يعمل فيه عمل من الاعمال ولهذا قيل مواقيت الحج (وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي) يعني كن أنت خليفتي فيهم من بعدى حتى أرجع اليك (وأصلح) يعني وأصلح أمور بني اسرائيل واحلهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنهما ربح بد الرقيق بهم والاحسان اليهم (ولا تتبع سبيل المفسدين) يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعمهم والمقصود من هذا الامر التنا كيدلان هرون عليه الصلاة والسلام لم يكن من يتبع سبيل المفسدين فهو كقولهم ولكن ابطمن قلبي

أيام من ذي الحجة لذلك (فتم ميقات ربه) ما وقت له من الوقت وضر به له (أربعين ليلة) نصب على الحال أي تم بالاعتماد والعدد ولما أجل ذكر الاربعين في البقرة وفضلها هنا (وقال موسى لأخيه هرون) هو عطف بيان لأخيه (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمور بني اسرائيل (ولا تتبع سبيل المفسدين) ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعم

وكقولا

(ولما جاء موسى لميقاتنا) يعني للوقت الذي وقتناه ان يأتي فيه لنا جتنا وهو قوله (وكلمه به) وفي هذه الآية دليل على ان الله عز وجل كلم موسى عليه الصلاة والسلام واختالف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه به عز وجل من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقه في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الاواح هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان الشجرة اذ ذلك الجرم لا يقول اني انا الله لاله الا انا فاعبدني واقم الصلاة كرى فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهبت الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله تعالى حروف واصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والماتلون بهذا القول قالوا ان موسى عليه الصلاة والسلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية وقالوا كما انه لا يبعد روية ذاته وليس جسم ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف ومنه اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا عن الخوض في تأويله وحقيقته قال اهل التفسير وال اخبار لما جاء موسى عليه الصلاة والسلام لميقات ربه تطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء وفي القصة ان الله تعالى انزل ظلة نعتت الجبل على اربع فراسخ من كل ناحية وطرده عن الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملوك وكشط له السماء فرأى الملائكة قياما في الهواء ورأى العرش بارزا واودنا به حتى سمع صريف الاقلام على الاواح وكلمه الله تبارك وتعالى ونابها واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى فاستحلى كلامه به عز وجل واشتاق الى رؤيته (قال رب ارنى انظر اليك) قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارنى نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني انظر اليك وانما سأل موسى عليه الصلاة والسلام الروية مع علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق وفاض عليه من انواع الجلال حتى استغرق في بحر المحبة فعند ذلك سأل الروية وقيل انما سأل الروية نظامه بانه تعالى يرى في الدنيا فتعالى الله عن ذلك (قال لن تراني) يعني ليس ابشر ان يراني في الدنيا ولا يطبق النظر الى في الدنيا ومن نظر الى في الدنيا مات فقال موسى عليه الصلاة والسلام الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الى من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام غاص عدو الله ابليس الخبيث في الأرض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سأل موسى عليه الصلاة والسلام به الروية فقال رب ارنى انظر اليك قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام لن تراني

فصل وقد نسك من نفي الروية من اهل البدع والخواارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الآية وهو قوله تعالى لن تراني قالوا لن نكون للتأييد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة وما قالوه في ان لن نكون للتأييد خطأ بين ودعوى على اهل اللغة اذ ليس يشهد لما قالوه نص عن اهل اللغة والعربية ولم يقل به احد منهم ويدل على صحة ذلك قوله تعالى في صفة اليهود وان يمتنوه ابدامع انهم يمتنون الموت يوم القيامة يدل عليه قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقوله باليتها كانت القاضية فان قالوا ان معناها تكيده النفي كالاتي تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التأويل فيكون معنى لن تراني محمول على الدنيا أي لن تراني في الدنيا جمع بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الآخرة وايضا فان موسى عليه الصلاة والسلام كان عارفا بالله تعالى وبما يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الآية دليل على انه سأل الروية فلو كانت الروية متمتعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه الصلاة والسلام في حيث سألها علمنا ان الروية جائزة على الله تعالى وايضا فان الله عز وجل علق رؤيته على امر جائز والمعلق على الجائز جائز فيلزم من

يعنى مكى من رؤيتك بان تتجلى لي حتى اراك ارنى مكى وبكسر الراء مختلصة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لاهل السنة على جواز الروية فان موسى عليه السلام اعتقد ان الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز ما لا يجوز على الله كبر (قال لن تراني)

ذلك كون الرؤية في نفسها جائزة وانما قاننا ذلك لانه تعالى عاق رؤيته على استقرار الجبل وهو قوله تعالى (واكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترائي) وهو امر جائز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذا جعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالاً والله أعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحق لماسأل موسى عليه الصلاة والسلام به عز وجل الرؤية أرسل الله الضباب والرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى أحاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه الصلاة والسلام أربع فراسخ من كل جانب وأمر الله تعالى أهل السموات ان يعترضوا على موسى عليه الصلاة والسلام فمرت به ملائكة السماء الدنيا كثران البقر تنبع أفواهم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لخب بالتسبيح والتقديس ففرغ العبد الضعيف موسى بن عمران مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة في رأسه وبدنه ثم قال لقد ندمت على مثلتي فهل ينجيني مما أنافيه شيء فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لماسأت فقيل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى واعترضوا عليه فهبطوا عليه أمثال النور لهم قصف ورجف وحب شديد وأفواهم تنبع بالتسبيح والتقديس لهم حلب كحلب الجب الجبش العظيم ألوانهم كاهب النار ففرغ موسى واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورئيسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لاصبر لك عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم ألوانهم كاهب النار وسائر خلقهم كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقار بهم شيء من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبته وأرعد قلبه واشتد بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لماسأت فقيل من كثير ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سبعة ألوان فلم يستطع موسى ان يبرههم بصبر ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوفه خوفا واشتد خزيه وكثر بكاءه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لاصبر عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه وفي ذلك واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نار أشد ضوؤها نار أشد ضوؤها من الشمس ولباسهم كاهب النار اذا سبحوها وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رأهم موسى عليه الصلاة والسلام رفع صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول رب اذ كرني ولا تنس عبدك فلا أدري أن أنفات مما أنافيه أم لان خرجت احترقت وان أفت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم قدأ وشكت يا ابن عمران أن يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة فاما بدانور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جيا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبد الآبوت فارتح الجبل لشدة أصواتهم وان ذلك وانك كل شجرة كانت في وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله تعالى برحمته الروح فتفتشته وقب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى فصار عليه كهيئة ائمة اشباح برق موسى عليه الصلاة والسلام وأقامت الروح عليه مثل اللامة فاما أفاق موسى قام يسبح ويقول أنت بك وصدقت أنه لا يراك أحد فبصيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما عظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب ومالك الملوك والاله العظيم لا يعد لك شيء ولا يقوم لك شيء رب ثبت اليك الحمد لك لا ثم يك لك ما أعظمك وأجلك يارب العالمين فذلك قوله تعالى (فلما تخلى ربه

بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا ايضا انه لم يقل ان أرى ليكون نفيًا للجواز ولو لم يكن مرثيا لاخبر باه ليس برثي اذ الحلة حالة لحاجة الى البيان (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه) بقى على حاله (فسوف ترائي) وهو دليل لنا أيضا لانه عاق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعلق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه كاتعلق بالمتنع يدل على امتناعه والدليل على انه يمكن قوله جده له كما لم يقل انك وماؤ جده تعالى كان جائز أن لا يوجد لولم يوجد لانه مختار في فعله ولاه تعالى. آسسه عن ذلك ولاعابته عليه ولو كان ذلك محالاً لاتبه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني أعظك أن تكون من الجاهلین حيث سأل انجاء ابنه من الفرق (فلما تخلى ربه

للجبل) أي ظهوره بان ظهوره بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلّي للجبل ما قاله الأشعري أنه تعالى خلق في الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى به وهذا نص في اثبات كونه مرئيا وهو - منه الوجوه يتبين جهل منكري الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم - ثم به كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن تؤمن لك حتى نرى الله جهره فطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرى باطل إذ لو كان كما زعموا لقال أرىهم بنظر واليك ثم يقول له ان يروني (١٣٧) ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخرج

موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان برد عليهم وقت قرع كلام سمعها فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لالتقريره الأتري أنهم لما قالوا له اجعل لنا الها كما لهم آلهة لم يعملهم بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم نجهاون (جعلها دكا) مدكوكا مصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير والدق والدك اخوان دكاء جزة وعلى أي مستوية بالارض لأكمة فيها وناقعة دكاء لاسنام لها (وخرموسى صعقا) حال أي سقط مغشيا عليه (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك نبت اليك) من السؤال في الدنيا (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك وبأنك لانعطي الرؤية في الدنيا مع جوازها وقال الكعبي والاصم معنى قوله أرني أنظر اليك أرني آية أعلمك بها بطريق الضرورة كاني أنظر اليك لن تراني لن تطابق معرفتي بهذه

للجبل جعله دكا) قال ابن عباس ظهر نور به للجبل فصار ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله عز وجل من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلّى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الحياض حتى صار دكا وقال السدي ما تجلّى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الالهام على المنصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل ذكره البغوي هكذا بغير سند وأخرجه الترمذي أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلّى به للجبل جعله دكا قال حماد هكذا أو أمسك بطرف ابهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخرم موسى عليه السلام صعقا وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى أظهر من سبعين ألف حجاب نور اقدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالارض وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار ملاءا وقال الكلبى جعله دكا يعني كسر اجبالا صغارا وقيل انه صار لعظمة الله تعالى ستة اجبل فوق ثلثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى ووقع ثلثة بمكة وهي نور ونبير وحراء وقال تعالى (وخرموسى صعقا) قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه وقال قتادة يعني ميتا والاول أصح لقوله (فلما أفاق) والميت لا افاقة له إنما يقال أفاق من غشبهته قال الكلبى صعق موسى عليه الصلاة والسلام يوم الخميس وهو يوم عرفته وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم الذبح وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية وفي بعض الكتب ان ملائكة السموات أتوا موسى وهو في غشبهته فجعلوا يركونه ويقولون يا ابن النساء الحياض أطعمت في رؤية رب العزة فلما أفاق يعني من غشبهته ورجع عقله اليه وعرف انه سأل أمر اعظيما لا ينبغي له (قال سبحانك) يعني تنزهالك من النقائص كلها (نبت اليك) يعني من مستأني الرؤية بغير ادراك وقيل من سؤال الرؤية في الدنيا وقيل لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك نبت اليك يعني من سؤالى ما ليس لي وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال نبت اليك يعني من هذا السؤال وحسنات البراريات المقر بين (وأنا أول المؤمنين) يعني بانك لاترى في الدنيا وقيل وأنا أول المؤمنين يعني من بني اسرائيل بقى في الآية سوالات الاول ان الرؤية عين النظر فكيف قال أرني أنظر اليك وعلى هذا يكون التقدير أرني حتى أراك والجواب عنه ان معنى قوله أرني اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى أنظر اليك وأراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي حتى يكون مطابقا لقوله أنظر اليك والجواب ان النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه السؤال الثالث كيف استدرك وكيف اتصل الاستدراك من قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله والجواب ان المقصود منه تعظيم أمر الرؤية وان أحد الايقوى على رؤيته تعالى الامن قواه الله تعالى بمعوتته وتأيدته لا ترى انه لما ظهر أثر التجلى للجبل اندك وتقطع فهذا هو المراد من هذا الاستدراك لانه يدل على تعظيم أمر الرؤية والله أعلم بمراده ﴿قوله عز وجل﴾ (قال يا موسى انى اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي) يعني قال الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام يا موسى انى

(١٨ - (خازن) - ثاني) الصفة ولكن انظر الى الجبل فاني أظهر له آية فان نبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف نثبت لها وتطيقه وهذا فاسد لانه قال أرني أنظر اليك ولم يقل اليها وقال ان تراني ولم يقل ان ترأيتي وكيف يكون معناه ان ترأيتي وقد أراد أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قال يا موسى انى اصطفتك على الناس) اخترتك على أهل زمانك (رسالاتي) هي أسفار التوراة برسالاتي محجازي (وبكلامي) وبكلامي اياك

اخترتك واتخذتك صفوة واصطفاه الاستخلاص من الصفوة والاجتماع والمعنى اني فضلتك واجتبتك على الناس وفي هذا تسلية لموسى عليه الصلاة والسلام من منع الرؤية حين طلبها لان الله تعالى عدد عليه نعمه التي أنعم بها عليه وأمره أن يشتغل بشكرها كأنه قال له ان كنت منعت من الرؤية التي طلبت فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقتن صدرك بسبب منع الرؤية وانظر الى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على الناس رسالاتي و بكلامي يعني من غير واسطة لان غيره من الرسل منع كلام الله تعالى الا بواسطة الملك فان قلت كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبياء قد ساءوا في الرسالة قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين أحدهما ذكره البغوي فقال للمالم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله الاصطفيتك على الناس وان شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتى وان كان قد ساءر غيره اذ لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيا وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالاته محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضل من موسى عليه الصلاة والسلام فلا يستقيم هذا الجواب الثاني ذكره الامام نضر الدين الرازي فقال ان الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل اغيرة فثبت انه انما حصل التخصيص ههنا لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وانما كان الكلام بغير واسطة سببما يزيد الشرف بناء على العرف الظاهر لان من سمع كلام الملك العظيم من فيه كان أعلى وأشرف ممن سمعه بواسطة الحجاب والنواب وهذا الجواب فيه نظر أيضا لان محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاه برسالاته وكلمة ايلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بيا محمد يدل عليه قوله فأوحى الى عبده ما أوحى ورفع الى حيث سمع صريف الاقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى عليه الصلاة والسلام وغيره من الانبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال ان الله اصطفى موسى عليه الصلاة والسلام برسالاته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه وذلك انه لم يكن في ذلك الوقت أعلى من صبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة فدل ذلك على انه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني اسرائيل اذ كروا نعمتي التي أنعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم وقوله تعالى (نفسا آتيتك) يعني ما فضلتك وأكرمته به (وكن من الشاكرين) يعني على انعمي عليك وفي القصة ان موسى عليه الصلاة والسلام كان بعدما كثر به لا يستطيع أحد ان ينظر اليه لما غشي وجهه من الدور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت زوجته انا لم أرك منذ كلك ربك فكشف لها عن وجهه فأخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجمعاني زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدى فان المرأة لا تخرأ زوجها ﴿قوله تعالى﴾ (وكتبنا له في الألواح) قال ابن عباس يريد الألواح التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الألواح التوراة قال البغوي وفي الحديث كانت من صدر الجنة طول الألواح اثنا عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله تعالى آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الألواح من خشب وقال السكبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد بن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جرير من زمرد أمر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكروا صعد من نهر النور وقال الربيع بن أنس كانت الألواح من زبرجد وقال وهب أمر الله بقطع الألواح من صخرة صماء لينهاه فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى عليه الصلاة والسلام صريف الاقلام بالكلمات العشرة وكان ذلك في أول يوم من ذى الحجة وكان طول الألواح عشرة أذرع على طول موسى وقيل ان موسى خرصعتا يوم عرفه فاعطاه الله التوراة يوم النحر وهذا أقرب الى الصحيح واختلقوا في عدد الألواح فروى عن ابن عباس

(نفسا آتيتك) أعطيتك
من شرف النبوة والحكمة
(وكن من الشاكرين)
على النعمة في ذلك فهي
من أجل النعم قبل ختر
موسى صعدا يوم عرفه
وأعطى التوراة يوم النحر
ولما كان هرون وزيرا
وتابعا لموسى فخصص
الاصطفاء بموسى عليه

انها كانت سبعة ألواح وروى عنها انها لوحان واختاره الفراء قال وانما جئت على عادة العرب في اطلاق
 الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة ألواح وقال مقاتل كانت تسعة وقال الربيع بن أنس نزلت التوراة
 وهي وقر سبعين بعيرا بقرا الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا أربعة نفر موسى و يوشع بن نون وعزير وعيسى
 عليهم الصلاة والسلام والمراد بقوله لم يقرأها يعني لم يحفظها او يقرأها عن ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال
 الحسن هذه الآية في التوراة بالف آية يعني قوله (وكتبنا له في الألواح من كل شيء) يعني يحتاج اليه
 من أمر ونهي (موعظة) يعني نهي عن الجهل وحققة الموعظة التذكير والتعذير بما يخاف عاقبته
 (وتفصيلا لكل شيء) يعني وتبيننا لكل شيء من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما
 يحتاج اليه في أمور الدين وروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التوراة لا تشرك
 بي شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض فان كل ذلك خاقي ولا تخاف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي
 كاذبا فلا أزيك وقر والدبك وروى البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه الصلاة
 والسلام نظر في التوراة فقال اني أجد أمة خيرا الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن
 المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر ويقانلون أهل الضلالة حتى يقانلون الاعور والدجال
 رب اجعلهم أمتي قال هي أمة محمد يا موسى فقال رب اني لا جد أمة هم الجنادون رعاة الشمس المحكمون
 اذا أراد امر اقا لوان فعل ان شاء الله فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد في التوراة أمة يا
 كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يجرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم الشافعون
 المشفعون لهم فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله
 واذا هبط واذا جدد الله الصعيد لهم طهور والأرض لهم مسجد حينما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم
 بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غير محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم أمتي قال هي أمة
 محمد قال يارب اني أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها وان عملها كتبت
 بعشرة أمثالها الى سبع مائة ضعف فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال يارب اني أجد أمة مرحومة
 ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم فمنهم ظالم انفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد
 أحدا منهم الامر حوما فاجعلهم أمتي قال هي أمة محمد قال رب اني أجد أمة مصاحفهم في صدورهم يلبسون
 ألوان ثياب أهل الجنة يصفون في صلاتهم صفوف الملائكة أصواتهم في مساجدهم كدوى النحل
 لا يدخل النار أحد منهم أبدا الامن يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء البحر فاجعلهم أمتي قال هي
 أمة محمد فاما عجب موسى من الخبر الذي اعطاه الله عز وجل محمد صلى الله عليه وسلم وأمنه قال يا ليتني من
 أصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث آيات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
 الى قوله سأرىكم دار الفاسقين ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل
 الرضا **﴿﴾** وقوله تعالى (خذها بقوة) يعني وقلد موسى عليه الصلاة والسلام اذ كتبنا له في الألواح من كل
 شيء خذها بجهد واجتهاد وقيل له عناء خذها بقوة قلب وصحة عزيمته ونية صادقة لان من أخذ شيئا بضعف
 نية أداه الى الفتور (وأمر قومك ياخذوا باحسنها) قال ابن عباس يحلوا حلها ويحرموا حرامها ويتدبروا
 أمثالها ويعملوا بحكمها ويقفوا عند منشاها وكان موسى عليه الصلاة والسلام أشد عبادة من
 قومه فامرهم بالقيام به وقيل ظاهر قوله وأمر قومك ياخذوا باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا
 ليكون في هذا الفصل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى أشد لانه تعالى لم يرض له ما رخص لغيره من
 قومه فان قات ظاهر قوله تعالى ياخذوا باحسنها يدل على ان فيها ليس بحسن وذلك لم يقل به أحد فاعني
 قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكليف كله حسن وبعضه أحسن كاتقاص حسن ولكن العفو أحسن

السلام (وكتبنا له في
 الألواح) الألواح التوراة
 جمع لوح وكانت عشرة
 ألواح وقيل سبعة وكانت
 من زمردوقيل من خشب
 نزلت من السماء فيها التوراة
 (من كل شيء) في محل نصب
 على انه مفعول كتبنا
 (موعظة وتفصيلا لكل
 شيء) بدل منه والمعنى
 كتبنا له كل شيء كان بنو
 اسرائيل محتاجين اليه في
 دينهم من المواعظ وتفصيل
 الاحكام وقيل أنزلت
 التوراة وهي سبعون
 وقر بعبر لم يقرأها
 كلها الا أربعة نفر موسى
 و يوشع وعزير وعيسى
 (خذها) فقلنا له خذها
 عطفًا على كتبنا والضمير
 للألواح أو لكل شيء لانه في
 معنى الاشياء (بقوة) بجهد
 وعزيمة فعل أولي العزم
 من الرسل (وأمر قومك
 ياخذوا باحسنها) أي فيها
 ما هو حسن وأحسن
 كاتقاص والعفو
 والانتصار والصبر فرهم
 أن ياخذوا بما هو أدرخل في
 الحسن وأكثر الثواب
 كقوله واتبعوا أحسن
 ما أنزل اليكم من ربكم

(سار يك دار الفاسقين) دار فرعون وقومه وهي مصر ومنازل عاد وثمود والقرن المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبر وأفلاتفسه قوامثل فسهم فينكل بكم مثل نكالهم أوجهنم (سأصرف عن آياتي) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أي الله أن يكرم قلوب البطالين بكنون حكمة القرآن (الذين يتكبرون) (١٤٠) يتطاولون عن قبول الحق وحقيقته التكاف لكبرياء التي اختصت بالباري عزت

قدرته (في الارض بغير الحق) هو حال أي يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) طريق صلاح الامراء وطريق الهدى الرشدي حزة وعلى وهما كالسقم والسقم (لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل النبي) الضلال (يتخذوه سبيلا) ومحل (ذلك) الرفع أي ذلك الصرف (بانهم كذبوا بالآياتنا) بسبب تكذيبهم (وكانوا عنها غافلين) غفلة عندوا وعراض لا غفلة سهو وجهل (والذين كذبوا بالآياتنا ولقاء الآخرة) هو من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقاءهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حبطت أعمالهم) خير والذين (هل يجزون الاما كانوا يعملون) وهو تكذيب الاحوال بتكذيب الارسال (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعده ذهابه الى الطور (من حلبيهم) وانما انساب اليهم

وكالاتصار حسن والصبأ أحسن منه فامروا أن ياخذوا بالاشد على أنفسهم ليكون ذلك أعظم في الثواب فهو وكقوله اتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنا بحسنتها واكلها احسن ﴿وقوله تعالى (سار يك دار الفاسقين) قال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة وقال الحسن وعطاء ير يد جهنم يحذركم أن تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا الله تعالى لتعتبروا بها وقال عطيبة العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرن الذين هلكوا فـ كانوا يرون عليها اذا سافروا ﴿قوله عز وجل (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) قال ابن عباس يريد الذين يتعجبون على عبادي وبحارون أوليائي سأصرف فهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي عوقبوا بحرمان الهداية لانه اذ هم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القرآن وقيل معناه سأصرفهم عن التفكير في خلق السموات والارض وما فيها من الآيات والعبر وقيل حكم الآية لاهل مصر خاصة وأراد بالآيات الآيات التسع التي أعطها الله تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام والاكثر من على ان الآية عامة وفيه دليل للذهب أهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويصرف عن آياته وقبول الحق من يشاء ويوفق بالتفكير في آياته وقبول الحق من يشاء لانه القادر على ما يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يتكبرون الذين يرون أنهم أفضل الخلق وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في حق الله عز وجل صفة مدح وفي حق المخلوقين صفة ذم لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غير هافه صفة ذم في حق جميع العباد وقوله يتكبرون من الكبر لان التكبر أي يفتعلون التكبر ويرون أنهم أفضل من غيرهم فلذلك قال بتكبرون في لارض بغير الحق بل بالباطل (وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشدي) يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب (لا يتخذوه سبيلا) يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا يسلكونه الى الهداية (وان يروا سبيل النبي) يعني طريق الضلال (يتخذوه سبيلا) ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشدي واتباع النبي بسبب انهم كذبوا بالآيات التي آتت الله الدالة على توحيد (وكانوا عنها غافلين) يعني عن التفكير فيها والاتعاظ بها (والذين كذبوا بالآياتنا ولقاء الآخرة) يعني ولقاء الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب (حبطت أعمالهم) يعني بطلت فصارت كأن لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بالآيات الله من يعمل البر والاحسان والخير فيبين الله تعالى به هذه الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم بالآيات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث (هل يجزون الاما كانوا يعملون) يعني هل يجزون في العقبي الأجزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا ﴿قوله تعالى (واتخذ قوم موسى من بعده) يعني من بعد اطلاق موسى الى الجبل لما جارة به عز وجل (من حلبيهم) يعني التي استعاروها من قوم فرعون وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيد فاستعاروا من القبط الحلى ليتزينوا به في عيدهم فبقي عندهم الى أن اهلك الله فرعون وقومه

مع انها كانت عوارى في أيديهم لان الاضافة تكون لادنى ملاسة وفيه دليل على ان من حلف أن لا يدخل دار فلان فبقي قد دخل دار استعارها بحث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على ان الاستيلاء على أموال الكفار نوجب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامري ولكنهم رضوا به فاستند الفعل اليهم والحلى جمع حلى وهو اسم ما يتحس به من الذهب والفضة حلبيهم حزة وعلى بالاتباع

(عجلا) مفعول اتخذ (جسدا) بدل منه أي بدنا ذالحم ودم كسائر الاجساد (له خوار) هو صوت البقر والمفعول الثاني محذوف أي الها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (أم يروا) حين اتخذوه الها (انه لا يكلمهم ولا يهدبهم سبيلا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته انفذ البحر قبل أن تنفذ (١٤١) كآمانه وهو الذي هدانا خلق

الى سبيل الحق بما أركز في العقول من الادلة وبما أنزل في الكتب ثم ابتداء فقال (اتخذوه) الها فقدموا على هذا الامر المنسکر (وكانوا ظالمين واما سقط في أيديهم) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله أن من اشتد ندمه أن يعرض يده عما تصير يده مسقوطا فيها لان فاء وقع فيها وسقط مسند الى في أيديهم - وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكره وان استحال أن يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين (ورأوا أنهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم (قالوا لئن لم يرجنا بنا يغفر لنا) لئن لم يرجنا بنا وتغفر لنا حجة وعلى واتصاب ر بنا على النداء (انك كون من الخاسرين) المغبونين في الدنيا والآخرة (ولما رجع موسى) من

فبقي الخلى ابني اسرائيل ملكاهم فاندلك قال الله تعالى من حاجبهم فلما أبطأ موسى عليهم جمع السامري ذلك الخلى وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم أجمعوا عليه وكان السامري رجلا صاعقا فصاغ لهم (عجلا جسدا) يعني من ذلك الخلى وهو الذهب والفضة وأتى في ذلك العجل من تراب أثرفرس جبريل عليه السلام فتحول عجلا جسدا لما ودما (له خوار) هو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجهه وأهل التفسير وقيل كان جسدا لاروح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان خفيق الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه أنابيب على وضع مخصوص فاذا هبت الريح دخلت في تلك الانابيب فيسمع لها صوت كصوت البقر والقول الاول أصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا وكما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي كان يخور ويمشي (أم يروا) يعني الذين عبدوا العجل وقيل أن بني اسرائيل كلهم عبدوا العجل الا هرون عليه الصلاة والسلام بدليل قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده وهذا يفيد العموم وقيل ان بعضهم عبدوا العجل وهو الصحيح وأجيب عن قوله واتخذ قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله ألم يروا (انه) يعني العجل الذي عبدوه (لا يكلمهم ولا يهدبهم سبيلا) يعني ان هذا العجل لا يمكنه أن يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يتقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جادا أو حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد (اتخذوه وكانوا ظالمين) يعني لانفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى الذي يضر وينفع واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهدبهم الى رشد وصواب قوله عز وجل (ولما سقط في أيديهم) يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على أمر سقط في يده وذلك لان من شأن من اشتد ندمه على أمر ان يعرض يده ثم يضرب على فخذه فتصير يده ساقطة لان السقوط عبارة عن النزول من أعلى الى أسفل (ورأوا أنهم قد ضلوا) يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل (قالوا لئن لم يرجنا بنا يغفر لنا) يعني يتب علينا ويتجاوز عنا (لنكونن من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما أقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على أنفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم رجهم ويرحمهم كلام التائب النادم على ما فرط منه واما ما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام اليهم وهو قوله تعالى (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا) يعني ولما رجع موسى عليه الصلاة والسلام من مناجاة ربه الى قومه في بني اسرائيل رجع غضبان أسفالا لان الله تعالى كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وان السامري قد أضلهم فكان موسى في حال رجوعه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الاسف أشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن والاسيف الحزن قال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكرهه ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ما تكرهه ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدي هاتين الحالتين حزننا والآخرى غضبا فعلى هذا كان موسى عليه الصلاة والسلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل أسفا حزين لان الله تعالى فتنهم وان الله تعالى قد أعلمه بذلك لحزن لاجل ذلك (قال) يعني موسى عليه الصلاة والسلام لقومه (بشما خلفتموني من بعدى)

الطور (الى قومه) بني اسرائيل (غضبان) حال من موسى (أسفا) حال أيضا أي حزينا (قال بشما خلفتموني) فتم مقامي وكنتم خلفائي (من بعدى) والخطاب لعبدة العجل من السامري وأشياعه وأهلهم ومن معه من المؤمنين وبدل عليه قوله اخلفني في فومي والمعنى بشما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله وحيث لم تكفوا عن عبادة غير الله وفاعل بشس مضمير يفسره ما خلفتموني

والخصوص بالذي محذوف تدرسه شس خلافة خلفتونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونبي الشركاء عنه ومن بعد ما كنت أحمل بني اسرائيل على التوحيد وكفهم عن عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما ظم الهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا (١٤٢) بسيرة المستخاف (أعجلم) أسبقتم بعبادة العجل (أمرر بكم) وهو اتيانى لكم

باتورة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طاب الذي قبل حينه وقيل عجلم بمعنى تركتم (وألقى الألواح) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضب الله وكان في نفسه شديد الغضب وكان هرون ألبن منه جانبا ولذلك كان أحب الى بني اسرائيل من موسى فمكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقى سبع واحد وكان فيمبارفغ تفصيل كل شئ وفيما بقي هدى ورجة (وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (بجره اليه) عتابا عليه لاهوانابه وهو حال من موسى (قال ابن أم) بنى الان مع الام على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم حزة وعلى وشامى لان أصله أمى خذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وانما ذكر الام لانها كانت مؤمنة ولان ذكرها دعى الى العطف (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونى) أى انى لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار ولكنهم

أى شس الف عمل فعلتم بعد فراقى اياكم وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عبدة العجل من السامري وأتباعه أو هرون والمؤمنين من بني اسرائيل فعلى الاحتمال الاول فى انه خطاب عبدة العجل يكون المعنى بشما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثانى وهو أن يكون الخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين يكون المعنى بشما خلفتموني حيث لم تمنعهم من عبادة غير الله تعالى وقد رأيتم منى الامر بتوحيد الله تعالى واخلاص العبادة له ونفى الشركاء عنه وحمل بني اسرائيل على ذلك ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخافهم وقوله (أعجلم أمرر بكم) معنى العجلة التقدم بالشئ قبل وقته ولذلك صارت مذمومة والسرعة غير مذمومة لان معناها عمل الشئ فى أول وقته وانما قيل لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه الصلاة والسلام وعلمت اليك رب لترضى ومعنى الآية أعجلمت معادركم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلمت وعدكم من الاربعين وذلك انهم قد مروا انه ان لم يات على رأس الثلاثين فقد مات وقيل معناه أعجلمت سحقكم بكم بعبادة العجل وقال الكلبي معناه أعجلمت بعبادة العجل قبل أن ياتىكم أمرر بكم * ولما ذكر الله تعالى أن موسى عليه الصلاة والسلام رجع الى قومه غضبان أسفا ذكر بعده ما أوجبه الغضب فقال تعالى (وألقى الألواح) يعنى التى فيها التوراة وكان حاملها فلقها من شدة الغضب قالت الرواة وأصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة أسباع فلما ألقى موسى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباع وبقى سبع واحد فرفع منها ما كان من أخبار الغيب وبقى ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروى أن الله تعالى أخبر موسى عليه الصلاة والسلام بقتنة قومه وعرف موسى عليه الصلاة والسلام ان ما أخبره الله سبحانه وتعالى به حق وصدق ومع ذلك لم يلق التوراة من يده فلما رجع الى قومه وعابن ذلك وشاهده ألقى التوراة وهذا كما قيل ليس الخبر كما عابته (وأخذ برأس أخيه بجره اليه) قيل انه أخذ بشعر رأسه ولحيتيه من شدة غضبه وقال ابن الانبارى لما رجع موسى عليه الصلاة والسلام ووجد قومه مقيمين على المعصية أكبر ذلك واستعظمه فاقبل على أخيه هرون بلومه ومد يده الى رأسه لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به في عرفه خبير بنى اسرائيل فيرجع ويتلافاهم فاعلمه هرون عليه السلام انه انما قام بين أظهرهم خوفا على نفسه من القتل وهو قوله تعالى (قال) يعنى هرون (ابن أم) انما قال هرون لموسى ابن أم وان كانا لآب وأم ليرققه ويستعطفه عليه (ان القوم) يعنى الذين عبدوا العجل (استضعفوني) أى استذلوني وقهرونى (وكادوا يقتلونى) أى وقاربوا أو هموا أن يقتلونى (فلا تشمت بى الاعداء) أصل الشماتة الفرح ببليمة من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بكمروه نزل به والمعنى لانسر الاعداء بما تنال منى من مكروه (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) يعنى الذين عبدوا العجل (رب اغفرلى) يعنى ان موسى عليه الصلاة والسلام لم يبين له عند أخيه هرون قال رب اغفرلى ما صنعت الى أخى هرون يريد ما أظهر من الموجدة عليه فى وقت الغضب (ولاخى) يعنى واغفر لآخى هرون ان كان وقع منه تقصير فى الانكار على عبدة العجل (وأدخلنا) يعنى جميعا (فى رحمتك) يعنى فى سعتر رحمتك (وأنت أرحم الراحمين) وهذا فيه دليل على الترغيب فى الدعاء لان من هو أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة وفيه تقوية الطمع الداعى فى نجاح طلبته (ان الذين اتخذوا العجل) يعنى الها عبدوه من دون الله (سينالهم غضب

من استضعفوني وهو واقتلنى (فلا تشمت بى لاعداء) الذين عبدوا العجل أى لا تفعل بى ما هو أمئنتهم من الاستهانة بى والاساءة الى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى فى ينالهم بغضبك على فلما أتضح له عند أخيه (قال رب اغفرلى ولاخى) ليرضى أخاه وبنى الشماتة عنه باسرا كه معه فى الدعاء والمعنى اغفرلى ما فرط منى فى حق أخى ولاخى ان كان فرط فى حسن الخلافة (وأدخلنا فى رحمتك) عصمتك فى الدنيا وجنتك فى الآخرة (وأنت أرحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل) الها سينالهم غضب

من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) يعني سبناهم عقوبة من ربهم وهو ان يسب كفرهم وعبادتهم العجل وذلك في عاجل الحياة الدنيا ثم للفسرين في هذه الآية قولان أحدهما ان المراد بالذين اتخذوا الجمل الذين باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الآية سؤال وهو أن ولتلك الاقوام الذين اتخذوا الجمل تابوا الى الله تعالى بقتلهم أنفسهم كما أمر الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة والجواب أن ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو اسلامهم أنفسهم للقتل واعترا فمهم على أنفسهم بالضللال والخطأ فان قلت السين في قوله سيدنا لهم للاستقبال فكيف تكون للماضى قلت هذا الكلام انما هو خبر عمما أخبر الله به موسى عليه الصلاة والسلام حين أخبره بافتتان قومهم واتخاذهم الجمل ثم أخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذي أمرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جرير في هذه الآية ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على عبادة الجمل لمن فر من القتل وهذا الذي قاله ابن جرير وان كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا الجمل اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآباؤهم هم الذين عبدوا الجمل وأراد بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية العوفي سينال أولاد الذين عبدوا الجمل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد بالغضب والذلة ما أصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلد وعلى هذا القول ففي تقرير الآية وجهان الاول ان العرب تعبر الابناء بقبح أفعال الآباء كما تفعل ذلك في المناقب فتقول للابناء فعلتم كذا وفعلمتم كذا وانما تفعل ذلك من مضي من آباءهم فكذلك ههنا وصف اليهود الذين كانوا على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا الجمل وان كان آباؤهم فعلاوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا لوجه الثاني ان تكون الآية من باب حذف المضاف والمعنى ان الذين اتخذوا الجمل وباشروا عبادته سينال أولادهم الخ ثم حذف المضاف للدلالة الكلام عليه ﴿﴾ وقوله تعالى (وكذلك نجزي المفترين) يعني وكما جزينا هؤلاء الذين اتخذوا الجمل الها نجزي كل من افترى على الله كذبا وعبد غيره وقال أبو قلابة هي والله جزاء كل مفتر الى يوم القيامة ان يذله الله وقال سفيان بن عيينة هذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك بن أنس ما من مبتدع الا هو يجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية قال والمبتدع مفعول في دين الله (والذين عملوا السيئات) يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب صغير وكبير حتى الكفر فسادونه (ثم تابوا من بعدها) يعني ثم رجعوا الى الله من بعد عملهم السيئة (وآمنوا) يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل توبة التائب ويعفر الذنوب (ان ربك) يا شجدا وأيا أيها الانسان التائب (من بعدها) يعني من بعد توبتهم (اغفور رحيم) يعني انه تعالى يعفر الذنوب ويرحم التائبين وفي الآية دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يعفرها جميعا بفضلها ورحمته وتقدير الآية ان من أتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله وأخلص التوبة فان الله يعفرها له ويتقبل توبته وهذا من أعظم البشائر للذنبين التائبين ﴿﴾ قوله تعالى (ولما سكنت عن موسى الغضب) يعني سكن لان السكوت أصله الامساك عن الشيء ولما كان السكوت بمعنى السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بغور ربه داعي ما في نفس المغضب كان بمنزلة الناطق فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به وقيل معناه ولما سكنت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول أدخات القاموسة في رأسى والمعنى أدخات رأسى في القاموسة والقول الاول أصح لانه قول أهل اللغة والتفسير (أخذ الاواح) يعني التي ألقاها قال الامام غير الدين وظاهر هذا يدل على ان الاواح لم تنكسر ولم يرفع من التوراة

من ربهم) هو ما أمروا به من قتل أنفسهم توبة (وذلة في الحياة الدنيا) خروجهم من ديارهم فالغربة نذل الاعناق أو ضرب الجزية عليهم (وكذلك نجزي المفترين) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري هذا الحكم واله موسى (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصي (ثم تابوا) رجعوا الى الله (من بعدها وآمنوا) وأخلصوا الإيمان (ان ربك من بعدها) أي السيئات أو التوبة (اغفور) استور عليهم محاملا كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وان مع اسمها وخبرها خبر الذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو الجمل وغيرهم عظم جنايتهم وألثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وان عظمت فغفوه أعظم ولما كان الغضب لشده كان نحو الأمر لموسى بما فعل قيل (ولما سكنت عن موسى الغضب) وقال الزجاج معناه سكن وفرى به (أخذ الاواح)

شيء (وفي نسختها) النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نقلت ما في الأصل الى الفرع فعلى هذا قيل أراد بها الألواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل أراد بها النسخة المكتوبة من الألواح التي أخذها موسى بعد ما تكسرت وقال ابن عباس وعمر بن دينار لما أتى موسى الألواح فتكسرت صام أربعين يوما فردت عليه في لوحين وفيهما ما في الأولى بعينها فيكون نسخها نقلها وعلى قول من قال ان الألواح لم تكسر وأخذها موسى بعينها بعد ما ألقاها ليكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها (هدى ورجة) قال ابن عباس يعني هدى من الضلالة ورجة من العذاب (للذين هم لهم رهبون) يعني للخائفين من ربهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا) الاختيار افعال من افظ الخيار يقال اختار الشيء اذا أخذ خيريه وخياره والمعنى واختار موسى من قومه خذف كلمة من وذلك سائغ في العربية للدلالة الكلام عليه قال أصحاب الاخبار ان موسى عليه الصلاة والسلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر فكانوا ثنتين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد يوشع بن نون وكاب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الاستين شيخا فاجى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة فاخترهم فأصبحوا أشيوخا فأمرهم أن يصوموا ويطهروا ويطهروا واثابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف أهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسأل فيه الرؤية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء أخدمه هؤلاء السبعين فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى أحاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو يكلم موسى بأمره وينهاذ ففعل كذا لاتفعل كذا فلما انكشف الغمام أقبلوا على موسى وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية وقال السدي ان الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختر موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذر وافلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهره فانك قد كلمته فارناه فأخذتهم الصاعقة فاتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا أقول ابني اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا ونظفروا واطهروا واثابكم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكرى حين فعلوا ما أمرهم به وخرجوا مع موسى لميقات ربه اطبل لنا سمع كلام ربنا فقال افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى غشى الجبل كله ودنا موسى فدخلك فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه به وقع على جبهته نور ساظم لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى بأمره وينهاذ ففعل كذا لاتفعل كذا فلما فرغ من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل اليهم فقالوا له ان نؤمن لك حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فاتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله أمر موسى أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختر سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا بهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم اعطنا ما لم نعطه أحد اقبلنا ولا نعطه أحد ابعدا ففكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي وقيل انما أخذتهم الرجفة من أجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هرون قال علي بن أبي طالب انطلق موسى وهرون الى سفح جبل فنام هرون على سر برقتوا فاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له انت قتلته حسدنا على خلقه وامينه وكان هرون حسن الخلق محببا في

الى ألقاها (وفي نسخها) وفيما نسخ منها أي كتب فعلة بمعنى مفعول كخطبة (هدى ورجه للذين هم لهم رهبون) دخات اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (واختار موسى قومه) أي من قومه خذف الجار وأصل الفعل (سبعين رجلا) قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعد كالب ويوشع (لميقاتنا) لا اعتذارهم عن عبادة العجل

(فلما أخذتهم الرجفة)
الزلزلة الشديدة (قال رب
لوشئت أهلكتهم من
قبل) بما كان منهم من
عبادة العجل (واياي)
لقتلى القبطي (أنه لكاننا
بما فعل السفهاء منا)
أنه لكاننا عقوبة بما فعل
الجهال منا وهم أصحاب
العجل (ان هي الافتنتك)
ابتلاؤك وهو راجع الى
قوله ان اقدفتنا قومك من
بعدك فقال موسى هي
تلك الفتنة التي أخبرني
بها وهي ابتلاء الله تعالى
عباده بما شاء ونبلوكم
بالشر والخير فتنة (تفضل
بها) بالفتنة (من تشاء) من
علمت منهم اختيار الضلالة
(وتهدى) بها (من تشاء)
من علمت منهم اختيار
الهدى (أنت ولينا) مولانا
القائم بأمورنا (فاغفر لنا
وارحنا) أنت خير الغافرين
واكتب لنا) وأثبت لنا
وأقسم (في هذه الدنيا
حسنة) عافية وحياة طيبة
أر توفيقنا الطاعة (وفي
الآخرة) الجنة (انا هدنا
اليك) تبنا اليك وهاد
اليك يهودا ذر جمع وتاب
والهود جمع هائد وهو
التاب

بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شئتم فاختروا سبعين رجلا فلما اتهموا اليه قالوا يا هرون من قتلتك
قال ما قتلتني أحد ولكن الله توفاني فاخذتهم الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول رب لو شئت
أهلكهم من قبل واياي الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل وانما أخذتهم الرجفة لئلا يترجمهم فراق عبدة العجل
لأنهم كانوا من عبدة قال ابن عباس انما اتناواتهم الرجفة لانهم لم يزيالوا القوم حين نصبوا العجل وما كرهوا
أن يجامعوهما عليه قال ابن جريج فلما خرجوا ودعوا الله أماتهم ثم أحياهم. وقال مجاهد واختر موسى قومه
سبعين رجلا ليقاتنا الميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله
ويسألونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصاب قومهم وقال
محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوه عن المنكر ولم يأمرهم بالمعروف فاخذتهم
الرجفة فأتوا ثم أحياهم الله ﷻ وقوله تعالى (فلما أخذتهم الرجفة) أصل الرجف الاضطراب الشديد الذي
يحصل معه التغيير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء هل كان معهم موت أم لا فعظم
الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة. وقال وهب بن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن
القوم لما رأوا تلك الهيئة أخذتهم الرعدة وقلقوا ورجعوا حتى كادت أن تبين مفاصلهم فلما رأى موسى ذلك
رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه ففقدهم وكانوا له وزرا على الخير ساءه من له مطيعين فعند ذلك دعا
موسى وبكى وناشده به فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمأنوا وسمعوا كلام الله فذلك قوله تعالى فلما
أخذتهم الرجفة (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (لوشئت أهلكتهم من قبل) يعني من قبل عبادتهم
العجل (واياي) وذلك أنه خاف أن يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذ رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه
بانهم ما نوافوا قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرائيل
يعانيون ذلك ولا يتهموني (أنه لكاننا بما فعل السفهاء منا) قال الفراء ظن موسى أنهم أهلكوا باختيار أصحاب
العجل فقال أنه لكاننا بما فعل السفهاء منا يعني عبدة العجل وانما أهلكوا بسبب مسئلتهم الرؤية وهي
قولهم أرنا الله جهرة وهذا قول الكلبي وجماعة وقال جماعة من أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله
تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم ولكن قوله أنه لكاننا بما فعل السفهاء منا استفهام بمعنى الحمد أي لست تفعل
ذلك وهذا قول ابن الانباري وقال المبرد هذا استفهام استعطاف أي لا تهلكنا (ان هي الافتنتك) قال
الواحدى السكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الازيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء
لم تكن الافتنتك أي اختبارك وابتلاءك وهذا تارة كيد قوله أنه لكاننا بما فعل السفهاء منا لان معناه
لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاءا أضلت بها قومنا فافتقدوا هديت قومنا فصمتهم
حتى ثبتوا على دينك وهو المراد من قوله (تضل بهما من تشاء وتهدى من تشاء) قال الواحدى وهذه الآية
من الحجج الظاهرة على القدرة التي لا يبق لهم معها عذر (أنت ولينا) يعني أنت يارب بنانا صرنا وحافظنا وهذا
يفيد الحصر أي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ الا أنت (فاغفر لنا) سأل موسى عليه الصلاة والسلام انفسه
ولقومه الغفران أما لنفسه فاقوله ان هي الافتنتك وهذا فيه اقدم على الحضرة المقدسة وأما قومه فلقوله
أرنا الله جهرة وفي هذا اقدم على الحضرة المقدسة فلماذا سأل موسى عليه الصلاة والسلام الغفران له
ولقومه (وارحنا) أي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شئ (وأنت خير الغافرين) يعني ان كل من سواك انما
يعفر الذنوب طلبا للثناء الجميل أو لدفع ضرر أو ما أنت يارب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب عوض ولا غرض
بل لمحض الفضل والكرام فانت خير الغافرين ﷻ قوله تعالى (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة)
يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة أي واجعل لنا من كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال
الصالحة وفي الآخرة أي واكتب لنا في الآخرة مغفرة لذنوبنا (انا هدنا اليك) قال ابن عباس معناه انا تبنا

اليك وهذا قول جميع المفسرين وأصل اليهود الرجوع برفق قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح
قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهو لازم لهم (قال) يعني قال الله عز وجل لموسى عليه
الصلاة والسلام (عذابي أصيب به من أشاء) يعني من خلقي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي
وعبيدي ومن تصرف في خالص حقه فليس لاحد عليه اعتراض (ورحمتي وسعت كل شيء) يعني ان رحمتي
سبحانه وتعالى عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام أريد به الخاص فرحة الله عمت البر والفاجر في
الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الآخرة وقيل هي للمؤمنين خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر برزق
ويدفع عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين
لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال أنا من ذلك الشيء فنزعها الله تعالى من ابليس فقال
تعالى (فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) فإس ابليس منها وقالت
اليهود نحن نتق ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود وأثبتها لهذه الامة فقال تعالى الذين
يتقون الرسول النبي الامي الآية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله تعالى
لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تاملون حيث أدركتكم الصلاة الا عندم مرضاض أو جمام أو قبر
واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرأون التوراة عن ظهر قلوبكم يقرؤها الرجل والمرأة والحر والعبد
والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلى الا في الكنائس ولا نستطيع حل السكينة
في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نظر اقال الله تعالى فسأ كتبها
للذين يتقون الى قوله المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال موسى رب اجعلني نبيا منهم قال
اجعلني منهم قال انك لن ندركهم قال موسى يارب أتينك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله
تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى أما التفسير بقوله الذين يتقون يعني
الشرك وسائر ما هو اعنه لان جميع التكليف محصورة في نوعين الاول التروك وهي الاشياء التي يجب على
الانسان تركها والاحترار عنهما ولا يقربها واليه الاشارة بقوله تعالى للذين يتقون والثاني الافعال المأمور
بها وتلك الاعمال بدنية وقلبية أما البدنية فالها الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه الآية وان كانت في حق
المال لكن يختص البدن باخراجها والاعمال القلبية كالإيمان والمعرفة والها الاشارة بقوله تعالى والذين
هم بآياتنا يؤمنون ﴿١﴾ وقوله عز وجل (الذين يتقون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل) ذكر الامام فخر الدين الرازي في معنى هذه التبعية وجهين أحدهما أن المراد بذلك ان
يتبعوه باعتراف نبوته من حيث وجدوا وصفته في التوراة اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى
الخلق وفي قوله والانجيل أن المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما أنزل الله
الانجيل الوجه الثاني أن المراد من الحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان
هؤلاء اللاحقين لا يكتب لهم رحمة الآخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول أقرب لان اتباعه قبل ان يبعث
لا يمكن فبين بهذه الآية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بآيات
الله في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ومن كانت هذه صفته في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع
ذلك متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتقون الرسول
من بني اسرائيل خاصة وجهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم جميع امة الذين آمنوا به
واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل أو غيرهم وأجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه
وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالته وأمره ونواهيته وشرائعه اليهم ثم
وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من أعلى المراتب وأشرها وذلك بدل على انه رفيع الدرجات عند الله المخبر عنه ثم

(قال عذابي) من صفته اني
(أصيب به من أشاء) أي
لا أعف عنه (ورحمتي
وسعت كل شيء) أي من
صفه رحمتي أنها واسعة تبلغ
كل شيء ما من مسلم ولا كافر
الا وعليه أثر رحمتي في الدنيا
(فسأ كتبها) أي هذه
الرحمة (للذين يتقون)
الشرك من أمة محمد صلى
الله عليه وسلم (ويؤتون
الزكاة) المفروضة (والذين
هم بآياتنا) بجميع كتبنا
(يؤمنون) لا يكفرون
بشيء منها (الذين يتقون
الرسول) الذي نوحى اليه
كتبا يختص به وهو القرآن
(النبي) صاحب المعجزات
(الامي الذي يجدونه) أي
يجدونه أولئك الذين
يتبعونه من بني اسرائيل
(مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل)

وصفه بالامى قال ابن عباس هو نبىكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامى هو الذى على صفة أمة العرب لان العرب أكثرهم لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسب قال النبى صلى الله عليه وسلم كان كذلك فلماذا وصفه الله تعالى بكونه أميا وصرح في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال نحن أمة أمية لاننا كتب ولا نحسب قال أهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان أميا من أكبر معجزاته وأعظمها وبيانه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا الكتاب العظيم الذى أعجزت الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه أتى بهذا القرآن العظيم لكان منها فيه لاحتمال أنه كتبه ونقله عن غيره فلما كان أميا وأتى بهذا القرآن العظيم الذى فيه علم الاولين والآخرين والمعجيات دل ذلك على كونه معجزته صلى الله عليه وسلم وأيضا فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه أتى بهذه الشريعة الشريفة والأداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقائق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على أحد فدل ذلك على كونه معجزته صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامى الذى هو منسوب الى أمة كأنه لم يخرج بعد عما ولدته عليه وقيل سمي أميا لانه منسوب الى أم القرى وهى مكة وقوله تعالى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يعنى يجدون صفته وبعثه ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماءهم وأخبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا فى الذل والهوان (خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة فقال أجل انه لم يوصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يأبىها النبى ان أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحزرا للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يدفع بالسينة السبئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفا

شرح غريب ألفاظ الحديث

(يا أمرهم بالمعروف)
 بجمع الأنداد وانصاف
 العباد (وينهاهم عن
 المنكر) عبادة الاصنام
 وقطيعه الارحام (ويحل
 لهم الطيبات) ما حرم
 عليهم من الاشياء الطيبة
 كالشحوم وغيرها أو ما
 طاب فى الشريعة مما ذكر
 اسم الله عليه من الذبائح
 وما خلا كسبه من
 السحت (ويحرم عليهم
 الخبائث) ما يستخبث
 كالدوم والميتة ولحم الخنزير
 وما أهل غير الله به أو ما خبث
 فى الحكم كالربا والرشوة
 ونحوها من المكاسب
 الخبيثة (ويضع عنهم
 اصرهم) هو النقل الذى
 ياصر صاحبه أى يحبس
 عن الحراك لثقله والمراد
 التكليف الصعبة كقتل
 النفس فى نوبتهم وقطع
 الاعضاء الخاطئة اصرهم

الفظ السبى الخلق والغليظ الجافى القاسى وقوله سخاب بالسين والصاد وهو كثير الصياح فى الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة وأراد بالملة العوجاء الكفر والقلب الاغلف الذى لا يصل اليه شئ ينفعه شبهه بالاغلف كأنه فى غلاف وروى البغوى بسنده عن كعب الاحبار قال أتى أجدى التوراة مكتوبا بمحمد رسول الله لفظ ولا غليظ ولا سخاب فى الاسواق ولا يجزى بالسينة ولكن يعفوا ويصفح أمته الحامدون يحمدون الله فى كل نزلة ويكبرونه على كل نجد يأتزرون على أنصافهم ويغضون أطرافهم صفهم فى الصلاة وصفهم فى القتال سواء منادىهم بنادى فى جوف السماء لهم فى جوف الليل دوى كدوى النحل مولده بكرة ومهاجرة بطيبة وملكه بالشام وقوله تعالى (يا أمرهم بالمعروف) يعنى بالايمان وتوحيد الله (وينهاهم عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل المعروف ما عرف فى الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة وقال عطاء يا أمرهم بالمعروف بجمع الأنداد وبكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عن عبادة الاوثان وقطع الارحام (ويحل لهم الطيبات) يعنى بذلك ما كان محرما عليهم فى التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقرة وقيل هو ما كانوا يحرمونه على أنفسهم فى الجاهلية من البجائر والسواب والوصائل والحوامى وقيل هى المستلذات التى تستطهها النفس (ويحرم عليهم الخبائث) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ايد الميعة والهم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستهقره النفس فان الاصل فى المضار الحرمه الاماله دليل متصل بالحل (ويضع عنهم اصرهم) يعنى ثقاهم وأصل الاصر الثقل الذى ياصر صاحبه أى يحبس عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذى أخذ على بنى اسرائيل

أن يعملوا بما في التوراة من الاحكام فكانت تلك الشدائد (والاغلال التي كانت عليهم) بمعنى ويضع الاثقال والشدائد التي كانت عليهم في الدين والنشر بعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وفرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم أخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجتمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاء محمد عليه الصلاة والسلام نسخ ذلك كما ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة (فالذين آمنوا به) يعني بمحمد عليه الصلاة والسلام (وعزروه) يعني وقرروه وعظوه وأصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه وهو قوله (ونصروه) يعني على أعدائه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) يعني القرآن سمي القرآن نورا لان به يستنير قلوب المؤمن فيخرج به من ظلمات الشرك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم (أولئك هم المفلحون) يعني هم الناجون الفائزون بالهداية ﷺ قوله تعالى (قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا الى بعضكم دون بعض ففي الآية دلائل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا أيها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم أمره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس (ق) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خصالا يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أمة وأسر وأحوال في الغائم ولم تحل لأحد قبلي وجاءت الى الارض طيبة وظهر اورا ومسجد افايمار جل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين يدي مسيرة شهر وأعطيت الشفاعة وفي رواية أعطيت خصالا يعطهن أحد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وظهورا فافيمار جل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحوال لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقوله في الرواية الاولى وبعثت الى كل أمة وأسر وأحوال بالاجر الحميم وبالاسود العرب وقيل أراد بالاجر الانس وبالاسود الجن فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بستة اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحوال لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وظهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون ﷺ وقوله تعالى (الذي له ملك السموات والارض) لما أمر الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا أرده بما يدل على صحة دعواه يعني أن الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما وملك أمرهما هو الذي أرسلني اليكم وأمرني بان أقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا (لا اله الا هو يحيي ويميت) وصف الله نفسه بالالهية وأنه لا شريك له فيها وأنه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو المتأدري على ارسال الرسل الى خلقه (فآمنوا بالله ورسوله) لما أمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا أمر الله جميع خلقه بالايمان به ورسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله فرع عنه فلهذا ابدأ بالايمان بالله ثم نثي بالايمان برسوله فقال فآمنوا بالله ورسوله ثم وصفه فقال تعالى (النبي الامي) تقدم معناهما (الذي يؤمن بالله وكلماته) قال قتادة يعني آياته وهو القرآن وقال مجاهد والسدي أراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خالق

شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل لازومها لزوم الغل (فالذين آمنوا به) بمحمد صلى الله عليه وسلم (وعزروه) وعظموه أو منعه من العدو وحتى لا يقوى عليه عدو وأصل العز المنع ومنه التعزير لانه منع عن معاودة القبيح كالحمد فهو المنع (ونصروه) واتبعوا النور الذي أنزل معه) أي القرآن ومع متعاقب بآبوعوا أي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته (أولئك هم المفلحون) الفائزون بكل حدير والناجون من كل شر (قل) يا أيها الناس اني رسول الله اليكم) بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن (جميعا) حال من اليكم (الذي له ملك السموات والارض) في محل النصب باضمار أعني وهو نصب على المدح (لا اله الا هو) بدل من الصلاة وهي له ملك السموات والارض وكذلك (بجي) ويميت) وفي لاله الا هو بيان للجمله قبلها لان من

بقوله كن فكان وقيل هو على العموم يعني يؤمن بجميع كلمات الله تعالى (واتبعوه) يعني واقبلوا به أيها الناس فيما يامرهم به وينهاهم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال أما المتابعة في الاقوال فبأن يمثل التابع جميع أموره المتبوع على طريق الامر والنهي والترغيب والترهيب وأما المتابعة في الافعال فبأن يقتدي به في جميع أفعاله وآدابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه ﴿وقوله تعالى (اعلمكم تهتدون) يعني لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا الحق والصواب في متابعتكم اياه﴾ قوله عز وجل (ومن قوم موسى) يعني من بني اسرائيل (أمة) أي جماعة (يهدون بالحق) يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به يرشدون اليه (وبه يعدلون) يعني وبالحق يحكمون وبالعدل يأخذون ويعطون ويتصفون ويختلفون في هؤلاء من هم فقيل هم الذين أسلموا من بني اسرائيل مثل عبد الله بن سلام وأصحابه فانهم آمنوا بموسى والتوراة وآمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واعترض على هذا بانهم كانوا قلوبا بين لفظ الامة يقتضى الكثرة وأجيب عنه بانهم لما كانوا مختلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن جرير وجاعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جرير قال ابن عباس ساروا في السرب سنة ونصف اراه الطبري وحكي البغوي عن السكبي والضحاك والربيع قالوا هم قوم خاف الصين باقصى الشرق على نهر يسمى نهر الاردن ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يظرون بالليل ويصيحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم أحد منا وهم على الحق وذكرنا ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء فساكنهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تسكاهون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أو صاننا من أدرك منكم أحد فليقرأ مني عليه السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوم موسى وأقرأهم عشر سور من القرآن نزلت عليه بمكة وأمرهم بالصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا ما كانوا يسيئون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول قولهم ان أحدنا لا يصل اليهم وإذا كان كذلك فن ذا الذي أوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء به وهذا لم يرد به نقل صحيح ولا رواه أحد من أئمة الحديث ولا يلتفت الى قول الاخبار بين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج أنه سلم عليه في السماء السادسة وأيضا قولهم وأقرأهم عشر سور وقد نزل عليه بمكة أكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم بها قبل فرضيتها فاذا ثبت بما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالتحتم في تفسير هذه الآية انها اما أن تكون نزلت في قوم كانوا متسكين بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما أن تكون قد نزلت فيمن أسلم من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وأصحابه والله أعلم به راده ﴿وقوله تعالى (وقطعناهم) يعني وفرقنا بني اسرائيل (اثنتي عشرة أسباطا) يعني من أولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل وأولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا (أما) يعني جماعات وقبائل (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه) يعني في التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانجست) يعني فانفجرت وقيل عرفت وهو الانبجاس (منه) أي من الحجر (اثنتا عشرة عينا) يعني لكل سبط عين (قد علم كل أناس مشر بهم)

عليه ولد في الالتفات من مزينة البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص الموصوف بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كما ان كان أنا أو غيري اظهار النصفة ونفاد يامن العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق) أي يهدون الناس محققين أو بسبب الحق الذي هم عليه (وبه يعدلون) وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام واضرا به (وقطعناهم) وصيرناهم قطعاً أي فرقا وميزنا بعضهم من بعض (اثنتي عشرة أسباطا) كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام نعم يميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغي أن يقال اثني عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أما) بدل من اثنتي عشرة أي وقطعناهم أما لان كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى (وأوحينا الى موسى اذا استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر) فاضرب (فانجست) فانفجرت (منه) أي من كل أناس مشر بهم) هو اسم جمع غير تكسير

(وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم في التيه (وأزلنا) عليهم المن والسوى) وقلنا لهم (كأولئك الذين ظلموا فمما ظلمناهم) أي وما رجع اليها من ظلمهم (١٥٠) بكفرانهم النعم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع

يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم (وظللنا عليهم الغمام) يعني في التيه يقبهم حر الشمس (وأزلنا عليهم المن) هو التريجين (والسوى) جنس من الطير جعل الله ذلك طعاما لهم في التيه (كأولئك الذين ظلموا فمما ظلمناهم) أي وقلنا كلاً (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) في الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلاً من طيبات ما رزقناكم فاجوا ذلك وشموه وقالوا لنصبر على طعام واحد وسألوه غيره لأن المكاف إذا أمر بشئ فتركه وعدل عنه إلى غيره يكون عاصياً بفعله ذلك فلهمذا قال وما ظلمونا يعني وما أدخلوا علينا في ما كنا وساطنا نقصاً بمسئلتهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما أمر به وقد تقدم بسط الكلام على هذه الآية في سورة البقرة ﴿وقوله تعالى (واذ قيل لهم) يعني واذا كرم يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني ابني اسرائيل (اسكنوا هذه القرية) يعني بيت المقدس وقال في سورة البقرة اذ دخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لأن كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول اليه (وكاوا منها حيث شئتم) يعني وكاوا من ثمار القرية وزرعها وحبها وبقولها حيث شئتم وأين شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهذا بالواو والفرق بينهما أن الدخول حالة مقتضية للدخول فحسن دخول الفاء التي هي للتعقيب ولما كانت السكنى حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصل امتنى شأوا وإنما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لأن الاكل عقب الدخول ألدواً كمل فاما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن دخول لفظه رغداً هنا (وقولوا حطة) أي حط عنادنا بنا (وادخلوا الباب سجداً) وقال في البقرة عكس هذا اللفظ ولا منافاة في ذلك لأن المقصود من ذلك تعظيم أمر الله وظهار الخضوع والخشوع له فلم يتفاوت الحال بسبب التقديم والتأخير (نغفر لكم خطيئاتكم) يعني نغفر لكم ذنوبكم ولم نؤاخذكم بها وإنما قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لأن المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة أو كثيرة إذا أتوا بالدعاء والتضرع (سنزيد المحسنين) وقال في سورة البقرة وسنزيد بالواو ومعناه أنه قد وعد المسبيين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يتخل بهذا المعنى لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فليل له سنزيد المحسنين (فبديل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم) يعني فغير الذين ظلموا أنفسهم بمخالفة أمرنا من بني اسرائيل فقالوا قولاً غير الذي قيل لهم وأمرنا به وذلك أنهم أمرنا أن يقولوا حطة فقالوا حطة في شريعة فكان ذلك تبدلهم وتغييرهم (فأرسلنا عليهم رجماً من السماء) يعني بعنا عليهم عناداً من السماء أهلكتهم ولا منافاة بين قوله تعالى هذا أرسلناو بين قوله في سورة البقرة أنزلنا انهما لا يكونان الا من أعلى إلى أسفل وقيل بينهما فرق وهو أن الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكأنه تعالى بدأ بانزال العذاب قليلاً ثم أرسله عليهم كثيراً (بما كانوا يظلمون) يعني أن ارسال العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما أنهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة أيضاً في تفسير سورة البقرة ﴿وقوله عز وجل (واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي سل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك عن حال أهل القرية وهذا السؤال سؤال توخيح وتقرير يسألون استفتاهم لأنه عليه الصلاة والسلام كان قد علم حال أهل هذه القرية بوحى الله عز وجل اليه واخباره اياهم بحالهم وإنما المقصود بهذا السؤال تقرير اليهود على اقدامهم على الكفر والمعاصي قديماً وان اصرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومجزاته ليس شيئاً قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصلًا لاسلافهم في قديم الزمان وفي الاخبار

وبال ظلمهم اليهم) واذ قيل لهم) واذ كرا ذقيل لهم (اسكنوا هذه القرية) بيت المقدس (وكاوا منها حيث شئتم وقولوا حطة) وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطاياكم) تغفر لكم مدني وشاحي خطيئاتكم مدني خطاياكم أبو عمر وخطيئتمكم شاحي (سنزيد المحسنين فبديل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجماً من السماء بما كانوا يظلمون) ولاتناقض بين قوله (اسكنوا هذه القرية وكاوا منها في هذه السورة) وبين قوله في سورة البقرة اذ دخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخرجوها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعده بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يتخل بذلك لأنه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فليل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم

(اذيعدون في السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه اذ يعدون في محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألمهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من (١٥١) بدل الاشتغال (اذ تأنبهم) منصوب بيعدن

أوبدل بعد بدل
(حيثانهم) جمع حوت
أبدلت الواو ياء لسكونها
وانكسار ما قبلها (يوم
سبتهم شرعا) ظاهرة على
وجه الماء جمع شارع حال
من الحيتان والسبت
مصدر سبت اليهود اذا
عظمت سبتها بترك الصيد
والاشتغال بالتعبد والمعنى
اذيعدون في تعظيم هذا
اليوم وكذا قوله يوم
سبتهم معناه يوم تعظيمهم
أمر السبت ويدل عليه
(ويوم لايسبتون
لأناتبهم) ويوم ظرف
لأناتبهم) كذلك نبأهم
بما كانوا يفسقون) مثل
ذلك البلاء الشديد
نبأهم بفسقهم (واذ
قالت) معطوف على اذ
يعدون وحكمه حكمه في
الاعراب (أمة منهم)
جماعة من صلحاء القرية
الذين أسوا من وعظهم
بعد ما ركبوا الصعب
والذلول في موعظتهم
لآخرين لا يتقلعون عن
وعظهم (لم تعظون قوما
الله مهلكهم أو معذبهم
عذابا شديدا) وانما قالوا ذلك
لعلمهم ان الوعظ لا ينفع
فيهم (قالوا معذرة الى ربكم)
أي موعظتنا بالبلاء عذرا الى

بهذه القصة مجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا لا يقرأ الكتب القديمة ولم يعرف أخبار الاولين ثم أخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم أمر الله عز وجل مسخوا قرده وخنزير واختلقوا في هذه القرية فقال ابن عباس ٢ هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب وقيل بين مدن والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين وقال وهب هي ما بين مدين وعيونى يعنى القرية التي كانت على ساحل البحر وقرية منه (اذيعدون في السبت) يعنى يتجاوزون حد الله فيه وما أمرهم به من تعظيمه فخالفوا أمر الله وصادوا فيه السمك (اذ تأنبهم) حيثانهم يوم سبتهم شرعا) يعنى ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك تأنبهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تأنبهم يوم السبت مثل الكباش البيض السماء (ويوم لايسبتون لأناتبهم) يعنى الحيتان (كذلك نبأهم) يعنى مثل هذا الاختبار الشديد يختبرهم ونحن أعلم بحالهم (بما كانوا يفسقون) يعنى ان ذلك الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله وما أمره به قال أهل التفسير ان اليهود أمر وايوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وهو أن الله أمرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما أراد الله أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم ترى السبت المقبل فلما ابتلوا به وسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فالتخذوا حياضا على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد خذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم أتتهم تجردا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا فيه وأكلوا باعوا وصار أهل القرية آخر ابا ثلاثة وكانوا نحو من سبعين ألفا فالتفتوا عن الاصطياد وثبت سكتوا ولم ينهوا وقالوا للناهيين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثبت هم أصحاب الخطيئة الذين خالفوا أمر الله واصطادوا وأكلوا باعوا فلما لم ينهوا عمالهم فيه من المعصية قال الناهون لانسألكم في قرية واحدة فقسّموا القرية بينهم بحدار للناهيين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب وانهم داود عليه الصلاة والسلام وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا ان لهم لسانا لعل الخمر قد غلبتهم فمأوا على الجدار الذى بينهم فاذا هم قد مسخوا قرده ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القرية يعرفون أنسابهم من الناس ولم يعرف الناس أنسابهم من القرية فعملت القرية تانى أنسابهم من الناس فنشتم ثيابها فيقول لهم أهلوهم ألم تنهكم فقول القرية برأسها نعم فنجبا الناهون وهلك سائرهم فذلك قوله تعالى (واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم) واختلفوا في القائلين هذه المقالة فقال بعض المفسرين ان أهل القرية افتروا ثلاث فرق فرقة اعتدت وأصاب الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل وفرقة أمسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهيين لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يعنى انهم لا موهبهم على موعظة قوم يعامون أنهم غير متعظين ولا منجزين فقالت الفرقة الناهية للذين لا موهب معذرة الى ربكم يعنى ان موعظتنا يا هم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فوعظتنا لهؤلاء عذر لنا عند الله (واعلمهم بتقون) أى وجائز عندنا أن يتفجعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان أهل القرية كانوا فرقتين فرقة نهت وزجرت عن السوء وفرقة عملت بالسوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك ان الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية انتم واقبل ان ينزل بكم عذاب شديد ان لم تنهوا عما أتم فيه

الله لئلا ينسب في النهى عن المسكر الى التفريط معذرة حفص على انه مفهول له أى وعظناهم لامعذرة (واعلمهم بتقون) واطمعنا في أن يتقوا ٢ (قوله هي قرية بين مصر والمدينة والمغرب) في نسخة هي ايلة بين مصر والمدينة والعرب تسمى المدينة قرية وقال الزهري الخ اه

ينهون عن السوء) عن العذاب الشديد (وأخذنا الذين ظلموا) الراكبين للذنوب والذين قالوا لم نعظون من التاجين فعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بعذاب بثيس) شديد يقال بؤس يبؤس ما إذا اشتد فهو بثيس بش شامى يس مدنى يبس على وزن فيعل أبو بكر غير حماد (بما كانوا يفسقون فلما عتوا ما هو اعنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تنكروا بقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ قيل صار الشيطان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على انها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (وإذ نادى ربك) أى أعلم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجب به القسم وهو قوله (ليبعثن عليهم) أى كتب على نفسه يسلطن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم) من ايهم (سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى الجوس الى أن بعث محمد صلى الله

فقال لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا والمعنى لم تعظونا وقد علمتم ان الله مهلكنا أو منزل بنا عذابه والقول الاول أصح لانهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة الى ربكم خطا بامن الناهية للمعتدية وقوله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به) أى فلما تركوا ما وعظوا به (أنجينا الذين ينهون عن السوء) وهم الفرقة الناهية (وأخذنا الذين ظلموا) يعنى الفرقة المعتدية العاصية (بعذاب بثيس) أى شديد وجيع من البأس وهو الشدة (بما كانوا يفسقون) يعنى أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا وروى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بثيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلنى الله فداءك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم نعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم قال فأعجبني قولى ورضى به وأمرلى يبردين فكسا نيهما وقال نجت الساكتة وقال يعان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم نعظون والذين قالوا معذرة وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه الآية أشد آية فى ترك النهى عن المنكر وقوله تعالى (فلما عتوا عما نهوا عني عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا فى العصيان والعتو عبارة عن لباة والعصيان والمعنى فلما عتوا عما نهوا عني عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا فى العصيان من اعتدائهم فى السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك فى يوم السبت وأكله) قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يعنى صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة لما عتوا عما نهوا عنه مسخهم الله فصيروهم قردة تتعاضى بعدما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فرزعهم ابن شبان القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير بقيل انهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس اليهم ثم هلكوا جميعا وقوله تعالى (وإذ نادى ربك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى نادى نادى بالاذن والاعلام يعنى أعلم ربك وقيل معناه قال ربك وقيل حكم ربك وقيل آلى ربك بمعنى أقسم ربك (ليبعثن عليهم) اللام فى قوله ليعثن جواب القسم لان قوله وإذ نادى ربك جار مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليعثن عليهم واختلوا فى الضمير فى عليهم الى من يرجع فقيل يقتضى أن يكون راجعا الى قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم ان الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فالحق الدليل بهم وقيل بان المراد سائر اليهود من بعدهم لان الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود وهو مختصر وسنجدار يب ومولوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليعثن عليهم اليهود الذين كانوا فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فالزم من لم يسلم منهم الصغار والذلة والهوان والجزية لازمة لليهود الى يوم القيامة وأورد على هذا بان فى آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لان اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب عنه بان ذلك العز الذى يحصل لهم هو فى نفسه غاية الذلة لانهم يدعون الهية الدجال فيزدادون كفرا على كفرهم فاذا هلك الدجال أهلكهم المسلمون وقتلهم جميعا فذلك هو الذلة والصغار المشار اليه بقوله تعالى ليعثن عليهم (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) وهذا نص فى أن العذاب انما يحصل لهم فى الدنيا مستقرا عليهم الى يوم القيامة ولهذا فسر هذا العذاب بالاهانة والذلة وأخذ الجزية منهم فاذا أفضوا الى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى (ان ربك لسريع العقاب) يعنى لمن أقام على الكفر ففيه دلائل على انه يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة فيكون العذاب مستمرا عليهم فى الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى (وانه لغفور رحيم) يعنى لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل فى دين الاسلام

وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة وعمل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أي ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وبلواناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم والخصب والجذب (لعلهم يرجعون) ينتهون فينبون (خلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف بدل السوء بخلاف الخلف فهو الصالح (ورثوا الكتاب) التوراة ووقفوا على ما فيها من الاوامر والنواهي والتكليل والتحريم ولم يعملوا بها (ياخذون عرض هذا الاذني) هو حال من الضمير في ورثوا والعرض المتاع أي حطام هذا الشيء الاذني يريد الدنيا وما يتبع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشافي الاحكام وعلى تحريف الكلام وفي قوله هذا الاذني تخسيس وتحقير (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا

قوله تعالى (وقطعناهم في الارض أمتا) يعني وفرقتنا بني اسرائيل في الارض جماعات متفرقة فلا تجد بلدا الا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس كل أرض يدخلها قوم من اليهود (منهم الصالحون) يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني اسرائيل صالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت منهم على دينه قبل مبعث عيسى عليه الصلاة والسلام وانما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد ان المراد بالصالحين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به واصبحم ماذ ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد نخلف من بعدهم خالف والخلف انما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني اسرائيل ﴿قوله تعالى (ومنهم دون ذلك) يعني الذين كفروا من بني اسرائيل وبدلوا وغيروا (وبلواناهم) يعني جميعا الصالح وغيره وهي بلوى اختبارا ومتحان (بالحسنات) يعني الخصب والعافية (والسيئات) يعني الجذب والشدّة (لعلهم يرجعون) يعني لكي يرجعوا الى طاعتهم ويتوبوا اليه قال أهل المعاني كل واحدة من الحسنات والسيئات اذا فسرت بالنعم والشدّة تدعو الى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها اشكرها فيرغب في الطاعة وأما الشدّة فيخاف سوء عاقبتها فيهرب منها ﴿قوله تعالى (خلف من بعدهم) يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم (خلف) يعني خالف سوء يعني حدث من بعدهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فاكثر ما يقال في المدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح لنا القدم الاولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

فسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال البيهقي في الذم

ذهب الذين يعاشي في أكنافهم * وبقيت في خلف كجد الاجرب
ففتح اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن اذا فسد وتغير في السقاء ويقال للردى من لقول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خالف والخلف القرن الذي يحجب بعد قرن كان قبله (ورثوا الكتاب) يعني انتقل اليهم الكتاب عن آباءهم والمراد بالكتاب التوراة (ياخذون عرض هذا الاذني) العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدرهم والدنانير والمعنى أنهم كانوا ياخذون الرشافي الاحكام على تبدل الكلام وتغييره وذلك الذي ياخذونه من حطام الدنيا هو الشيء للتافه الخسيس الحخير لان الدنيا باسرها فانية حثيرة والراغب فيها أحقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوها وأخذوا الرشافي الاحكام ويعلمون أنها حرام ثم اتهمهم مع اقدامهم على هذا الذنب العظيم يصرون عليه (ويقولون سيغفر لنا) يعني ذنوبنا فيقمنون على الله الاماني الباطلة الكاذبة عن شداد بن أوس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني أخرجه الترمذي وقال في قوله عليه الصلاة والسلام دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية قوله وتتمنى على الله الاماني لان اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه ﴿قوله تعالى (وان ياأثمهم عرض مثله ياخذوه) وهذا اخبار عن حرصهم على الدنيا واصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم اذا اتاهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما يمتنون على الله المغفرة وان وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستتصون قاضي الارثشي في الحكم فيقال له ما بالك ترتشي فيقول

(ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أي الميثاق المذكور في الكتاب (أن لا يقولوا على الله الا الحق) أي أخذ عليهم الميثاق في كتابهم أن لا يقولوا على الله الا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (ودرسوا ما فيه) وقرأ ما في الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا والمحارم (أفلا يعقلون) انه كذلك وبالتالي (١٥٤) مدني وحفص (والذين يمسكون بالكتاب) يمسكون أبو بكر والامسك والتمسك

والتمسك الاعتصام والتعلق بشئ (وأقاموا الصلاة، خص الصلاة مع ان التمسك بالكتاب يشمل على كل عبادة لانها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر) انا لانضيق امر المصلحين) انا لانضيق أجرمهم وجاز أن يكون مجرور عطف على للذين يتقون وانا لانضيق اعتراض (واذ نتقنا الجبل فوقهم) واذ كراذ قلعناه ورفعناه كقولهم ورفعنا فوقكم الطور (كأنه ظلة) هي كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب (وظنوا أنه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وتقها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فرسخ وقيل لهم ان قبلقوها بما فيها والاليقين عليكم فلما نظر والى الجبل خركل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه النبي الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى

سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون فاذا مات أو نزع من الحكم وجعل مكانه آخر فن كان يطعن عليه ارثى أيضا يقول الله عز وجل وان يات الآخري عرض الدنيا ياخذوه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعني ألم يؤخذ على هؤلاء الرنشين في أحكامهم اليهود والموثيق في الكتاب وهو التوراة (أن لا يقولوا على الله الا الحق) يعني انا أخذنا عليهم الميثاق على أن يقولوا الحق فقلوا الباطل وخافوا أمر الله وهو قوهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعائهم على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها (ودرسوا ما فيه) يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما أخذ عليهم من اليهود والمواثيق في الكتاب لانهم دارسون له لم يتروكه ولكن درسوه وضيعوا العمل به (والدار الآخرة) يعني وما في الدار الآخرة مما أعد الله لا واما به وأهل طاعته العاملين بما أمرهم الله به من كتابه ولم يغيروا ولم يبدلوا ولم يرتشوا في الاحكام (خير للذين يتقون) يعني يتقون الله ويخافون عقابه (أفلا يعقلون) يعني أفلا يعقل هؤلاء الذين يرضون بعرض الدنيا أن ما في الآخرة خير وأبقى انهادار المتقين (والذين يمسكون بالكتاب) يقال مسكت بالشئ وتمسكت به واستمسكت به وأمسكت به والمراد بالتمسك بالكتاب العمل بما فيه من احلال حلاله وتحريم حرامه واقامة حدوده والتمسك باحكامه نزلت هذه الآية في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول ولم يحرّفوه ولم يغيروه فاذا هم ذلك التمسك الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القرآن (وأقاموا الصلاة) يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها وانما أفردها بالذكر وان كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيهها على عظم قدرها وانها من أعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله (انا لانضيق أجرا المصلحين) قوله عز وجل (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) يعني واذ كراذ قلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كأنه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالأظلة والظلة كل ما على الانسان كالسقف ونحوه (وظنوا) أي وعلموا وايقنوا (انه واقع بهم) يعني الجبل (خدوا) يعني وقتلناهم خذوا واضمار القول كثير في القرآن وكلام العرب (ما أتيناكم) يعني التوراة (بقوة) يعني بمجد واجتهاد (واذ كروا ما فيه) يعني واعملوا بما فيه من الاحكام (لعلكم تتقون) قال أصحاب الاخبار ان بني اسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة أمر الله عز وجل جبريل برفع جبلا عظيما حتى صار على رؤسهم كالأظلة فلما نظر والى الجبل فوق رؤسهم خروا ساجدين فسجد كل واحد منهم على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه النبي الى الجبل خوفا أن يسقط عليه ولذلك لا تسمع اليهود الا على شق وجوههم الايسر قوله تعالى (واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) الآية عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر ابن الخطاب سئل عن قوله سبحانه وتعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال سئل عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمنه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء لا الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء النار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فقيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

يهوديا يسجد الاعلى حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنابها العقوبة وقتلناهم (خدوا ما أتيناكم) الله من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذ كروا ما فيه) من الاوامر والنواهي ولا تنسوه (لعلكم تتقون) ما أتم عليه (واذ أخذ ربك من بنى آدم) أي واذ كراذ أخذ (من ظهورهم) بدل من بنى آدم والتقدير واذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذريتهم) ومعنى أخذ ذريتهم من ظهورهم خراجهم من أصلاب آبائهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى)

الله سبحانه وتعالى اذا خلق العبد للجنة اسما عمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة
 فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار اسما عمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله
 النار أخرجه مالك في الموطأ وأبو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر
 بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث الرجل
 فقال عن مسلم بن يسار عن يعمر بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله سبحانه وتعالى آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها
 من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور ثم عرضهم على آدم فقال أي رب من
 هؤلاء قال هؤلاء ذريتك فأرأى رجلا منهم فاعجبه ربيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود قال رب
 كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زد من عمري أربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 نقضى عمر آدم الأربعمائة جاءه ملك الموت فقال آدم ألم يبق من عمري أربعون سنة قال أولم تعطها ابنك
 داود فجحد آدم فجحد ذريته ونسي آدم فأكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطى خطى ذريته أخرجه الترمذي
 وقال حديث حسن صحيح وأما تفسير الآية فقوله سبحانه وتعالى واذا أخذ ربك من بني آدم ما بين
 يديهم من ذريتهم من كل رجلين وهم يأخذون مما بين يديهم وهم لا يدرون ما يأخذون قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من بني آدم من ظهره رهم بمعنى من ظهور بني آدم وانما لم يذكر ظهر آدم وان كان الله سبحانه وتعالى
 أخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الابناء
 من الآباء فان ذلك قال سبحانه وتعالى من بني آدم من ظهر رهم فاستغنى عن ذكر ظهر آدم عليه السلام لما علم
 انهم كلهم بنو آدم وأخو جوامن ظهره فترك ذكر ظهر آدم اسما تغناء ثم للعساء في تفسير هذه الآية من هبان
 أحدهما وهو مذهب أهل التفسير والأثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف فيما روى عن ابن عباس من
 طرق كثيرة وروايات مختلفة رواها عنه الطبري باسناد فيها عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس عن النبي صلى
 الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنهرهم
 بين يديه كالندر ثم كلهم قبلا وقال ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين
 وعن ابن عباس في هذه الآية قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان
 هذا الذي وراء عرفة وأخذهم يشاقهم ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس أيضا قال ان أول ما هبط
 الله آدم الى الارض أهبطه بدنهاء أرض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم
 أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألتستبر بكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا
 غافلين زاد في رواية عنه جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة وفي رواية عنه قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه
 أنه ربه وكتب رزقه وأجله ومصائبه واستخرج ذريته كالندر وكتب أرزاقهم وأجالهم ومصائبهم وفي رواية
 عنه قال ان الله عز وجل مسح صلب آدم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم الميثاق أن
 يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم أعادهم في صلب فلان تقوم الساعة حتى يولد كل من اعطى
 الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخرف في به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخرف لم يف به لم
 ينفعه الاول ومن مات صغيرا ولم يدرك الميثاق الآخرف مات على الميثاق الاول على الفطرة وروى الطبري
 بسنده عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس
 فقال لهم ألتستبر بكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقال
 ابن عباس أخرج ذرية آدم من ظهره فكاهم الله وأنطقهم فقال ألتستبر بكم قالوا بلى ثم أعادها في صلبه
 فليس أحد من الخلق الا وقد تكلم فقال ربنا الله وان القيامة ان تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على
 نفسه وقال السدي أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ثم انه مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه

كهيمته الذر بيضاء فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه كهيمته الذر سوداء فقال ادخلوا النار ولا أبالي فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألسنت بر بكم قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التبعية زاد في رواية وذلك حيث يقول وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وقال محمد بن كعب القرظي أقره بالآيمان والمعرفة الأرواح قبل خلق أجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهر آدم العيني فأخرج منها ذرية بيضاء كهيمته الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منها ذرية سوداء كهيمته الذر يتحركون فقال يا آدم هؤلاء ذر يتك ثم قال لهم ألسنت بر بكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلب آدم فأهل القبور محبوبون حتى يخرج أهل الميثاق جميعا وروى ان الله سبحانه وتعالى قال لهم جميعا علموا أنه لا اله الا الله لكم نبي وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فاني سأنتقم ممن أشرك بي ولم يؤمن بي واني مرسل اليكم رسلا يدعونكم لعهدى وميثاقى ومنزل عليكم كتابا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا أنك ربنا لا اله الا الله لك نبي وأنا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا وأرزا فيهم ومصائبهم فنظر اليهم آدم عليه السلام فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال انى أحب أن أشكر فلما أقرهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض أعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد لكل من أخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز أن يكون الله سبحانه وتعالى جعل لامثال الذر عقلا وفهما تعقل به كما قال تبارك وتعالى في التمثال قالت نملها النمل ادخلوا مساكنكم وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الانبارى مذهب أصحاب الحديث وكبراه أهل العلم في هذه الآية ان الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم صور كالذر وأخذنا عليهم الميثاق أنه خالفهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولا عرفوا بها ما عرض عليهم كما جعل للجبال عقولا حتى حو طوبوا بقره واجبال أقرى معه وكما جعل للبعير عقلا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة سمعت لاصرده وانقادت ومعنى قوله ألسنت بر بكم على هذا التفسير قال الله سبحانه وتعالى للذر ذرية ألسنت بر بكم فهو واجب للرب ببيعة عاينهم قالوا بلى يعنى قالت الذرية بلى أنت ربنا فهو جواب منهم له واقرار له بالربوبية واعتراف على أنفسهم بالعبودية (شهدنا) فيه قولان أحدهما أنهم لما أقروا له بالربوبية قال الله عز وجل لللائكة اشهدوا وقالوا شهدنا على اقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله سبحانه وتعالى بلى بأن كلام الذرية تم وانقطع وقوله شهدنا كلام مستأنف والقول الثانى أن قوله سبحانه وتعالى شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الاقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لتعلقه بما بعده ^و وقوله سبحانه وتعالى (أن يقولوا) وقرى بآباءنا على خطاب الذرية ومعناه ثلاثا تقولوا أيها الذرية (يوم القيامة انا كنا عن هذا) يعنى الميثاق (غافلين) وقرى أن يقولوا بالياء على الغيبة ومعناه ثلاثا يقولوا أى الذرية انا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثانى فى معنى هذه الآية وهو مذهب أهل الكلام والنظر انه سبحانه وتعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد ان كانوا انطفا فى أصلاب الآباء وهم أولاد بنى آدم فأخرج الذرية الى الدنيا على ترتيبهم فى الوجود وأشهدهم على أنفسهم بماركب فيهم من العقول وأراهم بمجائب خالقهم وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فهذا الاشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التى تضطرهم الى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم وربهم وناقد الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك الى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقالوا بلى شهدنا على أنفسنا أنك أنت ربنا وخالقنا فعلى هذا القول يكون قولهم بلى شهدنا على أنفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور فى كلام العرب فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق بما

(شهدنا) هذان باب التمثيل ومعنى ذلك انه صب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكانه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألسنت بر بكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك (ان يقولوا) مفعول له أى فعلمنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على وحدانيته العقول كراهة أن يقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا) لم نأبه عليه

جعل فيه من السبب الذي يؤخذ به الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية واذياً خذرك من
 بنى آدم ويشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف الذي به يرتب
 على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة فإن قلت فما المختار من هذين المذهبين في تفسير هذه الآية قلت
 المذهب الاول هو المختار لانه مذهب جمهور المفسرين من السلف ورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه
 وسلم فإن قلت اذا كان المختار في تفسير هذه الآية هو مذهب السلف في ذلك وأن الله تعالى أخرج الذرية من
 ظهر آدم لاخذ الميثاق عليهم كما ورد في الحديث أيضاً فكيف يحمل تفسيراً لفاظ هذه الآية على هذا القول
 قلت قد صح الحديث بان الله مسح ظهر آدم فأخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث
 كما تقدم في تفسير أفاظ الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما
 في الخارج وكلهم باجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث اذ
 ليس في معنى أفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك ونفيه وقد ورد الحديث بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير
 اليه والاخذ به جمعاً بين الآية والحديث وحكي الواحدى عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله عليه الصلاة
 والسلام ان الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله لانه تعالى اذا أخرجهم من
 ظهر آدم فبدأ يخرجهم من ظهر وذريته لان ذرية آدم ذرية كذرية بهضهم من بعض قال ونحصل الفائدة
 بهذا الفصل بانه تعالى أثبت الحجية على كل منفوس ممن باغ ومن لم يبلغ الميثاق الذي أخذه عليهم وزاد على من
 بلغ منهم الحجية بالآيات والدلائل التي نصبها بالرسول المنفذة بهم بمشربين ومنذرين وبالوعاظ وقال غيره
 فائدة أخذ الميثاق عليهم في القدم أن من مات منهم صغيراً أدخل الجنة باقراره بالميثاق الاول وهذا على قول
 من يقول ان أطفال المشركين يدخلون الجنة اذا ماتوا صغاراً فاما من لا يحكم لهم بالجنة فانه يقول هم من كان
 من أهل الشقاوة من الذرية السوداء وانما أقر وبالمرقة كره فلم يغن عنهم ذلك شيئاً ومن بلغ وعقل لم
 يغن عنه اقراره بالميثاق الاول شيئاً حتى يؤمن ويصدق عند بلوغه وعقله بان الله به وخالقه ويصدق رسوله
 فيما جاؤ به من عنده وانما فعل ذلك لئلا يقول الكفار انا كنا من هذا الميثاق أو الايمان بان الله ربنا غافلين
 أو لئلا تقولوا خلافهم انما أشرك آباؤنا ونحن نسبهم على آثارهم ظناً منهم أن الحق ما كانوا عليه فان قلت ان
 ذلك الميثاق لا يذكروه أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم أو فكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج
 عليهم به قلت لما أخرج الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا الى صلب
 آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا ناساً بين لتلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الالهية نسيانهم له ثم ابتدأهم
 بالخطاب على السنة الرسول عليهم الصلاة والسلام وأصحاب الشرائع فقام ذلك مقام الذكرا والداردار
 تكليف وامتحان ولولم ينسوه لانتفت الحجة والابتلاء والتكليف فقامت الحجية عليهم لامتدادهم بالرسول
 واعلامهم بحجربان أخذ الميثاق عليهم وبذلك قامت الحجية عليهم أيضاً يوم القيامة لاخبار الرسول اياهم بذلك
 الميثاق في الدنيا فمن أنكره كان معانداً لفضل العهد ولزمتهم الحجية ولم تسقط الحجية عنهم بنسيانهم وعدم حفظهم
 بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمجترات الباهرات وقوله تعالى (أو يقولوا) يعني الذرية (انما أشرك
 آباؤنا من قبل) يعني انما أخذ الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون انما أشرك آباؤنا من قبل (وكنا ذرية من
 بعدهم) يعني وكنا أتباعهم فاقدم ينابهم في الشرك (أفهلكننا) يعني أفعدبنا (بما فعل المظلمون) قال
 المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة انما أشرك آباؤنا من قبلنا
 ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم ففقدناهم واقدم ينابهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق
 فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا به مثل ذلك وقد أخذ عليهم جميعاً الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت
 الحجية عليهم بذلك يوم القيامة وأما الذين حملوا معنى الآية على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وهو مذهب

(أو يقولوا) أو كراهة ان
 يقولوا (انما أشرك آباؤنا
 من قبل وكنا ذرية من
 بعدهم) فاقدم ينابهم
 لان نصب الادلة على
 التوحيد وما نبهوا عليه
 قائم معهم فلا عذر لهم في
 الاعراض عنه والافتداء
 بالآباء كما لا عذر لآبائهم في
 الشرك وأدلة التوحيد
 منصوبة لهم (أفهلكننا
 بما فعل المظلمون) أى
 كانوا السبب في شركنا
 لتأسيسهم الشرك وتركه

ذلك التفصيل البليغ
(نفس الآيات) لهم
(واعلمهم يرجعون) عن
شركهم فصلاها الى هذا
ذهب المحققون من أهل
التفسير منهم الشيخ أبو
منصور الزجاج والزمخشري
وذهب جمهور المفسرين
الى ان الله تعالى أخرج ذرية
آدم من ظهر آدم مثل الذر
وأخذ عليهم الميثاق أنه
ر بهم بقوله ألسنت بر بكم
فاجابوه ببلى قالوا وهى
الغطرة التى فطر الله الناس
عليها وقال ابن عباس رضى
الله عنهما أخرج الله من
ظهر آدم ذرية وأراه اياهم
كهيئة الذر وأعطاهم العقل
وقال هؤلاء ولدك أخذ
عليهم الميثاق ان يعبدونى
فيل كان ذلك قبل دخول
الجنة بين مكة والطائف
وقيل بعد النزول من الجنة
وقيل فى الجنة والجنة للاولين
انه قال من بنى آدم من
ظهورهم ولم يقل من ظهر
آدم ولانا لا نتذكر ذلك
فانى بصير حجة ذرياتهم
مدنى وبصرى وشامى أن
تقولوا أو تقولوا أبو عمرو
(وانزل عليهم على اليهود
نبا الذى آتيناها آياتنا)
هو عالم من علماء بنى
اسرائيل وقيل هو بلعالم بن
باعوراء أوفى علم بعض
كتب الله

أهل النظر قالوا معناه ان الله نصب هذه الدلائل وأظهرها له مقول لثلاثي قولوا انما أشركنا على سبيل التقليد
لآبائنا لان نصب أدلة التوحيد قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على تقليد الآباء فى
الشرك وقوله تعالى (وكذلك نفس الآيات) يعنى ليتدبرها العباد فيرجعوا الى الحق والایمان ويعرضوا
عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (واعلمهم يرجعون) يعنى عن الشرك الى التوحيد وقيل معناه
واعلمهم يرجعون الى الميثاق الاول فيذكرونه ويعملون بموجبه ومقتضاه وقوله عز وجل (وانزل عليهم)
يعنى وافرأ على قومك يا محمد (نبا) يعنى خبر (الذى آتيناها آياتنا) اختملوا فيه فقال ابن عباس هو بلعالم بن
باعوراء وقال مجاهد بلعالم بن باعر وقال ابن مسعود هو بلعالم بن ابراهيم عطيبة قال ابن عباس انه كان من بنى
اسرائيل وفى رواية أخرى عنه أنه كان من الكنعانيين من بلد الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء
وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس ومحمد بن اسحق والسدى وغيرهم من أصحاب الاخبار والسير قالوا ان
موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعالم اليه وكان
عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسى رجل حديد وان معه جنودا كثيرة وانه قد جاء بنجر جنان من بلادنا
ويقتلنا ويحلبنا بنى اسرائيل وانت رجل محاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله
ومعه الملائكة والمؤمنون فكيف أدعوع عليهم وأتأع لم من الله ما أعلم وانى ان فعلت هذا ذهبت دنياى
وأخرى فراجعوه وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربي وكان لا يدعوه حتى تؤامر ربه فى المنام فأتى فى المنام
فقال له لا تدع عليهم فقال اقومه انى قد أمرت ربي فنهاني أن أدعوع عليهم فاهدوا له هدية فقبلها وراجعوه
فقال حتى أؤامر ربي فأمر ربي فلم يوح اليه شئ فقال قد أمرت ربي فلم يوح الى شئ فقالوا له لو كره ربك أن
تدعوع عليهم انما كان كانهماك أول مرة فلم يزلوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتن فركب أناناه متوجها الى جبل
يطالعه على عسكر بنى اسرائيل يقال لذلك الجبل حسان فلما سار على أناناه غير بعيد ربضت فغزل عنها
وضربها فقامت وركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضر بها حتى قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت
فضر بها حتى أذلقها فاذن الله عز وجل لى الكلام وأنطقها الله فكلمته بحجة عليه فقالت ويحك يا بلعالم
أندرى أين تذهب أما ترى الملائكة أما مهي بردونى عن وجهى هذا ويحك أذهب الى نبي الله والمؤمنين
فتدعوع عليهم فلم ينزع خلفى الله سبيل الانان فانطلقت به حتى اذا أشرفت به على جبل حسان ومعه قومه جعل
يدعوع فلم يدع بشئ الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعولة ومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بنى اسرائيل
فقال له قومه يا بلعالم أندرى ما صنع انما تدعوع عليهم وتدعوع علينا فقال هذا ما لا أملكه هذا شئ قد غلب الله عليه
وانداع لسانه فوقع على صدره فقال اقومه قد ذهبت منى الدنيا والآخرة فلم يبق لي الا المكرو والحيلة فساأ مكر
اىكم وأحتال ثم قال جلوا النساء وزيهن وأعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بنى اسرائيل ليعبثن
عليهم ومروهن أن لا تمتع امرأة نساءهن من رجل أرادها فانه ان زنى رجل منهم بواحدة منهن كفيتموهم
ففعلا ذلك فلما دخل النساء على العسكر مررت امرأة من الكنعانيين اسمها كسنى بنت صور على رجل من
عظماء بنى اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان رأس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المرأة وأخذ يديها
حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال انى لا طسك أنك تقول هذه حرام
عليك فقال أجل هى حرام عليك لانقر بها قال والله انى لا أطيعك فى هذا ثم قام ودخل بها الى قبته فوقع
عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بنى اسرائيل فى ذلك الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون
وكان صاحب أمر موسى وكان رجلا فطنا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا حين صنع
زمري بن شلوم ما صنع فجاء الطاعون بجوس فى بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربه وكانت من حديد كلها
ثم دخل عليهم ما القبة وهما متضاجان فطعنهما بجر به فانتظمتهم ثم خرج بهما وهو رافعهما الى السماء وقد

أخذ الحربة بذراعه واعتمد برقبته وأسنده الحر به إلى حليته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون من بني إسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيجأين إذ أساب ذلك الرجل المرأة إلى أن قتله فنحاص فوجدوه قد هلك سبعون ألفاً في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطى بنو إسرائيل لولد فنحاص من كل ذبيحة يذبحونها الفضة والذراع واللحم لاعتماده بالحرية على خصرته وأخذها إياها بذراعه وأسنادها إياها إلى حليته ويعطوهم البكر من كل أموالهم لأنه كان بكر العيزار وفي بلعام أنزل الله عز وجل وإنا نعلمهم نبياً الذي آتينا آياتنا الآية وقال مقاتل إن ملك البلقاء قال بلعام ادع الله على موسى فقال بلعام إنه من أهل ديني ولا أدعو عليه فنصب له خشبة ايصلبه عليها فلما رأى ذلك خرج على أنان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم وقفت به الاثان فضر بها فقالت لم تضربني وأنا مأمورة وهذه نار ما حى قدم معنتي أن أمشي فرجع إلى الملك فأخبره بذلك فقال لتدعون عليه أو لا صلبك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني إسرائيل في التيه بدعاء بلعام عليه فقال موسى يارب باي ذنب وقعت في التيه قال بدعاء بلعام قال فكما سمعت دعاءه على فاسمع دعائي عليه فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمن فنزع الله سبحانه وتعالى منه المعرفة وسالخه منها فخرجت من صدره حكامة بيضاء فذلك قوله سبحانه وتعالى آتينا آياتنا فانسلخ منها فان قلت هذه التصد كرها جماعة من المفسرين وفيها ان موسى عليه السلام دعاه على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمن وكيف يجوز لموسى عليه السلام مع علو منصبه في النبوة أن يدعو على انسان بالكفر بعد الايمان أو يرضى له بذلك قلت الجواب عنه من وجوه أحدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت إلى ما يسطره أهل الاخبار إذا خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني إسرائيل في التيه هو عبادتهم الجبل أو قلوبهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الهاف كان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعاء بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة هذه القصة وان موسى عليه السلام دعاه على بلعام وان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد أن ثبت عنده أن بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعائه على موسى وإيثاره الحياة الدنيا فدعا عليه مقابلة لدعائه عليه والله سبحانه وتعالى أعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيهه منصب النبوة عما يلقاه أصحاب الاخبار في كتبهم من غير نظريه ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقي وكان قصته أنه كان قد قرأ الكتب القديمة وعلم أن الله سبحانه وتعالى مرسل رسولاً فرجاً أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان أمية صاحب حكمة وشعر ومواعظ حسنة فقصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبياً ما قتل أقرباه فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وفاة أخيه فقالت بيننا هورا فإنا آتاه اثنتان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعدا أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه أوعى قال أوعى قال أذكي قال أذكي قالت فسألته عن ذلك فقال خير أرى بدني فصرف عني ثم غشي عليه فلما أفاق من غشيته قال شعرا

كل عيش وان تطاول دهره * صائر مرء الى أن يزولا

ليتنى كنت قبل ما قد بدالى * في ولال الجبال أوعى الوعولا

ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوم أثقلا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدني من شعرك فأنشدته بعض قصائده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن شعرك وكفر قلبه فانزل الله عز وجل وإنا نعلمهم نبياً الذي آتينا آياتنا فانسلخ منها الآية

وادرکه وصار قريناً له
(فكان من الغاوين) فصار
من الضالين الكافرين
روى ان قومه طلبوا منه
ان يدعو على موسى ومن
معه فاني فلم يزالوا به حتى
فعل وكان عنده اسم الله
الاعظم (ولوشئنا لرفعناه)
الى منازل الابرار من العلماء
(١٦٠) بتلك الآيات (ولكنه
أخلد الى الارض) مال الى
الدينا ورغب فيها (واتبع
هواه) في ايشار الدينا ولذاتها
على الآخرة ونعيمها (فقله
كتمل الكلب ان تحمل
عليه) أي تزجره ونظرده
(يلهث أو تتركه) غير
مطروود (يلهث) والمعنى
فصفتها التي هي مثل في
الخشية والضعفة كصفة
الكلب في أخس أحواله
وأذلها وهي حال دوام
اللاهث به سواء حل عليه أي
شد عليه وهيج فطرده وترك
غير متعرض له بالحل عليه
وذلك ان سائر الحيوان
لا يكون منه اللاهث الا اذا
حرك أما الكلب فيلهث في
الحالين فيكون مقتضى
الكلام ان يقال ولكنه
أخلد الى الارض فخططناه
ورضعنا منزلته فوضع هذا
التمثيل موضع فخططناه أبلغ
حط ومحل الجملة الشرطية
النصب على الحال كما نفي

وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد أعطى ثلاث دعوات
مستجابات وكانت له امرأة له منها أولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة كما تريد بنى
ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فدعاها فصارت أجمل النساء فلما علمت أنه ليس في نساء بني
اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضبت فدعاها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعواتان فجاء بنوها الى أبيهم
وقالوا ليس لنا على هذا الامر قرار فدصارت أمنا كلبة نباحة والناس تعيرنا بذلك فادع الله أن يردنا الى حالنا
الاول فدعا الله فعدت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعاً والقولان الاولان أشهر وقال الحسن وابن
كيسان نزلت في منافق أهمل الكتاب الذين كانوا يعترفون النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعترفون
أبناءهم ثم أنكروه وقال قتادة هذا مثل ضرب به الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى آتينا آياتنا
قال ابن عباس كان يعلم اسم الله الأكبر وقال ابن زيد كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه وقال السدي كان يعلم
اسم الله الأعظم وفي رواية أخرى عن ابن عباس انه أوتي كتاباً وقيل ان الله آتاه حجة وأدلة وهي الآيات التي
أوتيتها (فانسلخ منها) يعني نخرج من الآيات التي كان الله آتاه إياها كما نسلخ الحية من جلدها وقال ابن
عباس نزع منه العلم (فاتبعه الشيطان) يعني لحقه وأدرکه وصيره الشيطان تابعاً لنفسه في معصية الله يخاف
أمر به ويطيع الشيطان وهواه ﴿ قوله تعالى (فكان من الغاوين) يعني من الهالكين الضالين بما
خالف به وأطاع هواه وشيطانه ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولوشئنا لرفعناه بها) يعني رفعنا رتبته ومنزلته
بتلك الآيات التي أوتيتها وقال ابن عباس لرفعناه بعملها وقال مجاهد وعطاء معناه ولوشئنا لرفعناه الكفر
وعصمناه بالآيات (ولكنه أخلد الى الارض) يعني ولكنه سكن الى الدينا وما ليهما رضى بها وأصله من
الخلود وهو الدوام والاقام والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المفاز والقفار وفيها المدن
والضياح والمعادن والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدينا كما هي الارض (واتبع هواه) يعني
انه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخرس دينه وآخرته ووقع في هوى الردى
والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدينا وشهوات النفس ويتبعون
الهوى وذلك لان الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الاعظم وجعل دعاءه مستجاباً
ثم انه لما اتبع هواه وركن الى الدينا ورضى بها عوضعن الآخرة تزع منه ما كان أعطيه وانسلخ من الدين
فخرس الدينا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل الى الدنيا واتباع الهوى الامن عصمه الله بالورع وثبتت بالعلم
وبصره به يبوب نفسه عن كعب بن مالك الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذنبان جائعان
أرسلاني غم بأفدلهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه أخرجه الترمذي ﴿ ثم ضرب الله عز وجل
مثلاً لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع هواه فقال تعالى (فتمله كمثل الكلب ان تحمل عليه
يلهث أو تتركه يلهث) يقال لهث الكلب يلهث اذا ألدع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الاعياء
والتعب وهذا مثل ضرب به الله عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها واعدل عنها واتبع هواه وترك آخرته
وأثر دينه بأخس الحيوانات وهو الكلب في أخس أحواله وهو اللاهث لان الكلب في حال لهته لا يقدر على
نفع نفسه ولا ضررها كذلك العالم الذي يتبع هواه لا يقدر على نفع نفسه ولا ضررها في الآخرة لان التمسك به
على انه يلهث على كل حال ان حملت عليه أو تركته كان لاهناً وذلك عادة منه وطبيعة وهي مواظبته على اللاهث
دائماً فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن النعرض لحطام الدنيا الخسيسة ثم انه مال اليها وطلبها
كانت حالته كحال الكلب اللاهث وقيل ان العالم اذا نوصل بعلمه الى طلب الدنيا فانه يظهر علومه عند أهلها
ويدلع لسانه في تقرير تلك العلوم وبيانها وذلك لاجل ما يحل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة

القرآن المجز ومافيه
 وبشروا الناس باقتراب
 مبعثه (فاقص القصص)
 أى قصص بلم الذى هو نحو
 قصصهم (لعلمهم بتفكرون)
 فيحذرون مثل عاقبته
 اذا ساروا نحو سيرته (ساء
 مثلا القوم الذين كذبوا
 بآياتنا) أى مثلا القوم
 غذف المضاف وفاعل ساء
 مضمرا أى ساء المثل مثلا
 واتصاب مثلا على التمييز
 (وأأنفسهم كانوا يظلمون)
 معطوف على كذبوا
 فيدخل في حيز الصلة أى
 الذين جمعوا بين التكذيب
 بآيات الله وظلم أنفسهم أو
 منقطع عن الصلة أى وما ظلموا
 إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم
 المفعول به للاختصاص
 أى وخصوا أنفسهم بالظلم
 لم يتعد إلى غيرها (من يهد
 الله فهو المهتدى) جل على
 اللفظ (ومن يضل) أى
 ومن يضل (فأولئك هم
 الخاسرون) جل على المعنى
 ولو كان الهدى من الله
 البيان كما قالت المعتزلة
 لا ستوى الكافر والمؤمن
 إذ البيان ثابت في حق
 الفريقين فدل انه من الله
 تعالى التوفيق والعصمة
 والمعصية ولو كان ذلك
 للكافر لاهتدى كما اهتدى
 المؤمن (ولقد ذرأنا للجهنم

العطش الى الفوز بطلوبه من الدنيا فكانت حاله شبيهة بحالة الكلب الذى أدلع لسانه من اللهث في غير
 حاجة ولا ضرورة ومعنى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أى ان شددت عليه وأهيجته طث وان تركته
 على حاله طث لان الالهث طبيعة أصلية فيه فكذلك حال الحر يص على الدنيا وان وعظته فهو حر يص لا يقبل
 الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تعظه فهو حر يص أيضا لان الحر يص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة
 كان الالهث طبيعة لازمة للكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى ان المثل الذى ضربناه للذى
 آتينا بآياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاعم هذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجدها
 فوجه التمثيل بينهم وبين الكلب الالهث انهم اذا جاءتهم الرسل ليهذوهم لم يهتدوا وان تركوا لم يهتدوا
 أيضا بل هم ضلال في كل حال ثم قال سبحانه وتعالى (فاقص القصص) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم يعنى فاقصص القصص يا محمد على قومك أى اخبار من كفر بآيات الله (لعلمهم بتفكرون) يعنى
 فيتمعتظون وقيل هذا المثل لكفار مكة وذلك انهم كانوا يمتحنون هاديا يهد بهم ويدعوهم الى طاعة الله عز وجل
 فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الله والى طاعته وهم يعرفونه ويعرفون صدقه كذبوه ولم
 يقبلوا منه ثم قال سبحانه وتعالى (ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعنى بس مثلا مثل القوم الذين كذبوا
 بآياتنا (وأأنفسهم كانوا يظلمون) يعنى يتكذبون بآياتنا ﴿ قوله عز وجل (من يهد الله فهو المهتدى) يعنى من
 يرشده الله الى دينه فهو المهتدى وقيل معناه من يتولى الله هدايته وارشاده فهو المهتدى (ومن يضل) يعنى
 ومن يتولى ضلاله (فأولئك هم الخاسرون) يعنى فى الآخرة وفى الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى هو
 الهادى المضل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولقد ذرأنا) يعنى خلقنا (الجهنم كثير من الجن والانس) أخبر الله
 سبحانه وتعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حققت عليهم الكرامة الازلية بالشقاوة ومن
 خلقه الله للنار فلاحيلة له فى الخلاص منها واستدل البغوى على صحة هذا التأويل بما رواه عن عائشة قالت دعى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار فقات يارسل الله طوبى لهدا عصفور من عصفير
 الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب
 آباؤهم وخلق النار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آباؤهم أخرجه مسلم قال الشيخ محي الدين النووي فى شرح
 مسلم أجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لانه ليس مكفرا
 وتوقف فيهم بعض من لا يعتد به الحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بانه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها عن
 المسارعة الى القطع من غير ان يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبى وقاص لفظه انى لاراه
 مؤمنا فقال أو مسلم الحديث ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل ان يعلم ان أطفال المسلمين فى الجنة
 فلما علم ذلك قال به وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون هم فى النار تبع الآباؤهم وتوقف
 طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذى ذهب اليه المحققون اهم من أهل الجنة ويستدل له باشيء منها خبر
 ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم فى الجنة وحوله اولاد الناس فقالوا
 يارسل الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين رواه البخارى فى صحيحه ومنها قوله سبحانه وتعالى وما كنا
 معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا يلزمه قبول قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق
 عليه والله أعلم وفى الآية دليل وحجة واضحة انه هل السنة فى ان الله خلق أعمال العباد جميعها خيرا
 وشرها لان الله سبحانه وتعالى بين بصرح اللفظ انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا تزد على بيان الله
 عز وجل لان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب دخول النار به علم ان له من يضطره الى
 ذلك العمل الموجب الى دخول النار وهو الله عز وجل وقيل اللام فى جهنم للعاقبة أى عاقبتهم ثم وصفهم

فقال تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) يعني لا يفقهون بها أو أصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء ثم صار علماً على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم يقال فقه الرجل يفقه فهو فقيه إذا فهم ومعنى الآية لهم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لأعراضهم عن الحق وتركهم قبوله (ولهم أعين لا يبصرون بها) يعني لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولا ينظرون بها في آيات الله وادلة توحيده (ولهم آذان لا يسمعون بها) يعني لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون بها قال أهل المعاني إن الكفار لهم قلوب يفقهون بها مصالحتهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون بها الرغبات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس الداركة علم بذلك أن المراد بذلك يرجع إلى مصالح الدين وما فيه نفعهم في الآخرة وحاصل هذا الكلام أنهم مع وجود هذه الحواس لا يتفقهون بها فيما ينفعهم في أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول الشاعر

وعوراء الكلام صممت عنها * واني أن أشاء بها سميع

فانه أثبت له صمماً مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيء من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ﴿ ثم ضرب لهم مثلاً فقال سبحانه وتعالى (أولئك كالانعام) يعني إن الذين ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم السكامة الأزلية كالانعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل وذلك لأن الإنسان وسائر الحيوانات مشتركون في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب والبصر والسمع وإنما فضل الإنسان على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المؤدى إلى معرفة الحق من الباطل والخير والشرف إذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الانعام التي لا تدرك شيئاً ﴿ ثم قال تعالى (بل هم أضل) يعني بل إن الكفار أضل من الانعام لأن الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الانعام لأن الانعام لم تعط القوة العقلية والإنسان قد أعطيا فإذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالاً من الانعام وبين أن الانعام مطيعة لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الانعام أفضل منه ﴿ ثم قال الله تعالى (أولئك هم الغافلون) يعني عن ضرب هذه الامثال لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل إن رجلاً دعا الله في صلته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو أبو جهل أن محمد أو أصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً فما بال هذا يدعواثنين فانزل الله هذه الآية ولله الاسماء الحسنى والحسنى تأنيث الاحسن ومعنى الآية إن أسماء الله سبحانه وتعالى المقدسة كلها حسنى وليس المراد أن فيها ما ليس بحسن والمعنى إن الاسماء الحسنى ليست إلا الله لأن هذا اللفظ يفيد الحصر ويعلم أن الاسماء ألقاها الله على معانيها وهي إما تحسن بمعانيها وإلا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الأذكرة بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين أحدهما عدم افتقاره إلى غيره الثاني افتقاره إليه وانه هو المسمى بالاسماء الحسنى (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب الوتر وفي رواية من أحصاها وفي رواية أخرى لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر قال البخاري أحصاها حفظها وفي رواية الترمذي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكيم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت

أما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده وأما من علم أنه يكفر به فأنما خلقه لما علم أنه يكون منه فالخاصل أن من علم منه في الازل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أنه يكون منه الكفر خلقه لذلك وكمن علم برأيه الخسوص وقول المعتزلة بان هذه لام العاقبة أي لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فراراً عن ارادة المعاصي عدولاً عن الظاهر (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق ولا يتفكرون فيه (ولهم أعين لا يبصرون بها) الرشداً (ولهم آذان لا يسمعون بها) الوعظ (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكير (بل هم أضل) من الانعام لانهم كبروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالانعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعامون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمي روحاني شهواني سماري أرضي فان غلب روحه هواه فاق ملائكة السموات وان غلب هواه روحه فاقته بهائم الارض (أولئك هم الغافلون) الكاملون في العلم (ولله الاسماء الحسنى) التي هي أحسن الاسماء لانها تدل على

الحسب الجليل الكريم الرقيب المحيَّب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوى المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحي المميت الحي القيوم الواجد
الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأوَّل الآخر الظاهر الباطن الوالي
المتعالى ابر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغنى
المعنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور قال
الترمذى حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا يعرفه الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند
أهل الحديث قال وقد روى هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا
نعلم فى كثير من الروايات ذكر الاسماء التى فى هذا الحديث قال ابن الاثير وفى رواية ذكرها رزين ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تلاقوه ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذر والذين يلحدون فى اسمائه سيجزون
ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محي الدين النوروى رحمه
الله تعالى اتفق العلماء على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له
اسماء غير هذه التسعة والتسعين وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسمان أحصاهما دخل
الجنة فالمراد الاخبار عن دخول الجنة باحصائها الا الاخبار بمحصر الاسماء ولهذا جاء فى الحديث الآخر
أسألك بكل اسم سميت به نفسك وأستأثرت به فى علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ أبو بكر بن العربى
المالكي عن بعضهم ان لله ألف اسم قال ابن العربى وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم من أحصاهما دخل
الجنة تقدم فيه قول البخارى ان معناه حفظها وهو قول أكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العدداى عدها فى الدعاء بها وقيل معناه من أطاها وأحسن المراعاة لها
والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بها انها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معنى أحصاهما حضر بياله عند
ذكرها معناها وتفكر فى مدلولها معتبرا متذبرا اذا كرر اخبارها بمعظمها ولمساها ومقدسات الله
سبحانه وتعالى وأن يحظر بياله عند ذكر كل اسم الوصف الدال عليه وقوله والله وتر يحب الوتر والتر الفرد
ومعناه فى وصف الله تعالى أنه الواحد الذى لا شريك له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر فى الاعمال لان أكثر
الطاعات وتر وفيه دليل على أن أشهر اسمائه سبحانه وتعالى الله للاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤف والكريم
واللطيف من أسماء الله ولا يقال من أسماء الرؤف والكريم واللطيف الله وقد قيل ان لفظه الله هو الاسم
الاعظم قال أبو القاسم القشبرى فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت الاسماء لغيره وقد
قال ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وقال الامام نضر الدين الرازى دلت الآية على ان الاسم غير المسمى لانها
تدل على ان أسماء الله كثيرة لان لفظ الاسماء لفظ الجمع وهو يفيد الثلاثة فما فوقها فثبت ان أسماء الله
كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى وأيضاً قوله سبحانه وتعالى ولله الاسماء الحسنى
يقتضى اضافة الاسماء الى الله واضافة الشئ الى نفسه محال وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشئ
المسمى به فهو غيره وقال أهل اللغة انما جعل الاسم تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم
لان التسمية عبارة عن وضع اللفظ المعين لتعريف ذات الشئ والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق
ظاهر قال العلماء وكما يجب تنزيهه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيهه اسمائه أيضاً وقوله سبحانه
وتعالى (فادعوه بها) يعنى ادعوا الله باسمائه التى سمى بها نفسه أو سماها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبذلك
الله تعالى توفيقية لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكد انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان
يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال
يا طبيب وللدعاء ثمرانها ان يعرف الداعي معانى الاسماء التى يدعوا بها ويستحضر فى قلبه عظمة المدعو

معان حسنة فمنها ما يستحقه
بحقاقته كالقديم قبل كل
شئ والباقي بعد كل شئ
والقادر على كل شئ والعالم
بكل شئ والواحد الذى
ليس كمثله شئ ومنها ما
تستحسنه النفس لآثارها
كالغفور والرحيم والشكور
والحليم ومنها ما يوجب
التخلق به كالفضل والعفو
ومنها ما يوجب مراقبة
الاحوال كالسميع والبصير
والمقتدر ومنها ما يوجب
الاجلال كالعظيم والجليل
والمتكبر (فادعوه بها)
فسموه بتلك الاسماء

(وذروا الذين يلحدون في الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا يا سخى يارفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك ومن اللحد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون جزء لحد وألحد مال سيجزون ما كانوا يعملون (ومن خلقنا) للجنة لأنه في مقابلة ولقد زرأنا لهم (أمة يهدون بالحق و به يعدلون) في أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة إلى الدين وفيه دلالة على أن اجماع كل عصر حجة (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدرجهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك أن يوارى الله نعمه عليهم مع أنهم ما هم في النفي فكلمة جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا و جددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثره من الله تعالى وتقريب وإنما هو خذلان منه وتباعد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستعداد والاستئصال درجة بعد درجة (وأملى لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السنين أي أمهلهم (ان كيدى متين) اخذى شديد سماه كيد لأنه

وانتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقدس لله ويعزم المسئلة مع رجاء الاجابة ويعترف لله سبحانه وتعالى بالر بوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) معنى اللحد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه يقال ألحد في الدين الحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون اللحد يقع في أسماء الله تعالى على وجود أحد لها اطلاق أسماء الله عز وجل على غيره وذلك ان المشركين سمووا أصنامهم بالآلهة واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه الثاني وهو قول أهل المعاني ان اللحد في أسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان أسماء الله سبحانه وتعالى كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله باسمائه التي وردت في الكتاب والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعاء فلا يجوز أن يقال يا صار يا مانع يا خالق القرردة على الانفراد بل يقال يا صار يا نافع يا معطي يا خالق الخلق الوجه الرابع أن يسمى الله العبد باسم لا يعرف معناه فانه ربه باسم لا يليق اطبما سما الاقعة على جلال الله سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يسمى به ما فيه من الغرابة وقوله سبحانه وتعالى (سيجزون ما كانوا يعملون) يعني في الآخرة وفيه وعيد وتهديد لمن ألحد في أسماء الله عز وجل قوله عز وجل (ومن خلقنا أمة) (يعنى جماعة وعصابة) (يهدون بالحق و به يعدلون) قال ابن عباس ير بدأمة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال قتادة باغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الآية قال هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك وفي الآية دليل على أنه لا يتخول زمان من قام بالحق يعمل به ويهدى اليه (والذين كذبوا بآياتنا) يريد به جميع المكذبين بآيات الله وهم الكفار وقيل المراد بهم أهل مكة والاول أولى لان صيغة العموم تتناول الكل الاما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الازهرى سنأخذهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله سبحانه وتعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركون اليه ثم يأخذهم على غرهم أغفل ما يكونون وقيل معناه سننقر بهم إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا أتوا بجرم أو قدموا على ذنب فتح الله عليهم من أبواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادون بذلك تماديا في النفي والضلال ويتدرجون في الذنوب والمعاصي فيأخذهم الله أخذة واحدة أغفل ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبى نزين أعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبع عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر روى أن عمر بن الخطاب لما جعل اليه كنوز كسرى قال اللهم انى أعوذ بك أن أكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال أهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشيء الى الشيء في خفية قليلا قليلا ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه في المشى ومنه درج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء (وأملى لهم) يعنى وأمهلهم وأطيل مدة أعمالهم والاملاء في اللغة الامهال واطالة المدة والمعنى انى أطيل مدة أعمالهم ليتأدوا في الكفر والمعاصي ولا أعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب التوبة (ان كيدى متين) يعنى ان اخذى شديد والمتين من كل شئ هو القوى الشديد وقال ابن عباس معناه ان مكربى شديد قال المفسرون نزات هذه الآية في المستهزئين من قريش وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي هذه الآية دليل على مسئلة القضاء والقدر وأن الله

(أولم يتفكروا ما يصاحبهم) محمد عليه السلام وما نافية بعد وقف أى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله ما يصاحبهم (من جنة) جنون (ان هو الانذير مبين) منذر من الله موضع انذاره (أولم ينظروا) نظرا استدلال (فى ملكوت السموات والارض) الملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شئ) وفيما خلق الله ما ينفع عليه اسم الشئ من اجناس لا يحصرها العدد (وان عسى) ان مخففة من التثنية وأصله وأنه عسى والضم يرضم الشأن وهو فى موضع الجر بالعطف على ملكوت والمعنى أولم ينظروا (١٦٥) فى ان الشأن والحديث عسى

(أن يكون قد اقترب
أجلهم) ولعلهم يموتون
عما قرىب فيسارعوا الى
النظر وطلب الحق
وما ينسجهم قبل مفاجأة
الاجل وحلول العقاب
(فبأى حديث بعده) بعد
القرآن (يؤمنون) اذالم
يؤمنوا به وهو متعلق بعسى
أن يكون قد اقترب
أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم
قد اقترب فما لهم لا يبادرون
لايمان بالقرآن قبل الفوت
وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وبأى حديث أحق
منه يريدون أن يؤمنوا
به (من يضل الله فلا هادى
له) أى يضل الله (ويذرهم)
بالباء عراقى وبالجزم حزة
وعلى عطف على محل فلا
هادى له كأنه قيل من يضل
الله لا يهده أحد ويذرهم
والرفع على الاستئناف
أى وهو يذرهم الباقون
بالتون (فى طغيانهم) (يعمهمون)
يتحبرون ولما سالت
اليهود أو فريش عن
الساعة متى تكون نزل

سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عميا يفعل وهم يستلون ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أولم يتفكروا ما يصاحبهم) يعنى محمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) يعنى من جنون قال قتادة ذكرنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصقال لا يجعل يد عوقر يشاخذ اخذ ابني فلان يابني فلان انى انكم نذير مبين وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا الجنون بات يصوت الى الصباح فانزل الله عز وجل أولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر فى عاقبة الامر والمعنى أولم يتفكروا ففعلوا ما يصاحبهم يعنى محمد صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال لفظه من فى قوله من جنة بوجوب أن لا يكون به نوع من أنواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وهو يرى عنه لانهم رأوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم فى الاقوال والافعال لانه كان معرضا عن الدنيا ولذاتهم مقبلا على الآخرة ونعيمها مستغلا بالدعاء الى الله عز وجل وانذارهم بأسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبرأه الله سبحانه وتعالى من الجنون فقال تعالى (ان هو) يعنى ما هو (الانذير مبين) ثم حثهم على النظر المؤدى الى العلم بالوحدانية فقال سبحانه وتعالى (أولم ينظروا) يعنى نظرا اعتبارا واستدلال (فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية وجود الصانع القديم غير متصور ردة على ملك السموات والارض بل كل شئ خلقه الله سبحانه وتعالى وبرأه فيه دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى وآثار قدرته كما قال الشاعر وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد (وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) والمعنى ولعل أجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر قبل ان يؤمنوا فيصبروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر المؤدى الى الفوز بالنعيم المقيم (فبأى حديث بعده) يعنى بعد القرآن (يؤمنون) يعنى يصدقون والمعنى فبأى كتاب بعد الكتاب الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون وليس بعد محمد نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانه قطع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال سبحانه وتعالى (من يضل الله فلا هادى له) يعنى ان اعراض هؤلاء عن الايمان لاضلال الله اياهم فلو هدها لم آمنوا (ويذرهم فى طغيانهم يعمهون) يعنى ويتركهم فى ضلالاتهم وتماديهم فى الكفر يترددون متحبرين لا يهتمون سبيلا ﴿ قوله عز وجل (يستلونك عن الساعة أيان مرساها) قال قتادة قالت فريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس قال جبل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فاننا نعلم متى الساعة فانزل الله عز وجل يستلونك عن الساعة يعنى عن خبر القيامة سميت ساعة لانها تقوم فى ساعة غفلة وبعثة أولان حساب الخلاق ينقض فيها فى ساعة واحدة أيان سؤال استفتاء عن الوقت الذى تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس يعنى منهاها أى متى وقوعها قال والساعة الوقت الذى يموت فيه الخلاق وأصل الارساء الثبات يقال رسا رسوا اذا ثبت (قل) أى قل لهم يا محمد (انما علمها عند ربى) أى لا يعلم الوقت الذى تقوم فيه الا الله استأثر الله بعلمها

(بسالونك عن الساعة) وهى من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها ولانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أيان) متى واشتقاقه من أى فعلان منه لان معناها أى وقت (مرساها) ارساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الادخال أو وقت ارسائها أى اثباتها والمعنى متى يرسبها الله (قل انما علمها عند ربى) أى علم وقت ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحد من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك

كل من أهلها من الملائكة
والنقائين أهمه شان الساعة
ويتمنى أن ينجلي له علمها
ويشق عليه حفاؤها وثقل
عليه أو ثقلت فيها لان أهلها
بخافون شدائد ها وأهوالها
(لأناتيكم الابغته) خفة
على غفلة منكم (يسئلونك
كانك حفي عنها) كانك
عالم بها وحقيقته كانك بليغ
في السؤال عنها لان من
بالغ في المسئلة عن الشئ
والتفكير عنه استحكّم عامه
فيها وأصل هذا التركيب
المبالغه ومنه احفاء الشارب
أو عنهما متعاق يسئلونك أي
سئلونك عنها كانك حفي أي
عالم بها (قل انما علمها عند الله)
وكرر يسئلونك وانما علمها
عند الله لانا كيد ولزيادة
كانك حفي عنها وعلى هذا
تكرر العلماء في كتبهم
لا يخجلون المكرر من فائدة
منهم محمد بن الحسن رحمه
الله (ولكن أ كثر الناس
لا يعلمون) انه المختص
بالعلم بها قل لأملك انفسى
نفسا ولا ضرا الا ماشاء
الله) هو اظهار للعبودية
وبراءة عما يختص بالربوبية
من علم الغيب أي أنا عبد
ضعيف لأملك انفسى
اجتلاب نفع ولا دفع ضرر
كالمالك الا ماشاء مالكي
من النفع لي والدفع عنى

فمن يطع عليه أحد أمر حديث الايمان والاسلام والاحسان وسؤال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم قال
فاخبرني عن الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال الحقون ومبب اخفاء علم الساعة ووقت قيامها
عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على وجل وخوف
واشفاق منها فيكون ذلك أدمى لهم الى الطاعة والتوبة وأزجر لهم عن المعصية (لايجلبها الوقتها الا هو) قال
مجاهد لا يأتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها الوقتها الا هو والتجلية اظهر الشئ بعد خفائه والمعنى لا يظهرها
لوقتها المعين الا الله ولا يقدر على ذلك غيره (ثقلت في السموات والارض) يعنى ثقل أمرها وخفي علمها على
أهل السموات والارض فكل شئ خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على أهل
السموات والارض وانما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب (لأناتيكم الابغته) يعنى
خفة على حين غفلة من الخلق (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقوم الساعة
وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا
يطعمه ولتقوم الساعة وهو يلميط حوضه فلا يسقى فيه ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته الى فيه فلا يطعمها
واللهجة بفتح اللام وكسرهما الناقاة القرية العهد بالنجاح قوله يلميط حوضه ويروى بلوط حوضه يعنى يطينه
ويصلحه يقال لاط حوضه يلميطه أو بلوطه اذا طينته وأصله من الصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله
سبحانه وتعالى (يسئلونك كانك حفي عنها) يعنى يسألك قومك عن الساعة كانك حفي بهم يعنى بار بهم
شفيق عليهم فعلى هذا القول فيه تقديم وتأخير تدبيره يسئلونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول
كان بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمد صلى الله عليه وسلم عن الساعة
سأله سؤال قوم كأنهم يرون ان محمد صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاحسب الله عز وجل اليه انما علمها عنده
استأثر بعلمها فلم يطع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسئلونك عنها كانك حفي بها أي عالم بها من قولهم
أخفيت في المسئلة اذا باغت في السؤال عنها حتى علمتها (قل) يعنى قل يا محمد (انما علمها عند الله) يعنى
استأثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان قلت قوله سبحانه وتعالى يسئلونك عن الساعة أيان
مرسها وقوله سبحانه وتعالى نانيا يسئلونك كانك حفي عنها فيه تكرر قلت ليس فيه تكرار لان السؤال
الاول سؤال عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني سؤال عن أحوالها من ثقلها وسدائد ها فلم يلزم التكرار
فان قلت عبر عن الجواب في السؤال الاول بقوله تعالى علمها عندى وعن الجواب في السؤال الثاني بقوله
تعالى علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين قلت فيه فرق لطيف وهو انما كان السؤال
الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى علم وقت قيامها عندى ولما كان السؤال
الثاني واقعا عن أحوالها وسدائد ها وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى عند الله لانه أعظم
الاسماء (ولكن أ كثر الناس لا يعلمون) يعنى لا يعلمون أن علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى
لا يسألوا عنه وقيل ولكن أ كثر الناس لا يعلمون السبب الذى من أجله أخفى علم وقت قيامها المغيب عن
الخلق وقوله سبحانه وتعالى (قل لأملك انفسى نفعا ولا ضرا) قال ابن عباس ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا
يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلفنفسه ترى به فترج فيه عند الغلاء وبالارض التى يريد ان تجذب
فترحل عنها الى ما قدأ خصبت فانزل الله عز وجل قل لأملك أى قل يا محمد لأملك ولا أقدر لنفسى نفعا أى
اجتلاب نفع بان أرى بما أشترى به ولا ضرا يعنى ولا أقدر ان أدفع عن نفسى ضرا نزل بها بان ارتحل الى
الارض الخصبة وأترك الجدبة (الاماشاء الله) يعنى ان أملكه وأقدر عليه (ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثر من الخير) يعنى ولو كنت أعلم وقت الخصب والجذب لاستكثر من المال (وما منى السوء)

(ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من الخير وما منى السوء) أى لكات حالى على خلاف ما هى عليه يعنى
-ن استكثر الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شئ منها ولم أكن غالب امره ومغلوب بأخرى فى الحروب وقيل الغيب الاجسلى والخير

وقدر (ان انا الانذير وبشير)

ان انا الاعبد أرسلت نذيرا
وبشيرا وامن شأني أن
أعلم الغيب واللام في
(اقوم يؤمنون) يتعلق
بأنذير والبشير لان النذارة
والبشارة أمان ينفعان فيهم
أوبالبشير وحده والمتعلق
بأنذير محذوف أي الا
نذير للكافرين وبشير
لقوم يؤمنون (هو الذي
خلقكم من نفس واحدة)
هي نفس آدم عليه السلام
(وجعل منها زوجها) حواء
خلقها من جسد آدم من
ضلع من أضلاع (ليسكن
البيها) البيطمان ويميل لان
الجنس الى الجنس أميل
خصوصا اذا كان بعضا منه
كاي سكن الانسان الى ولده
ورعب محبة نفسه لكونه
بعضه من جسد آدم
بعد ما أتت في قوله واحدة
وخلق منها زوجها ذهابا الى
معنى النفس لبيبين أن
المراد بها آدم (فلما تغشاها)
جامعها (جملت جلا خفيفا)
خفف عليها ولم تلتق منها ما
يبقى بعض الحبالي من
جاهن من الكرب والاذى
ولم تستثقله كما يستثقله
(فرت به) فضت به الى
وقت ميلاده من غير
اخذاج ولا ازلاق أو جلت
جلا خفيفا يعني النطفة
فرت به فقامت به وقعت

يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه لا أملك لنفسي نقدا ولا ضرا من الهدى والضلالة ولو كنت
أعلم الغيب بد وقت الموت لاستكثر من الخير يعني من العمل الصالح وقيل ان أهل مكة لما سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله تعالى الآية الاولى وهذه الآية ومعناه انا لأدعي علم الغيب
حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك لما طابوه بالخبايا عن الغيوب فذكر أن قدرته قاصرة عن علم
الغيب فان قلت قد أخبر صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك وهو من
أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من الخير
قلت يحتتمل أن يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والادب والمعنى لأعلم الغيب الا أن يطلعني
الله عليه ويقدريه ويحتتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما أطلعه الله
عز وجل أخبر به كما قال تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول أو يسكون خراج هذا
الكلام مخرج الجواب عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله سبحانه وتعالى على أشياء من المغيبات فاخبر عنها
ليكون ذلك معجزته له ودلالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله وما مسنى السوء يعني الجنون وذلك
أنهم نسبوه الى الجنون وقيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثر من تحصيل الخير واحترزت عن الشر
حتى أصير بحيث لا يبسني السوء قيل معناه ولو كنت أعلم الغيب لاعلمتكم بوقت قيام الساعة حتى تؤمنوا وما
مسنى السوء يعني قولكم لو كنت نبيا لعلمت متى تقوم الساعة (ان انا الانذير) يعني ما انا الرسول أرسلني
الله اليكم أنذركم وأخوفكم عقابه ان لم تؤمنوا (وبشير) يعني وأبشر بشوابه (اقوم يؤمنون) يعني يصدقون
قوله عز وجل (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) يعني
وخلق منها زوجها حواء وقد تقدم كيفية خلق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء (ليسكن البيها) يعني
ليأمنس بها ويأوى (فلما تغشاها) يعني واقعا وجامعا كفي به عن الجماع أحسن كناية لان الغشيان آتيان
الرجل المرأة وقد غشيتها وتغشاها اذا علاها وتجالها (جملت جلا خفيفا) يعني النطفة والملي لان أول ما تحمّل
النطفة وهي خفيفة عليها (فرت به) يعني انها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها (فلما
اثقلت) أي صارت الى حال الثقل وكبر ذلك الحمل وندت مدة ولادتها (دعوا الله ربهما) يعني ان آدم وحواء
دعوا الله ربهما (لئن آتيتنا صالحا) يعني لئن أعطيتنا بشرا سويا مثلنا (انكونن من الشاكرين) يعني لك
على انعامك علينا قال المفسرون لما أهبط آدم وحواء الى الارض أقيت الشهوة في نفس آدم فاصاب حواء
فحملت من ساعتها فلما اتقل الحمل وكبر الولد أنها ابليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال اني
أخاف أن يكون هيمه أو كلب أو خنزير أو ثور في الارض الابهيمة وأنحوها قالت اني أخاف بعض ذلك قال
وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك أو من فيك أو يشق بطنك فيقتله لك تخافت حواء من ذلك وذكرته
لآدم فلم يزل في غم من ذلك ثم عاد اليها ابليس فقال لها اني من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا سويا
مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذكرت ذلك حواء
لآدم عليه السلام فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعادوها ابليس فلم يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه
عبد الحرث وقال ابن عباس كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت
فأناهما ابليس فقال ان سر كما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فولدت فسمياه عبد الحرث فعاش عن
سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد
فقال سميه عبد الحرث فسمته فعاش وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب لان عرفه الامن حديث عمر بن ابراهيم عن قتادة وقال قدر رواه بعضهم ولم يرفعه وقوله وذلك

(فلم اثقلت) حان وقت ثقل حملها (دعوا الله ربهما) دعاء آدم وحواء ربهما والى الذي هو الحقيق بان يدعى ويلجأ اليه فقالا
(لئن آتيتنا صالحا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح به نده أو ولدا ذكرا لان الذكور من الصلاح (انكونن من الشاكرين) لك والضمير في

السوى (جعلاه شركاء) أى جعل أولادهما شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك (فيما آتاها) أى آتى أولادهما دليله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء يرتبان من الشرك وهنئ اشراكهم فيما آتاها الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصى أى هو الذى خافكم من نفس واحدة قصى وجعل من جنسها زوجها عريسة قرشية ليسكن اليها فلما آتاها ما طلبا من الولد الصالح السوى جعلاه شركاء فيما آتاها حيث سميا أولادها الاربعه بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبد الدار والضمير فى أيشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك شركا مدنى وأبو بكر أى ذوى شرك وهم الشركاء (أيشركون) ما لا يخلق شيئا) يعنى الادنام (وهم يخلقون)

من وحى الشيطان يعنى من وسوسته وحديثه كما جاء انه خدعها مرتين مرة فى الجنة ومرة فى الارض قال ابن عباس لما ولده أول ولد آتاه ابليس فقال انى سأنصح لك فى شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث وكان اسمه فى السماء الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك انى أطعتك فى أكل الشجرة فاخرجتنى من الجنة فلان أطيعك فبات ولده ثم ولده بعد ذلك ولد آخر فقال أطعنى والامات كما مات الاول فعصاه فبات ولده فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله تعالى (فلما آتاها صالحا) جعلاه شركاء فيما آتاها) قال ابن عباس اشركاه فى طاعته فى غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن أطاعاه وقال قتادة اشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فاتاهما الشيطان فقال ان شركا بن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله تعالى جعلاه شركاء فيما آتاها قرىء شركا بكسر الشين مع التنوين ومعناه شركة وقال أبو عبيدة معناه حظا ونصيبا وقرىء شركاء بضم الشين مع المد جمع شركى يعنى ابادس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعنى جعلاه شركا كاذميا ولدهما عبد الحرث قال العلماء ولم يكن ذلك شركا فى العبادة ولأن الحرث رب لهما لان آدم عليه الصلاة والسلام كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحرث ان الحرث كان سبب نجاته والسلامة أمه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه ملوك كما قال الشاعر

* وانى لعبد الضيف مادام ناويا * أخبر عن نفسه انه عبد الضيف ما أقام عنده مع بقاء الحرية عليه وانما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بواجب حقوقه كما يقوم العبد بواجب حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الالف واللام على غير الله كقول يوسف عليه الصلاة والسلام اعزى بزمصر انه ربى أحسن مثواى أراد به الترية ولم يرده انه رب به ومعبوده فكذلك هنا وإنما أخبر عن آدم عليه الصلاة والسلام بقوله سبحانه وتعالى جعلاه شركاء فيما آتاها لان حسنات الابرايسات المقر بينه وبين آدم عليه الصلاة والسلام أشرف المناصب وأعلاها فاعانبه الله على ذلك لانه نظر الى السبب ولم تنظر الى المسبب والله أعلم براده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى هذا فقد تم الكلام عند قوله فيما آتاها ﴿ ثم ابتدأ فى الخبر عن الكفار بقوله تعالى (فتعالى الله عما يشركون) نزه نفسه سبحانه وتعالى عن اشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وهذا على العموم ولو أراد آدم وحواء لقال سبحانه وتعالى فتعالى الله عما يشركان على التثنية لاعلى الجمع وقال بعض أهل المعانى ولو أراد به ما سبق فى معنى الآية فستقيم أيضا من حيث انه كان الاولى بهما ان لا يفعل ما أتيا به من الاشراك فى التسمية فكان الاولى أن يسمياه عبد الله لاعبد الحرث وفى معنى الآية قول آخر وهو أنه راجع الى جميع المشركين من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل أولادها شركاء خذف ذكر الاولاد وأقامها مقامهم كما أضاف فعل الآباء الى الابناء بقوله تم اتخذتم العجل واذقتهم نفسا فبربه عن اليهود الذين كانوا موجودين فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آباؤهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة أى خالق كل واحد من آبيه وجعل منها زوجها أى وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله وهذا قول حسن إلا أن القول الاول أصح لانه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادافه وودهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد الدار ونحو ذلك ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (أيشركون) قرىء بالياء على خطاب الكفار وقرىء بالياء على الغيبة (مالا يخلق شيئا) يعنى ابليس والاصنام (وهم يخلقون) أى وهم مخلوقون فان قلت كيف وحدهم يخلقون قل ان لفظه ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهى من صيغ الواحد ان بحسب ظاهر اللفظ ومحملة للجمع بحسب المعنى فوحده قوله

وهم مخلوقوا لله فليعبدوا خالقهم - أول العابدين والمعبودين وجعهم كأولى العلم تغليبا للعابدين (ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرًا ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتز بها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدهم هم الذين يدفعون عنهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) الى ما هو هدى وارشاد والى أن يهدوكم أي وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لا يتبعوكم) الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله لا يتبعوكم نافع (سواء عليكم أذعوتموهم أم أتم صامتون) عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم ولا يجيبوكم والعدل عن الجلة الفعلية الى الاسمية لرؤس الآي (ان الذين تدعون من دون الله) أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) أي مخلوقون مما لا يكون أمثالكم (فادعوههم) جلب نفع أو دفع ضرر (فليستجيبوا لكم) فليجيبوا (ان كنتم صادقين) في أنهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عبادا

ما لا يخلق رعاية لحكم ظاهر اللفظ وجع قوله وهم يخلقون رعاية بجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو وبالذون لمن لا يعقل وهو جمع من يعقل من الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام أنها تعقل وتميز وردها هذا الجمع بناء على ما يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى (ولا يستطيعون لهم نصرًا) يعني أن الاصنام لا تقدر على نصر من أطاعها وعبدها ولا تضر من عصاها والنصر المعونة على الاعداء والمعنى أن العبود الذي نجب عبادته يكون قادر على ائصال النفع ودفع الضرر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعاقل أن يعبدها ثم قال تعالى (ولا أنفستهم ينصرون) يعني ولا يقدر ان يبدفوا عن أنفسهم مكرها فان من أراد كسرها فقدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المؤمنين فقال سبحانه وتعالى (وان ندعوهم الى الهدى) يعني وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى (لا يتبعوكم) لان الله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالاضلالة فلا يقبلون الهداية (سواء عليكم أذعوتموهم) الى الدين والهداية (أم أتم صامتون) أي ساكتون عن دعائهم فهم في كلال الحالين لا يؤمنون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما بين في الآية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه أنه لا علم لها بشئ البتة والمعنى أن هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ان دعائها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سبحانه وتعالى سواء عليكم أذعوتموهم أم أتم صامتون وذلك أن المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلاء تضرعوا لاصنامهم فاذا لم تكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا وصمتوا فقبل لهم لافرق بين دعائكم للاصنام أو سكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال وقوله سبحانه وتعالى (ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم) يعني ان الاصنام التي يعبدونها هؤلاء المشركون انما هي مملوكة لله أمثالهم وقيل انها مسخرة من الملائكة مثل ما أتم مسجرون مثل لون قال مقاتل في قوله سبحانه وتعالى عبادا أمثالكم انهم الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول أصح وفيه سؤال وهو أنه وصفها بانها عباد مع أنها جاد والجواب أن المشركين لما ادعوا أن الاصنام تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم بتكيتها لهم وتوخيها ولذلك قال عز وجل (فادعوههم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) في كونها آلهة وجواب آخر وهو أن هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى أن قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها آحياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد الله أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدهم وجعلتموهم آلهة وجعتم انفسكم لهم عبدا ثم وصفهم بالهجر فقال تعالى (ألم أخرجهم من بهائمهم أي يديطشون بها أم لهم أعين ينصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) يعني ان قدرة الانسان الخلق انما تكون بهذه الجوارح الاربع فانها آلات يستعين بها الانسان في جميع أموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شئ فهم مفضلون عليها بهذه الاعضاء لان الرجل المشية أفضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة أفضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة أفضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة أفضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان أن الانسان أفضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها سخيرة وجاد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل أن يشتغل بعبادة الاخص الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجية كون الاصنام آلهة ثم قال تعالى (قل ادعوا شركاءكم) أي قل يا مجدهم هؤلاء المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها (ثم كيدون) يعني أنتم وشركاؤكم وهما متصل بما قبله في استكمال الحجية عليهم لانهم لما فرغوا بعبادة من لا يملك ضررا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي بملك الضر والنفع فلو

اجتهدتم في كيدى لم تصالوا الى ضرى لان الله يدفع عنى وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون (فلانتظرون) أى لتهملون واعجلوا في كيدى أتم وشركاؤكم (ان ولي الله) يعنى ان الذى يتولى حفظى و ينصرنى عليكم هو الله (الذى نزل الكتاب) يعنى القرآن والمعنى كما يدنى بانزال القرآن على كذلك يتولى حفظى و ينصرنى (وهو يتولى الصالحين) يعنى يتولاهم بنصره وحفظه فلانصرهم عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن أرادهم بسوء أو كادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدون بالله شياً ولا يعصونه وفى هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شئ ﴿ قوله عز وجل (والذين ندعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفُسهم ينصرون) هذه الآية قد تقدم تفسيرها والفاصلة في تكريرها أن الآية الأولى مذكورة على جهة التقرير والتوبيخ وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو الله الذى يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين هذه الاصنام وهى الميت كذلك فلانكون معبودة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (وان تدعوهم الى الهدى لا يسعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) قال الحسن المراد بهذا المشركون ومعناه وان تدعوا أيها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسعوا دعاءكم لان آذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون يعنى يبصائر قلوبهم وذهاب كبر المفسرين الى أن هذه الآية أيضاً وردة في صفات الاصنام لانها جاد لا تضرو ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر ﴿ قوله تعالى (خذ العفو) العفو هنا الفضل وما جاء بلا كافة والمعنى اقبل الميسور من أخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستعصوا عليك فتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد يعنى خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تجسس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشياء والعفو التسهيل في كل شئ (خ) عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وأمر بالعرف والأذى إلا في أخلاق الناس وفى رواية قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وكذا في جامع الاصول وفى الجمع بين الصحيحين للحميدى قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أقوال الناس وأكفاله وقال ابن عباس يعنى خذ ما عفاك من أموالهم فأتوك به من شئ نخذه وكان هذا قبل أن تنزل براءة بقرائض الصدقات وتفضيلها وما انتهت اليه وقال السدى خذ العفو أى الفضل من المال نسختها آية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل أن تفرض الصدقة المفروضة (وأمر بالعرف) يعنى وأمر بكل ما أمرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحى من الله عز وجل وكل ما يعرفه الشارع وقال عطاء وأمر بقول لا اله الا الله (وأعرض عن الجاهلين) أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصفح عن الجاهلين وهذا قبل أن يؤمر بقتال الكفار فلما أمر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخاً بآية القتال قال بعضهم أول هذه الآية وآخرها منسوخ ووسطها محكم يريد بنسخ أولها أخذ الفضل من الاموال فنسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف ومحكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ بآية القتال روى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخير بل ما هذا قال لأدرى حتى أسأل ثم رجعت فقال ان ربك يا مارك أن تصل من قناعتك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوى بعيرسند وقال جعفر الصادق أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وايس في القرآن آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً في الاسواق ولا يجزى بالسبىة السيئة ولكن يعفو ويصفح أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعنى لتما مكارم الاخلاق وتما محاسن الافعال ﴿ قوله عز وجل (واما ينزغك من الشيطان نزع) قال ابن زيد لما نزل قوله سبحانه وتعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبي صلى

آلهم فامر ان يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (ان ولى) ناصرى عليكم (الله الذى نزل الكتاب) أوحى الى وأعزنى برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولا يخذلهم (والذين تدعون من دونه) من دون الله (لا يستطيعون نصركم ولا أنفُسهم ينصرون) وان تدعوهم الى الهدى لا يسعوا وتراهم ينظرون اليك (يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه (وهم لا يبصرون) المرئى (خذ العفو) هو ضد الجهد أى ما عفاك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا (وأمر بالعرف) بالمعروف والجيسل من الافعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل و يقبلها الشرع (وعرض عن الجاهلين) ولا تكافى السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم وفسرها جبريل عليه السلام بقوله صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وعن الصادق أمر الله نبيه عليه

كانه ينحس الناس حين
يغريهم على المعاصى وجعل
النزغ نازغا كما قيل جدجده
أو أورد بنزغ الشيطان
اعتراء الغضب كقول أبى
بكر رضى الله عنه أن لى
شيطانا يعترينى (انه سميع)
لنزغه (عليم) بدفعه (ان

الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان)
طيف مكى وبصرى وعلى
أى لمة منه مصدر من قولهم
طاف به الخيال يطيف
طيفا وعن أبى عمر وهما
واحد وهى الوسوسة وهذا
تأكيد لما تقدم من
وجوب الاستعاذة بالله
عند نزغ الشيطان وان
عادة المتقين اذا أصابهم
أذى نزغ من الشيطان
والملم بوسوسته (تذكروا)
ما أمر الله به ونهى عنه
(فاذا هم مبصرون)
فابصروا السداد ودفعوا
وسوسته وحقيقته أن
يفروا منه الى الله فيزدادوا
بصيرة من الله بالله
(واخوانهم) وأما اخوان
الشياطين من شياطين
الانس فان الشياطين
(يمدونهم فى النجى) أى
يكونون مدد لهم فيه
ويعضدونهم ويمدونهم
من الامداد مدنى (ثم
لا يقصرون) ثم لا يسكون
عن اغوائهم حتى يبصروا

الله عليه وسلم فكيف بالغضب يارب فانزل الله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه
سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونحسه فى القلب وقيل النزغ الاثر عاج وأكثر ما يكون عند
الغضب وأصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت بين القوم اذا أفسدت بينهم وقال الزجاج
النزغ أذى حركة تكون ومن الشيطان أذى وسوسة والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان
وسوسة أو نحسة (فاستعذ بالله) يعنى فاستجرب بالله والجالأ اليه فى دفعه عنك (انه سميع) يعنى لدعائك (عليم)
بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا فى حل الانسان على ما لا ينبغى فى حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجاء
اليه والتعوذ به فى تلك الحالة فهى تجرى مجرى العلاج لذلك المرض

فصل واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء بهذه الآية فقالوا لو كان النبى معصوما لم يكن للشيطان
عليه سبيل حتى ينزغ فى قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل
فى قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله وان لم يحصل ذلك له ألبتة فهو كقوله أئن أشركت وهو برى من
الشرك البتة والوجه الثانى على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى
الله عليه وسلم عن قبولها وثبوتها فى قلبه (م) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم
من أحد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياى الا أن الله
أعانتى عليه فأسلم فلا يامر فى الاجحيز قال الشيخ محيى الدين النووى ويروى فاسلم بفتح الميم وضمها فن رفع قال
معناه فاسلم أنا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان القرين أسلم من الاسلام يعنى صار مؤمنا لا يامر فى الاجحيز
قال الخطابى الصحيح المختار الرفع ورجح القاضى عياض الفتح قال الشيخ وهو المختار لقوله فلا يامر فى
الاجحيز قال القاضى عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان فى جسمه
وخطره ولسانه وفى هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه أعلمنا انه معنا التعترز
عنه بحسب الامكان والله أعلم الوجه الثالث يحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره
ومعناه واما ينزغنك أيها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
قوله سبحانه وتعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف (من الشيطان) وهما الفتان ومعناه
الشيء يل بالانسان وقيل بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطائف
ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف الممم والمس وقال الازهرى الطيف فى كلام العرب الجنون وقيل
للغضب طيف لان الغضبان يشبه الجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان
نشبه لمة الخبال فذكر فى الآية الاولى النزغ وهو أخف من الطيف المذكور فى هذه الآية لان حالة الشيطان
مع الانبياء أضعف من حاله مع غيرهم (تذكروا) يعنى عرفوا ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيد
قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيسكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يل بالذنب فيذكر
الله فيقوم ويدعه (فاذا هم مبصرون) يعنى انهم يبصرون مواقع الخطأ بالتذكر والتفكير وقال السدى
اذا زلوا تابوا وقال مقاتل هو الرجل اذا أصابه نزغ من الشيطان تذكروا عرف انه معصية فابصروا ونزغ عن
مخالفة الله عز وجل (واخوانهم) يعنى واخوان الشياطين من المشركين (يمدونهم) أى يمددهم الشياطين
(فى النجى) قال الكلبى السكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أى يطيلون لهم فى الاغواء حتى يستمروا عليه
وقيل يزبدونهم فى الضلالة (ثم لا يقصرون) يعنى لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال
المؤمنين المتقين لان المؤمن اذا أصابه طيف من الشيطان تذكروا وعرف ذلك فترجع عنه وتاب واستغفر
والكافر مستقر فى ضلالته لا يتذكر ولا يرعوى وقال ابن عباس الانس لا يقصرون عما يعملون من السيئات
ولا الشياطين يسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون عن فعل الانس والشياطين جميعا

قوله عز وجل (واذالم تأتهم بآية) يعني واذا لم تأت المشركين يا محمد بآية ومجزة باهرة (قالوا) يعني قال المشركون (لولا اجتبيتها) يعني افتعلتها وأنشأتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال السكبي كان أهل مكة يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الآيات تمتنا فاذا تاخرت اتمهوه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا أحدثناها وأنشأتها من عندك (قل) أي قل يا محمد طو لاء المشركين الذين سألو الآيات (انما أتبع ما يوحى الى من ربي) يعني القرآن الذي أنزل على وليس لي أن أقترح الآيات والمجرات (هذا بصائر من ربكم) يعني هذا القرآن حجة وبرهان وأصل البصائر من الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سبب البصائر العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أطلق عليه اسم البصائر فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب (وهدي) يعني وهو هدي (ورحمة) يعني وهو رحمة من الله (انقوم يؤمنون) وهنالك طيفة وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم أصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم أصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المؤمنين وهم أصحاب حق اليقين فالقرآن في حق الاولين وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدي وفي حق القسم الثالث وهم عامة المؤمنين رحمة قوله تعالى (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم وهدي ورحمة لقوم يؤمنون أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته فقال سبحانه وتعالى واذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يعني أصغوا اليه باسماءكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواضعه وأنصتوا يعني عند قراءته والانصات السكوت للاستماع يقال نصت وأنصت وانصت بمعنى واحد واختلف العلماء في الحال التي أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن والانصات له اذا قرأ لأن قوله فاستمعوا له وأنصتوا أمر وظاهر الامر للوجوب فقطضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلماء في ذلك أقوال القول الاول وهو قول الحسن وأهل الظاهر أن تجرى هذه الآيات على العموم في أي وقت وأي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له والسكوت والقول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روى عن أبي هريرة أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم فامر بالسكوت والاستماع لقراءة القرآن وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال جفاة القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا القول الثالث انها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال أما أن لكم أن تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله وقال السكبي كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطاء وجب الصمت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وعند الامام وهو يخطب وهذا القول قد اختاره جماعة وفيه بعد لان الآية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة واتفقوا على أنه يجب الانصات حال الخطبة بدليل السنة وهو ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت اصاحبك أنصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد اغوت أخرجاه في الصحيحين واختلف العلماء في القراءة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سواء جهر الامام بالقراءة أو أسر روى ذلك عن عمرو وعثمان وعلي وابن مسعود ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى أنه يقرأ فيما أسر الامام فيه القراءة ولا يقرأ فيما جهر الامام فيه يروى ذلك عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك وأحدوا سحق وذهب قوم الى انه

وانما جمع الضمير في اخوانهم والشية طان مفرد لان المراد به الجنس (واذا لم تأتهم بآية) مقترحة (قالوا لولا اجتبيتها) هلا اخترعتها أي اختلقتها كما اختاقت ما قبلها (قل انما أتبع ما يوحى الى من ربي) ولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وهدي ورحمة لقوم يؤمنون) به (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا

لا يقرأ سواء أمر الامام أو جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب أصحاب الرأي حجة من لا يرى القراءة خلف الامام ظاهر هذه الآية وحجة من قال يقرأ في السرية دون الجهرية قال ان الآية تدل على الامر بالاستماع لقراءة القرآن ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الامام فحملنا مدلول الآية على صلاة السرية جمعاً بين دلائل الكتاب والسنة وحجة من أوجب القراءة خلف الامام في صلاة السرية والجمهرية قال الآية واردة في غير الفاتحة لان دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجمهرية قالوا واذا قرأ الفاتحة خلف الامام يتبع سكتانه ولا ينازع في القراءة ولا يجهر بالقراءة خلفه ويدل عليه ما روى عن عباد بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فقلت عليه القراءة فلما انصرف قال اراكم تقرأون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اى والله قال لا تفعلوا الا بما قال الامام فان لا صلاة لمن لم يقرأ بما أخرجه الترمذي بطوله وأخرجه في الصحيحين أقصر منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يؤولها اثنان غير تمام فقيل لابي هريرة اننا نكون وراء الامام قال اقرأها في نفسك وذكرا الحديث وقوله سبحانه وتعالى (اعلمكم ترجمون) يعنى الكى ترجمكم بكم يا تابعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه قوله عز وجل (واذ كرر بك في نفسك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لانه عام لسائر المكافين قال ابن عباس يعنى بالذكر القرآن في الصلاة يريد اقرأ سراً في نفسك والفائدة فيه ان ارتفاع الانسان بالذكر انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس أقرب الى الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور وجل جلاله واذا كان الذكر باللسان عارياً عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعاره عظمة المذكور عز وجل (تضرعاً) يقال تضرع الرجل يضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان غيره (وخيفة ودون الجهر من القول) يعنى وخوفاً والمعنى تضرع الى وخف عند ابي وقال مجاهد وابن جريج أمر أن يذكروه في الصدور بالتضرع والاستسكانة دون رفع الصوت في الدعاء وههنا لطيفة وهي ان قوله سبحانه وتعالى واذا كرر بك في نفسك فيه اشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فاذا تذكرك العبد انعام الله عليه واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعاً وخيفة وهذا مقام الخوف فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوى ايمانه والمستحب أن يكون الخوف أغلب على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا آخر أجله فيستحب أن يغلب رجاءه على خوفه عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف تجدك قال أرجو الله يا رسول الله وانى أخاف ذنوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا أعطاه الله ما يرجو منه وأمنه عما يخاف أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (بالغدو) جمع غدوة (والأصال) جمع أصل وهي ما بين صلاة العصر الى المغرب والمعنى اذا كرر بك بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الانسان يقوم بالغدوة من النوم الذى هو أحوال الموت فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل وأما وقت الأصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد أن يستقبل النوم الذى هو أحوال الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لانها حالة تشبه الموت واعلم لا يقوم من تلك النوم فيكون موته على ذكر الله عز وجل وهو المراد من قوله سبحانه وتعالى (ولا تكن من الغافلين) يعنى عما يقر بك الى الله عز وجل وقيل ان أعمال العبد تصعد أول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين

اعلمكم ترجمون) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه اذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجهور الصحابة رضوا الله عنهم على انه في استماع المؤتم وقيل في استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الاصح (واذ كرر بك في نفسك) هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعاً وخيفة) متضرعاً وخائفاً (ودون الجهر من القول) ومتكلماً كلاماً دون الجهر لان لا خفاء أدخل في الاخلاص وأقرب الى حسن التفكير (بالغدو والأصال) افضل هذين الوقتين وقيل المراد اذاعة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات والأصال جمع أصل والأصل جمع أصيل وهو العنى (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه

ليكون ابتداء عمله بالذكر واختتامه بالذكر وقيل لما كانت الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر
مكروهة استحب للعبد ان يذكر الله في هذين الوقتين ليكون في جميع أوقاته مشتغلا بما يقر به الى الله
عز وجل من صلاة أو ذكر ﴿ قوله عز وجل (ان الذين عند ربك) يعني الملائكة المقر بين لما أمر الله
عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف أخبران الملائكة الذين عنده
مع علوم ربهم وشرفهم وعصمتهم (لا يستكبرون عن عبادته) وطاعته لانهم عبيده خاضعون لعظمته
وكبريائه عز وجل (ويسبحونه) يعني وينزهونه عن جميع النقائص ويقولون سبحان ربنا (وله يسجدون)
لاغيره فان قلت التسبيح والسجود اخلاق في قوله تعالى لا يستكبرون عن عبادته لانهم من جملة العباد
فكيف أفردهما بالذكر قلت أخبر الله عز وجل عن حال الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن
عبادته ثم أخبر عن صفة عبادتهم انهم يسبحونه وله يسجدون ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين أعمال
القلوب وأعمال الجوارح وأعمال القلوب هي تنزيهه الله عن كل سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله
و يسبحونه وعبر عن أعمال الجوارح بقوله وله يسجدون وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيستحب
للقارئ والمستمع أن يسجد عند قوله وله يسجدون ليوافق الملائكة المقر بين في عباداتهم (ق) عن عبد
الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ويسجد معه حتى
ما يجد بعضا موضع المكان جبهته في غير وقت صلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة
وأمرت بالسجود فابتغى النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك
بها خطيئة والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

﴿ تفسير سورة الانفال ﴾

مدنية كلها الا سبع آيات منها نزلت بمكة وهي من قوله سبحانه وتعالى واذا تكلم بك الذين كفروا الى آخر سبع
آيات والاصح انها نزلت بالمدينة وان كانت الواقعة مكية وهي خمس وسبعون آية وألف وخمس وسبعون
كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قوله سبحانه وتعالى (يسئلونك عن الانفال) (ق) عن سعيد بن جبيرة قال سألت ابن عباس عن سورة
الانفال قال نزلت في بدر واختلف أهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ومن قتل
قتيلا فله كذا ففتسارع الشباب وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا ولا تستأثر وابه عليه انا كنا رد لكم ولو
انكشفتم انكشفتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسئلونك عن الانفال الآية قال أهل التفسير قام أبو
اليسر بن عمر والنضاري أحوب بنى سامة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من قتل قتيلا فله كذا وكذا وان انا قد
قتلنا سبعين وأسرا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما نطلب هو لآء زهادة في الآخرة
ولاجين عن العدو لکن کرهنا ان نعرى مضافك فتعطف عليك خيل من المشركين فيصيبونك فاعرض
عنهم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء
الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شيء فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال وقال محمد بن اسحق أمر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر فجمع فاختار المسامون فيه فقال من جمعه هوانا وكان رسول الله

(ان الذين عند ربك)
مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا
يعني الملائكة (لا يستكبرون
عن عبادته) لا يعظمون
عنها (ويسبحونه)
وينزهونه عما لا يليق به
(وله يسجدون) ويخصونه
بالعبادة لا يشركون به
غيره والله أعلم

﴿ سورة الانفال مدنية
وهي خمس أو ست أو سبع
وسبعون آية ﴾
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(يسئلونك عن الانفال)

في غنائم بدر وفي قسمتها
 فسألوا رسول الله كيف
 تقسمون وان الحكم في قسمتها
 للمهاجرين أم للانصار أم
 لهم جميعا فقيل له قل لهم هي
 لرسول الله وهو الحاكم
 فيها خاصة بحكم فيها ما يشاء
 ليس لاحد غيره فيها حكم
 ومعنى الجمع بين ذكر الله
 والرسول أن حكمها مختص
 بالله ورسوله بامر الله
 بقسمتها على ما تقتضيه
 حكمته ويمثل الرسول أمر
 الله فيها وليس الامر في
 قسمتها مفوضا الى رأى
 أحد (فاتقوا الله) في
 الاختلاف والتخاصم
 وكونوا متآخين في الله
 (وأصلحوا ذات بينكم)
 أحوال بينكم يعني ما بينكم
 من الاحوال حتى تكون
 أحوال ألفة ومحبة واتفاق
 وقال الزجاج معنى ذات
 بينكم حقيقة وصلكم
 والبين الوصل أى فاتقوا
 الله وكونوا مجتمعين على
 ما أمر الله ورسوله به قال
 عبادة بن الصامت رضى الله
 عنه نزلت فينا بامعشر
 أصحاب بدر حين اختلفنا
 في النفل وساعت فيه
 أخلاقنا فترعه الله من
 أيدينا فجعله لرسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقسمه
 بين المسلمين على السواء
 (وأطيعوا الله ورسوله)
 فيما أمرتم به في الغنائم

صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ولو لانحن ما أصبتموه وقال الذين
 يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنا بقدر أن نقاتل العدو ولكننا خفنا على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم غرة العدو وفقمنا دونه فأتم باحق منافرات هذه الآية وروى مكحول عن أبي امامة الباهلي قال
 سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وساعت فيه
 أخلاقنا فترعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بيننا عن بواء يقول على سواء وكان فيه تقوى الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين
 وعن سعد بن أبي وقاص قال لما كان يوم بدر رجئت بسيف فقلت يا رسول الله ان الله قد شفى صدرى من
 المشركين أو نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولالك فقلت عسى أن يعطى هذا من لا يبلى بلائى
 فجاءني الرسول فقال انك سألتني وإيس لي وأنه قد صار لي وهولك فنزلت يستلونك عن الانفال الآية أخرجه
 أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح وأخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد
 ولفظ مسلم فيه قال أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة واذا فيها سيف فاخذته فانبت به رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقلت لفلنى هذا السيف فانما من قد علمت حاله فقال رده من حيث أخذته فانطأقت به
 حتى أردت أن ألقيه في القبر لا امتنى نفسى فرجعت اليه فقلت أعطينيه قال فشد على صوته رده من حيث
 أخذه فانزل الله عز وجل يستلونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت المغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 خاصة ليس لاحد فيها شيء وما أصاب سرايا المسلمين من سبي أتوه به فن حبس منه ابرة أو سلكا فهو شلول وأما
 التفسير فله سبحانه وتعالى يستلونك عن الانفال استفتاء يعني يسألك أصحابك يا محمد عن حكم الانفال
 وعلمها وهو سؤال استفتاء لاسؤال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو سؤال طلب وقوله عن الانفال أى من
 الانفال وعن معنى من وقيل عن صلة أى يستلونك الانفال والانفال هي الغنائم في قول ابن عباس وعكرمة
 ومجاهد وقتادة وأصله الزيادة سميت الغنائم أنفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص
 وأكثر المفسرين على انها نزلت في غنائم بدر وقال عطاء هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين بغير قتال من
 عبد أو امرأة أو متاع فهو للنبى صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشاء (قل الانفال لله والرسول) أى قل لهم يا محمد
 ان الانفال حكمها لله ورسوله بقسمتها كيف شاء واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال مجاهد وعكرمة
 والسدى هذه الآية منسوخة فمسحها الله سبحانه وتعالى بالحس في قوله واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله
 خسه وللرسول الآية وقيل كانت الغنائم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقسمتها كيف شاء لمن شاء ثم نسخها
 الله بالحس وقال بعضهم هذه الآية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم
 الذين من قبلنا في شرائع انبيائهم فاباحها الله لهذه الامة بهذه الآية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت
 بآية الحس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي احدى الروايات عن ابن عباس ومعنى الآية على هذا
 القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث أمره الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا أن ما غنمتم من
 شيء فان لله خسه وللرسول الآية وصرح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية
 ففتحنا ابلا فاصاب كل واحد منا اثني عشر بعيرا ونقلنا بعير بعيرا أخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الآية
 محكمة وللإمام أن ينفل من شاء من الجيش ماشاء قبل التحميس (فاتقوا الله) يعني اتقوا الله بطاعته واتقوا
 مخالفتها وتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنائم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اصلحوا الحال فيما بينكم بترك المنازعة
 والمخالفة بتسليم أمر الغنائم الى الله ورسوله (وأطيعوا الله ورسوله) فيما يأمركم به وينهيككم عنه (ان
 كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعديه قوله سبحانه وتعالى (انما المؤمنون الذين اذا ذكر
 الله وجلت قلوبهم) لما أمر الله سبحانه وتعالى بطاعته وطاعة رسوله في الآية المقدمة ثم قال بعد ذلك ان كنتم

وغيرها (ان كنتم مؤمنين) كالملى الايمان (انما المؤمنون) انما الكاملون الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فرغت لذكركه

مؤمنين لان الايمان يستلزم الطاعة بين في هذه الآيات صفات المؤمنين وأحوالهم فقال سبحانه وتعالى انما المؤمنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى ليس المؤمنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المؤمنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفاً من عقابه وقال أهل الحقائق الخوف على قسمين خوف عقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عنمة الله عز وجل فيخافونه أشد خوف وأما العصاة فيخافون عقابه للمؤمن اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته في ذكر الله فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في هذه الآية وجلت قلوبهم بمعنى خافت وقال في آية أخرى وتطمئن قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لان منافاة بين هاتين الحالتين لان الوجع هو خوف العقاب والاطمئنان انما يكون من تليج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف والرجاء وقد جمعوا في آية واحدة وهي قوله سبحانه وتعالى تقشعرونه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والمعنى تقشعرونه جلودهم من خوف عقاب الله ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الله ورجاء ثوابه وهذا حاصل في قلب المؤمنين ﷺ ثم قال تعالى (واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا) يعنى واذا قرئت عليهم آيات القرآن زادتهم تصديقه قاله ابن عباس والمعنى انما كلما جاءهم شيء من عند الله آمنوا به فزيدادون بذلك ايماناً وتصديقاً لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول وهو الذى عليه عامة أهل العلم على ما حكاه الواحدى ان كل من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان ايمانه أزيد لان عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتسكون معرفته بالله أقوى فيزداد ايمانه الوجه الثانى هو انه يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متواليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكما تجدد تكاليف صدقوا به فيزدادون بذلك الاقرار بتصديقا و ايمانا ومن المعلوم ان من صدق انسانا في شئين كان أكبر ممن يصدقه في شئ واحد فقوله تعالى واذا نلت عليهم آياته زادتهم ايمانا معناها انهم كما سمعوا آية جديدة أتوا باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلاف الناس في ان الايمان هل يقبل الزيادة والنقص أم لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق التلبي قالوا لا يقبل الزيادة لاجماع أهل اللغة على أن الايمان هو التصديق والاعتقاد بالعقاب وذلك لا يقبل الزيادة ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع أمور ثلاثة وهي التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح والاركان فقد استدل على ذلك بهذه الآية من وجهين أحدهما ان قوله زادتهم ايمانا صريح في أن الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة عن التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثانى انه ذكر في هذه الآية واصفاً متعددة من أحوال المؤمنين ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك أولئك هم المؤمنون حقا وذلك يدل على أن تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضعة وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها امانة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان أخرجه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على أن الايمان فيه أعلى وأدنى واذا كان كذلك كان قابلاً لزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكان له صحبة ان للايمان زيادة ونقصا قيل له فإز يادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا ونوغنا فلنا فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدى بن عدى ان للايمان فرائض وشرائط وشرائع وحدودا وسننا فن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكمل لم يستكمل الايمان ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وعلى ربهم يتوكلون) معناه يفوضون جميع أمورهم اليه ولا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم أن المؤمن اذا كان واثقا بوعده الله ووعده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهى درجة عالية ومرتبة شريفة لان الانسان

استعظامه وتهيبامه
جلاله وعزه وسلطانه
(واذا نلت عليهم آياته)
أى القرآن (زادتهم ايمانا)
ازدادوا بايقيناً وطمأنينة
لان تظاهر الادلة أقوى
للمدلول عليه وأثبت
لقدمه أو زادتهم ايمانا بتلك
الآيات لانهم لم يؤمنوا
بأحكامها قبل (وعلى ربهم
يتوكلون) يعتمدون ولا
يفوضون أمورهم الى غير
ربهم لا يخشون ولا يرجون
الاياه

(الذين يقيمون الصلاة ويمارزقناهم ينفقون) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والاخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أولئك هم المؤمنون حقا) هو صفة لصدور محذوف أي أولئك هم المؤمنون (١٧٧) إيمان حقا أو هو مصدر مؤكد

للجملة التي هي أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أي حق ذلك حقا وعن الحسن رحمه الله إن رجلا سأله أمؤمن أنت قال إن كنت نسألتني عن الإيمان بالله وما لا نكتنه وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا مؤمن وإن كنت نسألتني عن قوله إيمان المؤمنون الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآياتي كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وهذا يتشبهت من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى في إيمانك قال أتباع إبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى وعن إبراهيم التيمي قل أنا مؤمن حقا فان صدقت أنت عليه وإن كذبت فكفرك أنت من كذبك وعن ابن عباس رضي

يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شيء من أموره الأعلى الله عز وجل واعلم أن هذه المراتب الثلاث أعني الوجل عند ذكرك الله وزيادة الإيمان عند تلاوة القرآن والتوكل على الله من أعمال القلوب ولما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الصفات الثلاث أتبعها بصفتين من أعمال الجوارح فقال سبحانه وتعالى (الذين يقيمون الصلاة ويمارزقناهم ينفقون) يعني يقيمون الصلاة المفروضة بمحودها وأركانها في أوقاتها وينفقون أموالهم فيما أمرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في الزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الانفاق في أنواع البر والقربات ثم قال تعالى (أولئك) يعني من هذه صفتهم (هم المؤمنون حقا) يعني يقينا لا شك في إيمانهم قال ابن عباس برؤا من الكفر وقال قتادة استحقوا الإيمان وأحقه الله لهم وفيه دليل على أنه لا يجوز أن يصف أحدهم نفسه بكونه مؤمنا حقا إلا أن الله سبحانه وتعالى إنما وصف بذلك أقواما مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق وجود تلك الأوصاف فيه وهما لا يتعاقبان بمسئلة أصولية وهي أن العلماء اتفقوا على أنه يجوز للرجل أن يقول أنا مؤمن واختلافوا في أنه يجوز له أن يقول أنا مؤمن حقا أم لا فقال أصحاب الإمام أبي حنيفة الأولى أن يقول أنا مؤمن حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله واستدلوا على صحة هذا القول بوجهين * الأول أن المتحرك لا يجوز أن يقول أنا متحرك إن شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد كذلك هذه المسئلة يجب فيها أن يكون المؤمن مؤمنا حقا ولا يجوز أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله * الوجه الثاني أنه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا وفي قوله أنا مؤمن إن شاء الله تشكيك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز وقال أصحاب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه الأولى أن يقول الرجل أنا مؤمن إن شاء الله واحتجوا بصحة هذا القول بوجوه * الأول أن الإيمان عندهم عبارة عن الاعتقاد والقرار والعمل وكون الإنسان آتيا بالأعمال الصالحة المتقبولة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية بوجوب الشك في الماهية فيجب أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وإن كان اعتقاده وإقراره صحيحا وعن أصحاب أبي حنيفة أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل من مسمى الإيمان فلم يلزم حصول الشك * الوجه الثاني أن قولنا أنا مؤمن إن شاء الله ليس هو على سبيل الشك ولكن إذا قال الرجل أنا مؤمن فقد مدح نفسه بأعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب فاذا قال إن شاء الله زال عنه ذلك العجب وحصل له الإنكار روي أن أبا حنيفة قال لقتادة لم استثنيت في إيمانك فقال قتادة أتباع إبراهيم عليه السلام في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال أبو حنيفة هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى فانتقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة أن يقول إن إبراهيم قال بعد قوله إيمان من قلبي فطاب مزيد الطمأنينة * الوجه الثالث أن الله سبحانه وتعالى ذكر في أول الآية إيمان المؤمنون وانظرة إيمانهم بالحصر يعني إيمان المؤمنون الذين هم كذا وكذا وذكر بعد ذلك أوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص لله والتوكل على الله والإيمان بالصلاة كما أمر الله سبحانه وتعالى وإيتاء الزكاة كذلك ثم بعد ذلك قال أولئك هم المؤمنون حقا يعني أن من أتى بجميع هذه الأوصاف كان مؤمنا حقا ولا يمكن لاحد أن يتطوع بحصول هذه الصفات له فكان الأولى له أن يقول أنا مؤمن إن شاء الله وقال ابن أبي نجيب سأل رجل الحسن فقال أمؤمن أنت فقال الحسن إن كنت سألتني عن الإيمان بالله وما لا نكتنه وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فإنا بها مؤمن وإن كنت سألتني عن قوله إيمان المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجدت قلوبهم الآية فلا أدري أنا منهم أم لا وقال عائشة كفا في سفر فاتفقنا قوم فقلنا من التوم فقالوا نحن المؤمنون حقا فلم ندر ما نتجيبهم حتى

(٢٣ - (نزل) - ثاني) الله عنهم ما من لم يكن معافاة فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحد فقال إيش اسمك فقال أحد فقال أنت قول أنا حقا أو أنا حقا إن شاء الله فقل أنا حقا فقال حيث سماها والداك لا نستثنى وقد سماك الله في القرآن مؤمنا نستثنى

(لهم درجات) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الاعمال (عند ربهم ومغفرة) ونجا وزلياً لهم (ورزق كريم) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب الكافي (كأخرجك (١٧٨) ربك) في محل النصب على انه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الانفال

استقرت لله والرسول
ونبتت مع كراهتهم نباتا
مثل ثبات اخراج ربك
ايك من بيتك وهم
كارهون (من بيتك)
يريد بيته بالمدينة او المدينة
نفسها لانها مهاجرة
ومسكنه فهي في
اختصاصها كاختصاص
البيت لساكنه (بالحق)
اخراجا ملتبسا بالحكمة
والصواب (وان فرقا
من المؤمنين لكارهون)
في موضع الحال أى
أخرجك في حال كراهتهم
وذلك ان عير قريش
أقبلت من الشام فبها تجارة
عظيمة ومعها أربعون
راكبا منهم أبو سفيان
فاخبر جبريل النبي عليه
السلام فاخبر أصحابه فاعجبهم
تلقى العير أكثر الخبير وقلة
القوم فلما خرجوا علمت
قريش بذلك فخرج أبو
جهل بجميع أهل مكة وهو
الغيفرى المثل السائر لاقى
العير ولا فى النفير فقبل له
ان العير أخذت طريق
الساحل ونجت فابى وسار
بين معاه الى بدر وهو ماء
كانت العرب تجتمع فيه
لسوقهم يومافى السنة
ونزل جبريل عليه السلام
فقال يا محمد ان الله وعدكم

لغيرنا عبد الله بن مسعود فاخبرنا به قالوا قال فارددتم عليهم فلنا لم نرد عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم أمن أهل الجنة أتم ان المؤمنين هم أهل الجنة وقال سفيان الثوري من زعم انه مؤمن حقا عند الله ثم لم يشهد انه فى الجنة فقد آمن بنصف الآية دون النصف الآخر * الوجه الرابع ان قولنا أنا مؤمن ان شاء الله للبرك لالشك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وان ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعى انه لاحق باهل القبور * الوجه الخامس ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا يحصل الا عند الموت فاهذا السبب حسن ان يقول أنا مؤمن ان شاء الله فالمراد صرف الاستثناء الى الخاتمة وأجاب أصحاب هذا القول وهم أصحاب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنهم عن استدلال أصحاب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنهم بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول أنا متحرك ان شاء الله بان الفرق بين وصف الانسان بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحرك كان الايمان يتوقف حاله على الخاتمة والحركة تفعل يقينى فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثانى وهو قولهم انه سبحانه وتعالى قال أولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مؤمنين حقا لله تعالى حكم للموصوفين بتلك الصفات المذكورة فى الآية بكونهم مؤمنين حقا اذا أتوا بتلك الاوصاف الخمسة ولا يقدرا أحد ان يأتى بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ايضا ان من أتى بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مؤمنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك أحد والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى (لهم درجات عند ربهم) يعنى لهم مراتب بعضها أعلى من بعض لان المؤمنين تتفاوت أحوالهم فى الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم فى الجنة لان درجات الجنة على قدر الاعمال قال عطاء درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن أنس درجات الجنة سبعون درجة ما بين الدرجة والدرجة حضر الفرس المضر سبعين سنة وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام أخرجه الترمذى وله عن أبى سعيدان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة مائة درجة لوان العالمين اجتمعوا فى احداهن لوسعتهم (ومغفرة) يعنى وهم مغفرة لذنوبهم (ورزق كريم) يعنى ما أعد لهم فى الجنة وصفه بكونه كريما لان منافاه حاصلة لهم دائما عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله سبحانه وتعالى (كأأخرجك ربك من بيتك بالحق وان كفاه ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال لله والرسول وان كرهوا كأأخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناها مض لا سر ربك فى الانفال وان كرهوا كما مضت لا سر ربك فى الخروج من البيت اطلب العير وهم كارهون وقيل معناها فاتقوا الله وأصلحو اذات بينكم فان ذلك خيرا لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق هو خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله سبحانه وتعالى لهم درجات عند ربهم تقديره وعد الله المؤمنين بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كأأخرجك ربك من بيتك بالحق وانجز الوعد بالنصر والظفر وقيل هى متعلقة بما بعدهم تقديره كأأخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق منهم كذلك يكرهون القتال ويجادلونك فيه وقيل الكاف بمعنى على أى امض على الذى أخرجك ربك من بيتك بالحق فانه حق وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره والذى أخرجك ربك من بيتك وجوابه يجادلونك فى الحق وقيل الكاف بمعنى ادتهقديره واذا كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قيل المراد بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة لهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه من المدينة الى بدر ومعناه كما أمرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعنى بالوحى اطاب المشركين (وان فرقا من المؤمنين لكارهون) يعنى للقتال وانما كرهوه لقله عددهم وقلة سلاحهم وكثرة عدوهم

وسلاحهم

احدى الطائفتين اما العير واما قريش فانتشار النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال العير أحب اليكم أم

النفير قالوا بل العير أحب اليك من لقاء العدو فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قدمضت على ساحل البحر وهذا

أبوجهل قد أقبل فقالوا عليك بالبرودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فاحسبنا ثم قام سعد
ابن عباد فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله
فانامعك حيث أحببت لانقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك (١٧٩) فقاتلانا هنا فاعدون ولكن

اذ هب أنت وربك فقاتلا
انامعكم مقاتلون مادامت
عين منا طرف فضحك
رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال سعد بن معاذ
امض يا رسول الله لما أردت
فوالذي بعثك بالحق لو
استعرضت بنا هذا البحر
غضضته لخصناه معك ما
تخلف منا رجل واحد فسر
بنا على بركة الله ففرح
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونشطه قول سعد ثم
قال سيروا على بركة الله
أبشروا فان الله وعدني
احدى الطائفتين والله
لكأنى الآن أنظر الى
مصارع القوم وكانت
الكرامة من بعضهم لقوله
وان فريقا من المؤمنين
لكارهون قال الشيخ أبو
منصور رحمه الله يحتمل
أنهم منافقون كرهوا ذلك
اعتقادا ويحتمل أن
يكونوا مخلصين وأن يكون
ذلك كراهة طبع لانهم غير
متأهين له (بجادلونك في
الحق) الحق الذي جادلوا فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناقى النفي لا يشارهم عليه

وسلاحهم (بجادلونك في الحق) وذلك ان المؤمنين لما أيقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا تعلمنا أنالنقي
العدو فاستعداقتاهم وانما اخر جنا الطالب العير فذلك جدا لهم (بعد ما تبين) يعنى تبين لهم أنك لا تصنع شيئا
الابامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد (كأنما يساقون الى الموت) يعنى لشدة كراهتهم القتال (وهم
ينظرون) يعنى الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجرى الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر
اليه ويعلم أنه آتية ﴿ قوله عز وجل (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) يعنى الفرقتين فرقة أبى سفيان
مع العير وفرقة أبى جهل مع النفيير (أنها لكم) يعنى احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير
ومحمد بن اسحق والسدى أقبل أبو سفيان بن حرب من الشام في عير قريش في أر بعين راكبا من كفار
قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري ومعهم تجارة كبيرة وهى الطيعة يريد بالطيعة الجال
التي تحمل العطر والبر غير الميرة حتى اذا كانوا قريشيا من بدر بلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب أصحابه
اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن
ينفلكموهما فتدب الناس نخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صل الله عليه وسلم
يبقى حرا فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه
الى مكة وأمره أن ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم أن محمد اتي أصحابه قد عرض ايعرهم فخرج ضمضم
سريا الى مكة وكانت عائكة بنت عبدالمطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعها فبعثت
الى أخيها العباس بن عبدالمطلب فقالت يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا فإفرعتني وخشيت أن يدخل على
قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالاطح ثم صرخ بأعلى
صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس
يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر الى
مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعده على رأس أبى قبيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوى حتى
اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فابقي بيت من بيوت مكة ولادار من دورها الاود خلفها منها فلقه فقال العباس
والله ان هذه الرؤيا فظيفة فاعكفها ولا تذكريها الا حد ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة وكان صديقا
للعباس فذكر رؤيا عائكة له واستكتمها اياها فذكرها الوليد لايه عتبة ففشا الحديث حتى تحدث به قريش
بمكة قال العباس فعمدت أطوف بالبيت وأبوجهل بن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عائكة
فعمدت أطوف فلما رآني أبوجهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت
من طوافي أقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال لي أبوجهل يابني عبدالمطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت
وماذا قال الرؤيا التي رأت عائكة قلت وما رأت قال يابني عبدالمطلب أما رضيت أن تتنبا رجالكم حتى تنبأ
نساؤكم لقد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتر بص بكم هذه الثلاث فان بك ما قالت
حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بانكم كذب أهل بيت في
العرب قال العباس فوالله ما كان مني اليه من كبير شيء الا أني سجدت ذلك وأنكرت أن تكون عائكة رأت
شيئا ثم نفرقنا فلما أمسيت لم يبق امرأة من بنى عبدالمطلب الا أتتني فقلن أفررت من هذا الفاسق الخبيث أن

ناقى العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون ووجدتهم قوطم ما كان خروجا لالالعير وهلافت
لنالنسة معد ذلك لكرهتهم القتال (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) شبه حالهم في فرط فزعهم وهم يسارهم الى الظفر والغيمة بحال
من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها الا يشك فيها وقيل كان خوفهم اقلة العدو وانهم كانوا رجالا وما
كان نهم الافارسان (واذ يبعثكم الله احدى الطائفتين) اذ من صوب باذ كرواحدى مفعول ثان (أنها لكم) بدل من احدى الطائفتين وهما العير

يقع في رجالكم حتى تناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غدة الشئ مما سمعت قال قلت قد والله فعلت ما كان مني اليه من شئ وأيم الله لا تعرضن له فإن عادلا كفيكته قال فعدوت في اليوم الثالث من رؤيا عائشة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني شئ أحب أن أدركه منه قال فدخلت المسجد فرأيت به فوالله اني لأمر نحوه أتعرضه ايعود لبعض ما قال فاقع به وكان أبو جهل رجل خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتم قال العباس فقات في نفسي ما لعنه الله أكل هذا فرقامني أن أشأته قال فاذا هو قد سمع ما لم أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ يبطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدد بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة هذه أوالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث قال فشقاني عنه وشغله عني ما جاء من الامر قال فتجهز الناس سرا عا ولم يتخلف من أشرف قريش أحد الا أن أباهب قد تخاف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش للسيرة ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى أن يأتونا من خلفنا فكا ذلك أن ينهمهم فتمدى لهم ابليلس في صورة سرافة ابن مالك بن جعشم وكان من أشرف بني بكر فقال أنا جاركم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشئ تكرهونه فخرجت قريش سرا عا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ليلا مضت من شهر رمضان حتى باغ واديا يقال له ذافر دفاتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن غيرهم فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالروحاء أخذنا عيننا القوم فاخبره بخبرهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيناه من جهينة حليفا للانصار يدعى أرقيط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فترجل جبريل عاياه السلام وقال ان الله وعدهم احدى الطائفتين أنهما لكم اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحب النفي فقام أبو بكر فقال وأحسن وقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فمحن معك والله ما نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا فانهنا قاعدون ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا فانهما قاعدون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجادنا معك من دونه حتى نباغته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له خير او دعاله بخبر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك لانهم عدد الناس وانهم حين يبعوه بالعقبه قالوا يا رسول الله اننا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا فممنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا فممنعك رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرتة الا يمن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسبروا معه الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدا وناوينا موثيقنا على السلم والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا أحد وما نكره أن تاتي بنا عدونا وناوعدوك انا نصير عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله عز وجل قد وعدني احدى الطائفتين والله لكانني أنظر ابي مصارع القوم (م) عن أنس ابن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرثي مصارع أهل بدر بالامس بقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى قال عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في

والنفي والتقدير واذا بعدكم
الله أن احدى الطائفتين
لكم

(وتودون ان غير ذات الشوكه تكون لكم) أي العبر وذات الشوكه ذات السلاح والشوكه كانت في النفر بعددهم وغدنتهم أي تمنون أن تكون لكم العبر لانها الطائفة التي لا سلاح لها ولا تر يدون الطائفة الاخرى (و يريد الله أن يحق الحق) أي يشتمو يعايبه (بكماته) بآياته المنزلة في محاربه ذات الشوكه وتمام الملائكة من نزولهم للمصره وبقاضي من (١٨١) قتلهم وطرحهم في قلب بدر

(ويقطع دابر الكافرين) والدابر الآخر فاعل من دبر اذا دبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائده عاجله وسفاه الامور والله تعالى يريد معالي الامور ونصرة الحق وعلو الكلمه وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكه وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (ليحق الحق) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (ويبطل الباطل) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أي ما فعله الالهما وهما اثبات الاسلام واطهاره وابطال الكفر ومحققه وليس هذا بتكرار لان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكه على غير هالهم ونصرتهم عليها (ولو كره المجرمون) اذا المشركون ذلك (اذ يستغيثون ر بكم) بدل من اذ بعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا

بتر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فاني قد وجدت ما وعدني الله حقا قال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجساد الأرواح فيها فقال ما أتم باسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون ان يردوا على شيئا فذلك قوله سبحانه وتعالى واذا بعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم يعني طائفة أنى سفيان مع العبر وطائفة أنى جهل مع النفر (وتودون) أي تريدون وتمنون (ان غير ذات الشوكه تكون لكم) والمعنى وتمنون أن العبر التي ايس فيها قتال ولا شوكه تكون لكم والشوكه الشده والقوة ويقال السلاح (و يريد الله أن يحق الحق) أي يظهر الحق ويعليه (بكماته) يعني بامر اياكم بالقتال وقيل بعدائه التي سبقت لكم من اظهار الدين واعزازة (ويقطع دابر الكافرين) أي ويستاصلهم حتى لا يبقى منهم أحد (ليحق الحق) يعني ايثبت الاسلام (ويبطل الباطل) يعني وينفي الكفر (ولو كره المجرمون) يعني المشركون وفي الآية سؤالان * الاول ان قوله و يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق تكرير فامعناه والجواب أنه ليس فيه تكرير لان المراد بالاول تثبيت ما وعدني هذه الواقعة من النصر والظفر بالاعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين واطهار منار الشر بعة لان الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قاتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لاعزاز الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك * السؤال الثاني الحق حق لذاته والباطل باطل لذاته فما المراد من تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان المراد من تحقيق الحق اظهار كونه ذلك الحق حقا والمراد من ابطال ذلك الباطل اظهار كونه ذلك الباطل باطلا وذلك باظهار دلائل الحق وتقويته ووقع رؤساء الباطل وقهرهم قوله عز وجل (اذ يستغيثون ر بكم) أي واذا ذكر بالحمد اذ تستجيرون بر بكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان أحدهما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه قاله الزهري والقول الثاني انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم له (م) عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مديه فدخل يهتف ر به يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لاتبعدني في الارض فما زال يهتف ر به ما يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فانا أبو بكر فاخذ رداءه فالتفاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يابني الله كفاك مناشدتك ر بك فانه سينجز لك ما وعدك فانزل الله عز وجل اذ تستغيثون ر بكم (فاستجاب لكم أنى بمدكم بالف من الملائكة مردفين) فامده الله بالملائكة قال سماك خذني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه خرم مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السيف فاحصى ذلك أجمع وجاء خذت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسر واسبعين وقوله سبحانه وتعالى فاستجاب لكم يعني فاجاب دعاءكم أنى بمدكم أصله باني بمدكم أي مرسل اليكم مدد اورد ألكم بالف من الملائكة مردفين يعني يردف بعضهم بعضا بمعنى يتبع بعضهم بعضا حتى انه نزل جبريل عليه السلام في

يدعون الله يقولون أي بنا النصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغشنا وهي طلب الغوث وهو التخلص من المكروه (فاستجاب لكم) فاجاب وأصل (أنى بمدكم) باني بمدكم خذف الجار ووساط عليه استجاب فوصب محله (بالف من الملائكة مردفين) مدني غيره بكسر الدال وقتحها فالكسر على أنهم أوردوا عبرهم والفتح على أنه أوردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفاذا نبعه وأردفته اياه اذا اتبعته

عند الله) أي ولا تحسبوا النصر من اللائكة فان النصر هو الله لكم واللائكة أو وما النصر من اللائكة وغيرهم من الاسباب الامن عند الله والمنصور من نصره الله واختلف في قتال اللائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضي الله عنه وميكائيل في الجميمة على اليسرة وفيها علي رضي الله عنه في صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض أرخوا أذنانها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان ياتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل اللائكة قال فهم غلبونا لأنهم وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويشتمون المؤمنين والافلاك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا (ان الله عز بز) بنصر أوليائه (حكيم) يقهر أعدائه (اذ يغشاكم) يدل ثان من اذ يعدكم أو منصور بالنصر أو باضمار اذ كرى يغشاكم مدني (النعاس) النوم والفاعل

حسمائة وميكائيل عليه السلام في خمائة في صور الرجال على خيل باق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوها بين أكتافهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اشدر به وقال أبو بكر ان الله ينجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العرش ثم انقبه فقال يا أبا بكر أذاك نصر الله هذا جبريل أخذ بعنان فرس يقوده على ثناباه النقع (خ) بن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل أخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب يعني آلة الحرب قال ابن عباس كان سما اللائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقابل اللائكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عدد امداد اورد روى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدر انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعى بصرى لارى يتكم الشعب الذي خرجت منه اللائكة وقد تقدم الكلام في سورة آل عمران هل قاتلت اللائكة أم لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضرب به بالسوط فظم أنفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مدادوا ووقيل انهم لم يقاتلوا وانما زلوا ليكثر اسواد المسلمين ويشتموهم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما جعله الله الابشرى) يعني وما جعل الله الاراداف باللائكة الابشرى (وانطمئن به قلوبكم) وهذا يحقق انهم انما زلوا لذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه من الايام ﴿ وقوله تعالى (وما النصر الا من عند الله) يعني ان الله هو ينصركم أي المؤمنين فنقوا بنصره ولا تتكوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله تعالى في جميع أحواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة (ان الله عز بز) يعني انه تعالى قوى منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويقبله (حكيم) يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء من عباده ﴿ قوله سبحانه وتعالى (اذ يغشاكم النعاس أمنة) أي واذا كروا اذ يلقى عليكم النعاس وهو النوم الخفيف أمنة منه أي أمانة من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفائدة في كون النعاس أمنة في القتال أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلاً على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خوفوا على أنفسهم لكثرة عدوهم وقلّة المسلمين وقلة عددهم وعدهم وعطشوا عطشاً شديداً ألقى عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفاً بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم كان أمنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس لهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فالله السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المجهز لانه أمر خارج للعادة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ويزل عليكم من السماء ماء) يعني المطر (ليظهركم به) وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كتيب رمل أعفر تسوخ فيه الاقدام وحواف الدواب وكان المشركون قد سبوا وهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محمّث وبعضهم جنب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون محذنين ومجذبين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم فانزل الله سبحانه وتعالى مطراً سال منه الوادي فشرب منه المؤمنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وماؤا الاسقية واطفأ الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت (النعاس) النوم والفاعل

هو الله على القراءتين يغشاكم النعاس مكي وأبو عمرو (أمنة) مفعول له أي اذ تنعسون أمنة بمعنى أمانة عنهم أي لا مكم أو مصدر أي فامنتم أمنة فالتوضؤ بريح الرعب ويريح النفس (منه) صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من الله (ويزل) بالتخفيف مكي وبصري وبها نشيد بغيرهم (عليكم من السماء ماء) مطراً (ليظهركم به) بالماء من الحدث والجنابة

(و يذهب عنكم رجز)

عنهم وسوسة الشيطان وطابت أنفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله سبحانه وتعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة (و يذهب عنكم رجز الشيطان) يعني وسوسته التي ألقاها في قلوبكم (وايربط على قلوبكم) يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على أمر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدى ويشبه أن تكون لفظة على صلة والمعنى وايربط قلوبكم بالصبر وما وقع فيهم من اليقين وقيل ان لفظة على است بصلة لانها تفتيد الاستعلاء فيكون المعنى ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها (ويثبت به الاقدام) يعني ان ذلك المطر ليد الارض وقوى الرمل حتى تثبتت عليه الاقدام وحوافر الدواب وقيل المراد به تثبيت الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفرو بهرب عند اللقاء وقوله سبحانه وتعالى (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم) يعني ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى الملائكة الذين أمدهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه انى معكم بالنصر والمعونة (فثبتوا الذين آمنوا) أى قلوبهم واختلقت وافرقت كيفية هذه التقوية والتثبيت فقبل كما أن للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب ابن آدم بالبشر فكذلك للملك قوة في القاء الاطعام في قلب ابن آدم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقى الملكة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم في القتال ومعونتهم لهم أى يتوهم بقواتكم معهم المشركين وقيل معناه بشر وهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشى في صورة رجل امام الصف ويقول أشر وافان الله ناصركم عليهم (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المؤمنين حيث ألقى الرعب والخوف في قلوب الكافرين (فاضربوا فوق الاعناق) قيل هو خطاب مع المؤمنين فيكون منقطعاً عما قبله وقيل هو خطاب مع الملائكة فيكون متصلاً بما قبله قال ابن الانبارى ما كانت الملائكة تعرف تقابل بنى آدم فعلمهم الله ذلك بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق قال عكرمة يعنى الرأس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة وقيل معناه فاضربوا على الاعناق فتكون فوق بمعنى على (واضربوا منهم كل بنان) يعنى كل مفصل وقال ابن عباس يعنى الاطراف وهى جمع بنانة وهى اطراف أصابع اليد سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان أن يبين ما يريد أن يعمل بيديه وانما خصت بالذكور من دون سائر الاطراف لاجل أن الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه سبحانه وتعالى أمرهم بضرب أعلى الجسد وهو الرأس وهو أشرف الاعضاء وبضرب البنان وهو أضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل أمرهم بضرب الرأس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تعطيل حركة الانسان عن الحرب لان البنان يمكن من مسك السلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه تعطل عن ذلك كما روى عن أبي داود المازنى وكان شهيد بدر قال انى لاتبع رجلا من المشركين لا يضرب به اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت أنه قد قتل غيرى وعن سهل بن حنيف قال اقدر أيقنا يوم بدر وان أحدنا لبشر بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وروى عكرمة عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا أهل البيت فاسلمت أم الفضل وأسامت وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذاملا كثير متفرق في قومه وكان عدوا لله أبو طه قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فاجاء الخبر عن مقتل أصحاب بدر كبتهم الله وأخزاهم وجدنا فى أنفسنا قوة وعز قال أبو رافع وكنت رجلا ضعيفا عمل القداح وأنتجتها في حجرة زمزم فوالله انى لجالس أنت تحت القداح وعندى أم الفضل جالسة اذا قبل الفاسق أبو طه يجر رجليه حتى جلس على طناب الحجرة فكان ظهره الى طهرى فيها

أن يقع على مقتل أو غير مقتل فاضربهم أن يجردوا عليهم السبعين

(ذلك) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بانهم شاقوا الله ورسوله) أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقمتهم أي مخالفتهم. وهي مشتقة من الشق لأن كلالته ديين في شق خلاف شق صاحبه وكذا المعادة والمخاصمة لأن هذاني عدوة وخصم أي جانب وذاني (١٨٤) عدوة وخصم (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب)

هو جالس إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم فقال أبو لهب يا ابن أخي فعدك الخبر اليقين جلس إليه والناس قيام عليه فقال أبو لهب يا ابن أخي أخبرني كيف كانت أحوال الناس قال لا شيء والله إن كان الآن لقيناهم فذبحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا ويم الله ما لمت الناس لقينا رجلا بيضا على خيل تلقى بين السماء والأرض والله لا يتلقاهم شيء ولا يقوم لهم شيء قال أبو رافع فرفعت طرف الحجر بيدي وقلت تلك والله لا نسكة فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضرباً شديداً فثار رثه فاحتماي فضرب في الأرض ثم برك على صدري وكنت رجلاً ضعيفاً قامت إليه أم الفضل بعمود من عمد الحجر فضر بته ضرباً فلفت رأسه شجرة منكسرة وقالت تستضعفه إن غاب عنه سيده فقام مولياً ذليلاً والله ما عاش الأسبوع أيام حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتله وروى مقدم عن ابن عباس قال كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو وأخو بني سلمة وكان أبو اليسر رجلاً مجموماً وكان العباس رجلاً جساماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف أسرت العباس قال يا رسول الله لقد أعانتني عليه رجل مارأيت قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانتك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر في صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ذلك) يعني الذي وقع من القتل والأسر يوم بدر (بانهم شاقوا الله ورسوله) يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشافة المخالفة وأصلها المجانية كأنهم صاروا في شق وجانب عن شق المؤمنين وجانهم وهذا مجاز معناه أنهم شاقوا أولياء الله وهم المؤمنون أو شاقوا دين الله ثم قال سبحانه وتعالى (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) يعني إن الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والأسر شيء قليل فيما أعد الله لهم من العقاب يوم القيامة ﷻ ثم قال تعالى (ذلكم) إشارة إلى القتل والأسر الذي نزل بهم (فدوقوه) يعني عاجلاً في الدنيا لأن ذلك يسير بالإضافة إلى المؤجل الذي أعد الله لهم في الآخرة من العذاب وهو قوله (وإن للكافرين عذاب النار) يعني في الآخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك بالعبير يس من دونها شيء قال فناداه العباس من وثاقه لا يصلحك لأن الله وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله ما وعدك قال صدقت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ﷺ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا قاتلتم الذين كفروا زحفاً) يعني مجتمة بين متزاحفين بعضهم إلى بعض والتزاحف التداني في القتال وأصل الزحف مشى مع جر الرجل كأنه يمشى في بعض المشى الطائفتين بعضهم إلى بعض في القتال زحفاً لأنها مشى كل طائفة إلى صاحبها مشياً يريدوا ذلك قبل التداني للقتال وقال نعلب الزحف المشى قليلاً قليلاً إلى الشيء (فلا تولوهم الأديار) يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فإن المنهزم يولى ظهره ودبره (ومن يولهم يومئذ دبره) يعني ومن ينهزم ويولى دبره يوم الحرب والقتال (الامتحر فالتقتل) يعني الامتقطعاً إلى القتال يرى عدوه من نفسه الانهزام وقصدته الكرة على العدو والعود إليه وهذا هو أحد أبواب الحرب وخدعها وما يكابدها ﷻ وقوله تعالى (أو متحيزاً إلى فئة) يعني أو منضمناً وصائراً إلى جماعة من المؤمنين يريدون العود إلى القتال (فقد باء بغضب من الله) يعني من انهزم من المسلمين وقت الحرب إلا في حالتين وهما التحرف للقتال والتحيز إلى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله (وما أواه جهنم وبئس المصير) *

والكاف في ذلك الخطاب الرسول أو لكل أحد وفي ذلك لا لكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذلكم فدوقوه) والواو في (وإن للكافرين عذاب النار) بمعنى مع أي ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يا أيها الذين آمنوا إذا قاتلتم الذين كفروا زحفاً) حال من الذين كفروا والزحف الجيش الذي يرى أكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلاً قليلاً سمي بالاصدر (فلا تولوهم الأديار) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا قاتلتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قابلين ولا تنصرفوا لأن تدانوا في العدو تدانوا وولوهم أحوال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا قاتلتموهم متزاحفين هو وأنتم (ومن يولهم يومئذ دبره لا متحرفاً) مائلاً (القتال) هو الكبر بعد الفر بخيل عدوه أنه

مهزوم ثم يطف عليه وهو من خدع الحرب (أو متحيزاً) منضمناً إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما أحالان من ضمير الأفعال في يولهم (فقد باء بغضب من الله وما أواه جهنم وبئس المصير) ووزن متحيزاً من متفيعل لا متفعل لأنه من حازم يحوز فبئس ما متفعل منه متحوز ولما كسر وأهل مكة قتلوا وأسر وأهل القاتل منهم يقولون تفاخرنا قتلنا ومرت قيل لهم

﴿فصل في حكم هذه الآية﴾ اختلف العلماء في ذلك فقال أبو سعيد الخدري هذا في أهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم تكن لهم فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولوا انحازوا وانحازوا الى المشركين ولانها أول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشد الله عليهم أمر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن أبي حبيب أوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم أحد قال الله تعالى انما استزلمهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال سبحانه وتعالى ثم ولينم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لخاص الناس حيصة فانهز منا فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال لا بل أنتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله لخاص الناس حيصة يعني جال الناس جوالة يطلبون الفرار من العدو والمحيص الحرب وقال محمد بن سيرين لما قتل أبو عبيدة جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحازوا الى كنت له فئة انا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم الآية عام في حق كل من ولي ظهره منهزما بدليل قوله يا أيها الذين آمنوا وهذا خطاب عام فيتناول جميع الصور وان كانت الآية زلت في غزاة بدر لكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن أبي رباح هذه الآية منسوخة بقوله تعالى الآن خفف الله عنكم فلديس لقوم أن يفر وامن مثلهم فندخت بذلك الا في هذه العدة وعلى هذا أكثر أهل العلم أن المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر وامنهم ويولوهم ظهورهم وان كان العدو أكثر من المؤمنين جاز لهم أن يفر وامنهم قال ابن عباس من فر من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ قال مجاهد سبب نزول هذه الآية انهم لما انصرفوا عن قتال أهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا يقول الآخر انا قتلت فلانا فزلت هذه الآية والمعنى فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم باللائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم اتم ولكن الله قتلهم (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) قال أهل التفسير والمغازي لما ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدر او وردت عليهم روايا قر يش وفيهم أسلم غلام أسود لبني الحجاج وأبو يسار غلام لبني العاص بن سعد فاخذوهما وتواهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ارسول الله صلى الله عليه وسلم أين قر يش قالاهم وراء الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكئيب العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالوا كثير قال ما عددهم قال لا ندرى قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوم عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى ألف ثم قال لهم امن فيهم من أشرف قر يش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة ابن عدي والنضر بن الحارث وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد ألت اليكم فلاذ كبدها فاما أقبلت قر يش وراها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكئيب الرمل جاء الى الوادي فقال اللهم هذه قر يش قد أقبلت بخيلائها وغرها تحادك وتكذب رسولاك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من الحصى اياه عليه تراب فرمى به وجوه القوم وقال شاهدت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينه وفيه ومخبره من ذلك التراب شي فانهمزوا وتبعهم المؤمنون يقتلوهم ويأسروهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا ان

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾ (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فاتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ولما قال جبريل قتلهم للنبى صلى الله عليه وسلم خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال شاهدت الوجوه فلم يبق مشرك الا اشغل بعينه فانهمزوا قيل (وما رميت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى) يعني ان الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أنزل ذلك الاثر العظيم وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف اليه كسبا والى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لانه أثبت الفعل من العبد بقوله اذ رميت ثم نفاه عنه وأثبت لله تعالى بقوله ولكن الله رمى ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن شامى وحزرة وعلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وبحصاة في ميسرة القوم وبحصاة بين أظهرهم وقال شأهت الوجوه فاهزموا فذلك قوله عز وجل وما رميت أذرميت ولكن الله رمى اذليس في وسع أحد من البشر أن يرمى كقمان الحصى في وجوه جيش فلا تبقى عين الا وقد دخل فيها من ذلك شيء فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النبي والانباء وقيل في معنى الآية وما بلغت اذرميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم اذرميت بحصياتك ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا (وايلى المؤمنين منه بلاء حسنا) يعنى واي نعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب فقد أجمع المفسرون على أن البلاء هنا بمعنى النعمة (ان الله سميع) يعنى لدعائكم (عليم) يعنى باحوالكم ﴿وقوله تعالى (ذلكم) يعنى الذى ذكرت من أمر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفرهم والنصر عليهم فعلنا ذلك الذى فعلنا (وان الله) يعنى واعلموا ان الله مع ذلك (موهن) أى مضعف (كيد الكافرين) يعنى مكرهم وكيدهم ﴿وقوله عز وجل (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) هذا خطاب مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان أباجهـل قال يوم بدر لما اتى الجمعان اللهم أينما كان أجفر يعنى نفسه ومحمد صلى الله عليه وسلم قاطعا للرحم فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم أينما كان خيرا عندك فانصره وقيل قال اللهم انصر اهدى الفئتين وخير الفريقين وأفضل الجمعين اللهم من كان أجفرا وأقطع لرحمه فاحنه اليوم فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا ومعنى الآية ان تستفتحوا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة المظلوم على الظالم والمحق على المبطل والمقاطع (ق) عن عبد الرحمن بن عوف قال انى لواقف فى الصف يوم بدر فنظرت عن يمينى وعن شمالى فاذا أنا بعلمين من الانصار حديثه أسنانها فتمتيت أن أكون بين أضلاع منهما فغمزنى أحدهما فقال أى عم هل تعرف أباجهـل قات نعم فما حاجتك اليه يا ابن أخى قال أخبرت انه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى نفسى بيده لئن رأيت لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منافجة تجبت لذلك قال وغمزنى الآخر فقال لى مثلها فلم أنشب أن نظرت الى أبى جهـل بجول فى الناس فقلت الأترابان هذا صاحبك الذى تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضر به حتى قتلاه ثم انصره فالى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجراه فقال أى كما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتله فقال هل مسحتما سيفيهما كما فقال لا فانظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السيفين فقال كلا كما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بسلبه لهما والرجلان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفراء (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهـل فانطلق ابن مسعود فوجه قد ضر به ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيتة فقال أنت أبو جهـل وفى كتاب البخارى أنت أباجهـل هكذا قاله أنس فقال وهل فوق رجل قتلتموه وقال قتله قومه وفى رواية فقال أبو جهـل فلو غيراً كما قتلتنى عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا أبو جهـل صريع قد ضربت رجله فقالت يا عدو الله يا أباجهـل قد أخذنى الله الاخر قال ولاأهابه عند ذلك فقال أعمد من رجل قتله قومه فضر به بسيف غير طائل فلم يعن شياً حتى سقط سيفه من يده فضر به حتى برد آخرجه أبو داود وآخرجه البخارى مختصر اقال انه أنى أباجهـل يوم بدر وبه رمق فقال هل أعمد من رجل قتله قومه وقال عكرمة قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فاقح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء وقال السدى والكلبى كان المشركون لما خرجوا الى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندى وأهدى الفئتين وأكرم الحزب بين وأفضل الدينين ففنيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سأله فكان النصر لاهدى الفئتين

(وايلى المؤمنين) واي عطيمهم (منه بلاء حسنا) عطاء جيلا والمعنى وللاحسان لى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحل الرفع أى الامر ذلكم (وان الله موهن كيد الكافرين) معطوف على ذلكم أى المراد بلاء المؤمنين ونوهين كيد الكافرين موهن كيد شامى وكوفى غير حفص موهن كيد حفص موهن غيرهم (ان سفتحوا فقد جاءكم الفتح) ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لاهل مكة لانهم حين أرادوا ان ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على الحق فانصرا ونقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنهوا للكافرين أى

(نعد) لنصرته عليكم
 (وان تغني عنكم فتكم)
 جمعكم (شيئاً ولو كثرت)
 عدداً (وان الله مع المؤمنين)
 بالفتح مدني وشامي
 وحفص أي ولان الله مع
 المؤمنين بالنصر كان ذلك
 وبالكسر غيرهم ويؤيده
 قراءة عبد الله وان الله مع
 المؤمنين (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله ولا
 تولوا عنه) عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لان
 المعنى وأطيعوا الله ورسوله
 الله كقوله والله ورسوله
 أحق أن يرضوه ولان طاعة
 الرسول وطاعة الله شئ
 واحد من يطع الرسول
 فقد أطاع الله فكان
 رجوع الضمير إلى أحدهما
 كرجوعه إليهما كقولك
 الاحسان والاجال لا ينعف
 في فلان أو يرجع الضمير إلى
 الامر بالطاعة أي ولا تولوا
 عن هذا الامر وامتناله
 وأصله ولا تتولوا خذف
 إحدى التاءين تخفيفاً
 (وأنتم تسمعون) أي وأنتم
 تسمعون أو ولا تتولوا عن
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولا تخالفوه وأنتم
 تسمعون أي تصدقون
 لانكم مؤمنون لستم كالصم
 المكذبين من الكفرة (ولا
 تكونوا كالذين قالوا
 سمعنا) أي ادعوا السماع

وهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر قال قال معاذ بن عمرو بن
 الجوح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بدر أمر بابي جهل بن هشام ان يلتصق في القتلى فقال
 اللهم لا يهزك فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضرته طيرت قدمه بنصف ساقه قال
 وضرني ابنه عكرمة على عاتق فطرح بدي فتعلقت بجلدة وأجهضني القتال عنه فلقد قالت عامة يومي واني
 لا سحبه اخواني فلما آذني جعلت عليها قدحى ثم غطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل وهو عقيب معاذ بن
 عفراء فضر به حتى أنبته وتركه وبد رمق فر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته بأخرمق فمرفته
 فوضعت رجلي على عنقه فقلت هل أترك الله يا عدو الله قال وبماذا أخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني
 ان الدولة قاتت الله ورسوله روى عن ابن مسعود انه قال قال لي أبو جهل لقد ارتقيت يارويعي الغنم مرتقى صعبا
 ثم احتزرت رأسه ثم جئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل
 فقال آلله الذي لا اله غيره فقات نعم والذي لا اله غيره ثم ألقيته بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله
 وقال أبي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا
 أي تستنصروا فقد جاءكم الفتح أي النصر (خ) عن خباب بن الارت قال شكرونا الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وهو متوسد برده له في ظل الكعبة فقلنا ألا نستنصرنا ألا نندعولنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ
 الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى باللنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط
 الحديد مادون الحد وعظمه ما يصدده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء
 الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستهجلون قلت استدل البغوي بهذا الحديث
 على ما فسر به أبي بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية
 فلانعلق للحديث بتفسير الآية والله أعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر وسأله انجاز
 ما وعده من إحدى الطائفتين وألح في الدعاء والمسئلة حتى سقط رداؤه قال الله سبحانه وتعالى مجيباً له ان
 تستفتحوا يعني تطلبوا النصر وانجاز ما وعدهم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم
 فاشكروا الله على ما أنعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدهم به وهذا القول أولى لان قوله فقد جاءكم
 الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا فسرنا الفتح بالنصر والخفر على الاعداء أما اذا فسرناه بالقضاء والحكم
 لم يمتنع ان يراد به الكفار أو قوله سبحانه وتعالى (وان نتهموا فهو خير لكم) فهو خطاب للكفار يعني
 وان نتهموا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا أما في الدين بان
 تؤمنوا به وتكفوا عنه فيجعل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلص من العقاب وأما في الدنيا فهو الخلاص
 من القتل والاسر (وان نعودوا نعد) يعني وان نعودوا القتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد بتسليطه عليكم
 ونصره عليكم (وان تغني عنكم فتكم) يعني جماعتكم (شيئاً) يعني لا تغني عنكم شيئاً (ولو كثرت) يعني
 جماعتكم (وان الله مع المؤمنين) يعني بالنصر لهم عليكم بامعشر الكفار ﴿ قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
 أطيعوا الله ورسوله) يعني في أمر الجهاد لان فيه بذل المال والنفس (ولا تولوا عنه) يعني عن الرسول صلى
 الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله تعالى والمعنى لا تعرضوا عنه
 وعن معوته ونصرته في الجهاد (وأنتم تسمعون) يعني القرآن يتلى عليكم (ولا تكونوا كالذين قالوا)
 بالسنتهم (سمعنا وهم لا يسمعون) يعني وهم لا يفتقون ولا يتفقهون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه
 صفة المنافقين (ان شر الدواب عند الله) يعني ان شر من دب على وجه الارض من خاق الله عند الله

وهم المنافقون وأهل الكتاب (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتهم
 عن طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (ان شر الدواب عند الله

لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لانهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (ولو علم الله فيهم) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) صدقا ورغبة (لا سمعهم) لجعلهم سامعين حتى يسمعو اسماع المصدقين (ولو اسمعهم لتولوا) عنه أى ولو اسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وهم معرضون) عن الايمان (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم) وخذ الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالبدء والبعث والتحرير (لما يحبيكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر لا تنجبن الجهول حلته فذاك ميت وتوبه كفن أو لمجاهدة الكفار لانهم لورفضوا القلوبهم وقتلواهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أى يميتة فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من

(الصم) عن سماع الحق (البكم) عن النطق به فلا يقولونه (الذين لا يعقلون) يعنى لا يفهمون عن الله أمره ونهيهم ولا يقبلونه وانما ساهمهم دواب لقلة اتقاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار بن قضى كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا جميعا يوم أحد وكانوا أصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلا من مصعب بن عمير وسوسو بيط بن حرملة (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم) يعنى سماع تفهم وانقاع وقبول للحق ومعنى (ولو علم الله قال الامام غفر الدين ان كان ما كان حاصله فيجب أن يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقدير الكلام لو حصل فيهم خيرا لاسمعهم الله الحنج والمواعظ سماع تعليم وتفهم (ولو اسمعهم) يعنى بعد ان علم انه لا خير فيهم لم يتفوعوا بما يسمعون من المواعظ والدلائل لقوله تعالى (لتولوا وهم معرضون) يعنى لتولوا عن سماع الحق وهم معرضون عنه اعنادهم وخذلهم الحق بعد ظهو ره وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فتؤمن لك فقال الله سبحانه وتعالى ولو احياهم قصيا وسمعوا كلامه اتولوا عنه وهم معرضون ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول) يعنى أجبوهما بالطاعة والانقياد الامر هما (اذا دعاكم) يعنى الرسول صلى الله عليه وسلم وانما وحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد واستدل أكثر الفقهاء بهذه الآية على ان ظاهر الامر لا وجوب لان كل من أمره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الآية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل مادعا لله ورسوله اليه (خ) عن أبي سعيد بن المعلى قال كنت أصلى في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبته ثم أتيت فقالت يارسول الله انى كنت أصلى فقال صلى الله عليه وسلم ألم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم ذكر الحديث عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أبي بن كعب وهو يصلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبي فالتفت أبى ولم يجبه وصلى أبى وخفف ثم انصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يارسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك ياأبي أن تجيبني اذ دعوتك فقال يارسول الله انى كنت في الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم أفلم تجد فيما أوحى الله الى استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحبيكم قال بلى ولا أعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح قيل هذه الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء أحد آخر وقيل لودعاه أحد الامر مهم لا يحتمل التأخير فله أن يقطع صلاته ﴿ وقوله تعالى (لما يحبيكم) يعنى اذا دعاكم الى ما فيه حياتكم قال السدى هو الايمان لان الكافر ميت فيحيا بالايمان وقال قتادة هو القرآن لانه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة فى الدارين وقال مجاهد هو الحق وقال محمد بن اسحق هو الجهاد لان الله أعزه به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر ومعاصى الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ومجاهد وقال السدى يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن أو يكفر الا بذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان أحوال القلوب اعتقادات ودواعى وتلك الاعتقادات والدواعى لا بد أن تتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من فاعل مختار وهو الله سبحانه وتعالى فثبت بذلك ان المتصرف فى القلب كيف شاء هو الله تعالى (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني آدم بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت

قلوبنا على طاعتك عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول يا متحاب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا رسول الله قد آمننا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء أخرجه الترمذي وهذا الحديث من أحاديث الصفات فيجب على المرء المسلم أن يمره على ما جاء مع الاعتقاد الجازم بتزويده الله تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الآيات أن الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري ما يصنع ولا يعقل شيئاً وقيل إن القوم لما دعوا إلى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف والقلة خافت قلوبهم وضقت صدورهم فقبل لهم قائلوا في سبيل الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف أمناً والحبين جراً ﴿﴾ وقوله تعالى (وأنه إليه تحشرون) يعني في الآخرة فيجزى كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي ﴿﴾ قوله سبحانه وتعالى (واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا ومنكم خاصة) لما أخبر الله عز وجل أنه يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع المرء في الفتنة والمعنى واحذر وافتنة أن نزلت بكم لتقتصر على الظالم خاصة بل تعدى إليكم جميعاً وتصل إلى الصالح والطالح وأراد بالفتنة الابتلاء والاحتبار وقيل تقديره واتقوا فتنة أن لم تتقوها أصابكم جميعاً الظالم وغير الظالم قال الحسن نزلت هذه الآية في علي وعمار وطاحمة والزبير قال الزبير لقد قرأنا هذه الآية زماناً وما نرى أنامن أهلها فإذا نحن المغنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجبل وقال السدي ومجاهد والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أصابهم الفتنة يوم الجبل وقال ابن عباس أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقرؤا المنكر بين أظهرهم فيعلمهم الله بالعذاب فيصيب الظالم وغير الظالم روى البيهقي بسنده عن عدى بن عدى الكندي قال حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى ير والمنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن يتكروه فلا يتكروه فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الأثير في جامع الأصول عن عدى بن عميرة الكندي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا عمات الخطيئة في الأرض كان من شهدها فأنكرها كن غاب عنها ومن غاب عنها فرفضها كان كمن شهدها أخرجه أبو داود عن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون على أن يغيروا عليه ولم يغيروا إلا أصابهم الله بعقاب قبل أن يوتوا أخرجه أبو داود وقال ابن زيد أراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضاً (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من المائثي والمائثي خير من الساعي من أشرف لها شرفه ومن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذب به فإن قات ظاهراً قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا ومنكم خاصة يشمل الظالم وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه أن يوصل الفتنة إلى من لم يذنب قات أنه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يستل عمادهم وهم يستلون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية ولأنه تعالى علم اشتمال ذلك على أنواع من أنواع المصاحبة والله أعلم بمراده ﴿﴾ وقوله سبحانه وتعالى (واعلموا أن الله شديد العقاب) فيه تحذير ووعيد لمن واقع الفتنة التي حذرته الله منها وقوله عز وجل (واذكروا إذا أنتم قليل مستضعفون في الأرض) لما أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذرهم من الفتنة ذكرهم بعبادته فقال تعالى واذكروا أيام مشرك المؤمنين المهاجرين إذا أنتم قليل يعني في العدد مستضعفون في الأرض يعني في أرض مكة في ابتداء الإسلام (تحفظون أن يتخطفكم الناس) يعني كفار مكة وقال عكرمة كفار العرب وقال وهب ابن منبه يعني فارس والروم (فاؤمكم) يعني إلى المدينة (وأيدكم بنصره) يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبى وقواكم يوم بدر باللائكة (ورزقكم من الطيبات) يعني الغنائم أهلها لكم ولم يحلها لأحد قبلكم (اعلمكم تشكرون) معنى تشكرون هذه النعم

(وأنه إليه تحشرون)
واعلموا أنكم إليه تحشرون
فينيبكم على حسب سلامة
القلوب وإخلاص الطاعة
(واتقوا فتنة) عذاباً
(لا تصيب الذين ظلموا
منكم خاصة) هو جواب
للامر أي إن أصابكم
لا تصيب الظالمين منكم خاصة
ولسكنها تعممكم وجزان
تدخل الزون المؤكدة في
جواب الامر لأن فيه معنى
انتهى كما ذاقنا نزل عن
الدابة لا تطرحك وجزان
لا تطرحك ومن في منكم
للتبعض (واعلموا أن
الله شديد العقاب) اذا
عاقب (واذكروا إذا أنتم
قليل) اذ مفعول به لا طرف
أي وذكروا وقت كونكم
أقله أدلة (مستضعفون
في الأرض) أرض مكة
قبل الهجرة تستضعفكم
قريش (تحفظون أن
يتخطفكم الناس) لأن
الناس كانوا لهم أعداء
مضادين (فاؤمكم) إلى
المدينة (وأيدكم بنصره)
بظاهرة الانصار وبامداد
اللائكة يوم بدر (ورزقكم
من الطيبات) من الغنائم
ولم تحل لأحد قبلكم (اعلمكم
تشكرون) هذه النعم

الله على نعمه عليكم ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله والرسول) قال الزهري والكلبي
 نزلت هذه الآية في أبي لبابة هرون بن عبد المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة عشرة من ليلة فأسألو رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على
 ما صلح عليه اخوانهم بني النضير على أن يسبروا إلى اخوانهم إلى أذرع وأرض بجاء من أرض الشام فأتى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطهم ذلك إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا بأبي
 لبابة بن عبد المنذر وكان منا محالهم لأن له وولده وعياله كان عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاتاهم فقالوا يا أبا لبابة ما ترى أن تنزل على حكم سعد بن معاذ فاشأر أبو لبابة بيده إلى حلقه يعني أنه الذبح فلا
 تفعلوا قال أبو لبابة والله ما زالت قدماي عن مكانهما حتى عرفت أي قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه
 ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لأذرق طعاما
 ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ فلما باع رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ما لوجاءني
 لاستغفرت له أما ذفيل ما فعل فاني لأطاقه حتى يتوب الله عليه فكثرت سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا
 حتى خرم غشا عليه ثم تاب الله عليه فقيل لها يا أبا لبابة قد تيب عليك فقال والله لأحل نفسي حتى يصكون
 رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحملني فجاءه خلفه بيده ثم قال أبو لبابة إن تمام تو بتي أن أهجر دار قومي
 التي أصبت فيها الذنب وإن الخلع من مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزيك الثالث إن تصدق به
 فنزل فيه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله والرسول وقال السدي كانوا يسمعون السر من النبي صلى الله عليه
 وسلم فيفتشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه الآية وقال جابر بن عبد الله إن أباسفيان خرج من مكة فأتى
 جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن أباسفيان في مكان كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا صحابه
 إن أباسفيان في موضع كذا وكذا فخرجوا إليه واكتتموا وقال فكتم رجل من المنافقين اليه إن محمدا
 يريدكم خذوا حذركم فانزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول (وتخونوا أماناتكم) ومعنى الآية لا تخونوا
 الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم (وأتمتعوا) يعني أنها أمانة وقيل معناها وأتمتعوا أن ما فعلتم من
 الإشارة إلى الحاق خيانة وأصل الخيانة من الخون وهو النقص لأن من خان شيئا فقد نقصه والخيانة ضد
 الأمانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم إذا فعلتم ذلك فقد خنت أماناتكم وقال ابن عباس
 معناها لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا أماناتكم قال ابن عباس هي
 ما يخفي عن أعين الناس من فرائض الله تعالى والأعمال التي ائتمن عليها العباد وقال قتادة أعلمه وأن دين الله
 أمانة فادوا إلى الله ما ائتمنكم عليه من فرائضه وحدوده ومن كانت عليه أمانة فليؤدها إلى من ائتمن عليها ومنه
 الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك
 أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب ﴿وقوله عز وجل﴾ (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم
 فتنة) قيل هذا مما نزل في أبي لبابة وذلك لأن أمواله وأولاده كانت في بني قريظة فاندلك قال ما قال خوف عليهم
 وقيل أنه عام في جميع الناس وذلك أنه ما كان الأقدام على الخيانة في الأمانة هو حب المال والولد لله والله
 سبحانه وتعالى بقوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة على أنه يجب على العاقل أن يحذر من المضار المتولدة
 من حب المال والولد لأن ذلك يشغل القلب ويصير محجوبا عن خدمة المولى وهذا من أعظم الفتن وروى
 البغوي بسنده عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بصبي فقبله وقال أمانتهم مبخلة مجبنة وانهم
 ريحان الله وأخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال زعمت المرأة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول انكم تبخلون وتجنون
 وتجهلون وانكم لمن ريحان الله قال الترمذي لا يعرف لعمر بن عبد العزيز سمعا عن خولة فمن ريحان

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) الله) بان تعطلوا فرائضه
 (والرسول) بان لا تستنوا
 به (وتخونوا) جزم عطف
 على لا تخونوا أي ولا تخونوا
 (أماناتكم) فيما بينكم بان
 لا تحفظوها (وأتمتعوا) بان
 تبعة ذلك وورثه أو أتم
 تعلمون انكم تخونون يعني
 ان الخيانة توجد منكم عن
 نعمد لاعن سهو أو أتم
 عاماء تعلمون حسن
 الحسن وقبح التبيح ومعنى
 الخون النقص كما ان معنى
 الايفاء التمام ومنه تخونه
 اذا انتقصه ثم استعمل في
 ضد الامانة والوفاء لانك
 اذا خنت الرجل في شيء فقد
 أدخلت عليه النقصان فيه
 (واعلموا أنما أموالكم
 وأولادكم فتنة) أي سبب
 الوقوع في الفتنة وهي الأثم
 والعذاب أو محنة من الله
 ليهلككم كيف تحافظون
 فيهم على حدوده

(وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (بأيها الذين آمنوا) إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا نصر الانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بالذلال حزبه والاسلام بأعزاز أهله أو بيان وظهور رأي شهير أمركم وينبت صيتكم وأن تارككم في أقطار الأرض من قولهم سيطع الفرقان أي طلع الفجر أو مخز جامن الشبهات وشر حاله صدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة (ويكفر عنكم سيئاتكم) أي الصغائر (ويغفر لكم) ذنوبكم أي الكبائر (والله ذو الفضل العظيم) على عباده (واذ يترك بك الذين كفروا) لمافتح الله عليه ذلك مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى وأذكر اد يتركون بك وذلك أن قريشا لمأسامت الانصار فرقوا ان يتناقض امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم وان تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيت ان تجسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتربسوا به وقال ببس الرأى رأيت لئن حبستمو ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يسبوا عليكم فيقاتلوكم و يأخذوكم من أيديكم فتألوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال أما ما فأرى ان تحملوه على بعير ونخر جوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا الحكم برأى تعمدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تزوا الى حلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذ ألقوب بما سمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم

الله أي لمن رزق الله والرييحان في اللغة الرزق وقوله تعالى (وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) يعني لمن أدى الامانة ولم يخن وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الله أفضل من سعادة الدنيا وهو المال والولد وقوله عز وجل (بأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله) يعني بطاعته وترك معاصيه (يجعل لكم فرقانا) يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل والفرقان أصله الفرق بين الشئين لكنه أبلغ من أصله لانه يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخز جافى الدين من الشبهات وقال عكرمة نجاة أي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطغى باطل من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعلمه ويطل الكفر ويوهنه (ويكفر عنكم سيئاتكم) يعني ويح عنكم ما سلف من ذنوبكم (ويغفر لكم) يعني ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة (والله ذو الفضل العظيم) لانه هو الذي يفعل ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشئ وفيه قيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه ان يده الفضل العظيم فلا يطلب من عنده غيره وقوله سبحانه وتعالى (واذ يترك بك الذين كفروا) لماذا ذكر الله المؤمنين نعمة عليهم بقوله تعالى واذا كروا اذا تم قليل ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان يهاجر الى المدينة والمعنى واذا كروا كما ذكر في صورة شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان أحضركم وان تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيت ان تجسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون منها طعامه وشرابه وتربسوا به وقال ببس الرأى رأيت لئن حبستمو ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فيوشك ان يسبوا عليكم فيقاتلوكم و يأخذوكم من أيديكم فتألوا صدق الشيخ النجدي فقام هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال أما ما فأرى ان تحملوه على بعير ونخر جوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس اللعين ما هذا الحكم برأى تعمدون الى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه الى غيركم فيفسدهم ألم تزوا الى حلاوة منطقته وطلاقة لسانه وأخذ ألقوب بما سمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك يذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم

ونخر جوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس تبس الرأى يتعدى قوما غيركم وبقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا ترى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتطوه سيفا فيضربوه بضره رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل لعقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو وجودكم رأي فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه رأذن الله في الهجرة فامر عياها فام في مضجعه وقال له اشح

الله سبحانه و اتفقوا أثره
 فاطل الله مكرهم (ايبتوك)
 ليحبسوك و يوثقوك (أو
 يقتلوك) بسببهم (أو
 يخرجوك) من مكة
 (و يكررون) و يخفون المكايد
 له (و يكر الله) و يخفى الله
 ما عدلهم حتى ياتيهم بغتة
 (والله خير الماكرين)
 أي مكره أنفذه من مكر
 غيره و أبلغ تأثيرا كان
 عليه السلام يقرأ القرآن
 و يذكر أخبار القرون
 الماضية في قراءته فقال
 النضر بن الحرث لوشئت
 لقلت مثل هذا وهو الذي
 جاء من بلاد فارس بنسخة
 حديث رسنم و أحاديث
 العجم فزل (و اذا تتلى
 عليهم آياتنا) أي القرآن
 (قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا
 مثل هذا ان هذا الأساطير
 الاولين) و هذا صلف منهم
 و وقاحة لانهم دعوا الى أن
 ياتوا بسورة واحدة من
 مثل هذا القرآن فلم ياتوا به
 (و اذ قالوا اللهم ان كان
 هذا) أي القرآن (هو
 الحق من عندك) هذا اسم
 كان وهو فصل و الحق خبر
 كأن روي ان النضر لما قال
 ان هذا الأساطير الاولين
 قال له النبي عليه السلام
 و ياك هذا كلام الله فرفع
 النضر رأسه الى السماء
 وقال ان كان هذا هو الحق
 من عندك (فامطر علينا
 سجارة من السماء) أي ان كان

من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي فقال أبو جهل والله لا شيرن عليكم رأي ما أرى غيره اني أرى ان
 تأخذوا من كل بطن من قريش شاة بسيبواوس طافتيام نعطي كل فتى سيفا صارم يضر به جيعه اضربه
 رجل واحد فاذا قتله تفرق دم في القبائل كلها و لا أظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش
 كلها و انهم اذا أرادوا ذلك قالوا العقل فتودى قريش ديته فقال ابليس الاعمى صدق هذا الفتى هو أجدكم
 رأيا و القول ما قال لأرى غيره فتفرقوا على قول أبي جهل و هم مجتمعون عليه فأتى جبريل صلى الله عليه
 وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فآخذه بذلك و أمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه و أذن الله عز
 وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب أن يبيت في
 مضجعه و قال له انشع يبردى فانه ان محاص اليك منهم أمر نكرهه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاخذ قبضة من تراب و أخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج و جعل ينثر التراب على رؤسهم و هو يقرأ أنا
 جعلنا في أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون و مضى الى الغار من ثور هو و أبو بكر و خاف عليا بمكة حتى
 يؤدى عنه الودائع التي قبلها و كانت الودائع توضع عنده لصدقه و أماته قالوا بات المشركون بحرسون عليا
 وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون أنه النبي صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا اتوا و اليه
 ليقتلوه فأروه عليا فقبل له أين صاحبك قال لأدرى فاقتفوا أثره و أرسلوا في طابه فمدا بلقوا الغار را و اعلى
 بابيه نسج العنكبوت فقالوا الود دخله لم يكن لمسج العنكبوت على بابيه أثر فمكت في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة
 فذلك قوله سبحانه و تعالى و اذ يكره الذين كفروا و اصل المكر احتيال في خفية (ايبتوك) أي ليحبسوك
 و يوثقوك لان كل من شد سببا و وثقه فقد أثبتته لانه لا يقدر على الحركة (أو يقتلوك) يعني كما أشار اليهم أبو
 جهل (أو يخرجوك) يعني من مكة (و يكررون) يعني و يمتثلون و يدبرون في أمرك (و يكر الله) يعني و يحجزهم
 الله جزاء مكرهم فسمى الجزاء مكر لانه في مقابله و قيل معناه و يعاملهم الله معاملة مكرهم و المكر هو التدبير
 وهو من الله تعالى الى التدبير بالحق و المعنى أنهم احتالوا في ابطال أمر محمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه و تعالى
 اظهره و قواه و نصره فضع فعلهم و تدبيرهم و ظهر فعل الله و تدبيره (والله خير الماكرين) فان قلت كيف
 قال الله سبحانه و تعالى والله خير الماكرين و لا خير في مكرهم قلت يحتمل أن يكون المراد والله أقوى الماكرين
 فوضع خير موضع أقوى و فيه تشبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله و قيل يحتمل أن يكون المراد ان مكرهم
 فيه خير بزعمهم فقال سبحانه و تعالى في مقابله والله خير الماكرين و قيل ليس المراد التفضيل بل ان فعل الله
 خير مطلقا ﴿ قوله عز و جل (و اذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لولنا لقلنا مثل هذا) نزلت في النضر بن
 الحرث بن عاقمة من بني عبد الدار و ذلك انه كان يختلف الى أرض فارس و الخيرة و يسمع أخبارهم عن رسنم
 و سفسف و يديار و أحاديث العجم و كان يمر بالعباد من اليهود و النصارى فيراهم يقرؤن التوراة و الانجيل
 و يركعون و يسجدون و يكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أوحى اليه وهو يقرأ و صلى
 فقال النضر بن الحرث قد سمعنا يعني مثل هذا الذي جاء به محمد لولنا لقلنا مثل هذا فقدم الله بدفعهم الحق
 الذي لا شبهة فيه بادعائهم الباطل بقولهم لولنا لقلنا مثل هذا بعد اتمحدي و أبان عجزهم عن ذلك و لو قدر و ا
 ما تخلفوا عنه و هم أهل انصاح و فرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لولنا لقلنا مثل هذا (ان
 هذا الأساطير الاولين) يعني أخبار الماضين ﴿ قوله سبحانه و تعالى (و اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق
 من عندك فامطر علينا سجارة من السماء و اثننا بعد اتميم) نزلت في النضر بن الحرث أيضا قال ابن عباس
 لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن القرون الماضية قال النضر بن الحرث لوشئت لقلت مثل هذا فقال
 له عثمان بن مظعون أتق الله فان محج أصلي الله عليه وسلم يقول الحق قال و أنا أقول الحق قال فان محمد صلى
 الله عليه وسلم لم يقول لاله الا الله قال و أنا أقول لاله الا الله و ان كان هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال اللهم ان

بنوع آخر من جنس العذاب الايم فقتل يوم بدر صبراً وعن معاوية انه قال لرجل من سبنا ما جهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا الرسول الله عليه السلام حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) اللام لنا كيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين أظهرهم غير مستقيم لانك بعثت رحمة للعالمين وسنته ان لا يعذب قوماً عذاب استئصال مادام نبهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مردون بالعذاب اذا هاجر عنهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) هو في موضع الحال ومعناه ان الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفرون الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفرون وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين

كان هذا هو الحق يعني القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من أمر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق أمطر علينا حجارة من السماء يعني كما مطرنا على قوم لوط أو ثلثنا به عذاب ايم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث نزل سأل سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة آية فحاق به ما سأل من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلاثة من قريش صبراً طعيمة بن عدى وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أنس بن مالك ان الذي قال ذلك أبو جهل (ق) عن أنس قال قال أبو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الآية فنزلت وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم الآية فلما أخرجه نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ﴿قوله عز وجل﴾ (وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم) اختلفوا في معنى هذه الآية فقال محمد بن اسحق هذه الآية المتصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك أنهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمتنا وبنينا معهما فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يدكره جهالهم وغيرتهم واستفاحتهم على انفسهم واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم قال تعالى رد اعليهم وما لهم ألا يعذبهم الله وان كنت بين أظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال آخرون هذا كلام مستأنف يقول الله عز وجل اخبار عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجاعة ناولها وما كان الله ليعذبهم وانت يا محمد مقبم فيهم بين أظهرهم قالوا نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مقبم بمكة ثم لما خرج منها بقيت من المسلمين يستغفرون فانزل الله عز وجل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قريه حتى يخرج نبيها منها والذين آمنوا معه ولم يحق بحيث أمر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم مقبم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني المسلمين فما خرجوا قال الله لهم وما لهم ألا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار راجع الى المشركين وذلك أنهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك وقال زيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وقال قتادة والسدى معناه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أي لو استغفروا ولو لم يكن لهم يكونوا مستغفرين ولو أقر وبالذنب واستغفروا والله لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكافة كالرجل يقول لعبد لا أعقبك وانت تطيعني أي أطعني حتى لا أعقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم يستغفرون أي يسمون يعني لو أسلموا للمعذبين وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله العنايه أنه يؤمن ويستغفر مثل أبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون أي وفي اصلاهم من يستغفر وقيل في معنى الآية ان الكفار لما باغوا وقالوا ان كان محمد محققاً في قوله فامطر علينا حجارة من السماء اخبر الله سبحانه وتعالى ان محمد اسحق في قوله وانه مع ذلك لا يعطى على أعدائه ومنكري نبوته حجارة من السماء مادام بين أظهرهم وذلك تعظيماً له صلى الله عليه وسلم وأورد على هذا انه اذا كانت اقامته مانعة من نزل العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الآية قائلوهم يعذبهم الله بايدكم فالجواب ان المراد من العذاب الاول هو عذاب الاستئصال والمراد من العذاب الثاني وهو قوله سبحانه وتعالى يعذبهم الله بايدكم هو عذاب القتل والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستئصال قال أهل لعاني دات هذه الآية على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول

(وما لهم إلا يعذبهم الله) أى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم إلا يعذبهم الله (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وكيف لا يعذبون وحالمهم أنهم (١٩٤) يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول

الله وأؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولادة البيت والحرم فصد من نشاء وتدخل من نشاء فقبيل (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع انشرا كههم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاية أمر الحرم (ان أولياءه الا المتقون) من المسلمين وقيل الضميران راجعان الى الله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) ذلك كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالاكثر الجيع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء صغيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكاءه كوا اذا صفر (وتصدية) وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عمارة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه (فدوقوا العذاب) عذاب القتل والامر يوم بدر (بما كنتم تكفرون) بسبب كفركم ونزل في المطعين يوم بدر وكانوا

الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل على أمانيين لآمنى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة أخرجه الترمذى وقوله سبحانه وتعالى (وما لهم إلا يعذبهم الله) يعنى أى شئ منهم من أن يعذبهم يعنى بعد خروجه من بين أظهرهم لانه سبحانه وتعالى بين فى الآية الاولى أنه لا يعذبهم وهو مقيم فيهم بين أظهرهم وبين فى هذه الآية أنه معذبهم ثم اختلفوا فى هذا العذاب فقيل هو القتل والامر يوم بدر وقيل أراد به عذاب الآخرة وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الاستئصال وأراد بالعذاب الثانى العذاب بالسيف وقيل أراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الآخرة وقال الحسن الآية الاولى وهى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم إلا يعذبهم الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى (وهم يصدون عن المسجد الحرام) يعنى وهم يمنعون المؤمنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) قال الحسن كان المشركون يقولون نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا أولياءه يعنى ليسوا أولياء المسجد الحرام (ان أولياءه الا المتقون) يعنى المؤمنين الذين يتقون الشرك (ولكن أكثرهم) يعنى المشركين (لا يعلمون) ذلك وقوله عز وجل (وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية) لما ذكر الله عز وجل ان الكفار ليسوا بأولياء للبيت الحرام ذكر عقبه السبب فى ذلك وهو أن صلاتهم عنده كانت مكاء وتصدية والمكاء فى اللغة الصغير يقال مكاء الطير كما اذا اصفر والمكاء اسم طيرا بيض يكون بالحجاز له صغير وقيل هو طائر يألف للر يف سمي بذلك لكثرة مكانه يعنى صغيره والتصدية التصفيق وفى أصله واشتقاقه قولان أحدهما أنه من الصدى وهو الصوت الذى يرجع من الجبل كالجبب للمتكلم ولا يرجع الى شئ الثانى قال أبو عبيدة أصله تصددة فابدلت الياء من الدال قال الأزهري والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التى أمروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت * صلاتهم التصدى والمكاء * قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عمارة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بنى عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم فى الطواف ويستهنون به ويدخلون أصابعهم فى أفواههم ويصفرون فالمكاء جعل الاصابع فى الشدق والتصدية الصغير وقال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن قوله الامكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيها صفرا وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان عن يساره يصفقان يخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بنى عبد الدار فعلى قول ابن عباس كان المكاء والتصدية نوع عبادة لهم وعلى قول غيره كان نوع أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس أصح لان الله سبحانه وتعالى سمي ذلك صلاة فان قلت كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة قلت أنهم يعتقدون ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه آخر وهو أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال سعيد بن جبيرة التصدية صداهم المؤمنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية من الصد وهو المنع وقوله سبحانه وتعالى (فدوقوا العذاب) يعنى عذاب القتل والامر فى الدنيا وقيل يقال لهم فى الآخرة فدوقوا العذاب (بما كنتم تكفرون) يعنى بسبب كفركم فى الدنيا وقوله سبحانه وتعالى (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) لما ذكر الله سبحانه وتعالى عبادة الكفار البدنية وهى المكاء والتصدية ذكر عقبها عبادتهم المالية التى

اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزور

(ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أى كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وهو سبيل الله

وتنقلب حسرة (ثم يغلبون)

آخر الامر وهو من دلائل النبوة لانه اخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه واللام في (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من الطيب) أى من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حسرة وعلى (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجعله (فيجعله في جهنم) أى الفريق الخبيث (اولئك) اشارة الى الفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أى ابي سفيان وأصحابه (ان ينتهوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قدم سلفهم من العداوة) (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سفت الاولين) بالاهلاك في الدنيا والعذاب في العقبي أو معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قدم سلفهم من

لا جدوى لها في الآخرة وقال السكبي ومقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ونيبه ومنبه ابنا الحجاج وأبو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزوا أسلم من هؤلاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية كل أوقية اثنان وأربعون مثقالا وقال ابن أبرى استأجر أبو سفيان يوم أحد أربعين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب وقيل استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من كنانة فقاتل بهم رسول الله صل الله عليه وسلم وقيل لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبو سفيان بعبره الى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان ابن أمية في رجال من قريش قد أصيب أبائهم وأبناؤهم وأخوانهم يوم بدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد تركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربنا نلنا ندرك منه نار ابن أصيب منافقهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله أى ليصرفوا الناس عن الايمان بالله ورسوله وقيل ينفقون أموالهم على أمثالهم من المشركين ليقبوا بهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (فسيبقونها) يعنى أموالهم في ذلك الوجه (ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) يعنى ما أنفقوا من أموالهم يكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة لان أموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يؤملون (والذين كفروا) يعنى منهم لان فيهم من أسلم ولهذا قال والذين كفروا يعنى من المنفقين أموالهم (الى جهنم يحشرون) يعنى يساقون الى النار (ليميز الله الخبيث من الطيب) يعنى يفرق الله بين فريق الكفار وهم الفريق الخبيث وبين فريق المؤمنين وهم الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال يميز أهل السعادة من أهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازى على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة وقيل المراد به انفاق الكفار في سبيل الشيطان وانفاق المؤمنين في سبيل الله (ويجعل الخبيث بعضه على بعض) يعنى بعضه فوق بعض (فيركمه جميعا) يعنى فيجعله جميعا ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكم (فيجعله في جهنم) يعنى الخبيث (اولئك) اشارة الى المنفقين في سبيل الشيطان أو الى الخبيث (هم الخاسرون) يعنى أنهم خسروا الدنيا والآخرة لانهم اشتروا بأموالهم عقاب الآخرة قوله سبحانه وتعالى (قل) يعنى قل يا محمد (للذين كفروا ان ينتهوا) يعنى عن الشرك (يغفر لهم ما قدم سلفهم) يعنى ما قدموا من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام (وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين) يعنى في اهلاك أعدائهم ونصر أوليائهم ومعنى الآية ان هؤلاء الكفار ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والنزوا شراثة غفر الله لهم ما قدم سلفهم من كفرهم وشركهم وان عادوا الى الكفر وأصرواعليه فقد مضت سنة الاولين باهلاك أعدائهم ونصر أوليائهم وأجمع العلماء على أن الاسلام يجب ما قبله واذا أسلم الكافر لم يلزمه شئ من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة اسلامه كيوم ولدته أمه يعنى بذلك أنه ليس عليه ذنب قال يحيى بن معاذ الرازى التوحيد لم يهجز عن هدم ما قبله من كفره فارجو أن لا يهجز عن هدم ما بعده من ذنب (وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة) قال ابن عباس يعنى حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون بلاء ويكون الدين كله لله يعنى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال قتادة حتى يقال لا اله الا الله عما قال نبي الله صلى الله عليه وسلم واليهاد دعا وقال محمد بن اسحق في قوله وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة (ويكون الدين كله لله) يعنى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد

الكفر والمعاصي وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المراد اذا أسلم يلزمه قضاء العبادات المتركة (وقاتلواهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده

لأنه خالص ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الانداد والشركاء (فان اتهموا) يعني عن الشرك وافتان المؤمنين
وايذاتهم (فان الله بما يعملون بصير) يعني فان الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل
اليهم نوابهم (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عن الايمان وأصرروا على الكفر وعادوا الى قتال المؤمنين
وايذاتهم (فاعلموا) يعني أيها المؤمنون (ان الله مولاكم) يعني ان الله وليكم وناصركم عليهم وحافظكم (نعم
المولى ونعم النصير) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو نعم المولى فمن كان في حفظه وانصره وكفايته وكلايته
فهو له نعم المولى ونعم النصير ﴿ قوله عز وجل ﴾ (واعلموا أن ما غنمتم من شيء فان لله خمسة وللرسول) الغنم
الفوز بالشيء يقال غنم يغم غنماً فهو غانم واختلف العلماء هل الغنيمة والتي اسمان للمسمى واحداً مختلفاً في
التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من أموال المشركين فاخذوه عنوة وأما
الارض فهي في وقال سفيان الثوري الغنيمة ما أصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال وفيه الخمس
وأربعة أخماسه لمن شهد الواقعة والتي ما صلحو وأعليه بغير قتال وليس فيه خمس فهو لمن سمي الله وقيل
الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والتي ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب كالعشور
والجزية وأموال الصلح والمهادنة وقيل ان التي والغنيمة معناهما واحد وهما اسمان لشيء واحد والصحيح
أنهما مختلفان فالتى ما أخذ من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب والغنيمة ما أخذ من أموالهم على
سبيل القهر والغلبة بإيجاب خيل عليه وركاب فذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية حكم الغنمة فقال
تعالى واعلموا أن ما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى الخيط والمخيط فان لله خمسة وللرسول وقد ذكر
أكثر المفسرين والفقهاء أن قوله الله افتتاح كلام على سبيل التبرك وإنما أضافه لنفسه تعالى لأنه هو الحاكم
فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهامه لله مفرد الان الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن
وقتادة وعطاء وابراهيم النخعي قالوا سهم الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة
أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها والخمس الباقي خمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عز وجل
فيصرف الى الكعبة والقول الاول أصح أي ان خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة للاسلام وهذا قول الشافعي وأحمد وروى
الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في
الكرع والسلاح وقال قتادة هو لا يخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في
الخمس فيقسم الخمس على الاربعه الاصناف المذكورين في الآية وهم ذوق القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (ولذي القربى) يعني ان سهماً من خمس الخمس لذوق القربى وهم أقارب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقال قوم هم جميع قريس وقال قوم هم الذين لا تحل لهم
الصدقة وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي رحمه الله تعالى هم بنو هاشم وبنو المطلب
وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة ويدل عليه ما روى عن جبير بن مطعم قال
جئت أنا وعثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وسلم فقات يارسول الله اعطيت بنى المطلب وتركتنا ونحن
وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية أعطيت
بنى المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا
ابني نوفل شيئاً أخرجه البخاري وفي رواية أبي داود ان جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان بكلمان
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يقسم من الخمس في بنى هاشم وبنى المطلب فقلت يارسول الله قسمت
لاخواننا بنى المطلب ولم تعطنا شيئاً وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم

(فان اتهموا) عن الكفر
وأعلموا (فان الله بما
يعملون بصير) يثيبهم على
اسلامهم (وان تولوا)
أعرضوا عن الايمان ولم
يتنوها (فاعلموا أن الله
مولاكم) ناصركم ومعينكم
فتقوا بولايته ونصرته
(نعم المولى) لا يضيع من
تولاه (ونعم النصير)
لا يغلب من نصره
والمخصوص بالمدح محذوف
(واعلموا أن ما غنمتم)
ما بمعنى الذي ولا يجوز أن
يكتب المنفصولاً اذ لو
كتب موصولاً لوجب أن
تكون ما كافة وغمتم
صلته والعائد محذوف
والتقدير الذي غنموه
(من شيء) بيانه قيل حتى
الخيط والمخيط (فان لله
خمس) والفاء انما دخلت
لما في الذي من معنى المجازة
وان وما عملت فيه في موضع
رفع على أنه خبر مبني
تقديره فالحكم أن لله
خمس (وللرسول ولذي
القربى

معطوف على بالله أى
ان كنتم آمنتم بالله والمنزل
(على عبدنا يوم الفرقان)
يوم بدر (يوم التتيق
الجمعان) الفرقان من
المسلمين والكافرين
والمراد ما أنزل عليه من
الآيات والملائكة والفتح
يومئذ وهو بدل من يوم
الفرقان (والله على كل
شئ قدير) يقدر على أن
ينصر القليل على الكثير
كفعل بكم يوم بدر (اذ
أنتم) بدل من يوم الفرقان
والتقدير اذ كروا اذ
أنتم (بالعدوة) شط الوادى
وبالكسر فهما مكي وأبو
عمرو (الدينا) القربى الى
جهة المدينة تأنيث الادنى
(وهم بالعدوة القصوى)
البعدي عن المدينة تأنيث
الاقصى وكلتاهما فعلى من
بنات الواو والقياس قلب
الواو ياء كالعليا تأنيث
الاعلى وأما القصوى
فكالقودى مجيئه على
الاصل (والركب) أى العبر
وهو جمع ركب فى المعنى
(أسفل منكم) نصب على
الظرف أى مكانا أسفل
من مكانكم يعنى فى أسفل
الوادى بثلاثة أميال وهو
مرفوع المحل لانه خبر
المبتدا (ولو تواعدتم) أنتم
وأهل مكة ونواضعتم بينكم
على موعد تلتقون فيه للقتال

أحمد واسحاق وذهب قوم الى أن النفل من رأس الغنيمة قبيل التخميمس كلساب للقاتل وأما النى وهو ما
أصابه المسلمون من أموال الكفار بغير إيجاب خيل ولا ركاب بان صالحهم على مال يؤدون به وكذلك الجزية
وما أخذ من أموالهم اذ دخلوا دار الاسلام للتجارة أو يموت أحد منهم فى دار الاسلام ولا وارت له فهذا
كاه فى مال النى كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة حياته وقال عمران الله سبحانه وتعالى قد
خص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا النى بشئ لم يخص به أحد غيره ثم قرأ عمر وما أفاء الله على رسوله
منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وكان ينفق على اهله وعياله نفقة سنهم من هذا
المال ثم ما بقى يجعله يجعل مال الله فى الكراع والسلاح واختلف أهل العلم فى مصرف النى بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو لائمة بعده وللإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه فيه قولان أحدهما انه
للمقاتلة الذين أثبتت أسماءهم فى ديوان الجهاد لانهم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم فى ارباب العدو
والقول الثانى انه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كما ينتمون ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلف
أهل العلم فى تخميمس النى فذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الى أنه ينحس وخمس لاهل الخمس من
الغنيمة على خمسة أسهم وأربعة أخماسه للمقاتلة والمصالح وذهب الاكثرون الى أنه لا ينحس بل يصرف
جميعه مصرفا واحدا لجميع المسلمين فيه حق * عن مالك بن أنس قال ذكروا عمر يوم ما النى فقال ما أنا أحق
بهذا النى منكم وما أحد منا أحق به من الآخر الا أنا على منازلنا من كتاب الله وقسمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرجل وقدمه والرجل وبلاؤه والرجل وعياله والرجل وحاجته أخرجه أبو داود وأخرج البغوى
بسند عنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض مسلم الا له فى هذا النى حق الا ما ملكت أيمانكم
وقوله سبحانه وتعالى (ان كنتم آمنتم بالله) يعنى واعلموا أيها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصرف
الى من ذكر فى هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه أطعماكم واقنعوا باربعة أخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم
بالله وصدقتم بوحدا نيته (وما أنزلنا على عبدنا) يعنى وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه
اضافة تشرىف وتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم والذى أنزله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يستلونك عن
الانفال الآية (يوم الفرقان) يعنى يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه بين
الحق والباطل (يوم التتيق الجمعان) يعنى جمع المؤمنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو أول مشهد
شاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة
أو سبع عشرة من رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا
والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زينة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك
(والله على كل شئ قدير) يعنى على نصركم أيها المؤمنون مع قتلتم وكثرة أعدائكم * قوله سبحانه وتعالى
(اذ أنتم) أى اذ كروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ أنتم (بالعدوة الدنيا) يعنى بشيخ فغير الوادى
الادنى من المدينة والدنيا هنا تأنيث الادنى (وهم) يعنى المشركين (بالعدوة القصوى) يعنى بشيخ فغير الوادى
الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تأنيث الاقصى (والركب أسفل منكم) يعنى أباسميان وأصحابه
وهم غير قريش التى خرجوا لاجلها وكانوا فى موضع أسفل من موضع المؤمنين الى ساحل البحر على ثلاثة
أميال من بدر (ولو تواعدتم) يعنى أنتم والمشركون (لاختلفتم فى الميعاد) وذلك ان المسلمين خرجوا
ليأخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم أنتم
والكفار على القتال لاختلفتم أنتم وهم لقتلتم وكثرة عدوكم (ولكن) يعنى ولكن الله جمعكم على
غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى من نصر أوليائه وأعز دينه واهلاك أعدائه وأعداء

(لاختلفتم فى الميعاد) خالف بعضهم بعضا فنبطكم قتلتم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد ونبطهم ما فى قلوبهم من نهي رسول دينه
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق اكن من التلاقى ما وفقه الله وسبب له (ولكن) جمع بينكم بلا ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا)

من اعزاز دينه واعلاجه كلمته واللام تتعلق بمحذوف أي ليقضى الله أمرا كان ينبغي أن يفعل وهو نصر أولياءه وقهر أعدائه بذكر ذلك قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أي ليحكم ما قد علم أنه يكون كائنا أو لئيم أمرا كان قد أراد وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الاسلام وأهله وذل الكفر وخزبه وبتعلق بيقضى (إهلك من هلك عن بينة وبخى من حى عن بينة) حى نافع وأبو عمرو فالادغام للقاء المثاليين والظاهر لان حركة الثانية غير لازمة لانك تقول في المستقبل يحيا والادغام أكثر استعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام أي يصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعتن مخالفة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان وقعة بدر من الآيات الواضحة التي من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطها ولهذا ذكر فيها أمرا كز العر يقين وان العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كما مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لا تكون بالكثرة والاسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدو القسوى التي أناخ

(١٩٩)

وكانت أرض الأبا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشی فيها الا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسالحين وضعفهم ثم كان ما كان (وان الله لسميع لعليم) لاقوالهم (عليهم) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن ونوابه (اذير يكهم الله) نصب باضمار اذ كرا وهو متعلق بقوله لسميع لعليم أي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك (في منامك قليلا) أي في رؤياك وذلك ان الله تعالى أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على عدوهم (ولو أراكم كهم كثير الفشلتم) لجنتم وهبتم

دينه (إهلك من هلك عن بينة) يعني لم يوت من مات عن بينة رآها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه (وحييا من حى عن بينة) يعني ويعيش من عاش عن بينة رآها وعبرة شاهدتها وحجة قامت عليه وقال محمد بن اسحق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك لان الهلاك هو الكفر والحياة هي الايمان ونحوه قال قتادة ليلضل من ضل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة (وان الله لسميع لعليم) يعني يسمع دعاءكم ويعلم نياتكم ولا تخفى عليه خافية قوله عز وجل (اذير يكهم الله) يعني واذا كرا بإحمد نعمة الله عليك اذير يك المشركين (في منامك) يعني في نومك (قليلا) قال مجاهد أراه الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك وكان ذلك تنبيها وقال محمد بن اسحق فكان ما أراه الله من ذلك نعمة من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم فكف عنهم بها مخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم وقيل لما أرى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قرش في منامه قليلا فاخبر بذلك أصحابه قالوا رؤى بالنبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجرأتهم على عدوهم وقوة قلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم (ولو أراكم كهم كثير الفشلتم) يعني لجنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو أراكم كهم كثير فاذا كرت ذلك لأصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم (ولتنازعتم في الامر) يعني اختلفتم في امر الاقدام عليهم أو الاحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الامر الاختلاف الذي تكون معه مخاصمة ومجادلة ومجازاة كل واحد الى ناحية والمعنى لا اضطرب أمركم واختلفت كلمتكم (ولكن الله سلم) يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل (انه عليهم بذات الصدور) يعني أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجبين والصبير والجزع وقال ابن عباس معناه أنه عليهم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل (واذير يكهم الله) اذ التقييم في أعينكم قليلا) يعني ان الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ايتا كد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أراه سبعين قال أراه مائة فاسمر نار جلا منهم فقلنا كم كنتم قال كمنألفنا (ويقللكم في أعينهم) يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين قال السدي قال ناس من المشركين

الاقدام ولتنازعتم في الامر أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليهم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيهما من الجراءة والجبين والصبور والجزع (واذير يكهم الله) الضمير ان مفعولان أي واذا يبصركم اياهم (اذا التقيتم) وقت اللقاء (في أعينكم قليلا) هو نصب على الحال وانما قللهم في أعينهم تصديقا لآية رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعابنوا ما أخبرهم به فيزاد يقينهم ويجدوا وثبة وقال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي أراه سبعين قال أراه مائة وكانوا ألفا (ويقللكم في أعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم أكلة جزور قيل قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليحترأوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا وبهاوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بان يسترا الله بعضهم باستراؤ ويحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما حدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالي لأرى هذين الديكين اربعة

آمنوا اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال (فانبتوا) لقتالهم ولانفروا (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (اعلمكم تغلحون) تغلحون بمرادكم من النصر والثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفترعن ذكره اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره (واطيعوا الله ورسوله) في الامر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرهما (ولا تنازعوا فتفشلوا) فتجبنوا وهو منصوب باضماران وبدل عليه (وتذهب بحكمكم) أى دولتكم يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة وتقد أمره شبهت في نفوذ أمرها وتشتبه بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا) في القتال مع العدو وغيره

ان العبر قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصمهم انما محمد وأصحابه أكلة جزور يعنى لقاتهم في عينيه ثم قال فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال بقوله من القدرة التي في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم واتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراتهم عليهم ولا يجبنوا وعند قتلهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لثلايهم بواو اذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا للظهور المؤمنين عليهم فان قلت كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك يمكن في القدرة الالهية فان الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك مجزأة للنبي صلى الله عليه وسلم والمجزأة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) يعنى أمرا كان من اعلاء كلمة الاسلام ونصرا أهله واذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فان قلت قد قال في الآيات المتقدمة ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ليقضى الله أمرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار قلت المقصود من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه الفهر والغلبة ليكون ذلك مجزأة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لانه تعالى قلل عدد الفرقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضى الله أمرا كان مفعولا (والى الله ترجع الامور) يعنى في الآخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالحسن باحسانه والسيء باساءته أو يفرق قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) يعنى جماعة كافرة (فانبتوا) يعنى لقتالهم وهو ان يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوا بالتولى (واذكروا الله كثيرا) يعنى كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بأن يذكروه في أشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على أن الانسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكرو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو وعند اللقاء ثم قال تعالى (اعلمكم تغلحون) يعنى وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفر فان قلت ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم أنها نسخة آية التحريف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجلة وآية التحريف والتحيز لا تنقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل الا بذلك التحريف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك (واطيعوا الله ورسوله) يعنى في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو (ولا تنازعوا فتفشلوا) يعنى ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف واللين ﴿وقوله تعالى (وتذهب بحكمكم) يعنى قوتكم وقال مجاهد نصرتكم قال وذهبت ریح أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين نازعوه يوم أحد وقال السدي جراه تكلم وجدكم وقال مقاتل حدثكم وقال الاخفش وأبو عبيدة دولتكم والريح هنا كناية عن نفاذ الامر وجر يانه على المراد تقول العرب هبت ریح فلان اذا أقبل أمره على ما يريد وقال قتادة وابن زيد هي ریح النصر ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى تضرب وجوه العدو ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وعن النعمان بن مقرن قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر أخرجه أبو داود وقوله سبحانه وتعالى (واصبروا) يعنى عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنهم (ان الله مع الصابرين) يعنى بالنصر والمعونة (ق) عن عبد الله بن أبي أوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي اتى فيها العدو وانظر حتى اذا ماتت الشمس قام فيهم فقال ايها الناس لا تمتنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا قيمتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا

ورثاء الناس) ها أهل مكة حين نفر والحماية العير فانهم رسول أبي سفيان أن ارجعوا فقد سلمت غيركم فأبى أبو جهل وقال حتى تقدم بدرنا
ونشرب بها الخمر وننحرج الجوزور ونعزف علينا القيان ونظم بها العرب فذلك (٢٠١) بطرهم - م ورياؤها الناس باطعاهم

فوافوها فسقوا كؤوس
النايا مكان الخمر وناحت
عليهم النوائح مكان القيان
فنهاهم - م أن يكونوا مثلهم
بطين طربين مرأين
بأعمالهم وأن يكونوا من
أهل التقوى والكآبة
والحزن من خشية الله
مخلصين أعمالهم لله وبالطبر
ان تشغله كثرة النعمة عن
شكرها (ويصدون عن
سبيل الله) دين الله (والله
بما يعملون محيط) عالم
وهو وعيد (واذ ين لهم
الشیطان أعمالهم وقال
لا غالب لكم اليوم من
الناس) واذا كراذ ين
لهم الشيطان أعمالهم
التي عملوها في معاداة رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ووسوس اليهم انهم
لا يغابون وغالب مبنى نحو
لا رجل ولكم في موضع رفح
خبر لا تقديره لا غالب كأن
لكم (واني جار لكم) أى
بجيرانكم وهمهم ان طاعة
الشیطان مما يجيرهم - م
(فلما نرأت الفتان) فلما
تلاقى الفريقان (نكص)
الشیطان هاربا (على
عقبه) أى رجوع القهقري
(وقال انى برى منكم) أى
رجعت عما ضمنت لكم
من الامان روى ان ابليس

علمهم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو وفاد القبتموهم فاصبروا
﴿ قوله عز وجل (ولانكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا) يعني نغرا وأشرأوقيل البطر الطغيان
في النعمة وذلك ان النعم اذا كثرت من الله تعالى على العبد فان صرفه في المفاخرة على الاقران وكأثر بها
أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة وان صرفها في طاعة الله وابتغاء
مرضاته فذلك شكركها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان في النعمة وترك شكرها (ورثاء الناس)
الرياء اظهار الجليل لبراءه الناس مع ابطان القبيح والفرق بين الرياء والتفاق ان التفاق اظهار الايمان مع
ابطان الكفر والرياء اظهار الطاعة مع ابطان المعصية (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس
عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في كفار قريش حين خرجوا الى بدر وهم نغرو بغى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونغرها تنجادل وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي
وعدتني به قال ابن عباس ان ابا سفيان لما رأى انه قد أحرز غيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا
عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجحها الله فارجعوا فقال أبو جهل - ل والله لا نرجع حتى نردي بدر او كمل في بدر
موسم من مواسم العرب يجتمع لهم - م مها سوقي في كل عام قال فنقيم عليها ثلاثا ولنحرج الجوزور ونظم الطعام
ونسقى الخمر ونعزف علينا القيان ونسمع بنا العرب فلا يزالون بها يومنا أبدا فامضوا زاد غيره قال فلما وافوا
بدر اسقوا كؤوس الحمام عوضا عن الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عبادة المؤمنين أن
يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم أيها المؤمنون رياء وسوسة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن اخلصوا
لله عز وجل النية وقاتلوا حسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا الا لتلك ولا تطلبوا
غيره ﴿ وقوله تعالى (والله بما يعملون محيط) فيه وعيد وتهديد يعني انه تعالى عالم بجميع الاشياء لا يخفى عن
علمه شيء لانه محيط بأعمال العباد كما في جازي المحسنين ويعاقب المسيئين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذ ين
لهم الشيطان أعمالهم) يعني اذ كروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم اذ ين الشيطان يريد ابليس للمشركين
أعمالهم الخبيثة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم) قال بعضهم كان تز بينه وسوسة ألقاها
في قلوبهم من غير أن يتحول في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور ابليس في صورة سراق بن
مالك بن جعشم وكان تز بينه أن قر يشالما أجمعت على المسير الى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن
الحرث من الحرث فكذا ذلك أن يشتمهم فبدي لهم ابليس في صورة سراق بن مالك بن جعشم المدلجي
وكان من أشرف بني كنانة فقال انا جار لكم من ان ياتيكم من كنانة شيء تكروهونه نغروا سراعا وقال ابن
عباس جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين مع رايته في صورة رجل من رجاء بني مدلس سراق بن مالك
ابن جعشم فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام الى
ابليس لعنه الله فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال
الرجل يا سراقه أنتزعم انك جار لنا فقال انى أرى ما لاترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى
الملائكة وقوله انى جار لكم يعني بجيرانكم من كنانة (فلما نرأت الفتان) أى التي الجمعان رأى ابليس الملائكة
قد نزلوا من السماء فعلم عدوانه ابليس أنه لا طاقة له بهم (نكص على عقبه وقال انى برى منكم) يعني رجوع
القهقري وولى مدبرا هاربا على قفاه وقال السكبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة
سراق بن مالك بن جعشم وهو أخذ بيد الحرث بن هشام فكص عدوانه ابليس على عقبه فقال له الحرث

(٢٦ - (خازن) - ثانيا) تمثل لهم في صورة سراق بن مالك بن جعشم في جند من الشياطين مع رايته فلما رأى الملائكة
نزل نكص فقال له الحرث بن هشام أخذنا في هذه الحالة فقال

وانه ما شعرت بمسيركم حتى
 بلغة تنى هزمكم فلما سلموا
 علموا انه الشيطان (انى
 اخاف الله) اى عقوبته
 (والله شديد العقاب)
 اذكروا (اذ يقول
 المنافقون) بالمدينة (والذين
 فى قلوبهم مرض) هو من
 صفة المنافقين او اريد
 والذين هم على حرف ليسوا
 بشائى الاقدام فى الاسلام
 (غير هؤلاء دينهم) يعنون
 ان المسلمين اغتر وابد دينهم
 فخرجوا وهم ثلثائة وبعضة
 عشر الى زهاء الف ثم قال
 جوابهم (ومن يتوكل
 على الله) بكل اليه امره
 (فان الله عزيز) غالب
 يسلط القليل الضعيف على
 الكثير القوى (حكيم)
 لابسوى بين يديه وعدوه
 (ولو نرى) ولو عابنت
 وشاهدت لان لو ترد
 المضارع الى معنى الماضى
 كاتردان الماضى الى معنى
 الاستقبال (ان) نصب على
 الظرف (يتوفى) الذين
 كفروا) يقبض ارواحهم
 (الملائكة) فاعسل
 (يضر بون) حال منهم
 (وجوههم) اذا اقبلوا
 (وادبارهم) ظهورهم
 واستأههم اذا ادبروا او
 وجوههم عند الاقدام
 وادبارهم عند الانهزام

افرار من غير قتال وجعل يسكه فمدفع فى صدره وانطلق فانهم زم الناس فلما قدموا مكة قالوا هزم الناس
 سراقه فبلغ ذلك سراقه فقال بلغنى انكم تقولون انى هزمت الناس فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزم عمتكم
 فقلوا اما انىقنا فى يوم كذا وكذا خلف لهم فلما سلموا علموا ان ذلك كان شيطانا قال الحسن فى قوله (انى
 ارى مالانرون) قال رابى ابلبس جبريل عليه السلام معتجرا يريد بمشى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفى
 يده اللجام يقود الفرس ماركب وقال قتادة قال ابلبس انى ارى مالانرون وصدق وقال انى اخاف الله وكذب
 ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردتهم واسلمهم وتلك عادة عدو الله ابليس ان اطاعه اذا
 التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرأ منهم وقيل انه خاف ان يهلك فيمن هلك وقيل خاف ان ياخذ جبريل
 فيعرف حاله فلا يطيعوه وقيل معناه (انى اخاف الله) اعلم صدق وعده لا وايانه لانه كان على ثقة من امر ربه
 وقيل لما رابى الملائكة قد نزلت من السماء خاف ان تكون القيامة (والله شديد العقاب) فيسل معناه انى
 اخاف الله لانه شديد العقاب فعلى هذا يكون من تمام قول ابليس وقيل ثم كلامه عند قوله انى اخاف الله
 وقوله تعالى والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله سبحانه وتعالى والله شديد العقاب لمن خالف الله
 وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كرز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رابى الشيطان بوما هو فيه
 اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه فى يوم عرفه وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب
 العظام الا ما رابى يوم بدر فانه قد رابى جبريل بزعم الملائكة اخرجهم مالك فى الموطأ قوله ولا ادحر هو بالمال
 والحاء المهملتين من الدحور وهو الابداع والطر مع الاهانة وقوله يزع الملائكة اى يكفهم ويحبسهم لثلاث
 يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذى يتقدم ويتأخر فى الصف ليصاحبه فان قلت كيف يقدر ابليس
 على ان يتصور بصورة البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا قلت ان الله عز وجل اعطاه
 قوة واقدره على ذلك كما اعطى الملائكة قوة واقدرهم على ان ينشكروا بصورة البشر لكن النفس الباطنة
 لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل (اذ يقول المنافقون) يعنى من اهل المدينة
 (والذين فى قلوبهم مرض) اى شك وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقولوا بالاسلام فى
 قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما
 نظروا الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا (غير هؤلاء دينهم) يعنى ان هؤلاء نفر قليلون يقانون اضعافهم
 فقد غرهم دينهم الاسلام على ذلك وحملهم على قتل انفسهم رجاء الثواب فى الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر
 وقال مجاهد ان فته من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة وابوقيس بن الفاكه بن المغيرة والحريث بن
 زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن امية بن خاف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة
 وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رابوا قلة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غير هؤلاء دينهم ثم
 قال تعالى (ومن يتوكل على الله) يعنى ومن يسلم امره الى الله ويثق بفضله ويعول على احسانه (فان الله)
 حافظه وناصره لانه (عزيز) لا يغلبه شئ (حكيم) فيما قضى وحكم فيبوصل الثواب الى اوليائه والعقاب الى
 أعدائه قوله عز وجل (ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) يعنى ولو عابنت يا محمد وشاهدت اذ
 تقبض الملائكة ارواح الذين كفروا واعند الموت لرأيت امرا عظيما ومنظرا فظيعا وعدا باشدا ينادى بهم فى
 ذلك الوقت (يضر بون وجوههم وادبارهم) اختلفوا فى وقت هذا الضرب فقيل هو عند الموت تضرب
 الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط من نار وقيل ان الذين قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة
 تضرب وجوههم وادبارهم وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربت
 الملائكة وجوههم بالسيف واذا اولوا اديارهم ضربت الملائكة اديارهم وقال ابن جرير يبريد ما قبل من

اجسادهم

(وذوقوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عذاب الحريق) أي مقدمة عذاب النار وذوقوا عذاب الآخرة بشارته لهم أو يقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أي رأيت أمر افطعيا (ذلك بما قدمت أيديكم) أي كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وأن الله) عطف عليه أي ذلك العذاب بسببين بسبب كفرهم ومعاصيكم وبأن الله (ليس بظلام للعبيد) لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للكثير (٢٠٣) لاجل العبيد ولنفي أنواع الظلم الكافي (كذاب الكاف في آل فرعون) في محل الرفع أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كفروا) تفسير لدأب آل فرعون (بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم) ان الله قوی شدید العقاب والمعنى جروا على عادتهم في التكذيب فاجرى عليهم مثل ما فعل بهم في التعذيب (ذلك) العذاب أو الانتقام (بان الله لم يك مغفيرا) نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم بسبب ان الله لم يصحح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركي مكة حال مرضية فيفسروها الى حال مسخوطة ليكن لما تغيرت الحال المرضية الى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة الى الأسخط

أجسادهم وأدير يعني يضربون جميع أجسادهم (وذوقوا عذاب الحريق) يعني ونقول لهم الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب الحريق قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد تحمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت وقال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق (ذلك) يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق (بما قدمت أيديكم) يعني انما حصل لكم ذلك بسبب ما كسبت أيديكم من الكفر والمعاصي فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الكفر اعتقاد والاعتقاد محله القلب وظاهر الآية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هي اليد وذلك ممنوع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد آلة العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فاليد كناية عن القدرة وقوله تعالى (وان الله ليس بظلام للعبيد) يعني انه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم أحدا من خلقه وانما نفي الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والمعاصي على عصيانه لانه يتصرف في ملكه كيف شاء ومن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم متوهم انه سبحانه وتعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلن هذا قال الله سبحانه وتعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشاء ﴿قوله تعالى﴾ (كذاب آل فرعون) يعني ان عادة هؤلاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون في كفرهم فجوزى هؤلاء بالقتل والاسير يوم بدر كما جوزى آل فرعون بالاغراق وأصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا وكذا يدوم عليه ويتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه ان آل فرعون أيقنوا ان موسى عليه السلام نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هؤلاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم باصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما نزل بال آل فرعون (والذين من قبلهم) يعني من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) يعني ان عادة الامم السالفة هو كفرهم بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) يعني بسبب كفرهم وذنوبهم (ان الله قوی) يعني في أخذه وانتقامه ممن كفر به وكذب رسوله (شديد العقاب) يعني لمن كفر به وكذب رسوله (ذلك بان الله لم يك مغفيرا نعمه أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم) يعني ان الله سبحانه وتعالى أنعم على أهل مكة بان أطمعهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم فقبلوا هذه النعمة بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله سبحانه وتعالى النعمة وأخذهم بالعقاب قال السدي نعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الله تعالى الى الانصار (وأن الله سمیع) يعني لا قوال خلقه لا يخفى عليه شئ من كلامهم (عليم) يعني بما في صدورهم من خير وشر فيجازي كل واحد على عمله (كذاب آل فرعون) يعني ان هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر وغيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم) كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم) يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف (وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا الظالمين)

منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث اليهم بالآيات فكذبوه وسعوا في اراقه دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت يغير الله ما أنعم به عليهم من الامهال وعاجاهم بالعذاب (وأن الله سمیع) لما يقول مكذبوا الرسل (عليم) بما يفعلون (كذاب آل فرعون) تكبر برلتا كيدا ولان في الاولى الاخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنابين ان ذلك هو الاهلاك والاستئصال (والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم) وفي قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجمود الحق (فاهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) بماه البحر (وكل) وكلهم من غرق القبط وقتلى قريش (كانوا الظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصي

الذين كفروا فهم لا يؤمنون) أي أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصربن الناكثون للمعهود (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) في كل معاهدة (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يباليون بما فيه من العار والنار (فاما تتقفنهم في الحرب) فاما تصادفهم وتظفرن بهم (فشردهم من خلفهم) ففسر عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شرفلة والنكابة فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحدا اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم. وقال الزجاج افعالهم ماتفرق به جمعهم ونظر دبه من عداهم (لعلهم يذكرون) لعل المشركين من وراءهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نكثنا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطح اليهم العهد (على سواء) على استواء منك ومنهم في العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ اليهم

يعني الاولين والآخرين فان فات ما اعانده في نكسر برهذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائدهم ان السلام الثاني يجري مجرى لتفصيل الكلام الاول لان الآية لاولي فيها ذكر أخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فهذه تفسيرا لا ولي الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الآية الاولى اشارة الى انهم أنكروا آيات الله وحججوه وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها الفائدة الثالثة ان نكسر برهذه القصة لتأكيده في قوله كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وحجود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب قوله تعالى (ان شر الدواب عند الله) يعني في علمه وحكمه (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرون على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف (الذين عاهدت منهم) قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقال هي للتبعض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤساء والاشراف (ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة أن لا يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد وأعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم قالوا انسينا وأخطأنا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم لا يتقون) يعني انهم لا يخافون الله في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقن نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ولا يتقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شر الدواب (فاما تتقفنهم في الحرب) يعني فاما تجدن هؤلاء الذين نقضوا العهد وتظفرن بهم في الحرب (فشردهم من خلفهم) قال ابن عباس معناه فذكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبيرة أنذر بهم من خلفهم وأصل التشريد في اللغة التفریق مع اضطراب ومعنى الآية انك اذا ظفرت هؤلاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من أهل مكة واليمن (لعلهم يذكرون) يعني اهل ذلك النكال بمنعهم من نقض العهد (واما تخافن) يعني وامانع من يا محمد (من قوم) معني معاهدين (خيانة) يعني نقض العهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير (فانبذ) أي فاطرح (اليهم) يعني عهدهم وارم به اليهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستور يعني أعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون انك نقضت العهد ولا ينصب الحرب معهم (ان الله لا يحب الخائنين) يعني في نقض العهد عن سليمان بن عامر عن رجل من حبه قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم فيقرب حتى اذا انتضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس أو رذون وهو يقول الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبدسة فارس اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقده ولا يجلها حتى تنقض أمدها أو يذبح اليهم على سواء فرجع معاوية أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي عن سليمان بن عامر نفسه بلا زيادة رجل من حبه وعنده الله أكبر مرة واحدة وفيه جاء على دابة أو فرس وأما حكم الآية فقال أهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد من هادنهم الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نكث العهد والامامهم بالحرب وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتنضح له من غير أمر مستفيض فينبذ يجب على الامام ان يذبح اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأسفیان ومن معه من المشركين الى مظاهرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبصحابه فلهذا يجب على الامام ان يذبح اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب وأما اذا ظهر نقض العهد وهو مقطوعا به فلا

حاجة للإمام الى نيل العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة
وهو في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرعهم الا وجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجر الظهران
وذلك على أربع فراسخ من مكة وقوله تعالى (ولا تحسبن) قرى بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمعنى ولا تحسبن يا محمد (الذين كفروا سبقوا) يعني قاتلوا وانهم يوم بدر (انهم لا يهجزون) اي لا يهجزون طابهم
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خاصا من القتل والاسرى يوم بدر (انهم لا يهجزون) يعني انهم بهذا
السبق لا يهجزون الله من الانتقام منهم ما في الدنيا بالقتل وما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم فيمن قاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يهجزونه ﴿قوله عز وجل (وأعدوا
لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخذوا الشيء لوقت الحاجة اليه وفي الراد بالقدوة أقوال أحدها أنها جميع
أنواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم * الثاني انها الحصون والمعقل
الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه عقبه بن عامر قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة إلا ان القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم
(خ) عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففتنا القر يش اذا كسبوكم يعني
غشوكم وفي رواية أكثر وكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية اذا كسبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبه
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يهجز أحدكم
ان يلهو باسهمه (م) عن فقيه اللخمي قال قات لعقبه بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت شيخ كبير
يشق عليك فقال عقبه لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذلك قال
سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس مننا وقد عصي عن أبي نجیح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة في الجنة فبلغت يومئذ عشرة أسهم قال وسمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر أخرجه النسائي والترمذي بمعناه وعنده قال
عدل رقبة محرر ذو أخرجه أبو داود أيضا عن عقبه بن عامر بمعناه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله عز وجل ليدخان بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتمس في عمله الخبير الراي به والمدبه
وفي رواية ومن نبله فارموا ركبوا وان تموا أحب الى من أن تركوا كل لهو باطل ليس من الله محمود الا
ثلاثة ناديب الرجل فرسه وملاعبته أهله ورميه بقوسه أي نبله فانهم من الحق ومن ترك الرمي بعد
ماعلمه رغبة عنه فانها نعمة تركها وكفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا الى نبله (خ) عن
سامة بن الاكوع قال قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضون بالقوس فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ارموا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا رموا أو انا مع بنى فلان فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم لا ترمون فقالوا كيف نرمي وانت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا
وأنا معكم كلكم * القول الرابع ان المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو فكل ما هو آلة
يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة للمأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه وسلم الا ان القوة الرمي
لا ينبغي كون غير الرمي من القوة فهو كقول صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينبغي اعتبار
غيره بل يدل على ان هذا المذكور من أفضل المقصود وأجله فكذلكهاهنا يحمل معنى الآبة على الاستعداد للقتال
في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات كالرمي بالنبل والنشاب والسيوف والدرع وتعليم الفروسية
كل ذلك مأمور به الابنه من فروض الكفاية ﴿وقوله تعالى (ومن رباط الخيل) يعني اقتناء هاور بطها
للزور في سبيل الله والرباط شد الفرس وغيره بالمكان للحفظ وسمى المكان الذي يخص باقامة حفظه فيه
رباطا والمرابطة اقامة المسامين بالثغور للحراسة فيها ووربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به روى ان

و بالتاء وكسر السين غيرهم
(الذين كفروا سبقوا)
قاتلوا وأقتلوا من أن يظفر
٢٠٥ (انهم لا يهجزون) انهم
لا يهجزون ولا يجردون طابهم
عاجز عن ادراكهم انهم
شامى أى لانهم وكل واحدة
من المكسورة والمفتوحة
تعليلا غير ان المكسورة
على طريقة الاستئناف
والمفتوحة لتعليل صريح
فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا
مفعول أول والثاني سبقوا
ومن قرأ بالياء فالذين
كفروا فاعل وسبقوا
مفعول تقديره ان سبقوا
خذف ان وان مخففة من
الثقيلة أى انهم سبقوا فسد
مسدد المفعولين أو يكون
الفاعل مضمرا أى ولا
يحسبن محمد الكافرين
سابقين ومن ادعى تفرد
حزرة بالقرءة ففيه نظرا
ينمان عدم تفرده بها وعن
الزهري انها نزلت فيمن
أفلت من فسل المشركين
(وأعدوا) أيها المؤمنون
(لهم) لنا قضي العهد أو
لجميع الكفار (ما استطعتم
من قوة) من كل ما يتقوى
به في الحرب من عدها
وفي الحديث إلا ان القوة
الرمي اقالها ثلاثا على المنبر
وقيل هي الحصون (ومن
رباط الخيل) هو اسم
للخيل التي تربط في سبيل
الله أوهـ وجمع رباط

كفصيل وفضال وخص الخيل من بين ما يتقوى به كقوله جبريل

رجلا قال لابن سيرين ان فلانا وصي بثات ماله للحصون فقال ابن سيرين يشتري به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون ومن رباط الخيل يعني الاناث ووجه هذا ان العرب تربط الاناث من الخيل بالافنية للنسب وروى ان خالد بن الوليد كان لا يركب في القتال الا الاناث لثقلها وسهولتها وعن ابن محيرز قال كانت الصحابة يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف واثاث الخيل عند الشنات والغارات وقيل رباط الفحول أولى من الاناث لانها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت الحمارية عليها أولى من الاناث وقيل ان لفظ الخيل عام فيتناول الفحول والاناث فاي ذلك رباط بنية الغزاة كان في سبيل الله (ق) عن عروة ابن الجعد البارق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والنعمة (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرس في سبيل الله ايمان الله وتصديق بوعده فان شعبه وورثته وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فاما الذي هي له أجر فرجل رباطها في سبيل الله زاد في رواية لاهل الاسلام فاطال لها في مرج أو روضة فاصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو انها قطعت طيلها فاستنت شرفاً وشرفين كانت له آثارها داراً وانها حسنات ولو انها صرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل رباطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل رباطها خراور ياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وستل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجر فقال ما أنزل على فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره الطيل الجبل الذي يشد به الفرس وقت الرمي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي تجرى فيه الفرس وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس أما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعاً الى أهله وأما حق رقابها فقيل أراد به الاحسان اليها وقيل أراد به الجلب عليها فغير بالرقبة عن الذات وقوله نواء لاهل الاسلام النواء المعادة يقال ناوت الرجل مناواة اذا عادته ﴿ وقوله تعالى ﴾ (ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم يعني الكفار من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس تخزون به عدو الله وعدوكم وذلك لان الكفار اذا علموا ان المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الاسلحة وآلات الحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصبر ذلك سبباً لدخول الكفار في الاسلام أو بذل الجزية للمسلمين ﴿ وقوله تعالى ﴾ (وأخربن من دونهم) يعني وترهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى (لا تاملونهم) لانهم معكم يقولون بالسنتهم لاله الا الله (الله يعلمهم) يعني انهم منافقون وأورد على هذا القول ان المنافقين لا يقابلون لظاهرهم كلمة الاسلام فكيف يخوفون باعداد القوة ورباط الخيل وأجيب عن هذا الابراد ان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلائهم وأساعنتهم كان ذلك مما يخوفهم ويخربهم فكان في ذلك ارهابهم وقال الحسن هم كفار الجن وصحح هذا القول الطبري قال لان الله تعالى قال لا تاملونهم ولا شك ان المؤمنين كانوا عاقلين بعد اوة قريظة وفارس لعلمهم بانهم مشركون ولانهم حرب للمؤمنين أما الجن فلا يعلمونهم الله يعلمهم يعني يعلم أحوالهم وأما كنهم دونكم ويعضد هذا القول ما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن وان الشيطان لا يخجل أحد في داره فرس عتيق ذكر هذا الحديث ابن الجزري وغيره من المفسرين بغير اسناد وقال الحسن سهيل الخيل يرهب الجن ﴿ وقوله سبحانه وتعالى ﴾ (وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

وميكال (ترهبون به) بما استطعتهم (عدو الله وعدوكم) أي أهل مكة (وأخربن من دونهم) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دار فيها فرس عتيق وروى ان سهيل الخيل يرهب الجن (لا تاملونهم) لا تعرفونهم وما باعياهم (الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

عام في كل وجوه الخير والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره (بوف اليكم) يعني أجره في الآخرة ويحمل لكم عوضه في الدنيا (وَأْتَمُّ لَانْتِظَمُونَ) يعني وَأْتَمُّ لَانْتِظَمُونَ من نواب أعمالكم شيئاً ﴿قوله تبارك وتعالى (وَأَنْ جَنَحُوا)﴾ فاجنح لها) لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأعداد القوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك أن يقبلوا منهم الصلح ان مالوا اليه وسألوه فقال تعالى وان جنحوا للسلم يعني مالوا الى السلم يعني الصالحة فاقبلوا منهم الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل إليها يعني الى المصالحة روى عن الحسن وقتادة أن هذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل انها غير منسوخة لكنها تنضم من الامر بالصلح اذا كان فيه مصلحة ظاهرة فان رأى الامام أن يصلح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز أن يهادنهم سنة كاملة وان كانت القوة للشركيين جاز أن يهادنهم عشر سنين ولا يجوز الزيادة عليها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلح أهل مكة مدة عشر سنين ثم انهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة وقوله تعالى (وتوكل على الله) يعني فوض أمرك الى الله وفيما عدا ذلك من غيرهم ليكون عونك في جميع أحوالك (انه هو السميع) يعني لا قولهم (العليم) يعني باحوالهم ﴿قوله عز وجل (وان يريدوا أن يخدعوك)﴾ يعني يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى وان أرادوا باظهار الصلح خديعتك لتكف عنهم (فان حسبك الله) يعني فان الله كافيك بنصره ومعونته (هو الذي أيدك بنصره) يعني هو الذي قواك وأعانك بنصره يوم بدر وفي سائر أيامك (وبالمؤمنين) يعني وأيدك بالمؤمنين يعني الانصار فان قلت اذا كان الله قد أيدك بنصره فاي حاجة الى نصر المؤمنين حتى يقول وبالمؤمنين قلت التأيد والنصر من الله عز وجل وحده لكنه يكون باسباب باطنة غير معلومة وباسباب ظاهرة معلومة فالذي يكون بالاسباب الباطنة فهو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره لان أسبابه باطنة بغير وسائط معلومة وأما الذي يكون بالاسباب الظاهرة فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لان أسبابه ظاهرة بوسائط وهم المؤمنون والله سبحانه وتعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي أقامهم انصره ثم بين كيف أيدهم بالمؤمنين فقال تعالى (وألف بين قلوبهم) لو أنفقت مافي الارض جميعاً ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم) وذلك ان العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والالفة العظيمة والانس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة من أدنى شئ حتى لو أن رجلاً من قبيلة اطم لطمه واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا آثارهم لا يكاد يألف منهم قبايل فاما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه انقلب تلك الحالة فاتلفت قلوبهم واستجمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصاراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا يقاتلون عنه ويحمونه وهم الاوس والخزرج وكانت بينهم في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت المحبة والالفة وهذا مما لا يقدر عليه الا الله عز وجل وصار ذلك مجزأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة باهرة دالة على صدقه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي وفي الآية دليل على ان القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد ذلك لان تلك الالفة والمحبة إنما حصلت بسبب الايمان واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم انه سبحانه وتعالى ختم هذه الآية بقوله (انه عزيز حكيم) يعني انه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة الى المحبة ومن النفرة الى الالفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب ﴿قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)﴾ روى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت في اسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبيرة أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت هذه الآية فعلى هذا القول تكون الآية مكية كتبت في سورة مدنية بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل انها نزلت بالبيداء

جنى له واليه مال (للسلم) للصلح و بكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيت ضدها وهو الحرب (فاجنح لها) فـل إليها (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكرفي جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم (انه هو السميع) لا قولك (العليم) باحوالك (وان يريدوا أن يخدعوك) بمكروا ويغدروا (فان حسبك الله) كافيك الله (هو الذي أيدك) قواك (بنصره) وبالمؤمنين) جميعاً أو بالانصار (وألف بين قلوبهم) قلوب الاوس والخزرج بعد تعدادهم مائة وعشرين سنة (لو أنفقت مافي الارض جميعاً ألفت بين قلوبهم) أى بلغت عداوتهم مبلغاً لو أنفقت منفق في اصلاح ذات بينهم مافي الارض من الاموال لم يقدر عليه (ولكن الله ألفت بينهم) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فاحدث بينهم التوادد والتحاب وأماط عنهم التباغض والتماقت (انه عزيز) يقهر من يخدعونك (حكيم) ينصر من يتبعونك (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين)

أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فبزت (بأيها النبي حرض المؤمنين على القتال) (٢٠٨) التعريض بالمبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهك المرض

حتى يشرف على الموت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا هذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله وتأييده (بانهم قوم لا يفقهون) بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهايم فيقبل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقا تل على بصيرة وهو رجو النصر من الله قيل كان عليهم أن لا يفر واوثبت الواحد للعشرة ثم نقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) فان يكن عاصم وحنة (فان يكن منكم مائة صابرة) بالياء فيهما كوفي وافقه البصري في الاولى والمراد الضعف في البدن (يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) ونكرير مقاومة الجماعة لاكثر من مائتين قبل التخفف وبعده

في غزوة بدر وقيل القتال على هذا القول أراد بقوله تعالى ومن اتبعك من المؤمنين يعني الى غزوة بدر وقيل أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الانصار وتكون الآية نزلت بالمدينة وقيل أراد جميع المهاجرين والانصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين وقيل معناه حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين قوله عز وجل (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) يعني حثهم على قتال عدوهم والتعريض في اللغة الحث على الشيء بكثرة التزير ونسهيل الخطب فيه كأنه في الاصل ازالة الحرض وهو الهلاك (ان يكن منكم عشرون) يعني رجلا (صابرون) يعني عند اللقاء محسبين أنفسهم يغلبوا مائتين يعني من عدوهم وظاهر لفظ الآية خبر ومعناه الامر فكانه تعالى قال ان يكن منكم عشرون فياصبروا وابعثهم وافي قتال عدوهم حتى يغلبوا مائتين ويدل على أن المراد بهذا الخبر الامر قوله الآن خفف الله عنكم لان النسخ لا يدخل على الاخبار انما يدخل على الامر فدل ذلك على أن الله سبحانه وتعالى أوجب أولا على المؤمنين هذا الحكم وانما حسن هذا التكليف لان الله وعدهم بالنصر ومن تكفل الله بالنصر سهل عليه الثبات مع الاعداء (وان يكن منكم مائة) يعني صابرة (يغلبوا ألفا من الذين كفروا) لخاصة وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار ذلك (بانهم قوم لا يفقهون) يعني ان المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب وخوف عقاب انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال فانهم لا يثبتون معكم (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله (خ) عن ابن عباس قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ولا عشرون من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فكتب أن لا يفر مائة من مائتين وفي رواية أخرى عنه قال لما نزلت ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين شق ذلك على المسلمين فنزلت الآن خفف الله عنكم الآية فما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم فظاهر هذا ان قوله سبحانه وتعالى الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الاولى وكان هذا الامر يوم بدر فرض الله سبحانه وتعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال عشرة من الكافرين فنقل ذلك على المؤمنين فنزلت الآن خفف الله عنكم أي المؤمنين وعلم أن فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد للعشرة فان يكن منكم مائة صابرة محسبة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فرد من العشرة الى الاثنين فاذا كان المسلمون على قدر النصف من عدوهم لا يجوز لهم أن يفر وا فاما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين فقد فر (والله مع الصابرين) يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى (ما كان لنبي أن تكون له أسرى) روى عن عبد الله بن مسعود قال لما كان يوم بدر ورجى بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا لولن في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأمن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فدعهم نضرب أعناقهم مكن علينا من عقيل فيضرب عنقه ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ومكني من فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الخطب فادخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نار فقال له العباس قطعت رجلك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليأين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ويشد قلوب رجال حتى تكون أشد

للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت اذا الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة لالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالفين (ما ناسي) ماصح له ولا استقام (أن تكون له أسرى) ان تكون بصرى من

القتل في أهله ويعز الاسلام بالاستيلاء والقهرم الامر بعد ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعن الله يتوب عليهم وخدمهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضي الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن علياً من عقيل وجزء من العباس ومكنى من فلان لتسبب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الارض من الكافر بن ديارا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ان شتم قتلتموهم وان شتم فادجموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية (تر بدون عرض الدنيا) متاعها يعني الفداء سباه عرض القلة بقائه وسرعة فنانه (والله ير بد الآخرة)

من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافر بن ديارا ومثلك يا عبد الله بن رواحة كمثل موسى قال ربنا طمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أتمت عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بقداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهليل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فإرايتني في يوم أخوف أن تقع على الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسهليل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فاعدا ان بيكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجده بكاء تبأ كيت لبيكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عليه ما كان انبي أن تكون له أسرى حتى يشخن في الارض الآية أخرج هذا الحديث الترمذي مختصراً وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم في أفراده من حديث عمر بن الخطاب قال ابن عباس لما أسروا الاسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابني بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الاسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن نأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم الى الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه وتمكن جزء من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيت لعمر فاضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدهم فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بيكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجده بكاء تبأ كيت لبيكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة للشجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ما كان انبي أن يكون له أسرى حتى يشخن في الارض الى قوله فكأول ما غنمتم حلالاً طيباً فاحل الله الغنيمة لهم ذكره الحميدي في مسنده عن عمر بن الخطاب من أفراد مسلم بزادة فيه أما تفسير الآية فقوله تعالى ما كان انبي أن تكون له أسرى يعني ما كان ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معناه لم يكن لنبي ذلك فلا يكون لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي أن يجبس كافر اقدر عليه وصار في يده أسير الفداء والمن والاسرى جمع أسير وأسارى جمع الجمع (حتى يشخن في الارض) الانحان في كل شيء عبارة عن قوته وشدة به يقال انحنه المرض اذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يباليغ في قتال المشركين ويغلبهم ويقهرهم فاذا حصل ذلك فله أن يقدم على الاسر فيأسر الاسارى (تر بدون عرض الدنيا) الخطاب لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني تر بدون أيها المؤمنون عرض الدنيا ياخذكم الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضاً لانه لا نبات لها ولا دوام فكانها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فانها دائمة لا انقطاع لها وقوله سبحانه وتعالى (والله ير بد الآخرة) يعني انه سبحانه وتعالى ير بدلكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم الدين لانها أئمة بلا زوال ولا انقطاع (والله عزيز) لا يقهر ولا يغلب (حكيم) يعني في تدبيره ما أحجابه قال ابن عباس كان ذلك يوم بدر والمؤمنون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه وتعالى في الاسارى فاما ما بعد

في عتاب الاولياء (لولا كتاب من الله) لولا حكم من الله (سبق) أن لا يعذب أحد على العمل بالجهاد وكان هذا الاجتهاد منهم لانهم نظر وا
في ان استبقاهم وربما كان (٢١٠) سببا في اسلامهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد وخصي عليهم ان قتلهم أعز للاسلام

واما فداء جعل الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالخيار ان شاءوا قتلوهم وان شاءوا استعبدهم وان شاءوا فادوهم وان شاءوا اعتقوهم قال الامام غير الدين ان هذا الكلام يوهم ان قوله فاما من بعد واما فداء يزيل حكم الآية التي نحن في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الآيتين متوافقتان وكلتاها ما تدلان على أنه لا بد من تقديم الانحان ثم بعده أخذ الفداء قال العلماء كان الفداء لكل أسير أربعين أوقية والاقية أربعون درهما فيكون مجموع ذلك ألفا وستمائة درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل أسير أربعة آلاف درهم

فصل قداسة تدل بهذه الآية من يقدح في عصمة الانبياء ويانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لني أن تكون له أسرى صريح في النهي عن أخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله سبحانه وتعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقومه بقتل المشركين يوم بدر فاهل العالم يقتلوهم بل أسروهم ولم يذم ذلك على صدور الذنب منهم الوجه الثالث ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم وذلك ذنب الوجه الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وأب بكر قعدا بيكيان لاجل أخذ الفداء وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله سبحانه وتعالى ما كان لني أن تكون له أسرى حتى يشحن في الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط الانحان في الارض وقد حصل لان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظماء المشركين وصناديدهم وأسروا سبعين وليس من شرط الانحان في الارض قتل جميع الناس فدل الآيه على جواز الاسر بعد الانحان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع الساميين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بما شئت قتال الكفار بنفسه واذا ثبت أن الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بأخذ الفداء وهو محرم فنقول لان سلم ان أخذ الفداء كان محرما وما أيقوله سبحانه وتعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة فعبه عتاب لطيف على أخذ الفداء من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل على تحريم الفداء اذ لو كان حراما في علم الله لمنعهم من أخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم وأب بكر قعدا بيكيان يحتمل أن يكون لاجل أن بعض الصحابة لما خالف الامر بالقتل واشتغل بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكي النبي صلى الله عليه وسلم خوفا واشفاقا من نزول العذاب عليهم بسبب ذلك الفعل وهو الاسر وأخذ الفداء والله أعلم قوله عز وجل (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) قال ابن عباس كانت الغنائم محرمة على الانبياء والامم فكانوا اذا أصابوا منها جعلاوه للقران فكانت النار تنزل من السماء فتأكله فاما كان يوم بدر أسرع المؤمنين في أخذ الغنائم والفداء فانزل الله عز وجل لولا كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبيرة لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب أحد من شهد بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جرير لولا كتاب من الله سبق انه لا يفضل قوم ما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا يأخذ قوما فاهوا لوجهة لمسكم يعني لاصحابكم بسبب ما أخذتم من الفداء قبل أن تؤمر بانه عذاب عظيم قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدر الا وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب فانه أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الانحان في القتل أحب الي من استبقاه الرجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نتجانه غير عمر وسعد بن معاذ وقوله تعالى (فلكوا ما غنمتم حلالا طيبا) يعني فقد أحلت لكم الغنائم وأخذ الفداء فلكوا ما غنمتم

وأهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله في اللوح ان لا يعذب أهل بدر أو كان لا يؤخذ قبل البيان والاعتذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكري القياس كتاب مبتدأ ومن الله صفته أي لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أي لولا كتاب بهذه الصفة في الوجود وسبق لا يجوز أن يكون خبرا لان لولا لا يظهر خبرها أبدا (مسكم) لنا لكم وأصابعكم (فيما أخذتم) من فداء الاسرى (عذاب عظيم) روى أن عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر بيكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تبكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قرية منه وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء ما نتجانه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الانحان في

القتل أحب الي (فلكوا ما غنمتم) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء حلالا لانه من جملة الغنائم والفداء للتسبيح والسبب محذوف ومعناه قد أحلت لكم الغنائم فلكوا (حلالا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقاب وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكل حلالا (طيبا) لذبا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطعم

(واتقوا الله) فلا تقدموا على شيء لم يمهدها اليكم فيه (ان الله غفور) لما فعلتم من قبل (رحيم) باحلال ما غنمتم (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) في ملكتكم كان أيديكم قابضة عليهم (من الاسرى) جمع أسيرين (٢١١) الاسارى أبو عمر وجمع أسرى

(ان يهلم الله في قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء اما أن يخلفكم في الدنيا أضاعاها و يثيبكم في الآخرة (و يغفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية) قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة بيد رفاذ أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرة أوقية معه فلما أمسرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقييل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أنكففت بشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابن الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة وقات لها اني لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقيم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد انك صادق وأشهد ان لا اله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فاساموا فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايماننا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعني من الفداء (و يغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني باهل طاعته قال العباس فابداني الله خيرا مما أخذ مني عشيرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كبير اذناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعني الاسارى (خياتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) بيدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله اعلم) يعني بما في بواطنهم وضمايرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكمه بأنه يجازي كل بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب) قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهاجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبدلوا انفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا وانصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم وانصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (اولئك) يعني المهاجرين والانصار

حلالا طيبا روى انه لما نزلت الآية الاولى كف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أيديهم عما أخذوا من الفداء فنزلت فكفوا وما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنائم بهذه الآية لهذه الامة وكانت قبل ذلك حراما على جميع الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وأحل لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي (ق) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم تحل الغنائم لاحد قبلنا ثم أحل الله لنا الغنائم وذلك بان الله رأى ضعفنا وعجزنا فإلهنا ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يعني وخافوا الله أن تعودوا وان تفعلوا شيئا من قبل أنفسكم قبل أن تؤمروا به واعلموا أن الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية) قوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم) نزلت في العباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أحد العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون أوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة بيد رفاذ أن يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيئا وبقيت العشرة أوقية معه فلما أمسرا أخذت منه فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحسب العشرين أوقية من فدائه فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما شيء خرجت به لتسعين به علينا فلا أتركه لك وكلف فداء ابني أخيه عقييل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أنكففت بشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فابن الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خرجك من مكة وقات لها اني لأدرى ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقيم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يا ابن أخي قال أخبرني به ربي قال العباس أشهد انك صادق وأشهد ان لا اله الا الله وأنت عبده ورسوله لم يطلع عليه أحد الا الله وأمر ابني أخيه عقيلا ونوفل بن الحرث فاساموا فذلك قوله سبحانه وتعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم (من الاسرى) يعني الذين أسرتموهم وأخذتم منهم الفداء (ان يعلم الله في قلوبكم خيرا) يعني ايماننا وتصديقا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) يعني من الفداء (و يغفر لكم) يعني ما سلف منكم قبل الايمان (والله غفور) يعني لمن آمن وتاب من كفره ومعاصيه (رحيم) يعني باهل طاعته قال العباس فابداني الله خيرا مما أخذ مني عشيرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كبير اذناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطاني زمزم وما أحب ان لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أتظر المغفرة من ربي عز وجل وقوله تعالى (وان يريدوا) يعني الاسارى (خياتك) يعني أن يكفروا بك (فقد خانوا الله) يعني فقد كفروا بالله (من قبل) وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك (فأمكن) يعني فأمكن الله المؤمنين (منهم) بيدر حتى قتلوا منهم وأسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنه يمكن من كل احد يخونه أو ينقض عهده (والله اعلم) يعني بما في بواطنهم وضمايرهم من ايمان وتصديق أو خيانة ونقض عهد (حكيم) يعني حكمه بأنه يجازي كل بعمله الخير بالثواب والشر بالعقاب) قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) يعني ان الذين آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهاجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغاء رضوان الله وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبدلوا انفسهم في سبيل الله يعني في طاعة الله وابتغاء رضوانه (والذين آووا وانصروا) يعني آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من أصحابه من المهاجرين وأسكنوهم منازلهم وانصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار (اولئك) يعني المهاجرين والانصار

وهاجروا) من مكة حبا لله ورسوله (وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله) هم المهاجرون (والذين آووا وانصروا) اي آووه الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الانصار (اولئك)

بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القربان حتى نسخ ذلك بقوله وأولوالارحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعابرة (والذين آمنوا ولم يهاجروا) من مكة (مالكم من ولايتهم) من نوابهم في الميراث ولايتهم حصة وقيل هما واحد (من شئ حتى يهاجروا) فكان لا يرث المؤمن الذي لم يهاجر من آمن وهاجر ولما بقي للذين لم يهاجروا اسم الايمان وكانت

(٢١٢)

الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل أن صاحب الكبيرة

(بعضهم أولياء بعض) يعني في العون والنصرة دون أقر بائهم من الكفار وقال ابن عباس في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة وكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون أقر بائهم وذوى ارحامهم وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قر به المهاجر حتى كان فتح مكة وانتظمت الهجرة فتوارثوا بالارحام حينما كانوا فصار ذلك منسوخاً بقوله تعالى وأولوالارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﷻ وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شئ) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) يعني الى المدينة (وان استنصروكم في الدين) يعني ان استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليكم النصر) يعني فعليكم نصرهم واعانتهم (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فلا تنصروهم عليهم (والله بما تعملون بصير) والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) يعني في النصر والمعونة وذلك أن كفار قريش كانوا معادين لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعاً قال ابن عباس يعني في الميراث وهو أن يرث الكفار بعضهم من بعض (الآنفة مله تكن فتنه في الارض وفساد كبير) قال ابن عباس الا تأخذوا في الميراث بما أمرتكم به وقال ابن جرير الاتعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحق جعل الله المهاجرين والانصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم أولياء بعض ثم قال سبحانه وتعالى الاتفعلوه وهو ان يتولى المؤمن الكافر دون المؤمنين تكن فتنه في الارض وفساد كبير فالفتنة في الارض هي قوة الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) يعني لا تشك في ايمانهم ولا ريب لانهم حققوا ايمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين (لهم مغفرة) يعني لذنوبهم (ورزق كريم) يعني في الجنة فان قلت ما معنى هذا التكرار قلت ليس فيه تكرار لانه سبحانه وتعالى ذكر في الآية الاولى حكم ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضاً ثم ذكر في هذه الآية ما آمن به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل ان اعادة الشئ مرة بعد أخرى تدل على مزيد الاهتمام به فلما ذكرهم أولاً ثم أعاد ذكرهم ثانياً دل ذلك على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لانه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محققين في طريق الدين وتحقيق هذا القول ان من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمناً حقا النوع الثاني قوله سبحانه وتعالى لهم مغفرة وتكبير لفظ المغفرة يدل على ان لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله سبحانه وتعالى ورزق كريم فكل شئ شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى ان لهم في الجنة رزقاً لا يلحقهم فيه غصاصة ولا تعب وقيل ان المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر أولاً الى المدينة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من هاجر الى أرض الحبشة ثم هاجر الى المدينة فهم أصحاب الهجرة ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر الله في الآية الاولى أصحاب الهجرة الاولى وذكر في الثانية أصحاب الهجرة الثانية والله أعلم بمراده ﷻ وقوله سبحانه وتعالى (والذين آمنوا من بعد

لا يخرج من الايمان) وان استنصروكم) أي من أسلم ولم يهاجر (في الدين فعليكم النصر) أي ان وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (الاعلى قوم بينكم وبينهم ميثاق) فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والله بما تعملون بصير) تحذير عن تعدى حد الشرع (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات المواالات بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالات الكفار وموارثتهم وإيجاب مباحة ذنوبهم ومصارفتهم وان كانوا أقرب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضاً ثم قال (الاتفعلوه) أي الاتفعلوا ما أمرتكم به من توصل المسلمين وتولى بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم يجعلوا قرابة الكفار كقرابة (تكن فتنه في الارض وفساد كبير)

(وهاجروا)

تحصل فتنه في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يد واحدة على الشرك كان الشرك

ظاهر والفساد زائداً (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لاجل الدين والعقبى (لهم مغفرة ورزق كريم) لامتنة فيه ولا تنفيس ولا تكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والاولى للاصر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد

يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة (وهاجروا واجاهدوا معكم فاولئك منكم) جعلهم منهم تفضيلا وترغيبا (وأولوا الارحام بعضهم
أولى ببعض) وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (في كتاب الله) في حكمه وقسمته وفي الواح وفي القرآن
وهو آية المواريث وهو دليل لنا على تورث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) (٢١٣) فيقضى بين عباده بما شاء

من أحكامه قسم الناس
أربعة أقسام قسم آمنوا
وهاجروا وقسم آمنوا
ونصروا وقسم آمنوا ولم
يهاجروا وقسم كفروا ولم
يؤمنوا

سورة التوبة مدينة
وهي مائة وتسع وعشرون
آية كوفي ومائة وثلاثون
غيره

لها أسماء براءة التوبة
المشقة المبعثرة المشردة
الخزية الفاضحة المثيرة
الخافرة المنكحة المدممة

لان فيها التوبة على المؤمنين
وهي تقشش من النفاق
أى تبرئ منه وتبعثر عن
أسرار المنافقين وتبعث
عنها وتبهرها وتخفر عنها

وتفضحهم وتنكحهم
وتشردهم وتخزهم وتدمم
عليهم وفي ترك التسمية في

ابتدائها أقوال فعن علي
وابن عباس رضى الله عنهم
ان بسم الله أمان وبراءة

نزلت لرفع الامان وعن
عثمان رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه

وسلم كان اذا نزل عليه
سورة أو آية قال اجعلوا في
الموضع الذى يذكرك فيه

كذا وكذا ونوفى رسول

وهاجروا واجاهدوا معكم) اختلفوا في قوله من بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل
من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والاصح ان المراد به أهل الهجرة الثانية لانها بعد الهجرة
الاولى لان الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لانها صارت دار اسلام بعد الفتح وبدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم
لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة وبجواب عن هذا
بان المراد منه الهجرة المحصورة من مكة الى المدينة فاما من كان من المؤمنين في بلاد يخاف على اظهار دينه من
كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر الى بلاد لا يخاف فيه على اظهار دينه وقوله تعالى (فاولئك منكم) يعنى
انهم منكم وأتم منهم لکن فيه دليل على ان مرتبة المهاجرين الاولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين
المتأخرين بالهجرة لان الله سبحانه وتعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم من
وذلك معرض المدح والشرف ولولأن المهاجرين الاولين أفضل وأشرف لما صح هذا الالحاق وقوله
تعالى (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى
نزلت هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أى في الميراث فينهب هذه الآية ان سبب القرابة أقوى
وأولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعنى في حكم الله وقيل
أراد به في الواح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهى ان قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب
الله وهو القرآن وتمسك أصحاب الامام أبى حنيفة بهذه الآية في تورث ذوى الارحام وأجاب عنه الامام
الشافعي رضى الله تعالى عنه بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذى بينه في سورة النساء فصارت
هذه الآية مقيدة بالاحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث واعطاء أهل الفروض فروضهم
وما بقى فللعصابات وقوله سبحانه وتعالى (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بكل شئ لا تخفى
عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهى مدينة باجماعهم قال ابن الجوزى سوى آيتين فى آخرها قد جاءكم رسول من أنفسكم فانه ما نزلت بمكة
وهى مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وأربعة آلاف وثمان وسبعون كلمة وعشرة آلاف
وأربعمائة وثمانون حرفا وهذه السورة أسماء عشرة سورة توبة وسورة براءة وهذا ان الاسمان
مشهوران وهى المشقة قاله ابن عمر سميت بذلك لانها تقشش من النفاق أى تبرئ منه وهى المبعثرة
لانها تبعث عن أخبار المنافقين وتبعث عنها وتبهرها والفاضحة قاله ابن عباس لانها فضحت المنافقين وسورة
العذاب قاله حذيفة وهى الخزية لان فيها خزى المنافقين وهى المدممة سميت بذلك لان فيها هلاك
المنافقين وهى المشردة سميت بذلك لانها شردت جوع المنافقين وفرقتهم وهى المثيرة سميت بذلك لانها
أثارت مخازى المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس
سورة التوبة فقال بل هى الفاضحة ما زالت تقول ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد الا ذكرك فيها قالت
سورة الانفال قال نزلت في بدر قال قات سورة الحشر قال بل سورة بنى النضير أخرجاه في الصحيحين

فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة عن ابن عباس قال قلت لعثمان ما حملكم
على ان عمدتم الى الانفال وهى من المشائى والى براءة وهى من المثين فقرتم بينهم ولم تكتبوا سطر بسم الله

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الانفال لان فيها ذكر العزم على براءة بني النضير وقد نزلت بينهما
وكانتا مدعيان القرابتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال
وبراءة سورة واحدة نزلت في القتال وقال بعضهم هما سورتان هتكت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت اسم الله لقول من قال

هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة (من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين) من لا بداء الآية متعلق
بمحذوف وليس بصلة كقوله (٢١٤) برئت من الدين أي هذه براءة واصله من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول

كتاب من فلان إلى فلان
أو مبتدأ التخصيص بها بصفتها
والخبر إلى الذين عاهدتم
كقوله رجل من بني تميم
في الدار والمعنى إن الله
ورسوله قد برئنا من العهد
الذي عاهدتم به المشركين
وإنه منبذ إليهم (فسيجوا
في الأرض أربعة أشهر)
فسير وإني الأرض كيف
شتم والسيح السير على
مهل روى أنهم عاهدوا
المشركين من أهل مكة
 وغيرهم من العرب فنكثوا
الإناس منهم وهم بنو ضمرة
وبنو كانه فنبذ العهد إلى
الناكثين وأمر وأن
يسيجوا في الأرض
أربعة أشهر أمين ابن
شاذ الأيتعرض لهم وهي
الاشهر الحرم في قوله فاذا
انسخ الحرم فاقتلوا
المشركين وذلك اصابة
الاشهر الحرم من القتل
والقتال فيها وكان نزولها
سنة تسع من الهجرة وفتح
مكة سنة ثمان وكان الأمير
فيها عتاب بن أسيد وأمر
رسول الله صلى الله عليه
وسلم بأب بكر على موسم سنة
تسع ثم أتبعه علياً ركب
العضباء ليقرأها على أهل
الموسم فقيل له لو بعثت بها

الرحمن الرحيم ووضعتهم وهافي السبع الطوال ما حلكم على ذلك قال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كثيراً ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور وذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان
يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وإذا نزلت عليه الآية يقول ضعوا هذه
الآية في السورة التي يذكرونها كذا وكذا وكانت الانفال من أوائل ما نزل بالمدنية وكانت براءة من آخر
القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها وظنفت انهما وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لئانها
منها أو من غيرها من أجل ذلك قرنت بينهما ولم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعت في السبع الطوال
آخر جهابذة أبو داود والترهذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الانفال ذكر العهود
وفي براءة نقضها وكان قتادة يقول هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لابي يعني علي بن أبي طالب لم
لم تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يابني إن براءة تزات بالسيف وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان
وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال إن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة تزات في المنافقين وقال
المبرد لم تفتح هذه السورة الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة
وعيد ونقض عهد فلذلك لم تفتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال إنها تزات في آخر القرآن
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر في كل سورة بكاتب بسم الله الرحمن الرحيم ولم يامر في براءة بذلك
فضمنت إلى الانفال لشبهها بها وقيل إن الصحابة اختلفوا في أن سورة الانفال وسورة براءة هل هما سورة
واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأنهما تزات في القتال ومجموعهما ما معاً مائة وخمس آيات
فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين
الصحابة تركوا بينهما فرجة تفيها على قول من يقول إنهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تفيها
على قول من يقول هما سورة واحدة أما التفسير فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) يعني هذه براءة من الله
ورسوله وأصل البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان أبراءة أي انقطعت بيننا العصمة ولم
يبق بيننا علاقة وقيل معناها التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى تبوك كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهدها كانت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله عز وجل بنقض عهدهم وذلك قوله سبحانه وتعالى وأما تخافن من
قوم خيانة الآية ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمر به ونبذ إليهم عهدهم قال الزجاج أي قد برى الله
ورسوله من اعطاهم العهود والوفاء بها إذا نكثوا (إلى الذين عاهدتم من المشركين) الخطاب مع أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم إلا أنه هو الذي عاقدهم
وأصحابه بذلك راضون فكانهم هم عقدوا وعاهدوا وقوله سبحانه وتعالى (فسيجوا في الأرض) أي فسبوا
في الأرض مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين أحداً من المشركين وأصل السياحة الضرب في الأرض
والانساع فيها والبعدهن مواضع العمارة قال ابن الأنباري قوله فسيجوا فيه ضمراً أي قل لهم فسيجوا
وليس هذا من باب الأمر بل المقصود منه الإباحة والاطلاق والاعلام بحصول الأمان وزوال الخوف يعني
سيجوا في الأرض وأتم آمنون من القتل والقتال (أربعة أشهر) يعني مدة أربعة أشهر واختلف العلماء
في هذا التأجيل وفي هؤلاء الذين برى الله ورسوله إليهم من العهود التي كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال مجاهد هذا التأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر رفعه إلى

أربعة

إلى أبي بكر فقال لا يؤدى عنى الرجل منى فلما دعا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة

رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أميراً ومأموراً قال ما مور فلما كان قبيل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام
على يوم النحر عند جرة العقبة فقال يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بربع أن

أربعة أشهر ومن كانت مدته أكثر حطه إلى أربعة أشهر ومن كان عهده بغير أجل معلوم محدود حده باربعة أشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ورسوله يقتل حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان وقيل إن المقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا ويحتمطوا لأنفسهم ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة إلا الإسلام أو القتل فيصير هذا داعيهم إلى الدخول في الإسلام والثلاثين من الشهر إلى الغدر ونكت العهد وكان ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاءه إلى عشر من ربيع الآخر فإما من لم يكن له عهد فإما أجله انسلاخ الأشهر الحرم وذلك حسون يوماً قال الزهري الأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم لأن هذه الآية نزلت في شوال والقول الأول أصوب وعليه الأكثرون وقال الكشي إنما كانت الأربعة أشهر عهداً لمن كان له عهد دون الأربعة أشهر فإما له الأربعة أشهر فإما من كان عهده أكثر من الأربعة أشهر فهذا أمر باتمام عهده بقوله تعالى فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم وقيل كان ابتداءه في العاشر من ذي القعدة وآخرها العاشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في العاشر من ذي القعدة بسبب النسيء ثم صار في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إن الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن أمر الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم فكان لا يقابل إلا من قاتله ثم أمره بقتال المشركين والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لاحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر إلا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الأجل لجميعهم أربعة أشهر وأحل دماء جميعهم من أهل اليهود وغيرهم بعد انقضاء الأجل وقال محمد بن سحوق ومجاهد وغيرهما نزلت في أهل مكة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاهد قريشاً عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فنالت منهم وأعاتتهم قريش بالسلاح فلما أظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أيينا وأبييه الاتلدا
كنت لنا أباً وكنا ولدا * نمت أسلمنا ولم نزع يدا
فانصر هداك الله نصرأ أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * في فيلتي كالبحر يجرى من يدا
أبيض مثل الشمس يسمو صعدا * ان شيم خطب وجهه تر يدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وزعموا ان لست تنجى أحدا * وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لانصرت ان لم أنصركم وتجهز إلى مكة ففتحتها سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحج فقبل له المشركون بحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لأحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبابكر في تلك السنة أميراً على الموسم ليقم للناس الحج وبعث معه أربعين آية من سورة براءة ليقراها على أهل الموسم ثم بعث بعده علياً على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فرجع أبو بكر فقال يا رسول الله باني أنت وأمي أنزل في شأني شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الرجل من أهلي أما ترضى يا أبابكر أنك كنت معي في الغار وأنك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميراً على الحاج وعلى بن أبي طالب يؤذن براءة فلما كان

لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وان يتم إلى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك انافد بنينا العهد وراء ظهورنا واننا ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرمح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والحرم وأعوشر من ذي الحجة والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرماً لانهم آمنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لان ذوالحجة والحرم منها والجهور على اباحة القتال في الأشهر الحرم وان ذلك قد نسخ

قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم فاقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية من أمر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبي طالب رضی الله عنه فاذن في الناس بالندي أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة وقال يزيدي بن تبع سالت عليا اباي شي بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله اربع أشهر ولا يدخل الجنة الا بنفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حجاج حج النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن أبي هريرة ان ابا بكر بعثه في الحجة التي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ثم أردف النبي صلى الله عليه وسلم لم يعلى بن أبي طالب فأمره ان يؤذن براءة قال أبو هريرة فاذن معناني أهل منى براءة ان لا يحج بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج واما قبيل الحج الاكبر من أجل قول الناس للعمرة الحج الاصغر قال فزيد أبو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وأنزل الله في العام الذي نبذ فيه أبو بكر الى المشركين يأيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الآية

فصل قد يتوهم متوهم ان في بعث علي بن أبي طالب براءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامارة وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم ينزل أميراً على الموسم في تلك السنة أول حديث أبي هريرة المتقدم ان ابا بكر بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ أبي داود والنسائي قال بعثني أبو بكر بركم فيمن يؤذن في يوم النحر يعني ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني أبو بكر فيه دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي أقام للناس حجهم وعاتمهم مناسكهم وأجاب العلماء عن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيا اليؤذن في الناس براءة بان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير العهد وتفضله الاسيد القبيلة وكبيرها أو رجل من أقاربه وكان علي بن أبي طالب أقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من أبي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن عنه براءة اذ اذاحة هذه العلة امثلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عاداتنا في عقد العهود ونقضها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بتبليغ هذه الرسالة تطيبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلى خلف أبي بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة أبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر أميراً على الحاج وولاه الموسم وبعث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان أبو بكر الامام وعلي المؤمن وكان أبو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان أبو بكر المتولى أمر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل ذلك على تقديم أبي بكر على علي وفضله عليه وانه أعلم وقوله تعالى (واعلموا انكم غير معجزى الله) يعني ان هذا الامهال ليس معجز عنكم ولكن لمصاحبة واطف بكم ليتوبنائب وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة أشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم وياخذكم لانكم في ماله وقبضته وتحت قهره وسلطانه وقيل معناه انما هم هذه المدة لانه لا يخاف القوت ولا يعجزه شي (وان الله معجزى الكافرين) يعني بالقتل والعذاب في الآخرة قوله عز وجل (واذان من الله ورسوله) الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل (الى الناس يوم الحج الاكبر) اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفه وروى ذلك عن ابن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن أبي طالب قال سألت رسول

(واعلموا انكم غير معجزى الله) لانفوتونه وان أمهلكم (وان الله معجزى الكافرين) من ذلك في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب (واذان من الله ورسوله الى الناس) ارتفاعه كارتفاع براءة علي الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والاذان بمعنى الايدان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء والفرق بين الجملة الاولى والثانية ان الاولى اخبار بثبوت البراءة والثانية اخبار بوجود الاعلام بما ثبت وانما علفت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والنالكين منهم وأما الاذان فعام لجميع الناس من عاهدوا ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج الاكبر) يوم عرفه لان الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج او يوم النحر لان فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحاق والرمي ووصف الحج الاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر

(ان الله برى من المشركين) أى بان الله حذف صلة الاذان تخفيفاً (ورسوله) عطف على المنوى فى برى وأرعى الابتداء وحذف الخبر أى
ورسوله برى، وقرئ بالنصب عطف على اسم ان والجر على الجوار وأعلى القسم (٢١٧) كقوله لعمر ك وحكى ان اعرابا سمع

رجلا يقرؤها فقال ان كان
الله برياً من رسوله فانا
منه برى، فلبىه الرجل الى
عمر بن الخطاب فقرأته
فغندها أمر عمر بن عبد
الرحمن (فان تبتم) من
الكفر والغدر (فهو) أى
التوبة (خير لكم) من
الاصرار على الكفر (وان
توليتهم) عن التوبة أو تبتم
على التولى والاعراض عن
الاسلام (فاعلموا انكم غير
مجزى الله) غير سابقين
الله ولا فاتين أخذه وعقبه
(وبشر الذين كفروا
بعذاب أليم) مكان بشاره
المؤمنين بنعيم مقيم (الا
الذين عاهدتم من المشركين
استثناء من قوله فسيحوا
فى الارض والمعنى براءة
من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين فقولوا
لهم سيحوا الا الذين
عاهدتم منهم (ثم لم ينقصوكم
شيئاً) من شروط العهده
وفوا بالعهد ولم ينقصوه
وقرئ لم ينقصوكم أى عهدكم
وهو أليق لكن المشهوره
أبلغ لانه فى مقابله الختام
(ولم يظاهروا عليكم
أحداً) ولم يعاونوا عليكم
عدواً (فأتوا بهم عهدهم)
فادوه بهم تاماً كاملاً (الى
مدتهم) الى تمام مدتهم

الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر أخرجه الترمذى وقال يروى موقوفاً عليه وهو
أصح وعن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجرات فى الحجته التى حجج فيها فقال أى
يوم هذا فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر أخرجه أبو داود ويروى ذلك عن عبد الله بن أبى أوفى
والغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبيرة والسدى وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج
الاكبر أيام منى كلها وكان سفیان الثوري يقول يوم الحج الاكبر أيام منى كلها لان اليوم قد يطلق ويراد به
الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجبل لان الحروب دامت فى تلك الايام ويطلق عليهم ايوم واحد وقال
عبد الله بن الحرف بن نوفل يوم الحج الاكبر الذى حجج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين
لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده
فعظم ذلك اليوم عند المؤمنين والكافرين قال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقال
الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لانه قصان أعمالها عن
الحج وقيل سمي الحج الاكبر لوافقه حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة
فودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر فى خطبته ان الزمان قد استدار وأبطل النسئ وجميع
أحكام الجاهلية وقوله سبحانه وتعالى (ان الله برى من المشركين ورسوله) فيه حذف والتقدير واذان
من الله ورسوله بان الله برى من المشركين وانما حذف الباء للدلالة على الكلام عليها وفى رفع رسوله وجوه
الاول انه رفع بالابتداء وخبره مضمرة والتقدير ان الله برى من المشركين ورسوله أيضاً برى، الثانى تقديره
برى، الله ورسوله من المشركين الثالث ان الله فى محل الرفع بالابتداء وبرى، خبره ورسوله عطف على المبتدا
فان قلت لافرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله برى من
المشركين ورسوله فافاندة هذا التكرار قلت المتصود من الآية الاولى البراءة من العهد ومن الآية الثانية
البراءة التى هى نقيض المواالاته الجارية بحرى الزجر والوعيد والذى يدل على صحة هذا الفرق انه قال فى أولها
براءة من الله ورسوله الى يعنى برى، الله وفى الثانية برى، منهم، وقوله تعالى (فان تبتم) يعنى فان رجعت
عن شرككم وكفركم (فهو خير لكم) يعنى من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله فى التوبة
والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار (وان توليتهم) يعنى أعرضتم عن الإيمان والتوبة من الشرك
(فاعلموا انكم غير مجزى الله) فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله سبحانه وتعالى قادر على ازال العذاب
بهم وهو قوله تعالى (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) يعنى فى الآخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل
الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم، قوله سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم من
المشركين) هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين يعنى
الامن عهد الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حى من كنانة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بأتمام
عهدهم الى مدتهم وكان قد بقى من مدتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى
(ثم لم ينقصوكم شيئاً) يعنى من عهدهم التى عاهدتموهم عليها (ولم يظاهروا) يعنى ولم يعاونوا (عليكم أحداً)
يعنى من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام
خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا فى الارض
الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم (فأتوا بهم عهدهم الى مدتهم) والاستثناء يعنى الاستدراك كانه
قيل لهم بعد ان أمر وافي الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا بهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا

(٢٨ - (خازن) - ثانى) والاستثناء يعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان أمر وافي الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتوا

بهم، هم ولا تجروهم مجراهم ولا تجروا الوافى كالغادر

(ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين القبيلتين (الاشهر الحرم) التي أبيع فيها لنا كنين أن يسبحوا (فاقتلوا المشركين) الذين نقضواكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاختد الامر (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد (واقعدوا لهم كل مرصد) كل عمرو ومجتاز ترصدونهم به واتصابه على الظرف (فان نابوا) (٢١٨) عن الكفر (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد

تجعلوا الوفي كالفادر (ان الله يحب المتقين) يعني ان قضية التقوى تقتضى ان لا يسوي بين القبيلتين يعني الوافي بالعهد والناكث له والغادر فيه قوله سبحانه وتعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم) يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب وذو القعدة وذو الحجة والحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحق هي شهور العهد سميت حرما لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده أربعة أشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء الحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم لان الله سبحانه وتعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض لهم فان قلت على هذا القول هذه المدة وهي الخمسون يوما لبعض الاشهر الحرم والله سبحانه وتعالى قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم قلت لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى أطلق عليه اسم الجمع والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلخ الاشهر الحرم (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) يعني في الحبل والحرم وهذا أمر اطلاق يعني اقتلوه في أى وقت وأى مكان وجدتموهم (وخذوهم) يعني وأسروهم (واحصروهم) أى واحبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحضروهم واقعدوهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام (واقعدوا لهم كل مرصد) يعني على كل طريق والمرصد الموضع الذي يقع فيه للعدو من رصدت الشيء أرصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رسدا حتى تاخذوهم من أى وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها (فان نابوا) يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان (وأقاموا الصلاة) يعني وأنما أركان الصلاة المفروضة (وأتوا الزكاة) الواجبة عليهم طيبة بما أنفسهم (فخلوا سبيلهم) يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم (ان الله غفور) يعني لمن ناب ورجع من الشرك الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة (رحيم) يعني بايما به وأهل طاعته وقال الحسن بن الفضل نسخت هذه الآية كل آية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على أذى الاعداء قوله تعالى (وان أحد من المشركين استجارك فاجرته حتى يسمع كلام الله) يعني وان استأمنك الذى أنزل عليك وهو القرآن فاجرته حتى يسمع كلام الله ويعرف بالله من الثواب ان آمن وماعليه من العقاب ان أصر على الكفر (ثم أبلغه مامنه) يعني ان لم يسلم أبلغه الى الموضع الذى يامن فيه وهو دار قومهم وان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله (ذلك بانهم قوم لا يعنون دين الله وتوحيدهم فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الآية محكمة الى يوم القيامة) كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله (هذا على وجه التمجيد ومعناه الخدأى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد ثم استثنى فقال سبحانه وتعالى (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قال ابن عباس هم قريش وقال قتادة هم أهل مكة الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدى ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحق هم بنو خزاعة وبنو مدلج وبنو الدليل قبائل من بني بكر كانوا يدخلوا في عهد قريش وعقدتهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم أهل العهد من خزاعة (فاستقاموا السلم) يعني على العهد (فاستقبحوا لهم) يعني ما أقاموا على العهد ثم انهم لم يستقيموا ونقضوا العهد وأعانوا بني بكر على خراطة

الامر والحصار أو فكتموا عنهم ولا تعرضوا لهم (ان الله غفور) يستر الكفر والغدر بالاسلام (رحيم) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وان أحد من المشركين استجارك فاجرته) أحد مر تفع بفعل شرط مضمر بفسره الظاهر أى وان استجارك أحد استجارك والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه واستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه) بعد ذلك (مامنه) داره التى يامن فيها ان لم يسلم ثم قاله ان شئت وفيه دلائل على ان المستأمن لا يؤذى واپس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذلك) أى الامر بالاجازة فى قوله فاجرته (بانهم قوم لا يعنون) بسبب انهم قوم جهلة لا يعنون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى

يسمعوا أو يفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) كيف استهفام فى معنى الاستنكار فضررب أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تنظم عوا فى ذلك ولا تحذ ثوابه نفوسكم ولا تفكر وافي قتلهم ثم استدر ك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبني ضمرة فتر بصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فاستقاموا السلم) ولم يظهر منهم نكث أى فما أقاموا على وفاء العهد (فاستقبحوا لهم) على الوفاء وما شرطية أى فان استقاموا السلم فاستقبحوا لهم

(ان الله يحب المتقين) يعني ان التبرص بهم من أعمال المتقين (كيف وان يظهر واعليكم) تكرار لاسئد بعد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهر وا (٢١٩) عايكم أي يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من

تا كيد الايمان والمواثيق (لا يرقبوا فيكم الا لا يراعوا حلقا ولا قرابة (ولا ذمة) عهدا (برضونكم بافواهم) بالوعد بالايان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن ومقرر لاسئد بعد الثبات منهم على العهد (وتأني قلوبهم) الايمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون العهد أو متمردون في الكفر لاصروة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عنهما (اشتراوا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا سيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم (انهم ساء ما كانوا يعملون) أي بشس الصنيع صنيعهم (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) ولا تكرار لان الاول على الخصوص حيث قال فيكم والثاني على العموم لانه قال في مؤمن (وأولئك هم المعتدون) المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة

فصرب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما ان يسلموا واما ان ياجتوا واما ي بلادشاؤا فاسلموا بعد الاربعة الاشهر والصواب من ذلك قول من قال انهم قبائل من بني بكر وهم خزعة وبنو مدح من ضمرة وبنو الدليل وهم الذين كانوا قد دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد الا قريش وبنو الدليل من بني بكر فامر باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الآيات نزلت بعد نقض قريش العهد وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشيئ قدمضي فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم وانما هم الذين قال الله عز وجل فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقضوكم شيئا كما تنصكم قريش ولم يظاهروا عليكم أحدا كما ظاهرت قريش بنى بكر على خزاعة وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ وقوله تعالى (ان الله يحب المتقين) يعني أنه سبحانه وتعالى يحب الذين يوفون باعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه (كيف وان يظهر واعليكم) قيل هذا امر دود على الآية الاولى تقديره كيف يكون لهم عهد وان يظهر واعليكم (لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة) وقال الاخفش معناه كيف لا تقتلونهم وهم ان يظهر واعليكم أي يظفروا بكم ويغلبوكم ويعاوا عليكم لا يرقبوا أي لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال ابن عباس يعني قرابة وقيل رحا وهذا معني قول ابن عباس أيضا وقال قتادة الال الحلف وقال السدي هو العهد وكذلك الذمة وانما كره للتأكيده ولاختلاف اللفظين وقال أبو مجلز ومجاهد الال هو الله عز وجل ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيئة الكذاب ان هذا الكلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى الآية لا يرقبوا فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون عهدا (برضونكم بافواهم وتأني قلوبهم) يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف ما في قلوبهم (وأكثرهم فاسقون) فان قلت ان الموصوفين بهذه الصفة كفار والكفر أخبث وأقبح من الفسق فكيف وصفهم بالفسقى في معرض الذم وما الفائدة في قوله وأكثرهم فاسقون مع ان الكفار كلهم فاسقون قلت قد يكون الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينه فالمراد بوصفهم بكونهم فاسقين أنهم نقضوا العهد وبلغوا في العداوة فوصفهم بكونهم فاسقين مع كفرهم فيكون أبلغ في الذم وانما قال أكثرهم ولم يقل كلهم فاسقون لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه وأكثرهم نقضوا العهد فلهاذا قال سبحانه وتعالى وأكثرهم فاسقون ﷻ وقوله تعالى (اشتراوا بآيات الله ثمنا قليلا) يعني استبدلوا بآيات القرآن والايمان بهما عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب أكلة اطعمهم اياها أبو سفيان بن حرب فقدمهم الله بذلك قال مجاهد اطعم أبو سفيان حلفاءه وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (فصدوا عن سبيله) يعني منعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس وذلك ان أهل الطائف أمدهم بالاموال ليقوتوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعني من الشرك ونقضهم العهد ومنعهم الناس عن الدخول في دين الاسلام (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) يعني ان هؤلاء المشركين لا يراعون في مؤمن عهدا ولا ذمة اذا قدر واعليه قتالوه فلا تقبوا أنتم عليهم كما يبقوا عليكم اذا ظهر واعليكم (وأولئك هم المعتدون) يعني في نقض العهد ﷻ وقوله عز وجل (فان تابوا) يعني فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به (وأقاموا الصلوة) يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها وأركانها وأتوا الزكاة يعني وبدلوا الزكاة المفروضة عليهم طيبة بها أنفسهم (فاخوانكم في الدين) يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم في الدين لهم مالكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات اقوم يعملون) يعني ونبين حجج أدلتنا

(فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة) وآتوا الزكاة (فاخوانكم) فهم اخوانكم على حذف المبتدأ (في الدين) لاني النسب (ونفصل الآيات) ونبينها (اقوم يعملون) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بحر ضاعلى تأمل ما فصل

من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أي نقضوا العهد المؤكدة بالإيمان (وطعنوا في دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أوزعماء قريش الذين هموا باخراج الرسول وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعننا ظاهر اجاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة أئمة همزتين كوفي (٢٢٠) وشامى الباقون همزة واحدة غير مدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أئمة

لاهاج مع امام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الاولى الى الهمزة الساكنة وأدغمت في الميم الاخرى فن حقق الهمزتين أخرجهما على الاصل ومن قلب الثانية ياء فكسرتها (انهم لأيمان لهم) وانما أثبت لهم الايمان في قوله وان نكثوا أيمانهم لانه أراد أيمانهم التي أظهرها ثم قال لأيمان لهم على الحقيقة وهو دليل لنا على أن بين الكافر لا تكون يمينا ومعناه عند الشافعي رحمه الله انهم لا يوفون به الا ان يمينهم عين عنده حيث وصفها بالنكث لا ايمان شامى أي لا اسلام (لعلهم ينهون) متعلق بقاتلوا أئمة الكفر وما ينهون ما اعتراض أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعد ما وجد منهم من العظام وهذا من غاية كرمه على المسيء ثم حرض على القتال فقال (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) التي حلفوها في

ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يترك فلا صلاة له وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأبي أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال يرحم الله أبابكر ما كان أفقهه يعني بذلك ما ذكره أبو بكر في حق من منع الزكاة وهو قوله والله لا فرق بين شيتين جمع الله بينهما في الصلاة والزكاة (ق) عن أبي هريرة قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخاف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لابي بكر كيف تقابل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه لاجل حقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لومنعوني عن عاقا كانوا يؤدونها وفي رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها فقال عمر فوالله ما هو الا أن رأيت ان الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت انه الحق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (وان نكثوا أيمانهم) يعني وان نقضوا عهدهم (من بعد عهدهم) يعني من بعد ما عاهدوكم عليه أن لا يقاتلوكم ولا يظهر واعليكم أحد من أعدائكم (وطعنوا في دينكم) يعني وعابوا دينكم الذي أتم عليه وقد حوا فيه وتلبوه وفي هذا دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهر الا يبقى له عهد والمراد بهؤلاء الذين نقضوا العهد كفارقريش وهو قوله تعالى (فقاتلوا أئمة الكفر) يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس نزلت في أبي سفيان بن حرب والحرب بن هشام وسهيل بن عمرو وأبي جهل وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج الرسول وقيل أراد جميع الكفار وانما ذكر الأئمة لانهم الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل أهل هذه الآية بعد ولم يات أهلها ولا على حذيفة أراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم أئمة الكفر في ذلك الزمان والله أعلم بمراده ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (انهم لأيمان لهم) جمع بين أي لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم باليهود وقرئ لأيمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل هو من الامان أي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تؤمنوهم (لعلهم ينهون) أي لكي ينهوا عن الظن في دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين السبب في ذلك فقال تعالى (ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) يعني نقضوا عهدهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة (وهووا باخراج الرسول) يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة (وهم بدؤكم) يعني بالقتال (أول مرة) يعني يوم بدر وذلك أنهم قالوا لا نتصرف حتى نستاصل مجددا وأصحابه وقيل أراد به انهم بدؤوا بقتال خزاعة حاقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (أتخشونهم) يعني أتخافونهم أي المؤمنون فتركوا قتالهم (فأله أحق أن نخشوه) يعني في ترك القتال (ان كنتم مؤمنين) يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده

المعاهدة (وهووا باخراج الرسول) من مكة (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال والبادي قوله
أظلم فإينعكم من أن تقاتلوهم ويخونهم بترك مقاتلتهم وحضهم عابا ثم وصفهم بما يوجب الحظص عليها من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أتخشونهم) توبيخ على الخشية منهم (فأله أحق أن نخشوه) بان نخشوه فقاتلوا أعداءه (ان كنتم مؤمنين) فإخشوه أي ان قضية الايمان الكامل أن لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به بقوله

(فانلوهم) ووعدهم النصر لينتقلوهم ووضح نيانهم بقوله (يعذبهم الله يا ايديكم) قتلا (ويجزهم) أسرا (وينصركم عليهم) يغلبكم عليهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويذهب غيظ قلوبهم) لما القوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (ويتوب الله على) (٢٢١) من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان

بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقد أسلم ناس منهم كابي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهي ترد على المعتزلة قولهم ان الله تعالى شاء ان يتوب على جميع الكفرة لكنهم لا يتوبون باختيارهم (والله اعلم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) في قبول التوبة (أم حسبتم أن تتركوا) ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم (أم منقطعة والمهزبة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أي لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك متوقع كائن وان الذين لم يخاصوا دينهم لله يميز بينهم وبين الخاصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم

قوله سبحانه وتعالى (فانلوهم يعذبهم الله يا ايديكم) يريد بالتعذيب القتل. يعني يقتلهم الله يا ايديكم فان قلت كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله يا ايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم عذاب الاستئصال يعني وما كان الله ليستأصلهم بالعذاب جميعا وأنت فيهم والمراد بقوله فانلوهم يعني الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم أو نقض عهدهم والفرق بين العذاب الاستئصال يتعدى الى المذنب وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب المخالف وقوله تعالى (ويجزهم) يعني ويذهب بالقهر والاسر وينزل بهم الذل والهوان (وينصركم عليهم) يعني بان يظفركم بهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعني ويرى عداة قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم ومن المعلوم ان من طال تآذيه من خصمه ثم مكنته الله منه فانه يفرح بذلك ويعظم سروره ويصير ذلك سببا للقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد والسدي أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بنى بكر على خزاعة حتى قتلوا منهم ثم شق الله صدور خزاعة من بنى بكر حتى أخذوا ثأرهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (ويذهب غيظ قلوبهم) يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوه من بكر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بنى بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى (ويتوب الله على من يشاء) هذا كلام مستأنف ليس له تعاقب بالاول والمعنى ويهدى الله من يشاء الى الاسلام فبين عليه بالتوبة من الشرك والكفر ويهدى الى الاسلام كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وهو لاء كانوا من أئمة الكفر رؤساء المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فأسلموا (والله اعلم) يعني بسر ائمه عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهدى الى الاسلام (حكيم) يعني في جميع أفعاله (قوله عز وجل) (أم حسبتم أن تتركوا) هذا من الاستفهام العترض في وسط الكلام ولذلك أدخلت فيه أم لتفرق بينه وبين الاستفهام المبتدأ والمعنى أظنتم أيها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا يظهر الصادق من الكاذب (ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) أراد بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله لا جرم جعل علم الله بوجوده كناية عن وجوده قاله الامام غفر الدين الرازي ونقل الواحدى عن الزجاج أى العلم الذى يجازى عليه لانه انما يجازى على ما عملوا (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) قال الفراء الوليجة البطانة من المشركين يتخذونهم يقشون اليهم أسرارهم وقال قتادة وليجة يعنى خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء وألياء يعنى لاتتخذوا المشركين ألياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال أبو عبيدة كل شئ أدخلته فى شئ ليس منه فهو وليجة والرجل يكون فى القوم وليس منهم وليجة من اللولج فوليجة الرجل من يختصه بخديعة أمره دون الناس وقال الراغب الوليجة كل ما يتخذها الانسان ممتدا عليه وليس من قوهم فلان وليجة فى القوم اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذانهى المؤمنين عن موالاته المشركين وان يقشوا اليهم أسرارهم (والله خير بما تعملون) يعنى من موالاته المشركين واخلاص العمل لله وحده (قوله سبحانه وتعالى) (ما كان للمشركين أن يعمروا مسجدا لله) يعنى به المسجد الحرام وقرى مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام أيضا وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآية أن جماعة من رؤساء كفار قريش أسروا

والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنى العلم فى المعلوم كقولك ما علم الله منى ما قيل فى تريب ما وجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلا مجاهدة ولا براءة من المشركين (والله خير بما تعملون) من خيرا أو شر فيجازى بكم عليه (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجدا لله) مسجدا لله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وانما جمع فى القراءة بالجمع لانه قبلة المساجد وامامها

يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل عليهم نفر من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يعبرونهم بالشرك وجعل علي بن أبي طالب يوجع العباس بسبب قتال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون مساويننا وتكفون محاسننا فقيل له وهل لكم من
 محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني
 الأسير فنزات هذه الآية ما كان للمشركين أي ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله أوجب الله على المسلمين
 منهم من ذلك لأن المساجد أعمارة لعبادة الله تعالى وحده فمن كان كافرا بالله فليس له أن يعمر مساجد
 الله واختلفوا في المراد بالعمارة على قولين أحدهما أن المراد بالعمارة العمارة المعروفة من بناء المساجد
 وتشيدها أو مر منها عند خرابها فبمنع منه الكافر حتى لو أوصى ببناء مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني
 أن المراد بالعمارة دخول المسجد والوقوف فيه فبمنع الكافر من دخول المسجد بغير إذن مسلم حتى لو دخل
 بغير إذن مسلم عزروا أن دخل باذن لم يعزروا ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن أن النبي صلى الله
 عليه وسلم شد ثمامة بن اثال إلى سارية من سواري المسجد وهو كافر والأولى تعظيم المساجد ومنعهم من
 دخولها ﷺ وقوله تعالى (شاهدين على أنفسهم بالكفر) يعني لا يدخلون المساجد في حال كونهم شاهدين
 وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حدثت وهم نصب وقال ابن عباس شهادتهم على أنفسهم بالكفر سجودهم
 للأصنام وذلك أن كفار قريش كانوا قد نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القه اعد وكانوا يطوفون
 بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجود والأصنام فلم يزدوا بذلك من الله إلا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا
 نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة عليهم بالكفر وقال السدي شهادتهم على أنفسهم بالكفر هو أن
 النصراني يسئل من أنت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرک يقول مشرك وقال ابن عباس في
 رواية عنه شاهد بن علي رسولهم بالكفر لانه من أنفسهم (أولئك حبطت أعمالهم) يعني الأعمال التي عملوها
 في حال الكفر من أعمال البر مثل قرى الضيف وسقى الحاج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها ثمر مع
 الكفر (وفي النار هم خالدون) يعني من مات منهم على كفره ﷺ قوله عز وجل (انما يعمر مساجد الله
 من آمن بالله واليوم الآخر) للمؤمن بالله عز وجل أن الكافر ليس له أن يعمر مساجد الله بين في هذه الآية
 من هو المستحق لعمارة المساجد وهو من آمن بالله فان الإيمان بالله شرط فيمن يعمر المسجد لان المسجد
 عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع أن يعمر موضعا يعبد الله فيه واليوم الآخر
 يعني وآمن باليوم الآخر وأنه حق كائن لان عمارة المسجد لاجل عبادة الله وجزاء أجره انما يكون في الآخرة
 فمن أنكر الآخرة لم يعبد الله ولم يعمر له مسجد فان قلت لم يذكرا الإيمان برسول الله مع أن الإيمان به
 شرط في صحة الإيمان قلت ان الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم داخل في الإيمان بالله فان آمن بالله
 واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لان من جهته عرف الإيمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى
 ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمد انما ادعى النبوة طلب الرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان
 محمد صلى الله عليه وسلم انما ادعى الإيمان بالله واليوم الآخر لطلب الرياسة والملك فلذلك قال سبحانه
 وتعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك ذكر الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقيل انه تبارك وتعالى قال بعد الإيمان بالله واليوم الآخر (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) وكان ذلك مما جاء
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم أن
 الاعتبار بأقامة الصلاة وآيتاء الزكاة في عمارة المساجد ان الانسان اذا عمر المسجد أقام الصلاة وآتى الزكاة
 لان عمارة المسجد انما تلزم لأقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المسجد الا اذا كان مؤدبا للزكاة لان الزكاة
 واجبة وعمارة المسجد نافلة ولا يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه ﷺ وقوله تعالى

ولان كل بقعة منه مسجد
 أو أريد جنس المساجد
 واذا لم يصلحوا لان يعمروا
 جنبها دخل تحت ذلك
 أن لا يعمر والمسجد الحرام
 الذي هو صدر الجنس وهو
 أكد اذطر يقفه طريق
 السكاية كما تقول فلان لا
 يقرأ كتب الله كنت أنى
 لقراءته القرآن
 من تصريحك بذلك
 (شاهدين على أنفسهم
 بالكفر) باعتبارهم بعبادة
 الاصنام وهو خال من الواد
 في يعمر او المعنى ما استقام
 لهم أن يجمعوا بين أمرين
 متضادين عمارة متعبدات
 الله مع الكفر بالله وعبادته
 (أولئك حبطت أعمالهم
 وفي النار هم خالدون)
 دائمون (انما يعمر مساجد
 الله) عمارة ما استمر
 منها وقها وتنظيفها
 وتنويرها بالمصابيح
 وصيانتها ما لم تبين له المساجد
 من أحداث الدنيا لانها
 بنيت للعبادة والذكر ومن
 الذكر درس العلم (من آمن
 بالله واليوم الآخر) ولم
 يذكرا الإيمان بالرسول
 عليه السلام لما علم ان
 الإيمان بالله قرينة الإيمان
 بالرسول لاقتراهما في
 الاذان والاقامة وكلمة
 الشهادة وغيرها وأدل عليه
 بقوله (واقام الصلوة وآتى
 الزكاة) وفي قوله

(ولم يخش الا الله) تنبيه على الاخلاص والمراد الخشية في ابواب الدين بان لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع محوف اذا لمؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد (٢٢٣) نفى تلك الخشية عنهم (فعمى اولئك ان

يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الاتضاع باعمالهم لان عمى كلمة اطماع والمعنى انما استقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدبا عند الله دون من سواهم (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كاصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره أ جعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبذة باعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظاهرا بعد ظاههم بالكفر لانهم وسعوا المدح والنسب في غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر

(ولم يخش الا الله) يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك أمر الله خشية الناس (فعمى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب يعني وأولئك هم المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن أبي سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية أخرجه الترمذى وقال حديث حسن (ق) عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد وأراح أعداء الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح النزول ما يهيا للضيف عند نزوله بالقوم (ق) عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى بنى الله له بيتا في الجنة وفي رواية بنى الله له في الجنة مثله وعن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا صغيرا كان أو كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة أخرجه الترمذى عن عمرو بن عيسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله تعالى أخرجه النسائى قوله سبحانه وتعالى (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) الآية (م) عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال الآخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عز وجل أ جعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر الى آخرها وقيل قال العباس حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمل المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله هذه الآية وأخبرنا عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان والجهاد مع نية خير مما هم عليه وقال الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظى نزلت في علي بن أبي طالب والعباس بن عبدالمطلب وطلحة بن أبي شيبه افتخروا فقال طلحة أن اصاحب البيت بيدي مفااتيحه وقال العباس وأنا صاحب السقاية والقيام عليها وقال على ما أدري ما تقولون لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الآية أ جعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهى سقى الحاج وكان العباس بن عبدالمطلب بيده سقاية الحاج وكان يهيا في الجاهلية فلما جاء الاسلام وأسلم العباس أقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة المسجد الحرام بمعنى بناءه وتشبيده ومرمته (كمن آمن بالله واليوم الآخر) فيه حذف تقديره كما يمان من آمن بالله واليوم الآخر (وجاهد في سبيل الله) أى وجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقى والعامر تقديره أ جعلتم ساقى الحاج وعامر المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (لا يستون عند الله) يعنى لا يستوى حال هؤلاء الذين آمنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شركه وكفره لان الله سبحانه وتعالى لا يقبل عملا الا مع الايمان به (والله لا يهدي القوم الظالمين) (خ) عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال استسقى فقال يا رسول الله انهم يجعلون أيديهم فيه قال استسقى فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا أن تغلبوا النزات حتى أضع الحبل على هذا يعني عاقته (م) عن بكر بن عبد الله المزنى قال كنت جالساً مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه أعرابي فقال ما لي

وظف على رضى الله عنه يوم نحه بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم نذ كرمساو ينا وتدع محاسنا فقبل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العاني وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيعة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالاسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا

والعمارة (وأولئك هم الفائزون) لأنهم والمختصون بالفوز دونكم (ببشرهم ربهم) يبشرهم جزرة (برجة منه ورضوان وجنات) تكبير المبشر لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم (خالدين فيها أبدان الله عنده أجر عظيم) لا ينقطع لما أمر الله النبي عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولاخيه وأقربائه أنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويحبه ومنهم من تتعلق به زوجته أو ولده فيقول تدعنا بلائتي فنضيع فيجلس معهم وبدع الهجرة فنزل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان) أي آثروه واختاروه (ومن يتولهم منهم) أي ومن يتول الكافرين (فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأقربكم وعشيرتكم أبو بكر (وأموال أقرتفقوها) غشون كساده) فوات وقت نفاقها (ومساكن رضونها أحب إليكم

أرى بنى عمكم يستقون العسل واللبن وأنتم تستقون النبيذ من حاجة بكم أم من نخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنانا من حاجة ولا نخل انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحته وخلفه أسامة فاستسقى فابنناه ببناء من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسنتم أو أجلتكم كذا فافضوا فلانريد تغيير ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلى وحض حرم قوله عز وجل (الذين آمنوا هاجروا وجاهدوا في سبيل الله بآلهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان أعظم درجة عند الله من افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما يذكر القسم المرجوح لبيان فضل القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المترتبة والرفعة عند الله في الآخرة (وأولئك) يعني من هذه صفتهم (هم الفائزون) يعني بسعادة الدين والآخر (ببشرهم ربهم) يعني يخبرهم بهم والبيشارة الخبر السار الذي يفرح الانسان عند سماعه وتستبشر بشرة وجهه عند سماعه ذلك الخبر السار ثم ذكر الخبر الذي يبشرهم به فقال تعالى (برجة منه ورضوان) وهذا أعظم الدشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده (وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يعني أن نعيم الجنة دائم غير منقطع أبدا (خالدين فيها) يعني في الجنان وفي النعيم (أبدا) يعني لا ينقطع له (ان الله عنده أجر عظيم) يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء) قال مجاهد هذه الآية متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطاعة وامتناعهما من الهجرة وقال ابن عباس لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة فمنهم من تعلق به أهله وأولاده يقولون نشدك الله أن لا نضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم وبدع الهجرة فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في السبعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله المؤمنين عن موالاتهم وأنزل بآيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء يعني بطانة وأصدقاء تقشون اليهم أسراركم وتؤثرون المقام معهم على الهجرة قال بعضهم حل هذه الآية على ترك الهجرة مشكلا لان هذه السورة نزلت بعد الفتح وهي من آخر القرآن نزلت ولا الأقرب أن يقال ان الله سبحانه وتعالى لما أمر المؤمنين بالهجرة كيف يمكن أن يقاطع الرجل أباه وأخاه وابنه فقد كر الله أن يقاطع الرجل أهله وأقربيه في الدين واجبة فالؤمن لا يوالي الكافر وان كان أباه وأخاه وابنه وهو قوله تعالى (ان استحبوا الكفر على الإيمان) يعني ان اختاروا الكفر وأقاموا عليه وتركوا الإيمان بالله ورسوله (ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) يعني ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة أمر الله واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الآية قال الذين أسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت أموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وناو قطعنا أرحامنا فانزل الله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد ل هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة (ان كان آباؤكم وأبنائكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) وقرئ على الجمع وعشيراتكم العشيبة هم الذين من أهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم (وأموال أقرتفقوها) يعني اكتسبتموها (وتجارة تخشون كساده) يعني بفراقكم لها (ومساكن رضونها) يعني تستوطنونها راضين بسكنها (أحب إليكم من الله ورسوله) يعني أحب إليكم من الهجرة إلى الله ورسوله (وجهاد في سبيله) فبين الله سبحانه وتعالى انه يحب تحمل جميع المضار في الدنيا ليعبق الدين سلبها وأخبر انه ان كانت رعاية هذه الصالح الدينوية عندكم أولى من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله (فترصوا) أي فاتظروا (حتى يأتي الله بامر) يعني بقضائه وهذا أمر تهديد وتخويف وقال مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني الخارجين عن طاعته

الله ورسوله وجاهد في سبيله فتر بصوا حتى يأتي الله بامر) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أو فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) والآية تنهى على الناس ما هم عليه من رخصة عقد الدين واضطراب حبل اليقين اذا لا يجد عند أروع الناس ما يستحب له

وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا قوله عز وجل (انقد نصركم الله) النصر المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم (في مواطن كثيرة) يعنى أما كن كثيرة والمراد بها غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين من حديث زيد بن أرقم تسع عشرة غزوة زاد برودة في حديثه قائل في ثمان منهن ويقال ان جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله تعالى انقد نصركم الله في مواطن كثيرة (ويوم حنين) يعنى ونصركم الله في يوم حنين أيضا فاعلم الله سبحانه وتعالى انه هو الذى يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غالب له وحنين اسم وادقرب من الطائف بينهما وبين مكة بضعة عشر ميلا وقال عروة هو الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه أيام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار والأقان من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر ألفا وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا واقفا وكان المشركون أربعة آلاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النضري وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل فاما التقي الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة بن رقيش ان نغاب اليوم من قلة فسأع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكالوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكالهم الى أنفسهم وذكروا ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك أبو بكر الصديق وحكى ابن جرير الطبري ان القائل لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى الله عليه وسلم كان في جميع أحواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد ولا الى غيره بل نظره الى ما ياتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا فاما التقي الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري ثم نادوا يا احماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون وقال قتادة ذكرونا ان الطلقاء انجذبوا يومئذ باناس فلما انجفل القوم هر بوا (ق) عن ابى اسحق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أعمامرة فقال أشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ماولى ولكنه انطلق اخفاء من الناس حسر الى هذا الخي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كانوا رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوسفيان بن الحرث يقوده بغلته فنزل ودعاوا استنصرو وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم أنزل نصرك زاد أبو خيشمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا اجر البأس نتقى به وان الشجاع منا لىذى يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم عن أبى اسحق قال قال رجل للبراء بن عازب يا أعمامرة فررت يوم حنين قال لا والله ما لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان أصحابه وأخفاءهم حسر البس عليهم سلاح أو كثير سلاح فلقوا قوم رماة لا يكاد يسقط لهم سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطون فأقبلوا هناك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بقلته البيضاء وأبوسفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقوده بغلته فنزل ودعاوا استنصرو وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ثم صفهم وروى شعبة عن أبى اسحق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوم رماة ولما لقيناهم حملنا عليهم فانهمزوا فقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفر قوله ولكنه انطلق اخفاء من الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المرسعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم والحسر جمع حاسر وهو الذى لا درع عليه يقال اذا رمى القوم بأسرهم الى جهة واحدة مينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكبيرة منه وقوله كنا اذا اجر البأس يعنى اذا اشتد الحرب والبأس بالوحدة من تحت الشدة والخوف وقال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه

دينه على الآباء والابناء والاموال والحظوظ (انقد نصركم الله في مواطن كثيرة) كوقعة بدر وقرينة والنضير والحبيبة وخيبر وفتح مكة وقيل ان المواطن التي نصر الله فيها النبي عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنًا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (ويوم) أى واذا كروا يوم (حنين) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين ان نغلب اليوم من قلة فسأع رسول الله عليه الصلاة والسلام

وسلم ثلثمائة من المسلمين وانهمزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير عمه
 العباس بن عبد المطلب وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يوم حنين بين يدي رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهذا أيمن أخو أسامة بن زيد لأمه أمهم بركة مولا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته
 (م) عن العباس بن عبد المطلب قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين ففترت أنا وأبو سفيان
 ابن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له
 بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجزاعي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبر بن فطفق رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ركض بغلته قبل الكفار قال العباس وأنا أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أ كفه ارادة أن لا تسرع وأبو سفيان أخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صابغا فقات باعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال
 فوالله لكان عطفتم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا البيك لبيك قال فافتتلوا والكفار
 والدعوة في الانصار بقولون يا معشر الانصار يا معشر الانصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج
 فقالوا يا بني الحرث بن الخزرج يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته
 كالمطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حى الوطيس قال ثم أخذ رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن رجوه الكفار ثم قال انهزم مواورب محمد قال فذهبت أنظر فاذا القتال
 على هيبته فيما يرى قال فوالله ما هو الا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلاً وأمرهم مدبراً قوله حى
 الوطيس أى اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل أن يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من
 العرب وهى مما اقتضبه وأنشأه والوطيس فى اللغة التنوير وقوله حدهم كليلاً يعنى لا يقطع شياً (م) عن سلمة
 ابن الاكوع قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنيناً قال فلما اغشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل به وجوههم وقال شأهت الوجوه فما خلق الله منهم
 انساناً الا ملاعبيته تراب تلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله بذلك وقدم رسول الله غنائمهم بين المسلمين
 أخرجه مسلم بزيادة فيه قال سعيد بن جبيرة أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة
 مسومين وروى ان رجلاً من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل الباقى والرجال عليهم
 ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم الا كهيئة الشامة وما كان قتلنا الا بأيديهم فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال تلك الملائكة وروى أن رجلاً من المشركين قال يوم حنين لما التقينا وأصحاب محمد لم يقفوا التاحلب
 شاة أن كشفناهم فبيننا نحن نسوقهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال قتلنا عندنا من رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأهت الوجوه ارجعوا قال فانهم زمننا
 وركبوا أكتافنا فكانت اياها واختلفوا هل قاتلت الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح أنهم لم تقابل الا
 يوم بدر وانما كانت الملائكة يوم حنين مدداً وعونا وذكر البغوى أن الزهرى قال بلغنى أن شبة بن عثمان قال
 استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وأنا أريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان بن أبي طلحة وكانا
 قد قتلنا يوم أحد فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما فى نفسي فالتفت الى وضرب فى صدرى وقال
 أ عينك بالله يا شبة فارعدت فرانصى فنظرت اليه وهو أحب الى من سمعى وبصرى فقات أشهد أنك رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قد أطلعك الله على ما فى نفسي فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى أتوا
 أوطاس وبها عيالهم وأموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من الاشعرين يقال له أبو عامر
 وأمره على الجيش فسار الى أوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة وهزم الله المشركين وسبى المسلمون
 عيال المشركين وهرب أميرهم مالك بن عوف النصرى فأتى الطائف فتحصن بها وأخذ ماله وأهله فبين أخذ

وقتل أبو عامر أمير المساميين قال الزهري أخبرني سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف صبي ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك الشهر فلما دخل ذوالقعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم وأتى الجعرانة فأحرم منها بعمرة وقدم بها غنائم حنين وأوطاس وتأنف أناس منهم أبو سفيان ابن حرب والحرب بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فأعطاهم (ق) عن أنس بن مالك إن ناسا من الانصار قالوا يوم حنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى رجالا من قريش المائة من الابل فقالوا يا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس حدثت بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارس الى الانصار فجمعهم في قبسة من آدم ولم يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حديث بلغني عنكم فقال له فقهاة الانصار اماذا وراينا يا رسول الله لم يقولوا شيئا أو ما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يا يغفر الله لرسول الله يعطى قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فإني أعطى رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم أفلا ترضون ان تذهب الناس بالاموال وترجعوا الى رجالكم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قدر ضيقنا قال فانكم ستجدون بعدي أثره شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في رواية قال أنس فلم نصبر (ق) عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا اذ لم يصيبهم ما أصاب الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجركم ضللا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أم قال فإنا معكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أم قال لو شئتم قتلتم جثتنا كذا وكذا أن ترضون أن تذهب الناس بالشاة والبيعر وتذهبوا بالبي الى الرجالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس وأديا وشعبا لسلكت وادى الانصار وشعبهم الانصار شعار والناس دثار (م) عن رافع بن خديج قال أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسفيان بن حرب وصفوان بن أمية وعيينة ابن حصن والاقرع ابن حابس كل انسان مائة من الابل وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك فقال عباس ابن مرداس

أجعل نهبى ونهب العبيد * مدين عينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن بخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور ومروان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد عليهم ما لهم وسيبهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون وأحب الحديث الى أصدقه فاخاروا احدي الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استأيت بكم وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين فقل من الطائف فماتين لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اذ عليهم الاحدي الطائفتين قالوا اننا نختر سينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فإني على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك لهم فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله فقال لهم في ذلك اننا لا ندرى من أذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه أنهم قد طيبوا واذنوا فهذا الذي بلغنا من سبي هوازن وأنزل الله عز وجل في قصة حنين لقد نصركم الله في

(اذ) بدل من يوم (أعجبتكم كثيرتمكم) فادرك المسامحة بالاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهم مواحي بلغ فاهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذاً بالمجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه آخذ بركابه فقال للعباس (٢٢٨) صح بالناس وكان صبتا فنادى يا أصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون لبيك

لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلقي فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب فرماه به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهمزوا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ اللهم لك الحمد واليك المشكى وأنت المستعان وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فلم تكن عنكم شيئا وضافت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدره يقول الباء بمعنى مع أى مع رسبها وحقيقته ملتبسة بها على أن الجار والمجرور موضع الحال كقولك نزلت عليه بثياب السفر أى ملتبسها والمعنى لم يجدوا موضعا لفراركم عن أعدائكم فكانها ضاقت عليكم (ثم وائيم مدبرين) فانهمزتم (ثم أنزل الله سكينته) رحته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة وكانوا ثمانمائة آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفا (وعذب

مواطن كثيرة يوم حنين) اذ أعجبتكم كثيرتمكم) يعنى حين قاتم ان تغلب اليوم من قلة (فلم تكن عنكم) يعنى كثيرتمكم (شيئا) يعنى ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن انما يكون بنصرانه ومعوته (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) يعنى بسعتها وفضائها (ثم وائيم مدبرين) يعنى منزهين (ثم أنزل الله سكينته) يعنى بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والامنة وهى فعيلة من السكون وذلك أن الانسان اذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحرا كما اذا أمن سكن فؤاده ونبت فلما كان الامن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الامن وقوله تعالى (على رسوله وعلى المؤمنين) انما كان انزال السكينة على المؤمنين لان الرسول صلى الله عليه وسلم كان ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في هذه الواقعة ثم من الله عليهم بانزال السكينة عليهم حتى رجعوا الى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يفر (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجيئهم للقتال لان الملائكة لم تقابل الا يوم بدر (وعذب الذين كفروا) يعنى بالاسر والقتل وسبى العيال والاموال (وذلك جزاء الكافرين) يعنى في الدنيا ثم اذا أفضوا الى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) يعنى فيهدى به الى الاسلام كما فعل بمن بقى من هوازن حيث أسه وواقدهم واعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تائبين فن عليهم وأطلق سبيهم (والله غفور) ان تاب (رحيم) بعباده وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قيل أراد بالمشركين عبدة الاصنام دون غيرهم من أصناف الكفار وقيل بل أراد جميع أصناف الكفار عبدة الاصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشئ القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشئ الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لاجناسة العين سموا نجسا على الذم لان الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ ويرى هذا عن الزيدية من الشيعة والقول الاول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لانهم يجنبون فلا يغتسلون ويحذون فلا يتوضئون (فلا يقربوا المسجد الحرام) المراد منهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكده هذا قوله تعالى سبحانه الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لانه أسرى به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هاني قال العلماء وجلة بلاد الاسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام: أحدها الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخله بحال ذميا كان أو مستأما الظاهر هذه الآية وبه قال الشافعى وأجد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والامام في الحرم فلا ياذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه بنفسه أو يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاذ دخول الحرم في القسم الثاني من بلاد الاسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهايم ونصفها حجازى وقيل كلها حجازى وقال ابن السكيت حد الحجاز ما بين جبل طي وطريق العراق سمي حجازا لانه حجاز بين تهامة ونجد وقيل لانه حجاز بين نجد والسرارة وقيل لانه حجاز بين نجد وتهامة والشام قال الحرابي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالاذن ولكن لا يقيمون فيها أكثر مقام من المسافر وهو ثلاثة أيام (م) عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك

الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبى النساء والنصارى (وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد فيها وهم الذين أسهوا منهم) (وانه غفور) يستركفر العدو بالاسلام (رحيم) بنصره لولى بعد الانهزام (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) أى ذو ونجس وهو مصدر يقال نجس نجسا وقد قدر الان معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجنبون النجاسات فهى ملاسبة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مابغة في وصفهم بها (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا

الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القرابان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعي رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك بمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن مكينهم منه (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدمهم عليكم من الارقاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حبيج الاسلام (ان شاء) هو تعليم لتعليق الامور بشيئة الله تعالى لتقطع الآمال اليه (ان الله عليهم) باحوالكم (حكيم) في تحقيق آمالكم أو عليهم بمصالح العباد حكم فيما حكم وأراد ونزل في أهل الكتاب (فانلوا الذين لا يؤمنون بالله) لان اليهود مثنوية والنصارى مثلثة (ولا باليوم الآخر) لانهم فيه على خلاف ما يجب حيث يزعمون أن لا كل في الجنة ولا يشرب (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) لانهم

فيها الامساك اذ في رواية غير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاههم عمر في خلافته وأجل ما يقدم ناجر اثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مرسل (م) عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قديس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب ما بين الوادي الى أقصى اليمن الى تخوم العراق الى البحر وقال غيره حد جزيرة العرب من أقصى عدن الى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر الى أطراف الشام عرضا * والقسم الثالث سائر بلاد الاسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعد الهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد الا بذن مسلم وقوله تعالى (بعد عامهم هذا) يعني العام الذي حج فيه أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على براءة وان لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة (وان خفتم عيلة) يعني فقرا وفاقة وذلك ان أهل مكة كانت معاشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون الى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة من الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله عز وجل وان خفتم عيلة (فسوف يغنيكم الله من فضله) قال عكرمة فاغناهم الله بان أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها (ان شاء) قيل انما شرط المشيئة في الغني المطلوب ليكون الانسان دائم التضرع والابتهاج الى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وان يقطع العبد أمه من كل أحد الا من الله عز وجل فانه هو القادر على كل شيء وقيل ان المقصود من ذكر هذا الشرط تعليم رعاية الادب كما في قوله تبارك وتعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين (ان الله عليهم) يعني بما يصلحكم (حكيم) يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا الا عن حكمة و صواب فن حكمة ان منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والتل والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى (فانلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) قال مجاهد نزات الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال اذوم فغزاه بعد نزولها غزوة تبوك وقال السكيت نزات في قرظية والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الاسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بايدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المؤمنين والمعنى فانلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فان قلت اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر الله عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قلت ايمانهم بالله ليس كما يمان المؤمنون وذلك أن اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك فليس بمؤمن بالله وقيل من اعتقد أن عزير ابن الله وان المسيح ابن الله فليس بمؤمن بالله بل هو مشرك بالله وقيل من كذب رسولا من رسل الله فليس بمؤمن بالله واليهود والنصارى يكذبون أكثر الانبياء فليسوا بمؤمنين بالله وأما ايمانهم باليوم الآخر فليس كما يمان المؤمنون وذلك انهم يعتقدون بعثة الارواح دون الاجساد ويعتقدون ان أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا يسكرحون ومن اعتقد ذلك فليس كما يمان المؤمنون وان زعم أنه مؤمن وقوله تعالى (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) يعني ولا يحرمون الخمر والخمر وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرقوهما وأتوا بحكام من قبل أنفسهما (ولا يدينون دين الحق) يعني ولا يعتقدون صحة الاسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه الاسلام وهو قوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم (من الذين أتوا

هو الحق يقال فلا يدن
 بكذا اذا اتخذته ومعتقده
 (من الذين أتوا الكتاب)
 بيان للذين قبله وأما
 الجوس فالحقون بأهل
 الكتاب في قبول الجزية
 وكذا الترك والهنود
 وغيرهما بخلاف مشركي
 العرب لما روى الزهري
 أن النبي عليه السلام
 صالح عبدة الاوثان على
 الجزية الامن كان من
 العرب (حتى يعطوا
 الجزية) الى أن يقبلوها
 وسميت جزية لانه يجب
 على أهلها أن يجزوه أى
 يقضوه وأهى جزاء على
 الكفر على التحمىل في
 تذييل (عن بد) أى عن
 يد موثبة غير متعنة ولذا
 قالوا أعطى بيده اذا اتقاد
 وقالوا زرع يده عن الطاعة
 أوحى يعطوها عن بدالى
 يد نقدا غير نسيئة لامبعونا
 على يد أحد ولكن عن
 يد المعطى الى بدال أخذ
 (وهم صاغرون) أى
 تؤخذ منهم على الصغار
 والذل وهو أن ياتى بها
 بنفسه ماشيا غير راكب
 ويسلمها وهو قائم والمتسلم
 جالس وان يتسلل لتسلية
 ويؤخذ بتاليبه ويقال
 له أذ الجزية ياذى وان كان
 يؤديها ويؤخذ في فقهه
 وتسقط بالاسلام

الكتاب) يعنى أعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى (حتى يُعْطُوا الجزية) وهى ما يعطى الماهد من أهل
 الكتاب تلى عهده وهى الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتماعها فى حقن دماهم (عن بد)
 يعنى عن قهر وغلبة يقال لكل من أعطى شيئا كرها من غير طيب نفس أعطى عن بد وقال ابن عباس
 يعطونها بابديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وقيل يعطونها نقدا انسيئة وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام
 الساميين عليهم بقبولها منهم (وهم صاغرون) من الصغار وهو الذل والاهانة يعنى يعطون الجزية وهم أذلاء
 مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قاتمون والقباض جالس وقال ابن عباس تؤخذ الجزية من
 أحدهم وتوطأ عنقه وقال السكبي اذا أعطى يصفع ففاه وقيل هو ان يؤخذ بلحيته ويضرب فى لحيته
 ويقال له ادحق الله يا عبد الله وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه الصغار هو جريان أحكام المسلمين
 عليهم

فصل فى بيان أحكام الآبة * اجتمعت الاممة على جواز أخذ الجزية من أهل الكتاب وهم اليهود
 والنصارى اذ لم يكونوا عر باواختلفوا فى أهل الكتاب العرب وفى غير أهل الكتاب من كفار الجهم فذهب
 الشافعى الى ان الجزية على الاديان لاعلى الانساب فتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجماء ولا تؤخذ
 من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روى عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد الى أكيدر
 دومة فاخذته فأتوا به فخن دمه وصالحه على الجزية أخرجه أبو داود وقال الشافعى وهو رجل من العرب
 يقال انه من غسان وأخذ من أهل ذمة اليمين وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعى الى ان الجزية تؤخذ من
 جميع الكفار الا المارتد وقال أبو حنيفة تؤخذ من أهل الكتاب على العموم وتؤخذ من مشركي الجهم ولا
 تؤخذ من مشركي العرب وقال أبو يوسف لا تؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من الجهمى
 كتابيا كان أو مشركا وأما المجوس فانفتت الصحابة على جواز الاخذ منهم وبدل عليه ماروى عن بحالة بن
 عبيدة ويقال عبدة لم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر أخرجه البخارى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب
 ذكرا المجوس فقال ما أدرى كيف أصنع فى أمرهم فقال عبد الرحمن بن عوف أشهد أنى سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول سنواهم سنة أهل الكتاب أخرجه مالك فى الموطأ عن ابن شهاب قال بلغنى ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحر بن وان عمر أخذها من مجوس فارس وان
 عثمان بن عفان أخذها من البربر أخرجه مالك فى الموطأ وفى امتناع عمر من أخذ الجزية من المجوس حتى
 شهد عبد الرحمن أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها منهم دليل على ان رأى الصحابة كان على انها لا تؤخذ
 من كل مشرك وانما تؤخذ من أهل الكتاب واختلفوا فى أن المجوس هل هم من أهل الكتاب فروى عن
 على بن أبى طالب أنه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد أسرى على كتابهم فرفع من بين أظهرهم
 وانفقوا على تحريم ذبايحهم ومنا كحتمهم بخلاف أهل الكتاب وأما من دخل فى دين اليهود والنصارى من
 غيرهم من المشركين فينظر فان كانوا قد دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل فانهم يقرون بالجزية وتحمل
 منا كحتمهم وذبايحهم وان كانوا دخلوا فيه بعد النسخ مجئ محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شرعهم بشرعته
 فانهم لا يقرون بالجزية ولا تحل ذبايحهم ومنا كحتمهم ومن شككنا فى أمرهم هل دخلوا فيه بعد النسخ أو قبله
 يقرون بالجزية تغلبا لحقن الدم ولا تحل ذبايحهم ومنا كحتمهم تغلبا للتحريم ومنهم نصارى العرب من
 تؤخ وبهراة ونى تغلب أقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبايحهم وأما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل أهل
 الكتاب فهم فى أهل الكتاب كاهل البدع فى المسلمين وأما قدر الجزية فاقها دينار ولا يجوز أن ينقص عنه
 ويقبل الدينار من الغنى والفقير والمتوسط ويدل عليه ماروى عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم لما وجهه الى اليمن امره أن يأخذ من كل عالم أى محتلم دينارا أو عدله من المعافرة ثياب تكون باليمن
أخرجه أبو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يأخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني
والفقير والمتوسط وفيه دليل على أنه لا تؤخذ الجزية من الصبيان والنساء وإنما تؤخذ من الأحرار البالغين
وذهب قوم الى أن على كل موسر أر بعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول
أصحاب الرأي ويدل عليه ما روي عن أسلم أن عمر بن الخطاب ضرب الجزية على أهل الذهب أر بعة دنانير
وعلى أهل الورق أر بعين درهم ومع ذلك أزرأق المسلمين وضيافة ثلاثة أيام أخرجه مالك في الموطأ قال
أصحاب الشافعي أقل الجزية دننارا ليزاد على الدينار بالاتراضي فإذا رضى أهل الذمة بالزيادة ضربه على
المتوسط دينارين وعلى الغني أر بعة دنانير قال العلماء إنما أقرأ أهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف أهل
الشرك حرمة آباؤهم الذين انقروا على الدين من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتعديل وأيضا
فإن بأيديهم كتباً قديمة فرماتشكر وفيها يعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته فامهلو لهذا
المعنى وليس المقصود من أخذ الجزية من أهل الكتاب إقرارهم على كفرهم بل المقصود من ذلك حقن
دمائهم وإمهالهم رجاء أن يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بأن يؤمنوا بصدقوا أذار أو أحاسن الاسلام وقوة
دلالة وكثرة الداخلين فيه ﷺ قوله عز وجل (وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله)
الآية لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمه أن اليهود والنصارى لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين
الحق يدنه في هذه الآية فأخبر عنهم أنهم أثبتوا الله ولداً ومن جوز ذلك على الله فقد أشرك به لأنه لا فرق بين
من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا أنهم لا يؤمنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب
أخذ الجزية منهم وإبقائهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بأيديهم ولعلمهم بتفكيرهم
فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه روى سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزير ابن الله فأنزل الله هذه الآية وقال عبيد بن عمير إنما
قال هذه المقالة لرجل واحد من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال إن الله فقير ونحن أغنياء فعلى
هذين القولين القائل لهذه المقالة جماعة من اليهود أو واحد وإنما نسب ذلك الى اليهود في وقالت اليهود جريا
على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يركب الخيل وإنما يركب فرسا واحداً
منها وتقول العرب فلان يجالس الملوك وأهلهم يجالس الواحد منهم وروى عطية العوفي عن ابن عباس
أنه قال إنما قالت اليهود ذلك من أجل أن عزيراً كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا
التوراة وعملوا بغير الحق فرفع الله سبحانه وتعالى عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا
الله عزيراً وبتهل اليه أن يرد اليه التوراة فيبينما هو صلى مبتهلاً الى الله عز وجل نزل نور من السماء فدخل
جوفه فعادت اليه فأذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به يعلمهم ثم مكثوا ما شاء الله
ثم إن التابوت نزل بعد ذهابه منهم فاماروا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير على ما في التابوت فوجدوه
مشله فقالوا ما أتى عزير بهذا إلا أنه ابن الله وقال السكبي إن نختصر لما غزيت المقدس وظهر على بني
اسرائيل وقتل من قرأ التوراة كان عزيراً ذلك صغيراً فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت
المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله لهم عزير ليحدثهم التوراة ويكون لهم آية بعد ما أماته الله
مائة سنة قال فأتى ملكاً ببناء فيه ماء فشرب منه فمات له التوراة في صدره فلما أتاهم قال أنا عزير فكتبوه وقالوا
إن كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم إن رجلاً منهم قال إن أبي حدثني عن جدى إن
التوراة جعلت في خابية ودفت في كرم فانطلقوا معه حتى أخرجوها فاعرضوها كتبها لهم عزير فلم يجدوه

(وقالت اليهود) كاهنهم
أو بعضهم (عزير بن الله)
مبتدأ وخبر كقوله المسيح
ابن الله وعزير اسم
أعجمي وأجمته وتعريفه
امتنع صرفه ومن نون
وهم عاصم وعلى فقد جعله
عربياً (وقالت النصارى
المسيح ابن الله)

ذلك قولهم بافواهم) أى قول لا يعضده برهان ولا يستند الى بيان فاهوا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهملة (يضاهون) قول الذين كفروا من قبل) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مر فوعا يعنى ان الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم أقدم منهم يضاهون عاصم وأصيل المضاهاة المشابهة والاكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بانها لانحيض كذا قاله الزجاج (قاتلهم الله) أى هم أحقاء بان يقال لهم هذا (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق بعد قيام البرهان (تخذوا) أى أهل الكتاب (أخبارهم) تلماعهم (ورهبانهم) نساكهم (أربابا) آلهة (من دون الله

غادر حرافة قالوا ان الله لم يقذف التوراة فى قلب عزير إلا أنه ابنه فمئذ ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول كان فاشيا فى اليهود جميعا ثم انه انقطع واندرس فاخبر الله تعالى به عنهم وأظهره عليهم ولا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل أصدق وأثبت من انكارهم وأما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على الدين الحق بعد رفع عيسى عليه السلام احدى وعثمانين سنة يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان فى اليهود رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فأتى سألهم حتى يدخلوا النار معنا ثم انه عمده الى فرس كان يقاتل عليه ففرقه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم انه أتى الى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عبدكم بولص فقد نوديت من السماء أنه ليس لك توبة حتى تنصروا وقد نبت وأنتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتهم فلم يخرج منه سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قبل تو بتك فصدقوه وأحبوه وعلا شأنه فيهم ثم انه عمده الى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور ان عيسى ومرمى الالهة الثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكان ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم فى الخلوة وقال له أنت خالصتى وادع الناس لماء امتك وأمره أن يذهب الى ناحية من البلاد ثم قال لهم انى رأيت عيسى فى المنام وقد رضى عنى وقال لكل واحد منهم انى سأذبح نفسى تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق أولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس والآخر الى ناحية أخرى وأظهر كل واحد منهم مقالته ودعا الناس اليها فقتلوه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع القتال فكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله وقال الامام نضر الدين الرازى بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي أن يقال اعلم ذلك كلفظ الابن فى الانجيل على سبيل التشرىف كما ورد فى حق ابراهيم على سبيل التشرىف فباغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية والجهال قبلوا ذلك منهم وفساهوا هذا المذهب الفاسد فى اتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال (ذلك قولهم بافواهم) يعنى أنهم يقولون ذلك القول باستمهم من غير علم يرجعون اليه قال أهل المعانى لم يذكروا الله قولا مقرونا بالأفواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة له (يضاهون) قال ابن عباس يشابهون والمضاهاة المشابهة وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون (قول الذين كفروا من قبل) قال قتادة والسدى معناه ضاهت النصارى قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد أن من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قاله أولوهم (قاتلهم الله) قال ابن عباس لعنهم الله وقال بن جرير قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقابلة ولكنه بمعنى التعجب أى حق أن يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قائله الله ما أعجب فعله (أنى يؤفكون) يعنى أنى يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل واقامة الحجج بان الله واحداً أحد فجعلوا له ولداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله سبحانه وتعالى لا يتعجب من شئ ولكن هذا الخطاب على عادة العرب فى مخاطبتهم فأنه سبحانه وتعالى عجب بنيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) يعنى اتخذ اليهود والنصارى علماءهم وقراءهم والأخبار العلماء من اليهود والرهبان أصحاب الصوامع من النصارى أربابا من

حيث اطاعوهم في تحليل ما حرم الله ونحريم ما أحل الله كما يطاع الأرباب في أوامرهم ونواهيهم (والمسيح ابن مريم) عطف على أحبارهم أي اتخذوه ربا حيث جعلوا ابن الله ومأمروا الأئمة عبدوا الهياكل واحداً يجوز الوقوف عليه لأن ما بعده يصلح ابتداء ويصلح وصفاً واحداً (الإله الا هو سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن الاشرار (ريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) مثل حالهم في طاهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالكذب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبت في الآفاق يريد الله أن يزيدوه ببلغه الغاية القصوى من الاشرار ليطلقه بنفسه أجرى ويأبى الله مجرى لا يريد الله ولذا وقع في مقابلة ريدون والا يقال كرهت أو بغضت الا زيدا (هو الذي أرسل رسوله) محمد عليه السلام (بالقرآن (ودين الحق) ليظهره) أي عليه (على الدين كله) أي أهل الاديان كلها أو يظهر دين الحق على كل دين

دون الله يعني أنهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك أنهم أحلوا لهم أشياء وحرموا عليهم أشياء من قبيل أنفسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم كالارباب لأنهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن علي بن حاتم قال أثبت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عني صليب من ذهب فمال يا عدى اطرح عنك هذا الوثن وسمعه يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال أما أنهم لم يكونوا يعبدونهم وإنما كنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال عبد الله ابن المبارك وهل يدل الدين الامم الملك * وأحبار سوء ورهبانها

(والمسيح ابن مريم) يعني اتخذوه الها وذلك لما اعتقدوا فيه البنوة والجلول واعتقدوا فيه الالهية (ومأمروا) يعني ومأمروا في الكتب القديمة المنزلة عليهم على السنة أنبيائهم (الاي عبدوا الها واحداً) لأنه سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة لا غيره (الإله الا هو سبحانه عما يشركون) أي تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك في العبادة والاحكام وأن يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال (ريدون) يعني يريدون وساء اليهود والنصارى (أن يطفؤا نور الله بأفواههم) يعني يريدون لئلا يطفؤا نور الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم أي وقيل المراد من النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور أحدها المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجز له باقية على الابد الدالة على صدقه وثالثها أن دينه الذي أمر به وهو دين الاسلام ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والشاء عليه والاقبال لامره ونهييه واتباع طاعته والامر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فن أراد ابطال ذلك بالكذب وتزوير فتدخا بعباده وبطل عمله ثم إن الله سبحانه وتعالى وعديته محمد صلى الله عليه وسلم يبد النصارى واليهاء الكلمة واطهار الدين بقوله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) يعني ويأبى الله إلا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ولو كره ذلك الكافرون قوله عز وجل (هو الذي أرسل رسوله) يعني أن الله الذي يأبى إلا أن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله يعني محمد صلى الله عليه وسلم (بالهدى) يعني بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هادياً اليه (ودين الحق) يعني دين الاسلام (ليظهره) يعني ليعليه (على الدين كله) يعني على سائر الاديان وقال ابن عباس الها في ايظهره عائدة الى الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعليه شرائع الدين كلها ويظهره عليهم احتي لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين الهاء راجعة الى الدين الحق والمعنى اي يظهر دين الاسلام على الاديان كلها وهو أن لا يعبد الله الا به وقال أبو هريرة والضحاك ذلك عند نزول عيسى عليه السلام فلا يبقى أهل دين الا دخلوا الاسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى عليه السلام قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الارض بيت مدر ولا بر إلا دخله الله كلة الاسلام اما بعز عزير أو بذل دليل امان يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به واما أن يدلهم فيدينون له أخرجه البغوي غير سند (م) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد الاله والعزى فقلت يا رسول الله انى كنت أظن حين أنزل الله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ان ذلك تام قال انه سيكون ذلك ماشاء الله ثم بعث الله محمداً يحاطية تنوفى كل من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون الى دين آبائهم قال الشافعي وقد أظهر الله دين رسوله صلى الله عليه وسلم على الاديان كلها ابان أبان لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقال وأظهره على الشرك دين أهل الكتاب ودين الاميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاميين

حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبي حتى دان بعضهم بالاسلام واعطى بعضهم الجزية
صاغرين وجرى عليه حكمه فهذا هو ظهوره على الدين كله (ولو كره المشركون) قوله تعالى (يا ايها الذين
آمنوا ان كثير من الاحبار والرهبان) قد تقدم معنى الاحبار والرهبان وان الاحبار من اليهود والرهبان
من النصارى وفي قوله سبحانه وتعالى ان كثيرا داييل على ان الاقل من الاحبار والرهبان لم ياكلوا اموال
الناس بالباطل واعلمهم الذين كانوا قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم وعبر عن أخذ الاموال بالاكل في قوله
تعالى (ليأكلون اموال الناس بالباطل) لان المقصود الاعظم من جمع المال الاكل فسمى الشيء باسم ما هو
اعظم مقاصده واختلفوا في السبب الذي من أجله آكلوا اموال الناس بالباطل فقيل انهم كانوا يأخذون
الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساححة في الاحكام وقيل انهم كانوا يكتبون كتبها يجر فونها
ويبدلونها ويقولون هذه من عند الله وياخذون بها غنا قليلا وهي المال كل التي كانوا يصيدونها من سفلتهم
على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته في كتبهم لانهم كانوا يخافون لو آمنوا به وقوه لذهبت عنهم
تلك المال كل وقيل ان التوراة كانت مشتملة على آيات دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم وكان الاحبار
والرهبان يذكرون في تاولها وجوها فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلبا للرياسة وأخذ الاموال ومنع
الناس عن الايمان به وذلك قوله تعالى (ويصدون عن سبيل الله) يعني ويمنعون الناس عن الايمان بمحمد
صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الاسلام (والذين يكتزون الذهب والفضة) أصل الكنز في اللغة جعل
المال بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين ذمهم الله بسبب كنز الذهب
والفضة فقيل هم اهل الكتاب قاله معاوية بن أبي سفيان لان الله سبحانه وتعالى وصفهم بالحرص الشديد
على أخذ اموال الناس بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع اخراج الحقوق الواجبة
منه وقال ابن عباس والسدي نزلت في مانعي الزكاة من المسلمين وذلك انه سبحانه وتعالى لما ذكر قبح طريقه
الاحبار والرهبان في الحرص على أخذ الاموال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال
ومنع حقوق الله منه وقال أبو ذر نزلت في اهل الكتاب وفي المسلمين ووجه هذا القول ان الله سبحانه وتعالى
وصف اهل الكتاب بالحرص على أخذ اموال الناس بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع
الحقوق الواجبة فيه سواء كان من اهل الكتاب أو من المسلمين (خ) عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا
باني ذر فقلت ما نزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت ابا معاوية في هذه الآية والذين يكتزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال معاوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان
يبنى ويبنه في ذلك كلام فيكتب الى عثمان يشكو في فيكتب الى عثمان ان اقدم المدينة فقدمتها فكثير على
الناس حتى كانوا لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تمنحيت فكنت قريبا فذاك الذي
أنزلني هذا المنزل ولو امر على عبد حبشي لسمعت وأطعت واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال
وجبت فيه الزكاة فلم تؤد ذلك ورروي عن ابن عمر انه قال له اعرابي اخبرني عن قول الله عز وجل والذين
يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد ذلك
ويل له هذا كان قبل أن تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها الله طهرا للاموال أخرجه البخاري وفي رواية مالك
عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسئل عن الكنز ما هو فقال هو المال الذي لا تؤدى
منه الزكاة ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال كل ما أدبت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد
زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوي به صاحبه وان لم يكن مدفونا ورروي عن علي بن أبي
طالب قال أربعة آلاف فافوقها كنز وما دونها نفقة وقيل الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه
اليه ورروي الطبري بسنده عن أبي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى

(ولو كره المشركون يا ايها
الذين آمنوا ان كثير من
الاحبار والرهبان لياكلون
أموال الناس) استعار
الاكل للاخذ (بالباطل)
أي بالرشا في الاحكام
(ويصدون) سفلتهم (عن
سبيل الله) دينه (والذين
يكتزون الذهب والفضة)
يجوز أن يكون اشارة الى
الكثير من الاحبار
والرهبان للدلالة على اجتماع
خصتين ذميتين فيهم
أخذ الرشا وكنز الاموال
والضن بهما من الانفاق في
سبيل الخير ويجوز أن
يراد المسلمون الكاذبون
غير المنفقين ويقرن بينهم
وبين المرتشين من اهل
الكتاب تغليظا وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ما أدى
زكاته فليس بكنز وان كان
باطنا وما بلغ أن يزكي فلم يرك
فهو كنز وان كان ظاهرا
ولقد كان كثير من الصحابة
رضي الله عنهم كعبد الرحمن
ابن عوف وطلحة يفتنون
الاموال ويتصرفون فيها
وما عابهم أحد من اعراض
عن القنية لان الاعراض
اختيار للافضل والافتناء
مباح لا يذم صاحبه

الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في منزله ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذاني أول
الاسلام قبل أن تفرض الزكاة فكان يجب على كل من فضل معه شيء من المال إخراجه لاحتياج غيره اليه فلما
فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة كبر
ذلك على المسلمين فقال عمر أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يابني الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ان الله لم
يفرض الزكاة الا تطيب ما بقي من أموالكم وانما فرض الموارث لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر ثم قال
له الا أخبرك بخير ما يكثر المرأة الصالحة اذا نظرت اليها سرتة وادامتها اطاعته واذا غاب عنها حافظته
أخرجه أبو داود عن ثوبان قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله كأمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه أنزلت في الذهب والفضة فلو عامنا أي
المال خير اتخذناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضله لسان ذا كرو قلب شا كرو زوجة صالحة
تعين المؤمن على إيمانه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه الأقوال القول الأول وهو
ما ذكرناه عن ابن عمر ان كل مال أديت زكاته فليس يكثر ولا يجرم على صاحبه ا كتنازه وان كثروا ن كل
مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب عليه وان قل اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة الوعيد
من الله الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفو وغفرانه ويبدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له
صفائح من نار فاحمى اعيانها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجنبه وظهره كلما ردت أعيدت له في يوم كان
مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار قيل يا رسول الله
فالا بل قال ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها ومن حقها حلها يوم ورودها الا اذا كان يوم القيامة بطح
لها بقاع قرقر أو فرما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه باخفافها وتعصمها بافواها كلما مر عليه وألاها
رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى
النار قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا اذا كان يوم القيامة بطح لها
بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ليس فيها عصاء ولا جحاء ولا عضاء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر
عليه وألاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى
الجنة واما الى النار أخرجه مسلم بزادة فيه قوله كلما ردت أعيدت له هكذا هو في بعض نسخ صحيح مسلم ردت
بضم الراء وفي بعضها بردت بالياء وهذاهو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلها هو بفتح
للأم على المشهور وحكى اسكانها وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوى من الارض الواسع الاملس
والعصاء هي الشاة المتتوية القرنين وانما استثنائها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجحاء وهي الشاة التي لا قرن
لها وكذا العضاء وهي الشاة المكسورة القرن (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاعا قرع له زيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ به زمتيه يعني
شديقه ثم يقول أنا مالك أنا كنتك ثم تلا قوله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خير ا لهم الآية الشجاع الحية والافرع صفة له بطول العمر لان من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة
أخبت الحيات والزيبتان هما الذبدنان في الشدقين والهمزتان عظامان ناتئتان في اللحيين تحت الاذنين
وقوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله) يعني ولا يؤدون زكاتها وانما قال ولا ينفقونها ولم يقل ينفقونها
لانه رد الكفاية الى المال المكتوز وهي أعيان الذهب والفضة وقيل رد الكفاية الى الفضة لانها أغلب أموال
الناس (فبشرهم بعذاب أليم) يعني الكافرين الذين لا يؤدون زكاة أموالهم (ق) عن أبي ذر قال انتهيت
الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فمارأى قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال جئت

(ولا ينفقونها في سبيل الله)

الضمير راجع الى المعنى لان

كل واحد منها دنانير ودرهم

فهو كقوله وان طائفتان

من المؤمنين اقتتلوا وأريد

الكتنوز والاموال أو معناه

ولا ينفقونها والذهب كما أن

معنى قوله

فاني وقيارها الفسرب

وقيار كذلك وخصا بالذكر

من بين سائر الاموال لانها

قانون القبول وأثمان الاشياء

وذكر كنهها دليل على

ماسواهما (فبشرهم

بعذاب أليم) ومعنى قوله

يوم يحمى النار عليها فتما
 حذفت النار قيل يحمى
 لا انتقال الاسناد عن النار
 الى عاها كما تقول رفعت
 القصة الى الامير فان لم تذكر
 القصة قلت رفع الى الامير
 (فتكوى بها جباههم -
 وجنوبهم - وظهورهم)
 وخصت هذه الاعضاء لانها
 كانوا اذا ابصروا التقير
 عيسوا واذا صدمهم واياه
 مجلس ازوروا عنه وتولوا
 باركانهم وولوه ظهورهم
 أو معناه يكوون على
 الجهات الاربع مقاديرهم
 وما خبرهم وجنوبهم -
 (هذا ما كنتم لانفسكم)
 يقال لهم هذا ما كنتموه
 اتمتع به نفوسكم وما علمتم
 انكم كنتموه لتستضربه
 انفسكم وهو توبيخ
 (فدقوا ما كنتم تكفرون)
 أي وبال المال الذي كنتم
 تكفرونه أو وبال كونكم
 كافرين (ان عدة الشهور
 عند الله اثنا عشر شهرا)
 من غير زيادة والمراد بيان
 ان أحكام الشرع اتبنت على
 اشهور القمرية المحسوبة
 بالاهلة دون الشمسية (في
 كتاب) الله فيها اثبته وأوجبه
 من حكمه وفي الموضع (يوم
 خلق السموات والارض
 أربعة ايام) ثلاثة
 سرذوا فعدوا فعدوا عند
 القتال وذو الحجة بالبحر
 من يوم قتال ذي

حتى جات فلم أنقار حتى قت فقات يا رسول الله فالك أبي وأمي من هم قال هم الا كثرون أموال الامن قال
 هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقيل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقرو ولا
 غنم لا يؤدى زكاتها الا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه تنطحه بقره وهاو نطوه باظلافها كلما نفدت
 آخرها عادت عليه أو لاها حتى يقضى بين الناس هذا اللفظ مسلم وفرقه البخارى في موضعين ﴿ وقوله تعالى
 (يوم يحمى عليها) يعني على الكنوز فتدخل النار فيوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة (في نار جهنم
 فتكوى بها جباههم) يعني بالكنوز جباه كائزها (وجنوبهم وظهورهم) قال ابن عباس لا يوضع دينار
 على دينار ولا درهم ولا درهم يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم في موضع على حدته قال بعض العلماء انما
 خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر الاعضاء لان الغني صاحب المال اذا أتاه السائل فطالب منه شيئا تبدر
 منه آثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقطب وجهه ويكالح وتجمع أسارير وجهه فيتجمع جبينه ثم ان كرر
 السائل الطلب نأى بجانبه عنه ومال عن جهته وتركه جانبا ثم ان كرر الطلب وألح في السؤال ولاده ظهره
 واعرض عنه واستقبل جهة أخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية الاعطاء والبذل
 وهذا دأب مانعي البر والاحسان وعادة البغلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة بالكي يوم القيامة ﴿ وقوله
 سبحانه وتعالى (هذا ما كنتم لانفسكم) أي يقال لهم ذلك يوم القيامة (فدقوا ما كنتم تكفرون) أي
 فدقوا عذاب ما كنتم في الدنيا من الاموال ومنعمت حق الله منها (ق) عن الاحنف بن قيس قال قدمت
 المدينة فينأى في حاققة فيها ملا من قريش اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم
 فقال بشر الكافرين برضف يحمى عليهم في نار جهنم فيوضع على حافة ندى أحدهم حتى يخرج من غض
 كتفيه ويوضع على غض كتفيه حتى يخرج من حامة نديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فآرايت أحدا
 منهم يرجع اليه شيئا قال فادبر فابتعته حتى جالس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم
 فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيئا هذا اللفظ مسلم وفيه زيادة لم أذكرها وزاد البخارى ١ قلت من هذا قالوا
 أبو ذر قال فقلت اليه فقلت ما شئ سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الاشياء سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم
 ﴿ قوله عز وجل (ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا) هي المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر
 وجادى الاول وجادى الآخر ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة
 القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم
 ومواقيت حجهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم وأيام هذه الشهور ثلثاثة وخمسة وخمسون يوما والسنة
 الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة مائة وهي ثلثمائة وخمسة وستون يوما ربع يوم فتتقص
 السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة أيام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الحج والصوم
 تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الآية من أجل النسيء الذي كانت العرب
 تفعله في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقتهم وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم
 الله عز وجل ان عدة شهور سنة المسلمين التي يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو
 قوله تبارك وتعالى ان عدة الشهور عند الله يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا (في كتاب الله) يعني في اللوح
 المحفوظ الذي كتب الله فيه جميع أحوال الخلق وما يؤتون وما يذرون وقيل أراد بكتاب الله القرآن لان فيه
 آيات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل أراد بكتاب الله الحكم الذي أوجبه وأمر عباده بالاخذه (يوم
 خلق السموات والارض) يعني أن هذا الحكم حكمه وقضاه يوم خلق السموات والارض أن السنة اثنا عشر
 شهرا (منها) يعني من الشهور (أربعة حرم) وهي رجب فرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متواليه
 وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان أحدهم لقي قاتل أبيه

وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهجه ولم اجاء الاسلام لم يرد لها الا حرمة وتعظيم لان الحسنات والطاعات فيها تضاعف وكذلك السيئات أيضاً أشد من غيرها فلا يجوز انتهاك حرمة الأشهر الحرم (ذلك الدين القيم) يعني ذلك الحساب المستقيم والعدل الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل أراد بالدين القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعددي صوبهم ونجهم وأعيادهم وبياعاتهم وأجل ديونهم وغير ذلك من سائر أحكام المسلمين المرتبة على الشهور (ق) عن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذوالحجة والمحرم وربح مضر الذي بين جمادى وشعبان أي شهر هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه فقال أليس ذا الحجة قلنا بلى قال أي بلدنا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس البلد الحرام قلنا بلى قال فأى يوم هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال أليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا واستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الألف لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ألابيلغ الشاهد الغائب فلعن بعض من يباغ عن أي شيء يكون أو عي على من بعض من سمعه ثم قال ألهل بلغت الأهل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الأشهر أي لا تظلموا أنفسكم في جميع أشهر السنة بفساد المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان من الاقدام على المعاصي والفساد مطاقاً في جميع الاوقات الى المعاصي وقيل ان الكناية ترجع الى الأشهر الحرم وهو قول أكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح أعظم أجر في الأشهر الحرم والظلم فيهن أعظم منه في ما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيماً وقال ابن عباس لا تظلموا فيهن أنفسكم يريد استحلال الحرم والغارة فيهن وقال محمد بن اسحق بن يسار لا تجعوا حلالها حراماً ولا حرامها حلالاً كفعل أهل الشرك وهو النسيء وقيل ان النفس مجبولة بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس لاجرم ان الله خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتتع الانسان في تلك الاوقات من فعل الظلم والقبايح والمنكرات فربما تركها في باقي الاوقات فتصير هذه الاوقات الشريفة والأشهر الحرم المعظمة سبباً لترك الظلم وفعل المعاصي في غيرها من الأشهر فهنا وجه الحكمة في تخصيص بعض الأشهر دون بعض بمزيد التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة أيضاً وقوله سبحانه وتعالى (وقالوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) يعني قاتلوا المشركين باجمعهم مجتمعين على قتالهم كما أنهم يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وناصروا على قتالهم ولا تتخاذلوا ولا تتدبروا ولا تفتشوا ولا تتجنبوا عن قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة أعدائكم من المشركين واختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم فقال قوم كان كبيراً حراماً ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة يعني في الأشهر الحرم وفي غيرها وهذا قول قتادة وعطاء الخراساني والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزاها وزن بخين وثمة فبالطائف وحاصرهم في شوال وبعض ذى القعدة وقال آخرون انه غير منسوخ قال ابن حريج حلف بالله عطاء بن أبي رباح ما يجعل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها (واعلموا ان الله مع المتقين) يعني بالنصر والمعونة على أعدائهم قوله سبحانه وتعالى (انما النسيء زيادة في الكفر) النسيء في اللغة عبارة عن التأخير في الوقت ومنه النسب في البيع ومعنى النسيء المذكور في الآية هو تأخير شهر حرام الى شهر آخر وذلك ان العرب في الجاهلية كانت تعتقد حرمة

واحد فرد وهو رجب
 لترجيبي العرب اياه أي
 لتعظيمه (ذلك الدين القيم)
 أي الدين المستقيم لا ما يفعله
 أهل الجاهلية يعني أن
 تحريم الاربعه الأشهر
 هو الدين المستقيم ودين
 ابراهيم واسماعيل وكانت
 العرب تمسكت به فكانوا
 يعظمونها ويحرمون القتال
 فيها حتى أحدثت النسيء
 ففقدوا (فلا تظلموا
 فيهن) في الحرم أو في
 الاثني عشر (أنفسكم)
 بارتكاب المعاصي (وقاتلوا
 المشركين كافة) حال من
 الفاعل والمفعول (كما
 يقاتلونكم كافة) جميعاً
 (واعلموا ان الله مع المتقين)
 أي ناصر لهم حتى تم على
 التقوى بضمان النصرة
 لاهلها (انما النسيء)
 بالهزمة مصدر نساء اذا
 أخره وهو تأخير حرمة
 الشهر الى شهر آخر وذلك
 أنهم كانوا أصحاب حروب
 وغارات فاذا جاء الشهر
 الحرام وهم محاربون شق
 عليهم ترك المحاربة فيحلونه
 ويحرمون مكانه شهر آخر
 حتى رفضوا وتخصيص الأشهر
 الحرم بالتحريم فكانوا
 يحرمون من بين شهور العام
 أربعة أشهر (زيادة في
 الكفر) أي هذا الفعل
 منهم زيادة في كفرهم

الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكانت عامة معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر متواليه وور بما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخير حروبهم الى الاشهر الحلال ففسوا يعني آخر وأخبرهم شهر الى شهر آخر فكانوا يؤخرون نحرهم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا الى تأخير نحرهم صفر آخر وه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يؤخرون شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذا باقي شهور السنة فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق نحر شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمضى وأعلمهم ان أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض الحديث المتقدم وأمرهم بالمحافظة على ذلك لئلا يتبدل في مستأنف الايام واختالفوا في أول من نسا النسيء فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد أول من نسا النسيء بنو مالك بن كنانة وكان يليه جنادة بن عوف بن أمية السكاني وقال الكلابي أول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن نعلبة وكان يقوم على الناس في الموسم فاذا هم الناس باصدر قام يخطب الناس فيقول لامر دما قضيت أنا الذي لأعاب ولا أجاب فيقول له المشركون ابيك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار وزعوا الاسنة والازجة من الرماح وان قال حلال عقدوا اوتار القسي وركبوا الاسنة في الرماح وأغاروا وكان من بعد نعيم بن نعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو رجل من بني كنانة يقال له القامس قال شاعرهم * وفي ناسي الشهر القامس * وكانوا يفعلون ذلك اذا اجتمعت العرب في الموسم وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس ان أول من سـن النسيء عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف والذي صح من حديث أبي هريرة وعائشة ان عمرو بن لحي أول من سبب السوائب وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا ما ورد في تفسير النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء عز زيادة في الكفر يعني زيادة كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم أمروا بايقاع كل فعل في وقته من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة أخره الى وقت آخر بسبب ذلك النسيء فوافقوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك الفعل زيادة في كفرهم (يُضَلُّ به الذين كفروا) قرئ يضل بفتح الياء وكسر الضاد ومعناه يضل بالنسيء الذين كفروا وقرئ يضل بضم الياء وفتح الضاد ومعناه ان كبارهم أضلواهم وحلواهم عليه وقرئ يضل به الذين كفروا بضم الياء وكسر الضاد ومعناه يضل الله به الذين كفروا أو يضل به الشيطان الذين كفروا يتزين بذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا تابيعهم والآخذين بافعالهم وهذا الوجه أقوى الوجهين في تفسير قراءة من قرأ يضل بضم الياء وكسر الضاد (يُحَلُّونَهُ عاماً ويحرمونه عاماً) يعني يحلون ذلك النساء عاماً ويحرمونه عاماً والمعنى يحلون الشهر المحرم عاماً فيجعلونه حلالاً لا يغير وافيهِ ويحرمونه عاماً فيجعلونه محرماً لا يغيرون فيه (ليواطوا) يعني ليوافقوا (عدة ما حرم الله) يعني أنهم ما حلوا شهر من المحرم الا حرموا شهره من الحلال ولم يحرموا شهره من الحلال الا حلوا مكانه شهر من الحرام لاجل أن يكون عدد الاشهر الحرم أربعة كما حرم الله فيكون ذلك موافقة في العدد لافي الحكم كذلك قوله سبحانه وتعالى (فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل

(يضل) كوفي غير أبي بكر
(به الذين كفروا) بالنسيء
والضمير في (يحلونه عاماً)
ويحرمونه عاماً) للنسيء
أى اذا أحلوا شهرها من
الاشهر الحرم عاماً رجعوا
خـرموه في العام التالي
(ايواطوا عدة ما حرم
الله) ليوافقوا العدة التي
هي الاربعة ولا يخالفوها
وقد خالفوا التخصيص
الذي هو أحد الواجبين
واللام تتعاقب فيحصلونه
ويحرمونه أو يبيحرمونه
فحسب وهو الظاهر
(فيحلوا ما حرم الله) أى
فيحلوا بما وطأه العدة
وحدها من غير تخصيص
ما حرم الله من القتال
أو من ترك الاختصاص
للاشهر بعينها (زين لهم
سوء أعمالهم) زين
الشيطان لهم ذلك فحسبوا
أعمالهم القبيحة حسنة

(والله لا يهدي القوم الكافرين) حال اختيبارهم الثبات على الباطل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم اتفروا) اخرجوا (في سبيل الله) اتفقتم وهو أصله الآن التاء أدغمت في التاء فصارت تاء ساكنة (٢٣٩) فدخلت ألف الوصل لتلايتدا بالساكن أي

تباطأتم (الى الارض ضمن معنى الميل والاخلاق) فعدى بالى أى ما تم الى الدنيا وشبهوايتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعه أى ملتتم الى الإقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك استنقروا فى وقت عسرة وخطف وقبض مع بعد الشقة وكثرة العدو وفشق عليهم ذلك وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه في غزوة الاورى عنها نغيرها الا فى غزوة تبوك استعد الناس تمام العدة (أرضيتهم بالحياة الدنيا من (الآخر) بدل الآخرة) فمتاع الحياة الدنيا فى جنب الآخرة (الاقبيل الاتفروا) الى الحرب (يعذبكم عذابا أليما) يستبدل قومًا غيركم ولا تضروه شيئاً) عظيماً على المتقاتلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه ما كرههم ويستبدل بهم قومًا آخرين خير منهم وأطوع وأنه غنى عنهم فى نصرته لا يقدر على شئ، وقيل الضمير راجع الى الله تعالى (والله على كل شئ قدير) وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنقروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل (الآن تصروه فقد نصره الله) يعنى الاتنصروا محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب ابن

(والله لا يهدي القوم الكافرين) يعنى أنه سبحانه وتعالى لا يرشد من هو كافر أيهم لما سبق له فى الازل انه من أهل النار قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم اتفروا فى سبيل الله اتفقتم الى الارض) نزلت هذه الآية فى الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وكان ذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد واستقبل سفره بعد ما فاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم بما أتوا بهوا أهبة عدوهم ففشق عليهم الخروج ونشاقلوا فانزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم يعنى قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اتفروا فى سبيل الله أى اخرجوا الى الجهاد يقال استنقرو الامام الناس اذا حنهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واذا استنقروم فانفروا والاسم التنقير اتفقتم أى تناقلمت وتباطأتم عن الخروج الى الغزوة الى الارض يعنى لزمتم أرضكم ومساكنكم وانما استنقل ذلك الغزو وشدة الزمان وضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك ثمار المذنبنة وطيب ظلالها وكان العدو وكثيرا فاستنقل الناس تلك الغزوة فعاتبهم الله تعالى بقوله (أرضيتهم بالحياة الدنيا من الآخرة) يعنى أرضيتهم بخفض العيش وزهرة الدنيا ودعتهم من نعيم الآخرة (فمتاع الحياة الدنيا فى الآخرة الاقبيل) يعنى ان لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينقد عن قليل ونعيم الآخرة باق على الابد فلهدا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الآخرة وفى الآية دليل على وجوب الجهاد فى كل حال وفى كل وقت لان الله سبحانه وتعالى نص على ان تناقلمهم عن الجهاد أمر منكروا فلم يكن الجهاد واجبا لعاتبهم على ذلك التناقيل ويؤكده هذا الوعيد المذكور الآية الآية وهى قوله تعالى (الآن تنفروا) يعنى ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى ما استنقروكم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه (يعذبكم عذابا أليما) يعنى فى الآخرة لان العذاب الليم لا يكون الا فى الآخرة وقيل ان المراد به احتباس المطر فى الدنيا قال نوح بن نفع سألت ابن عباس عن هذه الآية فقال استنقرو رسول الله صلى الله عليه وسلم حيامن أحياء العرب فتنافلوا فامسك الله تعالى عنهم المطر فكان ذلك عذابهم (ويستبدل قومًا غيركم) يعنى خير منكم وأطوع قال سعيد بن جبيرة بن عبد فارس وقيل هم أهل اليمن نبيه سبحانه وتعالى على أنه قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه فان سارعوا معه الى الخروج الى حيث استنقروا حصلت النصره بهم ووقع أجرهم على الله عز وجل وان تناقلموا وتخلفوا عنه حصلت النصره بغيرهم وحصل العتبي لهم لتلايتوهموا ان اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل الا بهم وهو قوله تعالى (ولا تضروه شيئاً) قيل الضمير راجع الى الله تعالى يعنى ولا تضروا الله شيئاً لانه غنى عن العالمين وانما تضرون أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى ولا تضروا محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً فان الله ناصره على أعدائه ولا يتخذ له (والله على كل شئ قدير) يعنى انه تعالى قادر على كل شئ فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لانها خطاب لقوم استنقروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس وعلى هذا التقدير فلا نسخ قوله عز وجل (الآن تصروه فقد نصره الله) يعنى الاتنصروا محمد صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب ابن

بنصره ووعده كائن لا محالة (والله على كل شئ) من التبديل والتعذيب بغيرهما (قديرا الاتنصروه فقد نصره الله) الاتنصروه فبنصره من نصره حين لم يكن معه الرجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره فى المستقبل كما نصره فى ذلك الوقت

تثاقل عن الخروج معه الى تبوك فاعلم الله عز وجل انه هو المتكفل بنصر رسوله صلى الله عليه وسلم واعزاز دينه واعلاء كرامته اغانوا ولم يعينوه وانه قد نصره عند قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد (اذ اخرجوا الذين كفروا) يعني انه تعالى نصره في الوقت الذي اخرج فيه كفار مكة من مكة حين مكر وابه واراد وقتله (ثاني اثنين) يعني هو واحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر (اذ هما في الغار) يعني اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار نقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة (اذ يقول صاحبه لا تخزن) يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر الصديق لا تخزن وذلك ان ابا بكر خاف من الطلب ان يعلموا بكما هم يفرغ من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تخزن (ان الله معنا) يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الارض جميعا في هذه الآية غير ابي بكر وقال الحسن بن الفضل من قال ان ابا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة اذا انكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر انت صاحبني على الحوض وصاحبني في الغار اخرجته الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن ابي بكر الصديق قال نظرت الى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤسنا فقلت يا رسول الله لو ان أحدهم نظر الى قدميه أبصر ناحت قدميه فقال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله سبحانه وتعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لابي بكر وهي من أجل مناقبه والنضالة من أوجه منها اللفظ الدال على ان الله ثالثهما ومنها بذله نفسه ومفارقة أهله وماله وورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية عنه وغير ذلك روى عن عمر بن الخطاب انه ذكر عنده أبو بكر فقال وددت ان عملي كما عملة يوم واحد من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار فمما انتهى اليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكفنته ووجدني بجانبه تقبافشقي ازاره وسد هابه وبقى منها ثقبان فاقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الحجر ولم يتحرك مخافة ان ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ابا بكر فقال لدغت فذاك ابي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم اتقص عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لومنعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقات يا خليفة رسول الله تاف الناس وارق بهم فقال لي أجباني في الجاهلية خوار في الاسلام انه قد انقطع الوحي وتم الدين أينما نص وأنا حي اخرجته في جامع الاصول ولم يرقم عليه علامة لاحد قال البغوي وروى انه حين انطاق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشي بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر فقال اذكر الطيب فامشي خلفك واذ كر الرصد فامشي بين يديك فلما انتهى الى الغار قال مالك يا رسول الله حتى استبرأ الغار فدخل فاستبرأ ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له ان اقتل فانار رجل واحد من المسلمين وان قتلت هلكت الامة

بذ كرسياق حديث الهجرة وهو من أفراد البخاري

عن عائشة قالت لم أعقل أبوي قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر عليهما يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طر في النهار بكرة وعش. يا فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى اذا بلغ برك

(اذ اخرجوا الذين كفروا) أسند الاخراج الى الكفار لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه (ثاني اثنين) أحد اثنين كقول ثالثة ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر واتصبا به على الحال (اذ هما) بدل من اذ اخرجته (في الغار) هو نقب في أعلى ثور وهو جبل في بمكة على مسيرة ساعة مكنا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان (صاحبه) لا تخزن ان الله معنا بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حامتين فباضتا في أسفله والغنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فعملوا يترددون حول الغار ولا يفتنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقولوا من أنكر محبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة

العماد اقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال ابن ترد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسبح في
الارض فأعبد ربى فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم
وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نواب الحق فانالك جار فارجع واعيدر بك بيلدك فرجع وارتحل
معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة عشية في أشرف قر يش فقال لهم ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج
أنخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نواب الحق فلم
تكذب قر يش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فانفذت قر يش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة
مر أبا بكر فليعبد ربك في داره وليصل فيها وليقرأ ماشاء ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به فاننا نخشى ان يفتن
نساءنا وبنائنا فقال ذلك ابن الدغنة لابي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربك في داره ولا يستعلن بصلاته
ولا يقرأ في غير داره ثم بد الابي بكر فابنتي مسجدا ببناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذ
عليه نساء المشركين وأبناءؤهم وهم يحبون منه وينظرون اليه وكان أبو بكر رجلا بلاء لا يملك عينيه اذا
قرأ القرآن فافزع ذلك أشرف قر يش من المشركين فأسالوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا
أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربك في داره فقد جاوز ذلك فابنتي مسجدا ببناء داره فاعلن بالصلاة
والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وبنائنا فانهم أحب أن يقتصر على أن يعبد ربك في داره فعل
وان أبي الآن يعلن بذلك فسله أن يرديك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لابي بكر
الاستعلان قالت عائشة فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر فقال قد علمت الذي عاهدت لك عليه فاما أن تقتصر على
ذلك واما أن ترجع الى ذمتي فأتى لأحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له فقال أبو بكر فأتى
أردالك جوارك وأرضى بجوار الله والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بكه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
للمسلمين اني رأيت داره هجرتكم سبعة ذات نخل بين لابتي وهما الخرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة
ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز أبو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
على رسلك فأتى أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك باي أنت وأمي قال نعم خبس أبو بكر نفسه
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعاف راحلتين كاتتا عنده من ورق السمرو وهو الخبط أربعة
أشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن جلوس يوماني بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل
هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم متفعا في ساعة لم يكن ياتين فيها فقال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء به
في هذه الساعة الا أمر قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك باي أنت وأمي يا رسول الله قال فأتى قد أذن
لي في الخروج قال أبو بكر الصحبة باي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال أبو
بكر فذهب باي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتى هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باليمن قالت عائشة
فجهزناهما أحت الجهاز وصنعناهما مسفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به
فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بفار في جبل ثور
فكمنافيه ثلاث ايام ليبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج من عندهما
بسحر فيصبح مع قر يش بكه كيات فلا يسمع أمر ايكاد ان به الاوعاه حتى ياتهم ما يخبر ذلك حين يتخطا
الظلام ويرعى عليهم ما عاصر من فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهم ما حتى تذهب ساعة من
العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عاصر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث
واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدى هادي خريتا
واخر يت الماهر بالهداية قد غمس حلقا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قر يش فامناه

فدفعاليه راحلتهما وواعداه غارثور بعد ثلاث ليال فاتا عماصبح ثلاث فارتحلا وانطلق معه ما عمر بن
فهيرة والدليل الذي فاخذ بهم طريق السواحل وفي رواية طريق الساحل قال ابن شهاب فاخذ به بنى عبد
الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم ان ابادا خبره انه سمع سراقه بن مالك بن
جعشم يقول جاء نارسول كفار فر يش بجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دية كل واحد
منهم المني قتله أو أسره فبينما ما جالس في مجلس من مجالس قومي بنى مدح أقبل رجل منهم حتى قام علينا
ونحن جلوس فقال يا سراقه اني قد رأيت آنفاء سودة بالساحل أراها محمد أو أصحابه قال سراقه فعرفت أنهم
هم فقلت له انهم ايسوا بهم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا يتبعون ضالة لهم ثم ابشت في المجلس
ساعة ثم قلت فدخلت فاصرت جار بنى أن تخرج بفرسي وهي من وراء الكفة فتحبسها على وأخذت رمحي
نخرجت به من ظهر البيت فخطت بزجه الارض وخفضت عاليه حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي
حتى دنوت منهم فعثرت في فرسي فخررت عنها فقممت وأهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازالام
فاستقسمت بها أضرهم أم لا فخرج الذي أكره فركبت فرسي وعصيت الازالام تقرب بي حتى اذا سمعت
قراء قر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يد فرسي في الارض حتى
بلغنا الركبتيين فخررت عنهما ثم زجرتها فنهضت فلم تكذب فخرج يديها فلما استوت قائمة اذ لاثر يديها عشان
ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازالام فخرج الذي أكره فناديهم بالايمان فوقفوا فركبت فرسي
حتى جثتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك لدية وأخبرتهم اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم
يرزأ في ولم يسألني الا أن قالوا اخف عنا ما استطعت فساءلت أن يكتب لي كتاب من فامر عامر بن فهيرة
فكتب في رقعة من أديم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب فاخبر في عروة بن الزبير ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجار اقافين من الشام فكسا الزبير
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة يخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مكة فكانوا يغدون كل غداة الى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حرا الظهيرة فانقلبوا يوم بعد ما طالوا
انتظارهم فلما ادوا الى بيوتهم وفي رجل من يهود على ظهر أطم من أطامهم لامر ينظر اليه فبصر برسول
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بيضين يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا منشر العرب
هذا جدكم الذي تنتظرونه قال فنار المسلمون الى السلاح فنلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة
فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر
للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحيى أبا بكر حتى اصابته الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر حتى ظلل عليه
برداه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنى عمرو
ابن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ركب راحلته فسار يمضى مع الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يصلى
فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مر بد اللهم لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغلامين فسأواهما بالمر بدلية فخذنه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في
بنيانه ويقول هذا الجمال لاجل خير • هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول اللهم ان الاجر اجر الآخرة فارحم الانصار والمهاجرة فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا البيت أخرجه البخارى بطوله * شرح غريب ألفاظ الحديث قولها لم أعقل أبوى الا وهما يدينان الدين يعنى أنهما كانا يتقادان الى الطاعة وبرك النعماد بفتح الباء من برك وكسر العين المجمة اسم موضع بينه وبين مكة خمس ليال مما يلي ساحل البحر الى المدينة من بلاد غفار وقيل هو قليب ماء ابني نعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما انه لقوة سعدة وحظه من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شئ حتى المعدوم الذى يتعذر كسبه على غيره والقول الثانى انه يملك الشئ المعدوم المتعذر ان لا يقدر عليه فقيهه وصفه بالاحسان والكرم والسكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الارحام والقيام بأمر العيال واقراء الضيف ونواب الحق ما ينوب الانسان من المغارم وقضاء الحقوق لمن يقصده أنالك جارأى حام وناصر ومدافع عنك والاستعلان والاعلان اظهار الخفى وقوله فينذف النساء عليه يعنى يزدجن عليه والذمة العهد والامان واخفاره ناقضها والابة الجبل والحررة الارض التى تعلوها حجارة سود يقال افعل الشئ على رسلك بكسر الراء أى على هيفتك والراحلة البعير القوي على الجمل والسير والظهيره وقت شدة الحر والنطاق جبل أو نحوه تشدبه المرأة وسطها وترفع ثوبها من تحته فتعطف طرفا من أعلاه الى أسفله لئلا يصل الى الارض وقولها تقف اذن يقال تقف الرجل ثقافة اذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع الفهم والادلاج بتخفيف الدال سير أول الليل وبتشديد هاء سير آخره والمنحة الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين هو اللبن يقال نعق الراعى بالغنم اذا دعاهما لتجتمع اليه والغلس ظلام آخر الليل والخريت تقدم شرحه فى الحديث وهو الماهر بالهداية وأراد به هداية الطريق فهو الدليل وقد غمست حلقا يقال غمست فلان حلقا فى آل فلان اذا أخذ بنصيب من عهدهم وحلفهم والاسودة الاشخاص والاكمة التسل المرتفع من الارض يقال قرب الفرس يقرب تقر بيا اذا عدادون الاسراع والكنانة هى الجعبة التى تجعل فيها السهام والازلام القداح التى كانوا يستسهمون بها عند طلب الخواجج كالفال والعنان الغبار يقال مارزأت فلانا شيا أى ما أصبت منه شيا والمراد أنهم لم يأخذوا منه شيا وقوله وفى أى أشرف واطلع والاطم البناء المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الياء أى هم ذو ثياب بياض والمريد الموضع يوضع فيه الثمر كالبيدر وقوله هذا الجمال هو بالحاء المهملة يعنى هذا الجمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر وأبقى ذخر أو دوم منفعة فى الآخرة لا جمال خير يعنى ما يحمل من خير من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى ان ذلك الجمل الذى نحمله من اللبن لا جعل عمارة المسجد أفضل عند الله مما يحمل من خير وقد روى هذا الجمال بالجمع من التجمل والرواية الاولى أشهر وأكثروا الله أعلم قال الزهرى لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله سبحانه وتعالى زوجا من حمام حتى باضتا فى أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل أنت يمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعمأ بصارهم فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لود خلا هذا الغار لتكسر بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت فى بعض التفاسير شعرا وقد نسب الى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو قوله

قال النسبى ولم يجزع بوقرفنى * ونحن فى سد فى ظلمة الغار

لا نخش شيا فان الله نالنا * وقد تكفل لي منه باظهار

وانما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار

والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنهى منهم الى النار

وقوله سبحانه وتعالى (فانزل الله سكينته عليه) يعنى فانزل الله الطمأنينة والسكون على رسوله محمد صلى

فانزل الله سكينته) ما أتى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون اليه (عليه) على النبي صلى الله عليه وسلم لم أو على أبى بكر لانه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب

الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك
 (فصل) في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل سيدى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه
 منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعاً على باطن أبي بكر الصديق في سره
 وإعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين الصديقين المخلصين فاختر صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها
 أن هذه الهجرة كانت باذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم لم أبابكر دون غيره من أهله
 وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على غيره ومنها أن الله سبحانه وتعالى عاب أهل
 الارض بقوله تعالى الاتنصره وقد نصره الله سوى أبي بكر الصديق وهذا دليل على فضله ومنها أن سيدنا
 أبابكر رضى الله تعالى عنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازمه وهذا
 دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مؤانسته للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار وبذل نفسه له وفي هذا
 دليل على فضله ومنها ان الله سبحانه وتعالى جعله ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله سبحانه وتعالى ثاني
 اثنين اذ هما في الغار وفي هذا نهاية الفضيلة لاني بكر رضى الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء ان أبابكر كان
 ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الاحوال ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق الى الايمان
 بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر الى الايمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير
 فآمنوا على يدى أبي بكر ثم جاهدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في
 موقف من غزواته الا و أبو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة
 فكان ثانيه ومنها انه ثانيه في تربيته صلى الله عليه وسلم وفي هذا دليل على فضل أبي بكر الصديق ومنها ان الله
 سبحانه وتعالى نص على صحبة أبي بكر دون غيره بقوله سبحانه وتعالى اذ يقول اصحابه لا نحزن ومنها ان الله
 سبحانه وتعالى كان ثالثهما ومن كان الله معه دل على فضله وشرفه على غيره ومنها انزال السكينة على أبي بكر
 واختصاصه بهادليل على فضله والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وأبده بجنود لم تروها) يعني وأبد النبي صلى
 الله عليه وسلم بانزال الملائكة ليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل ألقى الرعب في قلوب
 الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي أعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله سبحانه وتعالى انه نصره وصرف
 عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حالة القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر (وجعل كلمة الذين كفروا
 السفلى) يعني كلمة الشرك فهي سفلى الى يوم القيامة (وكلمة الله هي العليا والله عز بز حكيم) قال ابن عباس
 هي كلمة لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عابدة وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا فداها فيما
 بينهم من الكيد للنبي صلى الله عليه وسلم ليقبلوه وكلمة الله هي ما وعده من النصر والظفر بهم فكان ما وعده
 الله سبحانه وتعالى حقا وصدقاً قوله سبحانه وتعالى (انفروا خفافا وثقالا) يعني انفروا على الصفة التي يخف
 عليكم الجهاد بها وعلى الصفة التي يتقبل عليكم فيها وهذا ان الوصفان يدخل تحتها ما أقسام كثيرة فلهذا
 اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن
 عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال أبو صالح خفافا من المال يعني فقراء وثقالا
 يعني أغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لاضيعه له والثقل الذي له الضيعة بكره أن يدع ضعيفته ويروى عن
 ابن عباس قال خفافا أهل اليسرة من المال وثقالا أهل العسرة وقيل خفافا يعني من السلاح مقلين منه
 وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل أصحاء ومرضى وقيل عزابا ومتأهلين وقيل
 خفافا من الحاشية والانباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغز وساعة
 سماع النفر وثقالا يعني بعد التروى فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخله
 تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على أي حال كنتم فيهما فان قلت فعلى هذا يلزم الجهاد لكل أحد

(وأبده بجنود لم تروها) هم
 الملائكة صرفوا وجوه
 الكفار وأبصارهم عن أن
 يروه وأبده بالملائكة يوم
 بدر والاحزاب وحنين
 (وجعل كلمة الذين
 كفروا) أي دعوتهم الى
 الكفر (السفلى وكلمة
 الله) دعوته الى الاسلام
 (هي) فصل (العليا)
 وكلمة الله بالنصب يعقوب
 بالعطف والرفع على
 الاستئناف أوجه اذهي
 لم تنزل كانت عالية (والله
 عز بز) يعز بنصره أهل
 كلمته (حكيم) بذل أهل
 الشرك بحكمته (انفروا
 خفافا) في النصور
 لنشاطكم له (وثقالا) عنه
 لمشقة عليكم أو خفافا لقله
 عيالكم وثقالا أكثرتها
 أو خفافا من السلاح وثقالا
 منه أو ركبانا ومشاة أو
 شبابا وشيوخا أو مهازيل
 وسبانا أو صحاحا ومرضا

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فبادروا اليه ونزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر أى لو كان (٢٤٥) مادعوا اليه مغنا (قريبا) سهل المأخذ

(وسفرا قاصدا) وسطا
مقاربا والقاصد والقصد
المعتدل (لاتبعوك)
لوافقوك في الخروج
(ولكن بعدت عليهم
الشقة) المسافة الشاقة
(وسيحلفون بالله
لو استطعنا لخرجنا معكم)
من دلائل النبوة لانه أخبر
بما سيكون بعد القبول
فقالوا كما أخبروا بالله
متعلق بسيحلفون أو
هو من جملة كلامهم والقول
مراد في الوجهين أى
سيحلفون يعنى المتخلفين
عند رجوعك من غزوة
تبوك معتذرين يقولون
بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
أو سيحلفون بالله يقولون
لو استطعنا وقوله لخرجنا
سد مسد جوابي القسم ولو
جميعا ومعنى الاستطاعة
استطاعة العدة أو استطاعة
الابدان كأنهم تمارضوا
(بهلكون أنفسهم) بدل
من سيحلفون أو حال منه
أى مهلكين والمعنى أنهم
بهلكونها بالخلف
الكاذب أو حال من لخرجنا
أى لخرجنا معكم وان
أهلكا أنفسنا وألقيناها

حتى المرض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فامعنى هذا الامر قلت من العلماء من جملة على الوجوب
ثم انه نسخ قال ابن عباس نسخت هذه الآية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية وقال السدى
نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية ومنهم من جعل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان ابا
أيوب الانصارى شهد بدر والمجاهد كالمجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخاف عن غزوة غزاها المسلمون
بعده فقليل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفر واخفاوا وقالوا لا نجدنى الا خفيفا أو ثقيلًا وقال
الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقليل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله
الخفيف والثقل فان لم يكنى الحرب كثرت السواد أو حفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو وكنت والياعلى
حصص فقلت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على رحلته يريد الغزوة فقلت يا عم أنت معذور
عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقا الا لانه من محبة يتتليه والصحيح هو القول
الاول انها منسوخة وأن الجهاد من فروض الكفريات ويدل عليه ان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك
وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزاة النساء وبعض الرجال فدل ذلك على ان الجهاد
من فروض الكفريات ليس على الاعيان والله أعلم وقوله سبحانه وتعالى (وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله) فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس
سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثانى ان من كان له مال وهو مريض أو مقعد
أو ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بما له بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو وبماله فيكون مجاهدا
بماله دون نفسه (ذلكم) يعنى ذلكم الجهاد (خير لكم) يعنى من القعود والتناقل عنه وقيل معناه ان الجهاد
خير حاصل لكم نوابه (ان كنتم تعلمون) يعنى ان نواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين
الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قوله عز وجل (لو كان عرضا قريبا) فيه
اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعنى غنيمة سهلة قرب بينه التناول والعرض ما عرض لك من منافع
الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر يا كل منه البر والفاجر (وسفرا قاصدا) يعنى سهلا قريبا
(لاتبعوك) يعنى لخرجوا معك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أى المسافة والشقة السفر البعيد لانه يشق
على الانسان سلكها ومعنى الآية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة والسفر قاصدا لاتبعوك طمعانى تلك
المنافع التى تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزور الروم لاجرم انهم تخلفوا لهذا
السبب ثم أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم انه اذا رجع النبي عليه السلام من هذا الجهاد يحلفون بالله وهو
قوله تعالى (وسيحلفون بالله) يعنى المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة
(لو استطعنا لخرجنا معكم) يعنى الى هذه الغزوة (بهلكون أنفسهم) يعنى بسبب هذه الابدان الكاذبة
والنفاق وفيه دليل على ان الأيمان الكاذبة تهلك صاحبها (والله يعلم انهم لكانذبون) يعنى في ايمانهم وهو
قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل (عفا الله عنك لم أذنت لهم)
قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عتاب الله به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أى في اذنه لمن أذن له في
التخلف عنه من المنافقين حين تبوك لغزور الروم والمعنى عفا الله عنك يا محمد ما كان منك في اذنتك
لهؤلاء المنافقين استأذنتك في ترك الخروج معك الى تبوك قال عمرو بن ميمون الاودى اثنتان فعلمها

في النهلكة بما نحمها على المسير في تلك الشقة (والله يعلم انهم لكانذبون) فيما يقولون (عفا الله عنك) كناية عن الزلة لان العفو مرادف لها
وهو من لطف العتاب بتصدير العفو في الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الانبياء عليهم السلام حيث لم يذكروا له سائر الانبياء عليهم السلام
(لم أذنت لهم) بيان لما كفى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزوة حين استأذنتك واعتلوا لك بعلمهم وهلا استأذنت بالاذن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بشئ فيهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من أسارى بدر فعاتبه الله كما
تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظر والى هذا اللطف بدأه بالعفو قبل أن يعيره بالذنب
﴿فصل﴾ استدل بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء وبيانه من وجهين أحدهما انه
سبحانه وتعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقه الذنب الوجه الثاني انه سبحانه وتعالى قال لم أذنت
لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول اننا لانسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك بوجوب صدور
الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل اغبره اذا كان معظماله عفا
الله عنك ما صنعت في أمرى رضى الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك كل هذه الالفاظ في
ابتداء الكلام وافتتاحه تدل على تعظيم المخاطب به قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل
عفا الله عنك الاحزمة * تعود بفضلك ان أبعد * ألم تر عبادا عدا طوره
ومولى عفا ورشيد اهدى * أقلنى أقالك من لم يزل * يقبل ويصرف عنك الردى
والجواب عن الثاني أنه لا يجوز أن يكون المراد بقوله لم أذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما أن يكون قد صدر
عنه ذنب في هذه الواقعة أو لافان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو ليليق فقوله عفا الله عنك
يدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل أن يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر عنه ذنب
امتنع الانكار عليه فثبت بهذا ان الانكار يمتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه
الشفاء في الجواب عن قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم انه أمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى
نهى فيعد معصية ولا عده تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبه وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
لفظوه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه
وحى فكيف وقد قال الله سبحانه وتعالى له فأذن ان شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من
سرهم أنه لو لم ياذن لهم لقعدها وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرفيق ولم تجب عليهم قط أى لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما
يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك أى لم يلزمك ذنب قال
الداودي انها كرامة وقال مكى هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندى ان معناه
عفاك الله وقيل معناه أدام الله لك العفو لم أذنت لهم معنى فى التخلف عنك وهـ ذابحمل على ترك الاولى
والاكمل لاسيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا (حتى يتبين لك الذين صدقوا) يعنى فى
اعتذارهم (وتعلم الكاذبين) يعنى فيما يعتذرون به قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف
المنافقين يومئذ حتى نزلت براءه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان
يجاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى فى ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره (وانه عليم بالمتقين)
يعنى الذين يتقون مخالفتهم ويسارعون الى طاعته (انما يستأذنك) يعنى فى التخلف عن الجهاد معك يا محمد
من غير عذر (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) وهم المنافقون لقوله (وارتابت قلوبهم) يعنى شكك
قلوبهم فى الايمان وانما أضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان أيضا فاذا دخله الشك
كان ذلك نفاقا (فهم فى ريبهم يترددون) يعنى أن المنافقين متحبرون لامع الكفار ولا مع المؤمنين وقد
اختلف علماء الناسخ والمنسوخ فى هذه الآية فقول انما منسوخة بالآية التى فى سورة النور وهى قوله
سبحانه وتعالى ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فاذا استأذنتك لبعض شأنهم فأذن
لن شئت منهم واستغفر لهم الله وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون
الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن فى التخلف فكان رسول الله

(حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) يتبين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيان فعاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الاسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للانبياء عليهم السلام لانه عليه السلام انما فعل ذلك بالاجتهاد وانما عوتب مع ان له ذلك اتركه الا فضل وهم يعاتبون على ترك الا فضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنونك فى ان يجاهدوا (باموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) عدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وارتابت قلوبهم) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فهم فى ريبهم يترددون) يتحبرون لان التردد يدن المتحبر كما أن الثبات يدن المستبصر

(ولو أرادوا الخروج لاعدوا له) للخروج أو للجهاد (عدة) أهبة لانهم كانوا ميسر ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيهم معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو فيل (ولكن كره الله انبعاثهم) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن ثبطوا عن الخروج لكره انبعاثهم (فثبطهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الامر بانترهيد فيه (وقيل اعدوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالسوسة (مع) (٢٤٧) القاعدین) هو ذم لهم والحاق بالنساء

والصبيان والزمنى اللذان
 شأنهم القعود في البيوت
 (لو خرجوا فيكم مازادوكم)
 بخر وجههم معكم (الا
 خبالا) الافسادا وشرا
 والاستثناء متصل لان
 المعنى مازادوكم شيئا الا
 خبالا والاستثناء المنقطع
 أن يكون المستثنى من غير
 جنس المستثنى منه كقولك
 مازادوكم خيرا الا خبالا
 والمستثنى منه في هذا
 الكلام غير مذكور واذا
 لم يذ كر وقع الاستثناء من
 الشيء فكان استثناء متصلا
 لان الخبال بعضه (ولا
 وضعوا اخلاصكم) واسعوا
 بينكم بالتضريب والتفانم
 وافساد ذات البين يقال
 وضع البعير وضعا اذا أسرع
 وأوضهته أنا والمعنى ولا
 وضعوا ركائبهم بينكم والمراد
 الاسراع بالتفانم لان الركاب
 أسرع من الماشي وخطفى
 المصحف ولا وضعوا بزيادة
 الاف لان الفتحة كانت
 تكتب ألفا قبل الخط
 العربي والخط العربي
 اخترع قر يمان نزول

صلى الله عليه وسلم مخبرا في الاذن لهم بقوله تعالى فأذن لمن شئت منهم وأما المنافقون فكانوا يستأذنون في
 التخلف من غير عذر فعبرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر (ولو أرادوا الخروج) يعنى الى الغزو
 معكم (لاعدوا له عدة) انهى الواله باعداد آلات السفر وآلات القتال من الكراع والسلاح (ولكن كره الله
 انبعاثهم) يعنى خروجهم الى الغزو معكم (فثبطهم) يعنى منعهم وجسبهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله
 سبحانه وتعالى كره خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم فصر فهم عنه وههنا يتوجه سؤال وهو ان
 خروج المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم إما أن يكون فيه مصلحة أو مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال
 ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم لم ياذنه لهم بالقعود
 والجواب عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه
 تعالى أخبر عن تلك المفسدة بقوله تعالى لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا بقرى فلم عاتب الله رسوله صلى الله
 عليه وسلم بقوله لم أذنت لهم فتقول انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم قبل تمام الفحص واكمال التأمل والتدبر في
 حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم أذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه أذن لهم قبل أن يوحى اليه في أمرهم
 بالقعود (وقيل اعدوا مع القاعدین) معناه انهم لما استأذنوه في القعود قيل لهم اعدوا مع القاعدین وهم
 النساء والصبيان والمرضى وأهل الاعذار ثم اختلفوا في القائل من هو فقيل قال بعضهم البعض اعدوا مع
 القاعدین وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه
 في القعود فقال لهم اعدوا مع القاعدین فاغتموا ذلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله سبحانه وتعالى
 بان ألقى في قلوبهم القعود لما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ﴿ ثم بين سبحانه وتعالى ما في خروجهم من
 المفاسد فقال تعالى (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) يعنى لو خرج هؤلاء المنافقون معكم الى الغزو
 مازادوكم الافسادا وشرا وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من
 الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم مازادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافسادا ويقاع الجبين
 والفشل بين المؤمنين بهوييل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم (ولا وضعوا اخلاصكم) يعنى ولا سرعوا
 فيكم وساروا وابتغوا بالنقاء النجاسة والاحاديث الكاذبة فيكم (يبغونكم الفتنة) يعنى يطلبون لكم ما فتنتون
 به وذلك أنهم يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهمزون منهم وسيظهرون
 عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تحبب وقيل معناه يطلبون العيب والشتم (وفيكم سماعون لهم)
 قال مجاهد يعنى وفيكم عيون لهم يؤدون اليهم اخباركم وما يسامعون منكم وهم الجواسيس وقال قتادة وفيكم
 مطيعون لهم يسامعون كلام المنافقين ويطيعونهم وذلك أنهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة
 لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قلت كيف يجوز أن يكون في المؤمنين النخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين
 قلت يحتمل أن يكون بعض المؤمنين لهم أقارب من كبار المنافقين ورؤسائهم فاذا قالوا قولار بما أورد ذلك
 القول في قلوب صفة المؤمنين في بعض الاحوال (والله اعلم بالظالمين) وهذا عيب وتهديد للمنافقين الذين
 ياقول الفتنة والشبهات بين المؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) يعنى لقد طلبوا

القرآن وقد بقي من تلك الافا ترى الطباع فكاتبوا صورة الهمزة لفأوقتها ألفا أخرى ونحوه ولا ذبحه (يبغونكم) حال من الضمير
 في أضعوا (الفتنة) أى يطالبون ان يفتنوك بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاةكم (وفيكم سماعون لهم) أى غماون
 حديثكم فينقلونه اليهم (والله اعلم بالظالمين) بالمنافقين (لقد ابتغوا الفتنة) بصد الناس أو بان يفتكوا به عليه السلام لاية العقبة أو
 بالرجوع يوم أحد (من قبل) من قبل غزوة تبوك

(وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكابدوزوروا والآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) وهو تأييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (وهم كارهون) أي على رغم منهم (ومنهم من يقول انذني ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأذن لي فإني ان تخلفت بغير اذنيك أمتت أولا تلقني في الهلكة فإني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجدي بن قيس المنافيق قد علمت الانصار اني مسهتر بالنساء فلا تفتني بينات (٢٤٨) الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركي (الآفي الفتنة سقطوا) يعني ان

الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) الآن لان أسباب الاطاعة معهم أو هي تحيط بهم يوم القيامة (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسوؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا) الذي نحن منقسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع (ويتولوا) عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) أي قضى من خير أو شر (هو مولانا) أي الذي يتولانا وتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنون أن لا يتوكلوا على غير الله (قل هل تر بصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسين) وهما النصر والشهادة (ونحن تر بصوننا) أي احدى السوايين اما (أن يصيبكم الله بعداب من

أصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر وتخذيّل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن أبي بن سلول يوم أحد حين انصرف باصحابه عنكم (وقلبوا لك الامور) يعني وأجالوا فيك وفي أمرك وفي ابطال دينك الرأي وبالغوا في تخذيّل الناس عنك وقصدتهم نشيت أمرك (حتى جاء الحق) يعني النصر والظفر (وظهر أمر الله وهم كارهون) يعني ذلك قوله عز وجل (ومنهم من يقول انذني ولا تفتني) نزلت في الجدي بن قيس وكان من المنافقين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجدي بن قيس يا أبا وهب هل لك في جلاذي الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سرارى ووصفاء فقال الجدي بن قيس يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بحب النساء وانى أخشى ان رأيت بنات بني الاصفر ان لا أصر عنهن انذني لي في القعود ولا تفتني بهن وأعينك بمالي قال ابن عباس اعتل الجدي بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله عز وجل فيه ومنهم يعني من المنافقين من يقول انذني لي يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني يعني بينات الاصفر وهم الروم (الآفي الفتنة سقطوا) يعني انهم وقعوا في الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم فيها قوله سبحانه وتعالى (ان تصبك حسنة تسوؤهم) يعني ان تصبك يا محمد حسنة من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان تصبك مصيبة) يعني من هزيمة أو شدة (يقولوا) يعني المنافقين (قد أخذنا أمرنا) يعني أخذنا أمرنا بالجد والحزم في القعود عن الغزو (من قبل) يعني من قبل هذه المصيبة (ويتولوا وهم فرحون) يعني مسرورين لما نالنا من المصيبة وسلامتهم منها (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) يعني قل يا محمد هؤلاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصائب والمكروه ان يصيبنا الا ما قدره الله لنا وعلمنا وكتبه في الواح المحفوظ لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر فلا يقدر احد أن يدفع عن نفسه مكر وهانزل به أو يجاب لنفسه نفعاً ارادته لم يقدر له (هو مولانا) يعني ان الله سبحانه وتعالى هو ناصرنا وحافظنا وهو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني في جميع أمورهم (قل هل تر بصون بنا) يعني قل يا محمد هؤلاء المنافقين هل تنتظرون بنا أيها المنافقون (الا احدى الحسينين) يعني اما النصر والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو والجهاد في سبيل الله اما أن يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم في الآخرة واما أن يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه في الجهاد في سبيلي واباناني وتصديقا برسلي فهو على ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلاً مانالاً من أجر أو غنيمة أخرجاه في الصحيحين وقوله سبحانه وتعالى (ونحن تر بصوننا) يعني ونحن نتظر بكم احدى السوايين (أن يصيبكم الله بعداب من عنده) يعني فيهلككم كما هلك من كان قبلكم من الامم الخالية (أو يبدينا) يعني أو يصيبكم ايدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهروا عليكم (فتر بصوا) قال الحسن فتر بصوا مواعيد الشيطان انام تر بصون مواعيد الله من اظهار دينه واستئصال من خالفه (قل أنفة واطوعاً وكرهاً)

عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أو بعداب) (يابدنا) وهو القتل على الكفر نزلت (فتر بصوا) بناماد كرنا (انامكم متر بصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) في وجوه البر (طوعاً أو كرهاً) طائعين أو مكرهين نصب على الحال كرها جزوة على وهو أمر في معنى الخبر ومعناه هكذا هو بالنصب فيما يابد بنام النسخ ولعله بالرفع فلتنظر الرواية اه مصححه

(ان يتقبل منكم) أنفقتم طوعاً وكرهاً ونحوه استغفر لهم أو لا يستغفر لهم وقوله أسئتي بناً واحسني لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت أي ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا وأحسنت وقد جاز عكسه في قولك رحم الله زيد أو معنى عدم القبول انه عليه السلام بردها عليهم ولا يقبلها ولا يشبهها الله وقوله طوعاً أي من غير الزام من الله ورسوله وكرهاً أي ملزمين وسمى الزاماً كرهاً لانهم منافقون فكان الزامهم الاتفاق شاقاً عليهم كالأكره (انكم) تعليل لرد انفاقهم (٢٤٩) (كنتم قوماً فسقين) متمردين

عائين (وما منعهم أن يقبل منهم نفاقهم) وبالباية جزء وعلى (الأنهم كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أي وما منعهم قبول نفاقهم إلا كفرهم (بأنه برسوله ولا يؤنون الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع في قوله طوعاً وسلبه عنهم ههنا لان المراد بطوعهم أنهم يريدون من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذلك الاعن كراهة واضطرار لاعن رغبة واختيار فلا تجيب أموالهم ولأولادهم إنما الله يريد ليهذبهم بها في الحياة الدنيا) الاعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ما أتوا من زينة الدنيا فان الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالاتفاق منه في أبواب الخير

نزلت في الجدين قيس المنافق وذلك أنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود عنه وقال أنا أعطيكم مالي فانزل الله عز وجل رد عليه قل أي قل يا محمد هذا المنافق وأمثاله في النفاق أنفقوا طوعاً وكرهاً يعني أنفقوا طائعين من قبل أنفسكم أو مكروهين بالاتفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالاتفاق (ان يتقبل منكم) لان هذا الاتفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في انفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من أنفق ماله لغير وجه الله بل أنفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه ﴿ ثم علل سبب منع القبول بقوله (انكم) أي لانكم (كنتم قوماً فسقين) والمراد بالفسق ههنا الكفر وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى (وما منعهم أن تقبل منهم نفاقهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله) أي المانع من قبول نفاقهم هو كفرهم بالله ورسوله (ولايأنون الصلاة الا وهم كسالى) جمع كسلان يعني متشاققين في الايمان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً فلذلك ذمهم مع فعلها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم كانوا يعتقدون الاتفاق في سبيل الله مغرماً ومنع ذلك الاتفاق مغناً (فلا تجيبك) يا محمد (أموالهم ولأولادهم) هذا الخطاب وان كان مختصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم إلا أن المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تجيبوا أموال المنافقين وأولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد أنه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان أن لا يجيب بشيء من أمور الدنيا ولذاتها فان العباد اذا كان من الله عز وجل في استدرج كثير ماله وولده فيكثر اعجاباً به والله وولده فيبطر ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال سبحانه وتعالى (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) فان قلت كيف يكون المال والولد عذاباً في الدنيا وفيه ما للذة والسرور في الدنيا قلت قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فلا تجيبك أموالهم ولأولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل ان سبب كون المال والولد عذاباً في الدنيا هو ما يحصل من المتاع والمشاق في تحصيلهما فاذا حصل ازاد التعب وتحمل المشاق في حفظهما وازاد الحزن والغم بسبب المصائب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية وأورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل أحد من بنى آدم مؤمنهم وكافرهم فافانته تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا وأجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو أن المؤمن قد علم أنه مخلوق للآخرة وأنه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه عذاباً في الدنيا وأما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة له وانه ليس فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذاباً عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار أن المال والولد عذاب على المنافقين في الدنيا دون المؤمنين وقيل ان تعذيبهم ههنا في الدنيا أخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير متباين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمع وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمد ثم يقدم في الآخرة على ملك لا يعذره (وتزهد أنفسهم) يعني وتخرج أنفسهم (وهم كافرون) والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عقابتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الآخرة قوله عز وجل

(٢٢) - (خازن) - (ثاني) وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبي أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب وتزهد أنفسهم وهم كافرون وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالأصاح لانه أخذ برأى ان أعطاه الاموال والاولاد لهم للتعذيب والامانة على الكفر وعلى ارادة الله تعالى المعاصي لان ارادة العذاب بارادة ما يعذب عليه وكذا ارادة الامانة على الكفر

(و يخافون بالله انهم) ان جلة المساهين (وما هم منكم) وانكم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين في تظاهرون بالاسلام
 نقية (لويجدون ملجأ) مكانا ياجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أو مغارات) أو غيراها (أو مدخلا) أو نفاقا يندسون
 فيه وهو مقتل من الدخول (٢٥٠) (لولا اليه) لا قبلوا نحوه (وهم يجمعون) يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس

الجوح (ومنهم) ومن
 المنافقين (من يمزك في
 الصدقات) يعيبك في
 قسمة الصدقات ويطعن
 عليك (فان أعطوا منها
 رضوان لم يعطوا منها اذ
 هم يستخطون) اذ المفاجأة
 أي وان لم يعطوا منها فاجوا
 السخط وصدقهم بان
 رضاهم وسخطهم لانفسهم
 للدين وما فيه صلاح أهله
 لانه عليه السلام استعطف
 قلوب أهل مكة يومئذ
 بتوفير الغنائم عليهم
 فضجر المنافقون منه (ولو
 أنهم رضوا ما آتاهم الله
 ورسوله وقالوا حسبنا الله
 سيؤتينا الله من فضله
 ورسوله انالى الله راغبون)
 جواب لو محذوف تقديره
 ولو انهم رضوا لكان خيرا
 لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما
 أصابهم به الرسول من
 الغنيمة وطابت به نفوسهم
 وان قل نصيبهم وقالوا
 كفاانا فضل الله وصنعه
 وحسبنا ما قسم لنا سبرزقنا
 غنيمة أخرى فيؤتينا
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أكثر مما آتانا اليوم
 انالى الله في أن يغنمنا
 ويحولنا فضله لراغبون ثم

(ويخلفون بالله) يعني المنافقين (انهم منكم) يعني على دينكم ومانتكم (وما هم منكم) يعني أنهم كاذبون
 في أيماهم (وانكم هم قوم يفرقون) يعني أنهم يخافون أن تظهروا على ما هم عليه من النفاق (لويجدون
 ملجأ) يعني حزا وحصنا ومعقلا ياجئون اليه وقيل لوجود ما هم بالهر بوالله وقيل لويجدون قوما يأمنون
 عندهم على أنفسهم منكم لصاروا اليهم ولما فرقواكم (أو مغارات) يعني غيرا في الجبال جمع مغارة وهو
 الموضع الذي يغور فيه الانسان أي يستتر (أو مدخلا) يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في
 الارض كنفق البر بوع وقال الحسن وجهه يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم (لولا اليه)
 والمعنى أنهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة أو على أحد هذه الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة وأضيقتها لولا اليه
 أي لرجعوا اليه وتحزروا فيه (وهم يجمعون) يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان والمعنى أن المنافقين لشدة
 بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا منكم الى أحد هذه الامكنة لصاروا اليه
 لشدة بغضهم اياكم قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من يمزك في الصدقات) نزلت في ذي الخويصرة التميمي
 واسمه حرقوص بن زهير وهو أصل الخوارج (ق) عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن عند رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو يقسم فيأناه ذرا نحو بصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وبلك من يعدل اذ لم اعدل وفي رواية قد خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
 انذرت لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له أصحابا يحقر أحكم صلاته مع صلاتهم
 وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤ القرآن لا يجاوز تراقيهم يرفقون من الدين وفي رواية من الاسلام كما
 يمرق السهم من الرمية وقال الكبي قال رجل من المنافقين يقال له أبو الجواز لم تقسم بالسوية فنزلت هذه
 الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
 يقسم ذهابا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك ان تعدل فاعدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
 وبلك فمن ذابعدل بعدى وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الامن أحب ولا يؤثرها الامن بهواه
 فانزل الله سبحانه وتعالى ومنهم من يمزك في الصدقات يعني ومن المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات
 وفي تفريقها ويطعن عليك في أمرها يقال حمزه ولزه بمعنى واحد أي عابه (فان أعطوا منها) يعني من
 الصدقات (رضوا) يعني رضوا عنك في قسمتها (وان لم يعطوا منها اذ هم يستخطون) يعني وان لم تعطهم منها
 عابوا عليك وسخطوا (ولو انهم رضوا) يعني ولو أن المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا
 (ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله) أي كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) يعني ما يحتاج
 اليه (انالى الله راغبون) يعني في أن يوسع علينا من فضله فيغنيننا عن الصدقة وعن غيرها من أموال الناس
 وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم وأعود عليهم قوله عز وجل (انما الصدقات للفقراء والمساكين)
 الآية اعلم أن المنافقين لما لزوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في
 هذه الآية ان المستحقين للصدقات هؤلاء الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم منها شيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا فليهمزونه ويعيرون عليه فلا طعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات
 عن زياد بن الحرث الصدائي قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فأناه رجل فقال أعطني من
 الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو

بين مواضعها التي توضع فيها فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) فصر جنس الصدقات على الاصناف
 العدوذة أي هي مختصة بهم لا تتجاوز الى غيرهم كأنه قيل انما هي لهم لا لغيرهم كقولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم
 فيحتمل أن تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وان عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين

جزأها ثمانية أجزاء فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقه أخرجه أبو داود
 (فصل في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل) المسئلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكاة على
 الاغنياء و صرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الوجه الاول أن المال محبوب بالطبع وسببه
 ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال
 محبوب بالطبع فاذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز وجل وعن الاشتغال بالطاعات
 المقربة الى الله عز وجل فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله
 فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة القلب
 وحب الدنيا والميل الى شهواتها ولذاتها فاجب الله سبحانه وتعالى الزكاة ليقبل ذلك المال الذي هو سبب
 لقساوة القلب الوجه الثالث سبب وجوب الزكاة امتحان العبد المؤمن لان التكليف البدنية غير شاقة
 على العبد واخراج المال مشق على النفس فاجب الله عز وجل الزكاة على العباد ليمتحن باخراج الزكاة
 أصحاب الاموال ليميز بذلك المطيع الخرج لها طيبة بهان نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع ان المال
 مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله سبحانه وتعالى خزانه الذين هم اغنياء بدفع طائفة
 من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع المسارع الى امتثال الامر المشفق على عياله ويعاقب العبد
 العاصي المانع عياله من ماله (ق) عن أبي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الخازن المسلم
 الامين الذي ينفذ ور بما قال يعطى ما أمر به فيعطيه كاملا موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي أمر له به
 أحد المتصدقين الوجه الخامس ان الفقراء بما تعلق قلوبهم بالاموال التي بأيدي الاغنياء فاجب الله
 عز وجل نصيبا للفقراء في ذلك المال تطيبا لقلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة الانسان
 الاصلية اذا أمسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال فامر بدفع الزكاة الى الفقراء حتى لا يصير
 ذلك المال معطلا بالكلية (المسئلة الثانية) الآية تدل على أنه لاحق لاحد في الصدقات الا هؤلاء
 الثمانية وذلك مجمع عليه لان كماله انما تنفيدان الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما في كلمة ان للثبات
 وكاملة مالا في فمندا اجتماعهما يفيدان الحكم المذكور و صرفه عماءه فدلك على ان الصدقات
 لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية (المسئلة الثالثة) في بيان الاصناف الثمانية فاصنف الاول الفقراء
 والثاني المساكين وهم المحتاجون الذين لا يفي خرجهم بدخولهم ثم اختلف العلماء في الفرق بين الفقير
 والمسكين فقال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير لذى لا يسأل والمسكين السائل وقال
 ابن عمر ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من اتقى نفسه وثيابه ولا يقدر
 على شئ يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال
 الشافعي رضي الله تعالى عنه الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمانا كان أو غير زمن والمسكين من له
 مال أو حرفة ولكن لا تقع منه موقعا الكفايته سائلا كان أو غير سائل فالمسكين عنده أحسن حال من الفقير
 وقال أبو حنيفة وأصحاب الرأي الفقير أحسن حال من المسكين ومن الناس من قال لافرق بين الفقير
 والمسكين حجة الشافعي ومن وافقه ان الله سبحانه وتعالى حكم بصرف الصدقات الى هؤلاء الاصناف
 الثمانية دفعا لحاجتهم ونحسبهم المصلحتهم فبدأ بالفقراء وانما يبدأ بالاهم فالاهم فلولم تكن حاجتهم أشد من
 حاجة المساكين لما بدأ بهم وأصل الفقير المكسور الفقار قال البيهقي

لمأرى ابدا الندور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا أن الفقير انما يسمى فقيرا زمانته وحاجته
 الشديدة وتنعنه الزمانه من التقاب في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال
 اللهم احبني مسكينا وامتنعني من مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة رواه البرهذي من حديث

أس فلو كان المسكين أسوأ حالاً من الفقير لما تميز الفقير وسأل المسكنة فثبت بهذا أن المسكين أحسن حالاً من الفقير ولأن الله سبحانه وتعالى قال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأنبت لهم ملكاً مع اسم السفينة لأن السفينة من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولأن الغنى والفقير ضدان والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا أن الفقير أسوأ حالاً من المسكين وخجة أخرى حنيفة ومن وافقه على أن المسكين أسوأ حالاً من الفقير قوله أو مسكيناً ذام تربة وصف المسكين بكونه ذام تربة وهو الذي لصق جلده بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدّة ولأن الله تعالى جعل الكفارات للمساكين فلو لم يكن المسكين أشد حاجة من غيره لما جعلها واحتج أيضاً بقول الراعي أما الفقير الذي كانت حالته * وفق العيال فلم يترك له سبب واحتج أيضاً بقول الاصمعي وأبي عمرو بن العلاء إن الفقير الذي له ما ياكل والمسكين الذي لا شيء له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش والمسكين الذي لا شيء له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي لا ملك له وقيل إن كل محتاج إلى شيء فهو مفتقر إليه وإن كان غنياً عن غيره قال الله سبحانه وتعالى أنتم الفقراء إلى الله فأنت لهم اسم الفقر مع وجود المال والجواب عن هذه الخجة أما قوله أو مسكيناً ذام تربة فهو حجة لمذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه لأنه قيد المسكين المذكور هنا بكونه ذام تربة فدل على أنه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والالم يبق لهذا القيد فائدة والجواب عن جعل الكفارات للمسكين أنه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي أنه ذكر الفقير وحده فكل فقير أفر دبالاً سم جاز إطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به وأما الروايات المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين وبالجملة إن الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضمت نفسه وسكنت عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوى أخرجه النسائي وأبو داود وله في رواية أخرى ولا لذي مرة قولى عن عبيد الله بن عدي بن الخيار قال أخبرني رجلان أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو في حجة الوداع وهو يقسم الصدقات فسألاه منها فرفع فينا النظر وخفضه فرآنا جلدنا فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوى مكتسب أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الشافعي ولقظه إن رجلين أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن الصدقة فقال إن شئنا أعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لذي قوة مكتسب واختلف العلماء في حد الغني الذي يمنع من أخذ الصدقة فقالوا لا أكثر من حده أن يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو قول مالك والشافعي وقال أصحاب الرأي حده أن يملك مائتي درهم وقال قوم من مالك خمسين درهماً أو قيمته لا تحل له الصدقة لما روى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسئله في وجهه خوش وأخدوش أو كدوح قيل يا رسول الله وما يعنيه قال خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك وأحمد وإسحق وقالوا لا يجوز أن يعطى الرجل أكثر من خمسين درهماً من الزكاة وقيل أر بعين درهم لما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة وقية فقد ألحف أخرجه أبو داود وكانت الأوقية في ذلك الزمان أر بعين درهماً * الصنف الثالث قوله سبحانه وتعالى (والعاملين عليها) وهم السعاة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جبهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجورهم سواء كانوا فقراء أو أغنياء وهذا قول ابن عمر وبه قال الشافعي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات وظاهر اللفظ مع مجاهد إلا أن الشافعي يقول هو أجره عمل تتقدر بقدر العمل والصحيح إن الشافعي والمطلب لا يجوز أن يكون عاملاً على الصدقات لما روى عن أبي رافع

انهم قالوا في أي صنف منها وضعها أجرك وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذي لا يسأل لأن عنده ما يكفيه للحال والمسكين الذي يسأل لأنه لا يجد شيئاً فهو أضعف حالاً منه وعند الشافعي رحمه الله على العكس (والعاملين عليها) هم السعاة الذين يقبضونها

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل رجلا من بني مخزوم على الصدقة فاراد أبو رافع أن يتبعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تلحق لنا الصدقة وان مولى القوم منهم أخرجه الترمذى والنسائى * الصنف الرابع قوله تعالى (والمؤلفة قلوبهم) وهم قسمان قسم مسالمون وقسم كفار فاما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول هم قوم من أشرف العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقات يتألفهم بذلك كما أعطى عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس السلمي فهؤلاء أساموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم أساموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم أشرف قومهم مثل عدى بن حاتم والزرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم تألف القومهم وترغيبا للمشاهم في الاسلام فيجوز للامام أن يعطي أمثال هؤلاء من خمس خمس الغنيمة والنبي عن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن الصدقات أيضا القسم الثاني من مؤلفة المسلمين هم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم كفار في موضع لا تبلغهم جيوش المسلمين الا بكلفة كبيرة ومؤنة عظيمة وهؤلاء الذين بازأهم من المسلمين لا يجاهدونهم لضعف نيتهم أولضعف حالهم فيجوز للامام أن يعطيهم من سهم الغزاة من مال الصدقة وقيل من سهم المؤلفة قلوبهم ومن هؤلاء قوم بازاء جماعة من مانى الزكاة فيأخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم المؤلفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله روى ان عدى بن حاتم جاء أبا بكر بثلاثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه أبو بكر منها ثلاثين بعيرا وأما مؤلفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم أو يرجى اسلامهم فيجوز للامام أن يعطي من يخاف شره أو يرجو اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس كما أعطى صفوان بن أمية لما كان يرى من ميله الى الاسلام أما اليوم فقد أعز الله الاسلام وله الحمد على ذلك وأعناه عن ان يتألف عليه أحد من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من أهل العلم ورأوا أن المؤلفة منقطعة وسهمهم ساقط يروى ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو قول الشعبي وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي واسحق بن راهويه وقال قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وأبي جعفر محمد بن علي وأبي ثور وقال أحمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك ﴿ الصنف الخامس ﴾ قوله سبحانه وتعالى (وفي الرقاب) قال الزجاج فيه حذف تقديره وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب أقوال الاول ان سهم الرقاب موضوع في المكاتبين في دفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي رضى الله تعالى عنه وهو قول أكثر الفقهاء منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد و يدل عليه أيضا قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك وأحمد واسحق ان سهم الرقاب موضوع لعرق الرقاب فيشتري به عبيدو يعتقون و يدل عليه ما روى عن ابن عباس انه قال لا بأس أن يعتق الرجل من الزكاة القول الثالث وهو قول أبي حنيفة وأصحابه انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولا سكن يعطى منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضى التبعية القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم الرقاب نصفان نصف للمكاتبين ونصف يشتري به عبيد ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال أصحابنا الاحوط في سهم الرقاب أن يدفع الى السيد باذن المكاتب و يدل عليه انه سبحانه وتعالى أثبت الصدقات للاصناف الاربعة المتقدمة بلام الملك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب فلا يبدل هذا الفرق من فائدة وهي أن الاصناف الاربعة المتقدمة ذكرها يدفع اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤوا أما الرقاب فيوضع نصيبهم في تخليص رقابهم من الرق ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل

(والمؤلفة قلوبهم) على الاسلام أشرف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم على ان يسلموا وقوم منهم أساموا فيعطيهم تقريراهم على الاسلام (وفي الرقاب) هم المكاتبون يعانون منها

الديون (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله وعدل عن الادم الى في في الاربعة الاخيرة للابدان باتهم أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره لان في الوعاء فنيه على أنهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجمعوا مظنة لها وتكرير في قوله في سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وانما وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليد وانهم حسما لاطماعهم واشعارا بانهم بعداء عنها وعن مصارفها فمالهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها وان قاسمها وسهم المؤلفات فلو بهم سقط باجماع الصحابة في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان الله أعز الاسلام وأغنى عنهم والحكمة متى ثبتت مع ولا معنى خاص يرتفع ويتهمى بذهاب ذلك المعنى (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء

فيصرف اليه ما يحتاج اليه في سفره الى بلوغ غرضه * الصنف السادس قوله سبحانه وتعالى (والغارمين) أصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق على النفس وسمى الدين غرما لكونه شاقا على الانسان والمراد بالغارمين هنا المديونون وهم قدامان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذ لم يكن لهم مال يبي ديونهم فان كان عندهم وفاق فلا يعطون وقسم ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات ما يقضون به ديونهم وان كانوا أغنياء لما روي عن عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة انا في سبيل الله أو عامل عليها أو غارم أو لرجل أسير اعانة أو لرجل كان له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدي المسكين لغني أخرجه أبو داود ومرسلان عطاء بن يسار لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا بعنايه امامن كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات شيئا * الصنف السابع قوله تعالى (وفي سبيل الله) يعني وفي النفقة في سبيل الله وأراد به الغزاة فاهم سهم من مال الصدقات فيعطون اذا أرادوا الخروج الى الغزى وما يستعينون به على أمر الجهاد من النفقة والكسوة والسائح والحولة فيعطون ذلك وان كانوا أغنياء لما تقدم من حديث عطاء وأبي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن أراد الحج عندها كثيرا أهل العلم وقال قوم يجوز أن يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروي ذلك عن ابن عباس وهو قول الحسن واليه ذهب أحمد بن حنبل واسحق بن راهويه وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا أجاز بعض الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور عليه * الصنف الثامن قوله سبحانه وتعالى (وابن السبيل) يعني المسافر من بلد الى بلد والسبيل الطريق قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا * الى ان شئت واكتهت لداقي

فكل مر يد سفر امباح ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره يعطى من الصدقات ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده أو لم يكن له مال وقال قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع قوله تعالى (فريضة من الله) يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه الآية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة (والله اعلم) يعني بمصالح عباده (حكيم) يعني فيما فرض لهم لا يدخل في تدبيره وحكمه نقض ولا خلل * المسئلة الرابعة في أحكام متفرقة تتعلق بالزكاة اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء هي الزكاة المفروضة بدليل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة واختلفت في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها كلها الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى أنه لا يجوز صرفها كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي قال يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين سهاهم ثمانية اقسام قسمة على السواء لان سهم المؤلف ساقط وسهم العامل ساقط اذا قسم زكاة بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى أقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة أو أكثر فلو فارت بين أولئك الثلاثة جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحد ادفع حصة ذلك الصنف اليه مالم يخرج من حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقي وذهب جماعة من العلماء الى أنه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف أو الى شخص واحد منهم جاز لان الله سبحانه وتعالى انما سمي هذه لاصناف الثمانية اعلاما منه ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا يجابا منه اقسمتها بينهم جميعا وهذا قول عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبيرة وعطاء واليه ذهب سفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل قال أحمد بن حنبل يجوز

(ومنهم الذين يؤذون النبي)

ويقولون هو أذن) والاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جلته أذن سامعة وابدأؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والفرقة ففسره الله تعالى بما هو مدح له ونساء عليه فقال (قل أذن خير لكم) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن ويجوز أن يريد هو أذن في الخبر والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غيره ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يؤمن بالله) أي يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن للمؤمنين) ويقبل من المؤمنين الخالص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله لانه قصد به التصديق بالله الذي هو ضد الكفر به والى المؤمنين باللام لانه قصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدق كقولهم صادقين عنده ألا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبي عن الباء (ورحمة) بأعطف على أذن ورحمة

أن يضعها في صنف واحد وتفر يقها أولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال كثيراً يحمّل الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلاً وضعه في صنف واحد وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم ويقدم الادنى فالاولى من أهل الخلة والحاجة فان رأى الخلة في الفقراء في عام قدمهم وان رآها في صنف آخر في عام حولها اليهم وكل من دفع اليه شيئاً من الصدقة لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناؤه وهو ما يحتاج اليه فان حصل أدنى اسم الغني فلا يعطى بعده شيئاً وان كان محترفاً لكان لا يجداً له حرفة فيعطى قدر ما يحصل به آلة حرفته فالاعتبار عند الامام الشافعي رضي الله عنه ما يدفع الحاجة من غير حد وقال أحمد بن حنبل لا يعطى الفقير أكثر من خمسين درهماً وقال أبو حنيفة أكره أن يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان أعطيته أكثر من ذلك أعطي من يظنه فقيراً فبان انه غني فهل يجزى فيه قولان ولا يجوز أن يعطى صدقته لمن نلزمه نفقته وبه قال مالك والثوري وأحمد وقال أبو حنيفة والشافعي لا يعطى والدان ولا ولدان ولا سفلى ولا زوجة ويعطى من عداهم وتحرم الصدقة على ذوى القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقوله صلى الله عليه وسلم اما آل بيت لا تحل لنا الصدقة وقال أبو حنيفة تحرم على بني هاشم ولا تحرم على بني المطلب دليلنا لقوله صلى الله عليه وسلم انا وبنو المطلب شيء واحد لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام وتحرم الصدقة على موالى بني هاشم وبني المطلب لقوله صلى الله عليه وسلم مولى القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلافوا في نقل الصدقة من بلد المال الى بلد آخر مع وجود المستحقين في بلد المال فكرهه أكثر أهل العلم لتعلق قلوب فقراء ذلك البلد بذلك المال ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأعلمهم ان الله سبحانه وتعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين وانفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد آخر وأداه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكى عن عمر بن عبد العزيز انه رد صدقة جلت من خراسان الى الشام فردّها الى مكانها من خراسان والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) نزات في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لانفعالوا فانحرف أن يباهه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس ابن سويد وهو من المنافقين بل نقول ماشئنا ثم نأثيه وننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد أذن أي يسمع كل ما يقال له ويقبله وقيل معنى هو أذن أي ذوا أذن سامعة وقال محمد بن اسحق نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان أزم ثم تأثر الشعر أجز العينين أسفع الحدين مشوه الخلق وقد قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان يتم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقبل له لانفعال ذلك فقال انما محمد أذن فمن حدثه شيئاً صدقه فنقول ماشئنا ثم نأثيه ونحلف له فيصدقنا فانزل الله هذه الآية ومقصود المنافقين بقولهم هو أذن انه ليس بعيد غور بل هو سليم سريع الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (قل أذن خير لكم) يعني هب انه أذن لكنه أذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع خير وصلاح لا مستمع شر وفساد وقرئ أذن خير من فوعين منونين ومعناه يسمع منكم ويصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين وانما عدى الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين باللام لان الايمان بالله هو تقيض الكفر فلا يتعدى الا بالياء فيقال آمنت بالله والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يقال الا باللام ومنه قوله تعالى أنؤمن لك وقوله آمتم له (ورحمة) أي هو رحمة (للذين آمنوا منكم) وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله سبحانه وتعالى كذبهم بقوله انه رحمة للمؤمنين المحاصرين للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة لانه يجزى أحكام

جزوة عطف على خير أي هو أذن خير وأذن رحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبل (للذين آمنوا منكم) أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم أي أظهرها

الإيمان أي المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنون حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان وبشفع لهم في الآخرة بإيمانهم في الدنيا (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) في الدارين (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) الخطاب (٢٥٦) للمسلمين وكان المنافقون يتسكمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم

الناس على الظاهر ولا ينقب عن أحوالهم ولا يهتمك أسرارهم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ﴿ قوله عز وجل (يخلفون بالله لكم ليرضوكم) قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم الجلاس بن سويد وديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الجير وكان عندهم غلام من الانصار اسمه عامر بن قيس فخرروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال والله ان ما يقول محمد حق واتم شر من الجير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعاهم فسألهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله هذه الآية وقال مقاتل والسكبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أتوه يعتذرون ويخلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يخلف لكم أي المؤمنون هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم عنهم من أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) اختلفوا في معنى هذا الضمير إلى ماذا يعود فقيل الضمير عائذ على الله تعالى لان في رضا الله رضا رسوله صلى الله عليه وسلم والمعنى والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز أن يكون المراد يرضوه هما فا كتنفى بذكر أحد هما عن الآخر وقيل معناه والله أحق أن يرضوه وكذلك رسوله (ان كانوا مؤمنين) يعني ان كانوا هؤلاء المنافقون مصدقين بوعد الله ووعيده في الآخرة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) قال أهل المعاني ألم تعلم خطاب لمن علم شيئا ثم نسيه أو أنكره فيقال له ألم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من أحكام الدين ما يحتاجون إليه خاطب المنافقين بقوله ألم يعلموا يعني من شرائع الدين التي علمهم رسولنا (أنه من يحاد الله ورسوله) يعني أنه من يخالف الله ورسوله وأصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعادة واشتقاقه من الحدي يقال حاد فلان فلانا إذا صار في غير حده وخالفه في أمره وقيل معنى يحاد الله ورسوله أي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله (فان له نار جهنم) أي خلق أن له نار جهنم (خالدا فيها) يعني على الدوام (ذلك الخزي العظيم) يعني ذلك الخلود في نار جهنم هو الفضيحة العظيمة ﴿ قوله عز وجل (يحذر المنافقون) يعني يخشى المنافقون (أن تنزل عليهم سورة) يعني على المؤمنين (تنبيههم) يعني تخبر المؤمنين (بمافي قلوبهم) يعني بمافي قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويسترونه ويخافون الفضيحة ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاحشة والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثت عن أخبارهم وأثارها وأسفرت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس أنزل الله ذلك كرسبعين رجلا من المنافقين باسمائهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذلك كرا اسماء رحمة منه على المؤمنين لئلا يعبر بعضهم بعضا لان أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) أمر تهديد فهو كقوله اعلموا ما شئتم (ان الله مخرج) أي مظهر (ما تحذرون) والمعنى ان الله سبحانه وتعالى يظهر إلى الوجود ما كان المنافقون يسترونه ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد أضمره وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوهه واحلمهم وكان معه عمار بن ياسر يقود

فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالخلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) أي ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضيت الله ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وجد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا في حكم شئ واحد كقولك احسان زيد واجاله رفضني أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (ألم يعلموا أنه) أن الامر والشان (من يحاد الله ورسوله) يجاوز الحسد بالخلاف وهي مفاعلة من الحد كالمشاققة من الشق (فان له) على حذف الخبر أي خلق أن له (نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون) خير بمعنى الامر أي ليعذر المنافقون (ان تنزل عليهم سورة) تنزل بالتخفيف مكي وبصري (تنبيههم بمافي قلوبهم) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في

معناها فهي نازلة عليهم دليله قل استهزؤا أو الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود إليه (قل استهزؤا) أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما كنتم تحذرونه أي تحذرون اظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفي استهزأهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أني قدمت لجذات مائه وأنه لا ينزل فينا شئ فضعنا

(واثن سأتهم ليقولن انما
 كنا نخوض ونلعب) يننا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يسير في غزوة تبوك وركب
 من المنافقين يسرون بين
 يديه فقالوا انظروا الى هذا
 الرجل يريد أن يفتح
 قصور الشام وحصونها
 ههنا ههنا فاطمعت الله نبيه
 على ذلك فقال احبسوا
 على الركب فانهم فقال قاتم
 كذا وكذا فقالوا يا نبي الله
 لا والله ما كنا في شيء من
 أمرك ولا من أمر أصحابك
 ولكن كنا في شيء مما يخوض
 فيه الركب ليقصر بعضنا
 على بعض السفر أي واثن
 سألتهم وقات لهم لم قاتم ذلك
 اقلوا انما كنا نخوض
 ونلعب (قل) يا محمد (أبأله
 وآياته ورسوله كنتم
 تستهزؤن) لم بعبا باعتذارهم
 لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا
 كاتم معترفون باستهزأهم
 وبأنه موجود فيهم حتى
 ونحو باختطأهم موقع
 الاستهزاء حيث جعل
 المستهزأه يلى حرف التقرير
 وذلك انما يستقيم بعد
 ثبوت الاستهزاء
 (لا تعتذروا) لا تشتموا
 باعتذاركم الكاذبة فانها
 لا تنفعكم بعد ظهور سرهم
 (قد كفرتم) قد أظهرتم
 كفركم باستهزأكم (بعد
 إيمانكم) بعد اظهاركم الإيمان

ناقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة اضرب وجوه واحلهم فضر بها حذيفة
 حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من القوم قال لم أعرف منهم أحد ابارس رسول الله
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عددهم كلهم فقال حذيفة هلا بعث اليهم من
 يقتلهم فقال أكره أن تقول العرب لما ظفر باصحابه أقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله بالدبيلة (م) عن
 قيس بن عباد قال قلت لعمار أرايت قتالكم أرايا رأتجوه فان الرأي يخطئ ويصيب أم عهدا عهدا اليكم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الدينار رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهد الى الناس
 كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في أمتي قال شعبة وأحسبه قال حدثني حذيفة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أمتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يخرجون رجبها حتى يبلج
 الجبل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة جراح من النار يظهر في أكتافهم حتى ينجم من صدورهم
 ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واثن سأتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) الآية وسبب نزولها على ما قال
 زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما قرأنا رغبنا بطونا وأكذبنا
 السنة وأجبنا عند اللقاء فقال له عوف بن مالك كذبت ولكنك منافق ولاخبرن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد قال عبد الله
 ابن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعاقبا بحقب ناقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنسكه بالحجارة يقول انما
 كنا نخوض ونلعب فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيد به قال
 محمد بن اسحق الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو ودبيلة بن ثابت أخو أمية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال
 قتادة ينار رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا يرجوه هذا
 الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها ههنا ههنا فاطمعت الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال
 نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على الركب فانهم فقال قاتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا نخوض
 ونلعب فانزل الله فيهم ما نسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة
 تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان منهم يستهزؤن بالقرآن والرسول والثالث يضحك فيسيل
 كانوا يقولون ان محمد يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما بعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمد
 يزعم أنه أنزل في أصحابنا قرآن انما هو قوله وكلامه فاطمعت الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا
 على الركب فدعاهم وقال لهم قاتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد
 هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض
 في الكلام كما يفعله الركب يقطعون الطريق باللب والحديث وأصل الخوض الدخول في مائع كالماء مع
 الطين ثم كتر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول مع تلويث وأذى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء
 المنافقين (أبأله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) فيه توبيخ وتقرير للمنافقين وانكار عليهم والمعنى كيف
 تقدمون على ايقاع الاستهزاء بأبأله يعني بقرآن الله وحده وأحكامه والمراد بآياته كتابه ورسوله محمد
 صلى الله عليه وسلم فيحتمل أن المنافقين لما قالوا كيف يقدر محمد على أخذ حصون الشام قال بعض المسلمين
 الله يعينه على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالتمرد في قدرة الله وانما ذكره وذلك على طريق
 الاستهزاء ﴿ قوله عز وجل (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) يعني قل هؤلاء المنافقين لا تعتذروا وبالباطل
 ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة من قلب المعتذرا اليه وقيل معنى العذر قطع اللاتمة عن الجانب قد كفرتم بعد
 إيمانكم يعني أن الاستهزاء بالله كفر والاقدام عليه يوجب الكفر فلهذا قال سبحانه وتعالى لا تعتذروا وقد
 كفرتم بعد إيمانكم فان قلت ان المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف قال قد كفرتم بعد إيمانكم قات معناه

(ان نفع عن طائفة منكم) تو بهم واخلاصهم الايمان بعد النفاق (تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصر بن علي النفاق غير ثابتين منه ان يعف تعذب طائفة غير (٢٥٨) عاصم (النافقون والمدافقات) الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة

أظهرتم الكفر بعدما كنتم قد أظهرتم الايمان وذلك أن المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد ايمانكم وقيل معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد ان كنتم عندهم مؤمنين وقوله سبحانه وتعالى (ان نفع عن طائفة منكم تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) ذكر المفسرون أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنتان طائفة والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد بن اسحق الذي عني عنه رجل واحد وهو محاشن بن جابر الاشجعي يقال انه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل انه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع الى الاسلام وقال اللهم اني لا ازال أسمع مع آية تنقرأ أعني ما تنشعر منها الجلود ونجيب منها القلوب اللهم اجعل وفائي قتلا في سيدك لا يقول أحد نادأ غسلت أنا كفت أنا دفت فاصيب يوم القيامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعته ﴿ قوله سبحانه وتعالى (المنافقون والمدافقات بعضهم من بعض) يعني انهم على أمر واحد ودين واحد مجتمعون على النفاق والاعمال الخبيثة كما يقول الانسان غيره أمانك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه (يا مسرون بالمتنكر) يعني يا مسرون بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم (وينهون عن المعروف) يعني عن الايمان والطاعة وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقبضون أيديهم) يعني عن الانفاق في سبيل الله تعالى وفي كل خير (نسوا الله فانسيتهم) هذا الكلام لا يمكن اجراؤه على ذاته لانه لو جئناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذمنا عليه لان النسيان ليس في وسع البشر دفعه وأضافان النسيان في حق الله محال فلا بد من التأويل وقد ذكرنا فيه وجهين الاول معناه انهم تركوا أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بان صبرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته فخرج على من أوجه الكلام فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني ان النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته ترك الله ذكرهم فبين ذكرهم بالرحمة والاحسان فجعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والايمان به تركهم من توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى (ان المنافقين هم الفاسقون) يعني هم الخارجون عن الطاعة (وعدا الله المنافقين والمدافقات والكفار) يقال وعده بالخير وعداو وعده بالشر وعيدا فالوعد يكون في الخير والشر (نار جهنم خالدن فيها) فيه حذف تقديره يصلونها خالدن يعني مقيمين فيها (هي حسبهم) يعني هي كافيتهم جزاء على كفرهم ونفاقهم وتركهم الايمان والطاعة (واعنهم الله) يعني وأبعدهم من رحمته وطردهم عن بابه (ولهم عذاب مقبم) أي دائم لا ينقطع فان قلت قوله خالدن فيها بمعنى ولهم عذاب مقبم وهذا تكرار فمعناه قلت ليس ذلك تكرار او بيان الفرق من وجهين الاول ان معناه ولهم نوع آخر من العذاب المقبم سوى الصلى بالنار ولقائل أن يقول هذا التأويل مشكل لانه سبحانه وتعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر الى عذاب النار وأجيب عن هذا الاشكال بان قوله هي حسبهم في الايام ولا يمنع أن يحصل نوع آخر من العذاب من غير جنس النار كالزهر برنحوه ويكون ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني أن العذاب المقبم هو العذاب المجلل لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقبم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (كالدن من قبلكم) هذا رجوع عن الغيبة الى خطاب الحضور والكاف في كالدن للتشبيه والمعنى فعلتم كأفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل الكفار الذين كانوا من قبلهم في الأمر بالمتنكر والنهي عن المعروف وقبض الأيدي عن فعل الخير والطاعة وقبيل انه تعالى شبه المنافقين في عدوهم عن طاعة الله واتباع أمره لاجل طاب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف الكفار بانهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا

وسبعين (بعضهم من بعض) أي كأنهم نفس واحدة وفيه نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحافون بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يا مسرون بالمتنكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والايمان (ويقبضون أيديهم) شحاحا لمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله (نسوا الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فانسيتهم) فتركهم من رحمته وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون في الفسق الذي هو الترد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف به المنافقون حين بالغ في ذمهم (وعدا الله المنافقين والمدافقات والكفار نار جهنم خالدن فيها) مقدرين الخلود فيها (هي) أي النار (حسبهم) فيه دلالة على عذابها وانه بحيث لا يزداد عليه (واعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مندمومين ملحقين

بالشياطين الملاعين (ولهم عذاب مقبم) دائم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر وأولاد الخائفين الملباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه أبدان الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع علم الله ارهم الكاف في (كالدن من قبلكم

كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافهم فاستمتعتم بخلافكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم) محلهما رفع أي أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم (٢٥٩) استمتعتم بخلافكم كما استمتعوا بخلافهم

أي تلذذوا بإسلاذ الدنيا والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أي ما خلق للإنسان بمعنى قدر من خير (وخضتم) في الباطل (كالذي خاضوا) كالفوج الذي خاضوا أو كالخوض الذي خاضوا والخوض الدخول في الباطل والهبوط وانما قدم فاستمتعوا بخلافهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم مغن عنه ليدم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهايم بشهواتهم الغانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة في مقابل قوله وآتيناهم أجره في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين (وأولئك هم الخاسرون) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (ألم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) هو يدل من الذين (وعاد وعود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط واتفا كهن انقلاب أحوالهن عن الخير

وأولاداً فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) يعني بطشاً ومنعة (وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلافهم) يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضاً عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خاق الله للإنسان وقدر له من خير كما يقال قسم له (فاستمتعتم بخلافكم) وهذا خطاب للحاضرين يعني فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون بخلافكم (كما استمتع الذين من قبلكم بخلافهم) فإن قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانياً ثم أعاد ذكره في حق الاولين ثالثاً قلت فائدة أنه يذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركهم النظر فيما يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار بحال من تقدمهم ثم رجع الى ذكر حال الاولين ثالثاً وهذا كما تريد أن تبكت بعض الظلمة على قبح ظلمه فتقول له أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فانت تفعل مثل ما كان يفعل فاتكسر يرهنا لتأكيده وتقييح فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله تعالى (وخضتم كالذي خاضوا) معطوف على ما قبله ومستند اليه يعني وسلكتكم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع الباطل والكذب على الله وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمؤمنين (وأولئك حبطت أعمالهم) يعني بطلت أعمالهم (في الدنيا والآخرة) يعني ان أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها (وأولئك هم الخاسرون) والمعنى انه كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا سحر ضرب لا تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فن ﴿ وقوله تعالى (ألم ياتهم) رجوع من الخطاب الى الغيبة يعني ألم يات هؤلاء المنافقين والكفار وهو استهزام بمعنى التقدير أي قد أتاهم (نبأ) يعني خبر (الذين من قبلهم) يعني الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكتناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى (قوم نوح) يعني أنهم أهلكوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح العقيم (وعمود) أهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) أهلكوا بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة (وأصحاب مدين) وهم قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة (والمؤتفكات) يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وانما ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الطوائف الستة لان آثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يعرفون أخبارهم ويعرفون أخبارهم (أنتمهم رسلهم بالبينات) يعني بالمهجرات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها المنافقون والكفار فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم فتعجز لكم النعمة كما عجزت لهم (فما كان الله ليلظمهم) يعني بتجهيل العقوبة لهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعني ان الذين استحقوه من العقوبة بسبب ظلمهم أنفسهم ﴿ قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) لما وصف الله المنافقين بالأعمال الخبيثة والاحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والحيات في الدنيا والآخرة فقال تعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) يعني الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة فان قلت انه سبحانه وتعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك قلت لما كان نفاق الاتباع وكفرهم انما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والا كابر

الى الشر (أنتمهم رسلهم بالبينات) فما كان الله ليلظمهم (فما صح منه أن يظلمهم باهلا كههم لانه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم) (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الرسل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) في التناصر والترحم

وحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله ونوفيقه وهدايته لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بان بعضهم أولياء بهض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة ﴿١﴾ وقوله سبحانه وتعالى (يامرون بالمعروفون) يعني بالايمن بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كل ما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة (ويهنون عن المنكر) يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده (ويقيمون الصلاة) يعني الصلاة المفروضة وتجنون أركانها واحدها (ويؤتون الزكاة) يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة (ويطهون الله ورسوله) يعني فيما يامرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم (أولئك) يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات (سبحهم الله) لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين والمؤمنات من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في قوله سبحانه الله للمبالغة والتوكيد (ان الله عز بز حكيم) وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لان العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شيء أرادوه فهو قادر على إيصال الرحمة لمن أرادوا إيصال العقوبة لمن أرادوا الحكيم هو الذي يدبر عبادته على ما يقتضيه العدل والانصاف (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) اما ذكر الله في الآيات المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر سبحانه وتعالى في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الخير والثواب والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يتحير في حسناتها الناظر لانه سبحانه وتعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن والمعطوف يجب أن يكون مغاير للمعطوف عليه فتكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الأخرى البساتين التي يتزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما (ومساكن طيبة) يعني ومنازل يسكنونها طيبة (في جنات عدن) يعني في بساتين خلد واقامة يقال عدن بالمكان اذا أقام به روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قال استل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من أولوة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوقه جراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين وفي رواية في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فان صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعني دار الله وهو من أب حذف المضاف تقديره عدن دار أصفياء الله التي أعدها لوليائه وأهل طاعته والمقر بين من عباده عن ابى موسى الأشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم الراء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني وسطها وقال عبد الله بن عمر بن العاص ان في الجنة قصر يقال له عدن حوله البروج والرواحل خمسة آلاف باب لا يدخله الا النبي أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافته وقال مقاتل والسكبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجان حولها محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله حتى ينزلها أهلها وهم الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهدرج طيبة من

(يامرون بالمعروف) باطاعة والايمن (ويهنون عن المنكر) عن الشرك والعصيان (ويقيمون الصلاة) ويؤتون الزكاة ويطهون الله ورسوله أولئك سبوحهم الله (السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في سائق منك بوما (ان الله عز بز) على غالب كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضح كلا موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد (في جنات عدن) هو علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن وقد عرفت ان الذي والى وضعا لوصف المعارف بالجل وهي مدينة في الجنة

(ورضوان من الله) وشي من رضوان الله (أ كبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذلك) اشارة الى ما وعدوا الى الرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا (يا أيها النبي جاهد الكفار) (٢٦١) بالسيف (والمنافقين) بالحنة (واغظ)

عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحنة وتستهمل معه الغلظة ما أمكن منها (وما أوهم جهنم وبئس المصير) جهنم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسبهم مع من معه منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لآخواتنا الذين خافناهم وهم ساداتنا فنحن شر من الجبر فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس أجل والله ان محمد اصادق وأنت شر من الجبر وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره خلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) يعني ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الجبر أو هي استهزاؤهم فقال الجلاس يا رسول الله

تحت العرش فتدخل عليهم كشيان المسك الأبيض قال الامام نجر الدين الرازي حاصل هذا الكلام ان في جنات عدن قولين أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الاخبار والآثار تقوى هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بديل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الازهرى عدن مأخوذ من قولك عدن بالمكان اذا أقام به يعدن عدو نافع هذا الاشتقاق قالوا الجنات كلها جنات عدن وقوله سبحانه وتعالى (ورضوان من الله أ كبر) يعني ان رضوان الله الذي ينزله عليهم أ كبر من كل ما سلف ذكره من نعيم الجنة (ذلك هو الفوز العظيم) اشارة الى ما تقدم ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا نرضى يا ربنا وقد أعطينا ما لم نعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شيء أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط بعدة عليكم أبدا وقوله سبحانه وتعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) يعني بالسيف والمحاربة والقتال (والمنافقين) يعني وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف ان المنافق هو الذى يبطن الكفر ويظهر الاسلام وما كان الامر كذلك لم تجز مجاهدته بالسيف والقتال لاظهاره الاسلام فقال ابن عباس أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين بالسان واذا هاب الرقى عنهم وهذا قول الضحاك أيضا وقال ابن مسعود بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلمه فان لم يستطع فليكنفه في وجهه وقال الحسن وقتادة باقامة الحدود عليهم يعني اذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لان اقامة الحدود واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لهذا معنى بالنفاق وانما قال الحسن وقتادة ذلك لان غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتنقام عليهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم المنافقون قال الطبرى وأولى الاقوال قول ابن مسعود لان الجهاد عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل آخر وقد دلت الدلائل المنفصلة أن الجهاد مع الكفار انما يكون بالسيف ومع المنافقين باظهار الحجة عليهم نارته و بترك الرقى بهم نارته وبالانتها نارته وهذا هو قول ابن مسعود (واغظ عليهم) يعني شدد عليهم بالجهاد والارهاب (وما أوهم جهنم وبئس المصير) يعني أن جهنم مسكنهم وبئس المصير مصيرهم البها فان وت كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمهم وبجأهم فأتى أمر الله عز وجل نبيه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كرامة الكفر وأقام على اظهارها فاما من تكلم بالكفر في السر فاذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال انى مسلم فانه يحكم باسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وان كان معتقدا غير ذلك في الباطن لان الله سبحانه وتعالى أمر باجراه الاحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرايرهم الى الله سبحانه وتعالى لانه العالم باحوالهم وهو يجازيهم في الآخرة بما يستحقون وقوله عز وجل (يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد اقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا فنحن شر من جرائدنا التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا رسول الله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن وأن تصيبني قارعة وأن أخطأ بخطيئة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اقبلت أما والجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا

والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام وفيه دلالة على ان الايمان والاسلام واحد لانه قال وكفروا بعد اسلامهم

خفاة أن أخطا بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلّاس فقال له يا جلّاس قلت ما قال مصعب
خلف ما قال فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا الآيات وروى عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالساً في ظل شجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان فينظر إليكم بعين الشيطان فإذا جاء فلا
تكلموا فم لبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشقني أنت وأصحابك
فانطلق الرجل فجاء بصحابه خلفه وبالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فانزل الله عز وجل يحلفون بالله ما
قالوا ثم نعمتهم جميعاً إلى آخر الآية وقال قتادة ذكرنا أن رجلاً اقتتلاً أحدهما من جهينة والآخر من غفار
وكانت جهينة حلفاء الانصار فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي ابن سلول للادوس انصروا أخاكم
فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمعك يا كلك وقال لئن رجعتنا إلى المدينة ليخرجن الأعراب منها
الاذل فسمى بهما رجل من المساميين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فسأله خلف بالله ما قاله فانزل الله
هذه الآية به هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلّاس بن سويد وذلك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم رجسوا عنهم فقال الجلّاس
لئن كان محمد صادقاً لئن شمر من الخير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس
فاخبره بما قال الجلّاس فقال الجلّاس كذب يا رسول الله على فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا
عند المنبر فقام الجلّاس عند المنبر بعد العصر خلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب على عامر ثم قام
عامر خلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده إلى السماء فقال اللهم أنزل على
نبيك تصديق الصادق منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل
أن يتفرقاه هذه الآية حتى بلغ فان تبوءوا بك خيراً لهم فقام الجلّاس فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض
على التوبة صدق عامر بن قيس فيما قاله لقد قتته وأما أستغفر الله وأتوب إليه فقبل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك منه فتاب وحسنت توبته فذلك قوله سبحانه وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم يعني أظهرها كلمة الكفر بعد اسلامهم وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه
وسلم فقبل هي كلمة الجلّاس بن سويد لئن كان محمد صادقاً لئن شمر من الخير وقيل هي كلمة عبد الله بن أبي
ابن سلول لئن رجعتنا إلى المدينة ليخرجن الأعراب منها الاذل وستأتي القصص في موضعها في سورة المنافقين ان
شاء الله تعالى ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وهو بما لم ينالوا) قال مجاهد هم الجلّاس بقتل الذي سمع مة الله
خشية ان يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان همه قوله لئن رجعتنا إلى المدينة فلم ينله وقيل
هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوقفوا على العقبة وقت رجوعه من
تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فاخبره وأمره ان يرسل اليهم من يضرب وجوهه واحلهم فارسل
حذيفة لذلك وقال السدي قال المنافقون اذا رجعتنا إلى المدينة عقدنا على رأس عبد الله بن أبي ابن سلول تاجاً
فلم يصلوا اليه (وما نتموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) يعني وما أنكرنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم شيئاً الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله والمعنى ان المنافقين عملوا بضعه الواجب فجعلوا موضع شكر
النبي صلى الله عليه وسلم أن تقوموا عليه وقيل انهم بطروا النعمة فنقموا أشراً بطراً وقال ابن قتيبة معناه
ليس ينقمون شيئاً ولا يتعرفون الا الصنع وهذا كقول الشاعر

مانقم الناس من أمية * الأئمة يحلمون ان غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وانما أراد ان الناس لا ينقمون عليهم شيئاً فهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

أي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل يوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضحك من العيش فلما قدم

(وهو بما لم ينالوا) من
قتل محمد عليه السلام أو
قتل عامر لده على الجلّاس
وقيل أرادوا أن يتوجوا
ابن أبي وان لم يرض رسول
الله صلى الله عليه وسلم (وما
نقموا) وما أنكرنا واما
عابوا (الا أن أغناهم الله
ورسوله من فضله) وذلك
انهم كانوا حين قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم
المدينة في ضحك من العيش
لا يركبون الخيل ولا
يحوزون الغنيمه فأثروا
بالغنم وقتل للجلّاس
مولي فامر رسول الله صلى
الله عليه وسلم يديه اثني
عشر ألفاً فاستغنى

(فان يتوبوا) عن النفاق (يك) الثواب (خير لهم) وهي الآية التي تاب عندها (٢٦٣) الجلاس (وان يتولوا) بصروا على النفاق

(يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة) بالقتيل والنار (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) ينجزهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله) روى ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا يقال عليه السلام يا ثعلبة قائل تزدى شكره خير من كثير لانطقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق إن رزقني ما لا أعطي كل ذي حق حقه فدعاه فاتخذ غنما فبعت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثير ما له حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لآخذ الصدقات فاستقبلها ما الناس بصدقاتهم ومرا بثلثية فسألوه الصدقة فقال ما هذه الاجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجع قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكاماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت بجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله ممنعتني أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله صلى الله

الذي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فأمر له النبي صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دبة فاخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة ان مولى ابني عدى قتل رجلا من الانصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه نزلت وما تقدموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (فان يتوبوا بك خيرا لهم) يعني فان يتوبوا عن كفرهم ونفاقهم بك ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل (وان يتولوا) يعني وان يعرضوا عن الايمان والتوبة وبصروا على النفاق والكفر (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) يعني بالخزي والاذلال (والآخرة) أي ويعذبهم في الآخرة بالنار (وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير) يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة قوله سبحانه وتعالى (ومنهم من عاهد الله ان أتانا من فضله لنصدقن) الآية روى البغوي بسند الثعلبي عن أبي امامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا يقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قائل تزدى شكره خير من كثير لانطقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا يقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لساوت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا والذي بعثك بالحق إن رزقني الله ما لا أعطي كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة ما لا قال فاتخذ غنما فبعت كما ينمي الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمي كما ينمي الدود فكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعدت عن المدينة فصار لا يشهد الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعدت عن المدينة أيضا حتى صار لا يشهد الجمعة ولا جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج فيتلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهم أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهم امر اعلی ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتهم اخرجوا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية انطلقا حتى تفرغتم عودا الى فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزها للصدقة ثم استقبلها ما بها فلما رأياها قال ما هذه عليك قال خذها فان نفسي بذلك طيبة فراعى الناس وأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الاجزية ما هذه الاجزية اذها حتى أرى رأيي قال فاقبل فلما رأها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا السلمي بخير فآخبره بالذي صنع ثعلبة فانزل الله سبحانه وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله ان أتانا من فضله لنصدقن الآية الى قوله سبحانه وتعالى وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله ممنعتني ان أقبل منك صدقتك فجعل يحشو على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أتى ان يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر فقال أقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأنا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولى عمر أنه فقال أقبل صدقتي

عليه وسلم لجاء بها الى أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها واهلك في زمن عثمان رضي الله عنه (لئن أتانا من فضله) أي المال (لنصدقن) لنخرج من الصدقة والاصل لنصدقن ولكن التاء أذغمت في الصادق بجماعتها

فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فاننا لا نقبلها منك فلم يقبلها ثم ولي عثمان فاتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضاً بسنده قال بهض العلماء أنه لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لأن الله سبحانه وتعالى منه من قبولها منه بحجازة له على أخلافه بما عاهد الله عليه واهانته له على قوله إنما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر هذا القول منه ردت صدقته عليه اهانة له ويعتبر ذيره به فلا يمنع من بذل الصدقة عن طيب نفس باخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يشاب على اخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس ان ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الانصار فاشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وصدقته منه ووصلت القرابة فبات ابن عم له فورث منه ما لا فلم يف بمعااهدة الله عليه فانزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن وبجاءت نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملا قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلافه وقال ابن السائب ان حاطب ابن أبي بلتعة كان له مال بالشام فابطأ عليه جهده لذلك جهدا شديدا خلف بالله لئن آتاني الله من فضله يعني ذلك المال لا صدقن منه ولا صلن فلما آتاه ذلك المال لم يف بمعااهدة الله عليه فنزلت هذه الآية حاصله ان ظاهر الآية يدل على ان بعض المنافقين عاهد الله لئن آتاه من فضله ليمصدقن ويلفعلن فيه أفعال الخير والبر والصلوة فلما آتاه الله من فضله ما سأل لم يف بمعااهدة الله عليه ومعنى الآية ومن المنافقين من أعطى الله عهدا لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا في الرزق لنصدقن يعني لنتصدقن ولنخرجن من ذلك المال صدقته (ولتكونن من الصالحين) يعني ولنعلمن في ذلك المال ما يعمله أهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها إلى أهلها والصالح ضد المفسد والمفسد هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج الزكاة الواجبة وقوله ولتكونن من الصالحين اشارة إلى كل ما يفعله أهل الصلاح على الاطلاق من جميع أعمال البر والطاعة (فلما آتاهم من فضله بخلافه) يعني فلما رزقهم الله لم يفعلوا من أعمال البر شيئا (وتولوا) يعني عما عاهدوا الله عليه (وهم معرضون) يعني عن العهد (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) يعني فاعةقبهم الله نفاقا بان صيرهم منافقين يقال أعقب فلانا دامة اذا صارت عاقبة أمره الى ذلك وقيل معناه انه سبحانه وتعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم (الى يوم يلقونه) يعني انه سبحانه وتعالى حرّمهم التوبة الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه (بما خلفوا الله ما وعدوه) يعني الصدقة والانفاق في سبيله (وبما كانوا يكذبون) يعني في قولهم لنصدقن ولتكونن من الصالحين عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا وعد أخلف واذا خصم جفر قال الشيخ محي الدين النووي هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشکلا من حيث ان هذه الخصال قد توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك وقد أجمع العلماء على ان من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق مخلد في النار فان اخوة يوسف عليهم السلام جمعوا هذه الخصال وكذا قد يوجد لبعض السلف وبعض العلماء بعض هذا أو كله قال الشيخ هذا ليس بحمد الله اشكالا ولكن اختلف العلماء في معناه فالذي قاله المحققون والاكثر وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وحبها يشبه المنافقين في هذه الخصال ويتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقا في حق من حدثه وعده وآمنه وخاصمه وعاهده من الناس لأنه منافق في الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار المخادين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه

(ولتكونن من الصالحين) باخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال (وتولوا منهاهم) (بخلافه) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصررون على الاعراض (فاعقبهم نفاقا في قلوبهم) فاورثهم البخل نفاقا في قلوبهم لانه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أي جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بما خلفوا الله ما وعدوه) وبما كانوا يكذبون (بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكوّنهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد نفاق النفاق

يتناجون به فيما بينهم - من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه شيء (الذين) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجرح على البذل من الضمير في سرهم ونجواهم (يله زون المطوعين) يعيرون المطوعين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق بياعزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فداء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعمالي فقال عليه السلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله حتى صولحت بماض امرأته عن ربع الثمن على الثمانين ألفاً وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (والذين) عطف على المطوعين (لا يجحدون الاجهدهم) طاقتهم وعن نافع جهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عبيد بن بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعمالي وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى

وسلم كان منافقاً خالصاً عنه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه فاما من ندر ذلك منه فليس ذلك حاصلاً فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم حدثوا في إيمانهم فكذبوا أو أتموا على دينهم فخانوا ووعدوا في أمر الدين ونصره فآخفوا وجزوا في خصوصاتهم وهذا قول سعيد بن جبيرة وعطاء بن أبي رباح ورجع إليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروى عن ابن عباس وابن عمرو ورواه أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال أكثرنا ثمنا وحكي الخطابي قولاً آخر ان معناه التحذير للإسلام ان يعتاد هذه الخصال وحكي أيضاً عن بعضهم ان الحديث ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير إشارة كقوله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يفعلون كذا والله أعلم وقال الامام نضر الدين الرازي ظاهر هذه الآية يدل على ان نقض العهد وخلاف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم ان يبالي في الاحتراز عنه فاذا عاهد الله في أمر فليجهد في الوفاء به ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ألم يعلموا) يعني هؤلاء المنافقين (ان الله يعلم سرهم) يعني ما نطوى عليه صدورهم من النفاق (ونجواهم) يعني ويعلم ما يفاوض به بعضهم بعضاً فيما بينهم والنجوى هو الخفى من الكلام يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون ان الله يعلم جميع أحوالهم لا يخفى عليه شيء منها (وأن الله علام الغيوب) وهذا مبالغة في العلم يعني ان الله عالم بجميع الأشياء فكيف تخفى عليه أحوالهم ﴿قوله عز وجل (الذين يلتمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات) الآية (ق) عن أبي مسعود البدرى قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشئ كثير ففعلوا امرأه وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا ان الله لغني عن صاع هذا فنزلت الذين يلتمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجحدون الاجهدهم الآية وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك باربعة آلاف فاجعلها في سبيل الله وأمسكت أربعة آلاف لعمالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عبيد الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما لعمالي وأتيتك بالآخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء وان الله ورسوله لغنيان عن صاع أبي عبيد ولا يمكن أحب أن يذكر نفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله سبحانه وتعالى الذين يلتمزون يعيرون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى في الصدقات والتطوع التنقل بما ليس بواجب عليه (والذين لا يجحدون الاجهدهم) يعني أبا عبيد الانصاري والجهد بالضم الطاقة وهي لغة أهل الحجاز وبالفتح غيرهم وقيل الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل من المال الذي ياتي به فيتصدق به أكثر موقعا عند الله تعالى من الكثير الذي يأتي به فيتصدق به لان الغنى أخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي أخرج القليل انما أخرج عن ضعف وجهه وقد يؤثر المحتاج الى المال غيره رجاء ما عند الله تعالى كما قال سبحانه وتعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فيسخرون منهم) يعني ان المنافقين كانوا يستهزؤون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا وكانوا يهرون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون انه لفقير محتاج اليه فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من برجوا عند الله من الخير والثواب ببذل الموجودات

(سخر الله منهم) جازاهم على سخرتهم وهو خبر غير دعاء (ولهم عذاب أليم) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لابييه في مرضه نزل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) وقد مر أن هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل ان يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (ان تستغفر لهم سبعين مرة فان يغفر الله لهم) والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم لتكثير وليس على التحديد والغاية إذ لو استغفر لهم مدة حياته ان يغفر الله لهم لانهم كفار والله لا يغفر ان كفر به والمعنى وان بالغت في الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الاخبار بذلك

(٢٦٦)

ذلك انثواب الموعود به وقوله سبحانه وتعالى (سخر الله منهم) يعني انه سبحانه وتعالى جازاهم على سخرتهم ثم وصف ذلك وهو قوله تعالى (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان نفاقهم وظهر للمؤمنين جازا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتدرون اليه ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم أو لا تستغفر لهم وهذا كلام خرج مخرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر فلن يغفر الله لهم وانما خص سبحانه وتعالى السبعين من العدد بالذكر لان العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى على عمه حذرة رضي الله تعالى عنه سبعين تكبيرة ولان أحاد السبعين سبعة وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فهدى الله تبارك وتعالى السبعين بالذكر للمباغاة في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر خص لي فسأز يدن علي السبعين لعل الله أن يغفر لهم فانزل الله سبحانه وتعالى سوا عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم (ق) ابن عمر قال لما توفي عبد الله يعني ابن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكن في أبيه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ايصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خير في الله عز وجل فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسأز يدن علي السبعين قال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصلي على من اتوا وهم فاسقون زاذ في رواية فترك الصلاة عليهم وقوله سبحانه وتعالى (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) يعني ان هذا الفعل من الله وهو ترك عفوهم وترك المغفرة لهم من أجل انهم اختاروا الكفر على الايمان بالله ورسوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) يعني والله لا يوفق للايمان به ورسوله من اختار الكفر والخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله وقوله عز وجل (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم في المدينة خلاف رسول الله يعني بعده وعلى هذا المعنى خلاف بمعنى خلف فهو اسم لاجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه فن تركه خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار الى تبوك وأقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أمرهم بالخروج الى الجهاد فاختر والبقعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) والمعنى انهم فرحوا بسبب الخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان الانسان يميل بطبعه الى

السبعين من بين سائر الأعداد ان العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لاقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع وتر وأول الاشفاع اثنان وأول الاوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجع الكثير من النوعين لان فيها أورا ثلاثة واشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لان ما جاوز العشرة فهو اضافة لأحاد الى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر الى عشرين والعشرون تكرر العشرة مرتين والثلاثون تكرر بها ثلاث مرات وكذلك الى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكالاحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لاقصاه جاز أن يكون تخصيص

السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذلك) إشارة الى اليأس من المغفرة (بانهم) بسبب انهم (كفروا بالله ورسوله)

ولاعفران للكافرين (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن الايمان ماداموا مختارين للكفر والظلمة (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أي قعدوا مخالفة له ومخالفين له (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أي لم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وكيف لا يكونون وما فيهم في المؤمنين

ايشار

من باعث الايمان وداعى الايقان (وقالوا لا تنفروا في الحر) قال بعضهم لبعض اوقالوا للمؤمنين تنبيطا (قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفتقون) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة (٢٦٧) الا بد كان أجهل من كل جاهل

(فليضحكوا قليلا وليكفوا كثيرا) أي فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم في الدنيا ويكفون كثيرا جزاء في العقبى الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان أهل النفاق يبيكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جزء بما كانوا يكسبون) من النفاق (فان رجعت الله) أي ردك من تبوك وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فاستأذنونك للخروج) الى غزوة بعد غزوة تبوك (فقبل لن تخرجوا مسمى أبدا) ويسكون الباء جزء وعلى أبو بكر (وان تقاتلوا مسمى عدوا) معي حصص (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) أول ما دعيتم الى غزوة تبوك (فاعقدوا مع الخالفين) مع من تخلف بعد وسأل ابن عبد الله بن أبي وكان مؤمنا ان يكفن النبي صلى الله عليه وسلم أباه في قبصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال عليه السلام ذلك لا ينفعه وكنتم أرجوان

ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال وهو قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لا تنفروا في الحر) وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله عن هذا بقوله سبحانه وتعالى (قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفتقون) يعني قل يا محمد طهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافاً عن الجهاد في الحران نار جهنم التي هي موعدهم في الآخرة أشد حرًا من حر الدنيا لو كانوا يفتقون قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يتبعوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلان تنفروا في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفتقون فامر الله تعالى بالخروج (فليضحكوا قليلا) يعني فليضحك هؤلاء الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بمقعدهم خلافاً (وليكفوا كثيرا) يعني مكان ضحككم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة الامر الا أن معناه الاخبار والمعنى انهم وان فرحوا وضحكوا طول أعمارهم في الدنيا فهو قليل بالنسبة الى بكائهم في الآخرة لان الدنيا فانية والآخرة باقية والمنقطع الفاني بالنسبة الى الدائم الباقي قليل (جزء بما كانوا يكسبون) يعني أن ذلك البكاء في الآخرة جزءا لهم على ضحكهم وأعمالهم الخبيثة في الدنيا (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا أن تبكوا فاقبوا كوا فان أهل النار يبيكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كأنها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتفرغ العيون فلوان سفتنا أجريت فيها لجرت قوله سبحانه وتعالى (فان رجعت الله) يعني فان ردك الله يا محمد من غزاتك هذه (الى طائفة منهم) يعني الى المتخلفين عنك وانما قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل أصحاب الاعداد (فاستأذنونك للخروج) يعني فاستأذنتك المنافقون الذين تخلفوا عنك وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة أخرى (فقل ان تخرجوا مسمى أبدا) يعني فقل يا محمد طهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم ان تخرجوا مسمى أبدا لاني غزوة ولا الى سفر (وان تقاتلوا مسمى عدوا) يعني لانكم (رضيتم بالقعود أول مرة) يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك (فاعقدوا مع الخالفين) يعني مع المتخلفين النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين يقال صاحبه خائفه اذا كان مخالفا كثيرا لخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله سبحانه وتعالى منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد وهو مشعر باظهار نفاقهم وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله عز وجل (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) الآية قال قتادة بعث عبد الله بن أبي اسلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتمه قال فيها عمر عن ذلك فانه نبي الله صلى الله عليه وسلم فامادخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم قال اهلكك حب اليهود فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤنبنني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قبصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفنه في قبصه صلى الله عليه وسلم ونفت في جلده ودلاه في قبره فانزل الله سبحانه وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية (خ) عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي اسلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقالت يا رسول الله أتصلى على ابن أبي اسلول وقد قال يوم كذا وكذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أخر عنى

يؤمن به ألف من قومه فنزل (ولا تصل على أحد منهم) من المنافقين يعني صلاة الجنازة روى انه أسلم ألف من الخرج لما رآه يطلب التبرك بشوب النبي صلى الله عليه وسلم (مات) صفة لاحد (أندا) ظرف للتصل وكان عليه السلام اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقبل

يا عمر فلما سأ كثر عليه قال اني خيرت فاخترت لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له زدت عليه اقال فضلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزات الآيتان من براءة ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاستقون قال فحجبت بعد من جزأني على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله أعلم وأخرجه الترمذي وزاد فيه فاصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله تعالى (ق) عن جابر قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن أبي بعد ما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفت فيه من ريقه وألبسه قميصه والله أعلم قال وكان كساعبا ساقيا قال سفيان وقال أبو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قيصان فقال له ابن عبد الله يا رسول الله ألبس عبد الله قميصك الذي يلبى جلدك قال سفيان فيرون أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس عبد الله قميصه مكافأة لما صنع وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر أتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قيصا فوجدوا قيص عبد الله بن أبي بقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي ألبسه

فصل في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم أنه لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول أتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه وأن يصلى عليه فاعطاه قميصه وصلى عليه وفي حديث عمر ابن الخطاب من افراد البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى له ليصلى عليه وفي حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه بعد ما أدخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفت عليه من ريقه وألبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه وايس في حديث جابر ذكر الصلاة عليه فالظاهر والله أعلم أنه صلى عليه أولا كما في حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه ثانيا بعد ما أدخل حفرته فاخرج منه ما نزع عنه القميص الذي أعطاه وكفن فيه لينفت عليه من ريقه ثم انه صلى الله عليه وسلم ألبسه قميصه بيده الكرم فعمل هذا كله بعد الله بن أبي تطيب القاب ابنه عبد الله فإنه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا واما قول قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاداه في مرضه وأنه سأله أن يستغفر له وأن يعطيه قميصه وأن يصلى عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه ونفت في جده ودلاه في حفرته فهذه جل من القول ظاهرها الترتيب وما المراد بهذا الترتيب الا توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفت في جده ودلاه في قبره جملة منقطة عما قبلها يعني أنه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعدما أعطاه القميص وبعد أن صلى عليه والله أعلم وقال القرطبي في شرح صحيح مسلم له ان عبد الله بن أبي بن سلول كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج وغيرهم حسده وناصبه العداوة غير أن الاسلام غلب عليه فنافق وكان رأسا في المنافقين وأعظمهم نفاقا وأشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى اقدروى عن ابن عباس أنهم كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة وكان ولده عبد الله يعني ولد عبد الله بن أبي من فضلاء الصحابة وأصدقهم اسلاما وأكثرهم عبادة وأشرفهم صدرا وكان أبر الناس بآبائه ومع ذلك فقد قال يوم النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم أني من أبر الناس بابي وان أمرتني أن أتيتك برأسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نعتو عنه وكان من أحرص الناس على اسلام آبيه وعلى أن ينتفع من بركات النبي صلى الله عليه وسلم بشئ ولذلك لما مات أبو سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته فاعطاه وسأله أن يصلى عليه فضلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله واسعا قاله ولطلبته ووقول عمر تصلى عليه وقد نهاك الله أن تصلى عليه يحتمل أن يكون قبل نزول ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ويظهر من هذا السياق أن عمر وقع

في خاطره ان الله نهاه عن الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الاطهام والتحديث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم وباحتمل أن يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم ولا تستغفر لهم وهذا ان التأويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر لي والله أعلم أن البخاري ذكر هذا الحديث من رواية بن عباس وساقه سياقه هي أبين من هذه وليس فيها هذا اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لمات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر وثبت اليه الحديث الى قوله فصلى عليه ثم انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى أنزلت عليه الآيات من براءة قال القرطبي وهذا مساق حسن ونزول متقن ليس فيه شيء من الاشكال المتقدم فهو الاول وقوله صلى الله عليه وسلم سأز يد على السبعين وعدل زيادة وهو مخالف لما في حديث ابن عباس عن بن عمر فان فيه لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لذت وهذا اتقييد لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضها ويقيد بعضها بعضا فلذلك قال لو أعلم أني ان زدت على السبعين يغفر له لذت فقد علم أنه لا يغفر له وقوله صلى الله عليه وسلم أني خيرت مشكلا مع قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا وهو متقدم على الآية التي فيها التخيير والجواب عن هذا الاشكال أن النهي عنه استغفاره لمن تحقق موته على الكفر والشرك وأما استغفاره لاولئك المنافقين المخير فيهم فهو قد علم صلى الله عليه وسلم أنه لا يقع في ولا ينفع وغايته وان وقع كان تطيبا للقلوب الاحياء من قراياتهم فانفصل الاستغفار المنهي عنه من التخيير فيه وارتفع الاشكال بحمد الله والله أعلم وقال الشيخ محيي الدين النووي انما اعطاه قيصه ليكفنه فيه تطيبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سأل ذلك فاجابه اليه وقيل بل اعطاه مكافاة لعبد الله بن أبي المنافق الميت لانه ألبس العباس حين أسرى يوم بدر قيصا وفي الحديث بيان مكارم أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له وقابله بالحسنى وألبسه قيصه كفننا وصلى عليه واستغفر له قال الله سبحانه وتعالى وانك له لي خاق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة كانت له بد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب أن يكافئه بها ويروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كام فيما فعل بعبد الله بن أبي فقال صلى الله عليه وسلم وما يعني عنه قيصي وصلاتي من الله والله اني كنت أرجو أن يسلم به ألف من قومه فيروى أنه أسلم ألف من قومه لما رأوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (ولانتم على قبرة) يعني لانتم عليه ولا تقول دفنه من قوهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه أمره وناب عنه فيه (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) وهذا تعليل لسبب المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الآية ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها فان قلت الفسق أدنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا دخل تحت الفسق وغيره فالفائدة في وصفه بكونه فاسقا به ما وصفه بالكفر قلت ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة ولا يضر لاحد سوا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر والخداع واضمار السوء لا غير وهذا أمر مستقيم عند كل أحد ولما كان المنافقون بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله سبحانه وتعالى بكونهم فاسقين بعد أن وصفهم بالكفر ﴿ قوله تعالى (ولانتم على قوهم) وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون) الكلام على هذه الآية في مقامين ١ المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه أن تجد النزول له شأن في تقرير ما نزل أو لا وتأكيده وارادة أن يكون المخاطب به على بال ولا يغفل عنه ولا ينساه وأن يعتقد ان العمل به مهم وانما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه وهو ان أشد الاشياء جذبا للقلوب والخواطر الاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير منه مرة بعد أخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التأييد والمبالغة في التحذير

(ولانتم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل لانهم أي أنهم ليسوا باهل للصلاة عليهم لانهم كفروا بالله ورسوله (ولانتم على أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهد أنفسهم وهم كافرون) التكرير للمبالغة والتأكيده وان يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولان كل آية في فرقة غير الفرقة الاخرى

(واذا أنزلت سورة) يجوز أن يراد سورة بنامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كنهه وعلى بعضه (أن آمنوا بالله) بأن آمنوا وأنه ان المفردة (وجاهدوا مع رسوله استأذنتك أولو الطول منهم) ذو والفضل والسعة (وقالوا ذرنا نحن مع القاعدتين) مع الذين لهم عذر في التخلف كالمرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالم) أى النساء جمع خالفة (وطبع على قلوبهم) ختم عليها لاختيارهم الكفر والتناق (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الهلاك والشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغز ومن هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) تناول منافع الدارين لا طلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء

من ذلك الشيء الذى وقع الاهتمام به وقيل أيضا تمام كره هذا المعنى لانه أراد بالآية الاولى قوما من المنافقين كان لهم أموال واولاد عند نزولها وبالآية الاخرى أقواما آخرين منهم * المقام الثانى فى وجه بيان ما حصل من التفاوت فى الالفاظ فى هاتين الآيتين وذلك انه قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما عطف الآية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم كارهين للاتفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فسن العطف عليه بالفاء فى قوله فلا تعجبك وأما هذه الآية فلانعلق لها بما قبلها فهذا أى بحرف الواو وقال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم وأسقط حرف لانه قال سبحانه وتعالى وأولادهم والسبب فيه ان حرف لادخل هناك لزيادة التأكيد فيدل على أنهم كانوا محبين بكثرة الاموال والاولاد وكان اعجابهم بأولادهم أكثر وفى اسقاط حرف لانه دليل على انه لاتفاوت بين الامرين قال سبحانه وتعالى فى الآية الاولى انما يريد الله ليعذبهم بحرف اللام وقال سبحانه وتعالى هنا أن يعذبهم بحرف أن والمائدة فيه التنبيه على أن التعليل فى أحكام الله محال وانه انما ورد حرف اللام لغناه أن كقوله سبحانه وتعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما أمروا الا بان يعبدوا الله وقال تبارك وتعالى فى الآية الاولى فى الحياة الدنيا وقال تعالى هنا فى الدنيا والفائدة فى اسقاط لفظة الحياة التنبيه على أن الحياة الدنيا بلغت فى الخسة الى حيث انها لا تستحق أن تذكروا تسمى حياة بل يجب الاقتصاد عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيه على كمال دناءتها فهذه جل فى ذكر الفرق بين هذه الالفاظ والله أعلم بمراده وأسرار كتابه ﴿ قوله عز وجل (واذا أنزلت سورة) ﴾ يحتمل أن يراد بالسورة بعضها لان اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل أن يراد جميع السورة فعلى هذا المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر بالجهاد (أن) أى بان (آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله) فان قلت كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد فى المستقبل وقيل ان الامر بالايمان يتوجه على كل أحد فى كل ساعة وقيل ان هذا الامر وان كان ظاهرا للعموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد أصلا فكانه قيل للمنافقين الواجب عليكم أن تؤمنوا بالله وأولادكم جاهدوا مع رسوله نانيا حتى يفيدكم ذلك الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها فى الدنيا والآخرة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (استأذنتك أولو الطول منهم) قال ابن عباس يعنى أهل الغنى وهم أهل القدرة والثروة والسعة من المال وقيل هم رؤساء المنافقين وكبرائهم وفى تخصيص أولى الطول بالذ كر قولان أحدهما ان الذم لهم أئزم لكونهم قادرين على أهبة السفر والجهاد والقول الثانى انما خص أولى الطول بالذ كر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج الى الاستئذان (وقالوا) يعنى أولى الطول (ذرنا نحن مع القاعدتين) يعنى فى البيوت مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى (رضوا بأن يكونوا مع الخوالم) قيل الخوالم النساء اللواتى يتخلفن فى البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا فى تخلفهم عن الجهاد كالنساء وقيل خوالم جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يعنى وختم على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله فى الامر بالجهاد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هم خير منهم يعنى الرسول والمؤمنين (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالمطالب ﴿ قوله سبحانه وتعالى (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وجاء

المعتزون من الاعراب ليؤذن لهم) يعني وجاء المعتذر ون من أعراب البوادي الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يعتذرون اليه في التخلف عن الغزوة قال الضحاك هم رهط عامر بن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم معتذرين اليه دفاع عن أنفسهم فقالوا يا نبي الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طيبي على
 حلاتنا وأولادنا ومواسينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله من أخباركم وسيغني الله عنكم
 وقيل هم نفر من بني غفار رهط خفاف بن ايماء بن رخصة وقيل هم من أسد وغطفان وقال ابن عباس هم
 الذين تخلفوا واعتذروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعتذر ون أي المقصرون يعني
 أنهم قصر اولم يبالعوا فيما اعتذروا به والمعتذر من يرى ان له عذرا ولا يعتذر له وقيل ان الاصل في هذا اللفظ
 عند النحاة المعتذرون أدغمت التاء في الذال اقرب مخرجيهما والاعتذار في كلام العرب على قسمين يقال
 اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك على
 فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذرا اذا أتى بعذر صحيح ومنه قول لبيد
 * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر * يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال
 عذرت عذرا اذا قصر ولم يبلغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن
 المفسرين من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكرهم قال بعده (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)
 فلما فصل بينهم وميزهم عن الكاذبين دل ذلك على أنهم ليسوا كاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء انه لما
 قيل له هذا الكلام قال ان قومنا كفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعتذر ون
 وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جراً على الله تعالى فهم المراد بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم
 منافقوا الاعراب الذين ماجوا وامتعذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله يعني في ادعائهم الايمان
 (سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) يعني في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار وانما قال منهم لانه سبحانه
 وتعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في ايمانه فاستثناهم الله من المنافقين الذين أصروا على الكفر
 والنفاق وما تواعاياه ﴿ قوله عز وجل (ليس على الضعفاء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى المنافقين الذين
 تخلفوا عن الجهاد واعتذروا واعتذروا باطلا عقبه بذكر أصحاب الاعذار الحقيقية الصحيحة وعذرهم وأخبر
 أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال سبحانه وتعالى ليس على الضعفاء والضعيف هو الصحيح في بدنه العاجز عن
 الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخليقة ضعيفا نحيفا
 ويدل على ان هؤلاء الاصناف هم الضعفاء ان الله سبحانه وتعالى عطف عليهم المرضي فقال سبحانه وتعالى
 (ولا على المرضى) والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فاما المرضي فيدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة
 وكل من كان موصوفاً بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو (ولا على الذين لا يجردون ما ينفقون)
 يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجردون الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لان
 العاجز عن نفقة الغزو ومعتذر (حرج) أي ليس على هؤلاء الاصناف الثلاثة حرج أي أنهم في التخلف عن
 الغزو وقال الامام نجر الدين الرازي ليس في الآية أنه يحرم عليهم الخروج الواحد من هؤلاء لو خرج
 ليعين المجاهدين بمقدار القدرة ما يحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن لا يجعل نفسه كالأرواح عليهم
 فان ذلك طاعة مقبولة ثم انه تعالى شرط على الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو بشرط معين وهو قوله سبحانه
 وتعالى (اذا نصحوا لله ورسوله) ومعناه أنهم اذا أقاموا في البلد احترزوا عن افشاء الاراجيف واثارة
 الفتن وسعوا في ايصال الخير الى أهل المجاهدين الذين خرجوا الى الغزو وقاوا واصالح بيوتهم وأخصوا
 الايمان والعمل لله وتابعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فان جملة هذه الامور تجري مجرى النصيحة ورسوله
 (ما على الحسنين من سبيل) أي ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن الجهاد يعتذر قد أباحه

المعتذر ون من الاعراب
 ايؤذن لهم) هو من عذر
 في الامر اذا قصر فيه وتواني
 وحقيقته ان يوهم ان له
 عذرا فيما فعل ولا يعتذر له أو
 المعتذرون بادغام التاء في
 الذال ونقل حركتها الى
 العين وهم الذين يعتذرون
 بالباطل قيل هم أسد
 وغطفان قالوا ان اذاعيا لا
 وان بنا جهد فاذن لنا في
 التخلف (وقعد الذين
 كذبوا الله ورسوله)
 منافقون الاعراب الذين لم
 يجيئوا ولم يعتذروا فظهر
 بذلك انهم كذبوا الله
 ورسوله في ادعائهم الايمان
 (سيصيب الذين كفروا
 منهم) من الاعراب (عذاب
 أليم) في الدنيا بالقتل
 وفي الآخرة بالنار (ليس
 على الضعفاء) الهرمي
 والزمني (ولا على المرضى
 ولا على الذين لا يجردون
 ما ينفقون) هم الفقراء
 من مرتبة وجهيته وبنى
 عذره (حرج) اثم وضيق
 في التأخر (اذا نصحوا لله
 ورسوله) بان آمنوا في
 السر والعلن وأطاعوا كما
 يفعل الناصح اصاحبه (ما
 على الحسنين) المعتذرين
 الناصحين (من سبيل)

أى لا جناح عليهم ولا طير بق لعقاب عليهم (والله غفور) بغير تخلفهم (رحيم) بهم (ولاعلى الذين اذا ما أتوك لتحملهم) لتعطيهم الحولة (قلت) حال من الكف في أتوك (٢٧٢) وقد قبله مضمرة أى اذا ما أتوك قائلا (لا أجد ما أحكم عليكم عليه تولوا) هو جواب اذا

(وأعينهم تفيض من الدمع) أى نسيل كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من تفيض دمعها لأن العين جعلت كأنها دمع فأنضت و... للبيان كقولك أفديك من رجل ومحمل الجار والمجرور النصب على التمييز ويجوز أن يكون قلت لأجد استئنافاً كأنه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقبل ما لهم تولوا باكين فقبل قلت لأجد ما أحكم عليكم إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالأعراض (حزناً) مفعول له (الأيجدوا ما ينفقون) للأيجدوا ما ينفقون ومحل نصب على أنه مفعول له ونصبه حزناً والمستعملون أبو موسى الأشعري وأصحابه أو البكاؤن وهم ستة نفر من الأنصار (أما السبيل على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما لهم استأذنوا وهم أغنياء فقبل رضوا (بان يكونوا مع الخواف) أى بالانتظام فى جملة الخواف (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعاينون يعتذرون

الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى أنه سدد بأحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل أن كل مسلم شهيد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً من قلبه ليس عليه سبيل فى نفسه وماله الا ما أباحه الشرع بدليل منفصل (والله غفور) يعنى لمن تخاف عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع (رحيم) يعنى أنه تعالى رحيم بجميع عباد الله قال قتادة نزات هذه الآية فى عائدين عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزات فى عبد الله بن أم مكتوم وكان ضريباً البصر ^و وماذا كره الله عز وجل هذه الاقسام الثلاثة من المعتذرين أتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى (ولاعلى الذين اذا ما أتوك) يعنى ولا حرج ولا أثم فى التخلف عنك على الذين اذا ما أتوك (لتحملهم) يعنى بسألتك الحلال ايماءة الى غزو وعدوك وعدوهم والجهاد معك يا محمد قال ابن اسحق نزات فى البكائين وكانوا سبعة ونقل الطبرى عن محمد بن كعب وغيره قالوا جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعملونه فقال لأجد ما أحكم عليكم عليه فأنزل الله هذه الآية وهم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بنى واقف حرمى بن عمير ومن بنى مازن ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا بليلى ومن بنى المعلى سلمان بن صخر ومن بنى حارثة عبد الرحمن بن زيد وهو الذى تصدق بعرضه فقبل الله منه ذلك ومن بنى سامة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو والمزنى وقال البغوى هم سبعة نفر ساءوا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الانصارى وعلبة بن زيد الانصارى وسالم بن عمير وعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل المزنى قال أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله عز وجل قد نبأنا الى الخروج معك فاجلنا فقال لأجد ما أحكم عليكم عليه وقال مجاهد هم بنو مقرن من مزيبة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان بنو مقرن وقيل نزات فى العرباض بن سارية ويحتمل أنها نزات فى كل من ذكر قال ابن عباس سأله أن يحمله على الدواب وقيل بل سأله أن يحمله على الخفاف المرقوعة والنعال المصوفة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحكم عليكم عليه فقولوا وهم يكونون ولذلك سموا البكائين فذلك قوله سبحانه وتعالى (قلت لأجد ما أحكم عليكم عليه تولوا) يعنى على أنفسهم فى (من الدمع) قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعاً وهو أبلغ من بفيض دمعها لأن العين جعلت كأنها دمع فأنضت و... للبيان كقولك أفديك من رجل (حزناً) مفعول له (الأيجدوا ما ينفقون) للأيجدوا ما ينفقون ومحل نصب على أنه مفعول له ونصبه حزناً والمستعملون أبو موسى الأشعري وأصحابه أو البكاؤن وهم ستة نفر من الأنصار (أما السبيل على الذين يستأذنونك) فى التخلف (وهم أغنياء) وقوله (رضوا) استئناف كأنه قيل ما لهم استأذنوا وهم أغنياء فقبل رضوا (بان يكونوا مع الخواف) أى بالانتظام فى جملة الخواف (وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعاينون يعتذرون

اليك) يقيمون لانفسهم عذراً باطلا (اذا رجعت اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) (وسيرى) بالباطل (ان تؤمن اليكم) ان تصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار لان الغرض ان المعتذر يصدق فيما يعتذر به (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لانه تعالى اذا أوحى الى رسوله الاعلام بأخبارهم وما فى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم

(وسيرى الله عملكم ورسوله) أتمون أم تثبتون على كفركم (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى تردون اليه وهو عالم كل سر وعلاية (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيجازيكم على حسب ذلك (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) لتتركوهم ولا توبخوهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس) لتعليل ترك معانبتهم (٢٧٣) أى ان المعاتبه لا تنفع فيهم ولا تصاحبهم لانهم

أرجاس لاسـ...بيل الى
تطهيرهم (وَأُوَاهِمُ جَهَنَّمَ)
ومصيرهم...م النار يعنى
وكفتهم...م النار عتابا
وتوبيحها فلا تسكفوا
عتابهم (جزاء بما كانوا
يكسبون) أى يجزون
جزاء كسبهم (يحلفون
لكم اتعرضوا عنهم) أى
غرضهم بالخلف بالله طلب
رضاكم لينفعهم ذلك فى
دنياهم (فان تعرضوا عنهم
فان الله لا يرضى عن القوم
الفاسقين) أى فان رضاكم
وحدكم لا ينفعهم اذا كان
الله ساخطا عليهم وكانوا
عرضة لعاجل عقوبته
وأجلها وانما قيل ذلك
لئلا يتوهم ان رضا المؤمنين
يقضى رضا الله عنهم
(الاعراب) أهل البدو
(أشدكفرا ونفاقا) من
أهل الحضرة لجهالتهم
وقسوتهم وبعدهم عن
العلم والعلماء (وأجدد
ان لا يعلموا) وأحق بان لا
يعلموا (حدود ما أنزل الله
على رسوله) يعنى حدود
الدين وما أنزل الله من
الشرايع والاحكام ومنه
قوله عليه السلام ان الجفاء

(وسيرى الله عملكم ورسوله) يعنى فى المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم) يعنى فيخبركم (بما كنتم تعملون) لانه هو المطلع على ما فى ضمائركم من الحيانة والكذب واخلاف الوعد قوله عز وجل (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم) يعنى اذا رجعت من سفركم اليهم يعنى الى المتخلفين بالمدينة من المنافقين (لتعرضوا عنهم) يعنى اتصفحو عنهم ولا توبخوهم ولا توبخوهم بسبب تخافتهم (فاعرضوا عنهم) يعنى فدعوهم وما اختاروا والانفسهم من النفاق وقيل ير يدترك الكلام يعنى لانكم موهم ولانجاسوهم فمما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لانجاسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني ان هؤلاء المنافقين طلبوا اعراض الصبح فاعطوا اعراض المقت ثم ذكر العلة فى سبب الاعراض عنهم فقال تعالى (انهم رجس) يعنى أن بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة (ومأواهم) يعنى مسكنهم فى الآخرة (جهنم جزء بما كانوا يكسبون) يعنى من الاعمال الخبيثة فى الدنيا قال ابن عباس نزلت فى الجدين قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لانجاسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت فى عبد الله بن أبى حلف انبى صلى الله عليه وسلم بالله الذى لا اله الا هو انه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية التى بعدها (يحلفون لكم اتعرضوا عنهم) يعنى يحلف لكم هؤلاء المنافقون لتعرضوا عنهم (فان تعرضوا عنهم) يعنى فان رضيت عنهم أي المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عندهم (فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) يعنى أنه سبحانه وتعالى يعلم ما فى قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبداً وقوله سبحانه وتعالى (الاعراب أشدكفرا ونفاقا) نزلت فى سكان البادية يعنى ان أهل البدو أشدكفرا ونفاقا من أهل الحضرة قال أهل اللغة يقال رجل عربى اذا كان نسبه فى العرب وجعه العرب ورجل أعرابى اذا كان بدو يا يطلب مساقط الغيث والكلاوي يجمع الاعرابى على الاعراب والاعرابى فبن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الاعراب فالاعرابى اذا قيل له ياعربنى فرح بذلك والعربى اذا قيل له ياعررابى غضب والعرب أفضل من الاعراب لان المهاجرين والانصار وعلماء الدين من العرب والسبب فى كون الاعراب أشدكفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماخ القرآن والسنين والمواظ وهو قوله سبحانه وتعالى (وأجدد) يعنى وأخلقى وأحزى (الأياموا) يعنى بان لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) يعنى الفرائض والسنن والاحكام (والله عليم) يعنى بما فى قلوب عباده (حكيم) فمافرض من فرائضه وأحكامه (ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) يعنى لا يرجو على انفاقه ثوابا ولا يخاف على امساكه عقابا انما ينفق فى خوف أو رياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى ان من الاعراب من يعتقد أن الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة لانه لا ينفق ذلك الا خوفا من المسامين وأمر الآلهم ولم يرد بذلك الانفاق وجه الله وثوابه (و يتر بص) يعنى ويقتلر (بكم الدوائر) يعنى بالدوائر ثقل الزمان وصروفه التى تاتى مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رباب يعنى ثقل الزمان فموت الرسول وتظهر المشركون (عليهم دائرة السوء) يعنى بل ثقل عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن بهم ولا يرون فى

(٣٥ - خازن) - ثانياً) والقسوة فى الفداين يعنى الاكراه لانهم يفدون أى يصيحون فى حرزتهم والقديدا الصياح (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فى امهالهم (ومن الاعراب ما يتخذ ما ينفق) أى يتصدق (مغرما) غرامة وخسرانا لانه لا ينفق الا لثمة من المسلمين ورياء لوجه الله وابتغاء الثواب عنده (و يتر بص بكم الدوائر) أى دوائر الزمان وتبدل الاحوال بدور الايام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) أى عليهم بدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسامين السوء

لما بقى ولون اذا توجهت عليهم الصدقة (علم) بما يضره (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق في الجهاد والصدقات (قربات) أسبابا للقرية (عند الله) وهو مفعول ثان ليتخذ (وصلوات الرسول) أى دعاءه لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل أنى أو فى (ألا انها) أى النفقة أو صلوات الرسول (قرية لهم) قرية نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات و صلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حروف التنبيه والتحقيق المؤذين بنبات الامر وتمكنه وكذلك (سيد خلهم الله فى رحته) جنته وما فى الدين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها (ان الله غفور) يستر عيب الخلق (رحيم) يقبل جهد المقل (والسابقون) مبتدأ (الاولون) صفة لهم (من المهاجرين) تبيين لهم وهم الذين صلوا الى القبليتين أو

محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه الا ما يسوءهم (والله سميع) يعنى لاقوالهم (علم) يعنى بما يخفون فى ضمائرهم من النفاق والغش واردة السوء للمؤمنين نزات هذه الآية فى اعراب أسد وغطفان وتيمم ثم استثنى الله عز وجل فقال تبارك وتعالى (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيتهم ان كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر ابن صعصعة فقال رجل خابوا وخسر وا قال نعم هم خير من بنى تميم وبنى أسد وبنى عبد الله بن غطفان ومن بنى عامر بن صعصعة وفى رواية أن الاقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم انما تابعتك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة فقال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت ان كان أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بنى تميم وبنى عامر وأسد وغطفان قال خابوا وخسر وا قال نعم (ق) عن أنى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها زاد مسلم فى رواية له ما نأى لم أقلها لكن الله قالها (ق) عن أنى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قرىش والانصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالى ليس لهم مولى دون الله ورسوله ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (ويتخذ ما ينفق قربات عند الله) جمع قرية أى بطاب ما ينفق القرية الى الله تعالى (وصلوات الرسول) يعنى ويرغبون فى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أنى أو فى (ألا انها قرية لهم) يحتمل أن يعود الضمير فى انها الى صلوات الرسول ويحتمل أن يعود الى الانفاق وكلاهما قرية لهم عند الله وهذه شهادة من الله تعالى للمؤمن المتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول له مقبولة عند الله لان الله سبحانه وتعالى أكد ذلك بحرف التنبيه وهو قوله تعالى الأول بحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قرية لهم (سيد خلهم الله فى رحته) وهذه النعمة هى أقصى مرادهم (ان الله غفور) للمؤمنين المنفقين فى سبيله (رحيم) يعنى هم حيث وفقهم لهذه الطاعة ﷺ وقوله سبحانه وتعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) اختلف العلماء فى السابقين الاولين فقال سعيد بن المسيب وقتادة وابن سيرين وجاعة هم الذين صلوا الى القبليتين وقال عطاء بن أبى رباح هم أهل بدر وقال الشعبي هم أهل بيعة الرضوان وكانت بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السابق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جيد بن زياد قلت يوم ما محمد بن كعب القرظي أن أخبرني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبما بينهم وأردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجمعهم محسبهم ومسيبهم وأوجب لهم الجنة فى كتابه فقلت له فى أى موضع أوجب لهم الجنة فقال سبحانه الله أن تقرأ والسابقون الاولون الى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد فى رواية فى قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شريطى التابعين شريطة وهى أن يتبعوهم فى أعمالهم الحسنة دون السيئة قال جيد فكأنى لم أقرأ هذه الآية قط واختلف العلماء فى أول الناس اسلاما بعد اتفاهم على ان خديجة أول الخلق اسلاما وأول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض العلماء أول من آمن بعد خديجة على بن أبى طالب وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا فى سنة وتمت اسلامه فقبل كان ابن عشرين سنين وقبل أقل من ذلك وقيل أكثر وقيل كان بالغوا والصحيح أنه لم يكن بالغوا وقت اسلامه وقال بعضهم أول من أسلم بعد خديجة أبو بكر الصديق وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن زبير أول من أسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات فيقول أول من أسلم من الرجال أبو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان على بن أبى طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضى الله

تعالى عنهم فهو لاء الاربعة سباق الخلق الى الاسلام قال ابن اسحق فلما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ودعا الناس الى الله ورسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه وبالقونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من يثق به من قومه فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطاحنة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستموا على يده وصالوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية أول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام وأما السابقون من الانصار فهم الذين يابعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي العقبة الاولى وكانوا ستة نفر أسعد بن زرارة وعوف بن مالك ورافع بن مالك بن الجحلان وقطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رباب ثم أصحاب العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا ثم أصحاب العقبة الثالثة وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معمر وعبد الله بن عمرو بن حرام وأبو جابر وسعد بن عباد وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهو لاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى أهل المدينة يعلمهم القرآن فأسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من أهل المدينة وذلك قبل أن يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله سبحانه وتعالى ذكر كونهم سابقين ولم يبين بماذا اسمقوا فبقى اللفظ مجازا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بمكوتهم مهاجرين وانصارا وجب صرف اللفظ الجملة اليه وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا ان الهجرة طاعة عظيمة ومربية عالية من حيث ان الهجرة أمر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصره فانها مربية عالية ومنقبة شريفة لانهم نصره وارسول الله صلى الله عليه وسلم على أعدائه وآووه وواسوه وآووا أصحابه وواسوهم فلذلك أنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال سبحانه وتعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار ﴿ قوله تعالى ﴾ (والذين اتبعوهم باحسان) قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلخوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاءهم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترجون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم (ق) عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي فلو ان احدا وفي رواية احدثكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه أراد بالقرن في الحديث الاول أصحابه والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم بعضا واختلافوا في مدنه من الزمان فقتيل من عشر سنين الى عشر بن وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة والمد المذكور في الحديث الثاني هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من أعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير التافه من أعمال الصحابة وانفاقهم لانهم أنفقوا وبذلوا الجهد في وقت الحاجة وقوله سبحانه وتعالى (رضي الله عنهم ورضوا عنه) يعني رضي الله عن أعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليه من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة (وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدون فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون) ذكر جماعة من المفسرين المتأخرين كالبلغوي والواحدى وابن الجوزي انهم من اعراب منبنة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء الاعراب منافقون وما رواه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا هؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين في جعل قوله سبحانه وتعالى (ومن حولكم من الاعراب منافقون

الاولى وكانوا ستة نفر
وأهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين (والذين اتبعوهم
باحسان) من المهاجرين
والانصار فكانوا سائر
الصحابة وقيل هم الذين
اتبعوهم بالايمان والطاعة
الى يوم القيامة والخصر
(رضي الله عنهم) بأعمالهم
الحسنة (ورضوا عنه) بما
أفاض عليهم من نعمته
الدينية والدنيوية (وأعد
لهم) عطف على رضى
(جنات تجري تحتها
الانهار) من تحتها مكى
(خالدون فيها أبدا ذلك
الفوز العظيم ومن حولكم
يعنى حول بلدكم وهي
المدينة (من الاعراب
منافقون) وهم جهينة
وأسلم وأشجع وغفار كانوا
نازلين حولها

٢ قوله ستة نفر المعدود هنا
خسة والسادس عقبة بن
عامر كافي المواهب وقوله
في الهامش سبعة تبع فيه
الكشاف وهو مخالف لما
في المواهب وما هنا اه

(ومن أهل المدينة) عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت
ومن أهل المدينة قوه (مردوا) (٢٧٦) على النفاق) أي تمهر وافية على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الاول

على القليل لان اذمة من التبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن
الجمع بين قول المفسرين وعاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأما الطبري فانه أطلق القول ولم يعين أحدا من
القبائل المذكورة بل قال في تفسيره هذه الآية من القوم الذين حول مدينتكم أيها المؤمنون من الاعراب
منافقون ومن أهل مدينتكم أيضا أمثالهم أقوام منافقون وقال البغوي (ومن أهل المدينة) من الاوس
والخزرج منافقون (مردوا على النفاق) وفيه تقديم وتأخير تقديره وعن حولكم من الاعراب ومن أهل
المدينة منافقون مردوا على النفاق يعني من نواعليه يقال مرد فلان على ربه اذا عتوا وتجبر ومنه الشيطان
المارد وتمرد في معصيته أي مر من وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحق لجوا فيه وأبو غيره وقال
ابن زيد أقواما عليه ولم يتوبوا معه (لا تعلمهم) يعني أنهم بلغوا في النفاق الى حيث أنك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء
خاطرهم واطلاعك على الاسرار (نحن نعلمهم) يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا تخفى علينا خافية وان دقت
(سنة بهم مرتين) اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم على أن العذاب الثاني هو عذاب القبر
بدليل قوله (ثم يردون الى عذاب عظيم) وهو عذاب النار في الآخرة فثبت بهذا أنه سبحانه وتعالى يعذب
المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الآخرة أما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها
فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج
يا فلان فانك منافق فخرج من المسجد أناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان
صح هذا القول فيحتمل أن يكون بعد أن أعلمه الله حالهم وسماهم لانه سبحانه وتعالى قال لا تعلمهم نحن
نعلمهم ثم بعد ذلك أعلمهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والسبي وهذا القول ضعيف لان أحكام
الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافة فلم يقتلوا ولم يسبوا وعن مجاهد رواية أخرى أنهم عذبوا بالجوع
مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها اخرج من نار تظهر في
أكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى هي المصائب في الاموال
والاولاد في الدنيا والآخرى عذاب القبر وقال ابن عباس الاولى اقامة الحد ودعوتهم في الدنيا والآخرى عذاب
القبر وقال ابن اسحق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والآخرى
عذاب القبر وقيل احدا هم اضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والآخرى عذاب القبر
وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والآخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله سبحانه وتعالى ثم
يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم بخلاف قوله عز وجل (وآخرن اعترفوا بذنوبهم) فيه قولان
أحدهما أنهم قوم من المنافقين نابوا من نفاقهم وأخلصوا وخجته هذا القول أن قوله تعالى وآخرن اعترفوا
على قوله وعن حولكم من الاعراب منافقون والعطف موهم وبعضه ما نقله الطبري عن ابن عباس أنه قال
هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين أنها نزلت في جماعة من المسلمين من أهل المدينة تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندوا على ذلك واختاب المفسرون في عددهم فروى
عن ابن عباس أنهم كانوا عشرة منهم أبو لبابة وروى عنه أنهم كانوا خمسة أحدهم أبو لبابة وقال سعيد بن جبير
وزيد بن أسلم كانوا ثمانية أحدهم أبو لبابة وقال قتادة والضحاك كانوا سبعة أحدهم أبو لبابة وقيل كانوا ثلاثة
أبو لبابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك أنهم كانوا يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ثم ندوا بعد ذلك وتابوا وقالوا أن نكون من الضلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه
وسلم وأصحابه في الجهاد واللاء فاجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا

لا يخجلون أن يكون كلاما
مبتدأ أو صفة لمنافقون
فصل بينهما وبينه بمعطوف
على خبره ودل على
مهارتهم فيه بقوله
(لا تعلمهم) أي يخفون
عليك مع فطنتك وصدق
فراستك لفرط تنوفه في
تحمي ما يشكك في
أمرهم ثم قال (نحن
نعلمهم) أي لا يعلمهم الا الله
ولا يطلع على سرهم غيره
لانهم يبطنون الكفر في
سويداء قلوبهم ويبرزون
لك ظاهرا كظاهر
الخاصين من المؤمنين
(سنة بهم مرتين) هما
القتل وعذاب القبر أو
الفضيحة وعذاب القبر أو
أخذ الصدقات من أموالهم
ونهلك أبدانهم (ثم يردون
الى عذاب عظيم) أي
عذاب النار (وآخرن)
أي قوم آخرون سوى
المدكورين (اعترفوا
بذنوبهم) أي لم يعتدروا
من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة كغيرهم ولكن
اعترفوا على أنفسهم بانهم
بش ما فعلوا ناديين وكانوا
عشرة فسبعة منهم لما
بلغهم ما نزل في المتخلفين
أو تقوا أنفسهم على سوارى
المسجد فقدم رسول الله

صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر والله
لأنهم أقسموا أن لا يخجلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلمهم فقال وأنا أقسم أن لأحلمهم حتى أمر فيهم فنزلت

والله لتوثقن أنفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعدنا
 فربطوا أنفسهم في سواري المجد فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم منهم فرأهم فقال من هؤلاء فقالوا
 هؤلاء الذين تخاضوا عنك فعاهدوا الله أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي نطلقهم وترضى عنهم
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقسم بالله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى أمر بطلاقهم رغبوا عني
 وتخفوا عن الغزوم المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الآية فارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم
 فاطلقهم وعذرهم فلما أطلقوا قالوا يا رسول الله هذه أموالنا التي خافتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا
 واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فانزل الله خذ من أموالهم
 صدقة تطهرهم الآية وقال قوم نزت هذه الآية في أبي لبابة خاصة واختلوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد
 نزت في أبي لبابة حين قال النبي فربطة ان نزتم على حكمه فهو الذبح وأشار الى حلقة فندم على ذلك وربط
 نفسه بسارية وقال والله لا أحل نفسي ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله علي فكث سبعة
 أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الآية فقبل له قد تيب عليك فقال والله لا أحل
 نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يمحي جناح رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده
 فقال أبو لبابة يا رسول الله ان من توبتي أن أهجردار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي كله
 صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجوز لك الثلث يا أبا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ثلث أموالهم وترك لهم الثلثين لان الله سبحانه وتعالى قال خذ من أموالهم ولم يقل خذ أموالهم
 لان افضلة من تقتضى التبعية وقال الحسن وقتادة وهو لا عسوى الثلاثة الذين نخلقوا وسيأتي خبرهم وأما
 تفسير الآية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال أهل المعاني الاعتراف عبارة عن الاقرار بالشيء
 ومعناه انهم أقروا بذنوبهم وفيه دققة وهي أنهم لم يعتذروا عن تخلفهم باعذار باطلة كغيرهم من المنافقين
 ولكن اعترفوا على أنفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت الاعتراف بالذنب هل يكون توبة
 أم لا قلت مجرد الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب
 والعزم على تركه في المستقبل يكون ذلك الاعتراف والندم توبة ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (خلطوا
 عملا صالحا وآخر سيئا) قيل أراد بالعمل الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيئ هو تخلفهم
 عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى سائر الغزوات والسيئ هو تخلفهم عنه في غزوة تبوك وقيل ان العمل الصالح لجميع أعمال
 البر والطاعة والسيئ ما كان ضده فعلى هذا تكون الآية في حق جميع المسلمين والحمل على العموم أولى
 وان كان السبب مخصوصا بمن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وروى الطبري عن
 أبي عثمان قال ما في القرآن آية أرجى عندي لهذه الامم من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم فان قلت قد
 جعل كل واحد من العمل الصالح والسيئ مخلوطا فالحلوط به قلت ان الخلط عبارة عن الجمع المطلق
 فاما قولك خلطته فاما يحسن في الموضوع الذي يمزج كل واحد من الخليطين بالآخر ويتغير به عن صفته
 الاصلية كقولك خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن فتتوب الوادع عن البقاء فيكون معنى الآية على
 هذا خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ذكره غالب المفسرين وأسكره الامام نضر الدين الرازي وقال اللاتق بهذا
 الموضوع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيئ اذا حصل معا في كل واحد منهما على حاله كما هو
 مذهبان فان عندنا القول بالاحباط باطل فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم
 والعقاب فقوله سبحانه وتعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فيه تنبيه على نفي القول بالمحاطة وانه بقى كل
 واحد منهما كما كان من غير أن يتأثر أحدهما بالآخر فليس الاجمع المطلق وقال الواحدى العرب تقول

فاطلقهم فقالوا يا رسول الله
 هذه أموالنا التي خلفتنا
 عنك فتصدق بها وطهرنا
 فقال ما أمرت أن آخذ
 من أموالكم شيئا فنزل خذ
 من أموالهم صدقة
 (خلطوا عملا صالحا)
 خروجا الى الجهاد (وأخز
 سينا) تخلفا عنه والتوبة
 والاثم وهو من قولهم بعث
 الشاة شاة ودرهماى شاة
 بدرهم قالوا بمعنى الباء
 لان الواو لا جمع والباء
 للاصاق فيتناسبان أو
 المعنى خلط كل واحد منهما
 بالآخر فكل واحد منهما
 مخلوط ومخلوط به كقولك
 خلطت الماء واللبن تريد
 خلطت كل واحد منهما
 بصاحبه بخلاف قولك
 خلطت الماء باللبن لانك
 جعلت الماء مخلوطا باللبن
 مخلوطا به واذا قلت بالواو
 فقد جعلت الماء واللبن
 مخلوطين ومخلوطا بهما
 كانك قلت خلطت الماء
 باللبن واللبن بالماء

خلطت الماء بالبن وخاطت الماء واللبن كما تقول جمع زيد وعمرو او لو اوفى الآية أحسن من الباء لانه أر بد
معنى الجمع لاحقيقة الخاط الأترى ان العمل الصالح لا يختاط بالسيء كما يختاط الماء باللبن امكن قد يجمع
بينهما ﴿وقوله سبحانه وتعالى (عسى الله أن يتوب عليهم) قال ابن عباس وجهور المفسر بن عسى من الله
واجب والدليل عليه قوله سبحانه وتعالى فعسى الله أن يأتي بالفتح وقد فعل ذلك وقال أهل المعاني لفظه عسى
هنا تنفيذ الطمع والاشفاق لانه أبعد من الاتكال والاهمال وقيل ان الله سبحانه وتعالى لا يحب عليه شيء بل
كل ما يفعله على سبيل التفضيل والتطول والاحسان فذكر لفظه عسى التي هي للترجي والطمع حتى يكون
العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو الى نيل ما يرجوه منه أقرب لانه ختم الآية بقوله (ان الله غفور
رحيم) وهذا يفيد انجاز الوعد ﴿قوله سبحانه وتعالى (خدم من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها) قال
ابن عباس لما أطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبالبابة وصاحبيه انطلق أبوالبابة وصاحبه فانوا بأموالهم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخذنا أموالنا وصدق بها عذنا وصل علينا يا رب دون استغفر لنا وطهرنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخذ شيأ منها حتى أو صر به فانزل الله عز وجل خدم من أموالهم صدقة
الآية وهذا قول زيد بن أسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه
الصدقة فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تبوا وذلك انهم بذلوا أموالهم صدقة فوجب الله سبحانه
وتعالى أخذها وصار ذلك معتبرا في كل تو بهم لتسكون جارية مجرى الكفارة وأصحاب هذا القول يقولون
ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو
وحسن اسلامهم وبذلوا الزكاة أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منهم وقال
بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ان يجب أخذها من الاغنياء ودفعها الى الفقراء وهذا قول أكثر
الفقهاء واستدلوا بها على ان يجب أخذ الزكاة أما حجة أصحاب القول الاول فانهم قالوا ان الآيات لا بد وان
تكون منتظمة متناسبة فلو جلدنا على أخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق بما قبلها ولا بما بعدها
ولان جمهور المفسر بن ذكر وفي سبب نزولها انها نزلت في شأن التائبين وأما أصحاب القول الاخير فانهم
قالوا المناسبة حاصلة أيضا على هذا التقدير وذلك أنهم لما تابوا وأخلصوا وأقروا أن السبب الموجب للتخلف
هو حب المال أمر وابتأج الزكاة التي هي طهرة فلما أخرجوها علمت صحة قولهم وصحة تو بهم ولا يمنع من
خصوص السبب العموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم لا يبلغ ثلث المال وقد أخذ منهم ثلث أموالهم
قد لا يمنع هذا صحة ما قلناه لانهم رضوا ببذل الثلث من أموالهم فلان يكونوا راضين باخراج الزكاة أولى ثم
في هذه الآية أحكام الاول قوله سبحانه وتعالى خدم من أموالهم صدقة الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم أى
خذنا بمحمد من أموالهم صدقة فكان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها منهم أيام حياته ثم أخذها من بعده الأئمة
فيجوز للإمام أو نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء الحكم الثاني قوله من أموالهم ولفظة
من تقتضى التبعية وهذا البعض المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدرها ووصفها في أخذ الزكاة الحكم الثالث ظاهر قوله خدم من أموالهم صدقة
يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في الديون وفي مال الركا في الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم
ان الزكاة انما وجبت لكونها طهرة من الآثام وصد دور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون الصبي
فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول أبي حنيفة ثم أجاب أصحاب الشافعي بأنه لا يلزم
من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا ولا علماء في قوله سبحانه وتعالى تطهرهم أقوال الاول أن معناه
خذنا بمحمد من أموالهم صدقة فانك تطهرهم بأخذها من دنس الآثام القول الثاني أن يكون تطهرهم
متعلقا بالصدقة تقديره خدم من أموالهم صدقة فانها طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان

(عسى الله أن يتوب عليهم)
ان الله غفور رحيم) ولم
يذكر تو بهم لانه ذكر
اعترافهم بذنوبهم وهو
دليل على التوبة (خذ
من أموالهم صدقة) كفارة
لذنوبهم وقيل هي الزكاة
(تطهرهم عن الذنوب
وهو صفة لصدقة والتاء
للخطاب أو اغيبة المؤنث
والتاء في (وتزكهم)
للخطاب لا محالة (بها)
بالصدقة والتركية مبالغة
في التطهير وزيادة فيه
أو بمعنى الانماء والبركة في
المال

الصدقة من أوساخ الناس فإذا أخذ الصدقة فقد اندفعت تلك الأوساخ وكان ذلك الاندفاع جارياً بجمري التطهير فعلى هذا القول يكون قوله سبحانه وتعالى وتزكيتهم بها منقطعاً عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من أموالهم صدقة تطهرهم تلك الصدقة وتزكيتهم أنت بها القول الثالث أن تجعل التاء في قوله تطهرهم وتزكيتهم ضميراً مخاطباً ويكون المعنى تطهرهم أنت يا محمد بأخذها منهم وتزكيتهم أنت بواسطة تلك الصدقة القول الرابع أن معناه تطهرهم من ذنوبهم وتزكيتهم بمعنى ترفع منازلهم عن منازل المنافقين إلى منازل الأبرار المخلصين وقيل معنى وتزكيتهم أى نهي أموالهم ببركة أخذها منهم الحكم الخامس قوله سبحانه (وصل عليهم) أى ادع لهم واستغفر لهم لأن أصل الصلاة فى اللغة الدعاء قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول أجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب على الامام أن يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب فى صدقة الفرض ويستحب فى صدقة التطوع وقيل يجب على الامام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على فلان ويدل عليه ما روى عن عبد الله بن أبى أوفى وكان من أصحاب الشجرة قال كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه أبى بصدقة فقال اللهم صل على آل أبى أوفى أخرجه فى الصحيحين ب وقوله سبحانه وتعالى (ان صلاتك) وقرئ صلواتك على الجمع (سكن لهم) أى أن دعائك رحمة لهم وقال ابن عباس طمأنينة لهم وقيل ان الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبت لقلوبهم وقيل ان السكن ما سكنت اليه النفس والمعنى أن صلواتك توجب سكنون نفوسهم اليها والمعنى ان الله قد قبل نوبتهم وقبل زكائهم (والله سميع) أى لا أقوالهم ولدعائهم (عليم) أى بنبياهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) هذه صيغة استفهام الآن المقصود منه التقرير بفشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول نوبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية أى يعلم هؤلاء الذين تابوا ان الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل ان المراد به هذه الآية غير التائبين ترغيباً لهم فى التوبة وبذلك الصدقات وذلك انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معناباً لا يكلمون ولا يجالسون فبابها اليوم فانزل الله هذه الآية ترغيباً لهم فى التوبة وقوله سبحانه وتعالى عن عبادة قيل لافرق بين عن عبادة ومن عبادة اذ لافرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك أو منك وقيل بينهما فرق واعلم عن فى هذا الموضوع أبلغ لان فيه تيسيراً بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها ب وقوله سبحانه وتعالى (وياخذ الصدقات) أى يقبلها ويثيب عليها أو ما ذكر لفظاً لاخذ ترغيباً فى بذل الصدقة واعطائها الفقراء وقيل معنى أخذ الله الصدقات تصدق منه الجزاء عليها ولما كان هو المجازى عليها والمثيب بها أسند الاخذ الى نفسه وان كان الفقير أو السائل هو الآخذ لها وفى هذا تعظيم أمر الصدقات ونشر يفها وان الله سبحانه وتعالى يقبلها من عبده المتصدق (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا أخذها الرحمن بيمينه وان كانت ثمرة فتربوفى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كجبارى أحدكم فلوه وأفضيله لفظ مسلم وفى البخارى من صدق بعدل ثمرة من كسب طيب ولا يصعد الى الله الا الطيب وفى رواية ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كجبارى فى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرج الترمذى ولفظه ان الله سبحانه وتعالى يقبل الصدقة وياخذها بيمينه فربها لا أحدكم كجبارى فى أحدكم فلوه حتى القيمة لتصير مثل جبل أحد وصدق ذلك فى كتاب الله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات ويمحق الله الرباوى ربى الصدقات وقوله من كسب طيب أى حلال وذكر اليمين والكف فى الحديث كناية عن قبول الصدقة وان الله سبحانه وتعالى قد قبلها من المعطى لان من عادة الفقير أو

(وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا أخذها (ان صلواتك) صلواتك كوفى غير أبى بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لانها للجنس (سكن لهم) يسكنون اليه وطمأن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) لدعائك أو سميع لاعترا فهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (ألم يعلموا) المراد المتوب عليهم أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت (وياخذ الصدقات) ويقبلها اذا صدرت على خلوص النية وهو للتخصيص أى ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها

وروجها اليه (وأن الله هو التواب) كثير قبول التوبة (الرحيم) بعفو الحربة ٧ (وقل) هؤلاء الثائبين (اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون) أي فان عملكم لا يخفى خيرا كان أو شررا على الله وعباده كبرائيتهم وتبين لكم أو غير الثائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روى أنه لما تب عليه قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بلا مس معنالا يكامون ولا يجاسون فإلهم فبزت وقوله تعالى فسيري الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة (وستردون الى عالم الغيب) ما يغيب عن الناس (والشهادة) ما يشاهدونه (فينبئكم بما كنتم تعملون) نسبة تذكير ومجازاة عليه (وآخرون من جنون لا امر الله) بغيرهم ومدني وكوفي غير أبي بكر من جنون غيرهم من أرجيته وأرجائه اذا أخرته ومنه المراجعة أي وآخرون من المتخلفين موقوفون الى أن يظهر أمر الله فيهم (أما بعد منهم) ان أصرروا ولم يتوبوا (وأما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة (٢٨٠)

تبوك وهم الذين ذكروا في قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا (والله عليهم) برجائهم (حكيم) في ارجائهم وأما للشك وهو راجع الى العباد أي خافوا عليهم العذاب وأرجوا لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السواري واطهار الجزع والغم فلما علموا أن أحد الايظنر اليهم فوضوا أمرهم الى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت نوبتهم فرجهم الله (والذين اتخذوا مسجدا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغبروا ومدني وشامي وهو مبتدأ خبره محذوف أي جازيناهم روى أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعنوا الى رسول

السائل أخذ الصدقة بكفه ثم بين فكان المتصدق قد وضع صدقته في القبول والاثابة وقوله فتربو أي تكبر يقال بالشيء يربو اذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وفتحها اعتان المهر أول ما يولد والقصيل ولد الناقة الى أن ينفصل عنها وقوله سبحانه وتعالى (وأن الله هو التواب الرحيم) تا كيد لقوله سبحانه وتعالى ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وينبئهم بان الله هو التواب الرحيم وقوله عز وجل (وقل) أي قل يا محمد هؤلاء الثائبين (اعملوا) يعني لله بطاعته وأداء فرائضه (فسيري الله عملكم) فيه ترغيب عظيم للطيبين ووعيد عظيم للذنبين فكانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها (ورسوله والمؤمنون) يعني ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أعمالكم أيضا امارؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فباطلاع الله اياه على أعمالكم وأمارؤية المؤمنين فيما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغض الذنبيين (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) يعنى وسترجعون يوم القيامة الى من يعلم سرهم وعلايتهم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم (فينبئكم) أي فيخبركم (بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من خيرا وشر فبيجازيكم على أعمالكم وقوله سبحانه وتعالى (وآخرون من جنون) أي مؤخرون والارجاء التأخير (لامر الله) يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم ان الله سبحانه وتعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين مردوا على المفاق واستقر واعليه والقسم الثاني الثائبون وهم الذين سارعوا الى التوبة بعد ما عترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون الى أن يحكم الله تعالى فيهم وهم المراد بقوله وآخرون من جنون لامر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث ان القسم الثاني سارعوا الى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا الى التوبة فاخر الله أمرهم نزات هذه الآية في الثلاثة الذين تخلفوا وهم كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك انهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل بدر فجعل بعض الناس يقول هلكوا وبعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويفقر لهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أما بعد منهم) يعني أن أمرهم الى الله تعالى ان شاء عذبهم بسبب تخلفهم وان شاء غفر لهم وعفا عنهم (والله عليهم) يعني بما في قلوبهم (حكيم) يعني بما يقضى عليهم وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضارا وكفرا) نزلت في جماعة من

الله صلى الله عليه وسلم أن ياتهم فاتاهم صلى فيه فحسدتهم اخوانهم بوغتم ابن عوف وقالوا بنى مسجدنا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة من الشام وهو الذي قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لا أجد قوما يقانلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنيانا مسجد الذي العلة والحاجه ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال انى على جناح سفر واذا قد منامن : وك ان شاء الله صلينا فيه فاما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لو حشى قاتل حزة ومعن بن عدى وغيرهما انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة بلقي فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام (ضارا) مشغول له وكذا ما بعد أي مضارة لآخوانهم أصحاب مسجد قباء (وكفرا) وتقوية للفاق

المنافقين بنوا مسجد اضرارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخدام
ابن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد ونعيلة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناء مجمع وزيد ومعتب بن قشير
وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأذعر وبتل بن الحرث وبيجاد بن عثمان وبن جرج بنوا
هذا المسجد ضرار يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني ليكفروا فيه بالله ورسوله (وتفرقوا بين المؤمنين)
لانهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد اضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدى ذلك الى الاختلاف
وافتراق الكلمة وكان يصلي بهم فيه مجمع بن جارية وكان شايبا يقرأ القرآن ولم يدر ما أرادوا ببنائه فلما فرغوا
من بنائه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انما قد بنينا مسجدا
لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشامية وانما نحب أن تأتي بنا وتصلى فيه وتدعو بالبركة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قد منان شاء الله تعالى أتيناكم فصلينا فيه ﷺ وقوله سبحانه
وتعالى (وارصاد المن حارب الله ورسوله) يعني انهم بنوا هذا المسجد للضرار والكفر وبنوا رصا ايعني
انتظار او اعداد المن حارب الله ورسوله (من قبل) يعني من قبل بناء هذا المسجد وهو أبو عامر الراهب والد
حنظلة غسيل الملائكة وكان أبو عامر قد تهرب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى الله
عليه وسلم المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية
دين ابراهيم فقال أبو عامر فانا عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليهم اقال أبو عامر بلى ولكنك
أدخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن جئت بها بياء نقية فقال أبو
عامر أمات الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه الناس أبا عامر
الفاسق فلما كان يوم أحد قال أبو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا أجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك
معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فاما انهزمت هو اذن يشس أبو عامر وخرج هاربا الى الشام وأرسل الى
المنافقين ان استعدوا واستطعمتم من قوة وسلاح وابنوا الى مسجد ارافي ذاهب الى قيصر ملك الروم فأتى
بجند من الروم فاخرج محمد وأصحابه فبنوا مسجد اضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله سبحانه وتعالى
وارصاد ايعني انتظار المن حارب الله ورسوله يعني أبا عامر الفاسق ليصلي فيه اذ ارجع من الشام من قبل
يعني ان أبا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل بناء مسجد اضرار (وليحلفن) يعني الذين بنوا المسجد
(ان أردنا) يعني ما أردنا ببنائه (الاحسنى) يعني الا الفعل الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة
على أهل الضعف والمجزم عن الصلاة في مسجد قباء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم (والله يشهد انهم
الكاذبون) يعني في قلوبهم وحلفهم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما انصرف من تبوك راجعا نزل بندي
أوان وهو موضع قريب من المدينة فأتاه المنافقون وسألوه ان ياتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه
وبأنتهم فأنزل الله هذه الآية وأخبره خبر مسجد اضرار وما هو به فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشيا فقال لهم انظروا الى هذا المسجد الظالم أهله
فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك
أنظروني حتى أخرج اليكم بنار فدخل أهلها فآخذ من سيف النخل فاشعله ثم خرجوا يمشون حتى دخلوا
المسجد وفيه أهلها فاحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك
الموضع كناسة تاتي فيها الحيف والنتن والقمامة ومات أبو عامر الراهب بالشام غريبا وحيدا وروى ن بنى
عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء أتوا عمر بن الخطاب في خلافته فسألوه ان ياذن لمجمع بن جارية ان
يؤمهم في مسجدهم فقال لا و نعمت عين أليس هو امام مسجد اضرار قال مجمع يا ميرا المؤمنين لا تجمل على
فوالله انما صليت فيه وأنا لا اعلم ما ضمروا عليه ولو علمت ما صليت معهم فيه وكنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا

(وتفرقوا بين المؤمنين)
لانهم كانوا يصلون مجتمعين
في مسجد قباء فارادوا أن
يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم
(وارصاد المن) واعدادا
لاجل من (حارب الله
ورسوله) وهو الراهب
أعدوه ليصلي فيه ويظهر
على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل كل مسجد نبى
مباهة أو رياء أو سمعة أو
لغرض سوى ابتغاء وجه
الله أو جمال غير طيب فهو
لاحق بمسجد اضرار (من
قبل) متعلق بحارب أى من
قبل بناء هذا المسجد يعني
يوم الخندق (وليحلفن)
كاذبين (ان أردنا الا
الحسنى) ما أردنا ببنائه هذا
المسجد الا الخصلة الحسنى
وهي الصلاة وذكر الله
والتوسعة على المصائب
(والله يشهد انهم كاذبون)
في حلفهم

شيوحالا يقرؤن فصليت بهم ولا أحسب إلا أنهم يتقربون الى الله ولم أعلم ما في أنفسهم فهدره عمر فصدقه وأمره بالصلاة في مسجد قباء قال عطاء لما فتح الله على عمر بن الخطاب الامصار أمر المسلمين ان يبنوا المساجد وأمرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين يضاران أحدهما الآخر وقوله سبحانه وتعالى (لا تقم فيه أبدا) قال ابن عباس معناه لا تصل فيه أبدا منع الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي في مسجد الضرار (لمسجد أسس على التقوى) اللام فيه لام الابتداء وقيل لام القسم تقديره والله مسجد أسس على تقوى بني أصله ووضع أساسه على التقوى يعني على تقوى الله عز وجل (من أول يوم) يعني من أول يوم بني ووضع أساسه كان ذلك البناء على التقوى (أحق أن تقوم فيه) يعني مصليا واختلفوا في المسجد الذي أسس على التقوى فقال عمرو بن دينار وأبو سعيد الخدري هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة وبدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله أي المسجدين أسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصي فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة أخرجه مسلم (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي (ق) عن عبد الله بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة عن أم سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوائم منبري هذان رواب في الجنة أخرجه النسائي قوله رواب يعني ثواب يقال رباب بالمكان اذا قام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقناة أنه مسجد قباء وبدل عليه سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وبدل على أنهم أهل قباء ما روى عن أبي هريرة قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت هذه الآية فيهم أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره صاحب جامع الاصول من رواية أبي داود والترمذي موقوفا على أبي هريرة وراه البغوي من طريق أبي داود مرفوعا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت هذه الآية في أهل قباء فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال كانوا يستنجون بالماء فنزلت فيهم هذه الآية وبما يدل على فضل مسجد قباء ما روى عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكبوا ماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبوا ماشيا وكان ابن عمر ينفه له أخرجه الرواية الاولى والزيادة البخاري ومسلم وأخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل ابن حنيف قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه كان له كعدل عمرة أخرجه النسائي عن أسد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء كعمرة أخرجه الترمذي وقوله سبحانه وتعالى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) يعني من الاحداث والجنابات وسائر النجاسات وهذا قول أكثر المفسرين قال عطاء ولما كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على الجنابة وروى الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وكان من أهل بدر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء اني أسمع الله عز وجل قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعمل شيئا الا أن جيراننا من اليهود رأيناهم يغسلون أديبارهم من الغائط فغسلنا كما غسبوا وعن قناة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء ان الله سبحانه وتعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنائنا الغائط والبول وقال الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا القول متعين لوجوه الاول أن التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب من الله عز وجل واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى وصف أصحاب مسجد

(لا تقم فيه أبدا) للصلاة (مسجد أسس على التقوى) اللام للابتداء وأسس ذمته وهو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة (من أول يوم) من أيام وجوده قيل القياس فيه مذلانه لابتداء الغاية في الزمان ومن لابتداء الغاية في المكان والجواب ان من عام في الزمان والمكان (أحق أن تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا)

والله يحب المطهرين) قيل لما نزلت مني رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فإذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون أتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام أنرضون بالقضاء قالوا نعم قال أنصرون على البلاء قالوا نعم قال أنشكروني في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون أنتم ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد أنى عليكم فالذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط والاشجار الثلاثة ثم نتبع الاشجار الماء فتلا النبي عليه السلام رجال يحبون أن يتطهروا قيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر اهم يؤثر ونه وبحرصون عليه حرص المحب للشيء ومعنى محبة الله اياهم أنه يرضى (٢٨٣) عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب

بمحبوته (أفن أسس بنيانه) وضع أساس ما يبنيه (على تقوى من الله) ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفن أسس بنيان دينه على قاعدة محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات والاستمسك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى والشفا الجرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي ينحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي أشنى على التهدم والسقوط ووزنه فعسل قصر عن فاعل تخلف من خالف

الضرار بمضارة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكون هؤلاء يعني أهل قباء بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر والمعاصي وهي الطهارة الباطنية الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما يحصل لها أثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنية من الكفر والمعاصي وقيل يحتمل أنه محمول على كلال الامرين يعني طهارة الباطن من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الظاهر من الاحداث والنجاسات بالماء (والله يحب المطهرين) فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضاع عنهم بما اختاروه لانفسهم من الداومة على محبة الطهارة ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان) يعني طلب بنيانه المسجد الذي بناه تقوى الله ورضاه والمعنى أن الباني لما بنى ذلك البناء كان قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه (خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) الشفا هو الشفير وشفا كل شيء حر فوه منه يقال أشنى على كذا اذا نامنه وقرب أن يقع فيه والجرف المكان الذي أكل الماء تحته فهو الى السقوط قريب وقال أبو عبيد الجرف هو الهوة وما يجرفه السيل من الاودية فينحفر بالماء فيبقى واهيا هار أي هائر وهو الساقط فهو من هار يهور فهو هائر وقيل من هار يهار اذا تهدم وسقط وهو الذي ندعى بعضه في أثر بعض كما بهار الرمل والشيء الرخو (فانهار به) يعني سقط بالباني (في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) والمعنى أن بناء هذا المسجد الضرار كإبناء على شفير جهنم فيهور باهله فيها وهذا مثل ضرب به الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قباء ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومعنى المثل أفن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير أم من أسس دينه على أضعف القواعد وأوقاها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل بناء على غير أساس ثابت وهو شفا جرف هار واذا كان كذلك كان أسرع الى السقوط في نار جهنم ولان الباني الاول قصد بنيانه تقوى الله ورضوانه فكان بناؤه أشرف البناء والباني الثاني قصد بنيانه الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناؤه أخس البناء وكانت عاقبته الى نار جهنم قال ابن عباس سيرهم نفاقهم الى النار وقال قتادة والله ما ناهى بناؤهم حتى وقع في النار واقتد كزلنا أنه حفرت بقعة منه فرؤى الدخان يخرج منها وقال جابر بن عبد الله رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار (لا يزال بنيانهم الذي بنوا بيته) يعني شكوا نفاقا (في قلوبهم) والمعنى أن ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببناء مسجدهم فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غمًا وحرًا وبغضًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم وقيل انهم كانوا يحسبون انهم محسنون في بناءه كما حجب العجل الى بني اسرائيل فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين من نابين لاي سبب أمر بتخريبه وقال السدي لا يزال

وألفه اس بانف فاعل انما هي عينه وأصله هو رقابت الفالتحر كها وانفتاح ما قبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنهه أمره أفن أسس بنيانه أم من أسس بنيانه شامى ونافع جرف شامى وجزرة ويحيى هار بالامالة أبو عمرو وجزرة في رواية ويحيى (فانهار به في نار جهنم) فطاح به الباطل في نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل شرح المجاز في الملفظ الا هيأ الذي وللجرف وليصور ان المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أوديه جهنم فانهار به ذلك الجرف فهو في قمرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (وانه لا يهدي القوم الظالمين) لا يوفقهم للحيرة عقوبة لهم على نفاقهم (لا يزال بنيانهم الذي بنوا بيته في قلوبهم) لا يزال الهدم سبب شك ونفاق زاد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم

(الأن تقطع فلو بهم) شامى وحزمة وحفص أى تمتطع غيرهم تقطع أى الآن تقطع فلو بهم قطعوا وتفرق أجزاء فينشد يسألون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذلك التقطع تصورا بالحال زال الربة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أوفى (٢٨٤) القبور وأوفى النار أو معناه الآن يتوبون أوفى تقطعها فلو بهم ندموا وأسفعا على نقر يطهم

هدم بنيانهم ريبة أى حرارة وغىظانى فلو بهم (الآن تقطع فلو بهم) أى تجعل فلو بهم قطعوا وتفرق أجزاء أما بالسيف وأما بالموت والمعنى أن هذه الربة باقية فى فلو بهم إلى أن يموتوا عليها (والله عليهم) أى باحوالهم وأحوال جميع عبادته (حكيم) يعنى فيما حكم به عليهم ﴿ قوله عز وجل ﴾ (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية قال محمد بن كعب القرظى لما باعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العبة وكأنا سبعة من رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فمالنا قال الجنة قالوا ربح البيع لا تقبل ولا نستقبل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة قال ابن عباس بالجنة قال أهل المعانى لا يجوز أن يشتري الله شيئا هو له فى الحقيقة لان المشتري إنما يشتري ما لا يملك والاشياء ملك لله عز وجل ولهذا قال الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقنا ياها لکن جرى هذا مجرى التلطف فى الدعاء الى الطاعة والجهاد وذلك لان المؤمن اذا قاتل فى سبيل الله حتى يقتل أو أنفق ماله فى سبيل الله عوضه الله الجنة فى الآخرة جزاء بما فعل فى الدنيا جعل ذلك استبد الا واشترى منها معنى اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والمراد باشتراء الاموال انفاقها فى سبيل الله وفى جميع وجوه البر والطاعة (يقاتلون فى سبيل الله) هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل فيه معنى الامر أى قاتلوا فى سبيل الله (فيقتلون ويقتلون) يعنى فيقتلون أعداء الله ويقتلون فى طاعة الله وسبيله (وعدا عليه حقا) يعنى ذلك الوعد بان لهم الجنة وعدا على الله حقا (فى التوراة والانجيل والقرآن) يعنى ان هذا الوعد الذى وعده الله تعالى للمجاهدين فى سبيله قد أثبتته فى التوراة والانجيل كما أثبتته فى القرآن وفيه دليل على أن الامر بالجهاد موجود فى جميع الشرائع ومكتوب على جميع أهل الملل (ومن أوفى بعهده من الله) يعنى لأحد أوفى بالعهده من الله (فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به) يعنى فاستبشروا أيها المؤمنون بهذا البيع الذى يبيعكم الله به (وذلك) يعنى هذا البيع (هو الفوز العظيم) لانه راجح فى الآخرة قال عمر بن الخطاب ان الله يبيعك وجعل الصفتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعته يبيعه الله بها كل مؤمن وعنه قال ان الله سبحانه وتعالى أعطاك الدنيا فاشترى الجنة ببيعها وقال قتادة ثامنهم فاعلى لهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى ﴾ (التائبون) قال الفراء استؤنف لفظ التائبون بالرفع لتنام الآية الاولى وانقطاع الكلام وقال الزجاج التائبون رفع بالابتداء وخبره مضمرة والمعنى التائبون الى آخره لهم الجنة أيضا وان لم يجاهدوا غير معاندين ولا قاصدين لترك الجهاد وهذا وجه حسن فكانه وعد بالجنة لجميع المؤمنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى ومن جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح يعنى المؤمنين المذكورين فى قوله ان الله اشترى وأما التفسير فقوله سبحانه وتعالى التائبون يعنى الذين تابوا من الشرك وبرؤا من النفاق وقيل التائبون من كل معصية فيدخل فيه التوبة من الكفر والنفاق وقيل التائبون من جميع المعاصى لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم أن التوبة المقبولة إنما تحصل بامور أربعة أولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها فى المستقبل ورابعها أن يكون الحامل له على التوبة طلب رضوان الله وعبوديته فان كان غرضه بالتوبة تحصيل مدح الناس له ودفع مذمتهم فليس بمخلص فى توبته (العابدون) يعنى الطيبين

(والله عليهم) بعزائهم (حكيم) فى جزاء جرائمهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشراء وروى تاجرهم فاعلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسنا هو خلقها وأموالنا هو رزقها ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعراى وهو يقرؤها فقال بيع والله مريح لا تقبله ولا نستقبله فخرج الى الغزى واستشهد (يقاتلون فى سبيل الله) بيان محل التسلم (فيقتلون ويقتلون) أى نارة يقتلون العدو وطورا يقتلهم العدو فيقتلون ويقتلون حزمة وعلى (وعدا عليه) مصدر أى وعدهم بذلك وعدا (حقا) صفة أخبر بان هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبتته فى التوراة والانجيل والقرآن) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرم مناف كيف باكرم الا كرمين ولا ترى ترغيبا فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فاستبشروا ببيعكم الذى يبيعكم به) فافرحوا وغابوا الفرحة فانكم تبيعون فانيبايىق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابدا انكم ممن الا الجنة فلا تبيموها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله

تبيعكم الذى يبيعكم به) فافرحوا وغابوا الفرحة فانكم تبيعون فانيبايىق (وذلك هو الفوز العظيم) قال الصادق ليس لابدا انكم ممن الا الجنة فلا تبيموها الا بها (التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أو هو مبتدأ خبره (العابدون) أى الذين عبدوا الله

وحده وأخا صواله العبادة

وما بعده خبر بعد خبر أى
التائبون من الكفر على
الحقيقة الجامعون لهذه
الخصال وعن الحسن
هم الذين تابوا من الشرك
وتبرؤا من النفاق
(الحامدون) على نعمة
الاسلام (السائحون)
الصائمون أقوله عليه
السلام سياحة أمتي
الصيام أو طلبة العلم لانهم
يسبحون في الارض
يطلبون في مظانه أو
السائرون في الارض
للاعتبار (الراكعون
الساجدون) المحافظون
على الصلوات (الأمرون
بالمعروف) بالايمان
والمعرفة والطاعة
(والناهون عن المنكر)
عن الشرك والمعاصي
ودخلت الواو للاشعار بان
السبعة عقد تام وللتباعد
بين الامر والنهي كافي
فوله ثيبات وأبكارا
(والحافظون لحدود الله)
أوامره ونواهيه أو معالم
الشرع (و بشر المؤمنين)
المتصفين بهذه الصفات
وهم عليه السلام ان
يستغفر لاني طالب
فنزل (ما كان للنبي
والذين آمنوا أن يستغفروا
للمشركين ولو كانوا أولي قربى)
أولى قربى) أى ماصح
للاستغفار في حكم الله

لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين أتوا بالعبادة على أقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهي
أن تكون العبادة خالصة لله تعالى (الحامدون) يعنى الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء
والضراء وروى البغوى وغيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من يدعى الى الجنة يوم
القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع
نعمه دنيا وأخرى (السائحون) قال ابن مسعود وابن عباس هم الصائمون قال سفيان بن عيينة انما سمى
الصائم سائحاً لتركه لذات كاهن المطعم والمشرب والنكاح وقال الازهرى قيل للصائم سائح لان الذى
يسبح في الارض متعبه الا زاد معه فكان ممسكاً عن الاكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل أصل
السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذى يسبح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهى وقال
عطاء السائحون هم الغزاة المجاهدون في سبيل الله ويدل عليه ما روى عن عثمان بن مظعون قال قلت يا رسول
الله انى نرى في السياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ذكره البغوى وغيره وقال عكرمة
السائحون هم طلبة العلم لانهم ينتقلون من بلد الى بلد في طلبه وقيل ان السياحة لها أثر عظيم في تهذيب
النفس وتحسين أخلاقها لان السائح لابد أن يلقى أنواعا من الضر والبؤس ولا بد له من الصبر عليها يلقى
العلماء والصالحين في سياحته فيستفيد منهم ويعود عليه من بركاتهم ويرى العجائب وآثار قدرة الله تعالى
فيتمسك في ذلك فيدله على وحدانية الله سبحانه وتعالى وعظم قدرته (الراكعون الساجدون) يعنى
المصابين وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم أركانها وبها يتميز المصلى من غير المصلى بخلاف
حالة القيام والوقوف لانهما حالة المصلى وغيره (الأمرون بالمعروف) يعنى يأمرون الناس بالايمان بالله وحده
(والناهون عن المنكر) يعنى عن الشرك بالله وقيل انهم يأمرون الناس بالحق في أديانهم واتباع الرشد
والهدى والعمل الصالح وينهونهم عن كل قول وفعل نهى الله عباده عنه أو نهى عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الحسن أمانتهم لم يأمروا الناس بالمعروف حتى كانوا من أهله ولم ينهوا عن المنكر حتى
اتهوا عنه وأما دخول الواو في والناهون عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله سبحانه
وتعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى في صفة الجنة وفتحت أبوابها وقيل فيه وجه آخر وهو ان الموصوفين
بهذه الصفات الست هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله تعالى التائبون
الى قوله الساجدون مبتدأ خبره الأمرون يعنى هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (والحافظون
لحدود الله) قال ابن عباس يعنى القائمون بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لفرائض الله وهم أهل الوفاء
ببيعة الله وقيل هم المؤدّون فرائض الله المنتهون الى أمره ونهيه فلا يضيعون شيئا من العمل الذى أؤمهم به
ولا يرتكبون منهيها عنهم (و بشر المؤمنين) يعنى بشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله به اذا وفوا الله
تعالى بهداه فانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل و بشر من فعل هذه الافعال
التسع وهو قوله تعالى التائبون الى آخر الآية بان له الجنة وان لم يغز ^{في} قوله عز وجل (ما كان للنبي
والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) الآية واختلف أهل التفسير في سبب نزول
هذه الآية فقال قوم نزات في شأن أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم والهدى وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم أراد ان يستغفر له بعد وفاته فنهاه الله عن ذلك ويدل على ذلك ما روى عن سعيد بن المسيب
عن أبيه المسيب بن حزن قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده
أباجهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لاله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبوجهل
وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة اترغب عن ملة عبد المطالب فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه
ويعودان لتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم أناعلى ملة عبد المطالب وأبى أن يقول لاله الا الله

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عنك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وأنزل الله في أبي طالب انك لانتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أخرجاه في الصحيحين فان قلت قد استبعد بعض العلماء نزول هذه الآية في شان أبي طالب وذلك ان وفاته كانت بمكة أول الاسلام ونزول هذه السورة بالمدينة وهي من آخر القرآن نزولا قلت الذي نزل في أبي طالب قوله تعالى انك لانتهدي من أحببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم أنه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له في بعض الاوقات الى أن نزلت هذه الآية فمنع من الاستغفار والله أعلم مراده وأسرار كتابه (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه عند الموت قل لا اله الا الله أشهدك بها يوم القيامة فابي فانزل الله انك لانتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء الآية وفي رواية قال لولانتهيرني قبري يس يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقترت بها عينك فانزل الله الآية (ق) عن أبي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه تغلى منه أم دماغه وفي رواية يغلى منه دماغه من حرارة نعليه (ق) عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت عن عمك فانه كان يحوطك ويغضب لك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله ان عمك أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من نار فاخرجته الى ضحضاح وقال أبو هريرة برودة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة أتى قبره آمنه فوقف حتى حيت الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية وروى الطبري بسنده عن برودة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أتى رسم قال وأكثرتني انه قال قبره آمنه فجلس اليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا فقلنا يا رسول الله انارأينا ما صنعت قال اني استأذنت ربي في زيارة قبره آمنه فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فمارؤى يا كياأكثر من يومئذ وحكى ابن الجوزي عن برودة قال ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبره آمنه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يؤذن لي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربي ان استغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت ربي ان استغفر لها فزجرت زجرا فابكاني ثم دعابرا حلتها فركبها فاسار الالهية حتى قامت الناقلة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية (ق) عن أبي هريرة قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبره آمنه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربي في ان استغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في ان أزور قبره فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لاني كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله هذه الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان من آباؤنا من كان يحسن الجوار ويصل الارحام ويك العاني ويوفي بالذم أفلا تستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى والله لاستغفرن لاني كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله عز وجل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله ابراهيم فقال تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها لايه الآية عن علي بن أبي طالب قال سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له أنتغفر لابيوك وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فانزل الله عز وجل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها لايه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية ومعنى

الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم ذلك لان الله سبحانه وتعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن يطلب منه ما لا يفعله فيه النهي عن الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولى قربي لان النهي عن الاستغفار للمشركين عام فيستوى فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) يعني تبين لهم أنهم ما تواعى على الشرك فهم من أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال تبارك وتعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به والله تعالى لا يخلف وعده ثم ذكر الله سبحانه وتعالى (وما كان استغفار ابراهيم لبيه الا عن موعدة وعدها اياه) فعناه وما كان طلب ابراهيم لبيه المغفرة من الله الا من أجل موعدة وعدها ابراهيم اياه أن يستغفر له رجاء اسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه لما أنزل الله خبرا عن ابراهيم انه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لوالديه وهما مشركان فقلت أنتستغفر لابويك وهما مشركان فتال أولم يستغفر ابراهيم لبيه فانبت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لبيه لا استغفرن لك يعني ان ابراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار لانه انما استغفر لبيه وهو مشرك لما كان الموعد الذي وعده أن يسلم (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) فعلى هذا الهاء في آياه راجعة الى ابراهيم والوعد كان من أبيه وذلك ان ابا ابراهيم وعد ابراهيم أن يسلم فقال ابراهيم سأستغفر لك ربي يعني اذا أسأمت وقيل ان الهاء راجعة الى الاب وذلك ان ابراهيم وعد أباه أن يستغفر له رجاء اسلامه ويؤكد هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة الحسن وعدها أباه بالياء الموحدة فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني فلما ظهر لابراهيم وبان له ان أباه عدو لله يعني بموته على الكفر تبرأ منه عند ذلك وقيل يحتمل ان الله سبحانه وتعالى أوحى الى ابراهيم ان أباه عدو له ففبرأ منه وقيل لما تبين له في الآخرة انه عدو لله تبرأ منه ويدل على ذلك ما روى عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ياتي ابراهيم عليه السلام أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قفرة وغبرة فيقول ابراهيم ألم أقل لك لا تعصني فيقول أبوه فاليوم لا أعصيك فيقول ابراهيم يارب انك وعدتني ان لا تخزيني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي فيقول الله تبارك وتعالى اني حرمت الجنة على الكافر بن ثم يقال يا ابراهيم ماتحت رجلك فينظر فاذا هو بذبح متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار اخرجته البخاري زاد غيره ففبرأ منه والقفرة غبرة يعاها سواد الذبح بذال مججمة ثم ياء مشناة من تحت ثم خاء مججمة هو ذكرا الضباع والائتي ذبيحة وقوله تبارك وتعالى (ان ابراهيم لاواه حلیم) جاء في الحديث ان الاواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود الاواه الكثير الدعاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو المؤمن التواب وقال الحسن وقاتدة الاواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار هو الذي يكثر التأوه وكان ابراهيم صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول أوه من النار قبل أن لا ينفع أوه وقال عقبه بن عامر الاواه الكثير الذي كره الله عز وجل وقال سعيد بن جبیر هو المسبح وعنه انه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفا وقر قال المتضرع ايقانا وزوما للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الاواه وأصله من التأوه وهو أن يسمع للصدر صوت تنفس الصعداء والفعل منه أوه وهو قول الرجل عن شدته خوفا وحزنه أوه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل القلب ويستدحرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحترق في القلب ليخف بعض ما به من الحزن والشدة وأما الحلیم فعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبه أو أتاه بكمروه ثم يقابله بالاحسان والالطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال له لئن لم تنته لارجنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي وقال ابن عباس الحلیم السيد وانما وصف الله عز وجل ابراهيم عليه السلام بهذين الوصفين وهما شدة الرقة والخوف والوجل والشفقة على عباد الله ايبين سبحانه وتعالى أنه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ من أبيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا

وحكمته (من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) من بعد ما ظهر لهم أنهم ما تواعى على الشرك ثم ذكر عذر ابراهيم فقال (وما كان استغفار ابراهيم لبيه الا عن موعدة وعدها اياه) أي وعد أبوه اياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لا استغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ما أسلم أو سؤاله اعطاء الاسلام الذي به يغفر له (فلما تبين) من جهة الوحي (له) لابراهيم (أنه) ان أباه (عدو لله) بان يموت كافرا وانقطع رجاءه عنه (تبرأ منه) وقطع استغفاره (ان ابراهيم لاواه) هو المتأوه شفا وقر ومعناه انه لفرط ترجمه ورفقه كان يتعطف على أبيه الكافر (حلیم) هو الصبور رضى البلاء الصفوح عن اذى لانه كان يستغفر لبيه وهو يقول لارجنك

(وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) أى ما أمر الله بالتفاته واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور لا يؤخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يخذلهم الا اذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من حاف المؤاخذه بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فلما ما يعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموات والارض بحجي ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبي) أى تاب عليه باذنه للمنافقين فى التحلف عنه كقوله عفا الله عنك (والمهاجرين والانصار) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وانه مامن مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) فى غزوة تبوك ومعناه فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى

به أتم فى هذه الحالة أيضاً وقوله سبحانه وتعالى (وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم) يعنى وما كان الله ليقتضى عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لئلا تكونوا كالمشركين بعد ان رزقكم الهداية ووقفكم للايمان به برسوله وذلك أنه لما منع المؤمنين من الاستغفار للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلمهم أن ذلك ليس بضائرهم (حتى يبين لهم ما يتقون) يعنى ما يأتون وما يذرون وهو أن يقدم اليهم الهى عن ذلك الفعل فاما قبل النهى فلا حرج عليهم فى فعله وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهى عن الاستغفار للمشركين فلما امتعوا من ذلك وقع فى قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل الله عز وجل هذه الآية وبين أنه لا يؤخذ بهم بعمل الابدان ان يبين لهم ما يجب عليهم أن يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله للمؤمنين فى ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبما نهى لهم فى معصيته وطاعته عامة وقال الضحاك وما كان الله ليغيب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال مقاتل والكلبي هذا فى أمر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وأسأهوا قبل تحريم الخمر وصرف القبلة الى الكعبة ورجعوا الى قومهم وهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين ونحن على غيره فنعن على ضلال فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم يعنى وما كان الله ليبيطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ (ان الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه وتعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما نهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما بينكم من أمره ونواهيه (ان الله له ملك السموات والارض) يعنى انه سبحانه وتعالى هو القادر على ملك السموات والارض وما فيها مما عبيده وما يملكه يحكم فيهم بما يشاء (بحي ويميت) يعنى انه تعالى يحيى من يشاء على الايمان ويميته عليه ويحيى من يشاء على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه فى حكمه وعبيده (وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) يعنى انه تعالى هو ولىكم وناصركم ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم ﴿قوله عز وجل﴾ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار) الآية تاب الله بمعنى تجاوز وصفح عن النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم عدم مؤاخذته باذنه للمنافقين بالتحلف فى غزوة تبوك وهو كقوله سبحانه وتعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لأنه ذنب يوجب عقابا وقال أصحاب المعانى هو مفتاح كلام للتبرك كقوله سبحانه وتعالى فان لله خمسة ومعنى هذا ان ذكر النبي بالتوبة عليه تشرىف للمهاجرين والانصار فى ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله فى قوله فان لله خمسة والرسول فهو تشرىف له وأما معنى توبته الله على المهاجرين والانصار فلا جمل ما وقع فى قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها كانت فى وقت شديد وجها وقع فى قلوب بعضهم انا لا تقدر على قتال الروم وكيف لنا بالخلاص منهم فتاب الله عليهم وعفا عنهم ما وقع فى قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية وقيل ان الانسان لا يخلو من زلات وتبعات فى مدة عمره امان من باب الصغار واما من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق هذا السفر ومتاعبه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التى حصلت لهم فى ذلك السفر غفر الله لهم وتاب عليهم لاجل ما تحملوه من الشدائد العظيمة فى تلك الغزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم واما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم تبييناً على عظم مراتبهم فى الدين وانهم قد باغوا الى الرتبة التى لاجلها ضم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم (الذين اتبعوه) فى تلك الغزوة من المهاجرين والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك فى سبعين ألفاً ما بين راكب ومارش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر القبائل (فى ساعة العسرة) يعنى فى وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة

العسرة والحيش الذي سار فيه يسمى جيس العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن
كان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك
وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر منهم يخرجون وماءهم الا تمرات اليسيرة بينهم فاذا
بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلا كها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه ويعطيها صاحبه ثم يشرب عليها
جرعة من الماء ويفعل صاحبه كذلك حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فوضوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم على صدقهم و يقينهم رضی الله عنهم وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
لى تبوك في قيظ شديد فإنا ننزل لأصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستقطع وحتى ان الرجل لينصر
بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء فلا يرجع حتى
يفن ان رقبة ستقطع فقال أبو بكر الصديق يا رسول الله ان الله عز وجل قد عودك في الدعاء خير افادع الله
قال أشحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجع حتى أرسل الله سبحانه فطرت فلوأمامهم من
الاوعية ثم ذهبنا ننظر فلم نجد ما جاوزت العسكر أسنده الطبري عن عمر رضي الله عنه قوله تعالى (من بعد ما كاد تزيغ
قلوب فريق منهم) يعني من بعد ما قارب أن تميل قلوب بعضهم عن الحق من أجل المشقة والشدة التي نالتهم
والزيغ في اللغة الميل وقيل هم بعضهم أن يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم
لكنهم صبروا واحتسبوا واندموا على ما خطر في قلوبهم فلا جل ذلك قال تعالى (ثم تاب عليهم) يعني انه
سبحانه وتعالى علم اخلاص نيتهم وصدق نوبتهم فرزقهم الابابة والتوبة فان قلت قد ذكر التوبة أو لا ثم
ذكرها ثانياً فائدة التكرار قلت انه سبحانه وتعالى ذكر التوبة أو لا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة أخرى تعظيماً شأنهم وليعلموا أنه سبحانه وتعالى
قد قبل نوبتهم وعفاه عنهم ثم اتبعه بقوله (انه بهم رؤوف رحيم) كيدا لذلك ومعنى الرؤف في صفة الله
تعالى أنه الرفيق بعباده لانه لم يحمله من مالا يطيقون من العبادات وبين الرؤف والرحيم فرق اظيف وان
تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة ولانكاد الرأفة تكون مع الكراهة
وقوله سبحانه وتعالى (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هذا معطوف على ما قبله تقديره اقدتاب الله على
النبي والمهاجرين والانصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا فائدة هذا العطف بيان قبول نوبتهم وهم كعب بن
مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الانصار وهم المرادون بقوله سبحانه وتعالى وآخرون
مخرجون لامر الله وفي معنى خلفوا قولان أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي ابابة وأصحابه وذلك انهم لم
يخضعوا كما خضع أبو ابابة وأصحابه فتاب الله على أبي ابابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة مدة ثم تاب
عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيها وأما حديث نوبة كعب بن مالك وصاحبيه فقد روى عن ابن شهاب الزهري قال أخبرني عبد الرحمن بن
عبد الله بن كعب بن مالك ان عبد الله بن كعب وكان قائداً كعب من بني حنيفة عمي قال وكان أعلم قومه
وأوعاهم لاحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن مالك بن كعب
يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال لم أتخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط لاني غزوة تبوك غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدنا
تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم
وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواقتنا على
الاسلام وما أحب أن لي بها مشهدا بدر وان كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك

عسرة من الظهر يعتقب
العسرة على بعير واحد ومن
الزاد نزودوا التمر المدود
والشعير المسوس والاهالة
الزنجحة وبلغت بهم الشدة
حتى اقسام التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا
عابها الماء ومن الماء حتى
نحروا الابل وعصروا
كرشها وشربوه في شدة
زمان من حجارة اقيظ
ومن الجذب والقحط (من
بعد ما كاد تزيغ قلوب
فريق منهم) عن الثبات
على الايمان وعن اتباع
الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد صبر
الشأن والجملة بعده في
موضع النصب وهو كقولهم
ليس خلق الله مثله أي ليس
شأن خلق الله مثله يزيغ
جزرة وحفص (ثم تاب
عليهم) تكرر للتوكيد
(انه بهم رؤوف رحيم وعلى
الثلاثة) أي وتاب على
الثلاثة وهم كعب بن مالك
ومرارة بن الربيع وهلال
ابن أمية وهو عطف على النبي
(الذين خلفوا) عن الغزو

الغزوة والله ما جئت قبلها راحلتين قط - حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الاورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حوشه يد واستقبل سفر ابيدوم فجازوا واستقبل عدوا كثيرا اجلا للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فاخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ولا يجتمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الاطن أن ذلك سيضفي له ما لم ينزل فيه وحى من الله عز وجل وغزار رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فاما اليها أصعر فجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدوا لكي أنجهز معهم فارجع ولم أقض شيئا فاقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتهادى بي حتى استمر بالناس الجدا فصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتهادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ففهممت أن أرتحل فادرهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أنى لأرى لى أسوة الارجل مغموصا عليه في التفت أو رجلا ممن عذر الله من العفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سامة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ ابن جبل بش ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خبرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبينها هو كذلك رأى رجلا مبيضا يزول به السراب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبأخيمة فاذا هو أبو خيمة الانصارى وهو الذى تصدق بصاع التمر حين لزمه المنافقون قال كعب فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه فافلامن تبوك حضر فى بنى فطفقت أتذكر الكذب وأقول ثم أخرج من سخظه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظلم فادمازاح عنى الباطل حتى عرفت انى ان أنجو منه بشىء أبدا فاجعت صدقه فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادموا وكان اذا قدم من سفره بدأ بالسجدة فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فظنقوا يعتذرون اليه وبخلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفروهم ووكل سرائرهم الى الله عز وجل حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال لى تعال جئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك ألم تكن قد اتبعت ظهرك قال قلت يا رسول الله انى والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنى سأخرج من سخظه بعد نذر قد أعطيت جدلا واكثى والله لقد علمت ان حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليوشكن الله أن يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عقبي الله وفى رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لى عذر والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك فقامت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك أذنت ذنبا قبل هذا القدم عزت أن لا تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذرت اليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك قال فوالله ما زالوا يؤنبونى حتى أردت أن أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكذب نفسى قال ثم قلت لهم هل لى هذا أحد معى قالوا نعم لقيه معك رجلا ن قالوا مثل ما قلت وقيل لهما مثل . قيل لك قلت من هما قالوا صرة بن الربيع العامرى وهلال بن أمية الوافى قال قد كروا لى رجلين صالحين قد شهدا بدر اوقيهما أسوة قال فضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا بها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الاس أو قال تغبروا لنا حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فهاهى بالارض التى أعرف قلبنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحبى فاستكاثا وقعدا فى بيوتهما بكيان وأما ما فكننت أشب

القوم وأجلدهم فكنت أخرج فاشهد الصلاة وأطوف في الأسواق ولا يكمنى أحدوا نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قر يمانه وأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتي نظر إلى واذا التفت نحوه أعرض عني حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا باقتادة أنشدك بالله هل تعلم اني أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاصت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار فبينما أنا مشى في سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام من قدم بالطعام بيعه بالمدينة يقول من بدل على كعب بن مالك قال فظفق الناس يشيرون له الى حتى جاءني فدفع الى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبها فقرأه فاذا فيه ما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بداره وان ولا مضبعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين قرأتها وهذه أيضا من البلاء فتميمت بها التور فسجرت به حتى اذا مضت أربعون من الحسين واستلبت الوحى واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعزل امرأتك قال فقلت أطلتها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزها ولا تقر بها قال وأرسل الى صاحبي مثل ذلك قال فقلت لامرأتى الحق باهلك فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تذكره أن أخدمه قال لا ولكن لا يقر بنك فقالت انه والله ما به حركة الى شىء والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان الى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه قال فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدري بنى ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بذلك عشر ليال فكم لنا خسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التى ذكر الله عز وجل عن اقد ضاقت على نفسي وضافت على الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سماع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر قال فخررت ساجدا وعرفت انه قد جاء فرج قال وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا وسعى ساع من أسلم قبلى وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبى فكسوتهما اياه يبشرنه والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت أنا ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلقانى الناس فوجا فوجا ينوونى بالتوبة ويقولون ايها كعب توبه الله عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام الى طائفة بن عبيد الله بهرول حتى صاحبنى وهذانى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره قال فكان كعب لا يسأها الا طائفة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال لا بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قر قال وكان يعرف ذلك منذ قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى أن الخناج من مالى صدقة الى الله والى رسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فانى أمسك سهمى الذى تخير قال وقالت يا رسول الله ان الله انما تجانى بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت ان أحد من المسلمين ابلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما ابلانى الله والله

ما تعدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومى هذا وانى لارجوان يحفظنى الله فيما
 بقى قال فانزل الله عز وجل لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى
 بلغ انه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله
 وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد ان هدى الى الاسلام أعظم في نفسى
 من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يكون كذبة فاهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل
 قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لاحد فقال الله سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا اقلبتهم
 اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وما واهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم
 لترضوا عنهم فان رضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب كنا خلفناهم الثلاثة عن
 أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ
 رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله تعالى فيه فبذلك قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا
 وابس الذي ذكروا خلفنا عن الغزوات ما هو تخليفه ايانا وارجاؤه أمرنا بمن حلف له وان تذر اليه فقبل
 منه وفي رواية ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن كلامى وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين
 غيرنا فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شئ أهم الى من أن أموت فلا
 يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون من الناس بتلك الميزة فلا
 يكافئنى أحد منهم ولا يصلى على ولا يسلم على قال وأنزل الله عز وجل تو بننا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين
 بقى الثالث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأنى
 معتنية بامرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب بن مالك قالت أفلا أرسل اليه
 فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 صلاة الفجر آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرج به البخارى ومسلم شرح غريب هذا
 الحديث قوله حين تواقنا على الاسلام التوافق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحة الجمل والناقاة
 القويان على الجمل والسفر وقوله وورى بغيرها يقال وورى عن الشئ اذا أخفاه وأظهر غيره والمفازة البرية
 الفقراء سميت بذلك تفاعلا بالفوز والنجاة منها قوله فجلا هو بالتخفيف يعنى كشف لهم مقصدهم وأظهره
 لهم والاهبة الجهاز وما يحتاج اليه المسافر قوله فانا اليها أصعر هو بالعين المهملة أى أميل والصعر الميل قوله
 وتفرط الغزوى أى تباعد ما بينى وبين الجبش من المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المغيب المشار اليه
 بالغيب يقال فلان ينظر في عطفه اذا كان مغموبا بنفسه ويقال زال به السراب يزول اذا ظهر شخص الانسان
 خيالا فيه من بعد والسراب هو ما يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والمبيض تكسر الياء
 لابس البياض قوله كن أبوخيشمة معناه أنت أبوخيشمة وقيل معناه اللهم اجعله أبوخيشمة أى لتوجد بابه هذا
 الشخص أبوخيشمة حقيقة قوله الذى لزمه المنافقون يعنى عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى
 وطنه قوله حضرني بنى البت أشد الحزن كأنه لشده يظهر قوله زاح عنى الباطل أى زال وذبح عنى
 وأجعت صدقه أى عزمت عليه لقد أعطيت جدا لى فصاحة وقوة فى الكلام بحيث أخرج عن عهدة
 ما أردت بما أشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد وهو الغضبان قوله قماز الوابونونى أى يلومونى أشد
 اللوم قوله حتى تنكرت لى فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف معناه تغير على كل شئ من الارض
 وتوحشت على وصارت كأنها أرض لا أعرفها وقوله فاما صاحبى فاستكنا بعتى خضعا وسكتا قوله تسورت
 حائط أبى قتادة أى علوته وصعدت سورته وهو أعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم من الجهم والروم
 والضيعة مفعلة من الضياع والاطراح قوله فتيمنت بها التنور فسجرت به أى فقصدت بالصحيفة التى أرسل

(حتى اذا ضاقت عليهم

الارض بما رحبت)

برحبها أى مع سعتها

وهو ومثل للحيرة في

أمرهم كأنهم لا يجدون

فيها مكانا يقرون فيه فلقا

وجزا (وضاقت عليهم

أنفسهم) أى قلوبهم لا

يسعها أنس ولا سرور لانها

خرجت من فرط الوحشة

والغم (وظنوا أن لا ملجأ

من الله الا اليه) وعلموا

أن لا ملجأ من سخط الله

الا الى استغفاره (ثم تاب

عليهم) بعد خمسين يوما

(ليتوبوا) ليكنونوا من

جلة التوابين (ان الله هو

التواب الرحيم) عن أبي

بكر الوراق أنه قال التوبة

النصح أن تضيق على

التائب الارض بما رحبت

وتضيق عليه نفسه كتوبة

هؤلاء الثلاثة (يا أيها الذين

آمنوا اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين) في إيمانهم

دون المنافقين أو مع الذين

لم يتخلفوا أو مع الذين

صدقوا في دين الله نية

وقولا وعملا والآية تدل

على أن الاجماع حجة لانه

أمر بالسكون مع الصادقين

فلزم قبول قولهم (ما كان

لاهل المدينة ومن حولهم

من الاعراب أن يتخلفوا

عن رسول الله) المراد

بهذا النبي النهي رخص

هؤلاء بالذكروا واستوى

بها ملك غسان فاحرقتهافي التنور وسلم جبل بالمدينة معروف وقوله وانطلقت أنام يعني أقصد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والفوج الجماعة من الناس يقال برق وجهه اذا المع وظهر عليه أمارات الفرح والسرور
قوله انخلع من مالى أى أخرج منه جميعه واتصدق به كما يخلع الانسان قميصه قوله ما علمت أحد من
المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث أحسن مما أبلاني البلاء والابتلاء يكون فى الخير وفى الشر واذا أطلق
كان فى الشر غالبا فاذا أريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله أحسن مما أبلاني أى أنعم على قوله أن لا يكون
كذبته هكذا هو فى جميع روايات الحديث بزيادة لفظ لا قال بعض العلماء لفظه لازادة ومعناه أن لا يكون
كذبته وقوله فاهلك هو بكسر اللام وار جاؤه امرنا تأخير وقوله فى الرواية الاخرى يحطمكم الناس أى
يطؤكم ويزدحجون عليكم وأصل الوطاء الكسر وقوله سائر الليل يعني باقى الليل وقوله وآذن بتوبة الله
علينا أى علم والأذان الاعلام والله أعلم ﴿ قوله عز وجل (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) يعني
بما اتسعت والرحب سعة المكان والمعنى أنه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا (وضاقت عليهم أنفسهم)
يعنى من شدة الغم والحزن وبجانبه الناس اياهم وترك كلامهم (وظنوا) يعنى وأيقنوا وعلموا (أن لا ملجأ)
يعنى لا مفزع ولا مفر (من الله الا اليه) ولا عاصم من عذابه الا هو (ثم تاب عليهم) فيه اضمار حذف
تقديره وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه فرحمهم ثم تاب عليهم وانما حسن هذا الحذف لدلالة الكلام عليه
وقوله ثم تاب عليهم تأكيده لقبول توبتهم لانه قد ذكر توبتهم فى قوله وعلى الثلاثة الذين خلفوا كما تقدم
بيان وان عطف على قوله لانه تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار أى وتاب الله على الثلاثة الذين
خلفوا ﴿ وقوله تعالى (ليتوبوا) معناه ان الله سبحانه وتعالى تاب عليهم فى الماضى ليكون ذلك داعيا لهم
الى التوبة فى المستقبل فيرجعوا واولادوا مواعيلها وقيل ان أصل التوبة الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم
ايرجعوا الى حالتهم الاولى يعنى الى عاداتهم فى الاختلاط بالناس ومكالمتهم فتمكن نفوسهم بذلك (ان الله هو
التواب) يعنى على عباده (الرحيم) بهم وفيه دليل على أن قبول التوبة بمحض الرحمة والكرم والفضل
والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شئ ﴿ قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) يعنى فى مخالفة
أمر الرسول صلى الله عليه وسلم (وكونوا مع الصادقين) يعنى مع من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فى الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين من المنافقين الذين قعدوا فى البيوت وتركوا الغزو وقال سعيد بن
حبير مع الصادقين يعنى مع أبى بكر وعمر وقال ابن جرير مع المهاجرين وقال ابن عباس مع الذين صدقت
نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية
وقيل كونوا مع الذين صدقوا فى الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا وبالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل
على فضيلة الصدق لان الصدق يهدى الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد فى الحديث وقال ابن مسعود
الكذب لا يصلح فى جد ولا هزل ولأن بعد أهدمكم صاحبه شيئا ثم لا ينجزه اقرؤا ان شتمت وكونوا مع الصادقين
وروى أن أبابكر الصديق احتج بهذه الآية على الانصار فى يوم السقيفة وذلك أن الانصار قالوا منأ مبر ومنكم
أمير فقال أبو بكر يا معشر الانصار ان الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك
هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم هم فقال أبو بكر ان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين فامركم أن تكونوا معنا ولم يأمرنا أن نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل
مع معنى من والمعنى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ما كان لاهل
المدينة) يعنى لساكنى المدينة من المهاجرين والانصار (ومن حولهم من الاعراب) يعنى سكان البوادي
من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وقيل هو عام فى كل الاعراب لان اللفظ عام وجهه على العموم أولى
(أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى اذا غزا وهذا ظاهره خبر ومعناه النهى أى ليس لهم أن يتخلفوا عن

كل الناس فى ذلك لقرهم منه ولا يخفى عليهم خروجه

(ولا يرغبوا) ولأن يضنوا (بانفسهم عن نفسه) عما يصيب نفسه أى لا يختاروا بقاء أنفسهم على نفسه في الشدائد بل أمر وابلان يصحبوه في البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه في كل شدة (ذلك) النهى عن التخلف (بأهلهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) عطش (ولا نصب) تعب (ولا تخمصة) مجاعة (في سبيل (٢٩٤) الله) في الجهاد (ولا يطؤون موطئاً) ولا بدوسون مكاناً من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم

رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يرغبوا) يعنى ولأن يرغبوا (بانفسهم عن نفسه) يعنى ليس لهم أن يكرهوا لانفسهم ما يختاره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة ويتركوا مصاحبة والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال الحسن لا يرغبوا بانفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مشقة السفر ومقاساة التعب (ذلك بانهم لا يصيبهم) في سفرهم وغزواتهم (ظماً) أى عطش (ولانصب) أى تعب (ولا تخمصة) يعنى مجاعة شديدة (في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار) يعنى ولا يضعون قدماً على الارض يكون ذلك القدم سبباً لغيظ الكفار ونقمهم وحزهم (ولا يذلون من عدو نيلاً) يعنى أسراً وقتلاً أو هزيمة أو غنيمة أو نحو ذلك قليلاً كان أو كثيراً (الا كتب لهم به عمل صالح) يعنى الا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه لهم وقبله منهم (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعنى ان الله سبحانه وتعالى لا يدع محسناً من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره أو نهاه عنه أن يجازيه على احسانه وعمله الصالح وفي الآيه دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها احسانات مكتوبة عند الله ومن قصد معصية الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحر كته وسكونه كلها اسيات الا ان بغفرها الله بفضله وكرمه واختلاف العلماء في حكم هذه الآيه فقال قتادة هذا الحكم خاص برسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزى بنفسه لم يكن لاحد أن يتخلف عنه الا بعدد ما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه اذا لم يكن للمسلمين اليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الازاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد يقولون في هذه الآيه انها لأول هذه الامم وآخرها فعلى هذا تكون هذه الآيه محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان أهل الاسلام قليلاً فلما كثروا نسخها الله عز وجل وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدى عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم وأمرهم قال هذا هو الصحيح لانه لا تامين الطاعة والاجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر وكذا غيره من الأئمة والولاة قالوا اذ اذنبوا أو عينوا الا نالوا سوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص بذلك بعض دون بعض لأدى ذلك الى تعطيل الجهاد والله أعلم ﷺ وقوله عز وجل (ولا ينفقون) يعنى في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) يعنى تمرة فسادونها أو أكثر منها حتى علاقة سوط (ولا يقطعون وادياً) يعنى ولا يجاوزون في مسيرهم وادياً مقبلين أو مدبرين فيه (الا كتب لهم) يعنى كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم (ليجز بهم الله) يعنى يجازيهم (أحسن ما كانوا يعملون) قال الواحدى معناه باحسن ما كانوا يعملون وقال الامام نضر الدين الرازى فيه وجهان الأول أن الاحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب والباح فالله سبحانه وتعالى يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح والثانى أن الاحسن صفة للجزاء أى يجزيهم جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآيه دليل على فضل الجهاد وانه من أحسن أعمال العباد (ق) من سهل من سعد الساعدى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة بروحها العبد في سبيل الله والغدوة خير من الدنيا وما عليها في رواية وما فيها (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نض من الله ان خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلى واما انابى وتصديقاً برسلى فهو على ض من أن

وأخفاف رواحلهم وأرجلهم (يغيظ الكفار) يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا يذلون من عدو نيلاً) ولا يصيبون منهم اصابة يقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة (الا كتب لهم به عمل صالح) عن ابن عباس رضى الله عنهما لسكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه اذا رزاه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش في الغنيمة بعد انقضاء الحرب لان وطاء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابنى عامر وقد قدام بعد تقضى الحرب والموطئ امام صدر كالمورد واما مكان فان كان مكاناً فغنى يغيظ الكفار يغيظهم ووطؤه (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (ولا ينفقون نفقة) في سبيل الله (صغيرة) ولو تمرة (ولا كبيرة) مثل

ما وفق عثمان رضى الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون وادياً) أى ارضاني ذهابهم وجميعتهم وهو كل منفرج ادخله

بين جبال وآكام يكون منفرد المسيل وهو فى الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الارض (الا كتب لهم) من الانفاق وقطع الوادى (ليجز بهم الله) متعاقب بكتب أى أنبت فى صحائفهم لاجل الجزاء (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزيهم

على كل واحد جزء أحسن
 عمل كان لهم فيلحق
 مادونه به توفيرا لاجرهم
 (وما كان المؤمنون
 لينفروا كافة) اللام
 اتأ كيد الذي أي أن نفيرا
 الكافة عن أو طائهم لطلب
 العلم غير صحيح للافضاء الى
 المفسدة (فلولا نفر) فبين
 لم يكن نفيرا الكافة فهم لانفر
 (من كل فرقة منهم
 طائفة) أي من كل جماعة
 كثيرة جماعة قبيلة منهم
 يكفونهم النفير (ليتفهموا
 في الدين) ليتكلموا الفقهاء
 فيه ويتجشمو المشاق في
 تحصيلها (ولينذروا قومهم)
 وليجعلوا امرئهم
 الى التفقه وانذار قومهم
 وارشادهم (اذارجعوا
 اليهم) دون الاغراض
 الخسيسة من التصدر
 والترؤس والتشبه بالظلمة
 في المراكب والملابس
 (لعلهم يحذرون) ما يجب
 اجتنابه وقيل ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم كان
 اذا بعث بعثا بعد غزوة
 تسوك بعد ما أنزل في
 المتخلفين من الآيات
 الشداد اتسق المؤمنون
 عن آخرهم الى النفير
 وانقطعوا جميعا عن التفقه
 في الدين فامروا أن ينفر
 من كل فرقة منهم طائفة الى
 الجهاد ويبقى سائرهم

أدخله الجنة أو أرجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمته والذي نفس محمد بيده ما من كام
 يكام في سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كام لونه لون دم وريح يجره مسك والذي نفس محمد بيده لولا
 أن أشق على المسلمين ما قدمت خلاف سرية تغزوني سبيل الله أنداولكن لأجد سعة فاجلهم ولا يجدون
 سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أعزوني في سبيل الله فاقتل ثم أعزوني فاقتل ثم
 أعزوني فاقتل لفظ مسلم والبخاري بمعناه (ق) عن أبي سعيد الخدري قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال أي الناس أفضل قال مؤمن بجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب
 يعبد الله وفي رواية يتيقن الله ويدع الناس من شره (خ) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 من احتبس فرسان في سبيل الله بما نابالله وأصدى قابو عده فان شبعه ور به وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة
 يعني حسنات (خ) عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أغبرت قدما عبد في سبيل الله
 قدمه النار (م) عن أبي مسعود الانصاري البديري قال جاء رجل بناقة مخطومة الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة
 عن خريم بن فانك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى ناقة نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة
 ضعف أخرج الترمذي والنسائي قوله سبحانه وتعالى (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) الآية قال عكرمة
 لما نزلت هذه الآية ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله قال ناس من
 المنافق بن هالك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس انها ليست
 في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدت بلادهم فكانت القبيلة
 منهم تقبل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهاد وبقيا بالاسلام وهم كاذبون فضيقوا على أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وأجهدوهم فارتل الله عز وجل الآية يخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين
 فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عشائرهم وحذر قلوبهم أن يفعلوا فعلهم اذارجعوا اليهم فذلك قوله
 سبحانه وتعالى و لينذروا قومهم اذارجعوا اليهم وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه قال كان ينطاق من كل
 حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيأولونه عمار يدون من أمر دينهم ويتفقهون في
 دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا عما نقول اعشائرنا اذا انطلقنا اليهم
 فيأمرهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله وبيعهم الى قومهم بالصلاة والزكاة فكانوا اذا
 أتوا قومهم نادوا ان من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى ان الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يخبرهم بما يحتاجون اليه من أمر الدين وأن ينذروا قومهم اذارجعوا اليهم ويدعوهم الى الاسلام
 وينذروهم النار ويبدشروهم بالجنة وقال مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا في
 البوادي فاصابوا من الناس معروفا ومن الحطب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدي
 فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم نحر جاؤا قبلوا من البادية كلهم
 حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) يتفقون
 الخير وقد طائفة (ليتفقهوا في الدين) ليسمعوا ما أنزل الله (ولينذروا قومهم) من الناس اذارجعوا اليهم
 لعلهم يحذرون) وقال ابن عباس ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصابة يعني السرايا ولا يبرون الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد
 نزل في بعضهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان لله قد أنزل على نبيكم من
 بعدكم قرآن وقد تعلمناه فتكث السرايا تعلمون ما أنزل الله على نبيهم بعدهم وتبعث سرايا أخرى فذلك قوله
 سبحانه وتعالى ليتفقهوا في الدين بقول ليعلموا ما أنزل الله على نبيهم ويعلموا السرايا اذارجعت اليهم لعلهم

يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبرى وأما نفس الآية فيمكن أن يقال انها من بقية أحكام الجهاد ويمكن أن يقال انها كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد فعلى الاحتمال الاول فقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزوة لم يتخلف عنه الامنافى أو صاحب عذر فلهما بالغ الله في الكشف عن عيوب المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شئ من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسامون جميعا الى الغزوة وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الآية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم أن ينفروا بكايتهم الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب أن ينقسموا قسمين فطائفة يكونون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفرون الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان الاحكام والشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شئ فالمازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحفظون ما نزل من الاحكام وما يتجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة أخبروهم بذلك فيكون معنى الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فولوا يعنى فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعد طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذ رجعوا اليهم من غزوهم لعلمهم يحذرون يعنى مخالفة أمر الله وأمر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل ان التفقه صفة للطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بامرهم الله من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم ومعنى ذلك أن الفرقة النافرة اذا شاهدوا نصر الله لهم على أعدائهم وأن الله يريد اعداء دينه وتقوية دينه صلى الله عليه وسلم وان الفئسة القليلة قد غلبت جمعا كثيرا فاذا رجعوا من ذلك النفر الى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لهم لعلمهم يحذرون فيتركوا الكفر والتفريق وأورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن أن يجاب عنه بانهم اذا علموا أن الله هو ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين وأما الاحتمال الثاني وهو أن يقال ان هذه الآية كلام مبتدأ لاتعلق له بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا قد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم من ذلك حرجا فاقبلوا كلهم من البداية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية والمعنى هـ لانفر من كل فرقة طائفة وقع دطائفة ليتفقهوا في الدين وبلغوا ذلك الى النافرين لينذروا قومهم اذ رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون يعنى باس الله ونقمته اذا خالفوا أمره وفي الآية دليل على أنه يجب أن يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصرط المستقيم فيكل من تفقه وتعلم بهذا القصد كان على المنهج القويم والصرط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين أعمالا الآية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطى الله ولم يزل أمر هذه الامة مستقيا حتى تقوم الساعة وحتى يأتي أمر الله (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد أخرجه الترمذى وأصل الفقه في اللغة لفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقماه اذا صار فقهه وقيل الفقه هو التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو أخص من العلم وفي الاصطلاح الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع وأحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية يفرض العين معرفة أحكام الطهارة وأحكام الصلاة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم

يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر اذا الجهاد بالحجاج أعظم أثر من الجهاد بالنصال والضمير في ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذروا الفرق الباقية قومهم النافرين اذ رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة لتفقه

طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه معرفة علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال يجب في مثله الزكاة وعلم أحكام الحج اذا وجب عليه وأما فرض الكتابة من الفقه فهو أن يتعلم حتى يبلغ رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد أهل بلد عن تعامه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد فتعلم حتى يبلغ درجة الفتيا ساقط الفرض عن الباقيين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على آدماءكم أخرجه الترمذي مع زيادة فيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة أخرجه الترمذي عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمر وابن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة وأُسنة قائمة وفريضة عادلة أخرجه أبو داود الآيات المحكمة هي التي لا يشبهها فيها ولا اختلاف في حكمها أو ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الدائمة التي العمل بها متصل لا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في امثالها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يمدى عظميا في ملكوت السموات وأخرجه الترمذي موقوفا وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه طاب العلم أفضل من صلاة النافلة ﴿ قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ﴾ أمر واقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا مكان الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم هم الديلم وقال ابن زيد كان الذين يلونهم من الكفار العرب فقاتلهم حتى فرغوا منهم فامر واقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يومنون أو يعنوا الجزية عن يد وتقل عن بعض العلماء انه قال نزلت هذه الآية قبل الامر بقتال المشركين كافة فلما نزلت وقاتلوا المشركين كافة صارت ناسخة لقوله سبحانه وتعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ لانه سبحانه وتعالى لما أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم الطريق الاصبوا الاصلح وهو أن يبدأ بقتال الاقرب فالاقرب حتى يصلوا الى الاعدد فالاعدد بهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لان قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أول اقومه ثم اتقل منهم الى قتال سائر العرب ثم اتقل الى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم اتقل الى غز الروم في الشام فكان فتح الشام في زمن الصحابة ثم اتقلوا الى العراق ثم بعد ذلك الى سائر الامصار لانه اذا قاتل الاقرب تقوى بما ينال منهم من الغنائم على الاعدد ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واجدوا فيكم غلظة) ﴾ يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم (واعلموا أن الله مع المتقين) يعني بالعون والنصرة ﴿ قوله عز وجل (واذا ما نزلت سورة فمهم من يقول أيكم زادته هذه آياتا) ﴾ يعني اذا نزل الله سورة من سور القرآن فن المتقين من يقول يعني يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه آياتا يعني سورة آياتا يعني تصديقوا يقينوا وانما يقول ذلك المنافقون استهزاء وقيل يقول ذلك المنافقون لبعض المؤمنين فقال الله سبحانه وتعالى (فاما الذين آمنوا فزادتهم آياتا) يعني تصديقوا يقينوا وقر به من الله ومعنى الزيادة ضم شيء الى آخر من جنسه مما هو في صفته فالؤمنون اذا أقر وابتزول سورة من القرآن عن ثقة واعترفوا أنهم امن عند الله عز وجل زادهم ذلك الاقرار والاعتراف آياتا وقد تقدم بسط الكلام على زيادة الايمان في أول سورة الانفال (وهم يستبشرون) يعني أن المؤمنين يفرحون بنزول القرآن شيئا بعد شيء لانهم كلما نزل ازدادوا ايمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما يحصل الزيادة في الايمان

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم) يقر بونكم (من الكفار) القتال واجب مع جميع الكفرة قريتهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب أوجب وقد حارب النبي صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية ان يقاتلوا من واهبهم (واجدوا فيكم غلظة) شدة وعنغ في القتال قبل القتال (واعلموا أن الله مع المتقين) بالنصرة والغلبة (واذا ما نزلت سورة) ماصلة مؤكدة (فهم) فن المنافقين (من يقول) بعضهم لبعض (أيكم زادته) هذه السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالاستهزاء وقيل هو قول المؤمنين للحدث والتنبيه (فاما الذين آمنوا فزادتهم آياتا) يقينا وثباتا وأخشية أو ايمانا بالسورة لانهم لم يكونوا آمنوا بها تنصيلا (وهم يستبشرون) يعدون زيادة التكليف بشارة الشريف

رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم (وماتوا وهم كافرون) هو اخبار عن اصرارهم عليه الى الموت (أو لا يرون) يعنى المنافقين وبالتساء حزة خطاب للمؤمنين (أنهم يفتنون) يتلون بالخط والمريض وغيرهما (في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون) عن نفاقهم (ولا هم يذكرون) لا يعتبرون أو بالجهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتوبون بما يرون من دولة الاسلام ولا هم يذكرون بما يقع بهم من الاضطلام (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكار اللوحى وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لتصرف فانا لانصبر على استماعه ويقالنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو اذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين أشار بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ان قدم من حضرته عليه السلام (ثم انصرفوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن فهم القرآن (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (انصداءكم

بسبب نزول القرآن كذلك تحصل الزيادة في الكفر وهو قوله سبحانه وتعالى (وأما الذين في قلوبهم مرض) أى شك ونفاق سمى الشك في الدين مرضا لانه فساد في القاب يحتاج الى علاج كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى العلاج (فزادتمهم) يعنى السورة من القرآن (رجسالى رجسهم) يعنى كفرا الى كفرهم وذلك أنهم كلما نجدوا نزول سورة أو استهزؤا بها ازدادوا كفرا مع كفرهم الاول وسمى الكفر رجسالا لانه أقبح الاشياء وأصل الرجس في اللغة الشئ المستقذر (وماتوا) يعنى هؤلاء المنافقين (وهم كافرون) يعنى وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الايمان يزيد وينقص وكان عمر يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزيدا ايمانا وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ان الايمان يبدو لمة بيضاء في القلب وكلما ازداد الايمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله وان النفاق يبدو لمة سوداء في القلب وكلما ازداد النفاق ازداد السواد حتى يسود القلب كله وأيم الله لو شققتم عن قاب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود قوله سبحانه وتعالى (أو لا يرون) قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ بالياء على أنه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض (أنهم يفتنون) يعنى يتلون (في كل عام مرة أو مرتين) يعنى بالامراض والشدائد وقيل بالفحط والجذب وقيل بالغزو والجهاد وقيل أنهم يفتضحون باظهار نفاقهم وقيل أنهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل أنهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يعنى من النفاق ونقض العهد ولا يرجعون الى الله (ولا هم يذكرون) يعنى ولا يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين (واذا ما أنزلت سورة) يعنى فيها عيب المنافقين وتو بعضهم (نظر بعضهم الى بعض) يريدون بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة (هل يراكم من أحد) يعنى هل أحد من المؤمنين يراكم ان قدم من مجلسكم فان لم يرههم أحد خرجوا من المسجد وان علموا أن أحد يراهم من المؤمنين أقاموا ولجئوا على نكاح الحال (ثم انصرفوا) يعنى عن الايمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التى بسمعون فيها ما يكرهون (صرف الله قلوبهم) يعنى عن الايمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم قوم لا يفقهون) يعنى لا يفقهون عن الله دينه ولا شئ يافيه نفعهم قوله سبحانه وتعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) هذا خطاب للعرب يعنى لقد جاءكم بها العرب رسول من أنفسكم تعرفون نسبه وحسبه وانه من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليه السلام قال ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شئ من ولادة الجاهلية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكره البغوي باسناد الشاعبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدتى من سفاح أهل الجاهلية شئ ما ولدتى الا نكاح كذا كذا أهل الاسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء فى تفسير قول ابن عباس ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعنى من مضرهاو ربيعتها ويمانها فامار بيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان واليه تنسب قريش وهو منهم وأما نسبه الى عرب اليمن وهم القحاطنة فان آمنه لها نسب فى الانصار وان كانت من قريش والانصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب فى نصره والايمان به فانه تم شرفهم بشرفه وعزتهم بعزته ونفخهم بفخره وهو من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والامانة والحيانة والعفاف وطهارة النسب والاخلاق الحميدة وقرأ ابن عباس والزهرى من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه انه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من

(عز يز عليه ما عنتم) شديده عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتم ولماؤكم المكرره فهو يخاف عليكم الوقوع في العذاب (حريص عليكم) على ايمانكم (بالؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان تولوا) فان عرضوا عن الايمان بك وناصروك (فقل حسبي الله) فاستعن بالله وفض اليه امورك فهو كافيك معرفتهم وناصرك عليهم (لا اله الا هو عليه توكلت) فوضت امرى اليه (وهو رب العرش) هو اعظم خلق الله خلق مطافا لاهل السماء وقبلة للدعاء (العظيم) بالجر وقرى بالرفع على نعت الرب جل وعز عن ابي آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية (سورة بونس عليه السلام) مائة وتسع آيات مكية ولذا ما بعدها الى سورة النور ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (الر) ونحوه مما لجزءه على واو عمرو وهو نعت بيد الحروف على طريق التحدى (تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة

القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريش من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ان قريشا جلسوا يتذاكرون احسامهم بينهم فقالوا امثلك كمثل نخلة في كدبية من الارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخاق فجعاني من خير فرب بهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه الترمذي وقيل ان قوله سبحانه وتعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عام فمله على العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم ايها الناس رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كان من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (عز يز عليه ما عنتم) أي شديده عليه عنتم يعني مكرهكم وقيل يشق عليه ضلالكم (حريص عليكم) يعني حريص على ايمانكم وايمانكم وقال قتادة حريص على هدايتكم وان يهديكم الله (بالؤمنين رؤف رحيم) يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤف بالطيعين رحيم بالذنبيين (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة أسماء انا محمد وانا احمد وانا الماسحى الذي يحو الله في الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ايس بعده نبي وقد سماه الله وفارحيا قال الحسن بن الفضل لم يجمع الله سبحانه وتعالى لاحد من انبيائه بين اسمين من اسمائه الا النبي صلى الله عليه وسلم فسماه وفارحيا وقال سبحانه وتعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فان تولوا) يعني فان عرض هؤلاء الكفار والمنافقون عن الايمان بالله ورسوله وناصروك للحرب (فقل حسبي الله) يعني يكفني الله وينصرني عليكم (لا اله الا هو عليه توكلت) يعني لا على غيره وبه وثقت (وهو رب العرش العظيم) انما خص سبحانه وتعالى العرش بالذكر لانه اعظم الخلوقات فيدخل مادونه في الذكرك فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فادونه او يكون خصه بالذكرك نشر يفاله كما يقال بيت الله وروي عن ابي بن كعب انه قال هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر السورة وآية من القرآن نزولاً وروى راية عنه قال احدث القرآن عهدا بالله هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى آخر الآيتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿تفسير سورة بونس عليه الصلاة والسلام﴾

نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهي قوله سبحانه وتعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى آخر الثلاث آيات قاله ابن عباس وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان فيها من المدني قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الآية وقال مقاتل هي مكية الآيتين وهي قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته والي تلها وهي مائة وتسع آيات وألف وثمانمائة واثنتان وثلاثون كلمة وتسعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿قوله عز وجل﴾ (الر) قال ابن عباس والضحاك معناه ان الله ارى وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبدالله وقال قتادة الر اسم من أسماء القرآن وقيل هي اسم للسورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما فيه كفاية (تلك آيات الكتاب) المراد من لفظ تلك الاشارة الى الآيات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب وهو القرآن الذي انزل الله اليك يا محمد وذلك ان الله عز وجل وعده ان ينزل عليه كتابا لا يحويه الماء ولا تغيره الدهور وقيل ان لفظ تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن والمعنى ان تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم وفي قول آخر ان المراد بآيات الكتاب الكتاب التي قبل

(وقدره) وقدر القمر أى وقدر مسيره (منازل) أو وقدره ذامنازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لتعلموا عدد السنين) أى عدد السنين والشهور وفا كتفى بالسنين لاشتهالها على الشهور (والحساب) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور (ما خلق الله ذلك) المذكور (الإ) ما تبسأ (بالحق) (٣٠٢) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا (يفصل الآيات) مكى وبصرى وحفص

خص الشمس باضياء لانها أقوى وأكمل من النور وخص القمر بالنور لانه أضعف من الضياء ولانهما لو اتساو يلم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على أن الضياء المختص بالشمس أكل وأقوى من النور المختص بالقمر (وقدره منازل) قيل الضمير فى وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدرلها منازل أو قدر سيرهما منازل لا يجاوزانها فى السير ولا يقصران عنها وإنما وحد الضمير فى وقدره للإيجاز أو ا كتفى بذكر أحدهما دون الآخر فهو كقوله سبحانه وتعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقيل الضمير فى وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر فى المنازل أسرع وبه يعرف انقضاء الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتمدة فى الشرع مبنية على رؤية الألهة والسنة المعتمدة فى الشرع هى السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمان وعشرون منزلة وهى الشربطين والبطين والثريا والدبران والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصفرة والعواء والسمك والغفر والزباني والا كليل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الداج وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر وبطن الحوت فهذه منازل القمر وهى مقسومة على اثني عشر برجاً وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت لكل برج منزلان وثلاث منزل و ينزل القمر كل ليلة منزلاً منها الى انقضاء ثمانية وعشرين ليلة ثم يستتري لثنتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعاً وعشرين اختفى ليلة واحدة (تتبعوا عدد السنين) يعنى قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين ووقت دخولها وانقضائها (والحساب) يعنى وتعلموا حساب الشهور والايام والساعات ونقصانها وزيادتها (ما خلق الله ذلك الا بالحق) يعنى للحق واظهار قدرته ودلائل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا (يفصل الآيات لقوم يعلمون) يعنى يبين دلائل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله ووحدانيته (ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون) تقدم تفسير هذه الآية فى نظائرها (ان الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجاء يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلاناً بمعنى لا يخافه ومنه قوله سبحانه وتعالى مالكم لا ترجون لله وقاراً ومنه قول أى ذؤيب الهذلى * اذا سعته النحل لم يرج اسعها * أى لم يخفها والرجاء يكون بمعنى الطمع فيكون المعنى لا يطمعون فى ثوابنا (ورضوا بالحياة الدنيا) يعنى اختاروها وعملوا فى طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها (واطمأنوا بها) يعنى وسكنوا اليها مطمئنين فيها وهذه الطمأنينة التى حصلت فى قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها أزلت عن قلوبهم والوجل والخوف فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم (والذين هم عن آياتنا غافلون) قيل المراد بالآيات أدلة التوحيد وقال ابن عباس عن آياتنا يعنى عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أى معرضون (أولئك ما واهم النار بما كانوا يكسبون) يعنى من الكفر والتكذيب والاعمال الخبيثة قوله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم - هم ربهم بإيمانهم) يعنى يهديهم ربهم الى الجنات ثوابهم بإيمانهم وأعمالهم الصالحة وقال مجاهد يهديهم على الصراط الى الجنة يجعل لهم نوراً يمشون به وقال قتادة بلغنا أن المؤمن اذا خرج من قبره يصور له عمله فى صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عمك فيكون له نوراً وقائدا الى الجنة

وباتون غيرهم (لقوم يعلمون) فينتفعون بالتأمل فيها (ان فى اختلاف الليل والنهار فى مجيئ كل واحد منهما خلف الآخر وفى اختلاف لونيها) وما خلق الله فى السموات والارض من الخلائق (آيات لقوم يتقون) خصهم بالذكر لانهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر الى النظر (ان الذين لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه أصلاً ولا يخشونهم بباطلهم انفتاحهم عن التفطن للحقائق أو لا يؤمنون حسن لقاءنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقاءنا الذى يجب أن يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقي (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (والذين هم عن آياتنا غافلون) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لان خبر ان (أولئك ما واهم النار) فالتك مبتدأ وما واهم مبتدأ ثان

والنار خبره والجملة خبر أو أهلك والباء فى (بما كانوا يكسبون) يتعلق بحذوف دل عليه والكلام وهو جوزوا (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى الى الثواب ولذا جعل

(تجرى من تحتهم الانهار) بيانها وتفسيها اذا التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها أو يهدبهم في الآخرة بنور إيمانهم الى طريق الجنة ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له أنا عمك (٣٠٣) فيكون له نور او قائد الى الجنة والكافر

والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز أن يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص واطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز أن يكون المعنى ويشبههم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم بهم يهدبهم بهم لدينه أى يتصديقهم هداهم (تجرى من تحتهم الانهار) يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسمرتهم وقصورهم فهو كقولهم سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريلهم يرد به أنه تحتها وهى قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى بأمرهم (في جنات النعيم) يعنى ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهى كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء وتقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لا يشبهه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل أن المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفى هذا الذكرو التحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لنتهم وبدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفنون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا ﴿وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيه اسلام) يعنى يحيى بعضهم بهضبا بالسلام وقيل تحييتهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيتهم الملائكة من عندهم بالسلام (وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جماعة من المفسر بن حلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب الأكل والشرب وانهم اذا اشتروا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر فى الحديث ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ولو يجعل الله للناس الشر) يعنى ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر بما لهم فيه ضرورة ومكرهه فى نفس أو مال قال ابن عباس هذا فى قول الرجل لاهله ولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله ولده بما يكرهه أن يستجاب له فيه (استجأهم بالخير) يعنى كاستجأهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلاهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتجميل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طلب الجملة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجميل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقولوا أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذى يستجلبون به استجأهم بالخير لقضى اليهم أجلاهم يعنى فرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له فى الشر وقيل ان هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حملا من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافر من العذاب كما جعل لهم خير الدينار من المال والولد الجمل قضاء أجلاهم ولهاكوا جميعا او يدل على صحة هذا القول قوله

الكاثر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله النار وقال ابن الانباري يجوز أن يكون المعنى ان الله يزيدهم هداية بخصائص واطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز أن يكون المعنى ويشبههم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم بهم يهدبهم بهم لدينه أى يتصديقهم هداهم (تجرى من تحتهم الانهار) يعنى بين أيديهم ينظرون اليها من أعلى أسمرتهم وقصورهم فهو كقولهم سبحانه وتعالى قد جعل ربك تحتك سريلهم يرد به أنه تحتها وهى قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجرى بأمرهم (في جنات النعيم) يعنى ذلك لهم في جنات النعيم (دعواهم فيها) أى قولهم وكلامهم فيها وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أى دعاؤهم فيها (سبحانك اللهم) وهى كلمة تنزيه لله تعالى من كل سوء وتقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين أهل الجنة والخدم في الطعام فاذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فيأتونهم في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل فى ميل على كل مائدة سبعون ألف صحفة فى كل صحفة لون من الطعام لا يشبهه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تبارك وتعالى وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل أن المراد بقوله سبحانك اللهم اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما هو أهله وفى هذا الذكرو التحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لنتهم وبدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفنون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفى رواية التسبيح والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أى يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا ﴿وقوله سبحانه وتعالى (وتحيتهم فيه اسلام) يعنى يحيى بعضهم بهضبا بالسلام وقيل تحييتهم الملائكة بالسلام وقيل تأتيتهم الملائكة من عندهم بالسلام (وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين) قد ذكرنا أن جماعة من المفسر بن حلوا التسبيح والتحميد على أحوال أهل الجنة بسبب الأكل والشرب وانهم اذا اشتروا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء واذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقال الزجاج أعلم الله ان أهل الجنة يتدنون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بشكره والثناء عليه وقيل انهم يفتحون كلامهم بالتسبيح ويختمونه بالتحميد وقيل انهم يلهمون ذلك كما ذكر فى الحديث ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ولو يجعل الله للناس الشر) يعنى ولو يجعل الله للناس اجابة دعائهم فى الشر بما لهم فيه ضرورة ومكرهه فى نفس أو مال قال ابن عباس هذا فى قول الرجل لاهله ولده عند الغضب لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه وماله وأهله ولده بما يكرهه أن يستجاب له فيه (استجأهم بالخير) يعنى كاستجأهم بالخير وكما يحبون أن يجعل لهم اجابة دعائهم بالخير (لقضى اليهم أجلاهم) يعنى لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتجميل تقديم الشيء قبل وقته والاستجبال طلب الجملة وقال ابن قتيبة ان الناس عند الغضب والضجر قد يدعون على أنفسهم وأهلهم وأولادهم بالموت وتجميل البلاء كما يدعون بالرزق والرحمة واعطاء السؤال يقولوا أجابهم الله اذ ادعوه بالشر الذى يستجلبون به استجأهم بالخير لقضى اليهم أجلاهم يعنى فرغ من هلاكهم ولكن الله عز وجل يفضله وكرمه يستجيب للداعى بالخير ولا يستجيب له فى الشر وقيل ان هذه الآية نزلت فى النضر بن الحرث حين قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حملا من السماء فعلى هذا يكون المعنى ولو يجعل الله للكافر من العذاب كما جعل لهم خير الدينار من المال والولد الجمل قضاء أجلاهم ولهاكوا جميعا او يدل على صحة هذا القول قوله

بالخير) أصله ولو يجعل الله للناس الشر تجيئه لهم الخير فوضع استجأهم بالخير موضع تجيئه لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فامطر علينا حملا من السماء أى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما جعل لهم الخير ونجييتهم اليه (لقضى اليهم أجلاهم) لأميتوا وأهلكوا لقضى اليهم أجلاهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عز وجل

(فندر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم) شركهم وضلالهم (يعمهمون) يترددون ووجه اتصاله بما قبله ان قوله ولو لا يجعل الله متضمن معنى نفى التمجيل كانه قيل ولا يجعل لهم الشر ولا تقضى ايهم أجلهم فنذرهم في طغيانهم أي فتمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاماً للحجة عليهم) (واذا مس الانسان) (٣٠٤) أصابه والمراد به الكافر (الضر دعانا) أي دعانا لانه لا زالت له (جنبه) في موضع الحال بدليل عطف

الحالين أي (أوقاعدا موت (في طغيانهم) يعني في ترددهم وعتوهم (يعمهمون) يعني يترددون (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اني اتخذت عندك عهداً ان تخلني فيه قائماً أنا بشراً غضب كما غضب البشر فأبى رجل من المساهين سبيته أو أعتته أو جلده فاجعلها له صلاة وزكاة وقرية تقر به بها اليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة ﴿قوله عز وجل (واذا مس الانسان الضر) أي الشدة والجهد والمراد بالانسان في هذه الآية الكافر (دعانا جنبه) أي على جنبه مضطجعا (أوقاعدا أوقاعدا) يريد جميع حالانه لان الانسان لا ينفك عن احدي هذه الحالات الثلاث والمعنى ان الضرور لا يزال داعياً في جميع حالانه الى أن ينكشف ضره سواء كان مضطجعا أو قاعداً أو قائماً وقال الزجاج وجاز أن يكون المعنى اذا مس الانسان الضر جنبه أو مسه قاعداً أو مسه قائماً وهذا القول فيه بعد لان ذكر الدعاء الى هذه الاحوال أقرب من ذكر الضر (فلما كشفنا عنه ضره) يعني فلما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ودفعنا عنه (مر) يعني على طريقته الاولى قبل مس الضر (كأن لم يدعنا) فيه حذف تقديره كأنه لم يدعنا وإنما أسقط الضمير على سبيل التخفيف (الى ضره) والمعنى انه استمر على حالته الاولى قبل أن يمسه الضر ونسى ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق والفقير (كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون) يعني مثل ما زين لهذا الكافر هداية العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله سبحانه وتعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان وذلك باقدار الله اياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وإنما سمي الكافر مسرفاً لانه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله وضيعه في البحار والسواحب وما كانوا ينفقونه على الاصنام وسدتها يعني خدامها وقال ابن جرير في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كازين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم وبيان مقصود الآية ان الانسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعماء والرخاء فاذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالانه مجتهداً في الدعاء طالبا من الله ازاله ما نزل به من المحنة والبلاء فاذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع الى ما كان عليه أولاً وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فانه بخلاف ذلك فيكون صابراً عند البلاء شاكراً لله عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في جميع أوقات الراحة والرفاهية وههنا مقام أعلى من هذا وهو ان المؤمن اذا ابتلى ببلية أو نزل به مكروه يكون مع صبره على ذلك راضياً بقضاء الله غير معرض بالقلب عنه بل يكون شاكراً لله عز وجل في جميع أحواله وابعلم العبد المؤمن ان الله تبارك وتعالى مالك الملك على الاطلاق حكيم في جميع أفعاله وله التصرف في خلقه بما يشاء ويعلم انه ان أبقاه على تلك المحنة فهو عدل وان أزالها عنه فهو فضل ﴿قوله سبحانه وتعالى (واقعد أهلكنا القرون من قبلكم) يعني أهلكنا الامم الماضية من قبلكم بخوف بذلك كفار مكة (لما ظلموا) يعني لما أشركوا (وجاءتهم رسالهم بالبينات) يعني فكذبوهم (وما كانوا يؤمنوا) يعني هذه الامم رسالهم ويصدقوهم بما جاؤا به من عند الله (كذلك نجزي القوم الجرمين) يعني كما أهلكنا

أوقاعدا (أو قائماً) عليه أي دعانا مضطجعا وقائداً ذكر هذه الاحوال ان الضر لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالانه كلها كان مضطجعا عاجزاً عن النهوض أو قاعداً لا يقدر على القيام أو قائماً لا يطيق المشي (فلما كشفنا عنه ضره) أزلنا ما به (مر) كأن لم يدعنا الى ضره أي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أوامر عن موقف الابتهاج والتضرع لا يرجع اليه كأنه لا عهد له به والاصل كأنه لم يدعنا نخفف وحذف ضمير الشأن (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) للمجاوزين الحد في الكفر زين الشيطان بوسوسته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الكفر (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) أشركوا وهو ظرف لاهلكنا والواو في (وجاءتهم رسالهم) للعالم أي ظلموا بالتكذيب

وقد جاءتهم رسالهم (بالبينات) بالمعجزات (وما كانوا يؤمنوا) ان بقوا لم يهلكوا لان الله علم منهم أنهم بصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا وأعراض واللام لتأكيد النفي يعني ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم للرسول وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان أزموا الحجة بيعة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي القوم الجرمين) وهو وعيد لاهل مكة على

اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم جعلنا كم خلافت في الارض من بعدهم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفنا كم في الارض بعد القرون التي أهلناها (لننظر كيف تعملون) أي لننظر أتعلمون خيرا أو شرافتعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعلمون لا بنظر لان معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام الدنيا (٣٠٥) حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها

فناظر كيف تعملون (واذا

تلقى عليهم آياتنا ينات)

حال (قال الذين لا يرجون

لقاءنا) لما غاظهم ما في

القرآن من ذم عبادة

الاولئان والوعيد لاهل

الطغيان (انت بقرآن غير

هذا) ليس فيه ما يغنيظنا

من ذلك نتبعك (أو بدله)

بان تجعل مكان آية عذاب

آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة

وذم عبادتها فامر بان

يجب عن التبديل لانه

داخل تحت قدرة الانسان

وهو أن يضع مكان آية

عذاب آية رحمة وأن يسقط

ذكر الآلهة بقوله (قل

ما يكون لي) ما يحل لي

(أن أبدله من تلقاء نفسي)

من قبل نفسي (ان أتبع الا

ما يوحى الي) لا أتبع الا

وحي الله من غير زيادة ولا

نقصان ولا تبديل لان الذي

أتيت به من عند الله لا من

عندي فابده (اني أخاف

ان عصيت ربي) بالتبديل

من عند نفسي (عذاب

يوم عظيم) أي يوم

القيامة وأما الايتان بقرآن

الام الخالية ما كذبوا رسالهم كذلك نهلككم أيها المشركون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم جعلنا كم خلافت في الارض من بعدهم) الخطاب لاهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلنا كم أيها الناس خلفاء في الارض من بعد القرون الماضية الذين أهلكتناهم (لننظر كيف تعملون) يعني خيرا أو شرافتعاملكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم بريدناختبرأعمالكم وهو يعلم ما يكون قبل أن يكون قال أهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله سبحانه وتعالى اظهارا للعدل لانه سبحانه وتعالى يعامل العباد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ليجازيهم بحسبه كقوله تبارك وتعالى ايباؤكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدي والرازي (م) عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا واحذروا فتنة النساء ﴿ قوله سبحانه وتعالى (واذا تلقى عليهم آياتنا ينات) يعني واذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذي أنزلناه اليك يا محمد ينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك (قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعني قال هؤلاء المشركون الذين لا يخافون عذابنا ولا يرجون ثوابنا لانهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فانه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا (انت بقرآن غير هذا أو بدله) قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبدة الله بن أمية المخزومي والوايد بن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاصم بن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد أن تؤمن بك فأت بقرآن غير هذا ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وان لم ينزل الله عليك فقل أنت من عند نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلالا حراما قال الامام غفر الدين الرازي اعلم أن اقدام الكفار على هذا الالتماس محتمل وجهين أحدهما انهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء وهو قولهم لوجئتنا بقرآن غير هذا القرآن أو بدله لآمنابك وغرضهم السخرية والاستهزاء الثاني أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى انه لو فعل ذلك علموا انه كان كاذبا في قوله ان هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله انت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأتي بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والتبديل لا يكون الامع وجوده وهو أن يبديل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره الله أن يجيبهم بقوله (قل) أي قل يا محمد هؤلاء (ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي) يعني ان هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس الي وما ينبغي لي أن أغيره من قبل نفسي ولم أمر به (ان أتبع الا ما يوحى الي) يعني فيما أمركم به وأنها كم عنه وما أخبركم الا ما يخبرني الله به وان الذي أتيتكم به هو من عند الله لا من عندي (اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) أي قل لهم يا محمد اني أخشى من الله ان خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك أن يعذبني بعذاب عظيم في يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ﴿ قوله سبحانه وتعالى (قل) أي قل يا محمد هؤلاء

(٣٩ - (خازن) - ثاني) آخر فلا يقدر عليه الانسان وقد ظهر لهم العجز عنه الا أنهم كانوا لا يعترفون بالهجز

ويقولون لو نشاء اقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله انت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحي اقله اني أخاف ان عصيت ربي

عذاب يوم عظيم وغرضهم في هذا الاقتراح الكيد اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه

آخر واما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه أو يهلكه فيسخر وانه فيجدها والتبديل

حجة عليه وتمحيح الافتراء على الله (قل)

بالله جهداً يمانهم لا يبعث الله من يموت أو يوم القيامة ان يكن بعث ونشور (قل) أتنبؤن الله بما لا يعلم) أتخبرونه بكونهم شفعاؤنا عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوماً له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شداً وقوله (في السموات ولا في الارض) تأكيداً لنبؤه لان ما لم يوجد فيه ما فهمه مودوم (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزهه عنه ان يكون له شريك وبالثناء حمزة وعلى وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين تشركونهم به أو عن اشراكهم (وما كان الناس الا امة واحدة) حنفاً متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذره الله من تكافرين دياراً (فاختلفوا) فصاروا مللاً (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تأخير الحكم عنهم الى يوم القيامة (لقضى بينهم) عاجلاً (فيما فيه يختلفون) فيما اختلفوا فيه ولما لم يخفى من المبطول وسبق كلمة الحكمة وهي ان هذه الدار دار

المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها وتركوا عبادتها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجاد لا تضر ولا تنفع وان العبادة عظيمة انواعاً تعظم فلا تليق الابن بضره وينفع ويحبي ويميت وهذه الاصنام جاد وحجارة لا تضر ولا تنفع (ويقولون هؤلاء) يعني الاصنام التي يعبدونها (شفعاؤنا عند الله) قال أهل المعاني توهموا ان عبادتها شدة في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا السنا بابل ان نعبد الله ولا يكن تستغل بعبادة هذه الاصنام فانها تكون شفاعة لنا عند الله ومنه قوله سبحانه وتعالى اخبار اعنهم ما نعبدهم الا ليقر بونا الى الله زانق وفي هذه الشفاعة قولان أحدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثاً بعد الموت (قل) أي قل لهم يا محمد (أتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض) يعني أتخبرون الله انه لا يشركه ولا يعلم الله لنفسه شريكاً في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الازمام والمقصود نفي علم الله بذلك الشفيع وان لا وجود له البتة لانه لو كان موجوداً لعلمه الله وحيت لم يكن معلوماً لله وجب ان لا يكون موجوداً ومثل هذا مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد نفي شئ حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده انه ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع (سبحانه وتعالى عما يشركون) نزهه الله سبحانه وتعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والازداد وتعالى ان يكون له شريك في السموات والارض ولا يعلمه ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلّفوا) يعني فتنفروا الى مؤمن وكافر يعني كانوا جميعاً على الدين الحق وهو دين الاسلام ويدل على ذلك ان آدم عليه السلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا وقيل بقوا على ذلك الى زمن نوح عليه السلام ثم اختلفوا وبعث الله نوحاً وقيل انهم كانوا على دين الاسلام وقت خروج نوح ومن معه من السفينة ثم اختلفوا بعد ذلك وقيل كانوا على دين الاسلام من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة العرب خاصة وقيل كان الناس امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا مطمع في ان يبصر الناس على دين واحد فانهم كانوا اولاً على الكفر وانما أسلم بعضهم ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل على أي دين كانوا من ايمان أو كفر فهو موقوف على دليل من خارج وقيل معناه انهم كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعني انه سبحانه وتعالى جعل لكل امة اجلاً وقضى بذلك في سابق الازل قال السكبي هي امهال هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب (لقضى بينهم) يعني بئزول العذاب وتجميل العقوبة لا لكذبين وكان ذلك فصلاً بينهم (فيما فيه يختلفون) وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكمة الله انه لا يقضى عليهم فيما اختلفوا فيه بالثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤخذ احد الا بعد اقامة الحجّة عليه وقيل الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمتي لهلل لهم العقوبة في الدنيا ولكن آخرهم رحمتي الى يوم القيامة ثم يقضى بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا (ويقولون) يعني كفار مكة (ولولا انزل عليه آية من ربه) يعني هلا انزل على محمد ما تفرح عليه من الآيات (فقل) اي فقل لهم يا محمد (انما الغيب لله) يعني ان الذي سألتموه هو من الغيب وانما الغيب

تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب (ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه) أي آية من الآيات التي افترحوها (فقل انما الغيب لله) أي هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن انزال الآيات المقترحة لا غير

(فانتظروا) نزول ما اقترحه و (ان معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لغناكم ووجودكم الآيات (واذا أذقنا الناس) أهل مكة (رحمة) خصاوسعة (من بعد ضراء مستهم) (٣٠٨) يعني القحط والجوع (اذلهم مكر في آياتنا) أي مكر و آياتنا تدفعها وانكارها

روى انه تعالى سلط القحط
سبع سنين على أهل مكة
حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالخيب فلم ارحهم
طفقوا يطعنون في آيات
الله ويعادون رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ويكيدونه فاذا الاولى
للشرط والثانية جوابها
وهي للمفاجأة وهو كقوله
وان تصهم سيئة بما قدمت
أيديهم اذاهم يقظون أي
وان نصهم سيئة فتيوا واذا
أذقنا الناس رحمة مكرها
والمكر اخفاء الكيد وطية
من الجارية الممكورة المطوية
الخلق ومعنى مستهم
خالطهم حتى أحسوا بسوء
أثرها فيهم وانما قال (قل الله
أسرع مكرًا) ولم يفهم
بسرعة المكر لان كلمة
المفاجأة دلت على ذلك
كانه قال واذا ارحناهم من
بعد ضراء فاجؤا ووقوع
المكر منهم وسارعوا اليه
قبل ان يغسلوا رؤسهم من
مس الضراء (ان رسلنا)
يعني الحفظة (يكتبون ما
تمكرون) اعلاء بان ما
تظنون خافيا لا يخفى على
الله وهو منتقم منكم
وبالياء سهل (هو الذي
يسيركم في البر والبحر)

لله لا يعلم أحد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم أحد متى نزول الآية الا هو (فانتظروا) يعني نزولها (ان معكم من المنتظرين) وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على المبطل ان معكم من المنتظرين ﴿ قوله عز وجل (واذا أذقنا الناس رحمة) يعني رخاء ونعمة (من بعد ضراء مستهم) يعني من بعد شدة وبلاء ضيق في اهبس أصابهم والمراد بالناس هنا كفار مكة وذلك ان الله سبحانه وتعالى حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله سبحانه وتعالى رحمهم فانزل عليهم المطر الكثير حتى أخضبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم تعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله سبحانه وتعالى (اذلهم مكر في آياتنا) قال مجاهد أي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وكذا او يدل على صحة هذا القول ياروي عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على ثمرساء كانت من المايل فاما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال قال أصبغ من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب أخرجاه في الصحيحين قوله على ثمرساء كانت من الليل أي مطر كان قد وقع في الليل وسمى المطر سماء لانه يقطر من السماء والاتواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا يتقدرون في الجاهلية انه لا بد عند ذلك من وجود مطر أو ريح كما يزعم المنجمون أيضا فن العرب من يجعل ذلك التأثير للطالع لانه أي ظهر وطلع ومنهم من ينسبه للغارب فنبي النبي عليه السلام صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده اذا اعتقد ان النجم فاعل ذلك التأثير وأما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى الدلالة وأما من أسند ذلك الى العادة التي يجوز انخرامها فقد كرهه قوم وجره قوم ومنهم من تأول الكفر بكفر نعمة الله والله أعلم وسمى تكذيبهم بآيات الله مكر لان المكر عبارة عن صرف الشيء عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان كفار مكة يمتثلون في دفع آيات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاصد (قل الله أسرع مكرًا) أي قل لهم يا محمد لله أعجل عقوبة وأشد أخذًا وأقدر على الجزاء وان عذابه في هلاككم أسرع اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق ولما قابلو انعمة الله بالمكر قابل مكرهم مكر أشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة (ان رسلنا يكتبون ما تمكرون) يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون عليهم الاعمال القييمة السيئة الى يوم القيامة حتى يفتضحوا بها ويجزون على مكرهم ﴿ قوله تعالى (هو الذي يسيركم في البر والبحر) يعني هو الله الذي يسيركم يعني بحملاكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل معناه هو الله الهادي لكم في السير في البر والبحر طلبا للمعاش أو هو المهيء لكم أسباب السير في البر والبحر (حتى اذا كنتم في الفلك) يعني السفن ولفظة الفلك تطلق على الواحد والجمع وتقديرهما مختلفان فان أريد بها الواحد كان كبناء فقل وان أريد بها الجمع كان كبناء أسد والمراد بها هنا الجمع لقوله تعالى (وجوزين بهم) يعني وجرت السفن بركابها فان قلت ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت قال صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكرون لغيرهم حالهم ليحجبهم منها ويستدعي منهم مزبذ الانكار والتفجيع وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم منزلة الخبر عن الغائب وكل من أقام الغائب مقام المخاطب حسن منه ان يردده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة الى الحضور والعكس من فصيح كلام العرب (بريح طيبة) يعني وجرت السفن بريح طيبة ساكنة (وفرحوها) يعني وفرح ركبان تلك الفلك

يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالارجل والدواب والفلك الجارية في البحار أو يخلق فيكم السير بغيركم شامى بتلك (حتى اذا كنتم في الفلك) أي السفن (وجوزين) أي السفن (بهم) بمن فيها رجوع من الخطاب الى الغيبة للمبالغة (بريح طيبة) لينة الهبوب لا عاصفة ولا ضعيفة (وفرحوها) بتلك الريح لئلا تستقامتها

(جاءتها) أي الفلك أو الريح الطيبة أي تلقته (ريح عاصف) (وجاءهم الموج) هو ماء أعلى الماء (من كل مكان) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا جعل احاطة العدو بالخي مثلاً في الأهلاك (دعوا الله محاصرين له لدين) من غير ائثارك به لأنهم لا يدعون حينئذ معه غيره يقولون (لئن أنجيتنا من هذه الأهوال أو من هذه الريح (لنكونن من الشاكرين) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون في الفلك (٣٠٩) غايه للتيسير في البحر ولكن

مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من محبي الريح العاصف وتراكم الامواج والظن والهلاك والدعاء بالانجاء وجواب اذا جاءتها ودعوا بديل من طنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض) يفسدون فيها (بغير الحق) باطلاً أي مبطلين (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) أي ظلمكم يرجع اليكم كقوله من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها (متاع الحياة الدنيا) حفص أي تمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم غيره بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبني عليهم ومعناه انما بغيكم على أمتكم وهو خبر متاع خبر بعد خبراً ومتاع خبر مبتدأ أمضراى هو متاع الحياة الدنيا وفي الحديث أسرع الخبر ثواباً صلة

بتلك الريح الطيبة لان الاسار اذا ركبا سفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة لما مقصود حصل له النفع التام والمسرعة العظيمة بذلك (جاءت الريح عاصف) قيل ان الضمير في جاءتها يرجع الى الريح فيكون المعنى جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فأقبلتها وقيل الضمير في جاءتها يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت الريح شددت وأصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه أراد به ذات عصف أو لاجل ان لفظ الريح قديماً (وجاءهم الموج من كل مكان) يعني وجاء ركان السفينة الموج وهو ما ارتفع وعلامة من غوارب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه (وظنوا أنهم أحيط بهم) يعني وظنوا ان الهلاك قد أحاط بهم وأحاط وقيل المراد من الظن اليقين أي وأيقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه (دعوا الله محاصرين له الدين) يعني انهم أخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا أحداً سواه من آلهتهم وقيل في معنى هذا الاخلاص العلم الحقيقي لا خلاص الايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة أنه لا ينجهم من جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضرو بلاء أخلصوا الله الدعاء (لئن أنجيتنا) أي قائلين لئن أنجيتنا يا ربنا (من هذه) يعني من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة (لنكونن من الشاكرين) يعني من الشاكرين لك على انعامك علينا بخلصنا مما نحن فيه من هذه الشدة (فلما أنجاهم) يعني فلما أنجى الله هؤلاء الذين ظنوا أنهم أحيط بهم من الشدة التي كانوا فيها (اذا هم يبغون في الارض بغير الحق) يعني انهم أخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض فتجاوزوا فيها الى غير ما أمر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها وأصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات البغي على ضربين أحدهما مجرود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو مجاوزة الحق الى الباطل أو الى الشبهة قال صاحب الكشاف فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق قلت بلى قد يكون بحق وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقلع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني قرظة (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) يعني ان وبال بغيكم راجع عليكم (متاع الحياة الدنيا) قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بني بعضكم على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح لزيد الآخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله والمعنى يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم لا يتيها ان يبغى بعضكم على بعض الاياماً قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها في سرعة انقضائها والبني من منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بني جبل على جبل لاندك الباغى وقد نظم بعضهم هذا المعنى شعراً وكان المأمون يمثل به فقال

يا صاحب البغي ان البني مصرعة * فارجم غير مقال المرء أعدله

فلو بني جبل يوماً على جبل * لاندك منه أعاليه وأسفله

وقوله سبحانه وتعالى (ثم الينا مرجعكم) يعني يوم القيامة (فتنبئكم) أي فتخبركم (بما كنتم تعملون)

يعني في الدنيا من البني والمعاصي فنجاز يك عليهما قوله عز وجل (انما مثل الحياة الدنيا) يعني في فئانها

الرحم وأجمل الشرع قابا البني واليمين العاجزة وروى ثمانان بجملة ما الله في الدنيا البني وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بني جبل على جبل لاندك الباغى وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البني والنكت والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم ولا يحق المكر السيء الا باهله ومن نكث فأنما ينكث على نفسه (ثم الينا مرجعكم فتنبئكم بما كنتم تعملون) فتخبركم به ونجاز يك عليه (انما مثل الحياة الدنيا

كأما أنزلناه من السماء من السحاب (فاختاطبه) بالماء (نبات الأرض) أي فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً (مما يأكل الناس) يعني الحبوب والخمار والقول (والانعام) يعني الحشيش (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) زيتها بالسبات واختلاف ألوانه (وازينت) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء في الزى وهو كلام فصيح جمات الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا خذت الثياب الفاخرة من كل لون فاستهوا تزينت بغيره من ألوان الزين (وظن أهلها) أهل الأرض (أهم قادرون معها) متمكنون من مفعولها محصلون لثمرتها رافعون أغلتها (أناها أمرنا) غداً وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمهم واستيقناهم أنه قد سلم (ليلاً ونهاراً) جعلنا زرعها (حصيداً) شبيهاً بما يحصل من الزرع في قطعه واستنصاه (كان لم تغن) كان لم يغن زرعها أي لم يلبث حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه يستقيم المعنى (٣١٠) (بالامس) هو مثل في الوقت القريب كانه قبل كان لم تغن آفة (كذلك) فصل الآيات لقوم

يتفكرون) فينتفعون بضرب الأمثال وهذا من التشبيه المركب شبيهت حال الدنيا في مزرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما التفت وتكاثف وزين الأرض بمحضرته ورفيفه والتنبية على حكمة التشبيه أن الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شبيتها كما أن صفوا الماء في أعلى الاناء قال ألم تر أن العمر كاس سلاقة * فاؤله صفوا وآخره كدر وحقيقته تزين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة نبتت بساتين الانسور يا حين الروح وزهرة الزهد وكردم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة شقائق

وزوالها (كأما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختاطبه) أي بالاطر (نبات الأرض) قال ابن عباس نبت بالماء من كل لون (مما يأكل الناس) يعني من الحبوب والخمار (والانعام) يعني ومما يأكل كل الانعام من الحشيش ونحوه (حتى إذا أخذت الأرض زخرفها) يعني حسنها ونضارتها وبهجتها وأظهرت ألوان زهرها من أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من الزهور (وازينت) أي وتزينت (وظن أهلها) يعني أهل تلك الأرض (أهم قادرون عليها) يعني على جدادها وقطافها وحصادها ذلك كناية إلى الأرض والمراد النبات إذ كان مفهوماً وقيل رده إلى الثمرة والغلة وقيل إلى الزينة (أناها أمرنا) أي قضاؤنا بهلاكها (ليلاً ونهاراً) يعني في الليل والنهار (جعلنا حصيداً) يعني محصودة مقطوعة (كأن لم تغن بالامس) يعني كأن لم تكن تلك الأشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الأرض وأصله من غنى فلان بالسكان إذا أقام به وهو مثل ضرب به الله سبحانه وتعالى للمتشبهين بالدنيا الراغبين في زهرتها وحسنها وذلك أنه تعالى لما قال يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم متاع الحيوة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن بغي في الأرض وتجب برفيها وركن إلى الدنيا وأعرض عن الآخرة لأن النبات في أول بروزه من الأرض ومبدأ خروجه يكون ضعيفاً فاذا نزل عليه المطر واختلط به قوى وحسن واكتسى كمال الرواق والزينة وهو المراد من قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت يعني بالنبات والزخرف عبارة عن كمال حسن الشيء وجعلت الأرض آخذة زخرفها على التشبيه بالعروس إذ البست الثياب الفاخرة من كل لون حسن من حرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك أن الأرض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها أصحابها ويعظم رجاؤه في الاتفايع بها وبما فيها ثم إن الله سبحانه وتعالى أرسل على هذه الأرض صاعقة أو برداً أو ريحاً فجعلها حصيداً كان لم تكن من قبل قال قتادة إن المتشبه بالدنيا ياتيه أمر الله وعذابه أغفل بما يكون ووجه التمثيل إن غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الاتفايع به وقع اليأس منه ولان التمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغيته فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك لأن الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسن إلى الغاية القصوى أنه آفة فتلف بالكلية ثم إن الله سبحانه وتعالى قادر على إعادته كما كان أول مرة فغضب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على أن من قدر على إعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادراً على إعادة الاموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم في ثيب الطائع ويعاقب العاصي (كذلك) فصل الآيات لقوم يتفكرون) يعني

الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وثمام الأثم وشوك الشرك وشيخ الشح وحطب العطب وإساع اللعب كما يدعوه معاده كما يحين لأعرج حصاده فتزايه الحياة مغترا كما يبيع السبات مصفراً فتغيب جثته في الرمس كأن لم تغن بالامس إلى أن يعود ربيع البعث وموتها العرض والبحث وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليلاً بهلاك كثيره ولا بد من ترك ما زاد كالماء من أخذ الزاد وأخذ المال لا يتجاوز زله كما أن خائض الماء لا ينجو من بلة وجمعه وامسكه تلف صاحبه واهلاكه فغداً دون النصاب بضحضاح ماء يتجاوز بلا احتماء والنصاب كنه حائل بين المجتاز والجواز إلى المفاض لا يمكن الا بقطرة وهي الزكاة وعمارتها بذل الصلوات فتى اختلت القنطرة غرقته أمواج القناطر المنقطرة وعن هذا قال عليه السلام الزكاة قنطرة الاسلام وكذا المال يساعد الاوغاديين الامجاد كما أن الماء يجتمع في الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع الا بكبد البخيل كما أن الماء لا يجتمع الا بسد المسيل ثم بغي وبتلف ولا يبقى كالماء في الكف

(والله يدعو الى دار السلام) هي الجنة أضافها الى اسمه تعظيماً لها والسلام السلامة لان (٣١١) أهلها سالمون من كل مكروه وقيل

لفشو السلام بينهم وتسليم
الملائكة عليهم الا قبلا
سلاما (ويهدى من
يشاء) ويوفق من يشاء
(الى صراط مستقيم) الى
الاسلام أو طريق السنة
فالدعوة عامة على لسان
رسول الله بالدلالة والهداية
خاصة من اطف المرسل
بالتوفيق والعناية والمعنى
يدعو العباد كلهم الى دار
السلام ولا يدخلها الا
المهديون (للذين أحسنوا)
آمنوا بالله ورسوله
(الحسنى) المثوبة الحسنى
وهي الجنة (وزيادة) رؤية
الرب عز وجل كذا عن
أبي بكر وحذيفة وابن
عباس وأبي موسى
الاشعري وعبادة بن
الصامت رضى الله عنهم
وفي بعض التفاسير أجمع
المفسرون على أن الزيادة
النظر الى الله تعالى وعن
صهيب أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دخل
أهل الجنة الجنة يقول الله
تبارك وتعالى أتر يدون
شيئاً أزدكم فيقولون ألم
تبيض وجوهنا ألم تدخلنا
الجنة وتنجنا من النار قال
فيرفع الحجاب فينظرون الى
الله تعالى فما أعطوا شيئاً
أحب اليهم من النظر الى
رؤسهم ثم تلا ذلك من أحسنوا

كما ينالكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها كذلك نبين سبحانه وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك
سبباً مما جبال زال الشك والشبهة من القلوب قوله سبحانه وتعالى (والله يدعو الى دار السلام) لما ذكر الله
زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا الى داره دار السلام قال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى
هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء
والتغير وقيل أنه سبحانه وتعالى بوصف بالسلام لان الخلق ساموا من ظامه وقيل انه تعالى بوصف بالسلام
بمعنى ذى السلام أى لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات الا هو وقيل دار السلام اسم
للجنة وهو جمع سلامة والمعنى أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن
والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لان الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة
عليهم قيل ان من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم الى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل
على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو الا الى عظيم ولا يصف
الا عظيماً وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه (ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم)
يعنى والله يهدى من يشاء من خلقه الى صراطه المستقيم وهو دين الاسلام عم بالدعوة أو لاظهار للحجة
وخص بالدعوة ثانياً استغناء عن الخلق واظهار للقدرة فصلت المغايرة بين الدعوتين (خ) عن جابر
قال جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب
يقظان فقالوا ان صاحبكم مثلاً فاضربوه مثلاً فقالوا مثله كمثل رجل بنى داراً وجعل فيها مائة وبعث داعياً
فمن أجاب الداعي دخل الدار وكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا
أولها يفتحها فان العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم الدار الجنة والداعي محمد ففي أطاع محمد افتدأطاع
الله ومن عصى محمد افتدعصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انى رأيت فى المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسى وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه
اضرب له مثلاً وعن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ضرب مثلاً صراطاً
مستقيماً على كنفى الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الابواب ستور وداع يدعوا على رأس الصراط
وداع يدعوفوقه والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم والابواب التي على كنفى
الصراط حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستور الذى يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه
الترمذى وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى) قال ابن عباس للذين
شهدوا أن لا اله الا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله فى الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم
به ونهاهم عنه الحسنى قال ابن الانبارى الحسنى فى اللغة تأنيب الاحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة
المحبوبة والخلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة الحسنى (وزيادة) اختلاف المفسرون
فى معنى هذه الحسنى وهذه الزيادة على أقوال القول الاول أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر الى وجه
الله الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق وحذيفة وأبو موسى الاشعري وعبادة بن
الصامت وهو قول الحسن وعكرمة والضحاك ومقاتل والسدى وبدل على صحة هذا القول المنقول والمعقول
أما المنقول فاروى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول
الله تبارك وتعالى أتر يدون شيئاً أزدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال
فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب اليهم من النظر الى رؤسهم تبارك وتعالى زاد فى رواية ثم تلا هذه الآية
للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة عن النبي صلى

الحسنى وزيادة والحجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لانه العبارة وقال انه حديث مدفوع مع أنه مدفوع قد ورد صاحب
المصاحف فى الصحاح وقيل زيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان

الله عليه وسلم في قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الزيادة النظر الى وجه الله الكرم وعن أبي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله سبحانه وتعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر الى وجه الله الكرم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر الى وجه الله وعن أبي موسى الأشعري قال اذا كان يوم القيامة بعث الله الى أهل الجنة مناديا ينادى هل أنجزكم الله ما وعدكم به فينظرون الى ما أعد الله لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر الى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعها أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث يوم القيامة وذكروه بعناؤه وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله لهم هل بقي من حاكم شيء لم تعطوه قال فيتحلى لهم عز وجل قال فيصغر عندهم كل شيء أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة هي النظر الى وجهه ربهم فهذه الاخبار والآثار قد دلت على أن المراد بهذه الزيادة هي النظر الى وجه الله تبارك وتعالى وأما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها حرف التعريف فانصرفت الى المعهود السابق وهو الجنة في قوله سبحانه وتعالى والله يدعوا الى دار السلام فثبت بهذا ان المراد من لفظة الحسنى هي الجنة واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد من الزيادة أمرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعم والالزام التكرار واذا كان كذلك وجب حل هذه الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وعمائيو كذلك قوله سبحانه وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فثبت لاهل الجنة أمر بن أحد هما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى وآيات القرآن يفسر بعضها بعضا فوجب حل الحسنى على الجنة ونعيمها وحل الزيادة على رؤية الله تبارك وتعالى وقالت المعتزلة لا يجوز حل هذه الزيادة على الرؤية لأن الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله سبحانه وتعالى ممتنعة ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المز يد عليه ورؤية الله ليست من جنس نعيم الجنة ولان الاخبار التي تقدمت توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حلوا هذه الزيادة على غير الرؤية فاتتني مائلتم أجاب أصحابنا عن هذه الاعتراضات بان الدلائل العقلية قد دلت على امكان وقوع رؤية الله تعالى في الآخرة واذا لم يوجد العقل ما يمنع من رؤية الله تعالى وجاءت الاحاديث الصحيحة باثبات الرؤية ووجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة وأجيب عن قولهم ولان الزيادة يجب أن تكون من جنس المز يد عليه بان المز يد عليه اذا كان بمقدار معين كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن بمقدار معين وجب أن تكون الزيادة مخالفة له فالذكور في الآية لفظ الحسنى وهي الجنة ونعيمها غير مقدر بقدر معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا للنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية وأجيب عن قولهم ولان جماعة من المفسرين حلوا الزيادة على غير الرؤية بأنه معارض بقول جماعة من المفسرين بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله أعلم القول الثاني في معنى هذه الزيادة ما روى عن علي بن أبي طالب انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها أربعة ابواب القول الثالث ان الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة والى سبعمائة قال ابن عباس هو مثل قوله سبحانه وتعالى ولدينا من يزيد يقول يحجزهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول ابن زيد ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما أعطاهم في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة وقوله سبحانه وتعالى (ولا يرهق وجوههم) يعني ولا يعشى وجوه أهل الجنة (قتر) أى كآبة ولا كسوف ولا غبار وقال ابن عباس هو سواد الوجوه (ولاذلة) يعني ولا هو ان قال ابن أبي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) يعني

(ولا يرهق وجوههم) ولا يعشى وجوههم (قتر) غيرة فيها سواد (ولاذلة) ولا أثره وان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

والذين كسبوا) عطف على الذين أحسنوا أي ولذين كسبوا (السيئات) فنون الشرك (جزاء سيئة بمنثلها) الباعزائدة كقوله وجزاء سيئة
سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدره بمنثلها (وترهقهم ذلة) ذل وهوان (ما لهم من الله) من عقابه (من عاصم) أي لا يعصمهم أحد من
سخطه وعقابه (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) أي جعل عليها (٣١٣) غطاء من سواد الليل أي هم سود

الوجوه وقطعا جمع قطعة وهو مفعول ثان لاغشيت قطع مكي وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلماً صفة لقطع وعلى الاول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لان من الليل صفة لقطعاً فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة أو معنى الفعل في من الليل (أو لئلك أصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشروهم أي الكفار وغيرهم (جميعاً) حال (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) أ كدبه الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه (فرزنا بينهم) ووقعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا (وقال شركاؤكم) من عبده من دون الله من أولى العقل أو الاصنام ينقطعها الله عز وجل (ما كنتم ايانا تعبدون) ايما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمرهم

ان هؤلاء الذين وصفت صفتهم هم أصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها أبداً قوله سبحانه وتعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) اعلم انه لما شرح الله سبحانه وتعالى أحوال المحسنين وما أعد لهم من الكرامة شرح في هذه الآية حال من أقدم على السيئات والمراد بهم الكفار فقال سبحانه وتعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين هملوا السيئات والمراد بها الكفر والمعاصي جزاء سيئة بمنثلها يعني فاهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها العام لها من الواحدة الى العشرة الى السبعائة الى أضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرماً وأما السيئات فانه يجازى عليها بمنثلها عدلاً منه سبحانه وتعالى (وترهقهم ذلة) قال ابن عباس يغشاهم ذل وشدّة وقيل يغشاهم ذل وهوان لعقاب الله اياهم (ما لهم من الله من عاصم) يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله اذ انزل بهم (كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً) يعني كأنما ألبست وجوههم سواداً من الليل المظلم (أو لئلك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشروهم جميعاً) الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجتمع الخلائق جميعاً لنوقف الحساب وهو يوم القيامة (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) أي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسألوا وفي هذا رعيد وتهديد للعابدين والمعبودين (أنتم وشركاؤكم) يعني أنتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله (فرزنا بينهم) يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وميزنا بينهم وانقطع ما كان بينهم من التواصل في الدنيا فان قلت قوله سبحانه وتعالى فرزنا بينهم جاء على لفظ الماضي بهد قوله ثم نقول للذين أشركوا وهو منتظر في المستقبل فما وجه قلت السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بأنه سيكون صار كالكاثر الآن قوله (وقال شركاؤهم) يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاءهم لانهم جعلوا لهم نصيباً من أموالهم أو لانه سبحانه وتعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب (ما كنتم ايانا تعبدون) تبرأ المعبدون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جاد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يحتمل ان الله سبحانه وتعالى خاق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على هذا الكلام فان قلت اذا أحياهم الله في ذلك اليوم فهل يفنيهم أم يبقينهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شئ من أفعاله وأحوال القيامة غير معلومة الاما دل عليه الدليل من كتاب أو سنة فان قلت ان الاصنام قد أنكرت ان الكفار كانوا يعبدونها وقد كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسئلة وجوابها في تفسير سورة الانعام ونقول هنا قال مجاهد تكون في يوم القيامة ساعة يكون فيها شدة تنصب لهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الآلهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم تعبدوننا فيقولون والله ايأكم كنا نعبد فتقول لهم الآلهة (فكفي بالله شهيداً ايبتنا وبينكم ان كنا نعبد عبادتكم لغافلين) والمعنى قد علم الله وكفى به شهيداً انما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا نعلم انكم ايأنا من دون الله الاغافلين ما نشعر بذلك أم أقوله سبحانه وتعالى (هنالك تبالونك نفس ما أسلفت) فهو كالتممة للآية المتقدمة والمعنى في ذلك المقام أو ذلك الموقف أو ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبالونك نفس ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبیح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم مرر ودوقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

(٤٠ - (خازن) - ثاني) ان تتخذوا لله أنداداً فاطعمتموهم وهو قوله ويوم نحشروهم جميعاً ثم نقول للملائكة هؤلاء ايأكم الى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فكفي بالله شهيداً ايبتنا وبينكم) أي كفي بالله شهيداً وهو تمييز (ان كنا نعبدكم لغافلين) ان محففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هنالك) في ذلك المكان أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبالونك نفس) تحببون وندوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبیح أم حسن أنافع أم ضار أم مقبول أم مرر ودوقال الزجاج تعلم كل نفس ما قدمت

تتلو حزة وعلى أي تابعه ما أسلفت لان عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة أو النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خيرا أو شر كما عن الاخفش (وردوا الى الله مولا هم الحقيق) وهم الصادق في ربوبية الله لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبية حقيقته أو الذي يتولى حسابهم ونوابهم العدل الذي لا يظلم أحدا (وخل عنهم ما كانوا يفتنون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله أو بطل عنهم ما كانوا ياختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء) بالمطر (والارض) بالنبات (أم من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوا باعياه من الفطرة (٣١٤) الهجبية أو من يحميها من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفة فان

يؤذيها أذى شئ (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم كما جاء بالعموم بعد الخصوص (فســـــــــ يقولون الله فيسجيبونك عند سؤالك ان القادر على هذه هو الله (فقل أفلاتتقون) الشرك في العبودية اذا اعترفتم بالربوبية (فذلكم الله) أي من هذه قدرته هو الله (ربكم الحق) الثابت ربو بيته ثبانا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) أي لا واسطة بين الحق والضلال فمن تخطفى الحق وقع في الضلال (فأني نصر فون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك (كذلك)

انه من تلاه اذا تبعه أي يتبع كل نفس ما أسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب أو العقاب الثاني أن يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرأ صحيفتها عما عملها من خيرا أو شر وقرئ تبلى بالثناء المنثاة والبناء الموحدة ومعناه تخبر وتعلموا البلوا الاختبار ومعهناه اختبارها ما أسلفت يعني أنه ان قدم خيرا أو شر اقدم عليه وجوزي به (وردوا الى الله مولا هم الحق) الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضوع الذي جاء منه والمعنى وردوا الى ما يظهر لهم من الله الذي هو مالكمهم ومتولى أمرهم فان قلت قد قال الله سبحانه وتعالى في آية أخرى وأن الكافر ين لامولى لهم فما الفرق قلت المولى في اللغة يطلق على المالك و يطلق على الناصر فعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الآيتين (وخل عنهم ما كانوا يفتنون) يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا ﴿قوله عز وجل﴾ (قل من يرزقكم من السماء والارض) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات (أم من يملك السمع والابصار) يعني ومن أعطاكم هذه الحواس التي تسمعون بها وتبصرون بها (ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) يعني انه تعالى يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي ويخرج البيضة الميتة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول أقرب الى الحقيقة (ومن يدبر الامر) يعني ان مدبر أمر السموات وما فيها ومدبر أمر الارض وما فيها هو الله تعالى وذلك قوله (فسيقولون الله) يعني أنهم يعترفون أن فاعل هذه الاشياء هو الله واذا كانوا يقررون بذلك (فقل) أي قل لهم يا محمد (أفلاتتقون) يعني أفلاتتقون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تنفع ولا تضر ولا تنفع ولا تضر على شئ من هذه الامور (فذلكم الله ربكم الحق) يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشياء و يقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة لا هذه الاصنام (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني اذا ثبت به هذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب أن يكون ما سواها ضلالا وباطلا (فأني نصر فون) يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستخبرون العدول عن الحق الى الضلال الباطل (كذلك) أي كما ثبت أنه ليس بعد الحق الى الضلال (حقت) أي وجدت (كلمت ربك) في الازل (على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون) قيل المراد بكلمة الله قضاؤه عليهم في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاؤه لا يرد ولا يبدفع (قل هل من شركائكم) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها آلهة (من يبدأ الخلق) يعني من يقدر على ان يثني الخلق على غير مثال سبق (ثم يعيده) أي ثم يعيده بعد الموت كهيئته أول مرة وهذا السؤال استفهام انكار (قل) أي قل أنت يا محمد (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) يعني ان الله هو القادر على ابتداء الخلق واعادته (فأني تؤفكون) يعني فاني تصرفون

مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) كلمات شامى ومدنى أي كالحق وثبت ان الحق بعده الضلال أو كالحق أنهم تصرفون عن الحق فكذلك حقت كلمه قريتك (على الذين فسقوا) تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه (أهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أي حق عليهم اتقاء الايمان أو حق عليهم كلمة الله أن ايمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل أي لانهم لا يؤمنون (قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده) انما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرر بالاعادة لانه لظهور برهانها جعل أمر مسلماتها على أن فيهم من يقر بالاعادة ويحتمل اعادة غير البشر كاعادة الليل والنهار واعادة الانزال والنبات (قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أمر نبيه بان ينوب عنهم في الحوار يعني أنهم لا تدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فتكلم عنهم (فأني تؤفكون) فكيف تصرفون عن قصد السبيل

(قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يرشد اليه (قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي) يقال هداه ليدل على الحق فجمع بين الاثنين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شري بمعنى اشتري ومنه قرأه حزة على أمن لا يهدي بمعنى يهتدى لا يهدي بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكي وشامى وورش باشمام الهاء فتحة أبو عمر ووبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غير يحيى والاصل يهتدى وهى قرأه عبد الله فادغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء (٣١٥) او كسرت لالتقاء الساكنين

وعن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا بلدهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى ان الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم لا يهدي الا ان يهدي) يعنى ان الله هو الذى يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا يهدي الا ان تهدي فان قلت الاصنام جادلات تصور هدايتها ولا ان تهدي فكيف قال الا ان يهدي قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الخالق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالتعجب من سبحانه وتعالى هدى الخالق الى الدين بما أظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والنسك بهدايته أولى من اتباع غيره ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فالسكم كيف تحكمون) قال الزجاج فإلى كى كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شرى بكا وقيل معناه بشما حكمتم اذ جعلتم لله شرى بكم من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أى كثرهم الاظنا) يعنى وما يتبع أى كثر هؤلاء المشركين الا ما لعلم لهم بحقيقتهم وصحتهم بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالا كثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالا كثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيئاً ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿وقوله تعالى﴾ (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتي به البشر وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمد صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل أن هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصداقاً لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرر بهذا أن محمد صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن بالباطل حيث تزعمون

عن قصد السبيل والمراد من هذا التعجب من أحوالهم كيف تركوا هذا الامر الواضح وعدلوا عنه الى غيره (قل) أى قل يا محمد (هل من شركائكم من يهدي الى الحق) يعنى هل من هذه الاصنام من يقدر على أن يرشد الى الحق فاذا قالوا لا بلدهم من ذلك (قل) أى قل لهم أنت يا محمد (الله يهدي للحق) يعنى ان الله هو الذى يرشد الى الحق لا غيره (أفمن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم لا يهدي الا ان يهدي) يعنى ان الله هو الذى يهدي الى الحق فهو أحق بالاتباع لاهذه الاصنام التى لا يهدي الا ان تهدي فان قلت الاصنام جادلات تصور هدايتها ولا ان تهدي فكيف قال الا ان يهدي قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول أن معنى الهداية فى حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى أنها لا تنتقل من مكان الى مكان آخر الا أن تحمل وتنقل فبين سبحانه وتعالى بهذا عجز الاصنام الوجه الثانى أن ذكر الهداية فى حق الاصنام على وجه المجاز وذلك أن المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وأنزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يعبر به عن يسمع ويعقل ويعلم ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل أن يكون المراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الخالق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله هل من شركائكم من يهدى الى الحق رؤساء الكفر والضلالة فالتعجب من سبحانه وتعالى هدى الخالق الى الدين بما أظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته وأما رؤساء الكفر والضلالة فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا اذا هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله والنسك بهدايته أولى من اتباع غيره ﴿وقوله سبحانه وتعالى﴾ (فالسكم كيف تحكمون) قال الزجاج فإلى كى كلام تام كأنه قيل لهم أى شئ لكم فى عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعنى على أى حال تحكمون وقيل معناه كيف تقضون لانفسكم بالجور حين تزعمون ان مع الله شرى بكا وقيل معناه بشما حكمتم اذ جعلتم لله شرى بكم من ليس بيده منفعة ولا مضرة ولا هداية (وما يتبع أى كثرهم الاظنا) يعنى وما يتبع أى كثر هؤلاء المشركين الا ما لعلم لهم بحقيقتهم وصحتهم بل هم فى شك منه وريبة وقيل المراد بالا كثر الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن فى دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالا كثر الرؤساء (ان الظن لا يغنى من الحق شيئا) يعنى ان الشك لا يغنى عن اليقين شيئاً ولا يقوم مقامه وقيل فى الآية ان قولهم ان الاصنام آلهة وانها تشفع لهم ظن منهم لم يرد به كتاب ولا رسول يعنى انها لا تدفع عنهم من عذاب الله شيئاً (ان الله عليم بما يفعلون) يعنى من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين ﴿وقوله تعالى﴾ (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) يعنى وما كان ينبغى لهذا القرآن ان يختلق ويفتعل لان معنى الافتراء الاختلاق والمعنى ليس وصف القرآن وصف شئ يمكن أن يفترى به على الله لان المفترى هو الذى يأتي به البشر وذلك أن كفار مكة زعموا أن محمد صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل أن هذا القرآن وحى أنزله الله عليه وأنه مبرأ عن الافتراء والكذب وأنه لا يقدر عليه أحد الا الله تعالى ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يؤكده هذا بقوله (ولكن تصديق الذى بين يديه) يعنى ولكن الله أنزل هذا القرآن مصداقاً لما قبله من الكتب التى أنزلها على أنبيائه كالتوراة والانجيل وتقرر بهذا أن محمد صلى الله عليه وسلم كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء ثم انه صلى الله عليه وسلم أتى بهذا القرآن بالباطل حيث تزعمون

أهم أنداد الله (وما يتبع أى كثرهم) فى قولهم للاصنام انها آلهة وانها تشفع عند الله والمراد بالا كثر الجميع (الاظنا) يفترى بل وهو افتراء وهم باسلافهم ظننا منهم أنهم مصيبون (ان الظن لا يغنى من الحق) وهو العلم (شيئاً) فى موضع المصدر أى اغناء (ان الله عليم بما يفعلون) من اتباع الظن وترك الحق (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صحح والاستقام أن يكون منهل فى علو أمره وعجزه مفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) وهو ما تقدم من الكتب المنزلة

(وتفصيل الكتاب) وتبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لاريب فيه من رب العالمين) داخل في خبر الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتهيا عنه الريب كما نمن رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كرم (أم يقولون افتراه) بل ايقولون اختلقه (٣١٦) (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فأتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) أي

العظيم المجزوف فيه أخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة قبله ولو لم يكن كذلك لقد حوافية لعداوة أهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه أحد من أهل الكتاب علم بذلك أن ما فيه من الفصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بأنه ما علم ما فيها فثبت بذلك أنه وحى من الله أنزله عليه وأنه مصدق لما بين يديه وأنه مجزوف له صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى قوله ولكن تصديق الذي بين يديه يعني من أخبار الغيوب الآتية فانها جاءت على وفق ما أخبر (وتفصيل الكتاب) يعني وتبين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام (لاريب فيه من رب العالمين) يعني أن هذا القرآن لاشك فيه أنه من رب العالمين وأنه ليس مفترى على الله وأنه لا يقدر أحد من البشر على الاتيان بمثله وهو قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعني أم يقول هؤلاء المشركون افتري محمد هذا القرآن واختلقه من قبل نفسه وهو استهزام انكار وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افتراه (قل) أي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون (فأتوا بسورة مثله) يعني بسورة شبيهة به في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم فانتم عرب مثلي في الفصاحة والبلاغة فان قال الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة فأتوا بسورة من مثله وقال سبحانه وتعالى هنا فأتوا بسورة مثله فافادة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم أميا لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن العظيم كان مجزوا في نفسه فقيل لهم فأتوا بسورة من مثله يعني من انسان أي مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة وأما قوله سبحانه وتعالى فأتوا بسورة مثله أي فأتوا بسورة تساوي سور القرآن في الفصاحة والبلاغة وهو المراد بقوله فأتوا بسورة مثله يعني ان السورة في نفسها مجزة فان الخلق لو اجتمعوا على ذلك لم يقدر واعليه وهو المراد من قوله (وادعوا من استطعتم من دون الله) يعني وادعوا للاستعانة على ذلك من استطعتم من خلقه (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم ان محمدا افتراه ثم قال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) يعني القرآن أي كذبوا بما لم يعلموه قال عطاءيريدانه ايس خلق يحيط بجميع علوم القرآن وقيل معناه بل كذبوا بما في القرآن من ذكر الجنة والنار والحشر والقيامة والثواب والعقاب وغيرها مما لم يحيطوا بعلمه لانهم كانوا ينكرونها والجهلهم انهم لما سمعوا ما في القرآن من القصص وأخبار الامم الخالية ولم يكونوا سمعواها قبل ذلك أنكروها والجهلهم فرد الله سبحانه وتعالى عليهم بقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه لان القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على استيعابها وتحصيلها (ولما يأتهم ناوله) يعني انهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول اليه ذلك الوعيد الذي توعدهم الله في القرآن به من العقوبة والمعنى انهم لم يعلموا ما تؤول اليه عاقبة أمرهم وقيل معناه انهم لم يعلموه تنزيلا ولا علموه ناوله ولا علموه ناوله وذلك لانهم جهلوا القرآن وعلمه وعلم ناوله) كذلك كذب الذين من قبلهم) يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن كذلك كذب الامم الماضية أنبياءهم فيما وعدوهم به (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الامم كذلك تكون عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل أن يكون

شبيهة به في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية (وادعوا من استطعتم من دون الله) أي وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله (ان كنتم صادقين) أنه افتراه (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) ولما يأتهم ناوله (بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن في بدية السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويفقوا على ناوله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع في ولما يأتهم ناوله كذبوا به على البدية قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا قدمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدى

وجروا قواهم في المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) مثل ذلك التكذيب (كذب ان الذين من قبلهم) يعني كفار الامم الماضية كذبوا رسلاهم قبل النظر في معجزاتهم وقبل تدبرها عناد وتقليد الآباء ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم ناوله ولم يأتهم بعد ناول ما فيه من الاخبار بالغيوب أي عاقبته حتى تبين لهم أنه كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمهم ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ففسر عوا الى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمهم وبلوغه حد الاعجاز وقبيل أن يجربوا أخبارهم بالغيبيات وصدفه وكذبه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين)

ومنهم من يؤمن به) بلثي أو بالقرآن أي يصدق به في نفسمو به - لم أنه حق ولكن يعاند بالتكذيب (ومنهم من لا يؤمن به) لا يصدق به ويشك فيه أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك أعلم بالفسدين) بالماندين أو المصرين (وان كذبوك) وان تواعلى تكذيبك ويست من اجابتهم (فقل لي عملي) جزاء عملي (ولكم عملكم) جزاء أعمالكم (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) فكل مؤاخذ بعمله (ومنهم من يستمعون اليك) ومنهم ناس (٣١٧) يستمعون اليك اذا قرأت القرآن

وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون) أ تسمع أنك تقدر على سماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صباخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الامر (ومنهم من ينظر اليك) ومنهم ناس ينظرون اليك ويعانون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون (أفانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون) أنت حسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصيرة لان العمي الذي له في قلبه بصيرة قد يحدث وأما العمي مع الحق في جهاد البلاء يعني انهم في اليأس من أن يقبلوا و يصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر (ان الله لا يظلم الناس شيئا) ولكن الناس أنفسهم

الخطاب لكل فرد من الناس والماعنى فانظر أيها الانسان كيف كان عاقبة من ظلم فأحذر أن تفعل مثل فعله ﴿ قوله عز وجل (ومنهم من يؤمن به) يعني ومن قومك يا محمد من سيؤمن بالقرآن (ومنهم من لا يؤمن به) لعلم الله السابق فيه أنه لا يؤمن (وربك أعلم بالفسدين) يعني الذين لا يؤمنون (وان كذبوك) يعني وان كذبك قومك يا محمد (فقل لي عملي) يعني الطاعة وجزاء نوابها (ولكم عملكم) يعني الشرك وجزاء عقابه (أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) قيل المراد منه الجزع والرجوع وقال مقاتل والسكبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال الامام نضر الدين الرازي وهو بعيد لان شرط النسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول الآية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات أفعاله من الثواب والعقاب وآية القتال مارفعت شيئا من مدلولات هذه الآية فكان القول بالنسخ باطلا ﴿ قوله تعالى (ومنهم) يعني ومن هؤلاء المشركين (من يستمعون اليك) يعني باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم ذلك لشدة بغضهم وعداوتهم لك (أفانت تسمع الصم) يعني كما أنك لا تقدر على سماع الصم فكذلك لا تقدر على سماع من أصم الله سمع قلبه (ولو كانوا لا يعقلون) يعني ان الله سبحانه وتعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك فهم بمنزلة الجبال اذا لم ينتفعوا بما يسمعون وهم أيضا كالصم الذين لا يعقلون شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق (ومنهم من ينظر اليك) يعني بإبصارهم الظاهرة (أفانت تهدي العمي) يريد عمى القلوب (ولو كانوا لا يبصرون) لان الله أعمى بصر قلوبهم فلا يبصرون شيئا من الهدى وفي هذا تسلية من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انك لا تقدر ان تسمع من سلبته السمع ولا تقدر ان تهدي من سلبته البصر ولا تقدر ان توفى الايمان من حكمت عليه أن لا يؤمن (ان الله لا يظلم الناس شيئا) ولكن الناس أنفسهم يظلمون) قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقوة بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فهم أخبر في هذه الآية أن تقدير الشقاوة عليهم - ما كان ظلما منه لانه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وانما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب وان كان قد سبق قضاء الله وقدره ففهم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (ويوم نحشرهم) يعني واذا كرمي يوم نجتمع هؤلاء المشركين لموقف الحساب وأصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم من مكانهم (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يعني كانوا لم يلبثوا في الدنيا الا قدر ساعة من النهار وقيل معناه كانوا لم يلبثوا في قبورهم الا قدر ساعة من النهار والوجه الاول أولى لان حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار لبثهم في القبور الى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يختص بحال الكافر وهو انهم لم يلبثوا في الدنيا الا ساعة من النهار) لما اتفق بعمره في الدنيا لم يستقله وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا انهم لما ضيعوا أعمارهم في طلب الدنيا والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه وقيل انهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم ذلك استقلوا مدة مقامهم في الدنيا لان مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا (يتعارفون بينهم) يعني

يظلمون) ولكن الناس جزة وعلى أي لم يظلمهم بسبب آلة الاستدلال ولكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جادا وهم أحياء (ويوم نحشرهم) وبالياه حفص (كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي قبورهم لول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة وكان مخففة من الثقلة واسمها محذوف أي كأنهم و يتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم

(فدخسر الدين كذبوا بقاء الله) على ارادة القول أي بتعارفون بينهم فالتين ذلك أوهى شهادة من الله على حسراتهم والمعنى أنهم وصعوا في تجارتهم وبيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التمجيد كأنه قيل ما أخصرهم (واما نرينك بعض الذي نعدهم) (٣١٨) من العذاب (وتوفينك) قبل عذابهم (فاليانصر جمعهم) جواب توفينك

وجواب نرينك محذوف
 أي واما نرينك بعض
 الذي نعدهم في الدنيا
 فذلك أو توفينك قيل
 أن نرينك فنجن نرينك
 في الآخرة ثم الله شهيد
 على ما يفعلون ذكرت
 الشهادة المراد مقتضاها
 وهو العقاب كأنه قيل ثم الله
 معاقب على ما يفعلون وقيل
 ثم هنا بمعنى الوار (ولكل
 أمة رسول) يبعث إليهم
 لينبئهم على التوحيد
 ويدعوهم إلى دين
 الحق (فإذا جاء رسولهم)
 بالبينات فكذبوه ولم
 يتبعوه (قضى بينهم) بين
 النبي ومكذبيه (بالقسط)
 بالعدل فانجي الرسول
 وعذب المكذبين أو لكل
 أمة من الأمم يوم القيامة
 رسول تنسب إليه وتدعى
 به فإذا جاء رسولهم الموقف
 يشهد عليهم بالكفر والايمان
 قضى بينهم بالقسط وهم
 لا يظلمون) لا يعذب أحد
 بغير ذنبه ولما قال واما
 نرينك بعض الذي
 نعدهم أي من العذاب
 استعجلوا ما وعدوا من
 العذاب نزل (ويقولون
 متى هذا الوعد) أي وعد

يعرف بعضهم بعضا إذا خرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع المعرفة بينهم إذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار ان الانسان يوم القيامة يعرف من يحبه ولا يقدر أن يكلمه هيبة وخشية وقيل ان أحوال يوم القيامة مختلقة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لظهور ما يعاينون في ذلك اليوم (فدخسر الذين كذبوا بقاء الله) يعني أن من باع آخرته الباقية بدنياه الفانية قد خسرها لانه أثر الفاني على الباقي (وما كانوا مهتدين) يعني إلى ما يصلحهم وينجيهم من هذا الخسار (واما نرينك) يعني يا محمد (بعض الذي نعدهم) يعني ما نعدهم به من العذاب في الدنيا فذلك (أو توفينك) قبل أن نرينك ذلك الوعد في الدنيا فانك ستراه في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (فاليانصر جمعهم) يعني في الآخرة وفيه دليل على أن الله يرى رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلمهم وخزيهم في حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك في يوم بدر وغيره من الايام وسيره ما أعد لهم من العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم (ثم الله شهيد على ما يفعلون) فيه وعيد وتهديد لهم يعني انه سبحانه وتعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل (ولكل أمة رسول) لما بين الله عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين ان حال الانبياء مع أممهم كذلك فقال تعالى ولكل أمة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني مبعوثا إليهم يدعوهم إلى الله وإلى طاعته والايمان به (فإذا جاء رسولهم) في هذا الكلام اضمار تقديره فإذا جاءهم رسولهم وبلغهم ما أرسل به إليهم فكذبهم قوم وصدقه آخرون (قضى بينهم بالقسط) يعني حكم بينهم بالعدل وفي وقت هذا القضاء والحكم بينهم قولان أحدهما أنه في الدنيا ذلك أن الله سبحانه وتعالى أرسل إلى كل أمة رسولا لتبليغ الرسالة واقامة الحجج وازالة العذر فإذا كذبوا رسولهم وخالفوا أمر الله قضى بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافر وينجي رسوله والمؤمنين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجيء الرسول لا يكون ثواب ولا عقاب القول الثاني ان وقت القضاء في الآخرة وذلك ان الله إذا جمع الأمم يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي جى بالرسول لشهادتهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله تعالى (وهم لا يظلمون) يعني من جزاء أعمالهم شيئا ولكن يجازى كل أحد على قدر عمله وقيل معناه أنهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤخذون بغير حجة ولا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم (ويقولون) يعني هؤلاء الكفار (متى هذا الوعد) يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وإنما قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد (ان كنتم صادقين) يعني فيما تعدونا به وإنما قالوا بلفظ الجمع لان كل أمة قالت لرسولها كذلك أو يكون المعنى ان كنتم صادقين أنت واتباعك يا محمد أو ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم (قل) أي قل لهم يا محمد (لأملك لنفسي ضرا ولا نفعا) يعني لأملك لنفسي دفع ضرا وأوجب نفع ولا أقدر على ذلك (الاماشاء الله) يعني أن أقدر عليه أو أملكه والمعنى ان انزال العذاب على الأعداء واظهار النصر للولياء وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله فتعين الوقت إلى الله سبحانه وتعالى بحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي وقته الله لحدوث هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله سبحانه وتعالى (لكل أمة أجل) أي مدة مضر وبه وقت معين (اذا جاء أجلهم) يعني اذا انقضت مدة أعمارهم (فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذي أجل لهم ولا يستقدمونه (قل) أي قل يا محمد

العذاب (ان كنتم صادقين) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قل) يا محمد (لأملك لنفسي ضرا) ل هؤلاء من مرض أو فقر (ولا نفعا) من صحته وعنى (الاماشاء الله) استثناء منقطع أي ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لكل أمة أجل اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب في اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لا يتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قل)

أرأيتم ان أنا كم عذابه) الذي تستعجلونه (بيانا) نصب على الظرف أى وقت ييات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون (أونهارا) وأنتم مشغولون بطلب المعاش والكسب (ماذا يستعجل منه المجرمون) أى من العذاب والمعنى ان العذاب مكرهه موجب للنفور فأى شئ تستعجلون منه وليس شئ منه بوجوب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بأرأيتم لان المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لانه أرادت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو ان أتيتك ماذا (٣١٩) تضعنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو

(أتم اذا ما وقع) العذاب
(أمتهم به) جواب الشرط
وماذا يستعجل منه المجرمون
اعتراض والمعنى ان أنا كم عذابه أمتهم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أفا من أهل القرى القرى أو من أهل القرى (آلان) على ارادة القول أى قيل لهم اذ آمنوا بعد وقوع العذاب آلان أمتهم به (وقد كنتم به تستعجلون) أى بالعذاب تكذبا واستهزاء آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام والقاء حركتها على اللام نافع (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلان (ذوقوا عذاب الخلد) أى الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الشرك والتكذيب (ويستنبئونك) ويستخبرونك فيقولون (أحق هو) وهو استفهام

لهؤلاء المشركين من قومك (أرأيتم ان أنا كم عذابه بيانا) يعنى لا يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب فيه ان الانسان فى الليل لا يكون الا فى البيت غالباً فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل (أونهارا) يعنى فى النهار (ماذا يستعجل منه المجرمون) يعنى ما الذى يستعجلون من نزول العذاب وقد وقوعه وحقيقة المعنى انهم كانوا يستعجلون نزول العذاب كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاجابهم الله سبحانه وتعالى بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون يعنى أى شئ يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لغيره وقد فعل فعلا قبيحا ماذا اجنبت على نفسك (أتم اذا ما وقع) يعنى اذا ما نزل العذاب ووقع (أمتهم به) يعنى أمتهم بالله وقت نزول العذاب وهو وقت اليأس وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله ودخلت همزة الاستفهام على ثم للتوبيخ والتقريع (آلان) فيه اضمار تقديره يقال لهم آلان تؤمنون أى حين وقع العذاب (وقد كنتم به تستعجلون) يعنى تكذبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) يعنى ظلموا أنفسهم بسبب شرهم وكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) يعنى فى الدنيا من الاعمال (وقوله سبحانه وتعالى (ويستنبئونك أحق هو) يعنى ويستخبرونك يا محمد أحق ما عذابه من نزول العذاب وقيام الساعة (قل اى وربى) أى قل لهم يا محمد نعم وربى (انه لحق) يعنى ان الذى أعدكم به حق لاشك فيه (وما أنتم بمحجزين) يعنى بفائتين من العذاب لان من عجز عن شئ فقد فاته (ولو أن لكل نفس ظلمت) يعنى أشركت (مافى الارض) يعنى من شئ (لافتدت به) يعنى يوم القيامة والافتداء يعنى البذل لما ينجوبه من العذاب الا أنه لا ينفعه الفداء ولا يقبل منه (وأسرروا الندامة) يعنى يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضى والقيامة من الامور المستقبلية لان أحوال يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضى والاسرار يكون بمعنى الإخفاء وبمعنى الاظهار فهو من الاضداد فلهذا اختلفوا فى قوله وأسروا الندامة فقال أبو عبيدة معناه وأظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر وتصنع وقيل معناه أخفوا يعنى أخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع خوفا من ملامتهم اياهم وتغييرهم لهم (لما رأوا العذاب) يعنى حين عاينوا العذاب وأبصروه (وقضى بينهم بالقسط) يعنى وحكم بينهم بالعدل قيل بين المؤمن والكافر وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار لاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم من الظالم وهو قوله سبحانه وتعالى (وهم لا يظلمون) يعنى فى الحكم لهم وعليهم بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد فى عذاب الظالم (ألان لله مافى السموات والارض) يعنى ان كل شئ فى السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر شئ يفترى به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو ايضاً ملك لله فكيف يفترى من هو مملوك لغيره بشئ لا يملكه (ألان وعد الله حق) يعنى ما وعد

على جهة الانكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قل) يا محمد (اى وربى) نعم والله (انه لحق) ان العذاب كان لا محالة (وما أنتم بمحجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ولو أن لكل نفس ظلمت) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة (مافى الارض) فى الدنيا اليوم من خرائتها ومواطاتها (لافتدت به) جعلته فدية لها يقال واده فافتدى ويقال افتداه ايضاً يعنى فداءه (وأسرروا الندامة لما رأوا العذاب) وأظهروا هاهن قولهم أسر الشئ اذا ظهره وأخفوهها جزا عن النطق لشدة الامر فاسر من الاضداد (وقضى بينهم بالقسط) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وهم لا يظلمون) ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله بقوله (ألان لله مافى السموات والارض) فكيف يقبل الفداء وانه المنيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق لقوله (ألان وعد الله) بالثواب وبالعذاب (حق)

كان (ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحيى وميت) هو القادر على الاحياء والامانة لا يقدر عليهم ما غيره (واليه ترجعون) والى حسابته وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد (٣٢٠)

الله به على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لاشك فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني حقيقة ذلك (هو يحيى وميت) يعني الذي يملك مافی السموات والارض قادر على الاحياء والامانة لا يتعذر عليه شيء مما أراد (واليه ترجعون) يعني بعد الموت للجزاء ﴿قوله عز وجل﴾ (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم) قيل أراد بالناس قريشا وقيل هو على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري قد جاءكم موعظة من ربكم يعني القرآن والوعظ زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة ما يدعوا الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق (وشفاء لما في الصدور) يعني ان القرآن ذو شفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل أضر للقلب من داء المرض للبدن وأمراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقرآن منزيل لهذه الامراض كلها لان فيه الوعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لكان القلب فيه (وهدي) يعني وهو هدى من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) يعني واعدة على المؤمنين لانهم هم الذين اتفقوا بالقرآن دون غيرهم (قل بفضل الله وبرحمته) الباء في بفضل الله متعلقة بمضمرة استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم عليه وهو قوله قد جاءكم موعظة من ربكم والفضل هنا يعني الافضال ويكون معنى الآية على هذا يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهو القرآن بافضال الله عليكم ورحمته بكم وادانته اخير لكم ﴿ثم قال سبحانه وتعالى﴾ (فبذلك فليفرحوا) أشار بذلك الى القرآن لان المراد بالموعظة والشفاء القرآن فترك اللفظ وأشار الى المعنى وقيل فبذلك فليفرحوا اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك التطول والانعام فليفرحوا قال الواحدى الفاء في قوله تعالى فليفرحوا زائدة كقول الشاعر: فاذا هلكت فعند ذلك فاجزى * قاله في قوله فاجزى زائدة وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله ورحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعنى الشرط فكانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالتكرير والتقسير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفاعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعنى الشرط فكانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله ورحمته فليقتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام

من موعظة وتنبية على التوحيد والموعظة التي تدعو الى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما في القرآن من الاوامر والنواهي داع الى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب اذا الامر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوبا وهو يقتضى النهي عن ضده وهو قبيح وعلى هذا في النهي (وشفاء لما في الصدور) أي صدوركم من العقائد الفاسدة (وهدي) من الضلالة (ورحمة للمؤمنين) لمن آمن به منكم (قل) يا محمد بفضل الله ورحمته فبذلك فليفرحوا أصل الكلام بفضل الله ورحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقسير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفاعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لعنى الشرط فكانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله ورحمته فليقتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والاسلام

في الحديث من هداية الله للاسلام وعلمه القرآن ثم شك الفاقة كتب الله الفقيرين وعينه الى يوم يلقاه وقرأ الآية (هو خير مما يجمعون) وبالنساء شامى فليفرحوا بعقوب (قل رأيتكم) أخبروني (ما أنزل الله لكم من رزق) ما نصوب بائز أو بارأيتكم أي أخبروني (فجعلتم منه حراما وحلالا) فحضمتموه وقلمت هذا حلال وهذا حرام كقوله ما في بطون هذه والحامى

الانعام خالصة كورناو محرم على أزواجنا من الارزاق تخرج من الارض ولكن لما نبتت أسبابها بالاسماء نحو المطر الذي نبتت الارض
 النبات والشمس التي هال النضج وينع الثمار اضعف انزالها الى السماء (قل الله اذن لكم) متعلق بآيتهم وقل تكبرير للتوكيد والمعنى
 أخبروني في الله اذن لكم في التحليل والتجريم فانه تفتلون ذلك باذنه (أم) (٣٢١) على الله تفترون) أم أتم تكذبون

على الله في نسبة ذلك اليه
 او الهمة للانكار وأم
 منقطعة بمعنى بل تفترون
 على الله تقريراً للافتراء
 والآية زاجرة عن التجوز فيما
 يسئل من الاحكام وباعثة
 على وجوب الاحتياط فيه
 وأن لا يقول أحد في شيء
 جائراً وغير جائز الا بعد ايقان
 واتقان والافه ومفتر على
 الديان (وما ظن الذين
 يفترون على الله الكذب)
 ينسبون ذلك اليه (يوم
 القيامة) منصوب بالظن
 وهو ظن واقع فيه أي
 شيء ظن المفترين في ذلك
 اليوم ما يصنع بهم وهو يوم
 الجزاء بالاحسان والاساءة
 وهو وعيد عظيم حيث أبهم
 أمره (ان الله لذو فضل
 على الناس) حيث أنهم
 عليهم بالعقل ورحمهم
 بالوحي وتعليم الحلال
 والحرام (ولكن أكثرهم
 لا يشكرون) هذه النعمة
 ولا يتبعون ما هدوا اليه
 (وما تكون في شأن)
 مانافية والخطاب للنبي
 صلى الله عليه وسلم والشأن
 الامر (وما تلو من)
 التزويل كانه قيل وما تلو
 من التزويل (من قرآن)

والحامي قال الضحاك وهو قوله سبحانه وتعالى وجعلوا الله محاذراً من الحرث والانعام نصيباً (قل الله اذن
 لكم) يعني قل لهم يا محمد الله اذن لكم في هذا التجريم والتحليل (أم على الله تفترون) يعني بل أتم كاذبون
 على الله في ادعائكم ان الله أمرنا بهذا (وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة) يعني اذا قوه
 يوم القيامة أي يحسبون أنه لا يؤخذهم ولا يجازيهم على أعمالهم فهو استهفام بمعنى التوبيخ والتقريع
 والوعيد العظيم ان يفتري على الله الكذب (ان الله لذو فضل على الناس) يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب
 لبيان الحلال والحرام (ولكن أكثرهم لا يشكرون) يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل والاحسان
 قوله سبحانه وتعالى (وما تكون في شأن وما تلو من قرآن) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده
 والشأن الخطب والحال والامر الذي يفتق ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال والامور والجمع
 الشؤون تقول العرب ما شأن فلان أي ما حاله والشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب والحال ويكون مصدراً اذا
 كان معناه القصد والذي في هذه الآية يجوز أن يكون المراد به الاسم قال ابن عباس معناه وما تكون يا محمد
 في شأن يريد من أعمال البر وقال الحسن في شأن من شؤون الدنيا وحوائجك ويجوز أن يكون المراد منه القصد
 يعني قصد الشيء وما تلو من قرآن اختلافه وفي الضمير في منه الى ماذا يعود فقيل يعود الى الشأن اذ تلاوة
 القرآن شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو أعظم شأنه فعلى هذا يكون داخل تحت قوله تعالى
 وما تكون في شأن الا انه سبحانه وتعالى خصه بالذكور لشره وعلومه تبتة وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد
 تقدم ذكره في قوله سبحانه وتعالى قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا يكون المعنى وما تلو من القرآن من قرآن
 يعني من سورة وشيء منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه وقيل الضمير في منه راجع الى الله المعنى
 وما تلو من الله من قرآن نازل عليك وأما قوله سبحانه وتعالى (ولا تعملون من عمل) فانه خطاب للنبي صلى الله
 عليه وسلم وأمه داخلون فيه ومرادون به لان من المعلوم أنه اذا خطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم
 داخلين في ذلك الخطب وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على أنهم
 داخلون في الخطابين الاولين وقوله سبحانه وتعالى (الا كنا عليكم شهودا) يعني شاهدين لأعمالكم وذلك
 لان الله سبحانه وتعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه لا يحدث ولا خافي ولا موجد الا الله تعالى فكل
 ما يدخل في الوجود من أحوال العباد وأعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وهو شاهد عليه (اذ
 تفيضون فيه) يعني أن الله سبحانه وتعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتخوضون في ذلك العمل والافاضة
 الدخول في العمل على جهة الاتصاف اليه والانبساط فيه وقال ابن التباري معناه اذ تدفعون فيه وتنسبون
 في ذكره وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج تنشر ون فيه يقال أفاض القوم في الحديث اذا انشروا
 فيه (وما يعزب عن ربك) يعني وما يبعد ويغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه عالم به وشاهد عليه
 وأصل العزوب البعديقال منه كلام عازب اذا كان بعيد المطلب (من مثقال ذرة) يعني وزن ذرة والمثقال
 الوزن والذرة النملة الصغيرة الجراء وهي خفيفة الوزن جداً (في الارض والفي السماء) فان قلت لم تقدم ذكر
 الارض على السماء هنا وقد ذكر السماء على الارض في سورة سبأ وما فائدة ذلك قلت كان حق السماء
 أن يقدم على الارض كما في سورة سبأ الا أنه تعالى لما ذكر في هذه الآية شهادته على أهل الارض
 وأحوالهم وأعمالهم ثم وصل ذلك بقوله وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضوع

(٤١ - (خازن) - ثاني) لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكور تفخيم له ومن الله عز وجل (ولا تعملون)
 أنتم جميعاً (من عمل) أي عمل (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين برفاء نحصي عليكم (اذ تفيضون فيه) تخوضون من أفاض في الامر اذا
 اندفع فيه (وما يعزب عن ربك) وما يبعد وما يغيب بكسر اليا على حيث كان (من مثقال ذرة) وزن نملة صغيرة (في الارض والفي السماء)

لهذه الفائدة (ولأصغر من ذلك) يعني من الذرة (ولأكبر) يعني منها (الافى كتاب مبين) يعنى فى اللوح المحفوظ ﴿ قوله سبحانه وتعالى (الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اعلم أننا محتاج أولافى تفسير هذه الآية أن نبين من يستحق اسم الولاية ومن هو الولي فنقول اختلف العلماء فممن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس فى هذه الآية هم الذين يذكرون الله ويؤمنون به وروى الطبرى بسنده عن سعيد بن جبير مرسل قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله فقال هم الذين اذاروا ذكرا لله وقال ابن زبدهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الإيمان الا بالتقوى وقال قوم هم المتحابون فى الله ويدل على ذلك ما روى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لا ناسا ما هم بابنياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعل نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس وقرأ هذه الآية الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون بجلالى اليوم أظلمهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى أخرجه مسلم عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى المتحابون بجلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء أخرجه الترمذى وروى البغوى بسنده عن أبي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لله عبيد اليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقرهم ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفى ناحية القوم اعراقى جئنا على ركبته ورمى يديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرأيت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله ومن بلدان شتى وقبائل شتى لم يكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتبادلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ فقام الرحمن يفرع الناس ولا يفرعون ويخاف الناس ولا يخافون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى ان أولياءى من عبادى الذين يذكرون الله وأذكار يذكروهم هكذا ذكره البغوى غير سند وروى الطبرى بسنده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عباد يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نخبرهم قال هم قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد مذموم والغبطة محمودة والفرق بين الحسد والغبطة ان الحسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة ونحوها والغبطة هى أن يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التى هى على المغبوط من غير زوال عنه وقال أبو بكر الاصم أولياء الله هم الذين تولى الله هدايتهم وتولوا القيام بحق العبودية لله والدعوة اليه وأصل الولي من الولاء وهو القرب والنصرة فولى الله هو الذى يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله مستغرق القلب فى معرفة نور جلال الله فان رأى رأى دلائل قدرة الله وان سمع آيات الله وان نطق بنطق بالثناء على آية وان تحرك تحرك فى طاعة الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب به الى الله لا يفتقر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله فهذه صفة أولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله واهيه وناصره ومعينه قال الله تعالى والذين آمنوا وقال المتكلمون ولى الله من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به الشريعة واليه الاشارة بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وهو ان الإيمان مبني على جمع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو أن يبقى العبد كل ما نهى الله عنه وقوله سبحانه وتعالى لا خوف عليهم يعنى فى الآخرة اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون يعنى على شئ فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) رفعها حزة على الابتداء والخبر (الافى كتاب مبين) يعنى اللوح المحفوظ ونصها غير على نفي الجنس وقدمت الارض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السموات لان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (الان أولياء الله) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة خلقه أو هم المتحابون فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها أو هم المؤمنون المتقون بدليل الآية الثانية (لا خوف عليهم) اذا خاف الناس اذا حزن الناس

قال بعض المحققين زوال الخوف والحزن عنهم إنما يحصل لهم في الآخرة لأن الدنيا لا تخلو من هم وغم وأنسكاد
 وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله ودوام الاشتغال بالله وإذا كان العبد بهذه
 الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن على شيء لأن مقام الولاية المعرفة منعه من أن يخاف أو يحزن ﴿ وأما
 قوله سبحانه وتعالى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فقد تقدم تفسيره وأنه صفة لاولياء الله ﴿ وقوله سبحانه
 وتعالى (لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) اختلفوا في هذه البشرى فروي عن عبادة بن الصامت
 قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة
 يراها المؤمن أو ترى له أخرجه الترمذي وله عن رجل من أهل مصر قال سألت أبا الدرداء عن هذه الآية لهم
 البشرى في الحياة الدنيا قال ما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وقال ما سألتني
 عنها أحد غيرك منذ أنزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له قال الترمذي حديث حسن (خ) عن
 أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق بعدى من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال
 الرؤيا الصالحة (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكذب رؤيا
 المؤمن تكذب رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة لفظ البخاري واسلم اذا اقترب الزمان لم
 تكذب رؤيا المسلم تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة
 والرؤيا ثلاث الرؤيا الصالحة بشرى من الله ورؤيا تخزي من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال
 بعض العلماء ووجه هذا القول اننا اذا قلنا قوله تبارك وتعالى لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة فظاهر
 هذا النص يقتضي أن لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك لان ولي الله هو الذي يكون مستغرق القلب والروح
 بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى في قلبه غير ذكر الله ومعرفته ومن العالوم أن
 معرفة الله في القلب لا تنفيذ الا الحقي والصدق فاذا رآى الولي رؤيا ورؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من
 الله عز وجل لهذا الولي قال الخطابي في هذه الاحاديث توكيد الامر الرؤيا بتحقيق منزلها وانما كانت جزأ من
 أجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء عليهم السلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في
 اليقظة قال الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث أن الرؤيا تأتي على موافقة النبوة لأنها جزء من النبوة
 وقال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة أقام النبي صلى الله عليه وسلم
 في النبوة ثلاثا وعشرين سنة على الصحيح وكان قبل ذلك بستة أشهر يرى في المنام الوحي فهمي جزء من
 ستة وأربعين جزءا وقيل ان المنام لعل أن يكون فيه اخبار بغيث وهو أحد مراتب النبوة وهو يسير في
 جانب النبوة لانه لا يجوز أن يبعث الله بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا يشوع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر
 بغيث أبدا فاذا وقع لاحد في المنام الاخبار بغيث يكون هذا القدر جزأ من النبوة لأنه نبي واذا وقع ذلك
 لاحد في المنام يكون صدقا والله أعلم وقيل في تفسير الآية أن المراد بالبشرى في الحياة الدنيا هي الشفاء الحسن
 وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك ما روي عن أبي ذر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت الرجل
 يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين
 النووي قال العلماء معنى هذه البشرى المججلة بالخبر وهي دلائل للبشرى المؤخرة له في الآخرة بقوله بشرىكم
 اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المججلة دليل على رضا الله عنه ومحبه له ونحبيه الى الخلق
 كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا كله اذا حده الناس من غير تعرض منه لخدمهم والافتراض مذموم
 قال بعض المحققين اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلاء نور افيض من ذلك النور الذي في
 قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار الخشوع والخضوع فيصعبه الناس ويثنون عليه فذلك عاجل بشرى بمحبة الله
 له ورضوانه عليه وقال الزهري وقتادة في تفسير البشرى هي نزول الملائكة بالمشارة من الله عند الموت ويدل

(الذين آمنوا) منصوب
 باضمار أعنى أولائه صفة
 لاولياء أو مرفوع على أنه
 خبر مبتدأ محذوف اى
 هم الذين آمنوا (وكانوا
 يتقون) الشرك والمعاصي
 (لهم البشرى في الحياة
 الدنيا) ما بشر الله به
 المؤمنين المتقين في غير
 موضع من كتابه وعن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 هي الرؤيا الصالحة يراها
 المسلم أو ترى له وعنه عليه
 السلام ذهبت النبوة
 وبقيت المبشرات والرؤيا
 الصالحة جزء من ستة
 وأربعين جزءا من النبوة
 وهذا الان مدة الوحي ثلاث
 وعشرون سنة وكان في
 ستة أشهر منها يؤمر في
 النوم بالانذار وستة أشهر
 من ثلاث وعشرين سنة
 جزء من ستة وأربعين
 جزءا وهي محبة الناس له
 والذي كره الحسن أولهم
 البشرى عند النزاع بان
 يرى مكانه في الجنة (وفي
 الآخرة) هي الجنسة

(لاتبديل لكلمات الله) لاتغير لافواله ولا اخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم) وكلنا
 الجلتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام كما نقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج ونسكت (ولا يحزنك قولهم) تكذيبهم
 وتهديدهم وتشاورهم في تديدهم هلاك (٣٢٤) وابطل أمرك (ان العزة) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالي لا آخذن فقيل ان

العزة (لله) ان الغلبة
 والقهر في ملكه لا يعلك
 أحدياً منهم حالاهم ولا غيرهم
 فهو يغلهم وينصرك عليهم
 كتب الله لاغبين أناورسلى
 اتالنه ررسلنا أوبه يتعزز
 كل عز يز فهو بعزك ودينك
 وأهلك والوقف لازم على
 قولهم لثلا يصيران العزة
 مقول الكفار (جيهاهو
 السميع) لما يقولون (العلم)
 بما يدرون ويعزمون
 عليه وهو مكافئهم بذلك
 (ألا ان الله في السموات ومن
 في الارض) يعني العقلاء
 وهم الملائكة والثقلان
 وخصهم ليؤذن ان هؤلاء
 اذا كانوا له وفي ملكته
 ولا يصلح أحد منهم
 للربوبية ولأن يكون
 شريكاً له فيها فإراءهم
 مما لا يعقل أحق أن لا
 يكون له ندا وشريكاً (وما
 يتبع الذين يدعون من
 دون الله شركاء) مانافية
 أي وما يتبعون حقيقة
 الشركاء وان كانوا
 بسموئها شركاء لان شركة
 الله في الربوبية محال (ان
 يتبعون الا ظن) الاظنهم
 أنهم شركاء الله (وان هم
 الابحر صون) يجوزون

عليه قوله سبحانه وتعالى تنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون
 وقال عطاء عن ابن عباس البشري في الدنيا عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة بعد خروج
 نفس المؤمن يعرج بها الى الله تعالى ويشر برضوان الله تعالى وقال الحسن هي ما بشر الله به المؤمنين في كتابه
 من جنته وكريم نوابه و يدل عليه قوله تعالى (لاتبديل لكلمات الله) يعني لاخلاف لوعده الله الذي وعده
 أوليائه وأهل طاعته في كتابه وعلى السنة رسوله ولا تغيير لذلك الوعد (ذلك هو الفوز العظيم) يعني ما
 وعدهم به في الآخرة (ولا يحزنك قولهم) يقول الله لبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول هؤلاء
 المشركين لك ولا يعمك تخويفهم اياك (ان العزة لله جيا) يعني ان القهر والغلبة والقدرة لله جميعا هو
 المنفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم لك منهم. وقال سعيد بن المسيب ان العزة لله جيا فيعزم من
 يشاء وهذا كما قال سبحانه وتعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين فان عزة
 الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين باعزاز الله اياهم فثبت بذلك أن العزة لله جميعا وهو الذي يعزم من
 يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فاخبر الله سبحانه
 وتعالى أن جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر على أن يساهم جميع ذلك ويذلهم بعد العز (هو السميع)
 لا قوالكم ودعائكم (العلم) بجميع أحوالكم لا تخفي عليه خافية ﴿قوله سبحانه وتعالى (لان الله من في
 السموات ومن في الارض) ألا كلمة تنبيه معناه أنه لا ملك لاحد في السموات ولا في الارض الا الله عز وجل
 فهو يملك من في السموات ومن في الارض فان قلت قال سبحانه وتعالى في الآية التي قبل هذه ألا ان الله مافي
 السموات بلفظة ما وقال سبحانه وتعالى في هذه الآية بلفظة من فما فائدة ذلك قلت ان لفظه ما يدل على ما لا
 يعقل ولفظة من يدل على من يعقل فجمع الآيتين يدل على أن الله عز وجل يملك جميع من في السموات
 ومن في الارض من العقلاء وغيرهم وهم عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظه من لمن يعقل فيكون المراد بمن
 في السموات الملائكة العقلاء ومن في الارض الانس والجن وهم العقلاء أيضا وانما خصهم بالذكور لشر فهم
 واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجاءت بطريق الاولي أن يكونوا في ملكه اذا
 ثبت هذا فانه يكون الاصنام التي يعبدها المشركون أيضا في ملكه وتحت قبضته وقدرته ويكون ذلك قدحا
 في جعل الاصنام شركاء لله معبودة دونه (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) لفظه ما استفهامية
 معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود تنقيح فعلهم يعني انهم ليسوا على شيء لانهم
 يعبدونها على أنها شركاء لله تشفع لهم وليس الامر على ما يظنون وهو قوله سبحانه وتعالى (ان يتبعون
 الا ظن) يعني ان فعلهم ذلك ظن منهم أنها تشفع لهم وأنها تقر بهم الى الله وذلك ظن منهم لاحقيقة له (وان
 هم الابحر صون) يعني انهم الا يكذبون ﴿قوله عز وجل (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
 مبصرا) يعني هو الله ربكم الذي خلق لكم الليل لراحة لتسكنوا فيه والليل لتسكنوا فيه والنهار
 فيه وأصل السكون الثبوت بعد الحركة والنهار مبصر او جعل النهار مضيا تهتدوا فيه لحواسكم وأسباب
 معاشكم وأضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس النهار ما يبصر ولكن لما كان مفهوما من كلام
 العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما به همونه قال جرير

ويقدرون أن يكونوا شركاء تقديرا باطلا واستفهامية أي وأي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب يبدعون وعلى
 الاول يتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقصر على أحد مما للدلالة والمخدوف مفعول يبدعون أو موصولة
 معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أي وله شركاء وهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده
 بقوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) أي جعل لكم الليل مظلما لتستر بحجوافيه من تعب التردد في النهار (والنهار مبصرا) مضيا

لتبصر وفيه مطالب أرفاكم ومكاسبكم (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) سماع مذ كرمعتبر (قالوا اتخذ الله ولده سبحانه) تتر به له عن اتخاذ الولد ومعجيب من كالمهم الحقاء (هو الغني) علة لاني الولد لانه انما يطالب الولد ضعيف اليتقوى به أو فقير يستعين به أو ذليل ليشترف به والكل أمانة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولان الولد (٣٢٥) بعض الوالد فيستدعي أن يكون مركبا وكل مركب يمكن وكل مركب يمكن يمكن يحتاج الى الغير فكان ناديا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له مافي السموات ومافي الارض) ملاك ولا يجتمع البنوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة هذا القول والباء حقها أن تتعاق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكابا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزكاه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد هؤلاء الذين يخلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولدا (لا يقلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطوله بل به خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني قوله لا يقلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضممار تقديره لهم متاع في الدنيا يجتمعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم اليانمرا جمعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم و يصفونه بما لا يليق بجلاله **﴿﴾** قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء وتسايقه ليخف عليه ما يليق من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا ووجودا ذكر الله قصتهم - وانه أهالكهم بالفرق اي صير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبير) يعني نقل (عليكم مقامى) يعني فيكم (وتذ كبرى بآيات الله) يعني ووعظي اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وكذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذ كبرى بآيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبيانه فعزمتم على قتلى وطردي (فعلى الله نوكت) يعني فهو وحسبي وتقتى (فأجمعوا أمركم) يعني فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء

لقد امتنا بما أم غيلان في السرى * ونمت وما ليل المطى بنا ثم

فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وامتنا عنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب أظلم الليل وأبصر النهار بمعنى صار ذا ظلمة وداضياء **﴿﴾** قوله تعالى (ان في ذلك آيات لقوم يسمعون) يعني يسمعون سمع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذى خلق هذه الاشياء كلها هو الاله المعبود المنفرد بالوحدانية في الوجود (قالوا) يعني المشركين (اتخذ الله ولدا) يعني به قولهم الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد (هو الغنى) يعني انه سبحانه وتعالى هو الغنى عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله تعالى هو الغنى المطلق وجميع الاشياء محتاجة اليه وهو غنى عنها (له مافي السموات ومافي الارض) يعني انه مالك مافي السموات ومافي الارض وكلامهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو محمدهم وخالقهم ولما نزه الله سبحانه وتعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ والتقريع فقال سبحانه وتعالى (ان عندكم من سلطان بهذا) يعني انه لا حجة عندكم على هذا القول البتة ثم باغى في الانكار عليهم بقوله تعالى (أتقولون على الله مالا تعلمون) يعني أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه مالا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد هؤلاء الذين يخلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولدا (لا يقلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطوله بل به خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني قوله لا يقلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضممار تقديره لهم متاع في الدنيا يجتمعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم اليانمرا جمعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم و يصفونه بما لا يليق بجلاله **﴿﴾** قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء وتسايقه ليخف عليه ما يليق من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا ووجودا ذكر الله قصتهم - وانه أهالكهم بالفرق اي صير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبير) يعني نقل (عليكم مقامى) يعني فيكم (وتذ كبرى بآيات الله) يعني ووعظي اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وكذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذ كبرى بآيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبيانه فعزمتم على قتلى وطردي (فعلى الله نوكت) يعني فهو وحسبي وتقتى (فأجمعوا أمركم) يعني فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء

كل مركب يمكن وكل مركب يمكن يمكن يحتاج الى الغير فكان ناديا فاستحال القديم أن يكون له ولد (له مافي السموات ومافي الارض) ملاك ولا يجتمع البنوة معه (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة هذا القول والباء حقها أن تتعاق بقوله ان عندكم على أن يجعل القول مكابا لسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موزكاه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفي عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أتقولون على الله مالا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب) أي قل يا محمد هؤلاء الذين يخلقون على الله الكذب فيقولون على الله الباطل ويزعمون أن له ولدا (لا يقلحون) يعني لا يسعدون وان اغتروا بطول السلامة والبقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح في سعيه ولا يفوز بطوله بل به خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني قوله لا يقلحون ثم ابتداء فقال تعالى (متاع في الدنيا) وفيه اضممار تقديره لهم متاع في الدنيا يجتمعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله سبحانه وتعالى (ثم اليانمرا جمعهم) يعني بعد الموت (ثم نذيقهم العذاب الشديد) بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب بسبب ما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم و يصفونه بما لا يليق بجلاله **﴿﴾** قوله سبحانه وتعالى (واتل عليهم نبأ نوح) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة أحوال كفار قريش وما كانوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الانبياء وما جرى لهم مع أممهم ليكون في ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة بمن سلف من الانبياء وتسايقه ليخف عليه ما يليق من أذى قومه وان الكفار من قومه اذا سمعوا هذه القصص وما جرى لكفار الامم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الامم هلاكا وأعظمهم كفرا ووجودا ذكر الله قصتهم - وانه أهالكهم بالفرق اي صير ذلك موعظة وعبرة لكفار قريش فقال سبحانه وتعالى واتل عليهم نبأ نوح يعني واقرا على قومك يا محمد خبر قوم نوح (اذ قال لقومه يا قوم) وهم بنو قاييل (ان كان كبير) يعني نقل (عليكم مقامى) يعني فيكم (وتذ كبرى بآيات الله) يعني ووعظي اياكم بآيات الله وقيل معناه ان كان ثقل وشق عليكم طول مقامى فيكم وكذلك أنه عليه الصلاة والسلام أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذ كبرى بآيات الله يعني ووعظي بآيات الله وحججه وبيانه فعزمتم على قتلى وطردي (فعلى الله نوكت) يعني فهو وحسبي وتقتى (فأجمعوا أمركم) يعني فأحكموا أمركم واعزموا عليه قال الفراء

خبره مع قومه والوقف عليه لازم اذ لو وصل اذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذا ذكر (اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبير عليكم) عظم ونقل كقوله وانها الكبيرة الاعلى الخاشعين (مقامى) مكاني يعني نفسه كقوله ولن خاف مقام ربه جنتان أي خاف به أو قياسمى ومكثي بين أظهركم ألف سنة الا خمسين عاما ومقامى (وتذ كبرى بآيات الله) لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسدوعا (فعلى الله نوكت) أي فوضت أمرى اليه (فأجمعوا أمركم) من أجمع الامر اذا نواه وعزم عليه

(وشركاءكم) الواو بمعنى مع اي فاجعوا امركم مع شركاءكم (ثم لا يكن امركم عليكم غمّة) أي غمّا عليكم وهما العلم والنعمة كالكرب والكربة أو ملتبسانى حفية وانمة السرة من غمّة اذا ستره ومنه الحديث لا غمّة في فرائض الله أي لا تستروا لكن يجاهر بها والمغنى ولا يكن قصدكم الى هلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً انجاه وتبى به (ثم اقصوا الى) ذلك الامر الذى تريدون بي أي ادوا الى ما هو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أو اضمنه أو اماناً مكنكم) ولا تنتظرون) ولا تمهلونى (فان تولىتم) فان اعرضتم عن تذكيرى ونصحتى (فما سألتكم من أجر) فواجب (٣٢٦) السولى أو فاسألتكم من أجر ففاننى ذلك تنوليتكم (ان أجرى الاعلى الله) وهو الثواب

الذى يثبني به في الآخرة
أى ما نصحتكم الله لا
لغرض من أغراض الدنيا
وفيه دلالة منع أخذ الاجر
على تعلم القرآن والعلم
لدينى (وأمرت أن أكون
من المسلمين) من المستسلمين
لاوامره ونواهيته أن أجرى
بالفتح مدنى وشامى وأبو
عمرو وحفص (فكذبوه)
فدأوا على تكذيبه
(فنجيناه) من الفرق
(ومن معه في الفلك
وجعلناهم خلافت)
يختلفون الهاككين بالفرق
في السفينة (وأغرقتنا الذين
كذبوا بآياتنا فانظر كيف
كان عاقبة المذنبين) هو
تعظيم لما جرى عليهم
وتخدير لمن أنذرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن
مثله وتسلية له (ثم بعثنا من
بعده) من بعد نوح عليه
السلام (رسالاً قومهم)
أى هود واصلحوا ابراهيم
ولوطا وشعيباً (لخاؤهم
بالبينات) بالحجج الواضحة

الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر وقال ابن الانبارى المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير
لاندعوا من امركم شيئاً الا احضرتهم (وشركاءكم) يعنى وادعوا شركاءكم يعنى آلهتكم فاستعينوا بها
لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم وانما حثهم على الاستعانة بالاصنام بناء على مذهبهم واعتقادهم
انها تضر وتنفع مع اعتقادهم أنهم جاد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيك والتوبيخ لهم (ثم لا يكن امركم
عليكم غمّة) يعنى لا يكن امركم عليكم خفياً مبهماً ما لا يمكن ان يكون امركم ظاهراً منكم كشفه من قولهم غم
الهلل فهو مغموم اذا خفي والتبس على الناس (ثم اقصوا) ثم امضوا (الى) بـ فى أنفسكم من مكرهه وما
توعدونى به من قتل وطرود وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان ادامات ومضى وقيل معناه ثم اقصوا
ما أتم قاضون (ولا تنتظرون) أى ولا تؤخرونى ولا تمهلونى بعد اعلامكم اياى ما أتم عليه وهذا الكلام
من نوح عليه السلام على طريق التجهيز لهم أخبر الله عز وجل عن نوح عليه السلام انه كان قد بلغ الغاية
فى التوكل على الله وانه كان واثقاً بنصره اياه غير خائف من كيدهم عاماً منه بانهم وآلهم اسلمهم نفع ولا
ضروان مكرهم لا يصل اليه (فان تولىتم) يعنى فان اعرضتم عن قولى وقبول نصحتى (فما سألتكم من أجر)
يعنى من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم ياخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئاً كان أقوى تأثيراً فى
النفس (ان أجرى الا الله) أى ما تولى جزئى على تبليغ الرسالة الاعلى الله (وأمرت أن أكون من
المسلمين) يعنى انى أمرت بدين الاسلام وانما ض فيه غير تارك له واء قباتموه أتم لقبولوه وقيل معناه
وأمرت أن أكون من المستسلمين لامر الله ولا كل مكرهه يصل الى منكم لاجل هذه الدعوة (فكذبوه) يعنى
فكذبوا نوحاً عليه السلام (فنجيناه ومن معه في الفلك) يعنى فى السفينة (وجعلناهم خلافت) يعنى وجعلنا
الذين نجيناهم معه فى الفلك سكان الارض بعد الهاككين (وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان
عاقبة المذنبين) أى فانظر يا محمد أو يا أيها الانسان كيف كان آخر امر من أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا ولم
يقبلوا ذلك (ثم بعثنا من بعده) يعنى من بعد نوح (رسالاً قومهم) لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل
وقد كان بعد نوح هود واصلح ونبيرهم من الرسل (لخاؤهم بالبينات) يعنى بالدلالات الواضحات والمجربات
الباهرات التى تدل على صدقهم (فما كانوا يؤمنوا بما كذبوا به من قبل) يعنى ان أولئك الاقوام والامم التى
جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح فى التكذيب ولم زجرهم ما جاءتهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه
من الكفر والتكذيب (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يعنى مثل اغراق قوم نوح بسبب تكذيبهم
نوحاً كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم فى التكذيب (وقوله عز وجل) (ثم بعثنا من بعدهم)
يعنى من بعد الرسل (موسى وهرون الى فرعون ومائه) يعنى اشراف قومه (بآياتنا فاستكبروا) يعنى عن
الايمان بما جاء به موسى وهرون (وكانوا قوماً مجرمين) يعنى مستكسبين للآثم (فلما جاءهم الحق من عندنا)

المثبتة لدعواهم (فما كانوا يؤمنوا) فاصروا على الكفر بعد الحجة (بما كذبوا به من قبل) من قبل حجيتهم
يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم أحد
(كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع نختم (على قلوب المعتدين) المجاوزين الحد فى التكذيب (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد الرسل (موسى
وهرون الى فرعون ومائه بآياتنا) بالآيات النسع (فاستكبروا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يهاون العبيد برسالة ربهم بعد تنبيهها
ويتعظموا عن قبولها (وكانوا قوماً مجرمين) كفار اذوى آثم عظام فلذلك استكبروا عنها واجترأوا على ردها (فلما جاءهم الحق من
عندنا) فلما عرفوا أنه هو الحق وانه من عند الله

(قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا السحرمين) وهم يعلمون أن الحق أبعد شئ من السحر (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) هو انكار
ومقولهم محذوف أى هذا سحرم استأنف انكار سحر آخر فقال (أسحر هذا) خبر ومبتدأ (ولا يفلح الساحرون) أى لا يظفر (قالوا
أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام أو عبادة فرعون (٣٢٧) (وتكون لكما الكبرياء)
أى الملك لان الملوك

يعنى فلما جاء فرعون وقومه الحق الذى جاء به موسى من عند الله (قالوا ان هذا السحرمين) يعنى ان هذا
الذى جاء به موسى سحرمين يعرفه كل أحد (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا) فيه حذف
تقديره أتقولون للحق لما جاءكم هو سحر أسحر هذا حذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم
قال أسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعنى أنه ليس بسحرم احتج على صحة قوله فقال (ولا يفلح
الساحرون) يعنى حاصل السحر تمويه وتخيل وصاحب ذلك لا يفلح أبد (قالوا) يعنى قال قوم فرعون لموسى
(أجئتنا لتلفتنا) يعنى لتصرفنا وتلونا (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنى من الدين (وتكون لكما الكبرياء)
يعنى الملك والسلطان (فى الارض) يعنى فى أرض مصر والخطاب لموسى وهرون قال الزجاج سمي الملك
كبرياء لانه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا (وما نحن لكما مؤمنين) يعنى صدقين (وقال فرعون اتونى بكل
ساحر عليم) يعنى ان فرعون أراد أن يعارض معجزة موسى بأنواع من التليس ليظهر أن ما أتى به موسى
سحر (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما ألقون) انما أمرهم موسى بالتفاء ما معهم من الحبال
والعصى التى فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل ويتبين ان ما أتوا به فاسد (فلما ألقوا) يعنى ما معهم
من الحبال والعصى (قال موسى ما جئتم به السحر) يعنى الذى جئتم به هو السحر الباطل وهذا على سبيل
التوبيخ لهم (ان الله سيبطله) يعنى يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه (ان الله لا يصلح عمل المفسدين) يعنى
لا يقويه ولا يكمله ولا يحسنه (ويحق الله الحق) يعنى ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه (بكلماته) يعنى
بوعده الصادق لموسى أنه يظهره وقيل بما سبق من قضائه وقدره لموسى أنه يغلب السحرة (ولو كره المجرمون)
قوله سبحانه وتعالى (فأ آمن موسى الاذرية من قومه) لما ذكر الله عز وجل ما أتى به موسى عليه السلام
من المعجزات العظيمة الباهرة أخبر الله سبحانه وتعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما آمن لموسى الاذرية
من قومه وانما ذكر الله عز وجل هذا تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الانهزام بآيات قومه
وكان يغم بسبب اعراضهم عن الايمان به واستقرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله سبحانه وتعالى ان
له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذى جاء به موسى عليه السلام من المعجزات كان أمر اعظما ومع
ذلك فما آمن معه الاذرية والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية القليل وقيل المراد
به التصغير وقلة العدد واختلفوا فى هاء الكناية فى قومه فقيل انهار ارجعة الى موسى وأراد بهم قوم موسى
وهم بنو اسرائيل الذين كانوا معه بمصر من اولاده قال مجاهد هم اولاد يعقوب الذين أرسل اليهم موسى هلك
الآباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وذلك ان فرعون لما أمر بقتل أبناء بنى اسرائيل
كانت المرأة فى بنى اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشؤا بين القبط فلما كان اليوم
الذى غلب موسى فيه السحرة آمنوا به وقال ابن عباس ذرية من قومه يعنى من بنى اسرائيل وقيل انهار ارجعة
الى فرعون يعنى الاذرية من قوم فرعون روى عطية عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون
آمنوا منهم امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون وخازنه وامرأة خازنه وما شطته قال الفراء سموا ذرية لان
آباءهم كانوا من القبط من آل فرعون وأمهااتهم من بنى اسرائيل فكان الرجل يتبع أمه وأخواله فى الايمان
وذلك كما يقال لا اولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان أمهاتهم من غير جنس الآباء (على
خوف من فرعون وملهمهم) الملاء الاشراف فعلى هذا يكون معنى الآية على خوف من فرعون ومن

فرعون) الاطائف من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل الأولاد من اولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة
من أبناءهم مع الخوف والضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وما شطته والضمير فى (وملهمهم) يرجع الى
فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال بيعة ومض رأولانه ذوا أصحاب يأتمرون

له أو إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشرف بنى إسرائيل لانهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم
 دليله قوله (أن يفتنهم) يريد أن يعذبهم فرعون (وان فرعون لعال في الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المترفين) في الظلم والفساد وفي
 الكبر والعنوة بادعائه الربوبية (٣٢٨) (وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به و بآياته (فعليه توكلوا) فاليه

أسندوا أمركم في العصمة
 من فرعون (ان كنتم
 مسلمين) شرط في التوكل
 الاسلام وهو أن يسلموا
 نفوسهم لله أي يجعلوا هاله
 سائلة خاصة لاحظ للشيطان
 فيها لان التوكل لا يكون مع
 التخليط (فتكلموا على الله
 توكلوا) إنما قالوا ذلك لان
 القوم كانوا مخلصين لاجرم
 أن الله قبل توكلهم وأجاب
 دعاءهم ونجاهم وأهلك من
 كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء
 في أرضه فن أراد أن
 يصلح للتوكل على ربه فعلية
 برفض التخليط إلى الاخلاص
 (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم
 الظالمين) موضع فتنة لهم أي
 عذاب يعذبون أو يفتنوننا
 عن ديننا أي يضلوننا
 والقاتن المضن عن الحق
 (ونجنا برحمتك من القوم
 الكافرين) أي من تديبهم
 وتسخيرهم (وأوحينا إلى
 موسى وأخيه أن تبوأ
 لقومكما بمصر بيوتا) تبوأ
 المكان اتخذ مباءة كقوله
 توطنه اذا اتخذ وطنه
 والمعنى اجعل بمصر بيوتا
 من بيوت مباءة لقومكما
 ومرجعاً يرجعون اليه
 للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا

أشرفهم وهم ملا الذرية لانه كان أبأؤهم من القبط وأمهاتهم من بنى اسرائيل وقيل أراد باللاملا فرعون
 وإنما قال سبحانه وتعالى وملئهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفتيح له (أن يفتنهم) أي يصرفهم
 ويصددهم عن الايمان وإنما قال أن يفتنهم ولم يقل أن يفتنوه لان قوم فرعون كانوا على مراده وتابعين
 لامره (وان فرعون لعال في الارض) يعني انه لغالب فيها متكبر فيها (وانه لمن المترفين) يعني من
 المجاوزين الحد لانه كان عبداً فادعى الربوبية وكان كثير القتل والتعذيب لبنى اسرائيل (وقال موسى)
 يعني اقومه (يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) يعني فيه فتقوا ولا مره فسلموا فانه ناصر أوليائه ومهلك
 أعدائه (ان كنتم مسلمين) يعني ان كنتم مستسلمين لامره قيل إنما أعيذ بقوله ان كنتم مسلمين بعد قوله
 ان كنتم آمنتم بالله لارادة ان كنتم موصوفين بالايمان القلبي وبالاسلام الظاهري ودلت الآية على ان
 التوكل على الله والتفويض لامره من كمال الايمان وان من كان يؤمن بالله فلا يتوكل الا على الله لا على غيره
 (فقالوا) يعني قال قوم موسى بحجبيين له (على الله توكلنا) يعني عليه اعتمادنا لا على غيره ثم دعوا ربهم فقالوا
 (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) يعني لا تظهرهم علينا ولا لاهلنا كابتدائهم فيظنوا اننا لم نكن على الحق
 فيزدادوا طغياناً وكفراً وقال مجاهد لا تعذبنا بعدنا من عندك فيقول قوم فرعون لو كانوا على حق لما
 عذبوا و يظنوا أنهم خير منا فيفتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم
 الكافرين) يعني وخلصنا برحمتك من أيدي قوم فرعون الكافرين لانهم كانوا يستعبدونهم
 ويستعملونهم في الاعمال الشاقة قوله عز وجل (وأوحينا إلى موسى وأخيه هرون أن تبوأ لقومكما
 بمصر بيوتا) يعني اتخذ القومكما بمصر بيوتاً للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتاً اذا اتخذ مباءة أي وطنه
 والمعنى اجعل بمصر لقومكما بيوتاً يرجعون اليها للصلاة والعبادة (واجعلوا بيوتكم قبلة) اختلف أهل
 التفسير في معنى هذه البيوت والقبلة فهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصل فيها وفسروا القبلة
 بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لاجل
 الصلاة وقيل معناه اجعلوا بيوتكم إلى القبلة واختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن لا يدل على تعيينها الا
 أنه قد نقل عن ابن عباس أنه قال كانت الكعبة قبلة لموسى وهرون وهو قول مجاهد أيضاً قال ابن عباس
 قالت بنو اسرائيل لموسى لانستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فاذن الله لهم أن يصلوا في بيوتهم وأن
 يجعلوا بيوتهم قبلاً للقبلة وقيل كانت القبلة إلى جهة بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون
 معنى قوله واجعلوا بيوتكم قبلة أي مقابلة بمعنى يقابل بعضها بعضاً وقيل معناه واجعلوا في بيوتكم قبلة تصالون
 اليها فان قلت انه سبحانه وتعالى خص موسى وهرون بالخطاب في أول الآية بقوله سبحانه وتعالى وأوحينا
 إلى موسى وأخيه أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتا فمما هنا الخطاب فتعالى واجعلوا بيوتكم قبلة في السبب فيه
 قلت انه سبحانه وتعالى أمر موسى وهرون بان يتبوأ لقومهما بيوتاً للعبادة وذلك مما يخص به الانبياء لخصاً
 بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة عامة تجب على السكافة ثم بالخطاب الجميع فقال تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة
 (وأقيموا الصلاة) يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى ومن آمن معه من بنى اسرائيل من فرعون وقومه
 اذا صلوا في الكنائس والبيع الجاهلة أن يؤذوهم فأمرهم الله سبحانه وتعالى أن يصلوا في بيوتهم خفية
 من فرعون وقومه وقيل كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أُرسل
 موسى أمر فرعون بتخريب تلك الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم

بيوتكم قبلة) أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول
 الامر مأثورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك في أول
 الاسلام بمكة (وأقيموا الصلاة) في بيوتكم حتى تأمنوا (وبشاه مؤمنين) باموسى نبي الخطاب أولاً ثم جمع ثم وحد آخر الان اختيار مواضع

العبادة مما يفوض الى الانبياء ثم جمع لان اتخاذ المساجد الصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالشارة تعظيما لها
 والمبشر بها (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملاذ بنه) هو ما يتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وأموالا)
 أي نقدا ونعماء وضيعة (في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك) ليضلوا الناس (٣٢٩) عن طاعتك كوفي ولا وقف على

الدنيا لان قوله ليضلوا
 متعلق بآيت ربنا تكرار
 الاول للالحاح في التضرع
 قال الشيخ أبو منصور
 رحمه الله اذ اعلم منهم أنهم
 يضلون الناس عن سبيله
 آتاهم ما آتاهم ليضلوا
 عن سبيله وهو كقوله انما
 نملي لهم ليزدادوا انما
 فتكون الآية حجة على
 المعتزلة (ربنا طمس على
 أموالهم) أي اهلكها
 وأذهب آثارها لانهم
 يستعينون بنعمتك على
 معصيتك والطمس المحو
 والهلاك قيل صارت
 دراهمهم ودينارهم حجارة
 كهيا آتاهم منقوشة وقيل
 وسائر أموالهم كذلك
 (واشدد على قلوبهم) اطبع
 على قلوبهم واجعلها قاسية
 (فلا يؤمنوا) جواب الدعاء
 الذي هو اشدد (حتى يروا
 العذاب الاليم) الى ان يروا
 العذاب الاليم وكان كذلك
 فانهم لم يؤمنوا الى الغرق
 وكان ذلك ايمان بأس فلم
 يقبل وانما دعاءهم بهذا
 لما يس من ايمانهم وعلم
 بالوحى انهم لا يؤمنون فاما
 قيل ان يعلم بانهم لا يؤمنون
 فلا يسع له ان يدعو بهذا

ويصلوا فيها خوفا من فرعون وقيل ان الله سبحانه وتعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما على فرعون
 أمرهم باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الاعداء وتكفل لهم بصونهم من شرهم وهو قوله سبحانه وتعالى
 (وبشر المؤمنين) يعني بانه لا يصل اليهم مكر و... قوله سبحانه وتعالى (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
 وملاذ بنه وأموالا في الحياة الدنيا) لما أتى موسى عليه السلام بالمعجزات الباهرات ورأى أن القوم
 مصرون على الكفر والعناد والانكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو على الغير أن يذكر
 أو لا سبب اقدامه على الجرائم التي كانت سبب اصراره على ما يوجب الدعاء عليه ولما كان سبب كفرهم
 وعندادهم هو حب الدنيا وزينتها لاجرم ان موسى لما أخذ في الدعاء قدم هذه المقالة فقال ربنا انك آتيت
 فرعون وملاذ بنه وأموالا في الحياة الدنيا والزينة عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والعلمان وأثاث
 البيت الفاخر والاشياء الجليلة والمال ما زاد على هذه الاشياء من الصامت ونحوه ثم قال تبارك وتعالى (ربنا
 ليضلوا عن سبيلك) اختلفوا في هذه اللام فقال الفراء هي لام كي فعلى هذا يكون المعنى ربنا انك جعلت هذه
 الاموال سببا لضلهم لانهم بطروا وطغوا في الارض واستكبروا عن الايمان وقال الاخفش انما هي لما
 يؤل اليه الامر والمعنى انك آتيت فرعون وملاذ بنه في الحياة الدنيا فاضلوا فعلى هذا هي لام العاقبة يعني
 فكان عاقبتهم الضلال وقال ابن الانباري هي لام الدعاء وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتح بها
 الكلام فيكون المعنى ربنا انك ابتليتهم بالضلال عن سبيلك (ربنا طمس على أموالهم) الطمس ازالة اثر
 الشيء بالمحو ومعنى اطمس على أموالهم أزل صورها وهياكلها وقال مجاهد اهلكها وقال أكثر المفسرين
 امسخها وغيرها عن هيتها قال قتادة بلغنا ان أموالهم وحرثهم وزرعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال
 محمد بن كعب القرظي صارت صورهم حجارة وكان الرجل مع أهله في فراشه فصارا حجرين والمرأة قائمة تحبز
 فصارت حجر او هذا فيه ضعف لان موسى عليه السلام دعاهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ وقال ابن
 عباس بلغنا ان الدراهم والدينار صارت حجارة منقوشة كهيتها صحاحا وانصافا وانلاثا وقيل ان عمر بن عبد
 العزيز بذبح يطة فيها شيء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة منقوشة والجوزة مشقوقة وهي حجارة
 وقال السدي مسخ الله أموالهم حجارة النخل والتمار والدقيق والاطعمة وهذا الطمس هو أحد الآيات
 التسع التي أوتيت موسى عليه السلام (واشدد على قلوبهم) يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسمها حتى
 لا تبين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدى
 وهذا دليل على ان الله سبحانه وتعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما جسر موسى عليه السلام على هذا
 السؤال (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس في رواية أخرى
 عنه قال موسى قبل أن ياتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاستجاب الله
 له دعاءه فخل بين فرعون وبين الايمان حتى أدركه الغرق فلم ينفعه الايمان قال بعض العلماء انما دعاءهم
 موسى بهذا الدعاء اعلم ان سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله سبحانه وتعالى كتب
 عليهم في الازل انهم لا يؤمنون فوافق دعاء موسى ما قدر وقضى عليهم (قال) الله عز وجل اوسى وهرون (قد
 أجيب دعوتكما) انما سبب الدعاء اليهما وان الداعي هو موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن
 والتأمين دعاء لانه غالب وسؤال أيضا ومعناه اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى في الدعاء فذلك قال

(٤٢ - (خازن) - ناني) الدعاء لانه أرسل اليهم ليدعوهم الى الايمان وهو يدل على ان الدعاء على الغير بالموت على
 الكفر لا يكون كفرا (قال فبدأ جيب دعوتكما) قيل كان موسى عليه السلام يدعو هرون يؤمن فثبت ان التامين دعاء فكان
 اخفاؤه أولى والمعنى ان دعاء كما مستجاب وما طلبها كائن واسكن في وقته

(فاستقيا) فاقبأ على ما أنعم عليه من الدعوة والتبليغ (ولانتبعان سبيل الذين لا يعلمون) ولانتبعان طريق الجهلة الذين لا يعلمون صدق
 الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة ولانتبعان بتخفيف النون وكسرها الالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية
 شامى وخطأ بعضهم لان النون (٣٣٠) الخفيفة واجبة السكون وقيل هو اخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أو هو حال

رتقديره فاستقيا غير
 متبعين (وجاوزنا بنى
 اسرائيل البحر) هو دليل
 لئالى خلدنى الافعال
 (فاتبهم فرعون وجنوده)
 فلحقهم يقال تبعته حتى
 أتبعته (بغيا) تطاولوا
 (وعدوا) ظلموا واتصبا
 على الحال أو على المفعول
 له (حتى اذا أدركه الفرق)
 ولاوقف عليه لان (قال
 آمنت) جواب ادا (انه)
 حزة وعلى على الاستئناف
 بدل من آمنت وبالفتح
 غيرهما على حذف الباء التى
 هى صلة الايمان (لااله الا
 الذى آمنت به بنو اسرائيل
 وأنا من المسلمين) وفيه
 دليل على ان الايمان
 والاسلام واحد حيث قال
 آمنت ثم قال وأنا من المسلمين
 كر وفرعون المعنى الواحد
 ثلاث مرات فى ثلاث
 عبارات حرصا على القبول
 ثم لم يقبل به حيث أخطأ
 وقته وكانت المرة الواحدة
 تكفى فى حالة الاختيار
 (الآن) أنؤمن بالساعة فى
 وقت الاضطرار حين أدركك
 الفرق وأيست من نفسك
 قيل قال ذلك حين ألجأ

تعالى قد أجبت دعوتكما (فاستقيا) يعنى على تبليغ الرسالة وامضيا الامرى الى أن يأتيهم العذاب
 (ولانتبعان سبيل الذين لا يعلمون) يعنى ولانتسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدى فان وعدى لاخلف
 فيه ووعدى نازل بفرعون وقومه فلا تستجملوا قليل كان بين دعاء موسى عليه السلام وبين الاجابة أربعون
 سنة قال الامام نضر الدين الرازى واعلم ان هذا النهى لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى وهرون كما أن قوله
 انن أشركت ليحبطن عمالك لا يدل على صدور الشرك منه ﷺ قوله عز وجل (وجاوزنا بنى اسرائيل البحر)
 أى وقطعنا بنى اسرائيل البحر وعبرناهم اياه حتى جاوزوه وعبروه (فاتبهم فرعون وجنوده) يعنى لحقهم
 وأدركهم (بغيا وعدوا) أى ظلموا وعدوا وانا وقيل البغى طلب الاستعلاء بغير حق والعدو الظلم وقيل بغيا فى
 القول وعدوا فى الفعل قال أهل اللغة سبوا راجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرجوا مع
 موسى من مصر وهم ستمائة ألف وذلك لما أجاب الله دعاء موسى وهرون أمرهما بالخروج بنى اسرائيل
 من مصر فى الوقت الذى أمرهما أن يخرجا فيهم ويسر لهم أسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما
 سمع بخروجهم ومفارقتهم مملكته خرج بمجنوده فى طلبهم فلما أدركهم قالوا لموسى أين المخلص والمخرج البحر
 أم انا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فأوحى الله سبحانه وتعالى الى موسى أن اضرب
 بعصاك البحر ففصر به فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض وأبيس لهم البحر
 فلحقهم فرعون وكان على حصان أدهم وكان معه فى عسكره ثمانمائة ألف حصان على لون حصانه سوى سائر
 الالوان وكان مقدمهم جبريل وكان على فرس أنثى وديق وميكائيل يسوقهم حتى لا يشذ منهم أحد فلما
 خرج آخر بنى اسرائيل من البحر دنا جبريل بفرسه فلما وجد الحصان رجح الا انى لم يملك فرعون من أمره
 شيئا فنزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا فى البحر وهم أولهم بالخروج انطمم البحر عليهم فلما
 أدرك فرعون الفرق أتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انها تنجيها من الهلاك وهو قوله تعالى (حتى اذا أدركه
 الفرق قال) يعنى فرعون (آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) قال ابن عباس لم
 يقبل الله ايمانه عند نزول العذاب به وقد كان فى مهل قال العلماء ايمانه غير مقبول وذلك أن الايمان والتوبة
 عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولين وبدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وقيل انه
 قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الا فرار بوحداية الله تعالى
 والاعتراف له بالربوبية لاجرم لم ينفعه ما قال فى ذلك الوقت وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين
 لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى فلهمذا قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك
 لحصول الشك فى ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين أغلق بابها بمحضور الموت ومعاينة
 الملائكة قيل له (الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) يعنى الآن تتوب وقد أضعت التوبة فى
 وقتها وأثرت دنياك الفانية على الآخرة الباقية والمحاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه السلام وقيل
 الملائكة وقيل ان القائل لذلك هو الله تعالى عز وجل فرعون قبيح صنعه وما كان عليه من الفساد فى الارض
 وبدل على هذا القول قوله سبحانه وتعالى فاليوم ننجيك بيدنا والتمول الاول أشهره يعضده ماروى عن
 ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما غرق الله فرعون قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت
 به بنو اسرائيل قال جبريل بالمحمد ولولا ربى وأنا آخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحة

الفرق والعمل فيه أنؤمن (وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان روى ان جبريل اخرج
 عليه السلام أنه بفتيا ما قول الامير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر زعمته ومجده وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبو
 العباس الواليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما ألجأ الفرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه

أخرجه الترمذى وقال حديث حسن وفي رواية أخرى عنه عن عدى بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر أن جبريل عليه السلام جعل يدس في فرعون الطين خشية أن يقول لا اله الا الله فيرجه الله أو خشية أن يرجه الله أخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح

﴿فصل في الكلام على هذا الحديث﴾ لأنه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فتقول وقد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس ففي الطريق الاول عن ابن زيد بن جدعان وهو وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فإنه كان شيخنا نبيلاً صديقاً وقالوا لعله كان سبيء الحظوظ ويغاط وقد احتلم الناس حديثه وإنما نحشى من حديثه اذ لم يتابع عليه أو خالفه فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان في الطريق الآخر شعبة عن عدى بن ثابت عن سعيد بن جبير وهذا الاسناد على شرط البخارى ورواه أيضاً شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة قد أخرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلافه فإما يخاف منه ما انفرد به أو خولف فيه وكلاهما منتف فقد علم بهذا ان لهذا الحديث أصلاً وان رواه ثقات ليس فيهم مترهم وان كان فيهم من هو سبيء الحفظ فقد تابعه عليه غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس بشك في رفعه إنما هو حزم بان أحد الرجلين رفعه وشك شعبة في تعيينه هل هو عطاء بن السائب أو عدى بن ثابت وكلاهما ثقة فاذا رفعه أحدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا علة في الحديث وقوله من حال البحر رأى من طين البحر كما في الرواية الاخرى

﴿فصل﴾ ووجه اشكاله ما اعترض به الامام نضر الدين الرازى في تفسيره فقال هل يصح أن جبريل أخذ يلافة بالطين لثابتوب غضبا عليه والجواب الاقرب أنه لا يصح لان في تلك الحالة امان يقال التكليف هل كان ثابتاً أم لا فان كان ثابتاً لا يجوز لجبريل أن يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وعلى كل طاعة وان كان التكليف زائلاً عن فرعون في ذلك الوقت فينبغي ان يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل فائدة وأيضا لو منعه من التوبة لكان قدر ضي ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر وأيضاً فكيف يلبق بحلال الله ان يأمر جبريل بان يمنعه من الايمان ولو قيل ان جبريل فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله فهذا يبطله قول جبريل وما تنزل الا بأمر ربك فهذا وجه الاشكال الذي أورده الامام على هذا الحديث في كلامه أكثر من هذا والجواب عن هذا الاعتراض ان الحديث قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا اعتراض عليه لاحد وأما قول الامام ان التكليف هل كان ثابتاً في تلك الحالة أم لا فان كان ثابتاً لم يجز لجبريل أن يمنعه من التوبة فان هذا القول لا يستقيم على أصل المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله وان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهذا قول أهل السنة المثبتين للقدر فانهم يقولون ان الله يحول بين الكافر والايمان ويبدل على ذلك قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وقوله تعالى وقالوا اقلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم وقال تعالى ونقلب أوتدتهم وأبصارهم كالم يؤمنوا به أول مرة فان خبر الله سبحانه وتعالى انه قلب أوتدتهم مثل تركهم الايمان به أول مرة وهكذا فعل بفرعون منعه من الايمان عند الموت جزاء على تركه الايمان أو لا فدرس الطين في فم فرعون من جنس الطبع والتم على القلب ومنع الايمان وصون الكافر عنه وذلك جزاء على كفره السابق وهذا قول طائفة من المثبتين للقدر القائلين بخلق الافعال لله ومن المنكرين لخلق الافعال من اعترف أيضاً ان الله سبحانه وتعالى يفعل هذا عقوبة لا عهد على كفره السابق فيحسن منه أن يضلّه ويطبع على قلبه ويمنعه من الايمان فأما قصة جبريل عليه السلام مع فرعون فانها من هذا الباب فان غاية ما يقال فيه ان الله سبحانه وتعالى منع فرعون من الايمان وحال بينه وبينه عقوبة له على كفره السابق

ورده للايمان لما جاءه واما فعل جبر بل من دس الطين في فيه فاما فعل ذلك بامر الله لا من تلقاء نفسه فاما قول الامام لم يجز لجبر بل ان يمتد منه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه عاينها وعلى كل طاعة هذا اذا كان تكليف جبر بل كته كايضا يجب عليه ما يجب علينا واما اذا كان جبر بل انما يفعله ما امره الله به والله سبحانه وتعالى هو الذي منع فرعون من الايمان وجبر بل من منذ الامر الله فكيف لا يجوز له منع من منعه الله من التوبة وكيف يجب عليه اعانة من لم يعنه الله بل قد حكم عليه وأخبر عنه أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم حين لا ينفعه الايمان وقد يقال ان جبر بل عليه السلام اما ان يتصرف بأمر الله فلا يفعله الا ما أمر الله به واما ان يفعل ما يشاء من تلقاء نفسه لا بأمر الله وعلى هذين التقديرين فلا يجب عليه اعانة فرعون على التوبة ولا يحرم عليه منعه نهالانه انما يجب عليه فعل ما أمر به ويحرم عليه فعل ما نهى عنه والله سبحانه وتعالى لم يخبرانه أمره باعانة فرعون ولا حرم عليه منعه من التوبة وليست الملائكة مكلفين كته كايضا وقوله وان كان التوكليف زائلا عن فرعون في ذلك الوقت حينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبر بل فائدة بخوابه ان يقال ان للناس في تمليل افعال الله قولين أحدهما أن أفعاله لا تفعل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السؤال أصلا وقد زال الاشكال والقول الثاني ان أفعاله تبارك وتعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فاعلموا كذا أو امره ونواهيها لها غاية محمودة ومحبوبة لاجلها أمرها ونهياها على هذا التقدير قد يقال بما قال فرعون آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وقد علم جبر بل انه من حقت عليه كلمة العذاب وان ايمانه لا ينفعه دس الطين في فيه لتحقق معاينته للموت فلان تكون تلك الكلمة ما فعله وان كان قاطن في وقت لا ينفعه فرس الطين في فيه بتحقيقه لهذا المنع والفائدة فيه تعجيل ما قد قضى عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا يبقى للارحة فيه منفذ ولا يبقى من عمره زمن يتسع للايمان فان موسى عليه السلام لما دعاه به بان فرعون لا يؤمن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند رؤية العذاب غير نافع أجاب الله دعاءه فاما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة الفرق استهيجل جبر بل قدس الطين في فيه ليبأس من الحياة ولا تنفعه تلك الكلمة وتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله موسى بقوله قد اجبت دعوتكم كما فيكون سعي جبر بل في تكميل ما سبق في حكم الله أنه فعله فيكون سعي جبر بل في مرضاة الله سبحانه وتعالى من منذ الماء أمره به وقدره وقضاه على فرعون وأما قوله لونه من التوبة كان قد رضى ببقائه على الكفر والرضا بالكفر كفر بخوابه ما تقدم من ان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وجبر بل انما يتصرف بأمر الله ولا يفعله الا ما أمره الله به واذا كان جبر بل قد فعل ما أمره الله به ونفذه فانما رضى بالامر لا بالامور به فأى كفر يكون هنا وأيضا فان الرضا بالكفر انما يكون كفرا في حقنا لا مأمورا ومن بازالته بحسب الامكان فاذا أقرنا الكافر على كفره ورضينا به كان كفرا في حقنا لخالفتنا ما أمرنا به واما من ايس مأمورا كما مرنا ولا مكلفا كته كايضا بل يفعل ما يامر به به فانه اذا نفذ ما أمره به لم يكن راضيا بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبر بل لمادس الطين في في فرعون كان ساخطا لكفره غير راض به والله سبحانه وتعالى خالق افعال العباد خبيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية أمر جبر بل مع فرعون أن يكون منقذا لقضاء الله وقدره في فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بحلال الله أن يامر جبر بل بان يمنعه من الايمان بخوابه ان الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وان قيل ان جبر بل انما فعل ذلك من عند نفسه لا بأمر الله بخوابه انما فعل ذلك بامر الله من منذ الامر الله والله اعلم بما رده وأسراره كقوله سبحانه وتعالى (فاليوم نتجيك بيدك) أي نلقيك على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما أغرق الله سبحانه وتعالى فرعون وقومه أخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه فقالت بنوا اسرائيل مانت فرعون وانما قالوا ذلك لعظامته عندهم وما حصل في قلوبهم من

(فاليوم نتجيك) نلقيك بنجوة من الارض فرماه الماء الى الساحل كأنه نور (بيدك) في موضع الحال أي في الحل التي لاروح فيك وانما أنت بدن أو بيدك كما لا سوي لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عريانا لست الابدان من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه بابدالك وهو مثل قولهم هو باحرامه أي ببدنك كماه وافياب اجزائه أو بدرعك لانه ظاهر بينها

(لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في أنفسهم ان فرعون أعظم شاناً من ان يعرف وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فإلقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل ان خلفك لمن يأتي بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وان ما كان يدعيه من الربوبية محال وانه ما كان عاينه من عظم الملك (٣٣٣) آل أمره الى ما ترون لعصيانه ربه

الرب لاجله فامر الله عز وجل البحر فالتقى فرعون على الساحل أحر قصيرا كأنه نور فرآه بنو اسرائيل ففر فوه فمن ذلك الوقت لا يقبل الماء ميتا أبداً ومعنى قوله بيدك يعني تليقك وأنت جسد لا روح فيه وقيل هذا الخطاب على سبيل التهمك والاستهزاء كأنه قيل له تنجيك ولكن هذه النجاة إنما تحصل لبدنك لا لروحك وقيل أراد بالبدن الدرع وكان فرعون درع من ذهب مرصع بالجواهر يعرف به فلما راه في درعه ذلك عرفوه (لتكون لمن خلفك آية) يعني عبرة وموعظة وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت أبداً فإظهره الله لهم حتى يشاهدوه وهو ميت اتزول الشبهة من قلوبهم ويعتبروا به لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة والدلة ملقى على الارض لا يهابه أحد (وان كثير من الناس عن آياتنا الغافلون) قوله عز وجل (واقدم صديقا من بني اسرائيل مبعوثا بالحق) يعني أسكنهم مكان صدق وأنزلناهم منزلا صدق بعد سخروا وجههم من البحر واغرق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوأ قولان أحدهما انه مصرف فيكون المراد ان الله أوتى بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فإدعت الله محمد أصلي الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغياء وحسدا فلهذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم ونسبية السبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وادعاه ويفتخرون بذلك على المشركين فإدعت كذبوه بغياء وحسدا واشار البقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون وقوله تعالى (ان ربك) يعني يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك ويخجل نبوتك النار قوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال التقيضين عند الانسان لوجود ما رتبين أو لعدم الامارة والتك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن (فاستل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل

لما الظن بغيره (وان كثير من الناس عن آياتنا الغافلون واقدم صديقا من بني اسرائيل مبعوثا بالحق) يعني أسكنهم مكان صدق وأنزلناهم منزلا صدق بعد سخروا وجههم من البحر واغرق عدوهم فرعون والمعنى أنزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيئا اضافته الى الصدق تقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لا بد أن يصدق الظن فيه وفي المراد بالمكان الذي بوأ قولان أحدهما انه مصرف فيكون المراد ان الله أوتى بني اسرائيل جميع ما كان تحت أيدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه أرض الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة (ورزقناهم من الطيبات) يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) يعني فما اختلف هؤلاء الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرائيل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فإدعت الله محمد أصلي الله عليه وسلم اختلفوا فيه فآمن به بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وكفر به بعضهم بغياء وحسدا فلهذا المعنى يكون المراد من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه علما لانه سبب العلم ونسبية السبب بالسبب مجاز مشهور وفي كون القرآن سببا لحدوث الاختلاف وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وادعاه ويفتخرون بذلك على المشركين فإدعت كذبوه بغياء وحسدا واشار البقاء الرياسة لهم فآمن به طائفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني أن اليهود كانوا على دين واحد قبل نزول القرآن فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم آمن به طائفة وكفر به آخرون وقوله تعالى (ان ربك) يعني يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني من أمرك وأمر نبوتك في الدنيا فيدخل من آمن بك الجنة ومن كفر بك ويخجل نبوتك النار قوله سبحانه وتعالى (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال التقيضين عند الانسان لوجود ما رتبين أو لعدم الامارة والتك ضرب من الجهل وهو أخص منه فكل شك جهل وليس كل جهل شكاً فاذا قيل فلان شك في هذا الامر فعناه توقف فيه حتى يتبين له فيه الصواب أو خلافه وظاهر هذا الخطاب في قوله فان كنت في شك أنه للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فان كنت يا محمد في شك مما أنزلنا اليك يعني من حقيقة ما أخبرناك به وأنزلناه يعني القرآن (فاستل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك) يعني علماء أهل

علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته صلى الله عليه وسلم وببالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فراضا وتقديرا وسبيل من خالجه شبهة أن يسارع الى حلها بالرجوع الى قوانين الدين وأدلتها أو بما حثه العلماء فسل علماء أهل الكتاب فاتهم من الاطاعة بصحة ما أنزل اليك بحيث يصلحون لمرآة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الاحبار بالسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه

الكتاب يخبروك أنك مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وأنت نبى يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه ههنا سؤال واعتراض وهو أن يقال هل شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أنزل عليه أو في نبوته حتى يسأل أهل الكتاب عن ذلك وإذا كان شاكفى نبوة نفسه كان غيره أولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضى عياض فى كتابه الشفاء فإنه أورد هذا السؤال ثم قال احذر نبت الله قلبك أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما أوحى اليه فإنه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبيرة والحسن البصرى وحكى عن قتادة أنه قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا أن كلام القاضى عياض رحمه الله ثم اختلفوا فى معنى الآية ومن المخاطب بهذا الخطاب على قواين أحدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فى الظاهر والمراد به غيره فهو كقوله أين أشركت ليحبطن عملاك ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك فثبت ان المراد به غيره ومن أمثلة العرب * اياك أعنى واسمى بإجاره * فعلى هذا يكون معنى الآية قل يا محمد يأيها الانسان الشاك ان كنت فى شك مما أنزلنا اليك على لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب يخبروك بصحته ويدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى فى آخر هذه السورة قل يأيها الناس ان كنتم فى شك من دنى الآية فبين أن المذكور فى هذه الآية على سبيل الرمز هو المذكور فى تلك الآية على سبيل التصريح وأيضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكفى نبوته كان غيره أولى بالشك فى نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكافية بما ذل الله من ذلك وقيل ان الله سبحانه وتعالى علم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التمهيج فإنه صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذا الكلام يقول لأشك بآرب ولا أسأل أهل الكتاب بل أكتفى بما أنزلته على من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله فان كنت فى شك وهو شامل لا يخلو فهو كقوله يأيها النبي اذا طلقتم النساء وهذا وجه حسن امكن فيه بعد وهو أن يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخل فى هذا الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال وارد وقيل ان لفظه ان فى قوله فان كنت فى شك للنبي ومعناه وما أنت فى شك مما أنزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل واثن سألت لآزدت يقينا والقول الثانى أن هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا فى زمنه على ثلاث فرق فرقة مصادقون وبه مؤمنون وفرقة على الضم من ذلك والفرقة الثالثة المتوقفون فى أمره الشاككون فيه فخطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تمجدوته الى فان كنت أيها الانسان فى شك مما أنزلنا اليك من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل أهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما وحده الله الضمير فى قوله فان كنت وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما فى قوله تعالى يأيها الانسان ما عرك ربك الكبريم لم يرد فى الآية انسانا بعينه بل أراد الجمع واختلفوا فى السؤال عنه فى قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من أهل التفسيرهم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه لانهم هم الموثوق باخبارهم وقيل المراد كل أهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الإخبار بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا أخبروا بذلك فقد حصل المقصود والاول أصح وقال الضحاك يعنى أهل التقوى وأهل الايمان من أهل الكتاب ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم (لقد جاءك الحق من ربك) هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله وفيه معنى القسم تقديرا أقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبير بانك رسول الله حقا وأن أهل الكتاب يعامون صحة ذلك (فلانك كون من المعتبرين) يعنى من اشاكين فى صحة ما أنزلنا اليك (ولانك كون من الذين كذبوا بايات الله) يعنى بدلائله وبراهينه الواضحة

(لقد جاءك الحق من ربك) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ما أتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فلانك كون من المعتبرين) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (ولا تكون من الذين كذبوا بايات الله

(فتكون من الخاسرين) أي قانت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المربة عنك والتكذيب بآيات الله أو هو على طريق التهميش والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدك عن آيات الله بعد إذا نزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق أو خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أي وإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نورا مبينا والخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عزا أخوك فهن أو أن للنفى أي فما كنت في شك فسل أي ولا تأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة أحياء الموتى فان قلت إنما يجيء أن للنفى إذا كان بعده الاكفولة ان الكافرون الا في غير ذلك غير لازم الأتري الى قوله (٣٣٥) ان أمسكهما من أحد من بعده

فان للنفى وليس بعده الا (ان الذين حقت عليهم كلمت ربك) ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا أو قوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على (لا يؤمنون) لان (ولوجاءتهم كل آية) تتعلق بما قبلها (حتى يروا العذاب الاليم) أي عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكتناها ثابت عن الكفر وأخلصت الايمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون الى أن أخذ بحتفه (فمنعها إيمانها) بان تقبل الله إيمانها بوقوعه في وقت الاختيار الا قوم يونس استثناء منقطع أي ولكن قوم

(فتكون من الخاسرين) يعني الذين خسروا أنفسهم واعلم أن هذا كله على ما تقدم من أن ظاهره خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من عنده شك وارتباب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب ولم يكذب بآيات الله فثبت به هذا أن المراد به غيره والله أعلم **قوله** سبحانه وتعالى (ان الذين حقت عليهم) يعني وجبت عليهم (كلمت ربك) يعني حكم ربك وهو قوله سبحانه وتعالى خلقت هؤلاء للنار ولا أبالي وقال قتادة سخط ربك وقيل لعن ربك وقيل هو ما قدره عليهم وقضاه في الازل (لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية) فانهم لا يؤمنون بها (حتى يروا العذاب الاليم) حينئذ لا ينفعهم الايمان لان الله سبحانه وتعالى قد حكم عليهم وصر ففهم عن الايمان فلا ينفعهم شيء **قوله** سبحانه وتعالى (فلولا) يعني فهلا (كانت قرية) وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان الاستفهام معنى الحجة والمراد هل كانت قرية (آمنت) يعني عند معاينة العذاب (فمنعها إيمانها) يعني في حال اليأس (الاقوم يونس) هذا الاستثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعمهم إيمانهم في ذلك الوقت وهو قوله (لما آمنوا) يعني لما أخلصوا الايمان (كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختافوا في قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا أم لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع أو اذا قرب وقوعه **﴿ذكر القصة في ذلك﴾**

على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبيرة وهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس كانوا قرية ينوي من أرض الموصل وكانوا أهل كفر وشرك فاسل الله سبحانه وتعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقبل له أخبرهم أن العذاب مصعبهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا ان لم نجرب عليه كذبنا قط فانظروا فان بات فيكم الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا أن العذاب مصعبكم فلما كان جوف الليل خرج يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا انفساهم العذاب فكان فوق رؤسهم قال ابن عباس ان العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله عنهم ذلك وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبيرة غشي قوم يونس العذاب كما غشى الثوب القبر وقال وهب غامت السماء غما أسودها ثلاثا يدخن دخانها شديد فهبط حتى غشى مدينتهم واسودت أسطحهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك فطأبو انبيهم يونس عليه السلام فلم يجدوه فخذف الله سبحانه وتعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونساءهم وصبياهم ودوابهم وابسوا المسوخ

يونس أو متصل والجملة في معنى النبي كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس واتصابه على أصل الاستثناء (لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى ينوي من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوخ كلهم وعجوا رأ بعين ليلة ورزوا الى الصعيد بانفسهم ونساءهم وصبياهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبان والدواب وأولادها فخن بعضهم الى بعض وأظهروا الايمان والتوبة فرحهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقام الخرج وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا المانزل بهم العذاب الى شيخ من نقيع عاماتهم فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي حين لا اله الا انت فقوالها فكشف الله عنهم وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت أعظم منا واصل العمل بنا ما أنت أهله ولا تتعل بنا ما نحن اهله

لايختلفون فيه أخبر عن
كمال قدرته ونفوس مشيئته
انه لو شاء لآمن من في
الارض كلهم ولكنه شاء
ان يؤمن به من علم منه
اختيار الايمان به وشاء
الكفر من علم انه يختار
الكفر ولا يؤمن به وقول
المعترلة المراد بالمشيئة
مشيئة القدر والالقاء
أى لو خلق فيهم الايمان
جبراً لا يؤمنون قد شاء
ان يؤمنوا اختياراً فلم
يؤمنوا دايماً (أفأنت
تكره الناس حتى يكونوا
مؤمنين) أى ليس اليك
مشيئة الاكراه والجبس في
الايمان انما ذلك الى فاسد
لان الايمان فعل العبد
وفعله ما يحصل بقدرته ولا
يتحقق ذلك بدون
الاختيار وناو به عندنا
ان الله تعالى اطلقوا أعظاهم
لآمنوا كلهم عن اختيار
ولكن علم منهم أنهم
لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك
وهو التوفيق والاستهام في
أفأنت بمعنى النفي أى لا تمك
أنت يا محمد أن تكرههم
على الايمان لانه يكون
بالتصديق والاقرار ولا
يمكن الاكراه على التصديق
(وما كان لنفس أن
تؤمنن الا باذن الله)
بمشيئته أو بقضائه أو

وأظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدوة وللهامن الناس والدواب فغن البعض الى البعض فغن
الاولاد الى الامهات والامهات الى الاولاد وعاب الاصوات وعجوا جميعاً الى الله وتضرعوا اليه وقالوا آمنا
بما جاء به يونس وناووا الى الله وأخلصوا النية فرحمهم بهم فاستجاب دعاءهم وكشف عنهم ما نزل بهم من
العذاب بعدما أنزلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال ابن مسعود بلغ من تو بهم ان ترادوا
المظالم فيما بينهم حتى ان كان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع أساس بنيانه عليه فيقاعه فيرده وروى الطبري
بسندة عن أبي الجلد خيلان قال لما عشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له انه قد
نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي الموتي ويا حي لاله الأنت فقالوا هو فكشف الله
عنهم العذاب وتمعوا الى حين وقال الفصيل بن عياض انهم قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجات وأنت
أعظم وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله قال وخرج يونس وجعل ينتظر العذاب فلم ير شيئاً
فقبل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذاباً وكان من كذب ولا بينة له فقبل فانصرف
عنهم مغاضباً فالتقمه الحوت وسد تآني القصة في سورة والصفات ان شاء الله تعالى فان قات كيف كشف
العذاب عن قوم يونس بعدما نزل بهم وقبل تو بهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين آمن ولم يقبل تو به
قات أجاب العلماء عن هذا باجوبة واحدة اهلها ان ذلك كان خاصاً بقوم يونس والله يفعل ما يشاء وبحكم ما يريد
الجواب الثاني ان فرعون ما آمن الا بعد ما باشر العذاب وهو وقت اليأس من الحياة وقوم يونس دنا منهم
العذاب ولم ينزل بهم ولم يباشرهم فكانوا كالر يرض بخاف الموت ويرجو العافية الجواب الثالث ان الله عز
وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل تو بهم بخلاف فرعون فانه ما صدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل منه
ايمانه والله أعلم ﴿قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً) يقول الله عز وجل انبيه
محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء ربك يا محمد لآمن بك وصدقك من في الارض كلهم جميعاً ولكن لم يشأ ان
يصدقك ويؤمن بك الا من سبق له السعادة في الازل قال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يجرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله عز وجل انه لا يؤمن به الا من سبق له من
الله السعادة في الذكر الاول ولم يضل الا من سبق له من الله الشقاء في الذكر الاول وفي هذا نسلياً للنبي صلى الله
عليه وسلم لانه كان حر يصاعلى ايمانهم وهو قوله سبحانه وتعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) يعنى ليس ايمانهم
اليك حتى تكرههم عليه أو تجرص عليهم ايمان المؤمنين واذلال الكافر بمشيتنا وقضائنا وقد ناليس ذلك
لاحد سوانا (وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله) يعنى وما كان ينبغي لنفس خلقها الله تعالى أن تؤمن
وتصدق الا بقضاء الله لها بالايمان فان هدايتها الى الله وهو الهادى المضل وقال ابن عباس معنى باذن الله بامر
الله وقال عطاء بمشيئة الله ﴿قوله تعالى (ويجعل الرجس) يعنى العذاب وقال ابن عباس يعنى السخط (على الذين لا يعقلون) يعنى
لا يفهمون عن الله أمره ونهيه ﴿قوله عز وجل (قل انظروا) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك
الآيات انظروا يعنى انظروا بقلوبكم نظراً اعتباراً وتفكيراً تدبر (ما ذاق السموات والارض) يعنى ما ذاق خلق
الله في السموات والارض من الآيات الدالة على وحدانيته في السموات الشمس والقمر وهما دليلان
على النهار والليل والنجوم مسخرها طاعة وغاربه وانزال المطر من السماء وفي الارض الجبال والبحار
والمعادن والانهار والاشجار والنبات كل ذلك آية دالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال الشاعر
وفي كل شيء له آية * تدل على انه واحد

(وما

بتوفيقه وتسهيله وتعليمه) (ويجعل الرجس) أى العذاب أو السخط أو الشيطان أى وساطا

الشيطان (على الذين لا يعقلون) لا يتفقهون به قلوبهم ويجعل حجاد ويحي (قل انظروا) نظراً استدلالاً واعتباراً (ما ذاق السموات والارض)

من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وماتغنى الآيات) مانافية (والنذر) والرسل المنذرون أو الانذارات (عن قوم لا يؤمنون) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فهل ينتظرون) (٣٢٧) الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم)

(وماتغنى الآيات والنذر) يعني الرسل (عن قوم لا يؤمنون) وهذا في حق أقوام علم الله أنهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقاء (فهل ينتظرون) يعني مشركي مكة (الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم) يعني من مضى من قبلهم من الامم السادة المكذبة للرسل قال قتادة يعنى وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب تسمى العذاب أياما والنعيم أياما كما قوله تعالى وذكركم أيام الله والمعنى فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومه كما محمد الابو ما يعاينون فيه العذاب مثل ما فعلنا بالامم السالفة المكذبة أهل كذبهم جميعا فان كانوا ينتظرون ذلك العذاب (فهل ينتظروا) يعني قل لهم يا محمد فانتظروا العذاب (انى معكم من المنتظرين) يعني هلاكم قال الربيع بن أنس خوفهم عذابه ونقمته ثم أخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم أحجى الله رسوله والذين آمنوا معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى (ثم ننجي رسلا والذين آمنوا) يعني من العذاب والهلاك (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) يعني كما أنجينا رسلا والذين آمنوا معهم من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين آمنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخلص الرسول والمؤمنين من العذاب واجب وأجيب عن هذا بانه حق واجب من حيث الوعد والحكم لانه واجب بسبب الاستحقاق لانه قد ثبت ان العبد لا يستحق على خلقه شيئا ^١ قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أى قل يا محمد لهؤلاء الذين أرسلتك اليهم فشكوا فى أمرى ولم يؤمنوا بك (ان كنتم فى شك من دىنى) يعنى الذى أدعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم فى أمره صلى الله عليه وسلم لما رأى الآيات التى كانت تظهر على يد النبى صلى الله عليه وسلم فحصل له الاضطراب والشك فقال ان كنتم فى شك من دىنى الذى أدعوكم اليه فلا ينبغى لكم ان تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه السلام وأتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون فيه وانما ينبغى لكم ان تشكوا فى عبادتكم لهذه الاصنام التى لا أصل لها البتة فان أصررتم على ما أتمت عليه (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) يعنى هذه الاوثان واعمالها يجب تقديم هذا النقي لان العبادة هى غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاختس الاشياء وهى الحجارة التى لا تنفع لمن عبدها ولا تضمر ان تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع والضرر وهو قادر على الامانة والاحياء وهو قوله سبحانه وتعالى (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) والحكمة فى وصف الله سبحانه وتعالى فى هذا المقام بهذه الصفة ان المراد ان الذى يستحق العبادة فاعبده انا وانتم هو الذى خلقكم اولاً ولم تكونوا شيئاً ثم يميتكم ثانياً ثم يحييكم بعد الموت ثالثاً فكنى بذكر الوفاة تنبيهاً على الباقي وقيل لما كان الموت أشد الاشياء على النفس ذكر فى هذا المقام ليكون أقوى فى الزجر والردع وقيل انهم لما استهجوا بطلب العذاب أجابهم بقوله ولكن أعبد الله الذى هو قادر على اهلاكم ونصرى عليكم (وأمرت ان أكون من المؤمنين) يعنى وأمرت ان أكون من المصدقين بما جاء من عنده قيل لما ذكر العبادة وهى من أعمال الجوارح أتبعها بذكر الايمان لانه من أعمال القلوب (وان أقم وجهك للدين حنيفاً) الواو فى قوله وان أقم واو عطف معناه وأمرت ان أقيم وجهى يعنى أقم نفسك على دين الاسلام حنيفاً يعنى مستقيماً عليه غير معوج عنه الى دين آخر وقد معناه أقم عملك على الدين الحنيفى وقيل أراد بقوله وان أقم وجهك للدين صرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيفى غير ما نزل عنه (ولا تكونن من المشركين) يعنى ولا تكونن ممن يشرك فى عبادة به غيره فهلاك وقيل النهى عن عبادة الاوثان قد تقدم فى الآية المتقدمة فوجب حمل هذا النهى على معنى زائد وهو ان من عرف اعز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغى له ان يلتفت الى غيره بالكلام هذا هو الذى تسميه أصحاب القلوب بالمشرك الخفى (ولان دع من

يعنى وقائع الله فيهم كما قال أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه الامثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم (كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين) أى مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعترض أى وحق ذلك علينا حقا ينجى بالتخفيف على وحقص (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (ان كنتم فى شك من دىنى) وصحته وسداده فهو ذادىنى فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله) أى الاصنام (ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) يميتكم وصفه بالتسوية ليربهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعسدون ما لا يقدر على شئ (وأمرت ان أكون من المؤمنين) أى بان أكون على ما أمرت الله امرى بذلك ببارك فى من العقل وبما أوحى

(٤٣ - (خازن) - ثانى) فى كتابه (وان أقم وجهك للدين) أى وأوحى الى أن أقم ليشا كل قوله أمرت أى استقم وقبله بوجهك على ما أمرك الله واستقم به وولدك بيمين اولادها (حنيفاً) حالاً من الدين أو الوجه (ولا تكونن من المشركين) ولا تدع من

دون الله ما لا ينفعك (ان دعوتك ولا يضرك) ان خذته (فان فعلت) فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكيف عنه بالفعل
 ايجارا (فانك اذامن الظالمين) ذاجرا بشرط وجه اب اسؤال مقدر كان سائلا سأل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم
 أعظم من الشرك (وان بمسك الله) يصيبك (بضر) مرض (فلا كاشف له) لذلك الضر (الالهو) الاله (وان يردك بخير) عافية (فلا
 راد لفضله) فلا راد لمراده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده) قطع بهذه الآية على عبادة طريق الرغبة والرهبة الا اليه والاعتماد الاعليه
 (وهو الغفور) المكفر بالبلية (الرحيم) المعافي بالعباءة اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها

(٣٣٨)

لا تنفع ولا تضر ان الله هو
 الضار النافع الذي ان
 أصابك بضر لم يقدر على
 كشفه الا هو وحده دون
 كل أحد فكيف بالجماد
 الذي لا شعور به وكذا
 ان أرادك بخير لم يرد أحد
 ما يريده بك من الفضل
 والاحسان فكيف
 بالاوثان وهو الحقيق اذا
 بان توجه اليه العبادة دونها
 وهو أبلغ من قوله ان
 أرادني الله بضر هل هن
 كاشفات ضره أو أرادني
 برحمة هل هن ممسكات
 رحمة وانما ذكر المس في
 أحدهما والارادة في الآخر
 كانه أراد أن يذكر
 الامرين الارادة والاصابة
 في كل واحد من الضر
 والخير وانه لا راد لما يرد
 منهما ولا مزيل لما يصيب
 به منهما فافوز الكلام بان
 ذكر المس وهو الاصابة في
 أحدهما والارادة في الآخر
 ليدل بما ذكر على ما نرك
 على انه قد ذكر الاصابة
 بالخير في قوله يصيب به من

دون الله ما لا ينفعك) يعني ان عبادة ودعوتك (ولا يضرك) يعني ان تركت عبادته (فان فعلت) يعني
 ما نهيتك عنه فعبدت غيري أو طلبت النفع ودفع الضر من غيري (فانك اذامن الظالمين) يعني لنفسك
 لانك وضعت لعبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به
 غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع أيها الانسان من دون الله
 ما لا ينفعك الآية قوله تعالى (وان بمسك الله بضر) يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء (فلا كاشف له)
 يعني لذلك الضر الذي أنزله بك (الالهو) يعني لا غيره (وان يردك بخير) يعني بسعة ورخاء (فلا راد لفضله)
 يعني فلا دفع لرزقه (يصيب به) يعني بكل واحد من الضر والخير (من يشاء من عباده) قيل انه سبحانه
 وتعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وان جميع
 الكائنات محتاجة اليه وجميع الممكات مستندة اليه لانه هو القادر على كل شيء وانه ذو الجود والكرم والرحمة
 ولهذا المعنى ختم الآية بقوله (وهو الغفور الرحيم) وفي الآية لطيفة أخرى وهي ان الله سبحانه وتعالى رجح
 جانب الخير على جانب الشر وذلك أنه تعالى لما ذكر اساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على
 انه سبحانه وتعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد
 افضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر أحد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده
 وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله سبحانه وتعالى (قل يا أيها الناس
 قد جاءكم الحق من ربكم) يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله
 عز وجل (فن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لان نفع ذلك يرجع اليه (ومن ضل فاما يضل عليها) أي على
 نفسه لان وبالرابع اليه فن حكم الله بالاهتداء في الازل اتفق ومن حكم عليه باضلال ضل ولم ينتفع بشئ
 أبدا (وما أناعليكم بويل) يعني وما أناعليكم بحفيظ أحفظ عليكم أعمالكم قال ابن عباس هذه الآية
 منسوخة بآية السيف (واتبع ما يوحى اليك) يعني الامر الذي يوحى الله اليك يا محمد (واصبر) يعني على
 أذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك (حتى يحكم الله) يعني ينصرك عليهم باظهار دينك (وهو خير
 الحاكمين) يعني انه سبحانه وتعالى حكم بنصر نبيه واطهار دينه وبقتل المشركين وأخذ الجزية من أهل
 الكتاب وفيها نزلهم وصغارهم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة هو دع عليه الصلاة والسلام

وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس انها
 مكية غير آية وهي قوله سبحانه وتعالى وأقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة نحوه وقالمة بل هي مكية الا
 قوله سبحانه وتعالى فاعلمك نارك بعض ما يوحى اليك وقوله وألئك يؤمنون به وقوله سبحانه وتعالى ان
 الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون آية وألف وستمائة كلمة وتسعة آلاف وخمسة وتسعة

يشاء من عباده (قل يا أيها الناس) يا أهل مكة (قد جاءكم الحق) القرآن أو الرسول (من ربكم فن اهتدى) استون
 واتبع الحق (فانما يهتدى لنفسه) فنانفع باختياره الانفسه (ومن ضل فاما يضل عليها) ومن آثر الضلال ساضر الانفسه ودل اللام وعلى على
 معنى النفع والضرر (وما أناعليكم بويل) بحفيظ وكول الى أمركم انما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك واصبر) على تكذيبهم وايدائهم
 (حتى يحكم الله) لك بانصرت عليهم والامية (وهو خير الحاكمين) لانه اطاع على السرير فلاج الى بينة وشهود (سورة هو دع عليه السلام
 مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

(الكتاب) أي هذا كتاب فهو خبر مبتدأ محذوف (أحكمت آياته) صفة له أي نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم (ثم فصات) كما تفصل القلائد بافراد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة أو فصل فيها ما يحتاج اليه العباد أي بين وخلص ولبس معني ثم التراخي في الوقت ولكن في الحال (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكامت وفصلت أي من عنده احكامها ونقص يملها (ألا تعبدوا الا الله) مفعول له أي لثلاث تعبدوا أو أن مفسرة لان في تفصيل الآيات معني القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله أو أمركم أن لا تعبدوا الا الله (انتي لكم منه نذير وبشير) أي من الله (وأن استغفروا ربكم) أي أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثم توبوا اليه) أي استغفروا من الشرك ثم توبوا اليه بالطاعة (بمتعمك متاعا حسنا) يطول شعركم في الدنيا بمنافع حسنة

وستون حرفا عن ابن عباس قال قال أبو بكر يارسول الله قد شئت قال شيتني هود والواقعة والرسالات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية غيره قال قلت يارسول الله عن اليك الشيب قال شيتني هود وأخواتها الحاققة والواقعة وعم يتساءلون وهن أنك حديث الغاشي قال بعض العلماء سبب شبهه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيها من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله أعلم بما راد رسوله صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل (الكتاب أحكمت آياته) قال ابن عباس لم ينسخها كتاب كانسخت هي الكتب والشرايع (ثم فصلت) يعني بينت وقال الحسن أحكمت آياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفي رواية عنه بالعكس قال أحكمت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة أحكمها الله من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل أحكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت آياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت آياته سورة سورة وقيل ان آيات هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وأحوال القيامة وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن الغيبات وقال مجاهد فصلت بمعنى فسرت وسمي في قوله ثم فصلت ليست هي التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل فان قلت كيف عم الآيات هنا بالاحكام وخص بعضها في قوله منه آيات محكمات قلت ان الاحكام الذي عم به هنا غير الذي خص به هناك فمعني الاحكام هنا انه لا يتطرق الى آياته التناقض والفساد كاحكام البناء فان هذا الكتاب نسخ جميع الكتب المتقدمة عليه والمراد بالاحكام الخاص المذكور في قوله منه آيات محكمات ان بعض آياته منسوخة نسخها آيات منه أيضا لم ينسخها غيره وقيل أحكمت آياته أي معظم آياته محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض فأجرى الشكل على البعض لان الحكم للغالب واجراء الشكل على البعض مستعمل في كلامهم ثم تقول أكلت طعام زيد وانما أكلت بعضه وقوله تعالى (من لدن حكيم) يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله (خير) يعني بأحوال عبادته وما يصلحهم (ألا تعبدوا الا الله) هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت ثلاثا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلق الأنداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام (انتي لكم منه) أي قل لهم يا محمد اني لكم من عند الله (نذير) ينذركم عقابه ان تبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه (وبشير) يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب الغفر وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم اسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل وقال الفراء ثم هنا معني الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فقد كرهما للتأكيد (بمتعمك متاعا حسنا) يعني انكم اذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير قال بعضهم المتاع الحسن هو الرضا بالمسور والصبر على المفدور (الى أجل مسمى) يعني بمتعمك متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم فان قلت قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض أوقانه حتى لا يجد ما يفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى بمتعمك متاعا حسنا الى أجل مسمى قلت وأما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما أعد الله في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في

مرضية من عيشة واسعة وبعده متتابعة (الى أجل مسمى) الى أن يتوفاكم

(وان تولوا) وان تولوا
 (فاني أخاف عليكم عذاب
 يوم كبير) هو يوم القيامة
 (الى الله مرجعكم) رجوعكم
 (وهو على كل شيء قدير)
 فكان قادرا على اعادة تكريم
 (الانهم يننون صدورهم)
 بزورون عن الحق
 وينحرفون عنه لان من
 أقبل على الشيء استقبله
 بصدرة ومن ازور عنه
 وانحرف ثني عنه صدره
 وطوى عنه كشحه
 (ليستخفوا منه) ليطلبوا
 الخفاء من الله فلا يطلع
 رسوله والمؤمنون على
 ازورارهم (الاحين
 يستغشون ثيابهم) يتغطون
 بهما أي يريدون الاستخفاء
 حين يستغشون ثيابهم
 كراهة الاستماع كلام الله
 كقول نوح عليه السلام
 جعلوا أصابعهم في آذانهم
 واستغشوا ثيابهم (يعلم
 مايسرون وما يعلنون) أي
 لاتفاوت في علمه بين
 اسرارهم واعلانهم فلا وجه
 لتوصلهم الى ما يريدون من
 الاستخفاء والله مطلع على
 نفيهم صدورهم واستغشائهم
 ثيابهم ونفاقهم غير نافع
 عنده قيل نزلت في المنافقين
 (انه علم بذات الصدور)
 بما فيها (وما من دابة في
 الارض الا على الله رزقها)
 تفضلا لا وجوبا (ويعلم

سجن في الدنيا حتى يفضى الى ذلك المعدل واما كون الدنيا جنة الكافر وهو بالنسبة الى ما أعد الله له في
 الآخرة من العذاب الاليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضى الى ما أعد الله له في الآخرة
 واما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانه اذا نكفرت درجات وتكفرت السيئات وبيان الصبر
 عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله
 ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ويؤت كل ذي فضل فضله)﴾ أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في
 الآخرة قال أبو العالية من كثرت طاعته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على
 قدر الاعمال وقال ابن عباس من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته
 دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من أهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود
 من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في
 الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشرة واحدة و بقيت له تسع
 حسنات ثم يقول ابن مسعود ذلك من غلبت آحاده اعشاره وقيل معنى الآية من عمل لله و فقه الله في المستقبل
 اطاعته (وان تولوا) يعني وان أعرضوا عما جئتهم به من الهدى (فاني أخاف عليكم) أي فقل لهم يا محمد
 اني أخاف عليكم (عذاب يوم كبير) يعني عذاب النار في الآخرة (الى الله مرجعكم) يعني في الآخرة
 فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته (وهو على كل شيء قدير) يعني من ايصال الرزق
 اليكم في الدنيا وثوابكم وعقابكم في الآخرة ﴿وقوله سبحانه وتعالى (الانهم يننون صدورهم)﴾ قال ابن عباس
 نزلت في الاخفس بن شريق وكان رجلا حاول الكلام حاول النظر وكان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
 يحب وينطوى بقلبه على ما يكره فنزلت الانهم يننون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحاء
 والعداوة من نيت الثوب اذا طوى به وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا امر
 برسول الله صلى الله عليه وسلم ثني صدره وظهره وطأ طأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وقال قتادة كانوا يخنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله تعالى ولا ذكره وقيل كان الرجل
 من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويغشى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي
 يننون صدورهم أي يعرضون بقلوبهم من قولهم نيت عناني (ليستخفوا منه) يعني من رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا (الاحين يستغشون ثيابهم) يعني يغطون رؤسهم
 بثيابهم (يعلم مايسرون وما يعلنون) انه عليهم بذات الصدور) ومعنى الآية على ما قاله الازهرى ان الذين
 أضمر واعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفي علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس غير هذا
 التفسير وهو ما أخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عياش بن جعفر الخنزومي أنه سمع ابن عباس يقرأ
 الانهم يننون صدورهم قال فسأله عنها فقال كان أناس يستحيمون أن يتخلوا فيفضوا الى السماء وأن
 يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم ﴿وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة في الارض)﴾ الدابة
 اسم لكل حيوان دب على وجه الارض وأطلق لفظ الدابة على كل ذي أربع من الحيوان على سبيل العرف
 والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوانات (الاعلى الله رزقها) يعني هو المتكفل
 برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى
 من أي من الله رزقها وقال مجاهد ما جاءها من رزق فن الله ورزقها فموت جوعا (ويعلم مستقرها
 ومستودعها) قال ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه في ليل أو نهار ومستودعها المكان الذي
 تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها أرحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل

المستقر الجنة والنار والمستودع القبر (كل في كتاب مبين) أي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها
 ﴿قوله عز وجل (وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء) يعني قبل خلق
 السموات والارض قال كعب خلق الله ياقوته خضراء ثم نظر لها بالهيبه فصارت ماء بر نعد ثم خلق الريح
 فجعل الماء على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ضمرة ان الله سبحانه وتعالى كان عرشه على الماء ثم
 خلق السموات والارض وخلق القلم فسكتب به ما خلق وما هو خالق وما هو كائن من خلقه الى يوم القيامة ثم
 ان ذلك الكتاب سجع الله ومجده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس عن
 قوله سبحانه وتعالى وكان عرشه على الماء على أي شيء كان الماء قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش
 كان قبل أن يخلق الله السموات والارض ثم قبض الله قبضة من صفاء الماء ثم فجع القبضة فارتفع دخان ثم
 قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ سبحانه وتعالى طينة من الماء فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها
 ثم خلق الاقوات في يومين والسموات في يومين والارض في يومين ثم فرغ آخر الخلق في اليوم السابع قال
 بعض العلماء وفي خلق جميع الاشياء وجعلها على الماء ما يدل على كمال القدرة لان البناء الضعيف اذا لم يكن
 له أساس على أرض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش والسموات والارض على الماء فهذا
 يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي
 بالباب فأتى ناس من بني تميم فقالوا اقبلوا البشري يا بني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا امرتين فتغير وجهه ثم دخل
 عليه ناس من أهل اليمن فقالوا اقبلوا البشري يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا
 جئنا لتتفق في الدين ولتسألك عن أول هذا الامر ما كان قال كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن معه شيء قبله
 وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكركل شيء ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك
 ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطابها فاذا السراب يقطع دونها وأيم الله لو ددت أنها ذهبت ولم أقم عن أبي رزين
 العقبلي قال قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه قال كان في عمامة ما فوقه هواء وما تحته هواء
 وخلق عرشه على الماء أخرجه الترمذي وقال قال أحمد بن حنبل يد بالعماء أنه ليس معه شيء قال أبو بكر البيهقي في
 كتاب الاسماء والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الماء ولا العرش ولا
 غيرهما وقوله وكان عرشه على الماء يعني وخلق الماء وخلق العرش على الماء ثم كتب في الذكركل شيء وقوله
 في عمامة وجدته في كتاب عمامة مقيد بالمد فان كان في الاصل ممدودا فعنه سحاب رقيق وير يد بقوله في عمامة
 أي فوق سحاب مدبر اله والياء عليه كما قال سبحانه وتعالى أمنت من في السماء يعني من فوق السماء وقال
 تعالى لاصلبكم في جذوع النخل يعني على جذوعها وقوله ما فوقه هواء أي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله
 وما تحته هواء أي ما تحت السحاب هواء وقد قيل ان ذلك العمى مقصور والعمى اذا كان مقصورا فعنه
 لاشئ ثابت لانه ماعمى عن الخلق لكونه غير شئ فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شئ
 غيره ثم قال ما فوقه هواء وما تحته هواء أي ليس فوق العمى الذي هو لاشئ موجود هواء ولا تحته هواء لان
 ذلك اذا كان غير شئ فليس يثبت له هواء بوجه والله أعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض أهل
 العلم معناه أين كان عرش ربنا حذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية وابدل على ذلك قوله سبحانه
 وتعالى وكان عرشه على الماء هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الأثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل
 الكثيف وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا حذف وابدل على
 هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في العمى المقصور أنه قال هو كل أمر لا يدركه
 العطن وقال الازهرى قال أبو عبيد انما وأنا هذا الحديث على كلام العرب المعقول عنهم والافلاندرى
 كيف كان ذلك العماء قال الازهرى فنحن نؤمن به ولا نكف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

(كل في كتاب مبين) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وهو الذي خلق السموات والارض) وما بينهما (في ستة أيام) من الاحد الى الجمعة تعليلا للتأني (وكان عرشه على الماء) أي فوقه يعني ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض والماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض فيل بدأه بخلق ياقوته خضراء فنظر اليها بالهيبه فصارت ماء ثم خلق ريحاً فافقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفي وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لاهل الافكار

(ليلوكم) أى خلق السموات والارض وما بينهما الممتحن فهم اولم يخلق هذه الاشياء لانفسها (أيكم احسن عملا) أى كثر شكرا وعنه عليه السلام احسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة لله فن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليلوكم نبي ليفعل بكم ما يفعله المبتلى لاحوالكم كيف تعملون (وإن نلت انكم مبعوثون من بعد الموت يقولون الذين كفروا ان هذا الا سحر مبین) أشار بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعله سحر افقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغـ بره ساحر حزة وعلى يردون الرسول والساحر كاذب مبطل (وإن أخرنا عنهم العذاب) عذاب لآخرة أو عذاب يوم بدر (الى امة) الى جماعة من الاوقات (معدودة) معلومة أو قلائل (٣٤٢) والمعنى الى حين معلوم (يقولون ما يحبس) ما يمنع من النزول استهجا لاله على وجه

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب لله مقدار الخلق قبل أن يخلق السموات والارض خمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المفادير وأمر الدنيا قبل أن يخلق السموات والارض وكان عرشه على الماء خمسين ألف سنة قوله فرغ بدأ تمام خلق المقادير لأنه كان مشغولا ففرغ منه لان الله سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن فانما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله سبحانه وتعالى (ليلوكم) يعنى ليختبركم وهو أعلم بكم منكم (أيكم احسن عملا) يعنى بطاعة الله وأورع عن محارم الله (وإن قلت) يعنى وإن قلت يا محمد طولا الكفار من قومك (انكم مبعوثون من بعد الموت) يعنى للحساب والجزاء (يقولون الذين كفروا ان هذا الا سحر مبین) يعنون القرآن (وإن أخرنا عنهم العذاب الى امة معدودة) يعنى الى أجل محدود وأصل الامة فى اللغة الجماعة من الناس فكابه قال سبحانه وتعالى الى انقراض امة ومجى امة أخرى (يقولون ما يحبس) يعنى أى شئ يحبس العذاب وإنما يقولون ذلك استهجا لاله بالاعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشئ قال الله عز وجل (اليوم يأتيهم) يعنى العذاب (ليس مصر وفا عنهم) أى لا يصرفه عنهم شئ (وحاق بهم ما كانوا يستهزؤون) يعنى ونزل بهم وبالاستهزاء ثم قوله سبحانه وتعالى (وإن أذقنا الانسان منارحة) يعنى رخاء وسعة فى الرزق والعيش وبسطنا عليه من الدنيا ثم نزعناها منه) يعنى سلبناه ذلك كله وأصابته المصائب فاجتاحتها وذهبت به (انه ليؤس كفور) يعنى يظلم قانطامن رحمة الله آيسا من كل خير كفورا أى مجودا نعمتنا عليه ولا قبيل الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم اذا كانت بك نعمة من الله من أمن وسعة وعافية فاشكرها ولا تجحد ها فان نزعنا عنك فينبغى لك أن تصبر ولا تياس من رحمة الله فانه العواد على عباده بالخير وهو قوله سبحانه وتعالى (وإن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) يعنى وإن نحن أنعمنا على الانسان وبسطنا عليه من العيش (ليقولون) يعنى الذى أصابه الخير والسعة (ذهب السيآت عنى) يعنى ذهب الشدائد والعسر والضيق وإنما قال ذلك غرة بالله عز وجل وجراة عليه لانه لم يصف الاشياء كلها الى الله وإنما أضافها الى العوائد فلها ذمه الله تعالى فقال (انه لفرح خفور) أى انه أشرب بطر والفرح لذة تحصل فى القلب بنيل المراد والمستهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد المناقب وذلك منهى عنه ﴿ ثم استثنى فقال تبارك وتعالى (الا الذين صبروا وعملوا الصالحات) قال الفراء هذا الاستثناء منقطع عنه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فانهم ليسوا كذلك فانهم ان نالتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكر واعليها (أولئك) يعنى من هذه صفتهم (هم مغفرة) يعنى لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة ﴿ قوله عز وجل (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل انبى محمد صلى الله عليه وسلم فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى

التكذيب والاستهزاء (اليوم يأتيهم) العذاب (ليس) العذاب (مصرفا عنهم) ويوم منصوب بمصرفا أى ليس العذاب بمصرفا عنهم يوم يأتيهم (وحاق بهم) وأحاط بهم (ما كانوا يستهزؤون) العذاب الذى كانوا يستهزؤون وإنما وضع يستهزؤون موضع يستهجلون لان استهجلهم كان على وجه الاستهزاء (وإن أذقنا الانسان) هو للجنس (منارحة) نعمة من صحة وأمن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (انه ليؤس) شديد اليأس من أن يعود اليه مثل تلك النعمة المسلوقة فاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لتضائه (كفور) عظيم الكفران لما سأل من التقبلى فى

نعمة الله نساءه (وإن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله (يقولون ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتني (انه لفرح) أشرب بطر (خفور) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين صبروا) فى المحنة والبلاء (وعملوا الصالحات) وشكروا فى النعمة والرخاء (أولئك هم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات نعتنا الاسترشاد لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى ارشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كثر أوجاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن وينهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقى اليهم بالقبولونه ويضحكون منه فهيجه لاءاء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزأهم واقتراحهم بقوله (ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك) أى أهلك ترك أن

اليك ربك ان تبلغه الى من أمرك ان تبلغ ذلك اليه (وضائق به صدرك) يعني ويضيق صدرك بما يوحى اليك فلا تبغها اياهم وذلك ان كفار مكة قالوا انت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهتهم ظاهر فأ نزل الله عز وجل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني من ذكر آلهتهم هذا ما ذكره المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على انه صلى الله عليه وسلم فيما كان طريقه البلاغ فانه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لاختلاف الاعداد ولا سهوا ولا غلطا وانه صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما نزل الله عليه الى أمته ولم يكن منه شيئا وأجمعوا على انه لا يجوز على رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والانداز ولا يترك بعض ما وحي اليه لقول أحد الان تجوز ذلك يؤدي الى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لان المقصود من ارسال الرسول التبليغ الى من أرسل اليه فاذا لم يحصل ذلك فقد فانت فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله واذا ثبت هذا وجب أن يكون المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك شيئا آخر سوى ما ذكره المفسرون وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الانباري قد علم الله سبحانه وتعالى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما يوحى اليه اشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في متابعة البلاغ من الله سبحانه وتعالى كما قال يأبها الرسول بلغ ما نزل اليك من ربك الآية الثاني ان هذا من حثه سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وتحريضه على أداء ما نزل اليه والله سبحانه وتعالى من وراء ذلك في عصمته مما يخافه ويخشاه الثالث ان الكفار كانوا يستهزؤن بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وان يلقى الهمم الا يقبلونه ويستهزؤن به فامر الله سبحانه وتعالى بتبليغ ما وحي اليه وأن لا يلتفت الى استهزائهم وأن تحمل هذا الضرر أهون من كنتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه الحقيقة لان الانسان اذا علم أن كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الاقدام على الفعل وقيل ان الله سبحانه وتعالى مع علمه بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم الى قبول قوله بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك أي لعلك تارك ان تلقيه الهمم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك أي بان تتلوه عليهم (أن يقولوا) يعني مخافة ان يقولوا (لولا أنزل عليه كنز) يعني يستغنى به وينفقه (أوجاء معه ملك) يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة هو عبد الله بن أبي أمية المخزومي والمعنى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وأنت عزيز عنده مع أنك فقير فهلا أنزل عليك ما نستغنى به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل انه صلى الله عليه وسلم نذير بقوله عز وجل (انما أنت نذير بالعقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالشواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك) (والله على كل شيء وكيل) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ يحفظ أقوالهم وأعمالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله سبحانه وتعالى (أم يقولون افتراه) يعني بل يقول كفار مكة اختلقه يعني ما وحي اليه من القرآن (قل) أي قل لهم يا محمد (فأناب عشر سور مثله مفتريات) لما قالوا له افتريت هذا القرآن واختلقته من عند نفسك وليس هو من عند الله تحداهم وأرخی لهم العنان وفارضهم على مثل دعواهم فقال صلى الله عليه وسلم هو اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الى شيء وان الامر كما قلت وأنتم عرب مثلي من أهل الفصاحة وقرسان البلاغة وأصحاب اللسان فأنوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم به محتاق من عند أنفسكم فانكم تقدرون على مثل ما قدر عليه من الكلام فلهذا قال سبحانه

ضيق عارض غير ثابت لانه عليه السلام كان أفسح الناس صدرا ولانه أشكل بتارك (أن يقولوا) مخافة أن يقولوا (لولا أنزل عليه كنز أوجاء معه ملك) هلا أنزل عليه ما اقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه مالا نزيده ولا اقترحه (انما أنت نذير) أي ليس عليك الا أن تنذرهم بما وحي اليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ان ردوا أوتهاونوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدور منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفهمهم واستهزائهم (أم يقولون) أم منقطعة (افتراه) الضمير لما يوحى اليك (قل فاتوا بعشر سور) تحداهم أو لا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن ذلك قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) في الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا الى عمالة

كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخی معهم العنان وقال هو اني اختلقته من عند نفسي فاتوا أنتم أيضا بكلام مثله محتاق من عند أنفسكم فاتم عرب فصحاء مثلي

(وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو) أي أنزل

(٣٤٤)

ملتبساً بما لا يعلمه الا الله من انظمه مجز الخاق واخبار بقيوب لاسبيل لهم اليه واعلموا

هند ذلك أن لاله الا الله وحده وأن توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم وانما جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قبل لان الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا اجد نونهم أولان الخطاب للمشركين والضمير في فان لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على المعارضة لعالمهم بالجز عنه فاعلموا انما أنزل بعلم الله أي باذنه أو بامر (فهل أتم مسلمون) متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فغناه فاقبوا على العلم الذي أتم عليه وازدادوا يقيناً على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أتم مسلمون مخلصون (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) نوصل اليهم أجور أعمالهم وافيه كاملة من غير محس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة

وتعالى فانوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قولهم افتراه فان قلت قد تحداهم بان يا نوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال فانوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشرة أعجز فأت قد قال بعضهم ان سورة هود نزلت قبل سورة يونس وانه تحداهم أولاً بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس وأنكر المبرهذه القول وقال ان سورة يونس نزلت أولاً قال ومعنى قوله في سورة يونس فانوا بسورة مثله يعني مثله في الاخبار عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود فانوا بعشر سور مثله يعني في مجرد الفصاحة والبلاغة من غير خبر عن غيب ولا ذكر حكم ولا وعد ولا وعيد فلما تحداهم بهذا الكلام أمره بان يقول لهم (وادعوا من استطعتم من دون الله) حتى يعينوكم على ذلك (ان كنتم صادقين) يعني في قولكم انه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) اعلم انه لما اشتملت الآية المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله سبحانه وتعالى قل فانوا بعشر سور مثله مفتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو قوله تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله تبارك وتعالى فان لم يستجيبوا لكم احتمال أن يكون المراد ان الكفار لم يستجيبوا في المعارضة للجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد أن من يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فهذا السبب اختلف المفسرون في معنى الآية على قولين أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله سبحانه وتعالى انبياه والمؤمنين فان لم يستجيبوا لكم في ادعوتهم اليه من المعارضة وعجزوا عنه (فاعلموا انما أنزل بعلم الله) يعني فاقبوا على العلم الذي أتم عليه وازدادوا يقيناً وثباتاً لانهم كانوا عالمين بانه منزل من عند الله وقيل الخطاب في قوله فان لم يستجيبوا لكم للنبي صلى الله عليه وسلم وحده وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم القول الثاني ان قوله سبحانه وتعالى فان لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك انه سبحانه وتعالى لما قال في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية فان لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وانه ليس مفترى على الله بل هو أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم (وأن لا اله الا هو) يعني الذي أنزل القرآن هو الله الذي لا اله الا هو ولا من تدعون من دونه (فهل أتم مسلمون) فيه معنى الامر أي أسلموا وأخلصوا لله العباداة وان حملناه على الآية على أنه خطاب مع المؤمنين كان معنى قوله فهل أتم مسلمون الترعيب أي دو مواع على ما أتم عليه من الاسلام قوله عز وجل (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها) يعني أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا وذلك ان الله سبحانه وتعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المسكاره في الدنيا ونحو ذلك (وهم فيها لا يبخسون) يعني أنهم لا ينقصون من أجور أعمالهم التي عملوها لطلب الدنيا بل يعطون أجور أعمالهم كاملة موفرة (أولئك الذين ايس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) يعني وبطل ما عملوا في الدنيا من أعمال البر (وباطل ما كانوا يعملون) لانه لغبر الله واختلف المفسرون في المعنى بهذه الآية فروى قتادة عن أنس أنها في اليهود والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملاً لحاقى غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطى على ذلك أجر في الدنيا وهو ان يصل رجلاً أو يعطى سائلاً أو يرحم مضطراً أو نحو هذا من أعمال البر فيعجل الله له ثواب عمله في الدنيا يوسع عليه في العيشة والرزق ويقرب عينه فيما خوله و يدفع عنه المسكاره في الدنيا وليس له في الآخرة نصيب ويدل

والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أو تلك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة على ما صنعوه أو صديعهم أي لم يكن لهم ثواب لانهم لم يربدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أي

على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله وأولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار الآية وهذه حالة الكافر في الآخرة وقيل نزات في المنافقين الذين كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون ثواب الآخرة وقيل ان حل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات وأعمال البر على وجه الرياء والسمعة قال مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء وهذا القول مشكل لان قوله سبحانه وتعالى أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار لا يليق بحال المؤمن الا اذا قلنا ان تلك الاعمال الفاسدة والافعال الباطلة لما كانت غير الله استحق فاعلمها الوعيد الشديد وهو عذاب النار وبدل على هذا ما روى عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً غير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً ما ينفع به وجهه الله لا يتعلمه الا يصيب به غرض من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعني ربحها أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعودوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما جب الحزن قال وادنى جهنم تتعود منه جهنم كل يوم ألف مرة قيل يا رسول الله من يدخله قال القراء المرأون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال البغوي وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده الناس عليها وليعتقدوا فيه الصلاح وليقصدوه بالاعطاء فهذا العمل هو الذي غير الله تعودوا بالله من الخذلان قال البغوي وقيل هذا في الكفار يعني قوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها ما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وادته الآخرة غالبية فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة وروينا عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة ثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطمع بحسناته في الدنيا حتى اذا قضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خير أخرجه البغوي بغير سند قوله سبحانه وتعالى (أفمن كان على بينة من ربه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من كان يريد بعمله وجهه الله تعالى والدار الآخرة فقال سبحانه وتعالى أفمن كان على بينة من ربه أي من يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار وإنما خذف هذا الجواب لظهوره ودلالة الكلام عليه وقيل معناها أفمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينه الدين الذي أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينه اليقين يعني أنه على يقين من ربه أنه على الحق (ويتلوه شاهد منه) يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس وعلقمة وابراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين انه جبريل عليه السلام يريد أن جبريل يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو اسان النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي يعني علي بن أبي طالب رضی الله تعالى عنه أنت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله سبحانه وتعالى ويتلوه شاهد منه قال وددت اني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول ان اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل كالشاهد له لان اللسان هو آلة الفصل والبيان وبه يتلى القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لان اعجازه وبلغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم نبوته ولانه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه

كان عملهم في نفسه باطلا
لانه لم يعمل لغرض صحيح
والعمل الباطل لا ثواب له
(أفمن كان على بينة من ربه)
أمن كان يريد الحياة الدنيا
مكن كان على بينة من ربه
أي لا يعقبونهم في الميزلة
ولا يقار بونهم يعني ان بين
الفر يقين تبايننا وأراد
هم من آمن من اليهود كعبد
الله بن سلام وغيره كان على
بينته من ربه أي على
برهان من الله وبيان ان
دين الاسلام حق وهو
دليل العقل (ويتلوه)
ويتبع ذلك البرهان
(شاهد) يشهد بصحته
وهو القرآن (منه) من
الله أو من القرآن فقد مر
ذكره آنفا

وسلم ووجه هذا القول ان من نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم انه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله قال علي بن ابي طالب ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه الآية والآية فقال له رجل وأنت أي آية نزلت فيك فقال علي ما نقرأ الآية التي في هود ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد على بن ابي طالب وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد نشر يف هذا الشاهد وهو على لانصالة بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني الانجيل وهو اختيار الفراء والمعنى ان الانجيل يتلوا القرآن في التصديق بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم والامر بالايمان به وان كان قد نزل قبل القرآن ﴿وقوله سبحانه وتعالى (ومن قبله)﴾ يعني ومن قبل نزول القرآن وارسال محمد صلى الله عليه وسلم (كتاب موسى) يعني التوراة (امامو رحمة) يعني انه كان اماما لهم يرجعون اليه في أمور الدين والاحكام والشرايع وكونه رحمة لانه الهادي من الضلال وذلك سبب حصول الرحمة ﴿وقوله تعالى (أولئك يؤمنون به)﴾ يعني أن الذين وصفهم الله بانهم على بينة من ربهم هم المشار اليهم بقوله أولئك يؤمنون به يعني بحمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن يكفر به) يعني بحمد صلى الله عليه وسلم (من الاحزاب) يعني من جميع الكفار وأصحاب الاديان المختلفة فتدخل فيه اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاوثان وغيرهم والاحزاب الفرق الذين تجزوا ونجمعوا على مخالفة الانبياء (فالتار موعده) يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي أرسلت به الا كان من أصحاب النار قال سعيد بن جبير ما بلغت حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه الا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسجد في أحد من هذه الامة الحديث قال سعيد فقلت أين هذا في كتاب الله حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى الى قوله سبحانه وتعالى ومن يكفر به من الاحزاب فان نار موعده قال فالاحزاب أهل الملل كلها ﴿ثم قال سبحانه وتعالى (فلاتك في صرية منه انه الحق من ربك)﴾ فيه قولان أحدهما ان معناه فلاتك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراء والقول الثاني أنه راجع الى قوله ومن يكفر به من الاحزاب فان نار موعده يعني فلاتك في شك من ان النار موعده من كفر من الاحزاب والخطاب في قوله فلاتك في صرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط وبعض هذا القول سياق الآية وهو قوله سبحانه وتعالى (واكن أ كثر الناس لا يؤمنون) يعني لا يصدقون بما أوحينا اليك أو من ان موعده الكفار النار قوله عز وجل (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) يعني أي الناس أشد تعديا بمن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم ان له شريكا أو ولدا في الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لان قوله تعالى ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ورد في معرض المبالغة (أولئك) يعني المفترين على الله الكذب (يعرضون على ربهم) يعني يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا (ويقول الاشهاد) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس هم الانبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الاشهاد الخلق كلهم (هو لاء الذين كذبوا على ربهم) يعني في الدنيا وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله (الأعنة الله على الظالمين) يعني يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمة (ق) عن صفوان بن محرز الماضي قال بينما ابن عمر يطوف بالبيت اذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرر بهذنو به تعرف ذنب كذا

(ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة أي ويتلو ذلك البرهان بضامن قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (اماما) كتابا مؤتمنا به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ورحمة عظيمة على المنزل اليهم وهما حالان (أولئك) أي من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به) بالقرآن (من الاحزاب) يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتجزئين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالتار موعده) مصيره ومورده (فلاتك في صرية) شك (منه) من القرآن أو من الموعده (انه الحق من ربك) واكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم (يعرضون على ربهم) يعرضون على ربهم (ويقول الاشهاد هو لاء الذين كذبوا على ربهم) ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبیین بانهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا (الأعنة الله على الظالمين) الكاذبين على ربهم والاشهاد جمع شاهد كصاحب وصاحب أو شهيد كشراف وأشرف

(الذين يصدون عن سبيل الله) يصرفون الناس عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة أو يبغون أهاها أن
يهوجوا بالارتداد (وهم بالآخرة هم كافرون) هم الثانية لنا كيد كفرهم بالآخر (٣٤٧) واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا)

أى ما كانوا (مجزين في
الارض) بمجزين الله في
الدنيا أن يعاقبهم لو أراد
عقابهم (وما كان لهم من
دون الله من أولياء) من
يتولاهم فينصرهم منه
وينعمهم من عقابه ولكنه
أراد انظرهم وتأخير
عقابهم الى هذا اليوم وهو
من كلام الاشهاد (بضعف
لهم العذاب) لانهم أضلوا
الناس عن دين الله يضعف
مكي وشامى (ما كانوا
يستطيعون السمع) أى
استماع الحق وما كانوا
يبصرون الحق (أولئك
الذين خسروا أنفسهم) حيث
اشترى عبادة الآلهة بعبادة
الله (وضل عنهم) وبطل
عنهم وضاع ما اشتروه وهو
(ما كانوا يفترون) من
الآلهة وشفاعتها (لاجرم
أنهم في الآخرة هم
الاخسرون) بالصد
والصدود وفي لاجرم أقوال
أحدها أن لاردل كلام
سابق أى ليس الامر كما
زعموا ومعنى جرم كسب
وفاعله مضمر وانهم في
الآخرة في عمل النصب
والتقدير كسب قولهم
خسرانهم في الآخرة
وانها أن لاجرم كما

وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فية ولست سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب
حسابه وفي رواية ثم تطوى صحيفة حسناته وأمال الكفار والمنافقون فيقول الاشهداد وفي رواية فينادى
بهم على رؤس الاشهداد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألألعنة الله على الظالمين قوله سبحانه وتعالى
(الذين يصدون عن سبيل الله) هذه الآية متصلة بما قبلها والمعنى ألألعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين
يصدون عن سبيل الله يعنى بمنع الناس من الدخول في دين الله الذى هو دين الاسلام (ويبغونها عوجا)
يعنى ويطلبون القاء الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة على صحة دين الاسلام (وهم بالآخرة هم
كافرون) يعنى وهم مع صدقهم عن سبيل الله يحجدون البعث بعد الموت ويشكرونه (أولئك) يعنى من هذه
صفهم (لم يكونوا مجزين في الارض) قال ابن عباس يعنى سابقين وقيل هار بين وقيل فأتين في الارض
والعنى أنهم لا يجزون الله اذا أرادهم بالعذاب والانتقام منهم ولكنهم في قبضته ولملكه لا يقدر على
الامتناع منه اذا طابهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يعنى وما كان لهؤلاء المشركين من أنصار
ينصرونهم من دون الله اذا أرادهم سواء أو عذابا (بضعف لهم العذاب) يعنى في الآخرة يزداد عذابهم بسبب
صدقهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت (ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون)
قال قتادة صواعن سماع الحق فاليسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فأيأخذون به وقال ابن
عباس أخبر الله سبحانه وتعالى أنه ألك بين أهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة ما في الدنيا فانه قال
ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته وما كانوا يبصرون وأما في الآخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة
أبصارهم (أولئك الذين خسروا أنفسهم) يعنى ان هؤلاء الذين هذصفتهم هم الذين غبنوا أنفسهم
حظوظهم ارحمة الله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) يعنى وبطل كذبهم وافسدهم وفرقتهم على الله
وادعاهم أن الملائكة والاصنام تشفع لهم (لاجرم) يعنى حقا وقال الفراء لا محالة (انهم في الآخرة هم
الاخسرون) لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين ﴿ قوله
عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) لماذا كره الله عز وجل أحوال الكفار في
الدنيا وخسرانهم في الآخرة أتبعه به بذ كراهة احوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الآخرة والاخبار في اللغة
هو الخشوع والخضوع وطماينة القلب وانظ الاخبار يتعدى بالى وباللام فاذا قلت أخت فلان الى كذا
فمعناه اطمأن اليه واذا قلت أخت له فمعناه خضع وخضع له فقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اشارة الى
جميع أعمال الجوارح وقوله وأخبتوا اشارة الى أعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله عز وجل يعنى
ان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الآخرة لا يحصل أعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فرنا
الاخبار بالطمأنينة كان معنى الكلام أنهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئين الى صدق وعد الله بالثواب
والجزاء على تلك الاعمال أو يكونون مطمئين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فرنا الاخبار بالخشوع
والخشوع كان معناه أنهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين أن لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع
(اولئك) يعنى الذين هذه صفتهم (أصحاب الجنة فيها خالدون) أخبر عن حالهم في الآخرة بانهم من أهل
الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال ﴿ قوله سبحانه وتعالى (مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير
والسميع) لماذا كره الله سبحانه وتعالى أحوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق
ومن الصمم عن سماعه وذ كراهة احوال المؤمنين وما كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والاتباع لاطاعة

ركبتا فصار معناه محققا وان في موضع رفع بانه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها أن معناه لا محالة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا
الى ربهم) واطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادة بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المظلمة (اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع

(هل يستويان) يعني الفر يقين (مثلاً) تشبيهاً وهو نصب على التمييز (أفلا تذكرون) فتنفعون بضرب المثل (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه
 أني لكم نذير مبين) أي باني والمعنى أرسلناه ملتبساً بهذا الكلام وهو قوله أني لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كفتح في كان
 والمعنى على الكسر وبكسر الالف سمي ونافع وعاصم وحزرة على ارادة القول (أن لا تعبدوا الا الله) أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير
 أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) وصف اليوم باليوم من الاسناد المجازي لوقوع الام فيه. (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يريد الاشراف
 لاهم يملئون القلوب هية (٣٤٨) والجاس أهبة أولاهم ملؤا بالاحلام والآراء الصائبة (ما تراك الا بشراً مثلنا)

أراد انه كان ينبغي أن
 يكون ملكاً وملكاً
 (وما تراك اتبعك الا الذين
 هم أراذلنا) أخسأ وناجع
 الارذل (بادي) وبالهمزة
 أبو عمرو (الرأي)
 وبغير همز أبو عمرو رأي
 اتبعوك ظاهر الرأي أو
 أول الرأي من بدا يبدو
 اذا ظهر أو بدأ يبدأ اذا
 فعل الشئ أو لا واتصابه
 على الظرف أصله وقت
 حدوث ظاهر رأيهم أو
 أول رأيهم - مخذف ذلك
 وأقيم المضاف اليه مقامه
 أرادوا أن اتباعهم لك شئ
 عن لهم بديهية من غير روية
 ونظروا لوتفكر واما اتبعوك
 وانما استرذلو المؤمنين
 لفقرهم وتأخرهم في
 الاسباب الدنيوية لانهم
 كانوا جهالا ما كانوا
 يعامون الا ظاهراً من
 الحياة الدنيا فكان
 الاشراف عندهم من له جاه
 ومال كآثرى أكثر التسمين
 بالاسلام يعتقدون ذلك
 وينون عليه اكرامهم

ضرب لهم مثلاً فقال تبارك وتعالى مثل الفر يقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالأعمى وهو
 الذي لا يهتدى لرشدته والاصم وهو الذي لا يسمع شيئاً البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على ماهيتها
 والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويحيب الداعي فمثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل
 في نفسه ومثل الكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه (هل يستويان مثلاً) قال الفراء
 لم يقل هل يستويون لأن الأعمى والاصم في حين كآتهم واحد وعمامن وصف الكافر والبصير والسميع في حين
 كآتهم واحد وعمامن وصف المؤمن (أفلا تذكرون) يعني فتعظون قوله عز وجل (ولقد أرسلنا
 نوحاً إلى قومه أني لكم نذير مبين) يعني أن نوحاً عليه السلام قال اقومه حين أرسله الله اليهم اني لكم أيها
 القوم نذير مبين يعني بين النذارة أو خوف بالعقاب من خالف أمر الله وعبد غيره وهو قوله سبحانه وتعالى
 (أن لا تعبدوا الا الله أني أخاف عليكم عذاب يوم أليم) يعني ولم موجع قال ابن عباس بعث نوح بعد
 أربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة فكان عمره ألفاً وخمسين
 سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة ومكث
 يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره ألفاً وبعائة
 وخمسين سنة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه) يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح (ما تراك) يانوح
 (الابشراً مثلنا) يعني آدمياً مثلاً الافضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يتنوع اشتهاه الى
 حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتسمكوا بهذه الشبهة جهلاً منهم
 لان من حق الرسول أن يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المحبة
 الدالة على صدقه ولا يتأتى ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه وبنبوته وأرسله الى
 عباده ثم قال سبحانه وتعالى اخبارا عن قوم نوح (وما تراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) يعني
 سفلتنا والارذل الدون من كل شئ قيل هم الحاكمة والاسا كفته وأصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك
 جهلاً منهم أيضاً لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف والبال والمناصب العالية بل
 للفقراء الخاملين وهم أتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين (بادي الرأي) يعني
 انهم اتبعوك في أول الرأي من غير تثبت وتفكر في أمرك ولو تفكر واما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأي يعني
 اتبعوك ظاهراً من غير أن يتفكروا باطناً (وما تراك) لكم علينا من فضل) يعني بالمال والشرف والجاه وهذا
 القول أيضاً جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة (بل نظنكم
 كاذبين) قيل الخطاب لنوح ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ
 الجمع للواحد على سبيل التعظيم (قال) يعني نوحاً (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعني على بيان
 ويقين من ربي بالذي أنذرتكم به (وأتاني رحمة من عنده) يعني هداية ومعرفة ونبوة (فعميت عليكم)

واهانهم وانتزل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحد من الله وانما ما يبغده ولا يرفعه بل يضعه (وما تراك) يعني
 علينا من فضل) في مل ورأي عنوانوا واتباعه (بل نظنكم كاذبين) أي نوحاً في الدعوة ومتبعيه في الاجابة والتصديق يعني تواطأتم على
 الدعوة والاجابة تسيباً للرياسة (قال يا قوم أرايتم) أخبروني (ان كنت على بينة) برهان (من ربي) وشاهد منه يشهد بصحة دعواي
 (وأتاني رحمة من عنده) يعني النبوة (فعميت عليكم) أي خفيت عليكم (فعميت عليكم) أي خفيت أي خفيت أي خفيت أي خفيت فلم تهتم
 كالوعى على القوم دليلهم في المغازاة بقوا بغير هاد وحقيقته أن الخجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الأعمى لا يهتدى ولا يهتدى غيره

(أَنْزَلَكُمْهَا) أَي الرِّجَّةَ (وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) لِأَنَّ يَدُونَهَا وَالْوَادِخَلَتْ هِنَا نَمَتَ لِلْمِيمِ وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو اسْكَانَ الْمِيمِ وَوَجْهَهُ أَنَّ الْحَرَكَةَ لَمْ تَسْكُنِ الْإِخْلَاصَةَ خَفِيضَةً فَظَنَّهَا الرَّائِي سَكُونًا وَهُوَ لِحْنٌ لِأَنَّ الْحَرَكَةَ الْإِعْرَابِيَّةَ لَا يَسُوغُ طَرَجَهَا إِلَّا فِي ضَرُورَةِ الشَّعْرِ (وَيَأْقُومُ لِأَسْتَلْكُمْ عَلَيْهِ) عَلَى تَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ لِأَنَّهُ مَدْلُوقٌ قَوْلُهُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ (مَالًا) أَجْرًا يَثْقُلُ عَلَيْكُمْ إِنْ أَدْبَيْتُمْ (٣٤٩) أَوْ عَلَى إِنْ أَيْتُمْ (إِنْ أَجْرِي) مَدْنِي وَشَامِي

وَأَبُو عَمْرٍو وَحَفْصُ
(الْإِعْلَى) اللَّهُ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ
الَّذِينَ آمَنُوا) جَوَابُ
لَهُمْ حِينَ سَأَلُوا طَرْدَهُمْ
لِيُؤْمِنُوا بِهِ أَنْفُسَهُ مِنْ
الْمَجَالِسَةِ مَعَهُمْ (أَنْتُمْ مَلَاقُوا
رَبَّهُمْ) فَيَسْكُونُونَ إِلَيْهِ
إِنْ طَرَدْتَهُمْ (وَلَكِنِّي
أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ)
تَسْأَلُهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَيَدْعُوهُمْ أَرَأَيْتُمْ
تَجْهَلُونَ لِقَاءَ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ
خَيْرٌ مِنْكُمْ (وَيَأْقُومُ مِنْ
يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ) مِنْ
بَعْنِي مِنْ اتِّقَامِهِ (إِنْ
طَرَدْتُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ)
تَتَعَذَّبُونَ (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خِزَانٌ) فَادْعُنِي
فَضْلًا عَلَيْكُمْ بِالْفَتْنِ حَتَّى
تَجِدُوا فَضْلِي بِقَوْلِكُمْ
وَمَا تَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ
(وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) حَتَّى أَطَّلِعَ
عَلَى مَا فِي نَفْسِ اتِّبَاعِي
وَضَائِرِ قُلُوبِهِمْ وَهَسُو
مَعْطُوفٍ عَلَى عِنْدِي
خِزَانٌ أَي لَا أَقُولُ عِنْدِي
خِزَانٌ اللَّهُ وَلَا أَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ
الْغَيْبَ (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ)
حَتَّى تَقُولُوا مَا نَأْتِ الْإِنْسَانَ
بَشَرًا مِثْلَنَا (وَلَا أَقْسُولُ
لِلَّذِينَ يَزْدَرِي أَعْيُنَكُمْ)

يَعْنِي خَفِيضَةً وَأَلْبَسْتُ عَلَيْكُمْ (أَنْزَلَكُمْهَا) الْهَاءُ عَائِدَةٌ عَلَى الرَّجَّةِ وَالْمَعْنَى أَنْزَلْتُكُمْ أَيَّمَا الْقَوْمِ قَبُولَ الرَّجَّةِ
يَعْنِي أَنَا لَا تَقْدِرُ أَنْ تَزِلَّ مِنْكُمْ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا (وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ) وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ أَي
لَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ وَالَّذِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَسِّرُ لِي أَنْ أُضْطَرَّكُمْ إِلَى ذَلِكَ قَالَ قَتَادَةُ وَاللَّهُ
لَوْ اسْتَطَاعَ نَبِيُّ اللَّهِ لِأَزْمِهَا قَوْمَهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمَلِكْ ذَلِكَ (وَيَأْقُومُ لِأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ مَالًا) يَعْنِي لِأَسْأَلَكُمْ وَلَا أَطْلُبُ
مِنْكُمْ عَلَى تَبْلِيغِ الرَّسَالَةِ جَعَلَا (إِنْ أَجْرِي) الْعَلَى اللَّهُ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا) وَذَلِكَ أَنَّهُمْ طَلَبُوا مِنْ نُوْحٍ
أَنْ يَطْرُدَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ الْإِرْدَلُونَ فِي زَعْمِهِمْ فَقَالَ مَا يَجُوزُ لِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَبْتَعِدُونَ (أَنْتُمْ مَلَاقُوا رَبَّهُمْ) فَلَا
أَطْرُدُهُمْ (وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ) يَعْنِي عِظْمَةَ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّةَ رَبِّهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنْكُمْ تَجْهَلُونَ
إِنْ هُوَ لِوَالِدِ الْمُؤْمِنِينَ خَيْرٌ مِنْكُمْ (وَيَأْقُومُ مِنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ) يَعْنِي مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُمْ (يَعْنِي مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ عَذَابِ اللَّهِ إِنْ
طَرَدْتُمْ عَنِّي لِأَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ مَخْلُصُونَ (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) يَعْنِي فَتَتَعَذَّبُونَ (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزَانٌ) اللَّهُ
هَذَا عَظْفٌ عَلَى قَوْلِهِ لِأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ مَالًا وَالْمَعْنَى لِأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ مَالًا وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزَانٌ اللَّهُ يَعْنِي الَّتِي
لَا يَفْهَمُ شَيْءٌ فَادْعُوَكُمْ إِلَى اتِّبَاعِي عَلَيْهَا لِأَعْطَيْتُكُمْ مِنْهَا وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ الْخِزَانُ هُنَا بَعْنِي غِيُوبِ اللَّهِ وَمَاهُو
مَنْطُوعٌ عَنِ الْخَلْقِ وَاتِّمَاجٌ أَنْ يَكُونَ هَذَا جَوَابًا مِنْ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ قَالُوا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعْتَ إِلَّا
الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لِنَبَادِي الرَّأْيِ وَادْعُوا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا اتَّبَعُوهُ فِي ظَاهِرِ مَا يَرَى مِنْهُمْ وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُ مَتَّبِعِينَ
لَهُ فَقَالَ مَجِيبًا لَهُمْ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزَانٌ اللَّهُ الَّتِي لَا يَعْلَمُ مِنْهَا مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ عِبَادُهُ وَمَا يَظْهَرُ وَنَبَاهُ وَهُوَ إِنَّمَا
قِيلَ لِلْغِيُوبِ خِزَانٌ لِعَمُوضِهَا عَنِ النَّاسِ وَاسْتِتَارِهَا عَنْهُمْ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَوْلَى لِجَهْلِ الْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِهِ وَلَا
أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خِزَانٌ اللَّهُ وَبَيْنَ قَوْلِهِ (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) يَعْنِي وَلَا أَدْعِي عِلْمَ مَا يَغِيبُ عَنِّي مِمَّا يَسْرُوقُهُ فِي نَفْسِهِمْ
فَسَبِيلِي قَبُولُ إِيْمَانِهِمْ فِي الظَّاهِرِ وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي ضَائِرِهِمْ إِلَّا اللَّهُ (وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ) وَهَذَا جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ
مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا أَي لَا أَدْعِي إِنِّي مِنَ الْمَلَائِكَةِ بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلَكُمْ أَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْلَغُكُمْ مَا أُرْسَلْتُ بِهِ
إِلَيْكُمْ **فصل** اسْتَدْلُ بِبَعْضِهِمْ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى تَفْضِيلِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى الْإِنْبِيَاءِ قَالَ لِأَنَّ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ
وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا قَالَ أَنَا لَا أَدْعِي كَذَا وَكَذَا لَا يَحْسُنُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ أَشْرَفَ وَأَفْضَلَ
مِنْ أَحْوَالِ ذَلِكَ الْقَائِلِ فَمَا قَالَ نُوْحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْمَقَالَةُ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ أَفْضَلَ مِنْهُ وَالْجَوَابُ أَنْ
نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ فِي مَقَابِلَةِ قَوْلِهِمْ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا كَانَ فِي ظَنِّهِمْ أَنْ الرِّسْلَ لَا
يَكُونُونَ مِنَ الْبَشَرِ إِنَّمَا يَكُونُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَاعْلَمَهُمْ أَنَّ هَذَا ظَنٌّ بَاطِلٌ وَأَنَّ الرِّسْلَ إِلَى الْبَشَرِ إِنَّمَا يَكُونُونَ
مِنَ الْبَشَرِ فَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ دَرَجَةَ الْمَلَائِكَةِ أَفْضَلُ مِنْ دَرَجَةِ الْإِنْبِيَاءِ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنَكُمْ) يَعْنِي تَحْتَقِرُ وَتَسْتَصْغِرُ أَعْيُنَكُمْ يَعْنِي
الْمُؤْمِنِينَ وَذَلِكَ لِمَا قَالُوا أَنَّهُمْ أَرَادُوا لِنَا مِنْ الرِّدَالِ وَهُوَ الْخِصَّةُ (إِنْ يُؤْتِيهِمُ اللَّهُ خَيْرًا) يَعْنِي تَوْفِيقًا وَهُدَايَةً وَإِيْمَانًا
وَأَجْرًا (اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) يَعْنِي مِنَ الْخَبِيرِ وَالشَّرِّ (إِنِّي إِذْ لَمِنُ الظَّالِمِينَ) يَعْنِي إِنْ طَرَدْتُمْ مَكْذَبًا ظَاهِرًا
وَمَبْطُلًا لِإِيْمَانِهِمْ يَعْنِي إِنِّي فَعَلْتُ هَذَا فَأَكُونُ قَدْ ظَلَمْتُهُمْ وَأَنَا أَلْفَعُلُهُ فَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ (قَالُوا
يَا نُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا) يَعْنِي خَاصَمْتَنَا (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) يَعْنِي خَاصَمْتَنَا (فَأَنَا بِنَا تَعَدْنَا) يَعْنِي
مِنَ الْعَذَابِ (إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) يَعْنِي فِي دَعْوَاكَ إِنَّكَ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ

وَلَا أَحْكَمُ عَلَى مَنْ اسْتَرَدَّكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْلِهِمْ (لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا) فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِحُؤَانِهِ عَلَيْهِ مَسَاعِدَةٌ لَكُمْ وَنَزُولًا عَلَى هَوَاكُمْ (اللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ) مِنْ صَدَقِ الْإِعْتِقَادِ وَاتِّمَاجِ قَبُولِ ظَاهِرِ إِقْرَارِهِمْ إِذْ لَا أَطَّلِعُ عَلَى خَفِيِّ أَسْرَارِهِمْ (إِنِّي إِذْ لَمِنُ الظَّالِمِينَ) إِنْ قُلْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ
وَالْإِزْدِرَاءُ إِفْتِعَالٌ مِنْ ذَرِي عَلَيْهِ إِذَا عَابَهُ وَأَصْلُهُ تَزْرِي فَبَدَلْتُ التَّاءَ دَالًا (قَالُوا يَا نُوْحُ قَدْ جَادَلْتَنَا) خَاصَمْتَنَا (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأَنَا بِنَا تَعَدْنَا)
تَعَدْنَا) مِنَ الْعَذَابِ (إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ) فِي وَعْدِكَ (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ

ان شاء) أي ليس الايمان بالله - ذاب الى وانه هو الذي كفرتم به (وما أتم بهجزي بن) أي لم تقدر واعلى الهرب منه (ولا ينفعكم نصحي) هو
اعلام. ووضع النبي ليتقى والرشد ليقتنى والكنى اني نصحي مدني وأبو عمرو ٧ (ان أردت أن أضح لك ان كان الله يريد أن يغويكم) أي
يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثاني مقسداً في الحكم لما عرف تقديره ان كان الله يريد أن يغويكم لا ينفعكم نصحي ان
أردت أن أضح لكم وهو دليل بين لما (٣٥٠) في ارادة المعاصي (هور بكم) فيتصرف فيكم على قضية ارادته (واليه ترجعون)

ان شاء) يعني قال نوح لقومه حين استهملوه بانزال العذاب ان ذلك ليس الى انما هو الى الله ينزله متى شاء
وعلى من يشاء ان أراد انزال العذاب بكم (وما أتم بهجزي بن) يعني وما أتم بقايتين ان أراد الله نزول العذاب
بكم (ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أضح لك) يعني ولا ينفعكم انذارى وتحذيرى اياكم عقوبته ونزول
العذاب بكم (ان كان الله يريد أن يغويكم) يعني يضلكم وقيل بهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لان
الاغواء يؤدي الى الهلاك (هور بكم) يعني انه سبحانه وتعالى هو ملككم فلا تقدر ان يخرج من
سلطانه (واليه ترجعون) يعني في الآخرة فيجازيكم باعمالكم (أم يقولون افتراه) أي اختلقه وجاء به من
عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به (قل إن افتريته) أي اختلقته (فعل اجرامى) أي اثم
اجرامى والاجرام اقتراف السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى أنها كتسب الذنب وافتعله (وأنا بريء
مما يجرمون) يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين على أن هذا من محاوره نوح قومه فهمى من
قصة نوح عليه السلام وقال مقاتل أم يقولون بمعنى المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمداً صلى الله عليه
وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون هذه الآية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى
القصة فقال سبحانه وتعالى (وأوحى الى نوح أنه ان يؤمن من قومك الا من قدامن) قال ابن عباس ان قوم
نوح كانوا يضربون نوحاً حتى يسقط فيلغونه في لبدو يلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم
الثاني ويدعوهم الى الله وروى ان شيخاً منهم جاء متكئاً على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ
المجنون فقال يا أبت أمكنى من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحاً عليه السلام حتى شججه شجة منكراً
فأوحى الله اليه لن يؤمن من قومك الا من قدامن (فلا تبئس) يعني فلا تحزن عليهم فاني مهلككم (بما كانوا
يفعلون) يعني بسبب كفرهم وأفعالهم فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر على الارض من
الكافر بن ديار اوحى محمد بن اسحق عن عبد الله بن عمر الليثي انه بلغه انهم كانوا يبسطون نوحاً فيخنقونه
حتى يغشى عليه فاذا أفاق قال رب اغفر اقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء
وهو ينتظر الجليل بعد الجليل فلا يأتي قرن الا كان أحسن من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الآخر منهم
فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا نحن ونأفلا يقبلون منه شيئاً فمشكنا نوح الى الله عز وجل
فقال رب انى دعوت قومي ايلانهار الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافر بن ديار اوحى الله
سبحانه وتعالى اليه (واضع الفلك) يعني السفينة والفلك لفظ يطلق على الواحد والجمع (بأعيننا) قال ابن
عباس مرأى منا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا (ووحينا) يعني بامرنا (ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون)
يعنى بالطوفان والمعنى ولا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل ولا تخاطبني في ابنك كعبان
وامرأتك واعلة فانها ما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل أتى نوحاً فقال له ان ربك يأمرك أن تصنع الفلك
فقال كيف أصنعها ولست نجاراً فقال ان ربك يقول اصنع فانك بأعيننا فأخذ القودم وجعل ينجر ولا يخطئ
فصنعها مثل جوج الطير وهو قوله سبحانه وتعالى (واضع الفلك) يعني كما أمره الله سبحانه وتعالى قال

فيجازيكم على اعمالكم
(أم يقولون افتراه) بل
أقولون افتراه (قل ان
افتريته فولى اجرامى) أى
ان صحت انى افتريته فعلى
عقوبة اجرامى أى افترائى
يقال أجرم الرجل اذا
أذنب (وأنا بريء) أى
ولم يثبت ذلك وأنا بريء
منه ومعنى (مما يجرمون)
من اجرامكم فى اسناد
الافتراء الى فلاحوجه
لاعراضكم ومعادانكم
(وأوحى الى نوح أنه ان
يؤمن من قومك الا من قد
آمن) اقناط من ايمانهم
وأنه غير متوقع وفيه دليل
على أن لا ايمان حكم
التجدد كانه قال ان الذى
آمن يؤمن فى حادث الوقت
وعلى ذلك تخرج الزيادة
التي ذكرت فى الايمان
باقرآن (فلا تبئس بما
كانوا يفعلون) فلا تحزن
حزن بائس مستكين
والا بتاس افتعال مسن
البؤس وهو الحزن والفقر
والمعنى فلا تحزن بما فعلوه
من تكذيبك وابدائك
فقدحان وقت الانتقام من

أعدائك (واضع الفلك بايعنا) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفووظا وحقيقته ملتبساً بايعنا كأن الله معه
اعيننا نكوه من ان يريغ فى صنعته عن الصواب (ووحينا) وان اوحى اليك وانها ملك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم
كيف صنعة الفلك فأوحى الله اليه ان يصنعها مثل جوج الطير (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تددعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب
عنهم بشما عنتك (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل الى كفه (واضع الفلك) حكاية حال ماضية

(وكلم امر عليه ملا من قومه سخر وامنه) من عمله السفينة وكان يعملها في برية في ابعده موضع من الماء فكانوا يتصاحكون منه
ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا (351) من انا فان سخر منكم) عند رؤية

الاطلاك (كما تسخرون)
من عند رؤية الفلك روى
ان نوحا عليه السلام اتخذ
السفينة من خشب الساج في
سنتين وكان طولها ثمانمائة
ذراعاً وألفاً ومائتي ذراع
وعرضها خمسون ذراعاً
أوسمائه ذراعاً وطولها في
السماء ثلاثون ذراعاً وجعل
لها ثلاثة بطون فجعل في
البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن
والسباع والهوام وفي البطن
الاطول الدواب والانعام
وركب نوح ومن معه في
البطن الاعلى مع ما يحتاج
اليه من الزاد وجعل معه
جسد آدم عليه السلام
وجعله حاجزاً بين الرجال
والنساء (فسوف تعلمون
من بائيه) من في محل نصب
تعلمون أي فسوف
تعلمون الذي بائيه (عذاب
يخزيه) ويعني به اياهم
ويريد بالعذاب عذاب
الدنيا وهو العرق (ويجلى
عليه) وينزل عليه (عذاب
مقيم) وهو عذاب الآخرة
(حتى) هي التي يتبدأ
بعدها الكلام ادخلت
على الجملة من الشرط والجزاء
وهي غاية لقوله ويصنع
الفلك أي وكان يصنعها
الى أن جاء وقت الموعد

أهل السير لما أمر الله سبحانه وتعالى نوحاً بعمل السفينة قبل على عملها ولها عن قومه وجعل يقطع الخشب
ويضرب الحديد ويهيء القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يرون به وهو في عمله فيسخرون
منه ويقولون يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة وأقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم أهل
التوراة ان الله أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج وان يطليه بالقار من داخله وخارجه وأن يجعل طوله
ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً والذراع الى المنكب وان يحوله ثلاث طباق
سفلى ووسطى وعليا وأن يجعل فيه كوى فضة نوح كما أمره الله سبحانه وتعالى وقال ابن عباس اتخذ نوح
السفينة في سنتين فكان طولها ثمانمائة ذراعاً وعرضها خمسين ذراعاً وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً وكانت
من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن
الاطول الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى وجعل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال
قتادة وكان باهياً في عرضها وروى عن الحسن انه كان طولها ألفاً ومائتي ذراعاً وعرضها ستمائة ذراعاً والقول
الاول أشهر وهو ان طولها ثمانمائة ذراعاً وقال زيد بن أسلم مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ويقطعها ومائة
سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه السلام السفينة في ثلاثين سنة وروى انها ثلاثة طباق
الطبقة السفلى للدواب والوحوش والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثرت ارواث الدواب
أوحى الله سبحانه وتعالى الى نوح عليه السلام أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح
على الخنزير فوقع منه الفأر فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما أفسد القار في السفينة جعل يقرضها و يقرض
حباها أوحى الله سبحانه وتعالى اليه أن اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة
وهي القطعة والقطا فاقبلوا على القار فاكلوه قاله سبحانه وتعالى (وكلم امر عليه ملا من قومه) أي جماعة
من قومه (سخر وامنه) يعني استهزأ به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي كان يزعم انه نبي قد صار نجاراً وقيل قالوا
يا نوح ماذا صنعت قال اصنع بيتاً بمشي على الماء فضحكوا منه (قل) يعني نوحاً قومه (ان تسخروا منكم) انما قالوا
منكم كما تسخرون) يعني ان تستهزؤوا بنا في صنعنا فاننا نستجهلكم لئلا يرضى لكم ما يوجب سخط الله وعذابه
فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه السلام ان تسخروا منكم انما قالوا ان تسخروا منكم كما
تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله سبحانه
وتعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والمعنى ان انا زى غيب سخر يتكم بما اذ انزل بكم العذاب وهو قوله تعالى (فسوف
تعلمون) يعني فسوف تعلمون (من بائيه) يعني انا يا بائيه نحن أو اتم (عذاب يخزيه) يعني يهينه ويخجل عليه
عذاب مقيم) يعني في الآخرة فالرأب العذاب الاول عذاب الدنيا وهو العرق والرأب العذاب الثاني عذاب
الآخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له (حتى اذ جاء أمرنا وقاتر التنور) يعني وغلى
والقور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسم غير هذا فالدلك جاء في
القرآن بهذا اللفظ فخطوبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جاء هكذا بكل لفظ عربي وعجمي وقيل ان
لفظ التنور أصله أعجمي فتكلمت به العرب فصارعوا بيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور
فقال عكرمة والزهرى هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رأيت الماء قد فار على وجه
الارض فارك السفينة فعلى هذا يكون قد جعل فوراً ان التنور علامة لنوح على هذا الامر العظيم وقال
على فار التنور أي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور المسبح بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد

وما بينهما من الكلام حال من يصنع أي يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملا من قومه سخر وامنه وجواب كما سخر واو قال استثناف على
تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخر واو بدل من مر أو صفة للا (اذا جاء أمرنا) عذابنا (وقار التنور) هو كناية عن اشتداد الامر
وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من شجر الحوا فصار الى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الارض

والشعبى ان التنور هو الذى يجز فيه وهو قول أكثر المفسرين ورواه عن ابن عباس أيضاً وهذا القول أصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة أولى ولفظ التنور حقيقة فى اسم الموضوع الذى يجز فيه فوجب حمل اللفظ عليه فان قلت الانف واللام فى لفظ التنور للعهد وايس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رأيت الماء يشد تنوعه ويقوى فانج بنفسك ومن معك قلت لا يبعد أن يكون ذلك التنور معلوماً عند نوح عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حواء تجز فيه ثم صار الى نوح وقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك واختلفوا فى موضع التنور فقال مجاهد نبع الماء من التنور فعملت به امرأته فأخبرته وكان ذلك فى ناحية الكوفة وكان الشعبى يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبى اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور على عين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوراً التنور علامة لنوح عليه السلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنورا آدم وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروى عن ابن عباس انه كان بالهند قال والفوران الغليان (قلنا احل فيها) يعنى قلنا نوح احل فى السفينة (من كل زوجين اثنين) لا يستغنى أحدهما عن الآخر كالذكر والانثى يقال لكل واحد منهما زوج والمعنى من كل صنف زوجين ذكرًا وأنثى فحشر الله سبحانه وتعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطيير فجعل نوح يضرب بيديه فى كل جنس منها فيقع الذكرك فى يده والنبي والانثى فى يده اليسرى فيجعلهما فى السفينة (وأهلك) أى واحل أهلك ولدك وعيالك (الامن سبق عليه القول) يعنى بالهلاك وأراد به امرأته وأهلها وولدها كنعان (ومن آمن) يعنى واحل معك من آمن من قومك (وما آمن معه الا قليل) اختلفوا فى عدد من حل نوح معه فى السفينة فقال قتادة وابن جرير ومحمد بن كعب القرظى لم يكن فى السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلاثة بنين له وهم سام وحام ويافت ونساؤهم وقال الاعمش كانوا سبعة نوحا وبنيه وثلاث كنان له وقال محمد بن اسحق كانوا عشرة سوى نساءهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافت وستة نفر آمنوا بنوح وأزواجهم جميعا وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفرا رجلا وامرأة وقال ابن عباس كان فى السفينة ثمانون رجلا أحدهم جرحهم قال الطبرى والصواب من القول فى ذلك ان يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه الا قليل فوصفهم الله سبحانه وتعالى بانقله ولم يحدد عدداً بقدر ان يجاوز فى ذلك حد الله سبحانه وتعالى اذ لم يرد ذلك فى كتاب ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مقاتل حل نوح معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضاً بين الرجال والنساء وقصد نوح جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس أول ما حل نوح الدرة وآخر ما حل الحمار فلما أراد ان يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق ابايس بذنبه فلم تنتقل رجلاه وجعل نوح يقول له ويحك ادخل فيمنض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وان كان الشيطان معك فلم تزل على لسانه فلما اقلها نوح خلى سبيل الحمار فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح ماذا أدخلك على يا عبد الله قال لم تقبل ادخل وان كان الشيطان معك قال اخرج عنى يا عبد الله قال لا بد من أن تحماني معك فكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوى وقال الامام نضر الدين الرازى وأما الذى بروى ان ابايس دخل السفينة فبعد لانه من الجن وهو جسم نارى أو هوأى فكيف يفر من الغرق وأيضا فان كتاب الله لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه قال البغوى وروى عن بعضهم ان الحية والعقرب أتيا نوحا عليه السلام فقالتا حملنا معك فقال انك سبب البلاء فلا جاكما فقالتا حملنا فخصن ضمن لك أن لا نضر أحد اذ كرك فنقرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين لم تضره وقال الحسن لم يحمل نوح معه فى السفينة الا ما يلدو وبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم

(قلنا احل فيها) فى السفينة (من كل زوجين اثنين) تفسيره فى سورة المؤمنین (وأهلك الامن سبق عليه القول) عطف على اثنين وكذا (ومن آمن) أى واحل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول انه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا لعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وارادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ما أراد (وما آمن معه الا قليل) نوح وأهله وبنوه الثلاثة عليه السلام كانوا ثمانية ونساءهم وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافت ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعمائة نصفهم رجال ونصفهم نساء

(وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها) بسم الله متصل باركبوا احلا من الواوى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت احراؤها
 وقت ارسائها امان المجرى والمرسى للوقت واما لانهم امام صدر ان كالأجراء والارساء حذفت منها الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم
 وبجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها حجة برأسها غير متعاقبة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى ان نوحا عليه السلام أمرهم باركب ثم
 أخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى بسم الله اجراؤها وارساؤها وكان اذا أراد ان تجرى قال بسم الله فخرت واذا أراد ان ترسوقال
 بسم الله فرست مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى امام صدر أو وقت حزمة وعلى وحفص و بضم الميم وكسر الراء أبو عمر و والباقوت
 بضم الميم وفتح الراء (ان ربي لغفور) لمن آمن منهم (رحيم) حيث خاصهم (وهى تجرى بهم) متصل بحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله
 كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر
 وتمرة وهو ما يرفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل (٣٥٣) موجة منه بالجبل فى تراكمها

وارتفاعها (ونادى نوح
 ابنه) كنعان وقيل يام
 والجهور على انه ابنه
 الصلى وقيل كان ابن امرأته
 (وكان فى معزل) عن أبيه
 وعن السفينة مفعول من
 عزله عنه اذا نجاه وأبعده أو
 فى معزل عن دين أبيه
 (يانى) بفتح الياء عاصم
 اقتصارا عليه من الالف
 المبدلة من ياء الاضافة من
 قولك يانبا غيره بكسر
 الياء اقتصارا عليه من
 ياء الاضافة (اركب
 معنا) فى السفينة أى
 اسلم واركب (ولا تنكن
 مع الكافرين قال سآوى)
 الجأ (الى جبل يعصمى من
 الماء) يعنى من الغرق
 (قال لاعاصم اليوم من
 أمر الله الامن رحم) الا
 الراحم وهو الله تعالى أولا

يحمل منها شيئا ١٠٠ قوله سبحانه وتعالى (وقال اركبوا فيها) يعنى وقال نوح لمن حمل معه اركبوا فى السفينة
 (بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم) يعنى بسم الله اجراؤها وارساؤها وقال الضحاك كان نوح
 اذا أراد ان تجرى السفينة قال بسم الله فتجى وكان اذا أراد ان ترسو يعنى تقف قال بسم الله فترسوا أى
 تقف وهذا تعاليم من الله اعباده أنه من أراد أمرا فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت
 الشروع حتى يكون ذلك سببا للنجاح والفلاح فى سائر الامور (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) الموج
 ما لرفع من الماء اذا اشتدت عليه الرياح شبهه سبحانه وتعالى بالجبال فى عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء
 بالسير ارسل الله المطر أربعين يوما وباله وخرج الماء من الارض فذلك قوله سبحانه وتعالى ففتحتنا أبواب
 السماء بماء منهمر وجرا نالارض عيوننا فاللقى الماء على أمر قد قدر يعنى صار الماء نصفين نصفان السماء
 ونصفان الارض وارتفع الماء على أعلى جبل وأطوله أربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى أغرق كل
 شىء ورى انه لما كثرت الماء فى السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت
 به الى الجبل حتى بلغت ثائه فالتقى الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فامسختها الماء ذهبت حتى استوت
 على الجبل فامس باغ الماء الى رقبتهما رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فاغرقهما فلو رحم الله نهم
 أحد الرحم أم الصبي (ونادى نوح ابنه) يعنى كنعان وكان كافرا (وكان فى معزل) يعنى عن نوح لم يركب
 معه (يانى اركب معنا) يعنى فى السفينة (ولا تنكن مع الكافرين) يعنى فتملك معهم (قال)
 يعنى قال كنعان (سآوى) يعنى سألتجى وأصير (الى جبل يعصمى) يعنى يعنى (من الماء قال) يعنى
 قال له نوح (لا عاصم) يعنى لا مانع (اليوم من أمر الله) يعنى من عذابه (الامن رحم) يعنى الامن رحمه
 الله فينجيه من الغرق (وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) يعنى كنعان (وقيل) يعنى بعد ماتناهى
 اطوفان وأغرق الله قوم نوح (يا أرض ابلعى ماءك) أى اشر بيه (ويا سماء أقمى) أى أمسكى (وغيض
 الماء) أى نقص ونضب يقال غاض الماء اذا نقص وذهب (وقضى الامر) يعنى وفرغ من الامر وهو هلاك
 قوم نوح (واستوت) يعنى واستقرت السفينة (على الجودى) وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل
 (وقيل بعدا) يعنى هلاكا (للقوم الظالمين) قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث نوح الغراب

(٤٥ - (خازن) - ثانى) عاصم اليوم من الطوفان الامن رحم الله أى لا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك انه لما
 جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم يعصمك قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى
 السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله نالهم به من علم الاتباع الطن (وحال بينهما الموج) بين
 ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فكان من المغرقين) فصار أو فكان فى علم الله (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) الشقى وتشربى والبلع النشف
 (ويا سماء أقمى) أمسكى (وغيض الماء) نقص من غاضه اذا نقصه وهو لازم وتعد (وقضى الامر) وانجز ما وعد الله نوحا من اهلاك قومه
 (واستوت) واستقرت السفينة بعد ان طافت الارض كلها ستة أشهر (على الجودى) وهو جبل بالموصل (وقيل بعد اللقمة للظالمين) أى
 سحق القوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبعدا اذا أرادوا البعد البعيدا من حيث اهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء والنظر فى
 هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان

وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فتقول ان الله تعالى لما أراد ان يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان تقطع طوفان السماء فانقطع وأن غيظ الماء النازل من السماء فغيض وأن تقضى أمر نوح وهو انجاز ما كنا وعدناه من اغراق قومه ففتى وأن سوى السفينة على الجودي فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالامر الذي لا يتأتى منه لكمال هيئته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ في تكوين المقصود تصوير الاقتداره العظيم وان السموات والارض منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير متمعة لارادته فيها تغييرا وتبديلا كما هم اقلاء بمنزلة حق معرفته وأحاطوا بما بوجوب الانقياد لامره والاذعان لحكمه وتحتم بذل الجهود عليهم في تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا انظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للحمد وهو بأرض وبأسماء ثم قال مخاطبا لهما يا أرض وبأسماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال الجزاء في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهب الى مقرخى ثم استعار الماء للغذاء تشبيها بالغذاء لتقوى الارض بالماء في الانبات كتنقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز لاتصال الماء بالارض كاتصال الملك بالملك ثم اختار لاحتباس المطر الافلاج الذي هو ترك الفاعل للفعل للشبه بينهما في عدم التأتى ثم قال وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد ولم يصرح عن غاض الماء ولا بمن قضى الامر وسوى السفينة وقال بعد اكمال لم يصرح بقائل بأرض وبأسماء لولا كافي كل واحد من ذلك لسبيل الكناية وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكون من مكون قاهر وان فاعلها واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى أن يقول غيره بأرض ابلى ماءك وبأسماء أقامى ولا أن يكون الغائض والقاضى والمسوى غيره ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيهها السلكى (٣٥٤) مسلكهم في تكذيب الرسل ظلمنا لانفسهم اظهرا المكان السخط وأن ذلك

العذاب الشديد ما كان الاظلمهم * ومن جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة فيها وجهه كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك انه اختير يادون أخواتها لكونها أكثر استعمالا ولانها على بعد المنادى الذي يستدعيه

ليأتيه بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع اليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجاءها بالطين فعلم نوح ان الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فاندلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة بالخضرة التي في عنقها وادعاه بالامان فن ثم نال البيوت وروى أن نوحا عليه السلام ركب السفينة لعشر بقين من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت الحرام وقدر فعه الله من الغرق وبقى موضعه فطافت السفينة به سبعا وأودع الحجر الاسود جبل أبي قبيس وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه السلام وأمر جميع من معه بصيامه شكر الله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهى أول قرية عمرت على وجه الارض بعد الطوفان وقيل انه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل الى حجزته وسبب نجاة من اهلاك ان نوحا عليه السلام احتاج الى خشب ساج

مقام اظهرا العظمة والملكوت وابداء العزة والخبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن

لاجل

بالتهاون به ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون اذا الاضافة تستدعى القرب ولم يقل يايتها الارض للاختصار واختير لفظ الارض والسماء لكونهما أخف وأدور واختير ابلى على ايتامى لكونه أخصر وللمجانس بينه وبين أقلمى وقيل أقلمى ولم يقل عن المطر وكذلك لم يقل يا أرض ابلى لماءك فبلعت وبأسماء أقلمى فالقت اختصارا واخترا غيظ على غيظ وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والامر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودي أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبار البناء الفعل للفاعل مع السفينة في قوله وهى تجرى بهم ارادة للمطابقة ثم قيل بعد اللقوم ولم يقل ليعبد القوم طلبا للتأكييد مع الاختصار هذا من حيث النظر الى تركيب الكلام وأما من حيث النظر الى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الامر فقيل يا أرض ابلى وبأسماء أقلمى ولم يقل ابلى يا أرض أو أقلمى بأسماء جريا على مقتضى الكلام فيمن كان مأورا حقيقة من تقديم التنبيه ليهتكن الامر الوارد عقبيه في نفس المنادى قصد بذلك لغنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأه لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله اقصة الماء وأخذ به بحجزتها ثم ذكر ما هو المقصود وهو قوله وقضى الامر أى أنجز الموعد ومن اهلاك الكفرة وانجاء نوح ومن معه في الفلك وعلى هذا فاعتبر * ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كما ترى نظم للمعاني لطيف وتأية لها ملخصة مبينة لاتعقيد بعثر الفكر في طلب المراد ولا التواء بشيك الطر بقى الى المرتاد ومن جهة الفصاحة اللفظية فالفاظها على ما ترى عريبة مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسلة على الاسلات كل منها كالماء في السلاسة وكاعسل في الخلاوة وكالنسيم في الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الايمان بمثل هذه الآية ولله درشان التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته الأدرى لطائف لانسع الحصر ولا نظن الآبئة مقصورة على المذكور فلعلى المتروك أكثر

من المسطور

(ونادى نوح ربه فقال رب) نداء ربه دعاؤه وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله (ان ابني من أهلي) أى بعض أهلي لانه كان ابنه من صلبه أو كان ربيبا له فهو بهض أهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد (٣٥٥) نعهده فهو الحق الثابت الذى لا شك فى

انجاز الوفاء به وقد وعدتني
أن تنجي أهلي فبالولدى
(وأنت أحكم الحاكمين)
أى أعلم الحكام وأعدلهم
اذلا فضل الحاكم على غيره
الابالعلم والعدل ورب
غويق فى الجهل والجور
من متقادى الحكومة فى
زمانك قد لقب أفضى
القضاة ومعناه أحكم
الحاكمين فاعتبر واستعبر
(قال يانوح انه ليس من
أهلك) تم عمل لا تقضاء
كونه من اهله بقوله (انه
عمل غير صالح) وفيه
ايدان بان قرابة الدين
غامرة لقرابة النسب وان
نسيبك فى دينك وان كان
حبشيا وكننت قرشيا
اصيقتك ومن لم يكن على
دينك وان كان أمس
أقاربك رحما فهو أبعد
بعيد منك وجعلت ذاته
عملا غير صالح مبالغة فى
ذمه كقولها * فأنما هي
اقبال وادبار * أو التقدير
أنه ذو عمل وفيه اشعار
بأنه إنما أنجي من أنجي من
أهله لصالحهم لالأنهم أهله
وهذا لما اتقى عنه العمل
لم تنفعه بوثه عمل غير صالح
على قال الشيخ أبو منصور
رحمه الله كان عند نوح

لاجل السفينة فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام الى نوح فنجاه الله من الغرق لذلك فان قلت كيف اقتضت الحكمة الالهية والكرم العظيم اغراق من لم يلبغوا الحلم من الاطفال ولم يدخا لوانحت التكليف بذنوب غيرهم قلت ذكر بعض المفسرين ان الله عز وجل أعقم أرحام نساءهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوى لانه يرد عليه اغراق جميع الدواب والحوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد على ذلك أيضا هلاك اطفال الامم الكافرة مع آبائهم غير قوم نوح والجواب الشافى عن هذا كله ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عماله فعل وهم يستلون ٥ قوله عز وجل (ونادى نوح ربه) أى دعاه وسأله (فقال رب ان ابني من أهلي) يعنى وقد وعدتني أن تنجينى وأهلي (وان وعدك الحق) يعنى الصدق الذى لا يخاف فيه (وأنت أحكم الحاكمين) يعنى انك حكمت القوم بالنجاة وحكمت على قوم باهلاك قال يعنى قال الله تعالى (يانوح انه) يعنى هذا الابن الذى سألتني نجاته (ليس من أهلك) اختلاف عاصم التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح اصله أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد نوح من غير نوح ولم يعلم بذلك قال انه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر ٧ الباقر كان ابن امرأة نوح وكان يعلمه نوح ولذلك قال من أهلي ولم يقل منى وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد ابن جبير والضحاك وأكثر المفسرين انه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح والقولان الاولان ضعيفان بل باطلان ويدل على صحة هذا نقل الجمهور لما صح عن ابن عباس أنه قال ما بغت امرأة نبي قط ولا ن الله سبحانه وتعالى نص عليه بقوله سبحانه وتعالى ونادى نوح ابنه ونوح صلى الله عليه وسلم أيضا نص عليه بقوله يابني اركب معنا وهذا نص فى الدلالة وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر من خالفه لانه استبعد أن يكون ولد نبي كافر وهذا خطأ من قاله لان الله سبحانه وتعالى خلق خلقه فريق فى الجنة وهم المؤمنون وفريق فى السعير وهم الكفار والله سبحانه وتعالى يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق فى ذلك بين الانبياء وغيرهم فان الله سبحانه وتعالى أخرج قابيل من صلب آدم عليه السلام وهو نبي وكان قابيل كافرا وأخرج ابراهيم من صلب آزر وهو نبي وكان آزر كافرا وكذلك أخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح وهو نبي فهو المتصرف فى خلقه كيف يشاء فان قلت فعلى هذا كيف ناداه نوح فقال اركب معنا وسأله النجاة مع قوله رب لا تذرعلى الارض من الكافرين ديارا قلت قد ذكر بعضهم أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير أنه يعلم كفره انما حمله على أن ناداه رقة الابوة واعلمه اذ ارأى تلك الاحوال أن يسلم فينجيه الله بذلك من الغرق فاجابه الله عز وجل بقوله انه ليس من أهلك يعنى أنه ليس من أهل دينك لان أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجرى مجراهم واما حكمت الشريعة برفع حكم النسب فى كثير من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله سبحانه وتعالى انوح انه ليس من أهلك (انه عمل غير صالح) قرأ الكسائى ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بفتح الراء على عود الفعل على الابن ومعناه أنه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرأ الباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين وغير بضم الراء ومعناه أن سؤالك اياي أن أنجيته من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعد ما حكم عليه باهلاك بعيد فلهذا قال سبحانه وتعالى انه عمل غير صالح ويجوز أن يعود الضمير فى أنه على ابن نوح أيضا ويكون التقدير على هذه القراءة ان ابنيك ذو عمل أو صاحب عمل غير صالح كقوله المضاف كما قالت الخنساء

عليه السلام ان ابنه كان على دينه لانه كان ينافى والا لاحتدل ان يقول ابني من أهلي ويسأله نجاته وقد سبق منه النهي عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبني فى الذين ظاهروا منهم فمرفوق فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لئيباعه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلع الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السر

والظاهر (فلاتسألن) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفي تسألني بصري تسألني مدني تسألن شامي فحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألن مكى (مالييس لك به علم) بجواز مسئلته (انى أعظك أن تكون من الجاهلين) هو كانهى رسوانا بقوله فلات تكون من الجاهلين (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك مالييس لى به علم) أى من أن أطلب منك فى المستقبل ما لا علم لى بصحته تأدبا بأدبك واتعظا به وعظمتك (والاتفغلى) فطرطنى (٣٥٦) (وترحنى) بالعصمة عن العود الى مثله (أكن من الخاسرين قيل يانوح اهبط بسلام منا)

* فاعلمى اقبال وادبار * قال الواحدى وهذا قول ابى اسحق يعنى الزجاج وأبى بكر بن الانبارى وأبى على الفارسى قال أبو على ويجوز أن يكون ابن نوح عمل عملا غير صالح فجعلت نفسه ذلك العمل لكثرة ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا الاحذف (فلاتسألن مالييس لك به علم) وذلك أن نوحا عليه السلام سأل ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على ولده وهو لا يعلم أن ذلك محذور لاصرار ولده على الكفر فهاد الله سبحانه وتعالى عن مثل هذه المسألة وأعلمه أن ذلك لا يجوز فكان المعنى فلاتسألنى مالييس لك به علم بجواز مسئلته (انى أعظك) يعنى أنهاك (أن تكون من الجاهلين) يعنى لمثل هذا السؤال (قال) يعنى قال نوح (رب انى أعوذ بك) يعنى ألتجأ اليك وأعتز اليك (أن أسألك مالييس لى به علم) يعنى انك أنت علام الغيوب وأنا لا أعلم ما غاب عنى فاعتذر اليك من مسئلتى مالييس لى به علم (والاتفغلى) يعنى جهلى واقدمى على سؤال مالييس لى به علم (وترحنى) يعنى برحمتك التى وسعت كل شىء (أكن من الخاسرين)

فصل وقد استبدل بهذه الآيات من لا يرى عصمة الانبياء * وبيانه أن قوله انه عمل غير صالح المراد منه السؤال وهو محذور فلهذا نهاه عنه بقوله فلاتسألنى مالييس لك به علم وقوله سبحانه وتعالى انى أعظك أن تكون من الجاهلين يدل على أن ذلك السؤال كان جهلا فيه زجر وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه والجواب أن الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه وأهله فاخذ نوح ظاهر اللفظ واتبع التأويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك فى وعد الله سبحانه وتعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب فعاتبه الله عز وجل على سؤاله مالييس لك به علم وبين له أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح وأعلمه الله سبحانه وتعالى أنه مغرق مع الذين ظاهروا ونهادوا عن مخاطبته فيهم فاشفق نوح من اقدمه على سؤال ربه فيما لم يؤذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك فاجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاد به وسأله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار سيئات المقر بين واپس فى الآيات ما يقتضى صدور ذنب ومعصية من نوح عليه السلام سوى تأويله واقدمه على سؤال مالم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب ولا معصية والله أعلم ﴿ قوله سبحانه وتعالى قيل يانوح اهبط) أى أنزل من السفينة أو من الجبل الى الارض (بسلام) أى بامن وسلامة (منا وبركات عليك) البركة هى ثبوت الخير ونماؤ وز يادته وقيل المراد بالبركة هنا أن الله سبحانه وتعالى جعل ذرية نوح هم الباقين الى يوم القيامة فكل العالم من ذرية أولاده الثلاثة ولم يعقب من كان معه فى السفينة غيرهم (وعلى أمم ممن معك) يعنى وعلى ذرية أمم ممن كانوا معك فى السفينة والمعنى وبركات عليك وعلى قرون تبحى ممن بعدك من ذرية أولادك وهم المؤمنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فى هذا كل مؤمن الى يوم القيامة (وأمم ستمتعهم) هذا ابتداء كلام أى وأمم كفرة يحدثون بعدك ستمتعهم يعنى فى الدنيا الى منتهى آجالهم (ثم بسهم منا عذاب أليم) يعنى فى الآخرة (تلك من أنباء الغيب) هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى أن هذه القصة التى أخبرناك يا محمد من قصة نوح وخبر قوميه من أنباء الغيب يعنى من أخبار الغيب (نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) يعنى من قبل نزول القرآن عليك فان قصة نوح كانت مشهورة

بفتحية منا أو بسلامه من افرق (وبركات عليك) هى الخيرات النامية وهى فى حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الانبياء من ذريته وأئمة الدين فى القرون الباقية من نسله (وعلى أمم ممن معك) من البيان فتراد الأمم الذين كانوا معهم فى السفينة لانهم كانوا جماعات أو قيل لهم أمم لان الامم تشعب منهم أولا ابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهى الامم الى آخر الدهر وهو الوجه (وأمم) رفع بالابتداء (ستمتعهم) فى الدنيا بالسعة فى الرزق والخصب فى العيش صفة والخير محذوف تقديره ومن معك أمم ستمتعهم وانما حذف لان ممن معك يدل عليه (ثم بسهم منا عذاب أليم) أى فى الآخرة والمعنى أن السلام منا وبركات عليك وعلى أمم مؤمنين يشؤون ممن معك ومن معك أمم ستمتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام أبأ الانبياء والخلق

بعد الطوفان منه ومن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن

ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجل بعدها وهى من (أنباء الغيب نوحها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) اخبار أى تلك القصة بهض أنباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) الوقت أو من قبل ايجائى اليك واخبارك بها

(فاصبر) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح واقومه (ان العاقبة) في الفوز والذهاب والغلبة (للمتقين) عن الشرك (والى عاد أخاهم) واحدا منهم وانتصبا للعطف على أرسلنا نوحا وحيا وأرسلنا الى عاد أخاهم (هودا) عطف بيان (قال يا قوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من غيره) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على اللفظ (ان أتم الامفترون) تفرقن على الله الكذب بانخاذكم الاوثان له شركاء (يا قوم لا أسئلكم عليه اجرا ان أجرى الاعلى الذى فطرني) ما من رسول الا واجهه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يحضنها الاحسب المطامع وما دام يتوهم شيئ منهم لم تنفع (أفلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطالب عليها اجرا الامن الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك (ويا قوم استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره (يرسل السماء) أى المطر (عليكم مدرارا) حال أى كثيرة (٣٥٧) الدور (ويزدكم قوة الى قوتكم) انما

فقد استأنهم الى الايمان
بكثر المطر وزيادة القوة
لانهم كانوا اصحاب زرع
وبساتين فكانوا أحوج
شيء الى الماء وكانوا ملين
بما أتوا من شدة البطش
والقوة وقيل أراد القوة بالمال
أو على التكاح وقيل حبس
عنهم القطر ثلاث سنين
وعقدت أرحام نسائهم
فوعدهم هود عليه السلام
المطر والاولاد على الايمان
والاستغفار وعن الحسن
ابن علي رضي الله عنهم
أنه وفد على معاوية فلما
خرج قال له بعض صحابه اني
رجل ذوالاولاد والى
عاهني شيئا لعل الله يرزقني
ولدا فقال الحسن عليك
بالاستغفار فكان يكثر
الاستغفار حتى ربما
استغفر في يوم واحد
سبعمائة مرة فولد له عشر
بنين فبلغ ذلك معاوية

معروفة في العالم فكيف قال ما كنت تعامها أنت ولا قومك من قبل هذا قلت يحتمل أن يكون كانوا يعامونها مجتمعة
فزل القرآن بتفصيلها وبيانها وجواب آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان أميالا يقرأ الكتب المتقدمة ولم
يعلمها وكذلك كانت أمته فصح قوله ما كنت تعامها أنت ولا قومك من قبل نزول القرآن بها (فاصبر) يا محمد
على أذى مشركي قومك كما صبر نوح على أذى قومه (ان العاقبة) يعنى النصر والظفر على الاعداء والفوز
بالسعادة الآخرة (للمتقين) يعنى للؤمنين قوله عز وجل (والى عاد) يعنى وأرسلنا الى عاد (أخاهم هودا)
يعنى أخاهم فى النسب لافى الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) يعنى وحدوا الله ولا تشركوا معه شيئا فى العبادة
(مالكم من غيره) يعنى أنه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التى تعبدونها فانها بخارجة لا تضر ولا تنفع (ان
أتم الامفترون) يعنى ما أتم الا كاذبون فى عبادتكم غيره (يا قوم لا أسئلكم عليه) يعنى على تبليغ الرسالة
(أجرا) يعنى جعلنا أخذ منكم (ان أجرى) يعنى ما أتوا (الاعلى الذى فطرني) يعنى خلقني فانه هو الذى
يرزقني فى الدنيا ويبينى فى الآخرة (أفلا تعقلون) يعنى فتنعظون (ويا قوم استغفروا ربكم) أى آمنوا به
فلا تستغفرا هنا يعنى الايمان لانه هو المطلوب ولا (ثم توبوا اليه) يعنى من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف
ذنوبكم (يرسل السماء عليكم مدرارا) يعنى ينزل المطر عليكم متتبعامرة بعد مرة فى أوقات الحاجة له وذلك
ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعيم فامسك الله عنهم المطر مدة ثلاث سنين فاجدبت بلادهم وحقت
بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه السلام أنهم ان آمنوا بالله وصدقوه أرسل الله اليهم المطر فاحياه بلادهم كما
كانت أول مرة (ويزدكم قوة الى قوتكم) يعنى شدة مع شدتكم وقيل معناه انكم ان آمنتم بقومك بالاموال والاولاد
وذلك انه سبحانه وتعالى أعقم أرحام نسائهم فلم تلد فقال لهم هود عليه السلام ان آمنتم أرسل الله المطر
فتزدادون مالا ويعيد أرحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل
تزدادون قوة فى الدين الى قوة الابدان (ولا تتولوا مجرمين) يعنى ولا تعرضوا عن قبول قولى ونصحتى حال
كونكم مشركين (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) أى براهان وحجة واضحة على صحة ما تقول (وما نحن بتاركى
آلهتنا عن قولك) يعنى وما نترك عبادة آلهتنا لاجل قولك (وما نحن لك بمؤمنين) يعنى بمصدقين (ان تقول
الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) يعنى أنك يا هود لست تتعاطى ماتعاطاه من مخالفتنا وسب آلهتنا الا ان
بعض آلهتنا أصابك بخيل وجنون لانك سببتهم فاتقم وامنك بذلك ولان حمل أمرك الاعلى هذا (قال)
يعنى قال هود بحبيبا لهم (انى أشهد الله) يعنى على نفسى (واشهدوا) يعنى واشهدوا وأنتم أيضا على (انى برىء

فقال هلا سأتهمم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويزدكم مال وبنين
(ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعماد دعوتكم اليه (مجرمين) يعنى على اجرامكم وانماكم (قالوا يا هود ما جئنا ببينة) كذب منهم ومخجود
كما قال قر يش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) هو حال
من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) وما يصح من أمثالنا ان يصدقوا مثلك
فيما يدعوهم اليه افناطاله من الاجابة (ان تقول الاعتراك بعض آلهتنا بسوء) ان حرف نبي فنبى جميع القول الاقولا واحدا وهو قولهم
اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء مجنون وخبل وتقديره ما تقول قولنا لا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قال انى
أشهد الله واشهدوا) أى برىء

مما نشركون من دونه (أي من أشركوا بالله) أي من أشركوا بالله في عبادة الله التي هي عبادة الله وحده. وهذا هو المعنى الذي عليه قوله تعالى: **مَنْ شَرَكَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَكْفُرْ بِشَيْءٍ مِمَّا كَفَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** (النحل: ٢٦).
 ذلك وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يس التري بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تمسكها واستهانة بحاله (فكيدوني جيها) اتم وآلهتمكم (ثم لا تنظرون) لانهم يولون فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا تخافوكم وان تعاونتم علي وكيف تضرني آلهتمكم وما هي الاجاد لا يضر ولا ينفع وكيف (٣٥٨) تنفع من اذانت منها وصدت عن عبادتها بان تخباني وتذهب بعقلي (اني توكلت

على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها) أي مالكتها وماذا كرتوكه على الله ونقشه بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من التمالر بوبه عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكه ونحت قهره وسططانه والاخذ باناصية تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) ان ربي على الحق لا يعدل عنه وان ربي يدل على صراط مستقيم (فان تولوا فقل يا ايها الذين امنوا ما ارسلتكم الا ليعبدوا ما لهم شريك في العبادات انهم يشركون بالله الذي لا يملك الموت والحيوات والحيوات لا يموتون ولا يولدون ولا يرضون ولا يضرهم ولا يملكون شيئا ولا يملكون من عند الله شيئا والذين كفروا هم النار التي يوقون فيها وهم فيها خالدون) (النحل: ٢٦-٢٧).
 عايبكم (و يستخافون ربي قوما غيركم) كلام مستأنف أي يهلككم الله ويحجي بقوم آخرين يخافونكم في دياركم) وأمواكم (ولا تضره) بتوليكم (شياً) من ضرر قط اذا لا يجوز عليه الضار وانما تضره انفسكم (ان ربي على كل شيء حفيظ) رقيب عليه مهين من فاتحني عليه

مما نشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها (فكيدوني جيها) يعني احتالوا في كيدي وضرى اتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنتفع فانها لا تضر ولا تنتفع (ثم لا تنظرون) يعني ثم لا تعلمون وهذا فيه معجزة عظيمة هو دعوته الى الله والسلام وذلك انه كان وحيداً في قومه ف قال لهم هذه المقالة ولم يهتدوا ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت اللثقة بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله تعالى (اني توكلت على الله ربي وربكم) يعني انه فوض امره الى الله واعتمده عليه (ما من دابة) يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني آدم والحيوان لانهم يدبون على الارض (الا هو اخذ بناصيتها) يعني انه تعالى هو مالكها والقادر عليها وهو يقهرها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية مقدمة الرأس وسمى الشعر الذي عليه ناصية للمجاورة قيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم فاذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره يقولون ناصية فلان يد فلان وكانوا اذا أسروا أسيرا وأرادوا اطلاقه جزواناصيته ليمتدوا عليه ويعتقدوا بذلك فخر اعليه فخطبهم الله سبحانه وتعالى بما يعرفون من كلامهم (ان ربي على صراط مستقيم) يعني ان ربي وان كان قادرا وانهم في قبضته كالعبد الدليل فانه سبحانه وتعالى لا يظلمكم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بعصيانه وقيل معناه ان دين ربي هو الصراط المستقيم وقيل فيه اضمحار تقديره ان ربي يحملك على صراط مستقيم (فان تولوا) يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن اليمان بما ارسلت به اليكم (فقد ابلغتمكم ما ارسلت به اليكم) يعني اني لم يقع مني نقص في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك (ويستخلفون ربي قوما غيركم) يعني انكم ان اعرضتم عن اليمان وقبول ما ارسلت به اليكم يهلككم الله ويستبدل بكم قوما غيركم اطوع منكم بوجدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستئصال فهو وعيد وتهديد (ولا تضره شياً) يعني بتوايكم انما تضره انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئاً اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم عنده سواء (ان ربي على كل شيء حفيظ) يعني انه سبحانه وتعالى حافظ لكل شيء فيحفظني من ان تنالوني بسوء قوله سبحانه وتعالى (ولما جاء امرنا) يعني باهلا كههم وعذابهم (نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا اربعة آلاف (برحمة منا) وذلك ان العذاب اذا نزل قديم المؤمن والكافر فلما انجى الله المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه (ونجيناهم من عذاب غليظ) يعني الرج التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله سبحانه وتعالى ارسل على عاد بوحاشيدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكتهم جميعا وانجى الله المؤمنين جميعا فلم تضرهم شياً وقيل المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الآخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذاب وبين المعنى انه تعالى كما انجىهم من عذاب الدنيا كذلك ينجيهم من عذاب الآخرة ووصف عذاب الآخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا (وتلك عاد يجردوا بها آيات ربهم وعصوا رساله) لم فرغ من ذكر قصة عاد خاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد رده الى القبيلة وفيه اشارة

الى اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم ومن كان رقيبا على الاشياء كما حافظها وكانت الاشياء مفتقرة الى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه) وكانوا اربعة آلاف (برحمة منا) أي بفضل من ابلعهم أو بالايان الذي نعمنا عليهم (ونجيناهم من عذاب غليظ) وتكرار نجينا للتأكيد والثانية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قد سيجو في الارض فانظروا الهوا واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال (يجردوا بها آيات ربهم وعصوا رساله) لانهم اذا عصوا رسوله فقد عصوا جميع رسل الله لان فرق بين أحد من رسله

(وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يريدو رؤساءهم وودعاتهم الى تكذيب الرسل لانهم الذين يجبرون الناس على الامور ويعادون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وأتبعوا في هذه الدنيا العنة ويوم القيامة) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين (ألا ان عادا كفروا ربهم إلا بعد العاد) تكرار الأفعال النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والخدر من مثل حالهم والدعاء بعبادهم هلاكهم وهو دعاء باهلاك للدلالة على انهم كانوا مستأهلين له (قوم هود) عطف بيان اعاد وفيه فائدة لان عاد اعادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (والى ثمود أخاهم) (٣٥٩) صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

من الغيرة هو انشاءكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو وانشاءهم من اخلاق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (واستعمركم فيها) وجعلكم عمارها واراد منكم عمارتها واستغفركم من العمر أى أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة الى ألف وكان ملوك فارس قدا كثيرا ومن حفر الاتهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما فيهم من الظلم فسأل نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعييرهم فوحى الله اليه انهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى (فاستغفروه) فاسألوه مغفرته بالايمن (ثم تو بوا اليه ان ربي قريب) داني الرحمة (مجيب) ان دعاه (قالوا) يا صالح قد كنت فينا فيما بيننا (مرجوا قبل هذا) للسيادة والمشاورة في الامور او كئنا رجوان تدخل في ديننا وتوافقنا على

الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله تعالى سجدا بايات ربهم يعنى المعجزات التي أتى بها هود عليه السلام وعصا رسله يعنى هودا وحده وانما أتى به بلفظ الجمع اما للتعظيم أو لان من كذب برسول فقد كذب كل الرسل (وأتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعنى ان السفلة منهم واتبعوا الرؤساء والمراد من الجبار الرفيع في نفسه المتمرد على الله والغنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه (وأتبعوا في هذه الدنيا العنة) يعنى أردفوا لعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللجنة الطرد والابعاد من رحمة الله (ويوم القيامة) يعنى وفي يوم القيامة أيضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا ثم ذكر سبحانه وتعالى السبب الذي استحقوا به هذه اللعنة فقال سبحانه وتعالى (الان عادا كفروا ربهم) أى كفروا برهم (الابعد العاد) يعنى هلاكلهم وقيل بعدا عن الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد واهلاكها الفائدة في قوله إلا بعد العاد لان الثاني هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرار بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التأكيدهم كانوا مستحقين له (قوم هود) عطف بيان اعاد فان قلت هذا البيان حاصل مفهوم فالفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هم قوم هود وعادا الثانية وهم ارم ذات العماد وهم العماليق فاتى بقوله قوم هود ليزول الاستتباب وجواب آخر وهو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التأكيدهم قوله عز وجل (والى ثمود أخاهم صالحا) يعنى وأرسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر أخاهم صالحا يعنى في النسب لاني الدين (قال يا قوم اعبدوا الله) أى وحدوا الله وخصوه بالعبادة (مالكم من الغيرة) يعنى هو الهلك المستحق للعبادة لانه الاصل ثم ذكر سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على وحدانيته وكآله فقال تعالى (هو انشاءكم من الارض) يعنى انه هو ابتداء خلقكم من الارض وذلك أنهم من نبي آدم وآدم خلق من الارض (واستعمركم فيها) يعنى وجعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك أطال أعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى ألف سنة وكذلك كان قوم عاد وقال مجاهد أعماركم من العمر أى جعلها لكم ما عشتهم (فاستغفروه) يعنى من ذنوبكم (ثم تو بوا اليه) يعنى من الشرك (ان ربي قريب) يعنى من المؤمنين (مجيب) لدعائهم (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) يعنى قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كئنا رجوان تكون فينا سيدا لانه كان من قبيلتهم وكان يعين ضعيفهم ويعنى فقيرهم وقيل معناه انا كئنا نطمع أن نعود الى ديننا فلما أظهر دعاءهم الى الله وعاب الاصنام انقطع رجائهم منه (انها نأ أن نعبد ما يعبد آباؤنا) يعنى الآلهة (واننا في شك مما تدعونا اليه) يعنى من عبادة الله (مريب) يعنى انما نرتابون في قولك من أرابه اذا وقع في الريبة وهي قاق النفس ووقوعها في التهمة (قال) يعنى قال صالح مجيبا القومه (يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي) يعنى على يقين وبرهان (وأنا نى منه رجوة) يعنى نبوة وحكمة (فن ينصرنى من الله) أى فن ينصرنى من الله (ان عصيته) يعنى ان

ما نحن عليه (انها نأ أن نعبد ما يعبد آباؤنا) حكاية حال باضية (واننا في شك مما تدعونا اليه) من التوحيد (مريب) موقع في الريبة من أرابه اذا وقع في الريبة وهي قاق النفس واتفاء الطمأنينة (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وأنا نى منه رجوة) نبوة أتى بحرف الشك مع انه على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا انى على بينة من ربي وأنا نى على الحقيقة وانظروا ان تابعتم وعصيت ربي في أوامره (فن ينصرنى من الله) فن ينصرنى من عذاب الله (ان عصيته) في تبليغ رسالته ومنعكم عن عبادة الاوثان

(فما تزدونني) بقولكم أنتم ما أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غير نخسبر) بنسبتكم إياي إلى الخسار أو بنسبتي إياكم إلى الخسران (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) نصب على الحال فدعمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعاقب آية حالها من متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلهذا تقدمت انتصبت على الحال (فندروها تاكل في أرض الله) أي ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفقها (ولا تمسوها بسوء) عقر أو نحر (فيأخذكم عذاب قريب) عاجل (فوقروها) يوم الأربعاء (فقال) صالح (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي (٣٦٠) يتصرف أو في دار الدنيا (ثلاثة أيام) ثم تهلكون فهل كوايوم السبت (ذلك

وعد غير مكذوب) أي غير مكذوب فيه فأنسح في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمفعول (فلما جاء أمرنا) بالعذاب أو عذابنا (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) قال الشيخ رحمه الله هذا يدل على أن من نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لا بعمله كما قال عليه السلام لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله (ومن خزي يومئذ) بإضافة الخزي إلى اليوم وفتحتها مدني وعلى لأنه مضاف إلى إذ وهو مبني وظروف الزمان إذا أضيف إلى الأسماء المهمة والأفعال الماضية بذيت واكتسبت البناء من المضاف إليه كقوله * على حين عانت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزي يومئذ أي من دله وفضيحتهم ولا

خالفت أمره) (فما تزدونني غير نخسبر) قال ابن عباس معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارته حتى يقول فما تزدونني غير نخسبر وإنما المعنى فما تزدونني بما تقولون الانسبتي إلى الخسارة (وياقوم هذه ناقة الله لكم آية) وذلك أن قومهم طلبوا أن يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك أشاروا إليها فدعا الله عز وجل فأخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشرة أشهر ثم ولدت فصيا لا يشبهها وقوله ناقة الله إضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت هذه الناقة لهم آية ومعجزة دالة على صدق صالح عليه السلام (فندروها تاكل) يعني من العشب والنبات (في أرض الله) يعني فليس عليكم مؤنتها (ولا تمسوها بسوء) يعني يعقر (فيأخذكم) يعني إن قتلتموها (عذاب قريب) يعني في الدنيا (فوقروها) يعني تخالفوا أمر ربهم ففوقروها (فقال) يعني فذال لهم صالح (تمتعوا) يعني عيشوا (في داركم) أي في بلدكم (ثلاثة أيام) يعني ثم تهلكون (ذلك) يعني العذاب الذي أوعدهم به بعد ثلاثة أيام (وعد غير مكذوب) أي هو غير كذب روى أنه قال لهم يا نبيكم العذاب بعد ثلاثة أيام فتصبحون في اليوم الأول ووجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني حمرة وفي اليوم الثالث مسودة فكان كقوله وأنا هم العذاب وفي اليوم الرابع وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاء أمرنا) يعني العذاب (نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا) أي بنعمة منابان هديناهم إلى الإيمان فآمنوا (ومن خزي يومئذ) يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ يسمى خزي بالان فيه خزي الكافر ين (ان ربك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني ان ربك يا محمد (هو التوى) يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكافرين (العزير) يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم أخبر عن عذاب قوم صالح فقال سبحانه وتعالى (وأخذ الذين ظالموا) يعني أنفسهم بالكفر (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل أنهم صيحة من السماء فيها صوت كل ساعة وصوت كل شيء في الأرض فتنقطت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا (فأصبحوا في ديارهم جائعين) يعني صرعى هلكى (كان لم يغنوا فيها) يعني كان لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوها مدة من الدهر ليقبلت عليهم إذا أتيتهم وأقت به (ألا إن نمودا كنفروا بهم ألا بعد النمود) وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في تفسير سورة الاعراف قوله عز وجل (واقدمت رسالنا إبراهيم بالبشرى) أراد بالرسالة الملائكة واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال مجاهد كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة أملاك وقال السدي كانوا أحد عشر ملكا على صور العالمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس هو الأول لأن قيل الجمع ثلاثة وقوله رسالنا جمع فيحمل على الأقل وما بعده غير مقطوع به بالبشرى يعني بالإشارة بأسحق ويعتوب وقيل بأهلك قوم لوط (قالوا اسلاما)

خزي أعظم من خزي من كان هلاكه غضب الله وانقمامه وجاز أن يراد بيومئذ يوم

التيامة كقصة العذاب الغالب بعذاب الآخرة (ان ربك هو التوى) القادر على تنجية أولاده (العزير) الغالب بأهلك أعدائه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة) أي صيحة جبريل عليه السلام (فأصبحوا في ديارهم) منازهم (جائعين) ميتين (كان لم يقيموا فيها) لم يقيموا فيها (ألا إن نمودا كنفروا بهم) نمود حزة وخص (الأبعد النمود) على الحرف للذهاب إلى الخي أو الأب الأكبر ومنعته لتعريف والتأنيب بمعنى القصة (واقدمت رسالنا) جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (إبراهيم بالبشرى) هي الإشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والأزل أصهر (قالوا اسلاما) سامنا عليك

يعني ان الملائكة سلموا اسلاما (قال) يعني لهم ابراهيم (سلام) أي عليكم وأمركم سلام (فبالت أن جاء
 بجعل حنين) يعني مشوا والمحنوا هو المشوى على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل أهل
 البادية وكان سميانيا سيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه السلام البقر وقيل مكث ابراهيم
 عليه السلام خمس عشرة ليلة لم يأت به ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جاءت الملائكة
 رأى أضيافا لم ير مثاهم قط فجعل قراهم وجاءهم فجعل سمين مشوى (فلما رأى أيديهم) يعني أيدي الاضياف
 (لا تصل اليه) يعني الى الجبل المشوى (نكرهم) يعني أنكرهم وأنكر حالهم وانما أنكر حالهم لامتناعهم
 من الطعام (وأوجس منهم خيفة) يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجس هو رعب القلب وانما خاف
 ابراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس يخاف أن ينزلوا به مكر وهوا الامتناعهم من
 طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عرف أنهم ملائكة وانما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه
 يخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة في أول الامر وبدل على صحة هذا أنه
 عليه السلام قدم اليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما قدم اليهم لعله ان الملائكة لا ياكلون ولا يشربون
 ولانه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأى الملائكة خوف ابراهيم عليه السلام (قالوا لانخف)
 يا ابراهيم (انا) ملائكة الله (أرسلنا الى قوم لوط وامرأته) يعني سارة زوجة ابراهيم وهي ابنة هاران بن
 ناحورا وهي ابنة عم ابراهيم (قائمة) يعني من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة في خدمة الرسل
 و ابراهيم جالس معهم (فضحكت) أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس و اظهار الاسنان
 عنده سميت مقدمات الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور والمجرد في التعجب المجرد أيضا وللعلماء في
 تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا
 الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى أضيافه فلم ياكلوا وخاف ابراهيم منهم فقال أانا كلون
 فقالوا انا لا ناكل طعاما الا نحن قال فان له نمنا قالوا وما نمنا قال تدكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره
 فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذ به خيلا فلما رأى ابراهيم وسارة أيديهم لا تصل اليه
 ضحكت سارة وقالت يا عجبا لا ضيافنا نخدمهم بانفسنا نكرمة لهم وهم لا ياكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت
 من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكافي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهو فيما بين
 خدمه وحشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عنها عن ابراهيم وذلك انها خافت لخوفه حين قالوا
 لانخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا من أن يكون
 لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فاعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها باسحق
 فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل انها قالت ل ابراهيم اضم اليك ابن أخيك لوط فان العذاب نازل بقومه
 فلما جاءت الرسل وبشرت بعد ايامهم سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت القول الثاني في معنى قوله
 فضحكت قال عكرمة ومجاهد أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال
 حاصت ليس ذلك تفسيراً لقوله فضحكت كما صوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وانما ذكر
 ذلك تنصيحا لخالها فان جعل ذلك أمارة لما بشرت به فيضها في الوقت لتعلم أن حملها ليس بنكر لان المرأة
 مادامت تحيض فانها تحمّل وقال الفراء ضحكت بمعنى حاضت لم تسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشئ
 ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد
 عرفه غيرهم وأنشد

تضحك الضبع اقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال أراد أنها تحيض فراحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أي طمئت وحكى الازهرى عن بعضهم في قوله

(فبشرناها باسحق) وخصت بالبشارة لان النساء أهظم سرورا بالولد من الرجال ولانه لم يكن لها ولد وكان لابراهيم ولد وهو اسمعيل (ومن وراء اسحق) ومن بعده (يعقوب) بالصباحى وحزوة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أى فبشرناها باسحق ووهنا لها يعقوب من وراء اسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قالت يا بلتا) الالف مبدلة من ياء الاضافة وقرأ الحسن يا بلتى بالياء على الاصل (ألدوا بنا عجوز) ابنة تسعين سنة (وهذا بعلى شيخا) ابن مائة وعشرين سنة هذا مبتدا وبعلى خبره وشيخا حال والعامل معنى الاشارة التى دلت (٣٦٢) عليه ذاء ومعنى التنبية الذى دل عليه هذا (ان هذا الشئ عجيب) ان يولد ولد من هرامين وهو

استبعاد من حيث العادة (قالوا) أنتجيبين من أمر الله قدرته وحكمته وانما أنكرت الملائكة نهجها لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها ان تنوقر ولا يزددها ما يزددها سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) أرادوا أن هــهـهـه وأمثالها مما بكرمكم به رب العزة وبخضكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف عال به انكار التعجب كان قيل اياك والتعجب لان أمثال هذه الرحمة والبركة متكررة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكاهم

فضحكت أى حاضت قالو ويقال أصله من ضحك الطاعة اذا انشقت قال وقال الاخطل فيه بمعنى الحيض

تضحك الضبع من دماء سليم * اذ رأتهما على الحرب تمور

وقال فى المحكم ضحكت المرأة حاضت وبه فسر بعضهم قوله سبحانه وتعالى فضحكت فبشرناها باسحق وضحكت الارنب ضحكاً بمعنى حاضت حياء قال وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الخوف يوم اللقا بمعنى الحيض فيما زعم بعضهم وأجاب عن هذا من أنكرا أن يكون الضحك بمعنى الحيض قال كان ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كشرها علم انها تحيض وانما أراد الشاعر تكشراً لا كل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حياء وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى فتتمز بعضها على بعض فجعل هز يزهاضحكا وقيل لانها تسر بهم فجعل سرورها ضحكاً فان قلت أى القولين أصح فى معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين محتمل فى معنى الضحك فانه أعلم أى ذلك كان ﴿ وقوله سبحانه وتعالى (فبشرناها باسحق) ومن وراء اسحق يعقوب) يعنى ومن بعد اسحق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت سارة بابها تعيش حتى ترى ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها أى ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعادتهن وانما فعلت ذلك تعجبا (قالت يا بلتا) نداء ندية وأصلها يا بلتا وهى كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجبا (ألدوا بنا عجوز) وكانت بنت تسعين سنة فى قول ابن اسحق وقال مجاهد كانت بنت تسع وتسعين سنة (وهذا بعلى) يعنى زوجى والبعلى هو المستعلى على غيره ولما كان زوج المرأة مستعابا عابا قائما بما رها سمي بعلا لذلك (شيخا) وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين فى قول مجاهد بن اسحق وقال مجاهد مائة سنة وكان بين الولادة والبشارة سنة (ان هذا الشئ عجيب) لم تنكر قدرة الله سبحانه وتعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما (قالوا) يعنى قالت الملائكة لسارة (أنتجيبين من أمر الله) معناه لان تعجبي من ذلك فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شئ فاذا أراد شيئا كان سريعا (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت) يعنى بيت ابراهيم عليه السلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على أن أزواج الرجال من أهل بيته (انه حديد) يعنى هو الحمود الذى يحمده على أفعاله كلها وهو المستحق لان يحمد فى السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال (مجيد) ومعناه المنيع الذى لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم وأصل المجيد فى كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم ﴿ قوله سبحانه وتعالى (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) يعنى الفزع والخوف الذى حصل له عند امتناع الملائكة من الاكل (وجاءته البشرى) يعنى زال عنه الخوف اسبب البشرى التى جاءته وهى البشارة بالولد (بجاد لنا) فيه اضمار تقديره أخذ بجدنا وأوجد جعل بجدنا وبخامنا وقيل معناه يكلمنا ويسألنا (فى قوم لوط) لان العبد لا يتقدرا ان يخاصم ربه وقال جمهور

من ولد ابراهيم وأهل البيت نصب على النداء وعلى الاختصاص (انه مجيد) محمود بتجميل النعم (مجيد) المفسرين

ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وجاءته البشرى) بالولد (بجاد لنا فى قوم لوط) أى لما طمأن قلبه بعد الخوف وملى سرور اسبب البشرى فرع للمجادلة وجواب لما محذوف تقديره أقبل بجدنا أو بجدنا لجواب لما وانما سبى به مضارعا لحكاية الحال والمعنى بجدنا ورسنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انما ملكوا أهل هذه القرية فقال رأيتهم لو كان فيها اخون مؤمنا منهم لكانوا قالوا الا قال فاربعون قالوا الا قال فلناون قالوا الا حتى بلغ العشرة قالوا الا قال رأيتهم ان كان فيها رجل واحد مسلم أهل كونها قالوا الا عند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن أعلم عن فيها لننجينه وأهله

(ان ابراهيم حلليم) غير معمول على كل من أساء اليه أو كثير الاحتمال بمن آذاه الصفوح عن عناه (أواه) كثير التأوه من خوف الله (منيب)
تأب راجع الى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة (٣٦٣) فيبين ان ذلك مما حمله على المجادلة

فيه هم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويهبوا لعالمهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لانه فقالت الملائكة (يا ابراهيم أعرض عن هذا) الجدل وان كانت الرحمة يد يدك (انه قد جاء أمر ربك) يعني ان ربك قد حكم بعدا بهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطا) يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه (سمى بهم) يعني أذن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه (وضاق بهم ذرعا) قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقه والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سرعة خطوه فاذا جل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقه والمعنى وضاق بهم ذرعا لزم يجد من المكروء في ذلك الامر مخاضا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا لا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب رائحتهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروءه وأفاحشته وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده ما خوذ من العصابة التي تشدها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قريه لوط فانوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوا وهم حتى يشهد عليهم لوط أو بع شهادت فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بانها الشرقرية في الارض عملا يقول ذلك أو بع مرات فضاومعه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتغامزوا وافتال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أو بع مرات وكما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهرع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين اهرولة والخب والجز (ومن قيل) يعني ومن قبل مجي الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السينات) يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم (قال) يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا

المفسر بن معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة أن قال لهم أرايتم لو كان في مدائن قوم لوط خسون رجلا من المؤمنين أتتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا قال فما زال كذلك حتى بلغ خمسة قالوا لا قال أرايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم أتتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن أعلم بما نتجنينه وأهله الامراة انه كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تأخير العذاب عنهم لعلمهم يؤمنون أو يرجعون عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جرير كان في قريه قوم لوط أربعة آلاف مقاتل (ان ابراهيم حلليم أراه منيب) تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم (يا ابراهيم أعرض عن هذا) يعني أعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدل (انه قد جاء أمر ربك) يعني ان ربك قد حكم بعدا بهم فهو نازل بهم وهو قوله سبحانه وتعالى (وانهم آتيتهم عذاب غير مردود) يعني ان العذاب الذي نزل بهم غير مصروف ولا مدفوع عنهم قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا لوطا) يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مردحسان الوجوه (سمى بهم) يعني أذن لوط بمجيئهم اليه وساء ظنه بقومه (وضاق بهم ذرعا) قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقه والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سرعة خطوه فاذا جل عليه أكثر من طوقه ضاق ذرعه من ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقه والمعنى وضاق بهم ذرعا لزم يجد من المكروء في ذلك الامر مخاضا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا لا يعرف أصله الا أن يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم وطيب رائحتهم أشفق عليهم من قومه وخاف أن يقصدوهم بمكروءه وأفاحشته وعلم انه سيحتاج الى المدافعة عنهم (وقال) يعني لوطا (هذا يوم عصيب) أي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء أي شديده ما خوذ من العصابة التي تشدها الرأس قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قريه لوط فانوا لوطا نصف النهار وهو يعمل في أرض له وقيل انه كان يحتطب وقد قال الله سبحانه وتعالى للملائكة لا تهلكوا وهم حتى يشهد عليهم لوط أو بع شهادت فاستضافوه فانطلق بهم فلما مشى ساعة قال لهم أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بانها الشرقرية في الارض عملا يقول ذلك أو بع مرات فضاومعه حتى دخلوا منزله وقيل انه لما حل الحطب ومعه الملائكة مر على جماعة من قومه فتغامزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة فر على جماعة أخرى فتغامزوا وافتال مثله ثم مر على جماعة أخرى ففعلوا ذلك وقال لوط مثل ما قال أولا حتى قال ذلك أو بع مرات وكما قال لوط هذا القول قال جبريل للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في داره فدخلوا عليه ولم يعلم أحد بمجيئهم الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجلا ما رأيت مثل وجوههم قط ولا أحسن منهم (وجاءه قومه يهرعون اليه) قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهرع هو مشى بين مشيين وقال شمر هو بين اهرولة والخب والجز (ومن قيل) يعني ومن قبل مجي الرسل اليهم قيل ومن قبل مجيئهم الى لوط (كانوا يعملون السينات) يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في أدبارهم (قال) يعني قال لوط لقومه حين قصدوا أضيافه وظنوا

قالوا وما أمرهم قال أشهد بانها الشرقرية في الارض عملا قال ذلك أو بع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فاخبرت قومها (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون كما يتدفعون دفعا (ومن قيل كانوا يعملون السينات) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مر نوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء (قال

يا قوم هؤلاء بناتي) فتزوجهن أراد أن يبق أضيافه بينانه وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائز في ذلك الوقت كما جاز في
 الابتداء في هذه الأمة فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ابنتيه من عتبة أبي لهب وأبي العاص وهما كافران وقبل كان لهم سيدان
 مطاعان فاراد لوط أن يزوجهما (٣٦٤) ابنتيه (هن أظهر لكم) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتي عطف بيان وهن فصل وأظهر خبر

المبتدأ أو بناتي خبر وهن
 أظهر مبتدأ وخبر (فانقوا
 الله) بإيثارهن عليهم (ولا
 تخزون) ولا تهينوني ولا
 تفضحوني من الخزي أو
 ولا تخجلوني من الخزاية
 وهي الحياء وبالياء أبو
 عمرو في لوصول (في ضيق)
 في حق ضيق وفي فانه اذا
 خزي ضيف الرجل أو جاره
 فقد خزي الرجل وذلك
 من عرافة الكرم واصالة
 المرءة (أليس منكم رجل
 رشيد) أي رجل واحد
 يهتدى الى طريق الحق
 وفعل الجليل والكف عن
 السوء (قالوا لقد علمت
 مالنا في بناتك من حق)
 حاجة لان نكاح الابات
 أمر خارج عن مذهبنا
 فذهبنا اتيان الذكران
 (وانك لتعلم ما تريد) عنوا
 اتيان الذكور وما لهم فيه
 من الشهوة (قال لو أن لي
 بكم قوة أو أوى الى ركن
 شديد) جواب لو محذوف
 أي لنعلت بكم ولستعت
 والمعنى لو قويت عليكم
 بنفسى أو أويت الى قوى
 أستند اليه وأتمتع به

انهم غلمان من نبي آدم (يا قوم هؤلاء بناتي) يعني ازوجكم اياهن وفي أضيافه بينانه قيل انه كان في ذلك الوقت
 وفي تلك الشريعة يباح تزويج المرأة المسلمة بالكافر وقال الحسن بن الفضل عرض بنانه عليهم بشرط الاسلام
 وقال مجاهد وسعيد بن جبير أراد بنانه نساء قومهم وأضافهن الى نفسه لان كل نبي أبوأتمته وهو كالوالد لهم
 وهذا القول هو الصحيح وأشبهه بالصواب ان شاء الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط كاتتا اثنتين وابستا
 بكافيتين للجماعة وليس من المرءة أن يعرض الرجل بنانه على أعدائه ليزوجهن اياهن فكيف يليق ذلك
 بمنصب الانبياء أن يعرضوا بناتهم على الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لاعلى سبيل
 التحقيق ﴿ وفي قوله (هن أظهر لكم) سؤال وهو أن يقال ان قوله هن أظهر لكم من باب أفعل التفضيل
 فيقتضى أن يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهر او معلوم أنه محرم فاستدس بحس لاطهارة فيه البتة فكيف
 قال هن أظهر لكم والجواب عن هذا السؤال ان هذا جار مجرى قوله أذلك خير نزل أم شجرة الزقوم ومعلوم
 أن شجرة الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم أحد أعل هبل قال الله أعل وأجل اذا مماثلة
 بين الله عز وجل والضم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا انظر كثرة ﴿ وقوله (فانقوا الله) يعني
 خافوه وراقبوه واتركوا ما أتمت عليه من الكفر والعصيان (ولا تخزون في ضيق) يعني ولا تسوؤني في أضيافى
 ولا تفضحوني معهم (أليس منكم رجل رشيد) أى صالح لسيد عاقل وقال عكرمة رجل يقول لاله الا الله
 وقال محمد بن اسحق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل القبيح (قالوا لقد
 علمت مالنا في بناتك من حق) يعني ليس لنا بهن حاجة ولاننا فيهن شهوة وقيل لعنا ايست بناتك لنا
 بازواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه مالنا في بناتك من حاجة لانك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان
 ولا تريد ذلك (وانك لتعلم ما تريد) يعني من اتيان الرجال فى أديارهم فعند ذلك (قال لوط عليه السلام (لو أن
 لي بكم قوة) أى لو انى أقدر أن أتقوى عليكم (أو أوى الى ركن شديد) يعني أو أنضم الى عشيرة ينعونى
 منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم أو لو وجدت عشيرة لانضممت اليهم قال أبو هريرة
 ما بعث الله نبياً بعده الا فى منعة من عشيرته (ق) عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم برحم
 الله لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد ولولبتت فى السجن ما لبث يوسف ثم أنانى الداعى لاجبته قال الشيخ
 محي الدين النووى رحمه الله المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه أشد الاركان وأقواها وأمنعها ومعنى
 الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على أضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم من الظالمين ضاق ذرعه واشتد
 حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال فى تلك الحال لو أن لي بكم قوة فى الدفع بنفسى أو أوى الى عشيرة تمنع لمنعتكم
 وقصد لوط اظهار العذر عند أضيافه وأنه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقى الحديث فيما يتعلق
 بيوسف عليه السلام بأننى فى موضعه من سورة يوسف ان شاء الله تعالى قال ابن عباس وأهل التفسير أغاقت
 لوط بابيه والملائكة معه فى الدار وجعل يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون سور الدار
 فامارات الملائكة ما تى لوط بسببهم (قالوا يا لوط) ركنك شديد (انارسل ربك ان يصلوا اليك) يعنى بكمروه
 فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به عز وجل فى عقوبتهم فأذن له
 فتحول الى صورته التى يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من درمنظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين

فبحميتى منكم فشبته القوى العزيز بالركن من الجليل فى شدته ومنفته روى أنه أغلق بابيه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكي
 وراسه
 الله عنه ومجاهد لم فتور والجدار فامارات الملائكة ما تى لوط من الكرب (قالوا يا لوط) ان ركنك شديد (انارسل ربك) فافتح الباب
 ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام به فى عقوبتهم فأذن له فغضب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم
 كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط قوما سحرة (ال) ١١١

جلة موصحة التي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدر وا على ضرره (فأسر) بالوصل محجازي من سرى (بأهلك بقطع من الليل) طائفة منه أو نصفه (ولا يلتفت منكم أحد) بقلبه الى ما خلفه ولا ينظر الى ما وراءه أو لا يتخلف منكم أحد (الامر أنك) مستثنى من فأسر بأهلك وبالرفع مكى وأبو عمر وعلى البدل من أحد وفي آخر اجابهم مع أهل روايتان (٣٦٥) روى أنه أخرجهما معهم وأمر أن لا

يلتفت منهم أحد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوم ما فادركها فادركها فقتلتها وروى أنه أمر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلف القراءتين لاختلاف الروايتين (انه مصيها ما أصابهم) أي ان الامر وروى أنه قال لهم متى موعدهم لا بهم قالوا (ان موعدهم الصبح) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح يقرب فلما جاء أمرنا جعلنا عليها ساقلها) جعل جبريل عليه السلام جناحه في أسفلها أي أسفل قراهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوفهم وذلك قوله (وأمرنا عليها حجارة من سجيل) هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين (منضود) نعت لسجيل أي متتابع أو مجموع معدل العذاب (مسومة) نعت لحجارة أي معلمة للعذاب قيل مكتوب

ورأسه حيك مثل المرجان كانه كالثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضررب بجناحيه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فانصرفوا وهم يقولون النجاء النجاء في بيت لوط أسحر أقوام في الارض قد سحر ونا وجعلوا يقولون يا لوط كما أنت حتى تصبح وسترى ما تلقى منا غدا ابو عدونه بذلك (فأسر بأهلك) يعني بيبتك (بقطع من الليل) قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية الليل وقال قتادة بعد مضى أوله وقيل انه السحر الاول (ولا يلتفت منكم أحد) يعني ولا يلتفت منكم أحد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه (الامر أنك) فانها من الملتفات فتملك مع من هلك من قومها وهو قوله سبحانه وتعالى (انه مصيها ما أصابهم) فقال لوط متى يكون هذا العذاب قالوا (ان موعدهم الصبح) قال لوط انه بعيد أريد أسرع من ذلك فقالوا له (أليس الصبح يقرب) فلما خرج لوط من قريته أخذ أهله معه وأمرهم أن لا يلتفت منهم أحد فقبلوا منه الامر أنه فانها الماسمعت هدة العذاب وهو نازل بهم التفتت وصاحت واقوماه فاخذتها حجارة فاهلكتها معهم (فاما جاء أمرنا) يعني أمرنا بالعذاب (جعلنا عليها ساقلها) وذلك ان جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قري قوم لوط وهي خمس مدائن أكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة ويقال كان فيها أربع مائة ألف وقيل أربعة آلاف فرجع جبريل المدائن كلها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عليها ساقلها (وأمرنا عليها) يعني على شذاها ومن كان خارجا عنها من مسافرينها وقيل بعد ما قلبها أمطر عليهم (حجارة من سجيل) قال ابن عباس وسعيد بن جبير معناه سنك كل فارسي معرب لان العرب اذا تكلمت بشئ من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قوله سندنس واستبرق ونحو ذلك فكل هذه ألفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها في ألفاظهم فصارت عربية قال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع آخر حجارة من طين وقال مجاهد وأهل حجر وآخرها طين وقال الحسن أصل الحجارة طين فشدت وقال الضحاك يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبل في سماء الدنيا (منضود) قال ابن عباس متتابع يتبع بعضها بعنما مفعول من النضد وهو وضع الشئ بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج عليها اسمها لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حجر على هيئة الخبز وقال الحسن والسدي كانت محتومة عليها أمثال الخواتيم وقيل كان مكتوبا عليها أي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به (وما هي) يعني تلك الحجارة (من الظالمين) يعني مشركي مكة (ببعيد) قال قتادة وعكرمة يعني ظالمى هذه الامة والله ما أجاز الله منها ظالم بعده وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل ان الحجارة اتبعت شذا قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في السماء أربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه الحجر فاهلكه ﴿ قوله عز وجل (والى مدین) یعنی وأرسلنا الى مدین (أخاهم شعيبا) مدین اسم لابن ابراهيم الخليل عليه السلام ثم صار اسم القبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدین بن ابراهيم فعلى هذا يكون التقدير وأرسلنا الى أهل مدین خذف المضاف لدلالة الكلام عليه (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره) یعنی وحدهم ولا تعبدوا معه غيره كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤن بالاهم فالاهم ولما كانت على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وما هي من الظالمين ببعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم یعنی ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة والضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمى مكة يمررون بها في مسابريهم (والى مدین أخاهم شعيبا) هو اسم مدينة بنهم أو اسم جدهم مدین بن ابراهيم أي وأرسلنا شعيبا الى ساكنى مدین أو الى بنى مدین (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

على كل واحد اسم من يرمى به (عند ربك) في خزائنه أو في حكمه (وما هي من الظالمين ببعيد) بشئ بعيد وفيه وعيد لاهل مكة فان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم یعنی ظالمى أمتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة والضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمى مكة يمررون بها في مسابريهم (والى مدین أخاهم شعيبا) هو اسم مدينة بنهم أو اسم جدهم مدین بن ابراهيم أي وأرسلنا شعيبا الى ساكنى مدین أو الى بنى مدین (قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره

ولا تنقصوا المكيال) أي المكيال بالمكيال - (والميزان) والموزون بالميزان (إني أراكم بخير) بتروة وسعة تغنيكم عن التطفيف وأراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) مهلك من قوله وأحبط ثمره وأصله من احاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا وعذاب الآخرة (ويأقوم أو فوا المكيال والميزان) أتموهما (بالقسط) بالعدل نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كنوا عليه من نقص المكيال (٣٦٦) والميزان ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول كزيادة الترتيب فيه وحيء

به مقيداً بالقسط أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) البخس النقص كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) العثي والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثياً منهم في الأرض (بقيت الله) ما بقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خبركم أن كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا نعم ببقية الله خير للكفرة أيضاً لأنهم يساهون معها من تبعة البخس والتطفيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك تعظيم للإيمان وتبنيته على جلالة شأنه والمراد أن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به

الدعوة إلى وحيد الله وعبادته أهم الأشياء قال شعيب عبد الله ما لكم من الغيرة ثم بعد الدعوة إلى التوحيد شرع فيأمرهم فيه وما كان المعتاد من أهل مدن البخر في الكيل والوزن دعاهم إلى ترك هذه العادة القبيحة وهي تطفيف الكيل والوزن فقال (ولا تنقصوا المكيال والميزان) النقص في الكيل والوزن على وجهين أحدهما أن يكون الاستنقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصاً والآخر هو استيفاء الكيل والوزن لأنفسهم زائد عن حقهم فيكون نقصاً في مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهواهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا المكيال والميزان (إني أراكم بخير) قال ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فذرهم زوال تلك النعمة وتغلاء السعر وحصول النعمة أن لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله (وإني أخاف عليكم عذاب يوم محبط) يعني محبطاً بكم فيهلككم جوعاً وهو عذاب الاستئصال في الدنيا أو حذرهم عذاب الآخرة ومنه قوله سبحانه وتعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين (ويأقوم أو فوا المكيال والميزان) أي أتموهما ولا تطففوا فيهما (بالقسط) أي بالعدل وقيل بتقويم لسان الميزان وتعديل المكيال (ولا تبخسوا الناس) أي ولا تنقصوا الناس (أشياءهم) يعني أموالهم فإن قلت قد وقع التكرار في هذه النصة من ثلاثة أوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان ثم قال أو فوا المكيال والميزان وهذا عين الأول ثم قال ولا تبخسوا الناس أشياءهم وهذا عين ما تقدم فإلى الفائدة في هذا التكرار قلت إن القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم احتج في المنع منه إلى المبالغة في التأكيذ والتكرير يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتأكيذ فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من ذلك الفعل ولأن قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهى عن التنقيص وقوله أو فوا المكيال والميزان أمر بإيفاء العدل وهذا غير الأول ومغاير له ولقائل أن يقول النهي ضد الأمر فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز أن ينهى عن التنقيص ولا يأمر بإيفاء الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقولك صل رحلك ولا تقطعها فتريد المبالغة في الأمر والنهي وأما قوله ثانياً ولا تبخسوا الناس أشياءهم فليس بتكرير أيضاً لانه سبحانه وتعالى لما خصص النهي عن التنقيص والأمر بإيفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الأشياء التي يجب إيفاء الحق فيها فدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان فائدة التكرار والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) يعني بتنقيص الكيل والوزن ومنع الناس حقوقهم (بقيت الله خبركم) قال ابن عباس يعني ما بقي الله لكم الحلال بعد إيفاء الكيل والوزن خبركم مما تأخذونه بالتطفيف وقال مجاهد ببقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل ببقية الله يعني ما بقاء لكم من الثواب في الآخرة خبركم كما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام (إن كنتم مؤمنين) يعني مصدقين بما قلت لكم وأمرنكم به ونهيتكم عنه (وما أنا عليكم بحفيظ) يعني احفظ أعمالكم قال بعضهم إنما قال لهم شعيب ذلك لانه لم يؤمر بمقتلهم (قالوا يا شعيب أصلونك تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا) يعني من الأصنام (أو أن نفعل في أموالنا منشاء) يعني من الزيادة والنقصان قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل أنهم كانوا يبرون به فيرونه يصلي فيستهزؤن به ويقولون هذه المقالة

أياكم (وما أنا عليكم بحفيظ) لنعمة عليكم فاحفظوها بترك البخس (قالوا يا شعيب أصلونك) وبالتوحيد كوفي وقال خبر أبي بكر (تأمرنا أن نترك ما يعبد آباؤنا وأن نفعل في أموالنا منشاء) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ما تستفيد بهذا فكان يقول إنها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا له على وجه الاستهزاء أصلونك تأمرنا أن نترك عبادة ما كان بعد آباؤنا وأن نترك التسط في أموالنا منشاء من إيفاء ونقص وجزاء تكون الصلوات أسرة مجازاً كما سماها الله تعالى ناهية مجازاً

(انك لانت الحليم الرشيد) أي السفية الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء وأنتك حليم رشيد عندنا رست تفعل بنا ما يقتضيه مالك (قال يا قوم أرايتم ان كنت على بينة من ربي وورزقي منه) من لدنه (رزقا حسنا) يعني النبوة (٣٦٧) والرسالة أو الماحلا من غير

بخس ونظيف وجواب
رايتم محذوف أي أخبروني
ان كنت على حجة واضحة
من ربي وكنت نبيا على
الحقيقة أيصح لي أن
لا آمركم بترك عبادة
الوثان والكف عن المعاصي
والانبياء لا يعنون الا ذلك
يقال خلفني فلان الى كذا
اذا قصده وأنت مول عنه
وخلفني عنه اذا ولى عنه وأنت
قاصده ويلقاك الرجل
صادرا عن الماء فساله
عن صاحبه فيقول خلفني
الى الماء يريدانه قد ذهب
اليه واردا وان اذهب عنه
صادرا ومنه قوله (وما أريد
أن أخالفكم الى ما أنها كم
عنه) يعني أن أسبقكم الى
شهو انكم التي نهيتكم عنها
لاستبهادونكم (ان أريد
الاصلاح) ما أريد الا
أن أصلحكم بموعظتي
ونصحتي وأمرى بالمعروف
(ما استطعت) ظرف أي
مدة استطاعتني للاصلاح
ومادمت متمكنا منه لا ألو
فيه جهدا (وما توفيقى الا
بالله) وما كوني موافقا
لاصابة الحق فما آتى
وأذرا لا بموئته وتأيدته
(عليه توكت) اعتمدت

وقال الاعمش أقرء انك لان الصلاة تطاق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين يعني أدينك
يا أمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا وأن تفعل في أمواتنا ما نشاء وذلك انهم كانوا يذبحون الدراهم والدنانير
فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم عليهم وانما ذكروا الصلاة لانها من أعظم
شعائر الدين (انك لانت الحليم الرشيد) قال ابن عباس أرادوا السفية الغاوى لان العرب قد تصف الشيء
بضده فيقولون للديغ سليم وللقلادة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
والسخرية وقيل معناها انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه من الصحة ومعناه انك يا شعيب
فيما حليم رشيد فلا يحمده بك شق عصافومك ومخالفتهم في دينهم (قال) يعني قال لهم شعيب (يا قوم أرايتم
ان كنت على بينة من ربي) يعني على بصيرة وهداية وبيان (ورزقي منه رزقا حسنا) يعني حلالا قليل كان
شعيب كثيرا المال الحلال والنعمة وقيل الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة
وجواب ان الشرطية محذوف تقديره أرايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقي المال الحلال والهداية
والمعرفة والنبوة فهل يسعني مع هذه النعمة أن أخون في وحيه أو أن أخالف أمره أو أتبع الضلال أو
أبخس الناس أشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك انهم قالوا انك لانت الحليم الرشيد
والمعنى فكيف يابق بالحليم الرشيد أن يخالف أمر ربه وله عليه نعم كثيرة ﴿وقوله﴾ (وما أريد أن أخالفكم
الى ما أنها كم عنه) قال صاحب الكشاف يقال خلفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخلفني عنه
اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فساله عن صاحبه فيقول خلفني الى الماء
يريدانه قد ذهب اليه واردا وان اذهب عنه صادرا ومنه قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنها كم عنه أي أن
أسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبهادونكم قال الامام نضر الدين الرازي وتحقيق الكلام فيه
ان القوم اعترفوا فيها بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال العقل وكمال العقل بحمل صاحبه على اختيار
الطريق الاصلح فكما أنه عليه السلام قال لهم لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسى
هو اصبوب الطرق وأصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان فانا مواظب عليها غير تارك
لها فاعلموا أن هذه الطريقة خير الطرق وأشرفها الا ما أنتم عليه وقال الزجاج معناها أني استأنتها كم عن شئ
وأدخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسى وقال ابن البارى بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله
وترك البخس والتطفيف هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوى الا عليه فكان هذا محض النصيحة لهم (ان أريد
يعنى ما أريد فيما أمركم به وأنها كم عنه) (الاصلاح) يعنى فيما بينى وبينكم (ما استطعت) يعنى ما استطعت
الاصلاح وهو الابلاغ والاذنار فقط ولا أستطيع اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله فانه بهدى من
يشاء ويضل من يشاء (وما توفيقى الا بالله) التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك
الا الله تعالى فلذلك قال تعالى (وما توفيقى الا بالله) (عليه توكت) يعنى على الله اعتمدت في جميع أمورى (واليه
أنيب) يعنى واليه أرجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه أرجع في معادى روى أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه ﴿وقوله تعالى﴾ (و يا قوم
لا يجرمكم شقائى) أى لا يحملنكم خلافى وعدوانى (أن يصيبكم) يعنى عذاب العاجلة على كفركم وأفعالكم
الخبينة (مثل ما أصاب قوم نوح) يعنى العرق (أو قوم هود) يعنى الرمح التى أهلكنهم (أو قوم صالح)
يعنى ما أصابهم من الصيحة حتى هلكوا جميعا (وما قوم لوط منكم بعيد) وذلك انهم كانوا واحد بنى عهد

(واله أنيب) أرجع فى السراء والضراء جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين ومنه قوله (ويا قوم لا يجرمكم شقائى أن
يصيبكم) أى لا يكسبنكم خلا فى اصابة العذاب (مثل ما أصاب قوم نوح) أو قوم هود أو قوم صالح) وهو العرق والريح والرجفة (وما قوم لوط
منكم بعيد) فى الزمان فهم أقرب اهل الكين منكم أنى المسكن فنارهم مقر بية منكم أو فيما يستحق به

الهلاك وهو الكفر والمساوى وسوى في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكور والمؤثر لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والتهيق ونحوهما (واستغفروا بكم ثم توبوا إليه ان ربي رحيم) يغفر لاهل الجفاء من المؤمنين (ودود يجب) أهل الوفاء من الصالحين (قالوا) يا شعيب ما نفقة كثير مما تقول (أى لانفهم صحة ما تقول والافكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء) واننا نراك فينا ضعيفا (لاقوة لك ولا عز فيها بيننا فلا تقدر على الامتناع) (٣٦٨) من ان أردنا بك مكرها (ولولا رهطك لرجناك) ولو عشيرتك لقتلناك بالرجم

بهملا كهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم (واستغفروا بكم) يعنى من عبادة الاصنام (ثم توبوا اليه) يعنى من البغض والنقصان فى الكيل والوزن (ان ربي رحيم) يعنى بعباده اذ انا توبوا واستغفروا (ودود) قال ابن عباس الودود المحب لعباده المؤمنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا اُحبيته وقيل يحتمل أن يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه اليهم وقال الخليلي هو الوالد لاهل طاعته أى الراضى عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال أبو سليمان الخطابي وقد يكون معناه من تودد الى خلقه (قالوا يا شعيب ما نفقة كثير مما تقول) يعنى ما نفهم ما تدعوننا اليه وذلك ان الله سبحانه وتعالى ختم على قلوبهم فصارت لاتبى ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا فى الظاهر يسمعون ويفهمون (واننا نراك فينا ضعيفا) قال ابن عباس وقتادة كان أعمى قال الزجاج ويقال ان جبر كانوا يسمون المكفوف ضعيفا وقال الحسن وأبو روق ومقاتل يعنى ذليلا قال أبو روق ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث نبيا أعمى ولا نبيابه زمانه وقيل كان ضعيف البصر وقيل المراد بالضعف المجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذى يتعذر عليه المنع عن نفسه وبدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله (ولولا رهطك) يعنى جماعتك وعشيرتك قيل رهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة (لرجناك) يعنى اقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة أسوأ القتلات وشرها وقيل معناه اشتمناك وأغلظناك القول (وما أنت علينا بعز يز) يعنى بكرىم وقيل بمتنع منا والمقصود من هذا الكلام وحاصله أنهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له فى صدورهم وانهم انما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة أجابهم بقوله (قال يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) يعنى أهيب عندكم من الله وأمنع حتى تركتم قتلى لمكان رهطى عندكم فالاولى أن تحفظونى فى الله ولاجل الله لارهطى لان الله أعز وأعظم (واتخذتموه وراءكم ظهريا) يعنى ونبذتم أمر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشئ الملقى الذى لا يلتفت اليه (ان ربي بما تعملون محيط) يعنى أنه سبحانه وتعالى عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه مناشئ فيجاز بكم بها يوم القيامة (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) يعنى على توددكم وتكسبكم من أعمالكم وقيل المكانة الحالية والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بعناية المكتة والقدرة من الشر (انى عامل) يعنى ما أقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر فى قوله اعملوا فيه وعيد وتهديد عظيم وبدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (سوف تعلمون) أينا الجانى على نفسه المحطى فى فعله فان قلت أى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى قوله سوف تعلمون قلت ادخال الفاء فى قوله سوف تعلمون وصل ظاهر بحرف موضوع للوصول ونزعها فى قوله سوف تعلمون وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فاي يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون يعنى عاقبة ذلك فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للفتن فى البلاغة كما هو عادة بلغاء الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسبتموه وجعلتموه كالشئ المنبذ وراء الظهر لا يعاب به والظهير منسوب

وهو شرف قلة وكان رهطه من أهل ملتهم فذلك أظهر وا الميل اليهم والاكرام لهم (وما أنت علينا بعز يز) أى لاتعز علينا ولا نكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من أهل ديننا وقد دل ابناء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع فى الفاعل لافى الفعل كانه قيل وما أنت علينا بعز يز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك (قال) فى جوابهم (يا قوم أرهطى أعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وانما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه لان نهاؤنهم به وهو نبي الله تعالى والله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسبتموه وجعلتموه كالشئ المنبذ وراء الظهر لا يعاب به والظهير منسوب الى الظهر والكسر من تفسيرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس اسمى (ان ربي بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكن اذا تمكن من الشئ يعنى اعملوا فارين على جهتم التى أنتم عليها من الشرك والشناكى أو اعملوا متمكنين من عداوتى. بطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتى الله من النصرة والتأييد وبمكنتى (سوف تعلمون)

العرب الى الظهر والكسر من تفسيرات النسب كقولهم فى النسبة الى الامس اسمى (ان ربي بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شئ منها (ويا قوم اعملوا على مكاتكم) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكن اذا تمكن من الشئ يعنى اعملوا فارين على جهتم التى أنتم عليها من الشرك والشناكى أو اعملوا متمكنين من عداوتى. بطيقين لها (انى عامل) على حسب ما يؤتى الله من النصرة والتأييد وبمكنتى (سوف تعلمون)

من يأتيه عذاب يخز به ومن هو كاذب) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أين يأتيه عذاب يخز به أي يفضحه وأين هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشق الذي يأتيه عذاب يخز به والذي هو كاذب في زعمكم ودعواكم وادخال الفاء في سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعاها وصل تقديرى بالاستئناس الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فإذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والأتيان بالوجهين للتعفن في البلاغة وأبلغهما الاستئناس (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما قولكم (اني معكم قريب) منتظر والقريب بمعنى الرقيب من رقبه كالضرب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشرة أو بمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة) صاح جبريل صيحة فهل كوا أو انما ذكر في آخر قصة عاد ومدين ولما جاء وفي آخر قصة نود وولوط فلما جاء لانهم ما وقع ابعده ذكر انوعده وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب ففي ابقاء الذي (٣٦٩) هو للتسبب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد

كان كيت وكيت وأما الاخران فقد سد وقتنا مبتدئين فكان حقهما أن نعظنا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فاصبحوا في ديارهم جائعين) الجائهم اللازم لمكانه لا يريم يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كان لم يفتنوا فيها) كان لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين (الأبعد المدين) ابعدها يعني البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشدا الأتري الى قوله (كما بعدت نود) وقرئ كما بعدت والمعنى في البناء بين واحد وهو نقيض القرب الا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء

العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناس وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه والمعنى سوف تعلمون (من يأتيه عذاب يخز به) يعني بسبب عمله السيء وأين الشق الذي يأتيه عذاب يخز به (ومن هو كاذب) يعني فيما يدعيه (وارتقبوا) يعني وانتظروا العاقبة وما يؤل اليه أمرى وأمركم (اني معكم قريب) أي منتظر والقريب بمعنى المراقب (ولما جاء أمرنا) يعني بعذابهم واهلاكهم (نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) يعني بفضل منابن هديناهم للإيمان ووقفناهم للطاعة (وأخذت الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والبطحس (الصيحة) وذلك أن جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة فخرجت أرواحهم وماتوا جميعا وقيل أنهم صيحة واحدة من السماء فماتوا جميعا (فاصبحوا في ديارهم جائعين) يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطير اذا قعد واطأ بالأرض (كان لم يفتنوا فيها) يعني كأن لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر مأخوذة من قولهم غنى بالمكان اذا أقام فيه مستغنيا به عن غيره (الابعدا) يعني هلاكا (لمدين كما بعدت نود) قال ابن عباس لم تعذب أمتان قط بعد ذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم وأما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم ﴿قوله عز وجل﴾ (واقعد أرواحنا موسى بآياتنا) يعني بحججنا والبراهين التي أعطيناها للدالة على صدقه ونبوته (وسلطان مبين) يعني ومجززة باهرة ظاهرة دالة على صدقه أيضا قال بعض المفسرين المحققين سميت الحججة سلطانا لأن صاحب الحججة يقهر من لا حججة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج السلطان هو الحججة وسمى السلطان سلطانا لأنه حججة الله في الارض (الى فرعون وملائته) يعني أتباعه وأشراف قومه (فاتبعوا أمر فرعون) يعني ما هو عليه من الكفر وترك الايمان بما جاءهم به موسى (ومأمر فرعون برشيد) يعني وماطر بق فرعون وما هو عليه بسديد ولا حيد العاقبة ولا يدعوا الى خير (يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار) يعني كما تقدم قومه فاخذهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيامة فيدخلهم النار ويدخل هو أمامهم والمعنى كما كان قدوتهم في الضلال والكفر في الدنيا فكذلك هو قدوتهم ومامهم في النار (وبشس الورد المورود) يعني وبشس المدخل المدخول فيه وقيل شبه الله تعالى فرعون في تقدمه على قومه الى النار بمن يتقدم على الوارد الى الماء وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر العطش قال في حق فرعون

(٤٧ - (خازن) - ثاني) ككفر قوا بين ضماني الحبر والشمر فقالوا وعدوا وعد (واقعد أرواحنا لموسى بآياتنا وسلطان مبين) المراد به العصا التي أبهرها (الى فرعون وملائته فاتبعوا) أي الملائة (أمر فرعون ومأمر فرعون برشيد) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر باظلم والشمر الذي لا يأتي الا من شيطان ومثله يعزل عن الالهية وفيه أنهم عابوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشدا والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشدا فقط أو المراد ومأمره بصالح جيد العاقبة ويكون قوله (يقدم قومه يوم القيامة) أي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وايضا أي كيف يرشدا من هذه عاقبته والرشدا يستعمل في كل ما محمود ويرضى كما يستعمل في كل ما يندم ويقال قدمه بمعنى تقدمه (فاوردهم النار) ادخالهم وجي بلفظ الماضي لان الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لاحاله يعني كما كان قدوتهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه (وبشس الورد) (المورود) الذي وردده وشبه بالفارط

الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبهه انباعه بالواردة ثم قال بشس الورد المورود الذي يردونه النار لان الورد انما يرا دلتسكين العطش والنار ضده
(وأتبعوا في هذه) أي الدنيا (اعتقوا يوم القيامة) أي يعنون في الدنيا وبلغون في الآخرة (بشس الورد المرفود) رفدهم أي بشس العون
الامان وبشس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من أنباء القرى) خبر (نقصه عليك) خبر بعد خبر أي ذلك النبأ بعض انباء القرى
المهلكة مقصود عليك (منها) من القرى (قائم وحصيد) أي بعض ما باق وبعضها عاقب الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد والجملة
مستأنفة لاجل لها من الاعراب (وما ظلمناهم) باهلا كنا ايهاهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بارتكاب ما به اهلكوا (فما أغنت عنهم آلتهم)
فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (التي يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية (من دون الله من

وأتبعوا فاوردهم النار وبشس الورد المورود لان الاصل فيه قصه الماء واستعمل في ورود النار على سبيل
الفضاعة (وأتبعوا في هذه) يعني في هذه الدنيا (لعنة) يعني طرد او بعدا عن الرحمة (ويوم القيامة) يعني
وأتبعوا لعنة أخرى يوم القيامة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا (بشس الورد المرفود) يعني بشس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفل للعنة في الآخرة وقيل معناه بشس العطاء المعطى وذلك انه ترادف عليهم
لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الآخرة وقوله سبحانه وتعالى (ذلك من أنباء القرى) يعني من أخبار أهل القرى
وهم الامم السالفة والقرون الماضية (نقصه عليك) يعني نخبرك به يا محمد اتخبر قومك أخبارهم لعلمهم يعتبرون
بهم فيرجعوا عن كفرهم أو ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب (منها) يعني من القرى التي اهلكنا أهلها
(قائم وحصيد) يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قائم يعني الحيطان بغير سقف ومنها ما قد محى أثره
بالحياكة شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قائم على سوقه وبعضه قد حصد وذهب أثره والحصيد يعني المحصود
(وما ظلمناهم) يعني بالعذاب والاهلاك (ولكن ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي (فما أغنت عنهم
آلتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك) يعني بعذابهم أي لم تنفعهم أصنامهم ولم تدفع
عنهم العذاب (وما زادوهم غير تنبيح) يعني غير تخسيس وقيل غير تدمير (وكذلك أخذ ربك) يعني وهكذا
أخذ ربك (إذا أخذ القرى وهي ظالمة) الضمير في وهي عائذ على القرى والمراد أهلها (ان أخذهم شديد)
(ق) عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى إذا أخذهم لم يقلته ثم
قرأ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذهم أليم شديد فالآية الكريمة والحديث دليل على ان
من أقدم على ظلم فانه يجب أن يتدارك ذلك بالتوبة والانابة وردد الحقوق الى أهلها ان كان الظلم لا غير لا
يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد ولا يظن ان هذه الآية حكمتها محنص بظالمى الامم الماضية بل
هو عام في كل ظالم وبعضه الحديث والله أعلم قوله عز وجل (ان في ذلك لآية) يعني ما ذكر من عذاب الامم
الخالية واهلا كهم لغيره وموعظة (ان خاف عذاب الآخرة) يعني ان اهلا كهم أولئك عبرة يعتبر بها
وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الآخرة لانه اذا نظر ما أحل الله بأولئك الكفار في
الدنيا من أليم عذابه وعظيم عقابه وهو كالانموذج مما أعد لهم في الآخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه
وخشيته من الله (ذلك يوم يجوع له الناس) يعني يوم القيامة يجمع فيه الخلائق من الاوابين والآخرين
للحساب والوقوف بين يدي رب العالمين (وذلك يوم مشهود) يعني بشهده أهل السماء وأهل الارض (وما
نؤخره الا لاجل معدود) يعني وما نؤخر ذلك اليوم وهو يوم القيامة الا الى وقت معلوم محدود وذلك الوقت

شيء لما جاء أمر ربك
عذابه ولما منصوب بما
أغنت (وما زادوهم غير
تنبيح) تخسيس يقال
تب اذا خسرت به غيره
أوقعه في الخسران يعني
وما أفادتهم عبادة غير الله
شيأ بل اهلكناهم (وكذلك)
محل الكاف الرفع أي ومثل
ذلك الاخذ (أخذ ربك
إذا أخذ القرى) أي
أهلها (وهي ظالمة) حال
من القرى (ان أخذهم أليم
شديد) مؤلم شديد صعب
على المأخوذ وهو تأنخدير
لكل قرية ظالمة من كفار
مكة وغيره فعلى كل ظالم ان
يبادر التوبة ولا يتربا بالاهل
(ان في ذلك) فيما قص الله
من قصص الامم الهالكة
(لآية) لغيره (ان خاف
عذاب الآخرة) أي اعتقد
صحته ووجوده (ذلك)
اشارة الى يوم القيامة لان
عذاب الآخرة دل عليه

لا (يوم مجموع له الناس) وهو مرفوع بمجموع كباير فرفع فله اذا قلت يجمع له الناس وانما
آثار اسم المفعول على فعله ما في اسم المفعول من دلالاته على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه ثبت أيضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون
منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وذلك يوم مشهود) أي مشهود فيه فانسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به أي يشهده فيه
الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وما نؤخره) أي اليوم المذكور الاجل يطلق على مدة التأجيل كما هو على منتهىها والعدا انما هو للمدة
لاقايها ومنتهىها فمعنى قوله وما نؤخره (الاجل معدود) لالاتها مدة معدودة بحذف الاضاف أو ما نؤخر هذا اليوم الا لتنتهى المدة
التي ضم بناها لبقاء الدنيا

(يوم يأت) وبالياء مكى واقفه أبوهم ونافع وعلى في الوصل وثبات الياء هو الاصل اذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كذير في لغة هذيل ونظيره ما كنا نبعج وفاعل يأت ضمير يرجع الى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف الى يأت ويوم منصوب باذ كر أو بقوله (لا تكلم) أى لا تتكلم (نفس الاباذنه) أى لا يشفع أحد الاباذن الله من ذا (٣٧١) الذى يشفع عنده الاباذنه

(فمنهم) الضمير لاهل
الموقف للدلالة لا تكلم نفس
عليه وقد مر ذكر الناس في
قوله مجموع له الناس (شقي)
معذب (وسعيد) أى ومنهم
سعيد أى منعم (فاما الذين
شقوا في النار لهم فيها
زفير) هو أول نهيق الحمار
(وشهيق) هو آخره وأهما
اخراج النفس وردده وبالجملة
في موضع الحال والعامل فيها
الاستقرار الذى في النار
(خالدين فيها) حال مقدره
(ما دامت السموات
والارض) في موضع نصب
أى مدة داوم السموات
والارض والمراد سموات
الآخرة وأرضها وهى دائمة
مخلوقة لا ابد والدليل على
أن لها سموات وأرضاً قوله
يوم تبديل الارض غير
الارض والسموات وقيل
مادام فوق وتحت ولانه لا ابد
لاهل الآخرة مما يقلمهم
ويظلمهم اما سماء أو عرش وكل
ما أظلك فهو سماء أو هو
عبارة عن التأبيد ونفى
الانقطاع كقول العرب
ملاح كوكب وغير ذلك
من كلمات التأبيد (الاما
شاء ربك) هو استثناء
من الخلود في عذاب النار

لا يعامه أحد الا الله تعالى (يوم يأت) يعنى ذلك اليوم (لا تكلم نفس الاباذنه) قيل ان جميع الخلائق
يسكتون في ذلك اليوم فلا يتكلم أحد فيه الاباذن الله تعالى فان قلت كيف وجه الجمع بين هذه الآية وبين
قوله سبحانه وتعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله اخبارا عن محاجة الكفار والله ربنا ما كنا
مشركين والاخبار أيضا تدل على الكلام في ذلك اليوم قلت يوم القيامة طويل وله أحوال مختلفة وفيه
أحوال عظيمة ففي بعض الاحوال لا يقدر على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يؤذن لهم في
الكلام فيتكلمون وفي بعضها تخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد من
قوله لا تكلم نفس الاباذنه الشفاعة يعنى لا تشفع نفس لنفس شيئا الآن بأذن الله طافى الشفاعة (فمنهم)
يعنى من أهل الموقف (شقي وسعيد) الشقاوة خلاف السعادة والسعادة هى معاونة الامور الالهية للانسان
ومساعدته على فعل الخير والصلاح وتيسيره طأم السعادة على ضرب بين سعادة دنيوية وسعادة أخروية
وهى السعادة القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضرب بين أيضا شقاوة دنيوية وشقاوة
أخروية وهى الشقاوة لقصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة في الازل والسعيد من سبقت
له السعادة في الازل (ق) عن على بن أبى طالب قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فانا نارسول الله صلى الله عليه
وسلم فقعده وقعدنا حوله ومعه محضرة فنكس وجعل ينكت بمحضرة ثم قال ما منكم من أحد الا وقد كتب
معه من الجنة ومعه من النار فقالوا يا رسول الله أفلا تتكلم على كتابنا فقال اعمالوا فكل ميسر لما خلق
له أمان كان من أهل السعادة فسيبيرا عمل أهل السعادة وأمان كان من أهل الشقاوة فسيبيرا عمل أهل
الشقاوة ثم قرأ فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لآية بقية الغرقده ومقبرة أهل المدينة
الشريفة ومدفنهم والمحصرة كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يسره لآية بقية الغرقده ومقبرة أهل المدينة
المثناة من فوق ضرب النبي بتلك المحصورة أو باليد ونحو ذلك حتى يؤثر فيه واستدل بعض العلماء بهذه
آية وهذا الحديث على ان أهل الموقف قسمان شقي وسعيد لاننا لم نألفنا طما وظاهر الآية والحديث يدل
على ذلك لكن بقي قسم آخر مسكوت عنه ومن استوت حسنة وسياتيه وهم أصحاب الاعراف في قول
والاطفال والمجانين الذين لا حسنة لهم ولا سياتيه فهو لاء مسكوت عنهم فهم تحت مشيئة الله عز وجل
يوم القيامة يحكم فيهم بما يشاء وتخصيص هذين القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث (فاما الذين
شقوا في النار لهم فيها) أى في النار من العذاب والهوان (زفير وشهيق) أصل الزفير ترديد النفس في
الصدر حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر أو الزفير مده واخراجه من الصدر وقال ابن
عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير أول صوت الحمار
والشهيق آخره اذ رده الى صدره وقال أبو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف (خالدين فيها) يعنى
لابسين مقيمين في النار (مادامت السموات والارض) قال الضحاك يعنى مادامت سموات الجنة والنار
وأرضها ولا ابد لاهل الجنة وأهل النار من سماء نطقهم وأرض نطقهم فكل ما عاك فاطلك فهو سماء وكل
ما استقر عليه قدمك فهو أرض وقال أهل المعاني هذه عبارة عن التأبيد وذلك على عادة العرب فانهم
يقولون لا آتيتك مادامت السموات والارض واختلاف الليل والنهار يريدون بذلك التأبيد وقوله
سبحانه وتعالى (الاما شاء ربك) اختاف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس والضحاك
الاستثناء الاول المذكور في أهل الشقاء يرجع الى قوم من المؤمنين يدخل النار بذنوب اقترفوها ثم

وذلك لان أهل النار لا يتخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب انار أو ماشاء بمعنى من
شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجنة ميمون وهم المستنون من أهل الجنة أيضا فارقهم بها يكونهم في النار أياما
فهو لاء يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعد وسعادة من لآتمه البار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقادة رضى الله عنهم

متعد (في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) هو استثناء من الخلود في نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه أو معناه الامن شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الاستثناء في الآيتين لاهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصي الذي دخل النار خلود في النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضا خلود في الجنة لأنه لم يدخل الجنة ابتداء والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الاحاديث المروية في هذا الباب وكفي بهائمنا (عطاء غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه يمتد الى غير نهاية كقوله لم أجبر غير ممنون وهو نصب على المصدر أي أعطوا عطاء قيل كفرت الجنة بما باربع آيات عطاء غير مجذوذ كما هادتهم وما عهد الله بالاقطوع والامانة لما نص الله قصص عبدة الاوثان وذكرا ما حل بهم من تقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فلاتك في مربة مما يعبد هؤلاء) أي

يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لان الذين أخرجوا من النار سعداء في الحقيقة استثناءهم الله تعالى من الاشقياء وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى يخرج قومًا من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة وفي رواية ان الله يخرج ناسًا من النار فيدخلهم الجنة أخرجهم البخاري ومسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار قوم بعد ما سبهم منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجنة فيروا به ليصين أفواها مسفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة لهم ثم يدخلهم الله الجنة بفضلهم ورحمته فيقول لهم الجنة نعيمون (خ) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة يسمون الجنة نعيمين وأما الاستثناء الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع الى مدة ابث هؤلاء في النار قبل دخولهم الجنة فعلى هذا القول يكون معنى الآية فاما الذين شقوا في النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة (ان ربك فعال لما يريد) وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك) أن يدخله النار أو لا ثم يخرجهم منها فيدخله الجنة فاصل هذا القول ان الاستثناء يراجع لكل واحد منهما الى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوبًا استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لان اجماع الامة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها أبدا وقيل ان الاستثناء يراجع الى الفر يقين السعداء والاشقياء وهو مدة تعميرهم في الدنيا واحتسابهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة قوفهم للحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والدار الا هنا المقدار وقيل معناه الاماشاء ربك سوى ماشاء ربك فيكون المعنى خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك من الزيادة على ذلك وهو كقولك لفلان على ألف الألفين أي سوى ألفين وقيل الابعنى الواو يعنى وقد شاء ربك خلود هؤلاء في النار وخلود هؤلاء في الجنة فهو كقوله تمجد وتعالى للثلاثين للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي ولالذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لا يخرجهم منها ولكنه لم يشأ لأنه حكمهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناء الله ولا يفعله كقوله والله لا ضرر بك الا أن أرى غير ذلك وعزمه أن يضربه فهذه الاقوال في معنى الاستثناء ترجع الى الفر يقين والصحيح هو القول الاول وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى ان ربك فعال لما يريد يعنى من اخرج من النار وادخلهم الجنة فهذا على الاجال في حال الفر يقين فاما على التفصيل فتقوله الاماشاء ربك في جانب الاشقياء يرجع الى الزفير والشهيق وتقر به ان يقيد حصول الزفير والشهيق مع خلوده لانه اذا دخل الاستثناء عليه وجب ان يحصل فيه هذا المجموع والاستثناء في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة يعنى الاماشاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد الخلود وقيل ان الاستثناء الاول في جانب الاشقياء معناه الاماشاء ربك من أن يخرجهم من النار الى البرد والزهر يروى في جانب السعداء معناه الاماشاء ربك أن يرفع بعضهم الى منازل أعلى منازل الجنان ودرجاتها والقول الاول هو المختار وبدل على خلود أهل الجنة في الجنة ان الامة مجتمعة على ان من دخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالدين فيها وقوله سبحانه وتعالى في جانب السعداء (عطاء غير مجذوذ) يعنى غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار وروى عن ابن مسعود أنه قال لا تبين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبتون فيها أحقابا وعن أبي هريرة نحوه وهذا ان مسح عن ابن مسعود وأبي هريرة فحمل عند أهل السنة على اخلاء ما كن المؤمنين الذين استحقوا الدار من النار بعد اخراجهم منها لانه ثبت بالدليل الصحيح القاطع اخراج جميع المؤمنين وخلود الكفار فيها أو يكون مجزول على اخراج الكفار من النار الى برد الزهر يربل زادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم بقوله سبحانه وتعالى (فلاتك في مربة مما يعبد هؤلاء) يعنى فلانك في شك

صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيد لهم ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آباؤهم وقد بلغك منازل بآبائهم فسيتران بهم مثله وهو استئناف معناه لتعليل النهي عن المرية وما في مما وكما مصدرية أو موصولة أي من عبادتهم وعبادتهم أو مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها (والموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصاءهم (غير منقوص) حال من نصيبهم أي كاملا (ولقد آتينا موسى الكتاب) التوراة (فاختلف فيه) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) انه لا يعاجلهم بالعذاب (لتضى بينهم) بين قوم موسى او قومك بالعذاب المستأصل (وانهم لفي شك منه) من القرآن أو من العذاب (٣٧٣) (مرتب) من أرب الرجل اذا كان

ذارية على الاسناد المجازي (وان كلا) التنوين عوض عن المضاف اليه يعنى وان كلهم أي وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لما) مخفف بصري وعلى ما مر بزيادة جى به اليفصل بها بين لام ان ولام (ليوفينهم) وهو جواب قسم محذوف واللام فى الما موطنة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم من ايمان وخجود وحسن وقبح بعكس الاولى ابو بكر مخففان مكى ونافع على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل ولان أن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشدداً غيرهم وهو مشكل واحسن ما قيل فيه انه من لمت

يا حمد فى هذه الاصنام التى يعبدها هؤلاء الكفار فانهم لا تنفع (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) يعنى أنه ليس لهم فى عبادة هذه الاصنام مستند الا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدها مثلهم (والموفوهم نصيبهم غير منقوص) يعنى وانما عبادتهم هذه الاصنام نزلهم الرزق الذى قدرناه لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعنى من العذاب الذى قدر لهم فى الآخرة كاملا موفرا غير ناقص قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (فاختلف فيه) يعنى فى الكتاب ففهم مصدق به ومكذب به كما فعل قومك يا حمد بالقرآن ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لكان الذى يستحقونه من تعجيل العقوبة فى الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تبارك وتعالى (لتضى بينهم) يعنى اعذبوا فى الحال وفرغ من عذابهم واهلاكهم (وانهم لفي شك منه) يعنى من القرآن ونزوله عليك يا حمد (مرتب) يعنى انهم قد وقعوا فى الريب والنهمة (وان كلا) يعنى من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم فى القيامة فيجازى المصدق على تصديقه الجنة ويجازى المكذب على تكذيبه النار (انه بما يعاملون خبير) يعنى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شئ من أعمال عباده وان دقت فقيه وعدل لحسنين المصدقين وفيه وعيد ونهيد للمكذابين الكافرين ﴿قوله سبحانه وتعالى﴾ (فاستقم كما أمرت) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى فاستقم يا حمد على دين ربك والعمل به والدعاء اليه كما أمرت ربك والامر فى الاستقامة للتأكد لان النبي صلى الله عليه وسلم كان على الاستقامة لم يزل عليه فهو كقولك للقاتم قم حتى آتيتك أى دم على ما أنت عليه من القيام حتى آتيتك (ومن تاب معك) يعنى ومن آمن معك من أمتك فليستقيموا أيضا على دين الله والعمل بطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الامر والنهي ولا تروغ منه وغان الثعلب (م) عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لى فى الاسلام قولاً لا أسأل عنه أحد بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم (ولا تظفوا) يعنى ولا تجاوزوا أمرى الى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا فى الدين فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه (انه بما تعملون بصير) يعنى انه سبحانه وتعالى عالم بما عملتمكم لا يخفى عليه شئ منها قال ابن عباس ما زلت آية على رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أشد عاياه من هذه الآية ولذلك قال شيبتي هو دواؤها (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين يسر وان يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا بأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة قوله ان الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل فى الدين وترك التشدد فان

الشيء جعلته لما تم وقف فصار لما تم أجرى الوصل مجرى الوقف وجزا أن يكون مثل الدعوى والتروى وما فيه ألف التأنيث من المصادر ورقأ الزهرى وان كلاما بالتنوين كقوله أ كلالما هو يؤيد ما ذكرنا والمعنى وان كلاما لمومين أى مجموعين كأنه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الايجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل وان كلاما لماعنوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال السكاسى ليس لى بنشد بيد لما علم (انه بما يعملون خبير فاستقم كما أمرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستترى استقم وجزا للفاصل يعنى فاستقم انت وايستقم من تاب عن الكفر ورجع الى الله مخلصا (ولا تظفوا) ولا تخرجوا عن حد رد الله (انه بما تعملون بصير) فهو مجاز يكفانقوه قيل ما زلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كانت اشق عاياه من هذه الآية ولهذا قال شيبتي هو

(ولا تركوا الى الدين ظاهرا) ولا يملوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لانبايع الكفرة اى لانتركوا والى القادة والاكابر فى ظلمهم وفيما يدعونكم اليه (فتمسككم النار) وقيل (٣٧٤) الركون اليهم الرضا بكم فرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموقف انه صلى

هذا الدين مع يسره وسهولته قوى فان يغالب ولن يقاوى فسد وادأى اقصه والساد من الامور وهو الصواب وقار بواى اطبلوا المقاربة وهى القصد الذى لا غلوفيه ولا تقصير والغدوة الروح بكرة والروح الرجوع عشيا والمراد منه اعلموا طرف النهار وقتا وقتا والدجة سير المليل والمراد منه اعلموا بالنهار واعلموا بالليل ايضا وقوله شئ من الدجة اشارة الى ثقيله ﴿ وقوله تعالى (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) قال ابن عباس ولا يملوا والركون هو المحبة والميل بانقلاب وقال ابو العالى لا ترضوا باعمالهم وقال السدى لانداهنوا الظلمة وعن عكرمة لا تطيعوهم وقيل معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا (فتمسككم النار) يعنى فتصيبكم النار بحرهما (ومالككم من دون الله من اولياء) يعنى اعوانا وانصارا ممنعونكم من عذابه (ثم لا تنصرون) يعنى ثم لا تجدون لكم من ينصركم ويخلصكم من عقاب الله غدا فى القيامة فغيبه وعيدان ركن الى الظلمة اوردى باعمالهم أو احبهم فكيف حال الظلمة فى انفسهم نعوذ بالله من الظلم ﴿ قوله عز وجل (واقم الصلوة طرفى النهار) سبب نزول هذه الآية ما رواه الترمذى عن ابي اليسر قال اتيت امرأة تبتاع تمرا فقلت ان فى البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معى البيت فاهويت اليها فبقتها فانبت ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استرعى نفسك وتب ولا تخبر احد فلم اصبر فأتيت عمر فذكرت ذلك له فقال استرعى نفسك وتب ولا تخبر احد فلم اصبر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا فى سبيل الله فى أهله بمثل هذا حتى نمى انه لم يكن أسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من أهل النار قال واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى أوحى الله اليه واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من المليل الى قوله ذلك ذكرى لاندركين قال ابو اليسر فأتيت فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احببه يا رسول الله لهذا خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة قال الترمذى هذا حديث حسن غريب وقيل بن الربيع ضعفه وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو (ق) عن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة قبله فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فترت واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من المليل الآية فقال الرجل يا رسول الله الى هذه الآية قال لمن عمل بها من امتى وفى رواية فقال رجل من القوم يا بنى الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ بن جبل قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم لم رجل فقال يا رسول الله رأيت رجلا تى امرأة وليس بينهما معرفة فليس يأتى الرجل الى امرأته شيئا الا قد أتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى لاندركين فامر به النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضأ ويصلى قال معاذ فقلت يا رسول الله أهى له خاصة أم للمؤمنين عامة فقال بل للمؤمنين عامة أخرجه الترمذى وقال هذا الحديث ليس بمتصل لان عبد الرحمن بن ابي ليلى لم يسمع من معاذ أما التفسير فقوله سبحانه وتعالى واقم الصلوة طرفى النهار يعنى صلاة الغداة والعشى وقال مجاهد طرفى النهار يعنى صلاة الصبح والظهر والعصر والمغرب طرف وزلفا من الليل يعنى صلاة المغرب والعشاء وقال الحسن طرفى النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفى النهار الغداة والعشى يعنى صلاة الصبح والمغرب قل الامام نجر الدين الرازى كثرت المذاهب فى تفسير طرفى النهار والاشهر ان الصلاة التى فى طرفى النهار هى الفجر والعصر وذلك لان احد طرفى النهار هو طلوع الشمس والثانى هو غروبها فالطرف الاوّل هو صلاة الفجر والطرف الثانى لا يجوز ان يكون صلاة المغرب لانها اذلة تحت قوله تعالى وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثانى على صلاة العصر (وزلفا من الليل) يعنى واقم الصلاة فى زلفا من الليل وهى ساعاته

خلف الامام فمما قرأ هذه الآية غشي عليه فلهما فاق قيل له فقال هذا فى من ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لابين ولا تلغوا ولا تركنوا وقال سفيان فى جهنم وادلا يسكنه الاقراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله من عالم زور عامل او قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا ظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله فى ارضه واقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى بركة هل يسقى شربة ماء يقال لا فقيل له يموت قال دعوه يموت (ومالككم من دون الله من اولياء) حال من قوله فتمسككم النار اى فتمسك النار وانتم على هذه الحالة ومعناه ومالككم من دون الله من اولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هولاء انه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم الاستبعاد اى النصره من الله مستبعدة (واقم الصلوة طرفى النهار) غدوة وعشية

(وزلفا من الليل) وساعات من المليل جمع زلفه وهى ساعاته اقر بيه من آخر النهار من ازلفه اذا قر به صلاة الغدوة واحدها الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلفا المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك أفت عنده جميع النهار وأتيت نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه

(ان الحسنات يذهبن السيئات) ان الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفي الحديث ان الصلوات الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب والطاعات قال عليه السلام اتبع السيئة الحسنة تمحها واسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (ذلك) اشارة الى فاستقم فابعده أو القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعبين نزلت في عمرو بن غزيرة الانصاري بائع التمر قال لامرأة في البيت تمر اوجود فدخلت فقباها فندم فجاءه حاكبا كما فنزلت فقال عليه السلام هل شهدت معنا العصر قال نعم قال هي كفارة لك فقيل له خاصة قال بل للناس عامة (واصبر) على امتثال ما أمرت به والاتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) (٣٧٥)

الارامر والنواهي من قوله فاستقم الى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون من قبلكم) فهلا كان وهو موضوع للتعويض ومخصوص بالفعل (أولو بقية) أو لفضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اوجوده وأفضله فصار مثالا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا (ينون عن الفساد في الارض) محب محمد عليه السلام وأمته ان لم يكن في الامم التي ذكر الله اهلا كههم في هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينون غيرهم عن الكفر والمعاصي (الافليامن أنجينا منهم) استثناء منقطع أي ولكن قليلا من أنجينا من القرون

واحدتها زلفة وأصل الزانفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء (ان الحسنات يذهبن السيئات) يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات ويكفرنها (م) عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر (ق) ان أبي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رأيت نورا من نهار ابواب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء قالوا لا قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ) عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرر قال العلماء الصغار من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحات مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو ذلك من أعمال البر وأما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاث شرائط الشرط الاول الافلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام أن لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط سحبت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والقول الاوّل أصح أنها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب ومجاهد في إحدى الروايتين عنه والقرظي والضحاك وجهور المفسرين (ذلك) اشارة الى ما تقدم ذكره من الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن (ذكرى للذاكرين) يعني عظة للمتعبين المطيعين (واصبر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني واصبر يا محمد على أذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلاة (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) يعني أعمالهم قال ابن عباس يعني الصابرين قوله سبحانه وتعالى (فلولا كان من القرون) يعني فهلا كان من القرون التي أهلكتهم (من قبلكم) يعني يا أمة محمد (أولو بقية) يعني أولوتيميز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية اذا كان فيه خير وقيل معناه أولو بقية من خير يقال فلان على بقية من الخير اذا كان على خصلة محمودية (ينون عن الفساد في الارض) يعني يقومون بالنهي عن الفساد في الارض والآية للتقرب والتوبح يعني لم يكن فيهم من فيه خير ينهي عن الفساد في الارض فذلك أهلكتهم (الافليامن هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا) (عن أنجينا منهم) يعني من آمن من الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينون عن الفساد في الارض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) يعني واتبع الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ماتت مع موافقيه والترفع والتنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا به من النعم وابتاعوا اللذات على الآخرة ونعيمها (وكانوا مجرمين) يعني كافرين (وما كان ربك باغياً) يعني وما كان ربك يا محمد (ليهلك القرى بظلم) يعني لا يهلكهم بظلم منه (وأهلها مصاحون) يعني في أعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وركوبهم

نحو ان الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في من أنجينا للبيان لا للتبعيض لان النجاة للناهيين وحدهم بدليل قوله أنجينا الذين ينون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا (واتبع الذين ظلموا) أي التاركون للنهي عن المنكر وهو عطف على مضمراى الافليامن أنجينا منهم فهو عن الفساد واتبع الذين ظلموا وشهواتهم فهو عطف على نهوا (ما أترفوا فيه) أي اتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفع من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء وورفضوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبتوه وراء ظهورهم (وكانوا مجرمين) اعتراض وحكم عليهم بانهم قوم مجرمون (وما كان ربك ليهلك القرى) (اللام التأكيد النفي) (بظلم) حال من الفاعل أي لا يصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وأهلها) قوم (مصاحون) تنزيها لانه عن الظلم وقيل الظلم الشرك أي لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون في العائلات فيما

ينهم لا يضمنون الى
شركهم فسادا آخر (ولو
شاعر بك لجعل الناس
أمة واحدة) أى متفقين
على الايمان والطاعات
عن اختيار ولكن لم يشأ
ذلك وقال المعتزلة هي مشيئة
قسر وذلك رافع للابتلاء
فلا يجوز (ولا يزالون
مختلفين) في الكفر
والايمان أى ولكن شاء
ان يكونوا مختلفين لماعلم
منهم اختيار ذلك (الامن
رحم بك) الاناس اعصمهم
الله عن الاختلاف
فاتفقوا على دين الحق غير
مختلفين فيه (ولذلك
خلقهم) أى ولما هم عليه
من الاختلاف فعندنا
خالقهم الذى علم انهم
يصيرون اليه من اختلاف
أو اتفاق ولم يخلقهم لغير
الذى علم انهم يصيرون اليه
كذاتى شرح التأويلات
(ونمت كلمة ربك) وهى
قوله للملائكة (أملأن
جهنم من الجنة والناس
أجمعين) لعلمه بكثرة من
يختار الباطل (وكلا)
التنوين فيه عوض من
المضاف اليه كأنه قيل وكل
نبأ وهو منصوب بقوله
(نقص عليك) وقوله
(من أنباء الرسل) بيان
لسكل وقوله (ماثبت به
فؤادك) بدل من كلا
(وجاءك في هذه الحق)

السيئات وقيل فى معنى الآية وما كان ربك ليهلك القرى بمرسئهم إذا كانوا مصلحين يعنى يعامل
بعضهم بعضا بالصالح والسداد والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال فى الدنيا أما عذاب الآخرة فهو لازم لهم
ولهذا قال بعض الفقهاء ان حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها على التضييق
والتشديد قوله عز وجل (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى كلهم على دين واحد وشريعة
واحدة (ولا يزالون مختلفين) يعنى على أديان شتى ما بين يهودى ونصرانى ومجوسى ومشرك ومسلم فكل
أهل دين من هذه الأديان قد اختلفوا فى دينهم أيضا اختلافا كثيرا لا ينضب عن أبى هريرة رضى الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة وأثنى عشر فرقة والنصارى
مثل ذلك وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود والترمذى بنحوه عن معاوية قال قام فىنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ان من قبلكم من أهل الكتاب اختلفوا على اثنتى عشر فرقة وان
هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة أخرجه
أبو داود وقال الخطابى قوله صلى الله عليه وسلم وستفترق أمتى فيه دلالة على أن هذه الفرق غير خارجة من الملة
والدين اذ جعلهم من أمة وقال غيره المراد بهذه الفرق أهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهروا
بعده كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة هى فرقة
السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى أقواله وأفعاله وقوله سبحانه وتعالى (الامن رحم
بك) يعنى اسكن من رحمة ربك فى ما بالهداية والتوفيق الى الحق وهداه الى الدين القويم والصراف
المستقيم فهم لا يختلفون (ولذلك خلقهم) قال الحسن وعطاء وللأختلاف خلقهم قال أشهب سألت مالك بن
أنس عن هذه الآية فقال خلقهم ليكون فريق فى الجنة وفريق فى السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة
والضحاك وللرحمة خلقهم يعنى الذين يرحمهم وقال الفراء خلق أهل الرحمة للرحمة وخلق أهل الاختلاف
للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل أهل الرحمة للرحمة لا يختلفوا وخلق أهل العذاب لان يختلفوا وخلق
الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا خلاص الآية ان الله خلق أهل الباطل وجعلهم مختلفين
وخلق أهل الحق وجعلهم متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالرحمة
وهم أهل الاتفاق ومصيرهم الى الجنة ويدل على صحة هذا القول سياق الآية وهو قوله تبارك وتعالى (ومت
كثير بك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) وهذا صريح بان الله سبحانه وتعالى خلق أقواما للجنة
والرحمة فهداهم ووقفهم لاعمال أهل الجنة وخلق أقواما للضلالة والنار فخذلهم ومنهم من الهداية قوله
سبحانه وتعالى (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) لما ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه
السورة الكريمة قصص الامم الماضية والقرون الخالية وما جرى لهم مع أنبيائهم مخاطب نبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله وكلا نقص عليك ما يحمى من أنباء الرسل يعنى من أخبار الرسل وما جرى لهم مع قومهم ما ثبت به
فؤادك يعنى ما تقوى به قلبك لتصبر على أذى قومك وتتأسى بالرسل الذين خلوا من قبلك وذلك لان النبى
صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الأذى
من قومهم وأمكنه الصبر عليه (وجاءك) يا محمد (فى هذه الحق) اختلفوا فى هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل
معناه وجاءك فى هذه الدنيا الحق وفيه بعد لانه لم يجر لادنيا كرحمى يعود الضمير اليها وقيل فى هذه الآية
وقيل فى هذه السورة وهو الاقرب وهو قول الأكثرين فان قلت قد جاء الحق فى سور القرآن فلم خص هذه
السورة بالذ كرفت لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذ كرا أن لا يكون قد جاء الحق فى غيرها من السور
بل القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذ كرا لتشرىفا لها (وموعظة وذ كرى للمؤمنين) أى وهذه

السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا أحوال الامم الماضية وما نزل بهم (وقل للذين لا يؤمنون
اعمالوا على مكاتكم) فيه وعيد وتهديد يعنى اعمالوا ما اتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل فهو كقوله اعمالوا
ما شئتم (انا عاملون) يعنى ما امرنا به ربنا (واتظروا) يعنى ما يعدكم به الشيطان (انا منتظرون) يعنى
ما يحل بكم من نعمة الله وعذابه اما فى الدنيا واما فى الآخرة (ولله غيب السموات والارض) يعنى يعلم ما غاب
عن العباد فيها يعنى ان علمه سبحانه وتعالى نافذ فى جميع الاشياء خفية وجليه وحاضرها ومعدومها لا يخفى
عليه شئ فى الارض ولا فى السماء (واليه يرجع الامر كله) يعنى الى الله يرجع امر الخلق كلهم

فى الدنيا والآخرة (فاعبده) يعنى ان من كان كذلك كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده

ولا تستغل بعبادة غيره (وتوكل عليه) يعنى وثق به فى جميع أمورك فإنه يكفيك (وما

ربك بغافل عما تعملون) قال أهل التفسير هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه

وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم والمعنى انه سبحانه وتعالى

يحفظ على العباد أعمالهم لا يخفى عليه منها شئ فيجزى

المحسن باحسانه والمسيء باساءته قال

كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة

سورة هود والله أعلم

براده وامرار

كتابه

﴿تم الجزء الثانى ويليهِ الجزء الثالث أولهُ سورة يوسف﴾

تثبيت فؤاده زيادة بيقينه
لان تكاثر الأدلة أثبت
للقلب (وقل للذين
لا يؤمنون) من أهل مكة
وغيرهم (اعملوا على
مكاتكم) على حالكم
وجهتكم التى اتم عليها
(انا عاملون) على مكاتنا
(واتظروا) بنا للدوائر
(انا منتظرون) أن ينزل
بكم نحو ما اقتض الله تعالى
من النقم النازلة باشباهكم
(ولله غيب السموات
والارض) لا تخفى عليه
خافية مما يجرى فيها فلا
تخفى عليه أعمالكم (واليه
يرجع الامر كله) فلا بد
أن يرجع اليه أمرهم
وأمرك فينتقم لك منهم
يرجع نافع وحفص
(فاعبده وتوكل عليه) فإنه
كافيك وكافلك (وما ربك
بغافل عما تعملون) وبالتناء
مدنى وشامى وحفص أى
أنت وهم على تغليب
المخاطب قبل خاتمة التوراة
هذه الآية وفى الحديث
من أحب أن يكون اقوى
الناس فليتوكل على الله
تعالى

﴿ فهرست الجزء الثاني من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن ﴾

صحيفة

- ٢ ﴿ تفسير سورة الانعام ﴾
- ٢٩ ذكر قصة مولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ودعائه قومه وما وقع بينه وبين نمرود
- ٣٤ فصل احتج العلماء بقوله تعالى فبهذا هم اقتده على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام
- ٤٣ فصل يتعلق بقوله تعالى لا تدركه الابصار
- ٥١ فصل اختلف العلماء في ذبيحة المسلم اذ لم يذكرا اسم الله عليها
- ٦٧ فصل في احتجاج القدرية والمعتزلة بقوله تعالى سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا إلخ
- ٧٦ ﴿ تفسير سورة الاعراف ﴾
- ٨٤ فصل في الاستدلال على صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عنه
- ١٠٩ ذكر قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق الخ
- ١١٤ ذكر قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحق الخ
- ١٢٥ فصل في بيان المعجزة وكونها دليل على صدق الرسل
- ١٣٥ فصل في احتجاج من نفي الرزية بظاهر قوله تعالى ان تراني والرد عليهم في ذلك
- ١٤٧ شرح غريب ألفاظ الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم المذكورة في التوراة
- ١٦٢ ذكر أسماء الله الحسنى
- ١٧١ فصل في احتجاج الطاعنين في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ١٧٤ ﴿ تفسير سورة الانفال ﴾
- ١٨٥ فصل في حكم الفرار عند الزحف
- ٢١٠ فصل في استدلال من يقدح في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ٢١٣ ﴿ تفسير سورة التوبة ﴾
- فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة
- ٢١٦ فصل قديتهم متوهم ان في بعث علي بن أبي طالب بقراءة أول براءة عزل أبي بكر عن الامار وتفضيله على أبي بكر وذلك جهل الخ
- ٢٣٥ فصل في بيان أحكام قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
- ٢٤٠ ذكر سياق حديث الهجرة
- ٢٤٤ فصل في الوجوه المستنبطة من قوله تعالى فأنزله الله سكينته عليه الخ الدلالة على فضل سيدي أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
- ٢٤٦ فصل استدلال بقوله تعالى عفا الله عنك الخ من يرى جواز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجواب عن ذلك
- ٢٥١ فصل في بيان حكم قوله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين الخ وفيه مسائل
- ٢٦٨ فصل قدر وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق صورة اختلاف في الروايات الخ

- ٢٩٩ (تفسير سورة يونس عليه الصلاة والسلام)
 ٣٣١ فصل في السلام على هذا الحديث (أى قوله صلى الله عليه وسلم لما أغرق الله فرعون قال آمنت
 الخ) لانه في الظاهر مشكل
 فصل في وجه اشكال الحديث المذكور
 ٣٣٨ ﴿تفسير سورة هود عليه الصلاة والسلام﴾
 ٣٤٩ فصل في الرد على من استدل بقوله تعالى ولا أقول انى ملك على تفضيل الملائكة على الانبياء
 عليهم الصلاة والسلام
 ٣٥٦ فصل في الرد على من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مستدلا بقوله تعالى انه عمل
 خير صالح الخ

﴿تمت﴾